

الكامل
في التفسير
لابن الأثير

الإكمالُ في النبايخ

تأليف

الشيخ الإسلامُ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف

بابن الأثير



المجلد الأول

دار بيروت
للطباعة والنشر

دار صادر
للطباعة والنشر

بيروت

١٣٨٥ - ١٩٦٥ م

131633

المقدمة

نقدّم لقرّاء لغتنا العربيّة الكرام هذه الطبعة الجديدة لكتاب « الكامل في التاريخ » تأليف عز الدين ابن الأثير الجزري ؛ هذا الكتاب الذي عزّ وجوده بعد نفاذ نسخ الطبعة الأوروبيّة التي نُشرت ما بين سنتي ١٨٥١ و ١٨٧١ م. في اثني عشر جزءاً بإشراف المستشرق كارلوس يوهانس تورنبرغ الذي عاونه فريق من العلماء في نشرها ، مع مجلّد للفهارس مضافاً إليه استدراقات لما تفرّق فيه بعض النسخ عن بعض ، مع كثير من التصحيحات ؛ وكتيّب بُيّنّت فيه فوارق النسخ ، وتصويبات لما في الجزئين الحادي عشر والثاني عشر من هفوات .

وقد اعتُمد في إصدار الطبعة الأوروبيّة على عدّة مخطوطات ، منها : مخطوطات باريس ، وبرلين ، والمتحف البريطاني ، والأستانة ، ومخطوط شفري وراولنسن ، فجاءت أفضل طبعة محقّقة لهذا التاريخ العظيم القيمة ، أثبت في أسفل صفحاتها ما افرقت به المخطوطات التي اعتمدها المحققون . وعلى اعترافنا بفضل هؤلاء العلماء ، وبما بذلوه من عظيم الجهد في نشر هذا التاريخ ، فإن طبعته لم تخلُ من هفوات كثيرة ربّما رجع أكثرها إلى خطأ الناسخين ، أو إلى رداءة خطوط المخطوطات .

•
وانّنا عندما فكّرنا في مباشرة إعداد هذه الطبعة ، عازمين على المحافظة

على التحقيقات التي أثبتت في الكتاب ، رأينا أن علينا في أول الأمر تصحيح ما جاء من التصويبات ، والاستدراكات ، والهفوات التي ذكرت في نهاية كل مجلد ؛ ثم إثبات فروق نسخ المجلدين الحادي عشر والثاني عشر في مواضعها ، مع ذكر التصويبات ، وفروق النسخ في مجلد الفهارس .

وقد رجعنا ، لتكون طبعتنا هذه فائقة سابقتها في الجودة والصحة ، إلى مختلف أمتهات الكتب في مقابلتنا بين الحوادث ، وأسماء الأشخاص والأماكن ، وتصحيح ما وجدنا فيها من الخطأ ؛ ومن هذه الأمتهات : تاريخ الطبري ، وتاريخ اليعقوبي ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، والسيرة لابن هشام ، ومعجم البلدان لياقوت ، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وصحيح البخاري ، والقاموس المحيط للفيروزابادي ، ولسان العرب لابن منظور . ومجموعة دواوين العرب ، والأعلام للزركلي ، وغيرها .

وقد حافظنا على طابع النسخة الأوروبية ، فأشرنا إلى جميع ما أثبتنا من الزيادات ، أو التصحيحات ، أو التوضيحات ، أو الشروح . وضبطنا الآيات القرآنية الكريمة بالشكل الكامل ووضعناها بين هلالين ، وأشرنا إلى رقمها ورقم الآية ، ذاك لأن بعض الآيات كان مختلطاً بالنص التاريخي فلا يدرك القارئ أين تبتدىء الآية وأين تنتهي . وقد صححنا كذلك بعض أرقام السور التي أخطئ بها في النسخة الأوروبية .

ووضعنا في المتن بين معقوفين [] ما رأينا ضرورة زيادته إتماماً للمعنى ، أو توضيحاً له .

وجعلنا كذلك في الهامش بين قوسين شروح المفردات التي اقتضى شرحها وبعض التوضيحات . وقسمنا الفصول الطويلة إلى فقرات تسهيلاً للمطالعة . وعثرنا في إنشاء الكتاب على أخطاء صرفية ونحوية ،

فصححناها دون أن نشير إليها . على أننا أشرنا إلى ما صححناه من الأشياء التي يتغير المعنى بتصحيحها .
وقد وجدنا اختلافاً بين كثير مما ذكر في هذا الكتاب من أسماء للأشخاص والأماكن وما ذكر منها في أمتهات الكتب ، فأشرنا إلى بعضها في الهامش ، وصوبنا في المتن ما رأينا إجماع الأمتهات على الاتفاق عليه . وكذلك شأننا في الكلمات المحرّفة التي توصلنا إلى تصحيحها . ووجدنا بعض ما روي من القصائد محرّفاً تحريفاً شوه القصيدة وأضاع معناها وأفسد وزنها . فرجعنا إلى الروايات الصحيحة التي عثرنا عليها فأثبتناها في المتن . ووضعنا في أسفل الصفحة الكلمة الأصلية أو الرواية المحرّفة .

وإننا نترك للقارئ الكريم أن يأخذ بما أثبتنا من تصويبات في المتن أو أن يرجع إلى الرواية الأصلية المثبتة في أسفل الصفحة .
هذا ونرجو أن نكون قد وفّقنا في محاولتنا القيام بهذا العمل الصعب ، خدمة للغتنا العربية الشريفة ، وأن يعذرنا القارئ الكريم إذا وجد أننا لم نوفّق كلّ التوفيق في جميع ما سعينا إليه ، وما نوحّيناه من الإلتقان . وإن لنا خير شفيع من حسن نيّتنا في سعينا المجهد لنجعل هذه الطبعة من أفضل ما يمكن عمله لتكون معاوناً للباحثين والمؤرّخين والأدباء .

دار صادر - دار بيروت

عز الدين ابن الأثير

٥٥٥ - ٦٣٠ هـ - ١١٦٠ - ١٢٣٢ م

هو عليّ بن محمّد الشيباني ، كنيته أبو الحسن ، ولقبه عز الدين ، ويعرف بابن الأثير الجزري ، نسبة إلى جزيرة ابن عمراً . وهو ثالث ثلاثة إخوة عُرف كل واحد منهم بناحية من العلوم ، فآلف كبيرهم مجد الدين في الحديث النبوي ، وله فيه كتابان : « جامع الأصول في أحاديث الرسول » ، و« النهاية في غريب الحديث » . وتعاطى صغيرهم ضياء الدين نصر الله الأدب فبرع فيه ، وله عدّة مؤلفات ، أشهرها : « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » . وانصرف أوسطهم عزّ الدين إلى التاريخ ، وأشهر ما كتبه فيه كتابه الذي سمّاه : « الكامل في التاريخ » وهو الكتاب الذي نحن بصدده .

١ جزيرة ابن عمر بلدة فوق الموصل تحيط بها دجلة إلاّ من ناحية واحدة ، شبه الهلال . قال ياقوت : « إن أول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي » . وقال ابن خلكان : « قيل إنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفي ، أمير العراقيين . ثم ظفرت بالصواب في ذلك وهو أن رجلاً من أهل برقيد من أعمال الموصل بناها واسمه عبد العزيز بن عمر ، فأضيفت إليه » .

حياته

وُلد عزّ الدين في جزيرة ابن عمر في رابع جمادى الأولى سنة ٥٥٥ هـ ١١٦٠ م ، في بيت وجاهة وثراء ، فقد كان أبوه محمد متولياً ديوان المدينة من قبيل قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل ؛ وكان مع ذلك يملك في قرية العقيمة ، وهي قبالة جزيرة ابن عمر من الجانب الشرقي ، عدة بساتين ، وكانت له تجارة بين الموصل والشام ، عن طريق بحر الشام ، نهبها الفرنج مرة سنة ٥٦٧ هـ ١١٧١ م ، واستولوا على مركبين مملوئين بالأمّعة .

ثمّ انتقل عزّ الدين مع أبيه وأخويه إلى الموصل ، وهناك سمع من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي ، ومن في طبقة .

ويقول ابن خلكان : « إنّه قدم بغداد مراراً حاجاً ورسولاً من صاحب الموصل ، وسمع بها من الشيخين أبي القاسم يعيش بن صدقة الفقيه الشافعي ، وأبي أحمد عبد الوهّاب بن عليّ الصوفي وغيرهما ، ثمّ رحل إلى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة ، ثمّ عاد إلى الموصل » .

ولم يكن عزّ الدين عالماً في التاريخ يحفظ التواريخ المتقدمة والمتأخرة حسب ، وإنّما كان أيضاً إماماً في حفظ الحديث ومعرفة وما يتعلّق به ، خبيراً بأنساب العرب ، وأيامهم ، ووقائعهم ، وأخبارهم ؛ له منزلة رفيعة عند ذوي السلطان والنّاس ، اشتهر بفضائله وكرم أخلاقه وتواضعه .

قال ابن خلكان : « ولما وصلتُ إلى حلب في أواخر سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م كان (أي عزّ الدين) مقيماً بها في صورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم أتابك الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب . وكان الطواشي كثير الإقبال عليه ، حسن الاعتقاد فيه ، مكّماً له ، فاجتمعتُ

به فوجدته رجلاً مكملاً في الفضائل وكرم الأخلاق وكثرة التواضع، فلازمتُ
الترداد إليه ، وكان بينه وبين الوالد ، رحمه الله ، مؤانسة أكيدة ، فكان
بسببها يباليغ في الرعاية والإكرام ، ثمّ سافر إلى دمشق في أثناء سنة ٦٢٧ هـ
١٢٢٩ م . ثمّ عاد إلى حلب سنة ٦٢٨ هـ ١٢٣٠ م فجزيت معه على عادة
الترداد والملازمة ، وأقام قليلاً ، ثمّ توجه إلى الموصل .

ويدلنا كلام ابن خلكان هذا على أن عزّ الدين كان كثير التنقل بين
الموصل وبغداد ودمشق والقدس وحلب وأنه كان يتلقى في كلّ بلد نزله
العلم والحديث ، عن علمائه ، وقرائه ، وفقهائه ، ومحدثيه ونُحّاته ،
فحصلت له بذلك ثقافة شاملة في العلوم الإسلامية ، وفي التاريخ والنحو .
غير أنه في سنواته الأخيرة لزم بيته في الموصل ، على حدّ قول ابن خلكان ،
وانقطع إلى التوفّر على النظر في العلم والتصنيف ، وكان بيته مجمع الفضل
لأهل الموصل والواردين عليها .

فظلت هكذا حاله إلى أن توفاه الله في شعبان سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٢ م ،
وهو في الخامسة والسبعين ، فدُفن في الموصل ، ولا يزال قبره معروفاً .

مؤلفاته

لعزّ الدين ابن الأثير مؤلفات عديدة ، منها :
« كتاب اللباب في تهذيب الأنساب » وهو مختصر لكتاب الأنساب
للسمعاني ، على أنه نبّه على ما في هذا الكتاب من هفوات ، وزاد عليه أشياء
أهمها مؤلفه .

وكتاب « أسد الغابة في معرفة الصحابة » .
و « تاريخ الدولة الأتابكية » التي عاش في ظلّها .
و « الكامل في التاريخ » وهو ما نحصر كلامنا فيه .

الكامل في التاريخ

هو أشهر كتب عز الدين ابن الأثير ، وعليه تقوم شهرته ومترلته العلمية ، وهو كتابة عن تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ، بدأه منذ أول الزمان ، إلى آخر سنة ٦٢٨ هـ ١٢٣٠ م ، أي قبل وفاته بستين .
أما سبب وضعه هذا الكتاب ، فهو ما بيته في مقدمته بأنه لم يزل محباً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها ، فلما تأملها رآها متباينة في تحصيل الغرض ، فمن بين مطول قد استقصى الطرق والروايات ، ومختصر قد أخل بكثير مما هو آت ، ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحوادث ، وسود كثيراً من الأوراق بصغائر الأعراض ، والشرقي منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب ، والغربي قد أهمل أحوال الشرق ، فكان الطالب إذا أراد أن يطالع تاريخاً متصلاً إلى وقته يحتاج إلى مجلدات كثيرة وكتب متعددة ، مع ما فيها من الإخلال والإملا ، وهذا ما جعله يؤلف تاريخه الجامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ليكون تذكراً له يراجعها خوف النسيان ، وليأتي بالحوادث والكائنات من أول الزمان متتابعة يتلو بعضها بعضاً إلى وقت .

وهو لا يدعي أنه أتى على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ ، فإن من هو بالموصل لا بد أن يشذ عما هو بأقصى الشرق والغرب ، ولكنه جمع في كتابه هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد .

ورأى المؤرخين الذين تقدموه يأتون بالحادثة الواحدة فيذكرونها منها في كل شهر أشياء ، فتأتي متقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر ، فجمع الحادثة في موضع واحد ، وذكر كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت ، فأتت متناسقة متتابعة .

وبيّن ما في مطالعة التواريخ من فائدة ، فإن الإنسان يحبّ البقاء ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء ، فإذا قرأ أخبار الماضين فكأنه عاصرهم ، وإذا علمها فكأنه حاضرهم . ثم إن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي ، إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ، ونظروا ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الأحداث ، وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وفساد الأحوال استقبحوها وأعرضوا عنها واطرحوها .

والكامل في التاريخ كسائر التواريخ القديمة ، سردٌ للحوادث والأخبار بحسب تواريخها . ويعترف صاحبه بأنه نقل عن الطبري ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته فقال إنه أخذ عن التاريخ الكبير لأبي جعفر الطبري ، إذ هو الكتاب المعول عليه ؛ أخذ منه جميع تراجمه ، ولم يخلّ بواحدة منها ، على أنه لم يتبع خطى الطبري في التأليف ، فإن الطبري كان يذكر في أكثر الحوادث روايات عديدة ، فقصد ابن الأثير إلى أتمتها فنقله وأضاف إليه . وبدلنا قوله هذا على أنه لم ينقل الحوادث التاريخية على علاقتها ، وإنما كان يختار منها ما يراه موافقاً لمعقوله ويؤلفه تأليفاً جديداً بما يضيف إليه ؛ وهو إن لم يكن قد سار على أسلوب فلسفة التاريخ في نقده للحوادث وربطه بين الأسباب والمسببات ، وهو أسلوب لم يُعرف إلاّ مع ابن خلدون ، فإنه كان ينقد ما ينقله ، ولم يكن ينقل إلاّ كلّ ما رآه صواباً ، وكان يعرض عن نقل ما يراه غير موافق للعقل ، فعلمه بما رواه الطبري عن خلق الشمس والقمر وسيرهما ، قال :

« وروى أبو جعفر ، ههنا ، حديثاً طويلاً عدّة أوراق عن ابن عباس ، عن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، في خلق الشمس والقمر وسيرهما ، فإنّهما على عجلتين لكلّ عجلة ثلاث مئة وستون عروة يجرّها بعددها من الملائكة ، وإنّهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان في بحر بين السماء

والأرض ، فذلك كسوفهما . ثم إن الملائكة يخرجونها فذلك تجليتهما من الكسوف . . . إلى أشياء آخر لا حاجة إلى ذكرها ، فأعرضت عنها لمنافاتها العقول ، ولو صح إسنادها لذكرناها وقلنا به ، ولكن الحديث غير صحيح . ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف . كما أنه كان إذا مرت به حادثة لم يثبت منها نقدها ، شأنه في كلامه على الدولة الغورية سنة ٥٤٧ هـ ١١٥٢ م ، وذلك حيث يقول : « وبالجملة فابتداء هولة الغورية عندي فيه خُلفٌ ، لو ينكشف الحق أصلحه إن شاء الله » .

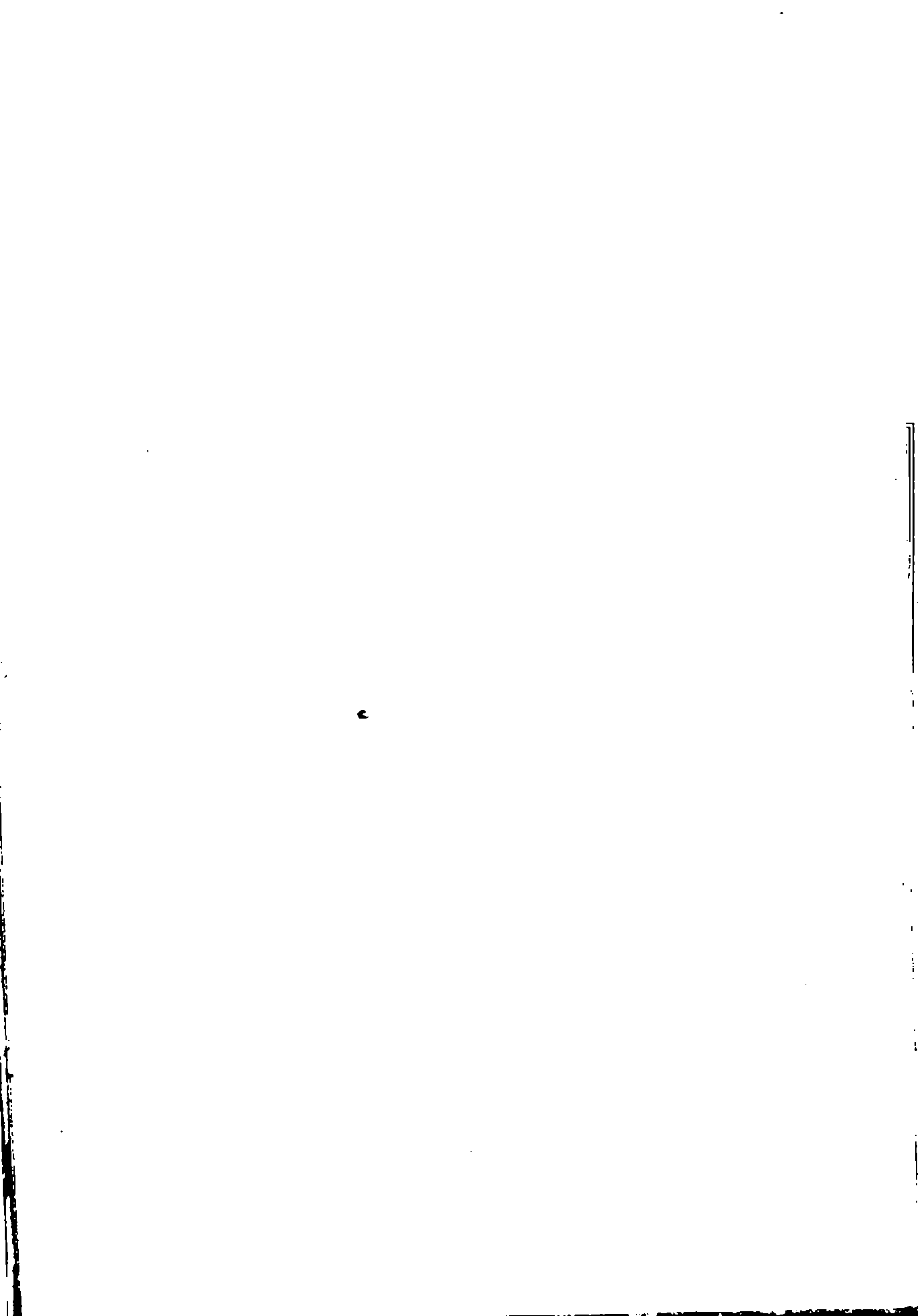
فمثل هذه النقدرات وإن تكن غير كثيرة ، إن هي إلا أوليات لفلسفة التاريخ ، وإن يكن في تعليقه لبعض الحوادث ضعف ، ونظريات لا يصوبها النقد التاريخي الحديث ، فهو في كلامه مثلاً على الدول العربية وغيرها ، وانتقال الملك من مؤسسه إلى غير من هو من صلبه يعلل لذلك بقوله : « والذي أظنه السبب في ذلك أن الذي يكون أول دولة يكبر ويأخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلقة به ، فهذا يحرمه الله أعقابه » .

فهذا التعليل غير قوي ، وإنما هو يرتكز على الظن لا على أساس متين . ومن خصائصه أنه كان يضبط في آخر كل سنة أو فصل الأسماء بالحركات ويقيدها لإزالة لكل لبس ، كما أنه كان إذا ذكر فتح بلد أو ناحية شرح اسم البلد ولم سمي به ، ومم اشتق هذا الاسم .

وإذا كان ابن الأثير قد اعتمد في الأجزاء السبعة الأولى من كتابه على أبي جعفر الطبري ، فذلك لم يمنعه من أن يستمد من مصادر أخرى كابن الكلبي والمبرد والبلاذري والمسعودي ما ترك الطبري عن قصد أو غير قصد وذلك مثل أيام العرب قبل الإسلام والوقائع بين قيس وتغلب في القرن الأول الهجري وغزو العرب السند وغيرها .

فابن الأثير مؤرخ يمتاز بشدة الثبوت فيما ينقل ، بل قد يسمو أحياناً

إلى نقد المصادر التي يستمد منها . وله استدراكات وجيهة على الطبري
والشهرستاني ، وغيرهما من العلماء والمؤرخين .
مثال ذلك نقده للشهرستاني : « ومن العجائب أن الشهرستاني مصنف
كتاب نهاية الاقدام في الأصول ومصنف كتاب الملل والنحل في ذكر
المذاهب والآراء القديمة والحديثة ، ذكر فيه أن نسطور كان أيام المأمون ،
وهذا تفرّد به ولا أعلم له في ذلك موافقاً » .
ومهما يكن من أمر فإن الكامل في التاريخ ، تاريخ جامع جليل الفائدة .
لا سيما فيما يتعلق بالحوادث التي مرت في عصر المؤرخ وعایشها . وهذا
ما جعله مورداً سائغاً يردّه من أنى بعد صاحبه من المؤرخين .



الحمد لله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم فلا أول لوجوده ، الدائم الكريم فلا آخر لبقائه ولا نهاية لوجوده ، الملك حقاً فلا تُدرك العقول حقيقة كنهه¹ ، القادر فكل ما في العالم من أثر قُدْرته ، المقدّس فلا تقرب الحوادث² حماه ، المنزه عن التغيير³ فلا ينجو منه سواه ، مُصَرِّف الخلائق بين رَفَعٍ و خَفَضٍ ، و بَسَطٍ و قَبَضٍ ، وإبرام و نقض ، وإماتة وإحياء ، وإيجاد وإفناء ، وإسعاد وإضلال ، وإعزاز وإذلال ، يؤتي الملك مَنْ يَشَاءُ ، وينزع مِمَّنْ يَشَاءُ ، ويُعزِّز مَنْ يَشَاءُ ، ويُنزِل مَنْ يَشَاءُ ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، مبيد القرون السالفة ، والأمم الخالفة ، لم يمنعهم منه ما اتخذوه معقلاً و حِرْزاً ﴿ هَلْ تُحِيسُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾¹ ، بتقديره النفع والضرر ، و ﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾² .

Codex Berol. = B. Cod. Musei Brit. Coll. Taylor. = A. Cod. Clariss. Scheferi = S.

1) A. ملكته . S. حقائق الملكة .

2) B. الخواطر .

3) S. التغير .

4) A. متصرف .

١ (سورة مريم ١٩ ، الآية ٩٨) .

٢ (سورة الأعراف ٧ ، الآية ٥٤) .

أحمدُهُ على ما أولى من نعمه، وأجزل للناس¹ من قسمه، وأصلتي على رسوله محمدٍ سيدِ العرب والعجم، المبعوث إلى جميع الأمم، وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى ومصابيح الظلم. صلتى الله عليه وعليهم وسلم.

أما بعد، فلإني لم أزل محباً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، مؤثراً للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيتها، مائلاً إلى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها، فلما تأملتُها رأيتها متباينةً في تحصيل الغرض، يكاد جوهرُ المعرفة بها يستحيلُ إلى العرّض؛ فمن بين مطوّلٍ قد استقصى الطرق والروايات، ومختصراً قد أخلّ بكثيرٍ مما هو آت، ومع ذلك فقد ترك كلُّهم العظيم من الحوادث، والمشهور من الكائنات. وسود كثيرٌ منهم الأوراق بصغائر الأمور التي الإعراضُ عنها أولى، وتركُ تسطيرها أخرى، كقولهم خلع فلان الذمي صاحب² العيار، وزاد رطلاً في الأسعار، وأكرم فلان، وأمين فلان، وقد أرخ كلُّ منهم إلى زمانه وجاء بعده من ذبّل عليه، وأضاف المتجدّات بعد³ تاريخه إليه. والشرقيّ منهم قد أخلّ بذكر أخبار الغرب⁴، والغربيّ قد أهمل أحوال الشرق، فكان الطالب إذا أراد أن يُطالع تاريخاً متصلاً إلى وقته يحتاج إلى مجلدات كثيرة وكتب متعدّدة⁵ مع ما فيها من الإخلال والإملا.

فلما رأيتُ الأمر كذلك شرعتُ في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، ليكون تذكراً لي أراجعه خوف النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان، متتابعةً يتلو بعضها بعضاً إلى وقتنا هذا.

ولا أقولُ إني أتيتُ على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ، فإن من هو

1) A. & B. ك. وأجزل له. S. 2) خلع على فلان الذي كان صاحب. S. 3) عديّة. C. P. 4) أحوال الغرب. B. 5) بعض. C. P.

بالموصل^١ لا بد أن يشذ عنه ما هو بأقصى^١ الشرق والغرب ، ولكن أقول إنني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد ، ومن تأمله علم صحة ذلك .

فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنّفه الإمام أبو جعفر الطبري إذ هو الكتاب الموعول عند الكافة عليه ، والمرجوع عند الاختلاف إليه ، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه ، لم أخل^٢ بترجمة واحدة منها ، وقد ذكر هو في أكثر الحوادث روايات ذوات عدد ، كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها ، وربما زاد الشيء السير أو نقصه^٣ ، فقصدت أتم الروايات فنقلتها وأضفت إليها من غيرها ما ليس فيها ، وأودعت كل شيء مكانه ، فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقاً واحداً على ما تراه .

فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفت منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه ، ووضعت كل شيء منها موضعه ، إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب^٤ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فإني لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً ، إلا ما فيه زيادة بيان ، أو اسم إنسان ، أو ما لا يُطعن^٥ على أحد منهم في نقله ، وإنما اعتمدت عليه من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن^٦ حقاً ، الجامع^٦ علماً وصحة اعتقاده^٦ وصدقاً .

على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة ، والكتب المشهورة ، ممن يُعلم بصدقهم فيما نقلوه ، وصحة ما دونوه ، ولم أكن كالحابط^٧ في ظلماء

-
- 1) S. ما يتجدد بأقصى . 2) A. et B. اخذ . 3) C. P. et S. بعضه .
4) S. من أصحاب . 5) A. et B. طعن . S. مطعن . 6) C. P. واعتقاداً .
7) C. P. et S. كالحاطب .

١ (بلد المؤلف) .

الليالي ، ولا كمن يجمع الحصباء واللالآي¹ .

ورأيتهم أيضاً يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ، ويذكرون منها في كل شهر أشياء ، فتأتي الحادثة² مقطّعة لا يُحصلُ منها على غرض ، ولا تُفهم إلا بعد إمعان النظر . فجمعتُ أنا الحادثة في موضع واحد وذكرتُ كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت ، فأتت متناسقة متتابعة ، قد أخذ بعضها برقاب بعض . وذكرتُ في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمةً تخصّها . فأما الحوادثُ الصغار التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة فإنني أفردتُ لجميعها ترجمةً واحدةً في آخر كل سنة³ ، فأقول : ذكر عدة حوادث . وإذا ذكرتُ بعض من نبغ⁴ ومملك قطراً من البلاد ولم تطل أيامه فإني أذكر جميع حاله من أوّله إلى آخره ، عند ابتداء أمره ، لأنه إذا تفرق خبره لم يُعرف للجهل به .

وذكرتُ في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهوري العلماء والأعيان والفضلاء . وضبطت الأسماء المشتبهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطاً يزيل الإشكال ، ويغني عن الألقاب⁴ والأشكال⁵ . فلما جمعتُ أكثره عرضتُ عنه مدّةً طويلة لحوادث تجددت ، وقواطع توالى وتعدّدت ، ولأن معرفتي بهذا النوع كملت وتمت .

ثم إن نقرأ من إخواني ، وذوي المعارف والفضائل من خلّاتي ، ممن أرى محادثتهم نهاية أوطاري ، وأعدّهم من أمائل مُجالسي⁶ وسُمّاري ، رغبوا

1) S. يجمع من بين الحصباء واللالآي . 2) S. الحادثة الواحدة . 3) C. P. add. كبيرة .
4) C. P. الايقاظ . 5) A. & B. 6) B. جلسائي .

إليّ في أن يسمعه مني ، ليرووه عني¹ ، فاعتذرتُ بالإعراض عنه وعدم الفراغ منه ، فإنّني لم أعاود مطالعة مسودته ولم أصلح ما أصلح² فيها من غلط وسهو ، ولا أسقطتُ منها ما يحتاج إلى إسقاط ومحو . وطالت المراجعةُ مدّةً وهم للطلب ملازمون ، وعن الإعراض مُعرضون ، وشرعوا في سماعه قبل إتمامه وإصلاحه ، وإثبات ما تمسّ الحاجة إليه وحذف ما لا بدّ من أطراحه ، والعزمُ على إتمامه فاتراً ، والعجز ظاهرًا ، للاشتغال بما لا بدّ منه ، لعدم المُعين والمُظاهر ، ولهموم توالى ، ونوائبٍ تتابعت ، فأنا ملازمُ الإهمال والتواني ، فلا أقول : إني لأسير إليه سير الشواني³ .

فبينما الأمر كذلك إذ برز أمرٌ منّ طاعته فرضٌ واجب ، واتّباع أمره حكمٌ لازب ، منّ أعلقُ الفضل بإقباله عليها⁴ نافقة ، وأرواح الجهل بإعراضه عنها نافقة⁴ ، منّ أحيى المكارم وكانت أمواتاً ، وأعادها خَلْقاً جديداً بعد أن كانت رُفَاتاً ؛ منّ عمّ رعيته عدلُهُ ونوالهُ ، وشملهم إحسانهُ وإفضالهُ ؛ مولانا مالك الملك الرحيم ، العالم المؤيّد ، المنصور ، المظفر بدر الدين ، ركن الإسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، خلد الله دولته .

فحينئذ أقيت عني جلباب المهل ، وأبطلت⁵ رداء الكسل ، وألقتُ الدواة

1) سير إليه سير الشواني S. 3) . لينقلوه عني S. 1) .
2) Om. B. et S. .
3) أمطت . C. P. et S. 5) .
4) نافقة B. 4) .

١ والعزم على إتمامه فانزوا لعجز ظاهر .

٢ التواني . (الشواني ، جمع شونة : المركب المد للجهاد في البحر) .

٣ عليه .

٤ (هو بدرالدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي ، الملقب بالملك الرحيم ، صاحب الموصل .

توفي سنة ٦٥٧ هـ - ١٢٥٩ م . - الأعلام ٦ : ١١١) .

وأصلحتُ القلم ، وقلت : هذا أوانُ الشدِّ فاشتدي زيم ، وجعلت الفراغ أهم مطلب ، وإذا أراد الله أمراً هيباً له السبب ، وشرعتُ في إتمامه مسابغاً ، ومن العجب أن السكيتَ يرومُ أن يجيء سابقاً ، ونصبتُ نفسي غرضاً^١ للسهام ، وجعلتها مظنةً لأقوال اللوام ، لأن المآخذ إذا كانت تنطرق إلى التصنيف المهدَّب ، والاستدراكات تتعلق بالمجموع المرتَّب ، الذي تكررت مطالعته وتنقيحه ، وأجيد تأليفه وتصحيحه ، فهي بغيره أولى ، وبه أخرى ، على أنني مُقرّة بالتقصير ، فلا أقول إن الغلط سهوٌ جرى به القلم ، بل أعترف بأن ما أجهل أكثر مما أعلم .

وقد سمّيته اسماً يُناسبُ معناه ، وهو : الكامل في التاريخ .

ولقد رأيتُ جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ، ويظنّ بنفسه التبخر في العلم والرواية ، يحتقر التواريخ ويزدرجها ، ويُعرضُ عنها ويلغنها ، ظناً منه أن غاية^١ فائدتها إنما هو القصصُ والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسرار ، وهذه حالُ من اقتصرَ على القشر دون اللب نظوه ، وأصبح مخشلباً^٢ جوهره ، ومن رزقه الله طبعاً سليماً ، وهداه صراطاً مستقيماً ، علم أن فوائدها كثيرة ، ومنافعها الدنيوية والأخروية جمّة غزيرة ، وما نحن نذكر شيئاً مما ظهر لنا فيها ، ونكلُ إلى قريحة الناظر فيه معرفة باقيا .

فأما فوائدها الدنيوية فمنها : أن الإنسان لا يخفى^٢ أنه يحبّ البقاء ، ويؤثرُ أن يكون في زمرة الأحياء ، فيا ليت شعري ! أي فرق بين ما رآه أمس أو

.....
 1) غايه (1) . لا خفاء به A. B. et S. (2) . انه غايه (1) .

١ عرضاً .

٢ (المخشلب : خرز يتخذ منه حل ، واحده مخشلبة - المخصص لابن سيده) .

سمعه ، وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين ؟
فإذا طالعها فكأنه عاصرهم ، وإذا علمها فكأنه حاضرهم .

ومنها: أن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة
أهل الجور والعدوان ورأوا مداونة¹ في الكتب يتناقلها الناس ، فيرونها خلف
عن سلف ، ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر ، وقبيح الأحداث ، وخراب
البلاد ، وهلاك العباد ، وذهاب الأموال . وفساد الأحوال ، استقبحوها ،
وأعرضوا عنها واطرحوها . وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها ، وما
يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم ، وأن بلادهم وممالكهم عمرت ،
وأموالها درت ، استحسنا ذلك ورغبوا فيه ، وثابروا عليه وتركوا ما ينأفاه .
هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة² التي دفعوا بها مضرات الأعداء .
وخلصوا بها من المهالك ، واستصانوا³ نفائس المدن وعظيم الممالك . ولو لم يكن
فيها غير هذا لكفى به فخراً .

ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه
عواقبها ، فإنه لا يحدث أمر إلا قد تقدم هو أو نظيره ، فيزداد بذلك عقلاً ،
ويُصبح لأن يُقندي به أهلاً . ولقد أحسن القائل حيث يقول شعراً:

رأيتُ العقلَ عقليْنِ فمطبوعٌ⁴ ومسموعٌ
فلا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعٌ
. كما لا تنفعُ الشمسُ وضوءُ العينِ ممنوعٌ⁵

يعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان ، وبالمسموع

1) S. وخراب الديار .

2) S. الآراء الصائبة . 3) C. P. et S. واستضافوا .

4) S. العقل عقلاً مطبوع

5) Om. C. P. et S.

ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة ، وجعله عقلاً ثانياً توسعاً وتعظيماً له ،
وإلاّ فهو زيادة في عقله الأوّل .

ومنها ما يتجملُ به الإنسانُ في المجالس والمحافل من ذكر شيء من
معارفها ، ونقل طريقة من طرائفها^١ ، فترى الأسماع مصغيةً إليه ، والوجوه
مقبلةً عليه ، والقلوب متأملةً ما يورده ويصدره ، مستحسنةً ما يذكره .

وأما الفوائد الأخروية فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها ، ورأى تقلب
الدنيا بأهلها ، وتتابع نكباتها إلى أعيان قاطنيتها ، وأنها سلبت نفوسهم
وذخائرهم ، وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم ، فلم تُبقي على جليل ولا حقير ،
ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير ، زهد فيها وأعرض عنها ، وأقبل على التروّد
للآخرة منها ، ورغب في دار تنزّهت عن هذه الخصاص ، وسلم أهلها من
هذه النقائص ، ولعلّ قائلاً يقول : ما نرى ناظراً فيها زهد في الدنيا ، وأقبل على
الآخرة ورغب في درجاتها العليا ، فيا ليت شعري ! كم رأى هذا القائل قارئاً^١
للقرآن العزيز ، وهو سيّد المواعظ وأفصح الكلام ، يطلب به اليسير من هذا
الحطام ؟ فإنّ القلوب مولعة بحبّ العاجل .

ومنها التخلّق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الأخلاق . فإن العاقل إذا رأى
أن مصاب^٢ الدنيا لم يسلم منه نبي مكرّم ، ولا ملك معظم ، بل ولا أحد من
البشر ، علم أنه يصيبه ما أصابهم ، وينوبه ما نأبهم . شعراً :

وهل أنا إلاّ من غزيرة إن غوت غويت وإن ترشّد غزيرة أرشّد

١) من قاري S .

٢) C. P. et S. شر .

١ ونقل طريقة من طرائفها .

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ﴿ إن في ذلك لذكرى
لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾^١ . فإن ظن هذا
القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسك من أقوال
الزيف^١ بمحكم سببها حيث قالوا : هذه أساطير الأولين اكتتبها .
نسأل الله تعالى أن يرزقنا قلباً عقولاً ولساناً صادقاً ، ويوفقنا للسداد في القول
والعمل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

.....
أقوال أهل الزيف . S. 1)

ذكر الوقت الذي ابتدئ فيه

بعمل التاريخ في الإسلام

قيل : لما قدم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المدينة أمر بعمل التاريخ .
والصحيح المشهور أن عمر بن الخطاب أمر بوضع التاريخ .
وسبب ذلك أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر : إنه ¹ يأتينا منك كتبٌ
ليس لها تاريخ . فجمع عمر الناس للمشورة ، فقال بعضهم : أرخ لمبعث النبي ،
صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : لمهاجرة رسول الله ، صلى الله عليه
وسلم . فقال عمر : بل نؤرخ لمهاجرة رسول الله ، فإن مهاجرته فرق بين
الحق والباطل ؛ قاله الشعبي .

وقال ميمون بن مهران : رُفِعَ إلى عمر صكٌّ محلُّه شعبان فقال : أي
شعبان ؟ أشعبان الذي هو آتٍ ¹ أم شعبان الذي نحن فيه ؟ ثم قال لأصحاب رسول
الله ، صلى الله عليه وسلم : ضعوا للناس شيئاً يعرفونه . فقال بعضهم : اكتبوا
على تاريخ الروم فإنهم يؤرخون من عهد ذي القرنين . فقال : هذا يطول .
فقال ² : اكتبوا على تاريخ الفرس . فقيل : إن الفرس كلما قام ² ملك طرح تاريخ
من كان قبله . فاجتمع ³ رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة ،
فوجدوه عشر سنين ، فكتبوا ⁴ التاريخ من هجرة رسول الله ، صلى الله

1) S. عمر عنه انه .

2) B. et S. add. بعضهم .

3) S. فاجمع .

4) A. et S. فكتب .

١. أشعبان هو آتٍ .

٢. أقام .

عليه وسلم .

وقال محمد بن سيرين : قام رجل إلى عمر فقال : أرّخوا . فقال عمر : ما أرّخوا ؟ فقال : شيء فعله الأعاجم في شهر كذا من سنة كذا . فقال عمر : حسن ، فأرّخوا . فاتفقوا على الهجرة ثمّ قالوا : من أي الشهور ؟ فقالوا : من رمضان¹ ، ثمّ قالوا : فالمحرم هو منصرف الناس من حجّتهم وهو شهر حرام . فأجمعوا عليه .

وقال سعيد بن المسيب : جمع عمرُ الناس فقال : من أيّ يوم نكتب التاريخ ؟ فقال عليّ : من مهاجرة² رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وفراقه أرض الشرك . ففعله عمر .

وقال عمرو بن دينار : أول من أرّخ يعلى بن أمية وهو باليمن .

وأما قبل الإسلام فقد كان¹ بنو إبراهيم يؤرّخون من نار إبراهيم إلى بُنيان البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل ، عليهما السلام ، ثمّ أرّخ بنو إسماعيل من بنيان البيت حتى تفرّقوا ، فكان كلما خرج قومٌ من تهامة أرّخوا بمخرجهم ، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرّخون من خروج سعد ونهّد وجّهينة بني زيد³ من تهامة حتى مات كعب بن لؤي وأرّخوا من موته إلى الفيل ، ثمّ كان التاريخ من الفيل حتى أرّخ عمر بن الخطاب من الهجرة ، وذلك سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة .

وقد كان كلّ طائفة من العرب تؤرّخ بالحدّاث المشهورة⁴ فيها ، ولم يكن

1) بن زيد . S. 3) . فقالوا على مهاجر . B. 2) . فقالوا : أرّخان . S. 1) . بالحدّاث المشهورة . S. 4)

1) فقد كانوا .

لم تاريخ يجمعهم ، فمن ذلك¹ قول بعضهم :

ها أنا ذا أمل الخلود وقد أدرك عقلي مولدي¹ حجراً

وقال الجعدي :

فمن بك سائلاً عني فإني من الشبان أيام الحتان²

وقال آخر :

وما هي إلا في إزار وعلقة بغار ابن همام³ على حي خنعا

وكل واحد أرخ⁴ بحادث مشهور عندهم ، فلو كان لهم تاريخ⁵ يجمعهم لم
يختلفوا في التاريخ . والله أعلم .

1) S. . ما ندا أمني . . . ومولني S. 1) .
2) الحتان C. P. 2) .
3) معار ابن همام S. 3) .
4) واحد يؤرخ S. 4) .
5) التاريخ A. et C. P. 5) .

القول في الزمان

الزمانُ عبارة عن ساعات الليل والنهار ، وقد يقال ذلك للطويل والقصير
منهما . والعرب تقول : أتيتك زمان الصَّرام ؛ . و زمان الصَّرام¹ يعنى به وقت
الصَّرام . وكذلك : أتيتك أزمان الحجاج أمير . ويجمعون الزمان يريدون بذلك
أن كل وقت من أوقات إمارته زمن من الأزمنة² .

القول في جميع الزمان من أوله إلى آخره

اختلف الناس في ذلك فقال ابن عباس من رواية سعيد بن جبير عنه : سبعة
آلاف سنة .

وقال³ وهب بن منبّه : ستة آلاف سنة . قال أبو جعفر : والصحيح من
ذلك ما دلّ على صحته الخبر الذي رواه ابن عمر عن النبي ، صلى الله عليه
وسلم ، أنه قال : أجلكم في أجل من قبلكم ، من صلاة العصر إلى
مغرب الشمس .

وروى نحو هذا المعنى أنس وأبو سعيد إلا أنّهما قالاً إنه قال : إلى غروب الشمس ،
وبدل صلاة العصر : بعد العصر⁴ . وروى أبو هريرة عن النبي ، صلى الله عليه

1) Om. A. et B.

2) من أوقات أزمانه زمن من S.

3) Om. C. P.; B. et S. add. كعب و .

١ قالاً : إنه عند غروب الشمس ، بدل العصر بعد العصر .

وسلم ، أنه قال : بُعثت أنا والساعة كهاتين ، وأشار بالسبابة¹ والوسطى .
وروى نحوه جابر بن سَمُرَةَ² ، وأنس ، وسهل بن سعد ، وبريدة ،
والمستورد بن شدّاد ، وأشياخ من الأنصار كلهم عن النبي ، صلى الله عليه
وآله وسلم .

وهذه أخبار صحيحة .

قال : وقد زعم اليهود أن جميع ما ثبت عندهم على ما في التوراة من لدن
خلق آدم إلى الهجرة أربعة آلاف سنة وست مئة¹ واثنان وأربعون سنة .

وقالت اليونانية من النصارى : إن من خلق آدم إلى الهجرة خمسة آلاف سنة
وتسع مئة واثنين وتسعين سنة وشهراً³ .

وزعم قائل أن اليهود إنما نقصوا⁴ من السنين دفعا منهم لنبوّة عيسى ،
إذ كانت صفته ومبعثه في التوراة ، وقالوا : لم يأت الوقت الذي في التوراة
أنّ عيسى يكون فيه ، فهم ينتظرون بزعمهم خروجه ووقته .

قال : وأحسب أنّ الذي ينتظرونه ويدعون أنّ صفته في التوراة
مبته هو الدجال² .

وقالت المجوس : إن قدر مدة الزمان من لدن ملك جيُومرث إلى وقت
الهجرة ثلاثة آلاف ومائة وتسع وثلاثون سنة ، وهم لا يذكرون مع ذلك شيئا

.....
1) وأشهر S. 3) . جابر بن سلمة S. 2) . وأشار إلى السبابة S. 1) .
وزعم قائل هذا أن اليهود دائما نقصوا S. 4) .

1 أربعة آلاف سنة وثلاثمائة .

2 ويدعون صفته في التوراة هو الدجال .

يُعرف فوق جِيُومَرْتْ ويزعمون أنه هو آدم .

وأهل الأخبار مختلفون فيه ، فمن قائل مثل قول¹ المجوس ، ومن قائل :
إنه يسمّى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة وإنه حام بن يافث بن نوح . وكان
باراً بنوح ، فدعا له ولذريته بطول العمر ، والتمكين في البلاد ، واتصال الملك ،
فاستُجيبَ له . فملك جِيُومَرْتْ وولده الفرس . ولم يزل الملك فيهم إلى أن
دخل المسلمون المدائن وغلبوهم على ملكهم . ومن قائل غير ذلك ؛ كذا قال أبو جعفر .

قلت : ثمّ ذكر أبو جعفر بعد هذا فصلاً تتضمن الدلالة على حدوث
الأزمان والأوقات ، وهل خلق الله قبل خلق الزمان شيئاً أم لا ؟ وعلى فناء العالم
وأن لا يبقى إلاّ الله تعالى ، وأنه أحدث كلّ شيء ، واستدلّ على ذلك بأشياء
يطول ذكرها ولا يليق ذلك بالتواريخ لا سيما المختصرات منه ، فإنه بعلم الأصول
أولى . وقد فرغ المتكلمون منه في كتبهم فرأينا تركه أولى .

د (بُرَيْدَة : بضم الباء الموحدة وسكون الياء تحتهما نقطتان وآخره هاء²) .

1) A. et B. بقول .

2) Om. B. et A.

للقول في ابتداء الخلق وما كان أوله

صحّ في^١ الخبر عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه عنه عبادة بن الصامت أنه سمعه يقول : إنّ أولَ ما خلق الله تعالى القلم ، وقال له : اكتب . فجرى في تلك الساعة بما هو كائن . وروي نحو ذلك عن ابن عباس .

وقال محمد بن إسحاق : أول ما خلق الله تعالى النور والظلمة ، فجعل الظلمة ليلاً أسود ، وجعل النور نهاراً أبيض مضيئاً . والأول أصحّ للحديث ، وابن إسحاق لم يسند قوله إلى أحد .

واعترض أبو جعفر على نفسه بما روى سفيان عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً ، فكان أول ما خلق الله القلم ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ وأجاب بأن هذا الحديث إن كان صحيحاً فقد رواه شعبة أيضاً عن أبي هاشم ولم يقل فيه : إن الله كان على عرشه ، بل روى أنه قال : أول ما خلق الله القلم .

القول فيما خلق بعد القلم

ثمّ إنّ الله خلق ، بعد القلم وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، سحاباً رقيقاً ، وهو الغمام الذي قال فيه النبي ، صلى الله عليه وسلم ،

1) Om. C. P. et S.

١ عرشه ، روى .

وقد سأله أبو رزين العقيلي : أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق ؟ فقال : في غمام ما تحته هواء وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء . وهو الغمام الذي ذكره الله في قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾^١ . قلت : هذا فيه نظراً ، لأنه قد تقدم أن أول ما خلق الله تعالى القلم وقال له : اكتب . فجرى في تلك الساعة . ثم ذكر في أول هذا الفصل أن الله خلق بعد القلم وبعد أن جرى بما هو كائن سبحانه ، ومن المعلوم أن الكتابة لا بدّ فيها من آلة يكتبُ بها ، وهو القلم ، ومن شيء يكتبُ فيه . وهو الذي يُعبّر عنه ههنا باللوح المحفوظ . وكان ينبغي أن يذكر اللوح المحفوظ ثانياً للقلم ، والله أعلم .

ويحتمل أن يكون ترك ذكره لأنه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة . ثم اختلف العلماء فيمن خلق الله بعد الغمام . فروى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس : أول ما خلق الله العرش . فاستوى عليه . وقال آخرون : خلق الله الماء قبل العرش ، وخلق العرش فوضعه على الماء ؛ وهو قول أبي صالح عن ابن عباس ، وقول ابن مسعود ، ووهب بن منبّه .

وقد قيل : إن الذي خلق الله تعالى بعد القلم الكرسي ، ثم العرش ، ثم الهواء ، ثم الظلمات ، ثم الماء فوضع العرش عليه .

قال : وقول من قال : إن الماء خلق قبل العرش ، أولى بالصواب لحديث أبي رزين عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقد قيل : إن الماء كان على متن الريح حين خلق العرش ؛ قاله سعيد بن جبير عن ابن عباس ، فإن كان كذلك

1) Cor. 2, vs. 210.

١ قلت : فيه نظر .

٢ فروى الضحاك عن ابن مزاحم .

فقد خلُقا قبل العرش .

وقال غيره : إن¹ الله خلق القلم قبل أن يخلق شيئاً بألف عام .

واختلفوا أيضاً في اليوم الذي ابتداء الله تعالى فيه خلق السموات والأرض ، فقال¹ عبد الله بن سلام ، وكعب ، والضحاك ، ومُجاهد : ابتداء الخلق يوم الأحد .

وقال محمد بن إسحاق : ابتداء الخلق يوم السبت . وكذلك قال أبو هريرة .

واختلفوا أيضاً فيما خلقت كل يوم ، فقال عبد الله بن سلام : إن الله تعالى بدأ الخلق² يوم الأحد ، فخلق الأرضين يوم الأحد والاثنين ، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء ، وخلق السموات يوم الخميس والجمعة ، ففرغ آخر ساعة من الجمعة فخلق فيها آدم ، عليه السلام ، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة .

ومثله قال ابن مسعود وابن عباس من رواية أبي صالح عنه ، إلاّ أنّهما لم يذكرَا خلق آدم ولا الساعة .

وقال ابن عباس من رواية عليّ بن أبي طلحة عنه : إنّ الله تعالى خلق الأرض بأقواتها من غير أن يلدحوها ، ثمّ استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات ، ثمّ دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله تعالى ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾³ وهذا القول عندي هو الصواب .

وقال ابن عباس أيضاً من رواية عكرمة عنه : إنّ الله تعالى وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام ، ثمّ دُحيت الأرض من

1) S. وقال ضرة : إن S.

2) C. P. add. قبل .

3) Cor. 79, vs. 30.

تحت البيت . ومثله قال ابن عمر^١ .

وروى السُّدِّيُّ^٢ عن أبي صالح، وعن أبي مالك عن ابن عباس ، وعن مُرَّة
الهمداني وعن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَاءَ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾^١ ، قال :
إن^٢ الله عز وجل كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء .
فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دُخَاناً ، فارتفع فوق الماء ، فسمّا
عليه ، فسمّاه سماءً ، ثمّ أبيض الماء فجعله أرضاً واحدةً ، ثمّ فتّقها فجعلها^٤
سبع أرضين في يومين : يوم الأحد ويوم الاثنين . فخلق الأرض على حوت ،
والحوت النون الذي ذكره الله تعالى في القرآن في قوله : ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾^٣ .
والحوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك
على صخرة ، والصخرة في^٤ الريح ، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست
في السماء ولا في الأرض ، فتحرك الحوت ، فاضطربت وتزلزلت الأرض ،
فأرسي عليها الجبال فقوّرت . والجبال تفخر على الأرض : فذلك قوله تعالى :
﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ . قال ابن عباس
والضحّاك ومجاهد وكعب وغيرهم : كل يوم من هذه الأيام الستة التي خلق الله

1) Cor. 2, vs. 23

2) قال ابن مسعود .

3) Cor. 68, vs. 1.

4) على B .

١ ابن عمرو .

٢ وروى السري .

٣ شيئاً غير ما خلق .

٤ فجعل .

٥ وجعلنا فيها رواسي أن تميد بكم . (سورة الأنبياء ٢١ ، الآية ٣١)

فيها السماء والأرض كألف سنة .

قلتُ : أمّا ما ورد في هذه الأخبار من أن الله تعالى خلق الأرض في يوم كذا والسماء في يوم كذا ، فإنّما هو مجاز . وإلاّ فلم يكن ذلك الوقت أيام وليال ، لأن الأيّام عبارة عمّا بين طلوع الشمس وغروبها ، والليالي عبارة عمّا بين غروبها وطلوعها ، ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس . وإنّما المراد به أنّه خلق كلّ شيء بمقدار يوم ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾¹ وليس في الجنة بكرة وعشيّ .
(سلام : والدُ عبد الله ، بتخفيف اللام) .

القول في الليل والنهار أيّهما خلق قبل صاحبه

قد ذكرنا ما خلق الله تعالى من الأشياء قبل خلق الأوقات ، وأن الأزمنة¹ والأوقات إنّما هي² ساعات الليل والنهار ، وأن ذلك إنّما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك .

فلنذكر الآن بأيّ ذلك كان الابتداء ، أبالليل أم بالنهار ؟ فإن العلماء اختلفوا في ذلك ، فإن بعضهم يقول : إنّ الليلَ خلق قبل النهار ؛ ويستدلّ على ذلك بأن النهار من نور الشمس فإذا غابت الشمس جاء الليل فبان بذلك أن النهار ، وهو النور ، وارد على الظلمة التي هي الليل . وإذا لم يرد نور الشمس كان الليل ثابتاً ، فدلّ ذلك على أنّ الليل هو الأوّل ؛ وهذا قول ابن عباس .

1) Cor. 19, vs. 62.

2) وبيان الأزمنة والأوقات إنّما هو S. 2)

وقال آخرون : كان النهار قبل الليل . واستدلوا بأن الله تعالى كان ولا شيء معه ، ولا ليل ولا نهار ، وأن نوره كان يضيء به كل شيء خلقه حتى خلق الليل . قال ابن مسعود : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار . نور السموات من نور وجهه .

قال أبو جعفر : والأول أولى بالصواب للعلة المذكورة أولاً . ولقوله تعالى : ﴿ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾² فبدأ بالليل قبل النهار .

قال : عبيد بن عمير الحارثي³ : كنت عند علي فسأله ابن الكواء عن السواد الذي في القمر فقال : ذلك آية مجت⁴ ، وقال ابن عباس مثله ، وكذلك قال مجاهد وقتادة وغيرهما ، لذلك خلقهما الله تعالى الشمس أنور من القمر .

قلت : وروى أبو جعفر ههنا حديثاً طويلاً عدة أوراق عن ابن عباس عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في خلق الشمس والقمر وسيرهما . فإنهما على عجلتين ، لكل عجلة ثلاث مئة وستون عروة ، يجرها بعددها من الملائكة ، وإنهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان في بحر بين السماء والأرض ، فذلك كسوفهما ، ثم إن الملائكة يخرجونهما فذلك تجليتهما من الكسوف . وذكر الكواكب وسيرها ، وطلوع الشمس من مغربها . ثم ذكر مدينة بالمغرب تسمى جابرس¹ وأخرى بالمشرق تسمى جابلق² ولكل واحدة منهما عشرة

1) usque ad في قوله تعالى إلى : verba repetunt تعالى et post بايات C. P. 1) quae in medio capite proxime praecedenti exstant. وقال آخرون ان الله تعالى

2) Cor. 79 , vs. 27 - 29.

3) A. et B. عمير بن الحارثي S.

4) A. et B. مجت S. مجيب .

١ جابرسا .

٢ جابرقا .

آلاف باب بحرس كل^١ باب منها عشرة آلاف رجل ، لا تعود الحراسة إليهم إلى يوم القيامة .

وذكر بأجوج ومأجوج . ومنسك وثاريس^١ ، إلى أشياء أخر لا حاجة إلى ذكرها ، فأعرضتُ عنها لمنافاتها العقول . ولو صحَّ إسنادها لذكرناها وقلنا به ، ولكن الحديث غير صحيح ، ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف .

وإذ كنا قد بينا مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله ، عزَّ وجل ، في إنشاء ما أراد إنشاءه من خلقه إلى حين فراغه من إنشاء جميعه من سني الدنيا ومدة أزمانها ، وكان الغرض في كتابنا هذا ذكر ما قد بينا أننا ذاكرناه من تاريخ الملوك الجبابرة ، والعاصية ربها والمطبعة ربها ، وأزمان الرسل والأنبياء ، وكنا قد أتينا على ذكر ما نصحَّ به التأريخات وتُعرف به الأوقات وهو الشمس والقمر ، فلندكر^١ الآن أول من أعطاه الله تعالى ملكاً وأنعم عليه فكفر نعمته وجحدَ ربوبيته واستكبر ، فسلبه الله نعمته وأخزاه وأذله ، ثمَّ نتبعه ذكر من استنَّ سنته واقتفى أثره وأحلَّ الله به نعمته^٢ ، ونذكر من كان بإزائه أو بعده من الملوك المطبعة ربها المحمودة آثارها ومن الرسل والأنبياء ، إن شاء الله تعالى .

1) A. et B. وناريس . S. مسك وثاريس .

2) A. et B. اجزاه . S. et C. P. افقه به فقته وأخزاه .

قصة إبليس ، لعنه الله ، وابتداء أمره

وإطفائه آدم ، عليه السلام

فأولهم وإمامهم ورئيسهم¹ إبليس . وكان الله تعالى قد حسن خلقه وشرفه وملكه على سماء الدنيا والأرض فيما ذكر ، وجعله مع ذلك خازناً من خزان الجنة ، فاستكبر على ربه . وادّعى الربوبية ، ودعا من كان تحت يده إلى عبادته² ، فمسخه الله تعالى شيطاناً رجيماً ، وشوه خلقه ، وسلبه ما كان نحو له ، ولعنه وطرّده عن سمواته في العاجل ، ثمّ جعل مسكنه ومسكن أتباعه في الآخرة نار جهنم ، نعوذ بالله تعالى . من نار جهنم ونعوذ بالله تعالى من غضبه ومن الحور بعد الكور³ .

ونبدأ بذكر الأخبار عن السلف بما كان الله أعطاه من الكرامة وبادعائه⁴ ما لم يكن له ، ونتبع ذلك بذكر أحداث في سلطانه وملكه إلى حين زوال ذلك عنه والسبب . الذي به زال عنه⁴ ، إن شاء الله تعالى⁵ .

1) C. P. وقايدهم .

2) A. طامته .

3) C. P. من سنخه .

4) B. add. مختصراً .

5) Om. A.

١ (الحور : الهلاك والنقص ، والكور : الزيادة ، ومنه الحديث : « نعوذ بالله

من الحور بعد الكور ») .

٢ من الكرامة بادعائه .

ذكر الأخبار بما كان لإبليس ، لعنه الله ،

من الملك وذكر الأحداث في ملكه

روي عز، ابن عباس وابن مسعود أن إبليس كان له ملك سماه الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن . وإنما سُموا الجن لأنهم خزّان الجنة . وكان إبليس مع ملكه خازناً ، قال ابن عباس : ثم إنه عصى الله تعالى فمسخه شيطاناً رجيماً .

وروي عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ﴾¹ إنما كانت هذه الآية في إبليس خاصة لما قال ما قال لعنه الله تعالى وجعله شيطاناً رجيماً ، وقال : ﴿ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾¹ وروي عن ابن جريج¹ مثله .

وأما الأحداث التي كانت في ملكه وسلطانه فمنها ما روي عن الضحاك عن ابن عباس قال : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يُقال لهم الجن ، خلُقوا من نار السموم من بين الملائكة ، وكان خازناً من خزّان الجنة ، قال : وخلقت الملائكة من نور ، وخلقت الجن الذين ذُكروا في القرآن من مارج من نار ، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت . وخلق الإنسان من طين ، فأول من سكن في الأرض الجن ، فاقتلوا فيها وسفكوا الدماء ، وقتل بعضهم بعضاً ، قال : فبعث الله تعالى إليهم إبليس في جند من الملائكة ، وهم هذا الحي الذين يقال لهم الجن ، فقاتلهم² إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال . فلما فعل ذلك اغتر في نفسه وقال : قد صنعت ما لم

1) Cor. 21 , vs. 29.

2) Codd. فقتلهم .

يصنعه أحد. فاطلعَ الله تعالى على ذلك من قلبه ، ولم يطلع عليه أحد¹ من الملائكة الذين معه .

وروي عن أنس نحوه .

وروي أبو صالح عن ابن عباس ومُرّة الهمداني عن ابن مسعود² أنهما قالا : لما فرغ الله تعالى من خلق ما أحبّ استوى على العرش ، فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا ، وكان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سُمّوا الجن لأنهم من خزنة الجنة . وكان إبليس مع ملكه خازناً فوق في نفسه كبر وقال : ما أعطاني الله تعالى هذا الأمر إلا لمزية لي على الملائكة . فاطلع الله على ذلك منه فقال : إنني جاعل في الأرض خليفة . قال ابن عباس : وكان اسمه عزازيل وكان من أشدّ الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً ، فدعاه ذلك إلى الكبر . وهذا قول ثالث في سبب كبره .

وروي عِكْرِمَةُ عن ابن عباس أن الله تعالى خلق خلقاً ، فقال : اسجدوا لآدم . فقالوا : لا نفعل . فبعث عليهم ناراً فأحرقتهم¹ ؛ ثمّ خلق خلقاً آخر ، فقال : إنني خالق بشرأ من طين ، فاسجدوا لآدم . فأبوا ، فبعث الله تعالى عليهم ناراً فأحرقتهم ، ثمّ خلق هؤلاء الملائكة فقال : اسجدوا لآدم . قالوا : نعم . وكان إبليس من أولئك الذين لم يسجدوا .

وقال شهْرُ بن حَوْشَب : إن إبليس كان من الجن الذين سكنوا الأرض وطردهم الملائكة ، وأسرّه بعض الملائكة فذهب به إلى السماء . وروي عن

1) C. P. احدا .

2) A. عباس .

سعيداً بن مسعود نحو ذلك .

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾² وجائز أن يكون فسوقه من إعجابه بنفسه لكثرة عبادته واجتهاده ، وجائز أن يكون لكونه من الجن .

(ومُرَّةُ الهمْداني ، بسكون الميم ، والبدال المهملة ، نسبة إلى همْدان :

قبيلة كبيرة من اليمن) .

1) A. et B. سجد . ut etiam in S.

2) Cor. 18, vs. 50

ذكر خلق آدم ، عليه السلام

ومن الأحاديث في سلطانه خلق أبينا آدم ، عليه السلام . وذلك لما أراد الله تعالى أن يُطلع ملائكته على ما علم من انطواء إبليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة حتى دنا أمره من البوار وملكه من الزوال ، فقال للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ، قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ؟¹ . فرُوي عن ابن عباس أن الملائكة قالت ذلك للذي كانوا عهدوا من أمره² وأمر الجن الذين كانوا سُكَّانَ الأرض قبل ذلك ، فقالوا لربهم تعالى : أتجعل فيها من يكون مثل الجن الذين كانوا يسفكون الدماء فيها ويفسدون ويعصونك ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ فقال الله لهم : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، يعني من انطواء إبليس على الكبر والعزم على خلاف أمري واغتراره ، وأنا مُبَدِّلُ ذَلِكَ لَكُمْ مِنْهُ لَتَرُوهُ عَيَانًا . فلما أراد الله أن يخلق آدم أمر جبرائيل أن يأتيه بطين من الأرض ، فقالت الأرض : أعوذ بالله منك أن تنقص مني وتشينني³ . فرجع ولم يأخذ منها شيئاً وقال : يا رب إنها عادت بك فأعدتها . فبعث ميكائيل ، فاستعادت منه فأعادها ، فرجع وقال مثل جبرائيل ، فبعث إليها ملك الموت فعادت منه ، فقال : أنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمر ربي ،

1) Cor. 2, vs. 30.

2) كانوا أجهدوا أمره . S.

3) أن تقبض مني وتشيني . S.

١ حين .

٢ واشيني .

فأخذ من وجه الأرض فخلطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء
وبيضاء وسوداء وطيناً لازباً ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين .

وروى أبو موسى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إن الله
تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر
الأرض ، منهم الأحمر والأسود والأبيض ، وبين ذلك ، والسهل والحزن ،
والحيث والطيب ، ثم بُلَّت طينته حتى صارت طيناً لازباً ثم تُرِكَت حتى
صارت حمماً مسنوناً ثم تُرِكَت حتى صارت صلصالاً . كما قال ربنا ، تبارك
وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾¹ .
واللازب : الطين الملتزب² بعضه ببعض . ثم تُرِكَت حتى تغير وأتت وصار حمماً
مسنوناً ، يعني منتناً ، ثم صار صلصالاً ، وهو الذي له صوت .

وإنما سُمِّي آدم لأنه خُلِقَ من أديم الأرض . قال ابن عباس : أمر
الله بتربة آدم فرُفِعَتْ ، فخلق آدم من طين لازب من حمل مسنون ، وإنما
كان حمماً مسنوناً بعد التراب فخلق منه آدم بيده لئلا يتكبر إبليس عن السجود
له . قال : فمكث أربعين ليلة ، وقيل : أربعين سنة ، جسداً ملقى ، فكان
إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل ، أي يصوت ، قال : فهو قول الله تعالى :
﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾¹ ، يقول : متن كالمنفوخ الذي ليس بمصمت ،
ثم يدخل من فيه فيخرج من دبره ويدخل من دبره ويخرج من فيه ، ثم يقول :
لست شيئاً ، ولشيء ما خلقت ، ولئن سلطت عليك لأهلكنك ، ولئن سلطت
علي لأعصينك . فكانت الملائكة تمرّ به فتخافه ، وكان إبليس أشدهم منه
خوفاً .

1) Cor. 15, vs. 26.

2) C. P. et S. الملتزق .

١ . سورة الرحمن ٥٥ ، الآية ١٤ .

فلما بلغ الحين الذي أراد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : ﴿ فإذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾¹ ؛ فلما نفخ الروح فيه دخلت من قِبَلِ رأسه ، وكان لا يجري شيء من الروح في جسده إلا صار لحمًا² ، فلما دخلت الروح رأسه عطس ، فقالت له الملائكة : قل الحمد لله³ . وقيل : بل ألهمه الله التحميد فقال : الحمد لله رب العالمين . فقال الله له : رحمك ربك يا آدم . فلما دخلت الروح عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما بلغت جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجله عجلان إلى ثمار الجنة ، فلذلك يقول الله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾⁴ . فسجد له الملائكة كلهم إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين . فقال الله له : يا إبليس ما منعك أن تسجد إذ أمرتك ؟ قال : أنا خير منه لم أكن لأسجد لبشر خلقتة من طين⁵ ، فلم يسجد كبراً وبغياً وحسداً . فقال الله له : ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ﴾ . إلى قوله : ﴿ الْأَمْلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾⁶ . فلما فرغ من إبليس ومعاتبته وأبى إلا المعصية أوقع عليه اللعنة وأبأسه من رحمته وجعله شيطاناً رجيماً وأخرجه من الجنة .

قال الشعبي : أنزل إبليس مشتمل الصماء عليه عمامة أعور في إحدى رجله نعل .

وقال حميد بن هلال : نزل إبليس مختصراً فلذلك كره الاختصار في

1) Cor. 15, vs. 29.

2) لحمًا ودمًا S.

3) S. الحمد لله رب العالمين Ib.

4) Cor. 21, vs. 37.

5) Cor. 15, vs. 33.

6) Cor. 38, vs. 75 et sq.

الصلاة ، ولما أنزل قال : يا رب أخرجني من الجنة من أجل آدم وإنني لا أقوى عليه إلاّ بسطانتك . قال : فأنت مسلط . قال : زدني . قال : لا يولد له ولد إلاّ ولد لك مثله . قال : زدني . قال : صدورهم مساكن لك وتجري منهم مجرى الدم . قال : زدني . قال : أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعيدهم .

قال آدم : يا رب قد أنظرته وسلطته عليّ وإنني لا أمتنع منه إلاّ بك . قال : لا يولد لك ولد إلاّ وكلتُ به من يحفظه من قرناء السوء . قال : يا رب زدني . قال : الحسنه بعشر أمثالها وأزيدها ، والسيئة بواحدة وأمحوها . قال : يا رب زدني . قال : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾¹ . قال : يا رب زدني . قال : التوبة لا أمنعها من ولدك ما كانت فيهم الروح . قال : يا رب زدني . قال : أغفر ولا أبالي . قال : حسبي . ثمّ قال الله لآدم : إيت أولئك النفر من الملائكة فقل السلام عليكم . فاتاهم فسلم عليهم ، فقالوا له : وعليك السلام ورحمة الله . ثمّ رجع إلى ربه فقال : هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم . فلما امتنع إبليس من السجود وظهر للملائكة ما كان مستتراً عنهم علم الله آدم الأسماء كلها .

[الأسماء التي علمها الله آدم]

واختلف العلماء في الأسماء فقال الضحاك عن ابن عباس : علمه الأسماء كلها التي تتعارف بها الناس : إنسان ودابة وأرض وسهل وجبل وفرس وحمار

1) Cor, 39, vs. 53.

وأشبه ذلك ، حتى الفسوة والفسية^١ . وقال مجاهد وسعيد بن جبير مثله .
 وقال ابن زيد : عَلَّمْتُمْ أَسْمَاءَ ذَرِيَّتِهِ^٢ . وقال الربيع : عَلَّمْتُمْ أَسْمَاءَ الْمَلَائِكَةِ
 خَاصَّةً . فَلَمَّا عَلَّمَهَا عَرَضَ اللَّهُ أَهْلَ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ : ﴿ أَنْبِئُونِي
 بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^٣ . إِنِّي إِنْ جَعَلْتُ الْخَلِيفَةَ مِنْكُمْ
 أَطْعَمُونِي وَقَدَّسْتُمُونِي وَلَمْ تَعَصُونِي ، وَإِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ غَيْرِكُمْ أَفْسَدَ فِيهَا وَسَفَكَ
 الدَّمَاءَ ، فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَعْلَمُوا أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ وَأَنْتُمْ تَشَاهِدُونَهُمْ فَبِأَنْ لَا تَعْلَمُوا مَا
 يَكُونُ مِنْكُمْ وَمَنْ غَيْرِكُمْ وَهُوَ مَغِيبٌ عَنْكُمْ أَوْلَى وَأَحْرَى . وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ
 مَسْعُودٍ وَرَوَايَةُ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ أَنَّهُمَا قَالَا : لَمَّا أَعْلَمَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِخَلْقِ آدَمَ وَاسْتِخْلَافِهِ
 وَ ﴿ قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ؟ ﴾^٣
 وَ ﴿ قَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^٣ . قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ : لِيَخْلُقَ رَبَّنَا مَا
 يَشَاءُ فَلَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا إِلَّا كُنَّا أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ وَأَعْلَمَ مِنْهُ . فَلَمَّا خَلَقَهُ وَأَمْرَهُمْ
 بِالسُّجُودِ لَهُ عُلِمُوا أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَأَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ ، فَقَالُوا : إِنْ يَكُ خَيْرًا
 مِنَّا وَأَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَّا فَنَحْنُ أَعْلَمُ مِنْهُ . فَلَمَّا أَعْجَبُوا بِعِلْمِهِمْ ابْتُلُوا بِأَنْ
 عَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ
 هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^٣ ، إِنِّي لَا أَخْلُقُ^٣ أَكْرَمَ مِنْكُمْ وَلَا أَعْلَمُ

1) B. والفسوة .

2) S. ذريته خاصة .

3) S. أخلق خلقاً .

١ الفسوة والفسية .

٢ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٣١) .

٣ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٣٠) .

منكم . ففرعوا إلى التوبة ، وإليها يفرع كل مؤمن ، ﴿ قالوا : سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاّ مَا عَلَّمْتَنَا . إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾¹ . قالوا : وعلمه اسم كل شيء من هذه : الخيل والبغال والإبل والجن والوحش وكل شيء .

ذكر إسكان آدم الجنة وإخراجه منها

فلما ظهر للملائكة من معصية إبليس وطغيانه ما كان مستترا عنهم وعاتبه الله على معصيته بتركه السجود لآدم فأصرّ على معصيته وأقام على غيبه لعنه الله وأخرجه من الجنة وطرده منها وسلبه ما كان إليه من ملك السماء الدنيا والأرض وخزن الجنة ، فقال الله له : ﴿ اخْرُجْ مِنْهَا - يعني من الجنة - فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾² ؛ وأسكن آدم الجنة .

قال ابن عباس وابن مسعود : فلما أسكن آدم الجنة كان يمشي فيها فرداً ليس له زوج يسكن إليها . فنام نومة واستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها فقال : من أنتِ ؟ قالت : امرأة . قال : ولِمَ خُلِقْتِ ؟ قالت : لتسكن إليّ . قالت له الملائكة لينظروا مبلغ علمه : ما اسمها ؟ قال : حواء . قالوا : ولِمَ سُمِّيَتْ حواء ؟ قال : لأنها خُلِقَتْ من حيّ . وقال الله له : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾³ .

وقال ابن إسحاق فيما بلغه عن أهل الكتاب وغيرهم ، منهم عبد الله بن عباس

1) Cor. 2, vs. 32.

2) Cor. 15, vs. 34, 35.

3) Cor. 2, vs. 35.

قال ١ : ألقى الله تعالى على آدم النوم وأخذ ضلعاً من أضلاعه من شقته الأيسر ولأم مكانه لحماً وخلق منه حواء، وآدم نائم ، فلما استيقظ رآها إلى جنبه فقال : لحمي ودمي وروحي ، فسكن إليها ، فلما زوجه الله تعالى وجعل له سكناً من نفسه قال له : ﴿ يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ . . . وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ٢ . وعن مجاهد وقتادة مثله .

فلما أسكن الله آدم وزوجه الجنة أطلق لهما أن يأكلا كل ما أرادا من كل ثمارها غير ثمرة شجرة واحدة ، ابتلاءً منه لهما وليمضي قضاؤه فيهما وفي ذريتهما . فوسوس لهما الشيطان ، وكان سبب وصوله إليهما أنه أراد دخول الجنة فمنعته الحزنة ، فأتى كل دابة من دواب الأرض وعرض نفسه عليها أنها تحمله حتى يدخل الجنة ليكلتم آدم وزوجه . فكل الدواب أبي عليه حتى أتى الحية ٣ وقال لها : أمتعك ٤ من ابن آدم فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتني ، فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به ، وكانت كاسية على أربع قوائم من أحسن دابة خلقها الله كأنها بختية ٥ ، فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها .

قال ابن عباس : اقتلوا حيث وجدتموها واخفروا ذمة عدو الله فيها . فلما دخلت الحية الجنة خرج إبليس من فيها فراح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها . فقالا له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة . فوقع ذلك في أنفسهما ، ثم أتاهما فوسوس لهما وقال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومُلْكٍ لا يبلى ؟ ﴿ وَقَالَ : مَا

1) قالوا S.

2) Cor. 2, vs. 35.

3) عليه ذلك حتى كلم الحية S.

4) أمتك B.

5) نجية B.

١ (في التوراة : لحم من لحمي وعظم من عظمي) .

نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُنتُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١﴾ ، أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً ، أَوْ تَخْلُدَانِ إِنْ لَمْ تَكُونَا مَلَائِكَةً فِي نِعْمَةِ الْجَنَّةِ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَدَلَا هُمَا بِغُرُورٍ﴾ ﴿١﴾ . وَكَانَ انْفِعَالُ حَوَاءَ لَوْ سَوَّسَتْهُ أَعْظَمُ ، فَدَعَاهَا آدَمُ لِحَاجَتِهِ . فَقَالَتْ : لَا إِلَّا أَنْ تَأْتِيَ هَاهُنَا . فَلَمَّا أَتَى قَالَتْ : لَا ! إِلَّا أَنْ تَأْكُلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَهِيَ الْخَنْزَقَةُ . قَالَ : فَأَكَلَا مِنْهَا ، فَبَدَتْ لهُمَا سُوءَاتُهُمَا ، وَكَانَ لِبَاسُهُمَا الظَّفِيرُ ، فَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ، قِيلَ : كَانَ وَرَقُ التَّيْنِ ، وَكَانَتِ الشَّجَرَةُ مِنْ أَكْلِ مِنْهَا أَحْدَثَ . وَذَهَبَ آدَمُ هَارِباً فِي الْجَنَّةِ ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ : أَنْ يَا آدَمُ مَنِ تَفَرَّ؟ قَالَ : لَا يَا رَبِّ وَلَكِنْ حَيَاءٌ مِنْكَ . فَقَالَ : يَا آدَمُ مِنْ أَيْنَ أُتَيْتَ؟ قَالَ : مِنْ قَبْلِ حَوَاءَ يَا رَبِّ . فَقَالَ اللَّهُ : فَإِنَّ لَهَا عَلِيٌّ أَنْ أَدْمِيهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ وَأَنْ أَجْعَلَهَا سَفِيهَةً ، وَقَدْ كُنْتُ خَلَقْتُهَا حَلِيمَةً 2 ، وَأَنْ أَجْعَلَهَا تَحْمِلُ كَرهاً وَتَضَعُ كَرهاً وَتَشْرَفُ عَلَى الْمَوْتِ مَرَاراً ، قَدْ كُنْتُ جَعَلْتُهَا تَحْمِلُ يَسْراً وَتَضَعُ يَسْراً ، وَلَوْلَا بَلِيَّتُهَا لَكَانَ النِّسَاءُ لَا يَحْضُنُّ ، وَلَكِنْ حَلِيمَاتٌ وَلَكِنْ يَحْمِلُنَّ يَسْراً وَيَضَعُنَّ يَسْراً . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ : لِأَلَعَنَ الْأَرْضَ الَّتِي خَلَقْتُ مِنْهَا لَعْنَةً يَتَحَوَّلُ بِهَا ثَمَارُهَا شَوْكاً . وَلَمْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ وَلَا فِي الْأَرْضِ شَجَرَةٌ أَفْضَلُ مِنَ الطَّلْحِ وَالسُّدْرِ .

وَقَالَ لِلْحَيَّةِ : دَخَلَ الْمَلْعُونُ فِي جَوْفِكَ حَتَّى غَرَّ عِبْدِي ، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ لَعْنَةٌ يَتَحَوَّلُ بِهَا قَوَائِمُكَ فِي بَطْنِكَ وَلَا يَكُونُ لَكَ رِزْقٌ إِلَّا التُّرَابُ . أَنْتِ عَدُوَّةُ بَنِي آدَمَ وَهُمْ أَعْدَاؤُكَ ، حَيْثُ لَقِيتِ وَاحِداً مِنْهُمْ أَخَذْتِ بِعَقْبِهِ وَحَيْثُ لَقِيتِ

1) Cor. 7, vs. 22.

2) جيلة C. P.

١ لكما من الناصحين . (سورة الأعراف ٧ ، الآية ٢٠ ، ٢١) .

شدخ رأسك ، اهبطوا بعضكم لبعض عدو آدم وإبليس والحية . فأهبطهم إلى الأرض ، وسلب الله آدم وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة .
 قيل : كان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن سفته حواء الخمر حتى سكر فلما سكر قادتة إليها فأكل .
 قلتُ : والعجب من سعيد كيف يقول هذا والله يقول في صفة خمر الجنة ﴿ لا فيها غَوَلٌ ﴾¹ .

ذكر اليوم الذي أسكن آدم فيه الجنة واليوم الذي أخرج فيه منها واليوم الذي تاب فيه

روى أبو هريرة عن النبي . صلى الله عليه وسلم ، قال : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم . وفيه أسكن الجنة . وفيه أهبط منها ، وفيه تاب الله عليه ، وفيه تقوم الساعة . وفيه ساعة يقتلها لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه . قال عبد الله بن سلام : قد علمتُ أي ساعة هي ، هي آخر ساعة من النهار .

وقال أبو العالية : أخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة منه ، وأهبط إلى الأرض لتسع ساعات مضين من ذلك اليوم ، وكان مكثه في الجنة خمس ساعات منه ، وقيل : كان مكثه ثلاث ساعات منه .

فإن كان قائل هذا القول أراد أنه سكن الفردوس لساعتين مضتاً من

1) Cor. 37, vs. 47.

يوم الجمعة من أيام الدنيا التي هي على ما هي به اليوم ، فلم يبعد قوله من الصواب لأن الأخبار كذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم بأن آدم خلق آخر ساعة من اليوم السادس التي مقدار اليوم منها ألف سنة من سنينا ، فمعلوم أن الساعة الواحدة من ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاماً من أعوامنا ، وقد ذكرنا أن آدم بعد أن خمر ربنا طيبته بقي قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين عاماً ، وذلك لا شك أنه عني به أعوامنا ، ثم بعد أن نفخ فيه الروح إلى أن تنهى أمره وأسكن الجنة وأهبط إلى الأرض غير مستنكر أن يكون مقدار ذلك من سنينا قدر خمس وثلاثين سنة ، وإن كان أراد أنه سكن الجنة لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الأيام التي مقدار اليوم منها ألف سنة من سنينا فقد قال غير الحق ، لأن كل من له قول في ذلك من أهل العلم يقول إنه نفخ فيه الروح آخر نهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس .

وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أن مكث آدم كان في الجنة نصف يوم كان مقداره خمسمائة عام ، وهذا أيضاً خلاف ما وردت به الأخبار عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وعن العلماء .

ذكر الموضع الذي أهبط فيه آدم وحواء من الأرض

قيل : ثم إن الله تعالى أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه ، وهو يوم الجمعة ، مع زوجته حواء . من السماء¹ . فقال علي وابن عباس وقتادة وأبو العالية : إنه أهبط بالهند على جبل يقال له نود من أرض

1) C. P.

سَرْتَدِيْب ، وحواء بجدّة . قال ابن عباس : فجاء في طلبها فكان كلما وضع قدمه بموضع صار قرية ، وما بين خطوتيّه مفاوز ، فسار حتى أتى جمعاً فازدلفت إليه حواء ، فلذلك سُميت المزدلفة ، وتعارفا بعرفات فلذلك سُميت عرفات ، واجتمعا بجمعٍ فلذلك سُميت جمعاً . وأهبطت الحية بأصفهان¹ ، وإبليس بميسان . وقيل : أهبط آدم بالبرية ، وإبليس بالأبلة .

قال أبو جعفر : وهذا ما لا يوصل إلى معرفة صحته إلا بخبر يجيء مجيء الحجّة ، ولا نعلم خبراً في ذلك غير ما ورد في هبوط آدم بالهند ، فإن ذلك ممّا لا يدفع صحته علماء الإسلام .

قال ابن عباس : فلما أهبط آدم على جبل نُود كانت رجلاه تمسان¹ الأرض ورأسه بالسما يسبح تسبيح الملائكة ، فكانت تهابه ، فسألت الله أن ينقص من طوله فنقص طوله إلى ستين ذراعاً ، فحزن آدم لما فاته من الأنس بأصوات الملائكة وتسبيحهم ، فقال : يا ربّ كنتُ جارك في دارك ليس لي ربّ غيرك أدخلتني جنتك آكل منها حيث شئتُ وأسكن حيث شئتُ فأهبطتني² إلى الجبل المقدّس فكنتُ أسمع أصوات الملائكة وأجد ريح الجنة فحططتني إلى ستين ذراعاً ، فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني ريح الجنة ! فأجابه الله تعالى : بمعصيتك يا آدم فعلتُ بك ذلك .

فلما رأى الله عري آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من

1) أهبط الحية بالبرية S. 1)

1) خمس .

2) آكل منها حيث شئتُ فأهبطتني .

الثمانية الأزواج التي أنزل الله من الجنة ، فأخذ كبشاً فذبحه وأخذ صوفه ، فغزلته حواء ونسجه آدم فعمل لنفسه جبّة ولحواء درعاً وخماراً فلبسنا ذلك .
وقيل : أرسل إليهما ملكاً يُعلمهما ما يلبسانه من جلود الضأن والأنعام .
وقيل : كان ذلك لباس أولاده ، وأمّا هو وحواء فكان لباسهما ما كانا خصفاً من ورق الجنة ، فأوحى الله إلى آدم : إنّ لي حرماً حياض عرشي فانطلق وابن لي بيتاً فيه ثم حفّ به كما رأيت ملائكتي يحفون بعرشي ، فهناك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي . فقال آدم : يا ربّ وكيف لي بذلك ! لست أقوى عليه ولا أهتدي إليه . فقبض الله ملكاً فانطلق به نحو مكة ، وكان آدم إذا مرّ بروضة قال للملك : انزل بنا هاهنا . فيقول الملك : مكانك ، حتى قدم مكة ، فكان كلّ مكان نزله آدم عمراناً وما عداه مفاوز . فبنى البيت من خمسة أجبل : من طور سينا ، وطور زيتون ، ولبنان ، والحدودي ، وبنى قواعده من حجارة فلما فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عرفات فأراه المناسك التي يفعلها الناس اليوم ، ثمّ قدم به مكة فطاف بالبيت أسبوعاً ، ثمّ رجع إلى الهند فمات على نود .
فعلی هذا القول أهبط حواء وآدم جميعاً ، وإن آدم بنى البيت ، وهذا خلاف الذي نذكره إن شاء الله تعالى منه : أنّ البيت أنزل من السماء .

وقيل : حجّ آدم من الهند أربعين حجّة ماشياً . ولما نزل إلى الهند كان على رأسه إكليل من شجر الجنة ، فلما وصل إلى الأرض يبس فتساقط ورقه فنبتت منه أنواع الطيب بالهند . وقيل : بل الطيب من الورق الذي خصفه آدم وحواء عليهما .
وقيل : لما أمر بالخروج من الجنة جعل لا يمرّ بشجرة منها إلاّ أخذ منها غصناً فهبط وتلك الأغصان معه فكان أصل الطيب بالهند منها ، وزوده الله من

1) وإن آدم هو الذي بنى .

ثمّ الجنة ، فثمارنا هذه منها ، غير أنّ هذه تتغيّر وتلك لا تتغيّر ، وعلّمه صنعة كلّ شيء ، ونزل معه من طيب الجنة ، والحجر الأسود ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ، وكان من ياقوت الجنة ، ونزل معه عصا موسى ، وهي من آس الجنة ومن لبّ ، وأنزل بعد ذلك العلاء والمطرقة والكلبتان .

وكان حسن الصورة لا يشبهه من¹ ولده غير يوسف . وأنزل عليه جبرائيل بصرة فيها حنطة ، فقال آدم : ما هذا ؟ قال : هذا الذي أخرجك من الجنة . فقال : ما أصنع به ؟ فقال : انثره في الأرض . ففعل ، فأنبته الله من ساعته ، ثمّ حصده وجمعه وفركه وذرّاه وطحنه وعجنه وخبزه ، كلّ ذلك بتعليم جبرائيل . وجمع له جبرائيل الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النار ، وعلّمه جبرائيل صنعة الحديد والحراثة ، وأنزل إليه ثوراً ، فكان يحرث عليه ، قيل هو الشقاء الذي ذكره الله تعالى بقوله : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾² .

ثمّ إنّ الله أنزل آدم من الجبل وملّكه الأرض وجميع ما عليها من الجنّ والدوابّ والطير وغير ذلك . فشكا إلى الله تعالى وقال : يا ربّ أما في هذه الأرض من يسبّحك غيري ؟ فقال الله تعالى : سأخرج من صلبك من يسبّحني ويحمدني ، وسأجعل فيها بيوتاً تُرفع لذكري ، وأجعل فيها بيتاً أختصّه³ بكرامتي وأسميه بيّتي وأجعله حرّماً آمناً ، فمن حرّمه بحرّمتي⁴ فقد استوجب كرامتي ، ومن أخاف أهله فيه فقد خفر ذمتي وأباح حرّمتي ، أوّل بيت وُضع للناس فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد إليّ وزارني وضافني⁵ ، ويحقّ على الكريم أن

1) لم يشبهه شيء من S.

2) Cor. 20, vs. 117.

3) أخصه S.

4) فمن خدمه يخدمني S.

5) وزارني وضافني S.

يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلاً بحاجته ؛ تعمره أنت يا آدم ما كنت حياً ،
 ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة . ثم أمر آدم أن يأتي
 البيت الحرام ، وكان قد أهبط من الجنة ياقوته واحدة ، وقيل : دُرّة واحدة ،
 وبقي كذلك حتى أغرق الله قوم نوح ، عليه السلام ، فرُفع وبقي أساسه ،
 فبؤاً الله لإبراهيم ، عليه السلام ، فبناه على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

وسار آدم إلى البيت ليحجته ويتوب عنده ، وكان قد بكى هو وحواء على
 خطيئتهما وما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً ،
 ثم أكلا وشربا بعدها ، ومكث آدم لم يقرب حواء مائة عام ، فحج البيت وتلقى
 آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، وهو قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا
 وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾² .
 (نُود بضم النون ، وسكون الواو ، وآخره دال مهملة) .

ذكر إخراج ذريرة آدم من ظهره وأخذ الميثاق

روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال : أخذ الله الميثاق على ذريرة آدم
 بنعمان من عرفة فأخرج من ظهره كل ذريرة ذراها إلى أن تقوم الساعة فنثرهم
 بين يديه كالذرّ ثم كلمهم قبلاً وقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا :
 بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِمَا فَعَلَ
 الْمُبْطِلُونَ ﴾³ .

(نعمان بفتح النون الأولى) .

1) فبؤاً S.

2) Cor. 7, vs. 23.

3) Cor. 7, vs. 172 et sq.

وقيل عن ابن عباس أيضاً : إنه أخذ عليهم الميثاق بدحنا¹ ، موضع .
 وقال السُّدِّيّ : أخرج الله آدم من الجنة ولم يُهبطه إلى الأرض من السماء ثمّ
 مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج ذرّية كهيئة الذرّ بيضاء مثل اللؤلؤ ، فقال
 لهم : ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها كهيئة
 الذرّ سوداء ، فقال : ادخلوا النار ولا أبالي ، فذلك حين يقول : أصحاب اليمين
 وأصحاب الشمال ، ثمّ أخذ منهم الميثاق فقال : ألسنُ بربكم ؟ قالوا : بلى ،
 فأعطوه الميثاق ، طائفة طائعين وطائفة على وجه التقيّة¹ .

ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم في الدنيا

وكان أوّل ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل ، وأهل العلم مختلفون في اسم
 قابيل ، فبعضهم يقول : قين ، وبعضهم يقول : قائين² ، وبعضهم يقول :
 قان ، وبعضهم يقول : قابيل³ .

واختلفوا أيضاً في سبب قتله ، فقيل : كان سببه أن آدم كان يغشى حواء
 في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت له فيها بقايل بن آدم وتوأمته فلم تجد
 عليهما وحمّاً ولا وصباً ولم تجد عليهما طلقاً حين ولدتهما ولم ترّ معهما دماً
 لظهر الجنة ، فلما أكلا من الشجرة وهبطا إلى الأرض فاطمأنّا بها تغشاهما فحملت
 بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحمّ والوصب والطلق حين ولدتهما ورأت معهما

1) قابيل وبعضهم يقول قابن. S) 3) قابين C. P. 2) . برضا C. P. ; بدحنا B. 1)

بلى ، فأعطاه الميثاق وطائفة طائعين وطائفة على وجه البغية .

الدم ، وكانت حواء فيما يذكرون لا تحمل إلا توأماً ذكراً وأنثى ، فولدت حواء
لآدم أربعين ولداً لصلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطناً ، وكان الولد منهم أي
أخوانه شاء تزوج إلا توأمة التي تولد معه ، فإنها لا تحل له ، وذلك أنه لم يكن
يومئذ نساء إلا أخواتهم وأمههم حواء ، فأمر آدم ابنه قابيل أن ينكح توأمة هابيل ،
وأمر هابيل أن ينكح توأمة أخيه قابيل .

وقيل : بل كان آدم غائباً¹ وكان لما أراد السير قال للسماء : احفظي ولدي
بالأمانة ، فأبت ، وقال للأرض فأبت ، وللجبال فأبت ، وقال لقابيل ، فقال :
نعم تذهب وترجع وستجد² كما يسرك . فانطلق آدم فكان ما نذكره ، وفيه
قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ
ظَلُومًا جَهُولًا ﴾³ . فلما قال آدم لقابيل وهابيل في معنى نكاح أختيهما ما
قال هما سلم هابيل لذلك ورضي به ، وأبى ذلك قابيل وكرهه تکرهما عن أخت
هابيل ورغب بأخته عن هابيل وقال : نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة
الأرض فأنا أحق بأختي .

وقال بعض أهل العلم : إن أخت قابيل كانت من أحسن الناس فزن بها⁴
على أخيه وأرادها لنفسه ، وإنهما لم يكونا من ولادة الجنة إنما كانا² من
ولادة الأرض ، والله أعلم . فقال له أبوه آدم : يا بني إنها لا تحل لك ، فأبى

1) غائباً في الحج S.

2) وستجدهم S.

3) Cor. 33, vs. 72.

4) فرغب فيها B.

أن يقبل ذلك من أبيه . فقال له أبوه : يا بني فقرب قرباناً ويقرب أخوك هابيل قرباناً فأبتكما قبل الله قربانه فهو أحق بها . وكان قابيل على بذر الأرض وهابيل على رعاية الماشية ، فقرب قابيل قمحاً وقرب هابيل أبقاراً من أبقار غنمه . وقيل : قرب بقرة . فأرسل الله ناراً بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، وبذلك كان يقبل القربان إذا قبله الله . فلما قبل الله قربان هابيل ، وكان في ذلك القضاء له بأخت قابيل ، غضب قابيل ! وغلب عليه الكبر واستحوذ عليه الشيطان وقال : لأقتلك حتى لا تنكح أختي . قال هابيل : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ﴾ إلى قوله : ﴿ فطوّعت له نفسه قتل أخيه ﴾ ، فاتبعه وهو في ماشيته فقتله ، فهما اللذان قص الله خبرهما في القرآن فقال : ﴿ وَاَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾ ، إلى آخر القصة² .

قال : فلما قتله سقط في يده ولم يدرك كيف يواريه . وذلك أنه كان فيما يزعمون أول قبيل من بني آدم ، ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ ، قَالَ : يَا وَيْلَتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي ، فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَمُسْرِفُونَ ﴾³ . فلما قتل أخاه قال الله تعالى : يا قابيل ابن أخوك هابيل ؟ قال : لا أدري ، ما كنت عليه رقيباً ! فقال الله تعالى : إن صوت دم أخيك يناديني من الأرض الآن ، أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاهها فبلعت دم أخيك ، فإذا أنت عملت في الأرض فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزراً تائهاً في الأرض . فقال قابيل : عظمت خطيئتي إن لم تغفرها .

1) S. غضب فأرسل S.

2) Cor. 5, vs. 30 et sqq.

3) Cor. 5, vs. 32 et sqq.

قيل : كان قتله عند عقبة حيراء . ثم نزل من الجبل آخذاً بيد أخته فهرب^١ بها إلى عدن من اليمن .

قال ابن عباس : لما قتل أخاه أخذ بيد أخته ثم هبط بها من جبل نود إلى الحضيض ، فقال له آدم : اذهب فلا تزال مرعوباً لا تأمن من تراه . فكان لا يمر به أحد من ولده إلا رماه ، فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابن له ، فقال للأعمى ابنه : هذا أبوك قابيل فارمه ، فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله ، فقال ابن الأعمى لأبيه : قتلتَ أباك ! فرفع الأعمى يده فلطم ابنه فمات . فقال : يا ويلتي قتلتُ أبي برميتي وابني بلطمتي .

ولما قُتل هابيل كان عمره عشرين سنة ، وكان لقابيل يوم قتله خمس وعشرون سنة

وقال الحسن : كان الرجلان اللذان ذكرهما الله تعالى في القرآن بقوله : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ من بني إسرائيل ، ولم يكونا من بني آدم لصلبه ، وكان آدم أول من مات .^٢

وقال أبو جعفر : الصحيح عندنا أنهما ابنا آدم لصلبه للحديث الصحيح عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : ما من نفس تُقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ^٣ منها ، وذلك لأنه أول من سنّ القتل فبان بهذا أنهما لصلب آدم ، فإنّ القتل ما زال بين بني آدم قبل بني إسرائيل . وفي هذا الحديث أنه أول من سنّ القتل ، ومن الدليل على أنه^٣ مات من ذرية آدم قبله ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

١ هرب .

٢ (الكفل : الحظ والنصيب) .

٣ ومن الدليل أنه .

وَاحِدَةٍ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾^١ .

عن ابن عباس وابن جبير والسُّدِّي وغيرهم قالوا : كانت حواء تلد لآدم فتُعبدُهم ، أي تسميهم عبد الله وعبد الرحمن ونحو ذلك ، فيصيبهم الموت ، فأتاها إبليس فقال : لو سميتُما بغير هذه الأسماء لعاش ولدكما . فولدت ولداً فسمته عبد الحارث ، وهو اسم إبليس ، فنزلت : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾^٢ الآيات . وقد روي هذا المعنى مرفوعاً .

قلتُ : إنَّما كان الله تعالى يميِّت أولادهم أولاً ، وأحيا هذا المسمي بعبد الحارث امتحاناً واختباراً وإن كان الله تعالى يعلم الأشياء بغير امتحان ، لكن علماً لا يتعلّق به الثواب والعقاب . ومن الدليل على أن القاتل والمقتول ابنا آدم لصلبه ما رواه العلماء عن عليّ بن أبي طالب أن آدم قال لما قتل هايل :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَهُ الْأَرْضِ مَغْبِرٌ قَبِيحٌ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَقَلَّ بِشَاشَةِ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ

في أبيات غيرها .

وقد زعم أكثر علماء الفرس أن جيومرث^٣ هو آدم ، وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء ، وقالوا فيه أقوالاً كثيرة يطول بذكرها الكتاب إذ كان قصدنا ذكر الملوك وأبائهم ، ولم يكن ذكر الاختلاف في نسب ملك من

1) Cor. 7, vs. 189 et sq.

١ رجلاً .

٢ (سورة الأعراف ٧ ، الآية ١٨٩) .

٣ وردت في الطبري : جيومرث ، بالهاء المثناة . وبالفارسية : كيومرث .

جنس ما أنشأنا له الكتاب ، فإن ذكرنا من ذلك شيئاً فلتعريف من ذكرنا ليعرفه من لم يكن عارفاً به . وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه آدم ، ووافق علماء الفرس على اسمه ، وخالفهم في عينه وصفته ، فزعم أن جيومرث الذي زعمت الفرس أنه آدم إنما هو حام ابن يافت بن نوح ، وأنه كان معمرّاً سيّداً نزل جبل دُنْبَاوَنْدَا¹ من جبال طَبَرَسْتَان من أرض المشرق وتملك بها وبفارس وعظم أمره وأمر ولده حتى ملكوا بابل وملكوا في بعض الأوقات الأقاليم كلها ، وابتنى جيومرث المدن والحصون وأعدّ السلاح واتخذ الخيل وتجرّ في آخر أمره وتسمّى بآدم ، وقال : من سماني بغيره قتله ، وتزوج ثلاثين امرأة ، فكثرت منهن نسله ، وإن ماري ابنه وماريانه أخته ممن كانا ولداً في آخر عمره ، فأعجب بهما وقدّمهما ، فصار الملوك من نسلهما .

قال أبو جعفر : وإنما ذكرت من أمر جيومرث في هذا الموضع ما ذكرت لأنه لا تدافع بين علماء الأمم أنه أبو الفرس من العجم ، وإنما اختلفوا فيه هل هو آدم أبو البشر أم غيره على ما ذكرنا ، ومع ذلك فلأن ملكه وملك أولاده لم يزل منتظماً على سياق متصل بأرض المشرق وجبالها إلى أن قُتل يزدجرد بن شهریار بمرو أيام عثمان بن عفان ، والتاريخ على أسماء ملوكهم أسهل بياناً وأقرب إلى التحقيق منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم ، إذ لا يُعلم أمة من الأمم الذين ينتسبون إلى آدم دامت لهم المملكة واتصل الملك لملوكهم يأخذهم عن أولهم وغابهم عن سالفهم سواهم .

وأنا ذاكر ما انتهى إلينا من القول في عمر آدم وأعمار من بعده من ولده

1) دنباوند . A. et B.

١ بالفارسية : دماوند .

من الملوك والأنبياء وجيومرث أبي الفرس فأذكر ما اختلفوا فيه من أمرهم إلى الحال التي اجتمعوا عليها واتفقوا على ملك منهم في زمان بعينه أنه هو الملك في ذلك الزمان إن شاء الله .

وكان آدم مع ما أعطاه الله تعالى من ملك الأرض نبياً رسولاً إلى ولده ، وأنزل الله عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها آدم بيده علمه إياها جبرائيل .
روى أبو ذرّ عن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً . قال : قلتُ : يا رسول الله كم الرُّسل من ذلك ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً ، يعني كثيراً ، طيباً . قال : قلتُ : مَنْ أولهم ؟ قال : آدم . قال : قلتُ : يا رسول الله وهو نبيّ مرسل ؟ قال : نعم ، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثمّ سواه قبلاً¹ ، وكان ممّن أنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في إحدى وعشرين ورقة .

ذكر ولادة شيث

ومن الأحداث في أيامه ولادة شيث ، وكانت ولادته بعد مضيّ مائة وعشرين سنة لآدم ، وبعد قتل هابيل بخمس سنين ، وقيل : وُلد فرداً بغير توأم . وتفسير شيث هبة الله ، ومعناه أنه خلف من هابيل ، وهو وصي آدم . وقال ابن عباس : كان معه توأم . ولما حضرت آدم الوفاة عهد إني شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعبادة الخلوة² في كل ساعة منها وأعلمه بالبطوفان ، وصارت³ الرياسة بعد آدم إليه ، وأنزل الله عليه خمسين صحيفة ، وإليه أنساب

1) رجل . 2) الخلق . 3) وصارت . وأعلمه بالطرقات، وصارت .

بني آدم كلتهم اليوم .

وأما الفرس الذين قالوا إن جيومرث هو آدم ، فإنهم قالوا : وُلد لحيومرث ابنته¹ ميشان أخت ميشي ، وتزوج ميشي أخته ميشان فولدت له سيامك¹ وسيامي² ، فولد لسيامك¹ بن جيومرث افروال³ ودقس⁴ وبواسب⁵ واجرب⁶ واوراش ، وأمتهم جميعاً سيامي² ابنة ميشي ، وهي أخت أبيهم⁷ . وذكروا أن الأرض كلها سبعة أقاليم ، فأرض بابل وما يوصل إليه ممّا⁸ يأتيه الناس برّاً وبحراً فهو من إقليم واحد وسكانه ولد افروال⁹ بن سيامك¹⁰ وأعقابهم ، فولد لافروال¹¹ ابن سيامك¹⁰ من افرى¹² ابنة سيامك¹⁰ أوشهنج² بيشداد الملك ، وهو الذي خلف جدّه جيومرث في الملك ، وهو أول من جمع مُلك الأقاليم السبعة ، وسنذكر أخباره .

وكان بعضهم يزعم أن اوشهنج هذا هو ابن آدم لصلبه من حواء .

وأما ابن الكلبي فإنه زعم أن أول من ملك الأرض اوشهنتق بن عابر¹³ ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، قاله : والفرس تزعم أنه كان بعد آدم بمائتي سنة ، وإنما كان بعد نوح بمائتي سنة ، ولم تعرف الفرس ما كان قبل نوح .

- | | | |
|-------------------------------------|------------------|------------------------|
| 1) B. سبايك . | 2) B. وسباني . | 3) B. افزوال . |
| 4) C. P. وقرد ; A. ودقس ; B. وريس . | | 5) B. ونواسب . |
| 6) B. واحرب . | 7) S. أخت أمهم . | 8) S. يوصل بها بما . |
| 9) B. افزوال . S. نسل ولد افروال . | | 10) B. et S. سبايك . |
| 11) B. افزوال . | 12) B. الارى . | 13) A. غار ; B. عامر . |

١ ابنة .

٢ بالفارسية : هوشنك .

والذي ذكره هشام بن الكلبي لا وجه له ، لأن أوشهنج مشهور عند
الفرس ، وكلّ قوم أعلم بأنسابهم وأيامهم من غيرهم . قال : وقد زعم
بعض نسابة الفرس أن أوشهنج هذا هو مهلائيل ، وأن أباه افروال¹ هو
قينان ، وأن سيامك² هو أنوش أبو قينان ، وأن ميشي هو شيث أبو
أنوش ، وأن جيومرث هو آدم . فإن كان الأمر كما زعم فلا شك أن أوشهنج
كان في زمن آدم رجلاً ، وذلك لأن مهلائيل فيما ذكر في الكتب الأولى
كانت ولادة أمه دينة ابنة براكيل بن محويل³ بن حنوخ⁴ بن قين بن
آدم وأتاه بعدما مضى من عمر آدم ثلاثمائة سنة وخمس وتسعون سنة . وقد
كان له حين وفاة أبيه آدم ستمائة سنة وخمس وستون سنة . على حساب أن
عمر آدم كان ألف سنة ، وقد زعمت الفرس أن ملك أوشهنج كان أربعين
سنة . فإن كان الأمر على ما ذكره النسابة الذي ذكرت عنه ما ذكرت
فما يبعد من⁴ قال : إن ملكه كان بعد وفاة آدم بمائتي سنة .

ذكر وفاة آدم ، عليه السلام

ذكر أن آدم مرض أحد عشر يوماً وأوصى إلى ابنه شيث وأمره أن
يُخفي علمه عن قابيل وولده لأنه قتل هابيل حسداً منه له حين خصه آدم
بالعلم ، فأخفي شيث وولده ما عندهم من العلم ، ولم يكن عند قابيل وولده

1) B. افروال .

2) B. et S. سايك .

3) C. P. محويل .

4) A. et B. كمن .

١ (ورد في الطبري : حنوخ) .

علم ينتفعون به .

وقد روى أبو هريرة عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :
قال الله تعالى لآدم حين خلقه : ائت أولئك النفر من الملائكة قل السلام عليكم ،
فأتاهم فسلم عليهم ، وقالوا له : عليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه
فقال له : هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم . ثم قبض له يديه فقال¹ له : خذ
واختر . فقال : أحببتُ يمين ربي وكلتا يديه يمين ، ففتحها له فإذا فيها صورة
آدم وذريته كلهم ، وإذا كل رجل منهم مكتوب عنده أجله ، وإذا آدم
قد كتب له عمر ألف سنة ، وإذا قوم عليهم النور ، فقال : يا رب من هؤلاء
الذين عليهم النور ؟ فقال : هؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسلهم إلى عبادي ،
وإذا فيهم رجل هو من أضوئهم نوراً ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة .
فقال آدم : يا رب هذا² من أضوئهم نوراً ولم يكتب له إلا³ أربعين سنة ، بعد
أن أعلمه أنه داود ، عليه السلام ، فقال : ذلك ما كتبتُ له . فقال : يا رب
انقص له من عمري ستين سنة . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :
فلما أهبط إلى الأرض كان يعدّ أيامه ، فلما أتاه ملك الموت لقبضه⁴ قال له
آدم : عجلت يا ملك الموت ! قد بقي من عمري ستون سنة . فقال له ملك
الموت : ما بقي شيء ، سألت ربك أن يكتبه لابنك داود . فقال : ما فعلت !
فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : ففسي آدم ففسيت ذريته وجحد فجحدت
ذريته فحينئذ وضع الله الكتاب وأمر بالشهود .

وروي عن ابن عباس قال : لما نزلت آية الدين قال رسول الله ، صلى
الله عليه وسلم : إن أول من جحد آدم ثلاث مرار ، وإن الله لما خلقه مسح ظهره

1) S. قبض الله على يديه فقال .

2) S. يا رب ما بال هذا .

3) S. كتبت له من العمر إلا .

4) S. لقبضه .

فأخرج منه ما هو ذارياً إلى يوم القيامة فجعل يرضهم على آدم فرأى منهم رجلاً يزهر ، قال : أي ربّ أيّ بتيّ هذا ؟ قال : ابنك داود . قال : كم عمره ؟ قال : ستون سنة . قال : زدّه من العمر¹ . قال الله تعالى : لا ، إلا أن تزيد أنت . وكان عمر آدم ألف سنة ، فوهب له أربعين سنة ، فكتب عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة ، فلما احتضر آدم أتته الملائكة لتقبض روحه فقال : قد بقي من عمري أربعون سنة . قالوا : إنك قد وهبتها لابنك داود . قال : ما فعلتُ ولا وهبتُ له شيئاً . فأنزل الله عليه الكتاب وأقام الملائكة شهوداً . فأكل لآدم ألف سنة وأكل لداود مائة سنة .

وروي مثل هذا عن جماعة ، منهم سعيد بن جبير ، وقال ابن عباس : كان عمر آدم تسعمائة سنة وستاً وثلاثين سنة . وأهل التوراة يزعمون أن عمر آدم تسعمائة سنة وثلاثون سنة ، والأخبار عن رسول الله والعلماء ما² ذكرنا ، ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أعلم الخلق³ .

وعلى رواية أبي هريرة التي فيها أن آدم وهب داود من عمره ستين سنة لم يكن كثير اختلاف بين الحديثين وما في التوراة من أن عمره كان تسعمائة وثلاثين سنة ، فلعلّ الله ذكر عمره في التوراة سوى ما وهبه لداود .

قال ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه قال : بلغني أن آدم حين مات بعث الله بكفنيه⁴ وحنوطه من الجنة ثم وليت الملائكة قبره وولدفنه حتى غيبوه .

1) زدّه من عمري S. 2) على ما S. 3) أعلم بالحق S. et C. P. 4) إليه بكفنه S.

١ (ذارٍ : سهل ذارياً ، من ذرأ الله الخلق : خلقهم) .

وروى أبي بن كعب عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أن آدم حين حضرته الوفاة بعث الله إليه بجنوطه وكفنه من الجنة، فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم، فقال: خلتي عني وعن رسل ربي، فما لقيت ما لقيت إلا منك. ولا أصابني ما أصابني إلا فيك. فلما قبض غسلوه بالسدر والماء وترأ وكفّنوه في وتر من الثياب ثم لحدوا له ودفنوه، ثم قالوا: هذه سنة ولد آدم من بعده.

قال ابن عباس: لما مات آدم قال شِيث لجبرائيل: صلّ عليه. فقال: تقدّم أنت فصلّ على أبيك. فكبر عليه ثلاثين تكبيرة، فأما خمس فهي الصلاة، وأما خمس وعشرون فتفضيلاً^١ لآدم.

وقيل: دُفن في غار في جبل أبي قبيس يقال له غار الكثر^٢. وقال ابن عباس: لما خرج نوح من السفينة دفن آدم ببيت المقدس.

وكانت وفاته يوم الجمعة، كما تقدّم، وذكر أن حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت فدُفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرت إلى وقت الطوفان، واستخرجهما نوح وجعلهما في تابوت ثم حملهما معه في السفينة، فلما غاضت الأرض الماء^٣ ردهما إلى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان، قال: وكانت حواء فيما ذكر قد غزلت ونسجت وعجنت وخبزت وعملت أعمال النساء كلها.

وإذ قد فرغنا من ذكر آدم وعدوه إبليس وذكر أخبارهما وما صنع الله

١ تفضيلاً.

٢ غار الكبر. (وفي باقوت: غار الكثر موضع في جبل أبي قبيس دفن فيه آدم كعبه فيما زعموا).

٣ فلما غاضت بالأرض الماء. (غاضت الأرض الماء: أي قصته).

بدوة إبليس حين تجبر وتكبر من تعجيل العقوبة وطفى وبغى من الطرد والإبعاد
والنظرة إلى يوم الدين ، وما صنع بآدم إذ أخطأ ونسي من تعجيل العقوبة له
ثمّ تغهده إياه بالرحمة إذ تاب من زلته ، فأرجع إلى ذكر قابيل وشيث ابني
آدم وأولادهما ، إن شاء الله .

ذكر شيث بن آدم ، عليه السلام

قد ذكرنا بعضَ أمره وأنه كان وصيَّ آدم في مخلفيه بعد مضيه لسبيله ، وما أنزل اللهُ عليه من الصحف . وقيل : إنه لم يزل مقيماً بمكة يحجّ ويعتمر إلى أن مات ، وإنه كان جمع ما أنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها ، وإنه بنى الكعبة بالحجارة والطين .

وأما السلفُ من علمائنا فإنهم قالوا : لم تزل القبة التي جعل اللهُ لآدم مكان البيت إلى أيام الطوفان فرفعها الله حين أرسل الطوفان . وقيل : إن شيثاً لما مرض أوصى إلى ابنه أنوش ومات فدفن مع أبويه بغار أبي قُبَيْس ؛ وكان مولده لمضي مائتي سنة وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم ، وقيل غير ذلك ، وقد تقدّم ، وكانت وفاته وقد أتت عليه تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة . وقام أنوش بن شيث بعد موت أبيه بسياسة الملك وتدبير مَنْ تحت يديه من رعيته مقام أبيه لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل ، فكان جميع عمر أنوش سبعمائة وخمس سنين ، وكان مولده بعد أن مضى من عمر أبيه شيث ستمائة سنة وخمس سنين ، وهذا قول أهل التوراة .

وقال ابن عباس : وُلد لشيث أنوش ووُلد معه نفر كثير ، وإليه أوصى شيث ، ثم وُلد لأنوش بن شيث ابنه قينان من أخته نعمة بنت شيث بعد مضى تسعين سنة من عمر أنوش ووُلد معه نفر كثير ، وإليه الوصية ، ووُلد قينان مهلائيل ونفراً كثيراً معه ، وإليه الوصية ، ووُلد مهلائيل يرْد ، وهو اليارد ،

ونقرأ معه ، وإليه الوصية ، فولد يردُ حنوخ¹ ، وهو إدريس النبي ، ونقرأ معه ،
وإليه الوصية ، وولد حنوخُ متوشلخ ونقرأ معه ، وإليه الوصية .

وأما التوراة ففيها أن مهلائيل وُلد بعد أن مضى من عمر آدم ، عليه
السلام ، ثلاثمائة وخمسين وتسعون سنة ، ومن عمر قينان سبعون ، وولد يرد
لمهلائيل بعدما مضى من عمر آدم أربعمئة سنة وستون سنة ، فكان على منهاج
أبيه ، غير ان الأحداث بدأت في زمانه .

.....
1) Variat scriptio jam اخنوخ et حنوخ

ذكر الأحداث التي كانت من لدن ملك شيث إلى أن ملك يرّد

ذُكر أن قابيل لما قتل هابيل وهرب من أبيه آدم إلى اليمن أتاه إبليس فقال له : إن هابيل إنما قُبل قربانه وأكلته النارُ لأنه كان يخدم النار ويعبدها ، فانصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك . فبنى بيت نار ، فهو أول من نصب النار وعبدها .

وقال ابن إسحاق : إن قيناً ، وهو قابيل ، نكح أخته أشوت¹ بنت آدم فولدت له رجلاً وامرأة : حنوخ بن قين وعذب بنت قين . فنكح حنوخ أخته عذب فولدت ثلاثة بنين وامرأة : غيرد ومحويل وأنوشيل² وموليث ابنة حنوخ ، فنكح أنوشيل² بن حنوخ أخته موليث وولدت له رجلاً اسمه لامك . فنكح لامك امرأتين اسم إحداهما عدى والأخرى صلى ، فولدت عدى بولس³ بن لامك ، فكان أول من سكن القباب واقتنى المال ، وتوبلين⁴ فكان أول من ضرب بالونج والصنج ، وولدت رجلاً اسمه توبلقين ، وكان أول من عمل النحاس والحديد ، وكان أولادهم فراعنة وجبابرة ، وكانوا قد أعطوا بسطة في الخلق . قال : ثم انقرض ولد قين ولم يتركوا عقباً إلا قليلاً ، وذرية آدم كلها جهلت أنسابهم وانقطع نسلهم إلا ما كان من شيث ، فمنه كان النسل ، وأنساب الناس اليوم كلهم إليه دون أبيه آدم ، ولم يذكر ابن

1) B. اشوت .

2) A. S. et B. وأنوشيل .

3) A. et P. فولدت له عدى بولين بن لامك . S. تولين .

4) C. P. تولين . B. et S. بولس .

إسحاق من أمر قابيل وولده إلا ما حكيتُ .

وقال غيره من أهل التوراة : إنَّ أوَّل مَنْ اتخذ الملاهي من ولد قابيل رجل يقال له ثوبال¹ بن قابيل ، اتخذها في زمان مهلائيل بن قينان ، اتخذ المزامير والطناير والطبول والعيدان والمعازف ، فأنهمك ولد قابيل في اللهو . وتناهى خبرهم إلى منْ بالجبل من ولد شيث ، فهم منهم مائة رجل بالتزول إليهم وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم . وبلغ ذلك يارد فوعظهم ونهاهم فلم يقبلوا ، ونزلوا إلى ولد قابيل فأعجبوا بما رأوا منهم ، فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت من آباءهم ، فلما أبطأوا ظنَّ منْ بالجبل ممن كان في نفسه زيغ أنهم أقاموا اغتباطاً ، فتسللوا ينزلون من الجبل ورأوا اللهو فأعجبهم ووافقوا نساء من ولد قابيل متشرعات إليهم وصرن معهم وأنهمكوا في الطغيان وفشت الفحشاء وشرب الخمر فيهم . وهذا القول غير بعيد من الحق ، وذلك أنه قد روي عن جماعة من سلف علمائنا المسلمين نحو منه . وإن لم يكونوا بينوا زمان منْ حدث ذلك في ملكه . إلا أنهم ذكروا أن ذلك كان فيما بين آدم ونوح : منهم ابن عباس أو مثله . ومثله روى الحكم بن عتيبة عن أبيه مع اختلاف قريب من القولين ، والله أعلم .

وأما نسابو الفرس فقد ذكرتُ ما قالوا في مهلائيل بن قينان وأنه هو أوشهنج الذي ملك الأقاليم السبعة . وبيئتُ قول منْ خالفهم . وقال هشام ابن الكلبي : إنه أوَّل منْ بنى البناء واستخرج المعادن وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد ، وبنى مدينتين كانتا أوَّل ما بُني على ظهر الأرض من المدائن ، وهما مدينة بابل ، وهي بالعراق ، ومدينة السُّوس بخوزستان ، وكان ملكه أربعين سنة .

1) يقال له ثوبال S. 1)

وقال غيره : هو أول من استنبط الحديد وعمل منه الأدوات للصناعات وقد رآ المياہ في مواضع المنافع وحضّ الناس على الزراعة واعتماد الأعمال² ، وأمر بقتل السباع الضارية واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش ، وبذبح البقر والغنم والوحش وأكل لحومها ، وإنه بنى مدينة الريّ ، قالوا : وهي أول مدينة بُنيت بعد مدينة جيومرث التي كان يسكنها بدُنباوند ، وقالوا : إنه أول من وضع الأحكام والحدود . وكان ملقباً بذلك يُدعى بيشداد ، ومعناه بالفارسية أول من حكم بالعدل ، وذلك أن بيش معناه أول ، وداد معناه عدل وقضى . وهو أول من استخدم الجوارى وأول من قطع الشجر وجعله في البناء ، وذكروا أنه نزل الهند وتنقل في البلاد وعقد على رأسه تاجاً ، وذكروا أنه قهر إبليس وجنوده ومنعهم الاختلاط بالناس وتوعدّهم على ذلك وقتل مردّتهم ، فهربوا من خوفه إلى المفاوز والجبال ، فلما مات عادوا .

وقيل : إنه سمى شرار الناس شياطين واستخدمهم ، وملك الأقاليم كلها . وإنه كان بين مولد أوشهنج وموت جيومرث مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة .

(عُنَيْبَة بالعين ، وبعدها تاء فوقها نقطتان ، وياء تحتها نقطتان ، وباء موحدة) .

1) وقرر C. P.

2) واعتماد الأعمال S.

ذكر يرد

وقيل يارد بن مهلائيل أمه خالته¹ سمعن¹ ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ ابن قين بن آدم ، وُلد بعدما مضى من عمر آدم أربعمئة سنة وستون سنة ، وفي أيامه عملت الأصنام وعاد من عاد عن الإسلام . ثم نكح يرد ، في قول ابن إسحاق ، وهو ابن مائة واثنين وستين سنة ، بركتا² ابنة الدرمسيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم ، فولدت له حنوخ ، وهو إدريس النبي . فكان أول بني آدم أعطي النبوة وخط بالقلم ، وأول من نظر في علوم النجوم والحساب . وحكماء اليونانيين يسمونه هيرميس الحكيم ، وهو عظيم عندهم ، فعاش يرد بعد مولد إدريس ثمانمئة سنة ، وولد له بنون وبنات ، فكان عمره تسعمائة سنة واثنين وستين سنة . وقيل : أنزل على إدريس ثلاثون صحيفة ، وهو أول من جاهد في سبيل الله وقطع الثياب وخاطها . وأول من سبى من يولد قابيل بن آدم فاسترق منهم . وكان وصي والده يرد فيما كان آباؤه وصوا به إليه وفيما أوصى بعضهم بعضاً ، وتوفي آدم بعد أن مضى من عمر إدريس ثلاثمئة وثمانين سنة³ ، ودعا إدريس قومه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله تعالى ومعصية الشيطان وأن لا يلبسوا ولد قابيل ، فلم يقبلوا منه .

1) A. سقن .

2) B. بركتا .

3) B. وستين سنة .

١ (لعل لفظة خالته زائدة ، فبحذفها يستقيم المعنى . وفي الطبري : ونكح مهلائيل ابن قينان . . . خالته سمعن ابنة براكيل . . . فولدت له يرد بن مهلائيل) .
٢ (ورد في الطبري : بركتا) .

قال : وفي التوراة أن الله رفع إدريس بعد ثلاثمائة سنة وخمس وستين سنة من عمره ، وبعد أن مضى من عمر أبيه خمسمائة سنة وسبع وعشرون سنة ، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسة وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنين وستين سنة .

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذرٍّ من الرسل أربعة سريانئون : آدم وشيث [ونوح] وحنوخ ، وهو أول من خط بالقلم ، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة . وقيل : إن الله أرسله إلى جميع أهل الأرض في زمانه ، وجمع له علم الماضين وزاده ثلاثين صحيفة . وقال بعضهم : ملك بيوراسب في عهد إدريس ، وكان قد وقع عليه^١ من كلام آدم ، فاتخذة سحراً ، وكان بيوراسب يعمل به .

(يارد بياء معجمة باثنتين من تحتها ، وراء مهملة ، وذال معجمة^١ . وحنوخ بحاء مهملة مفتوحة ، ونون بعدها واو ، وخاء معجمة ، وقيل : بخائين معجمتين) .

.. وقع إليه S. 1)

١ (ورد في النص : يارد بدال مهملة ، وكلذك في الطبري) .

ذكر ملك طهمورث

زعمت الفرس أنه ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويونجهان¹ ،
يعني خير أهل الأرض ، ابن حبايداد² بن أوشهنج ، وقيل في نسبه غير ذلك ،
وزعم الفرس أيضاً أنه ملك الأقاليم السبعة وعقد على رأسه تاجاً ، وكان
محموداً في ملكه مشفقاً على رعيته ، وأنه ابني سابور من فارس ونزلها وتنقل
في البلدان ، وأنه وثب بإبليس حتى ركب فطاف عليه في أداني الأرض وأقاصيها ،
وأفرعه ومردته حتى تفرقوا ، وكان أول من اتخذ الصوف والشعر للبس والفرش ،
وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير ، وأمر باتخاذ الكلاب
لحفظ المواشي وغيرها ، وأخذ الجوارح للصيد ، وكتب بالفارسية ، وأن
يوراسب ظهر في أول سنة من ملكه ودعا إلى ملة الصابئين .

كذا قال أبو جعفر وغيره من العلماء : إنه ركب إبليس وطاف عليه ،
والعهدة عليهم ، وإنما نحن نقلنا ما قالوه .

قال ابن الكلبي : أول ملوك الأرض من بابل طهمورث ، وكان لله مطيعاً ،
وكان ملكه أربعين سنة ، وهو أول من كتب بالفارسية ، وفي أيامه عُبِدت
الأصنام ، وأول ما عُرِف الصوم في ملكه . وسببه أن قوماً فقراء تعذّر عليهم
القوت فأمسكوا نهاراً وأكلوا ليلاً ما يمسك رمقهم ، ثم اعتقلوه تقريباً إلى الله
وجاءت الشرائع به .

1) وترىجهان B .

2) ابن حبايداد S ; ابن حبايداد A. et B .

ذكر حنوخ وهو إدريس ، عليه السلام

ثم نكح حنوخ بن يرد هدانة¹ ، وتقال اذاعة ، ابنة باويل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن خمس وستين سنة ، فولدت له متوشلخ بن حنوخ ، فعاش بعدما ولد متوشلخ ثلاثمائة سنة ، ثم رُفِع واستخلفه² حنوخ على أمر ولده وأمر الله وأوصاه وأهل بيته قبل أن يُرْفَع وأعلمهم أن الله سوف يعذب ولد قابيل³ ومن خالطهم ، ونهاهم عن مخالطهم ، وإنه كان أول من ركب الخيل لأنه سلك رسم أبيه حنوخ في الجهاد ، ثم نكح متوشلخ عرباً⁴ ابنة عزازيل⁵ بن أنوشيل بن حنوخ بن قين ، وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين⁶ سنة ، فولدت له لَمَك بن متوشلخ ، فعاش بعدما وُلد له ملك سبع مائة سنة ، ووُلد له بنون وبنات ، فكان كلُّ ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وسبعاً وعشرين⁷ سنة ثم مات وأوصى إلى ابنه ملك ، فكان ملك يعظ قومه وينهاهم عن مخالطة ولد قابيل ، فلم يقبلوا حتى نزل إليهم جميع من كان معهم في الجبل .

وقيل : كان لتوشلخ ابن آخر غير ملك يقال له صابي ، وبه سُمِّي الصابئون .
(قلتُ : محويل بجاء مهملة ، ويا معجمة باثنتين من تحت . وقين بقاف ، ويا معجمة باثنتين من تحت . ومتوشلخ بفتح الميم ، وبالطاء المعجمة باثنتين من فوق ، وبالشين المعجمة ، وبجاء مهملة ، وقيل خاء معجمة) .

1) B. هداية .

2) C. P. واستعمله .

3) A. قايين .

4) B. عزاً .

5) S. ابنة عزرايل .

6) B. وثمانون .

7) A. S. et B. ٩١٩

ونكح ملك بن متوشلخ قينوش¹ ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين ، وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة ، فولدت له نوح بن ملك ، وهو النبي ، فعاش ملك بعد مولد نوح خمسمائة سنة وخمسا وتسعين سنة وولد له بنون وبنات ثم مات . ونكح نوح بن ملك عزرة بنت براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين ، وهو ابن خمسمائة سنة ، فولدت له ولده ساماً وحاماً ويافث بني نوح ، وكان مولد نوح بعد موت آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ، ولما أدرك قال له أبوه ملك : قد علمت أنه لم يبق في هذا الجبل غيرنا فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة . وكان نوح يدعو قومه ويعظهم فيستخفون به .

وقيل : كان نوح في عهد بيوراسب وكانوا قومه فدعاهم إلى الله تسعمائة وخمسين سنة كلما مضى قرن اتبعهم² قرن على ملة واحدة من الكفر حتى أنزل الله عليهم العذاب .

وقال ابن عباس فيما رواه ابن الكلبي عن أبي صالح عنه : فولد ملك نوحاً ، وكان له يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ، ولم يكن في ذلك الزمان أحد ينهي عن منكر ، فبعث الله إليهم نوحاً وهو ابن أربع مائة³ وثمانين سنة فدعاهم مائة وعشرين سنة ثم أمره الله بصنعة الفلك فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ثم مكث من بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة .

وروي عن جماعة من السلف أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على ملة الحق ، وأن الكفر بالله حدث في القرن الذي بعث فيه إليهم نوح ، فأرسله الله ، وهو أول نبي بعث بالإنذار والدعاء إلى التوحيد ؛ وهو قول ابن عباس وقتادة .

1) A. et B. قينوش .

2) A. اتهم .

3) C. P . ١٨٠ .

ذكر ملك جمشيد

وأما علماء الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد طهمورث جم شيدا¹ ، والشيد عندهم الشعاع ، وجم القمر ، لقبوه بذلك لجماله ، وهو جم بن ويونجهان ، وهو أخو طهمورث ، وقيل : إنه ملك الأقاليم السبعة وسخر له ما فيها من الجن والإنس ، وعقد التاج على رأسه ، وأمر لسنة مضت من ملكه إلى خمسين سنة بعمل السيوف والدروع وسائر الأسلحة وآلة الصنّاع من الحديد ، ومن سنة خمسين من ملكه إلى سنة مائة بعمل الإبريسم وغزله والقطن والكتان وكل ما استطاع غزله وحيآكة ذلك وصبغه ألواناً ولبسه ، ومن سنة مائة إلى سنة خمسين ومائة صنف الناس أربع طبقات : طبقة مقاتلة ، وطبقة فقهاء ، وطبقة كتّاب وصنّاع ، وطبقة حرّاثين ، واتخذ منهم خدماً ، ووضع لكلّ أمر خاتماً مخصوصاً به ، فكتب على خاتم الحرب : الرفق والمداراة ، وعلى خاتم الحراج : العمارة والعدل ، وعلى خاتم البريد والرسول : الصدق والأمانة ، وعلى خاتم المظالم : السياسة والانتصاف ، وبقيت رسوم تلك الخواتيم حتى محآها الإسلام .

ومن سنة مائة وخمسين إلى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين وأذلّهم وقهرهم وسخروا له ، ومن سنة خمسين ومائتين إلى سنة ستّ عشرة وثلاثمائة² وكتل الشياطين بقطع الأحجار والصخور من الجبال وعمل الرخام والجصّ والكلس والبناء بذلك الحمّامات والنقل من البحار والجبال والمعادن والذهب

1) جم الشيد . A .

2) A. et B. ٣١٠٠ .

والفضة وسائر ما يذاب من الجواهر وأنواع الطيب والأدوية ، فنفذوا في ذلك بأمره ، ثم أمر فصنعت له عجلة من الزجاج ، فأصفا¹ فيها الشياطين وركبها وأقبل عليها في الهواء من دُنباوند إلى بابل في يوم واحد ، وهو يوم هرمزروز وافروز دين ماه¹ ، فاتخذ الناس ذلك اليوم عيداً وخمسة أيام بعده . وكتب إلى الناس في اليوم السادس يخبرهم أنه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله ، فكان من جزائه إتياء عليها أنه قد جنبهم الحرّ والبرد والأسقام والهرم والحسد ، فمكث الناس ثلاثمائة سنة بعد الثلاثمائة والست عشرة سنة لا يصيبهم شيء مما ذكر .

ثم بنى قنطرة على دجلة فبقيت دهرأ طويلاً حتى خربها الإسكندر ، وأراد الملوك عمل مثلها فعجزوا فعدلوا إلى عمل الجسور من الخشب . ثم إن جمماً بطر نعمة الله عليه وجمع الإنس والجن والشياطين وأخبرهم أنه وليهم ومانعهم بقوته من الأسقام والهرم والموت . وتمادى في غيّه . فلم يجر أحد منهم جواباً . وفقد مكانه بهاءه وعزّه² وتخلت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره . فأحس بذلك بيوراسب الذي تسمى الضحك فابتدر إلى جم لينتهسه³ ، فهرب منه . ثم ظفر به بعد ذلك بيوراسب فاستطرد امعاه وأثره بمشاز⁴ . وقيل : إنه ادعى الربوبية فوثب عليه أخوه ليقتله ، واسمه اسفتور⁵ ، فتواري عنه مائة سنة . فخرج عليه في تواريه² بيوراسب فغلبه على ملكه .

1) S. نصعد .

2) S. مكانه ونهايه وعزّه .

3) C. P. لينتهسه ; B. لينهيه . S. لشه .

4) C. P. A. et S. ونشر بمشاز .

5) A. اسفتور ; B. et S. اسفتور .

١ (ورد في الطبري : هرمز أز فروردين ماه) .

٢ تواريته .

وقيل : كان ملكه سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر .

قلتُ : وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاماً بعد أن كنا عازمين على تركه لما فيه من الأشياء التي تمجتها الأسماعُ وتأباها العقولُ والطباع ، فإنها من خرافات الفرس مع أشياء أخر قد تقدمت قبلها ، وإنما ذكرناها ليُعلمَ جهلُ الفرس ، فإنهم كثيراً ما يشنعون على العرب بجهلهم وما بلغوا هذا ؛ ولأننا لو كنا تركنا هذا الفصل لخلا من شيء نذكره من أخبارهم .

ذكر الأحداث التي كانت في زمن نوح عليه السلام

قد اختلف العلماء في ديانة القوم الذين أرسل إليهم نوح ، فمنهم من قال إنهم كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله تعالى من ركوب الفواحش والكفر وشرب الخمر والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله . ومنهم من قال : إنهم كانوا أهل طاعة . وبيوراسب أول من أظهر القول بمذهب الصابئين وتبعه على ذلك الذين أرسل إليهم نوح ، وسنذكر أخبار بيوراسب فيما بعد .

وأما كتاب الله ، قال : فينطقُ بأنهم أهل أوثانٍ ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۗ ۱ ﴾ .

قلت^١ : لا تناقض بين هذه الأقاويل الثلاثة ، فإن القول الحق الذي لا يشك فيه هو أنهم كانوا أهل أوثان يعبدونها ، كما نطق به القرآن ، وهو مذهب طائفة من الصابئين ، فإن أصل مذهب الصابئين عبادة الروحانيين ، وهم الملائكة لتقربهم إلى الله تعالى زلفى ، فإنهم اعترفوا بصانع العالم وأنه حكيم قادر مقدس ، إلا أنهم قالوا الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى معرفة جلاله وإنما نتقرب إليه بالوسائط المقربة لديه ، وهم الروحانيون ،

1) Cor. 71, vs. 23, 24.

وحيث لم يعينوا الروحانيين تقربوا إليهم بالهياكل ، وهي الكواكب السبعة
السيارة لأن: مديرة لهذا العالم عندهم ، ثم ذهبت طائفة منهم ، وهم أصحاب
الأشخاص ، حيث رأوا أن الهياكل تطلع وتغرب وتُرى ليلاً ولا تُرى
نهاراً ، إلى وضع الأصنام لتكون نصب أعينهم ليتوسلوا بها إلى الهياكل ،
والهياكل إلى الروحانيين ، والروحانيون إلى صانع العالم ، فهذا كان أصل
وضع الأصنام أولاً ، وقد كان أخيراً في العرب من هو على هذا الاعتقاد ،
وقال تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^١ . فقد
حصل من عبادة الأصنام مذهب الصابئين والكفر والفواحش وغير ذلك من
المعاصي .

فلما تمادى قوم نوح علي كفرهم وعصيانهم بعث الله إليهم نوحاً
يحدّثهم بأسه ونقمته ويدعوهم إلى التوبة والرجوع إلى الحق والعمل بما أمر
الله تعالى ، وأرسل نوح ، وهو ابن خمسين سنة ، فلبث فيهم ألف سنة إلا
خمسين عاماً .

وقال عون بن أبي شدّاد : إن الله تعالى أرسل نوحاً وهو ابن ثلاثمائة
وخمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ثم عاش بعد ذلك ثلاثمائة
وخمسين سنة ، وقيل غير ذلك ، وقد تقدّم .

قال ابن إسحاق وغيره : إن قوم نوح كانوا يبطشون به فيختقونه حتى
يُغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لي ولقومي فإنهم لا يعلمون ! حتى

1) Cor. 39, vs. 3.

١ فلماذا .

٢ فيختقون .

إذا تمادوا في معصيتهم وعظمت منهم الخطيئة وتطاول عليه وعليهم الشأنُ
اشتدَّ عليه البلاء وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتي قرن إلاَّ كان أخبث من الذي
كان قبله حتى إن كان الآخر ليقول : قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنوناً
لا يقبلون منه شيئاً ، وكان يُضرب ويُلْف ويُلْقَى في بيته ، يرون أنه قد مات ،
فإذا أفاق اغتسل وخرج إليهم يدعوهم إلى الله ، فلما طال ذلك عليه ورأى
الأولادَ شرّاً من الآباء قال : ربّ قد ترى ما يفعل بي عبادك ، فإن تكُ لك
فيهم حاجة فاهدِهِم ، وإن يكُ غير ذلك فصيرني إلى أن تحكم فيهم . فأوحى
إليه : إنه لن يؤمن من قومك إلاَّ من قد آمن ، فلما يشس من إيمانهم دعا عليهم
فقال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾^١ ، إلى آخر
القصة . فلما شكَا إلى الله واستنصره عليهم ، أوحى الله إليه أن : ﴿ اصْنَعِ
الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ
مُغْرَقُونَ ﴾^٢ . فأقبل نوح على عمل الفلك ولها عن دعاء قومه وجعل يبيئ
عتاد^٣ الفلك من الخشب والحديد والقار وغيرها مما لا يصلحه سواه ، وجعل
قومه يمرّون به وهو في عمله فيسخرّون منه ، فيقول : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا
مِنَا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ . فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^٤ .
قال : ويقولون : يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ! وأعقم الله أرحامَ
النساء فلا يولد لهم ، وصنع الفلك من خشب الساج وأمره أن يجعل طوله
ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً وطوله في السماء^٥ ثلاثين ذراعاً . وقال

1) Cor. 11 , vs. 37.

2) B. عماد .

3) Cor. 11 , vss. 38 , 39.

4) C. P. ارتفاعه .

5) طولها ستائة S .

١ (سورة نوح ٧١ ، الآية ٢٦) .

٢ تسخرون منافسوف .

قناة : كان طولها ثلاثمائة ذراع ، وعرضها خمسين ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً . وقال الحسن : كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، والله أعلم .

وأمر نوحاً أن يجعله ثلاث طبقات : سفلى ووسطى وعليا ، ففعل نوح كما أمره الله تعالى ، حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾¹ ، وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه . فلما فار التنور ، وكان فيما قيل من حجارة كان لحواء . وقال ابن عباس : كان ذلك تنوراً من أرض الهند . وقال مجاهد والشعبي : كان التنور بأرض الكوفة ، وأخبرته زوجته بفوران الماء من التنور ، وأمر الله جبرائيل فرفع الكعبة إلى السماء الرابعة ، وكانت من ياقوت الجنة ، كما ذكرناه ، ونجياً الحجر الأسود بجبل أبي قبيس ، فبقي فيه إلى أن بنى إبراهيم البيت فأخذه فجعله موضعه . ولما فار التنور حمل نوح من أمر الله بحمله ، وكانوا أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث ونساءهم وستة أناسي ، فكانوا مع نوح [ثلاثة] عشر .

وقال ابن عباس : كان في السفينة ثمانون رجلاً ، أحدهم جرهم ، كلهم بنو شيث . وقال قتادة : كانوا ثمانية أنفس : نوح وامرأته وثلاثة بنوه ونساءهم . وقال الأعمش : كانوا سبعة ، ولم يذكر فيهم زوج نوح . وحمل معه جسد آدم ثم أدخل ما أمر الله به من الدواب ، وتخلّف عنه ابنه يام ، وكان كافراً² ،

1) Cor. 11, vs. 40.

2) B. et S. add. قال ابن عباس .

وكان آخر من دخل السفينة الحمار ، فلما دخل صدره تعلق إبليس بذنبه فلم ترتفع رجلاه ، فجعل نوح يأمره بالدخول فلا يستطيع حتى قال : ادخل وإن كان الشيطان معك . فقال كلمة زلت على لسانه ، فلما قالها دخل الشيطان معه ، فقال له نوح : ما أدخلك يا عدو الله ؟ فقال : ألم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك ؟ فتركه . ولما أمر نوح بإدخال الحيوان السفينة قال : أي رب كيف أصنع بالأسد والبقرة ؟ وكيف أصنع بالعنق والذئب والطير والهر ؟ قال : الذي ألقى بينها العداوة هو يؤلف بينها . فألقى الحمى على الأسد وشغله بنفسه ، ولذلك قيل :

وَمَا الْكَلْبُ مَحْمُومًا وَإِنْ طَالَ عَمْرُهُ^١ وَلَكِنَّمَا الْحُمَى عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ

وجعل نوح الطير في الطبق الأسفل من السفينة ، وجعل الوحش في الطبق الأوسط ، وركب هو ومن معه من بني آدم في الطبق الأعلى . فلما اطمأن نوح في الفلك وأدخل فيه كل من أمر به . وكان ذلك بعد ستمائة سنة من عمره في قول بعضهم ، وفي قول بعضهم ما ذكرناه ، وحمل معه من حمل ، جاء الماء كما قال الله تعالى : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾^١ . فكان بين أن أرسل الماء وبين أن احتل الماء الفلك أربعون يوماً وأربعون ليلة ، وكثر واشتد وارتفع وطمى ، وغطى نوح عليه وعلى من معه طبق السفينة ، وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه الذي هلك ،

1) Cor. 54, vss. 11, 12.

وكان في معزل : ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾^١
 وكان كافراً ، ﴿ قَالَ : سَأْوِي إِلَى جِبَلٍ يَنْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾^٢ ،
 وكان عهد الجبال وهي حرز وملجأ . فقال نوح : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ
 أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ، وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾^٣ .
 وعلا الماء على رؤوس الجبال ، فكان على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر
 ذراعاً ، فهلك ما على وجه الأرض من حيوان ونبات ، فلم يبق إلا نوح
 ومن معه وإلا عوج بن عنق^٤ ، فيما زعم أهل التوراة ، وكان بين إرسال
 الماء وبين أن غاض ستة أشهر وعشر ليال .

قال ابن عباس : أرسل الله المطر أربعين يوماً ، فأقبلت الوحش حين
 أصابها المطر والطين^١ إلى نوح وسُخِرَتْ له ، فحمل منها كما أمره الله ،
 فركبوا فيها لعشر ليال مضين من رجب ، وكان ذلك لثلاث عشرة خلت من آب ،
 وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرم ، فلذلك صام من صام يوم عاشوراء .
 وكان الماء نصفين : نصف من السماء ونصف من الأرض ، وطافت السفينة
 بالأرض كلها لا تستقر حتى أتت الحرم فلم تدخله . ودارت بالحرم أسبوعاً
 ثم ذهبت في الأرض تسير بهم حتى انتهت إلى الجودي ، وهو جبل بقردي
 بأرض الموصل ، فاستقرت عليه ، فقبل عند ذلك : ﴿ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^٢ ،

١ . والطين B . ١)

١ ولا تكن من الكافرين . (سورة هود ١١ ، الآية ٤٢) .

٢ (سورة هود ١١ ، الآية ٤٣) .

٣ أعنق .

٤ (سورة هود ١١ ، الآية ٤٤) .

ولما استقرت قيل : ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ، وَغِيضَ الْمَاءِ ﴾^١ ، نشفته الأرض ، وأقام نوح في الفلّك إلى أن غاض الماء ، فلما خرج منها اتخذ بناحية من قرْدَى من أرض الجزيرة موضعاً وابتنى قريةً سمّوها ثمانين ، وهي الآن تسمى بسوق الثمانين لأنّ كلّ واحد ممّن معه بنى لنفسه بيتاً ، وكانوا ثمانين رجلاً .

قال بعض أهل التوراة : لم يولد لنوح إلاّ بعد الطوفان ، وقيل : إن ساماً وُلد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة ، وقيل : إن اسم ولده الذي أغرق كان كنعان وهو يام .

وأما المجوس فإنهم لا يعرفون الطوفان ويقولون لم يزل الملك فينا من عهد جيومرث ، وهو آدم ، قالوا : ولو كان كذلك لكان نسب القوم قد انقطع وملكهم قد اضمحلّ ، وكان بعضهم يقرّ بالطوفان ويزعم أنّه كان في إقليم بابل وما قرب منه ، وأنّ مساكن ولد جيومرث كانت بالمشرق فلم يصل ذلك إليهم ، وقول الله تعالى أصدق في أن ذريّة نوح هم الباقون فلم يعقب أحد ممّن كان معه في السفينة غير ولده سام وحام ويافت .

ولما حضرت نوحاً الوفاة قيل له : كيف رأيت الدنيا ؟ قال : كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر . وأوصى إلى ابنه سام وكان أكبر ولده .

١ (سورة هود ١١ ، الآية ٤٤) .

ذكر بيوراسب وهو الازدهاق الذي يسميه العرب¹ الضحّاك²

وأهلُ اليمنُ يدعونُ أنّ الضحّاك منهم ، وأنه أوّلُ الفراعنة ، وكان ملكَ مصرَ لما قدمها إبراهيم الخليل ، والفرس تذكر أنه منهم وتنسب إليهم وأنه بيوراسب بن أرونداسب³ بن رينكار³ بن وندريشتك بن يارين بن فروال⁴ بن سيامك بن ميثي بن جيومرث⁵ ، ومنهم من ينسبه غير هذه النسبة ، وزعم أهلُ الأخبار أنه ملك الأقاليم السبعة ، وأنه كان ساحراً فاجراً .

قال هشام بن الكلبي : ملك الضحّاك بعد جم فيما يزعمون ، والله أعلم ، ألف سنة ، ونزل السواد في قرية يقال لها برّس في ناحية طريق الكوفة ، وملك الأرض كلها ، وسار بالبحر والعسف ، وبسط يده في القتل ، وكان أوّل من سنّ الصّلب والقطع⁶ ، وأوّل من وضع العُشور وضرب الدراهم ، وأوّل من تغنى وغنى له . قال : وبلغنا أنّ الضحّاك هو نمروذ ، وأنّ إبراهيم ، عليه السلام ، وُلد في زمانه ، وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه . وتزعم الفرس أنّ الملك لم يكن إلاّ للبطن الذي منه أوْشهنج وجّم وطهنمورث ، وأنّ الضحّاك كان غاصباً ، وأنه غضب⁷ أهل الأرض بسحره وخبثه وهول عليهم بالحيتّين اللتين كانتا على منكبيه .

1) C. P. et S. والعرب تنقله وتعرّبه وتسميه الضحّاك . 2) S. الضحّاك وملك أفريدون .

3) B. زينكار . 4) B. سيامك : et post فزوال .

5) C. P. pro his nominibus tantummodo habet. ارونْداسب .

6) A. et B. والقتل . 7) S. وأنه غضب .

وقال كثير من أهل الكتب : إن الذي كان على منكبيه كان لحمتين طويلتين كل^١ واحدة منهما كراس الثعبان ، وكان يسترهما بالثياب ، ويذكر على طريق التهويل أنهما حيثان تقتضيانه الطعام ، وكانتا تتحركان تحت ثوبه إذا جاعتا ، ولقي الناس^٢ منه جهداً شديداً ، وذبح الصبيان لأن اللحمين اللتين كانتا على منكبيه كانتا تضطربان فإذا طلاههما بدماع إنسان سكنتا ، فكان يذبح كل يوم رجلين ، فلم يزل الناس كذلك حتى إذا أراد الله هلاكه وثب رجل من العامة من أهل أصبهان يقال له كابي^١ بسبب ابنتين له أخذهما أصحاب بيوراسب بسبب اللحمين اللتين على منكبيه ، وأخذ كابي عصاً كانت بيده فعلق بطرفها جراباً كان معه ثم نصب ذلك كالعلم ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب ومحاربه . فأسرع إلى إجابته خلق كثير لما كانوا فيه من البلاء وفنون الجور . فلما غلب كابي تفاعل الناس^٢ بذلك العلم فعظموه وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم علمهم الأكبر الذي يتبركون به وسموه درفش^٢ كايان ، فكانوا لا يسيرونه إلا في الأمور الكبار العظام ، ولا يرفع إلا لأولاد الملوك إذا وُجِّهوا في الأمور الكبار .

وكان من خبر كابي أنه من أهل أصبهان ، فثار بمن اتبعه ، فالتفت الخلائق إليه . فلما أشرف على الضحاك قذف في قلب الضحاك منه الرعب فهرب عن منزله وختى مكانه . فاجتمع الأعجام^٢ إلى كابي ، فأعلمهم أنه لا يتعرض للملك لأنه ليس من أهله ، وأمرهم أن يملكوا بعض ولد جَم لأنه ابن الملك أوْشَهَنْق الأكبر بن فروال^٢ الذي رسم الملك وسبق في القيام به . وكان أفريدون

1) S. لكل .

2) B. قزوال .

١ (بالفارسية : كاوه) .

٢ (معناها العلم) .

ابن أنغيان¹ مستخفياً من الضحكك ، فوافى كابي ومن معه ، فاستبشروا بموافاته² فمئكوه ، وصار كابي والوجوه لأفريدون أعواناً على أمره . فلما ملك وأحكم ما احتاج إليه من أمر الملك احتوى على منازل الضحكك وسار في أثره فأسره بدُنباوند³ في جبالها .

وبعض المجوس تزعم أنه وكل به قوماً من الجن ، وبعضهم يقول : إنه لقي سليمان بن داود ، وحبسه سليمان في جبل دنباوند ، وكان ذلك الزمان بالشام ، فما برح بيوراسب بحبسه بجره حتى حمله إلى خراسان . فلما عرف سليمان ذلك أمر الجن فأوثقوه حتى لا يزول وعملوا عليه طليساً كرجلين يدقان باب الغار الذي حبس فيه أبداً لئلا يخرج ، فإنه عندهم لا يموت . وهذا أيضاً من أكاذيب الفرس الباردة ، ولهم فيه أكاذيب أعجب من هذا تركنا ذكرها .

وبعض الفرس يزعم أن أفريدون قتله يوم النيروز . فقال العجم عند قتله : لِمَرُوز نَورُوز¹ ، أي استقبلنا الدهر بيوم جديد . فاتخذوه عيداً . وكان أسره يوم المهرجان ، فقال العجم : آمَدُ مَهرَجان لقتل من كان يتذبح . وزعموا أنهم لم يسمعوا في أمور الضحكك بشيء يستحسن غير شيء واحد . وهو أن بليته لما اشتدت ودام جوره وتراسل الوجوه في أمره فأجمعوا على المصير إلى بابه فوافاه الوجوه ، فاتفقوا على أن يدخل عليه كابي الأصبهاني ، فدخل عليه ولم يسلم ، فقال : أيتها الملك أي السلام أسلم عليك ؟ سلام من يملك الأقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الإقليم ؟ فقال : بل سلام من يملك الأقاليم ، لأنني

1) B. القيان .

2) B. بوفاته .

3) B. et S. ubique .

4) S. الأقاليم كلها .

1) (لِمَرُوز بمعنى اليوم ونوروز أي يوم جديد وهو عيد رأس السنة عند الفرس) .

ملك الأرض . فقال كابي : إذ كنت تملك الأقاليم كلها فلم خصصتنا بأثقالك وأسبابك¹ من بينهم ولم لا تقسم الأمور بيننا وبينهم ؟ وعدد عليه أشياء كثيرة ، فصدقه ، فعمل كلامه في الضحك ، فأقر بالإساءة وتآلف القوم ووعدهم بما يحبون وأمرهم بالانصراف ليعودوا ويقضي حوائجهم ثم ينصرفوا إلى بلادهم .

وكانت أمه حاضرة تسمع معابرتهم ، وكانت شراً منه² ، فلما خرج القوم دخلت مغتظة من احتماله وحلمه عنهم فوبخته وقالت له : ألا أهلكتهم وقطعت أيديهم ؟ فلما أكثرت عليه قال لها : يا هذه لا تفكري في شيء إلا وقد سبقت إليه ، إلا أن القوم بدهوني³ بالحق وقرعوني به ، فكلما هممت بهم تخيل لي الحق بمنزلة الجبل بيني وبينهم فما أمكنتي فيهم شيء . ثم جلس لأهل النواحي فوفى لهم بما وعدهم وقضى أكثر حوائجهم .

وقال بعضهم : كان ملكه ستمائة سنة⁴ . وكان عمره ألف سنة ، وإنه كان في باقي عمره شبيهاً بالملك لقدرته ونفوذ أمره ، وقيل : كان ملكه ألف سنة ومائة سنة .

وإنما ذكرنا خبر بيوراسب هاهنا لأن بعضهم يزعم أن نوحاً كان في زمانه ، وإنما أرسل إليه وإلى أهل مملكته . وقيل : إنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة صور ومدينة دمشق .

1) A. B. وأسبابك .

2) شر أم .

3) بيثوني .

4) ألف سنة ومائة سنة .

ذكر ذرية نوح ، عليه السلام

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾¹ ؛ إنهم سام وحام ويافث . وقال وهب بن منبه : إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم ، وإن حاماً أبو السودان ، وإن يافث أبو الترك وبأجوج ومأجوج . وقيل : إن القبط من ولد قوط بن حام ، وإنما كان السواد في نسل حام لأن نوحاً نام فانكشفت سواته فرآها حام فلم يغطها ورآها سام ويافث فألقيا عليه ثوباً ، فلما استيقظ علم ما صنع حام وإخوته فدعا عليهم .

قال ابن إسحاق : فكانت امرأة سام بن نوح صلب ابنة بتاويل بن محويل ابن حانوخ بن قين بن آدم فولدت له نفراً : أرفخشذ² واسود³ ولاود³ وإرم . قال : ولا أدري إرم لأم أرفخشذ وإخوته أم لا . فمن ولد لاود بن سام فارس وجرجان وطسم وعمليق ، وهو أبو العماليق ، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ، والفراعنة بمصر ، وكان أهل البحرين وعمان منهم ويسمّون جاشم⁴ . وكان منهم بنو أميم بن لاود أهل وبار بأرض الرمل ، وهي بين اليمامة والشحر ، وكانوا قد كثروا فأصابتهم نقمة من الله من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية ، وهم الذين يقال لهم النسناس⁵ ، وكان طسم ساكني اليمامة إلى البحرين ، فكانت طسم والعماليق وأميم وجاشم⁴ قوماً عرباً لسانهم عربي . ولحقت عييل بيثرب قبل أن تُبنى . ولحقت العماليق بصنعاء قبل أن

1) Cor. 37, vs. 77.

2) S. واشود .

3) B. semper: ولاود .

4) B. جاهم .

5) A. et B. sine articulo.

تسمى صنعاء . وانحدر بعضهم إلى يثرب فأخرجوا منها عبيلاً فترلوا مواسع الجُحفة ، فأقبل سبيل فاجتحفهم ، أي أهلكهم ، فسُميت الجُحفة .

قال : ووَلدَ إرم بن سام عوضاً¹ وغائراً وحويلاً ، فولدَ عوض غائراً وعاداً وعبيلاً ، وولدَ غائر بن إرم ثمودَ وجدِيساً ، وكانوا عرباً يتكلمون بهذا اللسان المصري¹ . وكانت العرب تقول² لهذه الأمم ولجُرهُم العرب العاربة . ويقولون لبني إسماعيل العرب المتعربة لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم . فكانت عاد بهذا الرمل إلى حضرموت . وكانت ثمود بالحِجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى . ولحقت جديس بطسّم وكانوا معهم باليمامة إلى البحرين ، واسم اليمامة إذ ذاك بَوّ . وسكنت جاشم³ عُمان . والنَّبَط من ولد نبيط بن ماش بن إرم بن سام . والفرس بنو فارس بن تيرش⁴ بن ماسور بن سام .

قال : ووَلدَ لأرفخشذ بن سام ابنه قينان ، كان⁵ ساحراً ، ووَلدَ لقينان شالغ بن⁶ أرفخشذ من غير ذكر قينان لما ذُكر من سحره . ووَلدَ لشالغ غابراً ، ولغابر فالغ ، ومعناه القاسم ، لأنّ الأرض قُسمت والألسن تلبلت في أيامه ، وقحطان بن غابر ، فولد لقحطان يعرُب ويَقْظان ، فترلا اليمن ، وكان أول من سكن اليمن وأول من سلّم عليه بأبيّة اللعن . ووَلدَ لفالغ بن غابر

1) S. اللسان العربي .

2) وكانت الأمم تقول S. .

3) B. جام .

4) C. P. نفرس .

5) S. قيل كان .

6) S. شالغ فقيل شالغ بن .

١ (ورد في الطبري : عوض ، بصاد مهملة) .

٢ (في الطبري : عابر ، بعين مهملة) .

أرغوا ، ووُلد لأرغو ساروغ ، ووُلد لساروغ ناخور^٢ ، ووُلد لناخور
تارخ ، واسمه بالعربية آزر . ووُلد لآزر إبراهيم ، عليه السلام . ووُلد
لأرفخشذ أيضاً نمرود ، وقيل هو نمرود بن كوش بن حام بن نوح .

قال هشام بن الكلبي : السند والهند بنو توقيير^١ بن يقطن^٢ بن غابر بن شالخ
ابن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وجُرُّهُم من ولد يقطن بن غابر . وحضر موت
ابن يقطن ، ويقطن هو قحطان في قول مَنْ نسبته إلى غير إسماعيل . والبربر
من ولد ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لاود بن سام بن نوح
ما خلا صنهاجة وكتامة ، فإنهما بنو فريقيش بن صيفي^٣ بن سبأ .

وأما يافت فمن ولده جامر^٤ وموع^٥ ومورك^٥ وبوان^٦ وفوبا^٧ وماشج^٨
وتيرش ، فمن ولد جامر ملوك فارس في قول ، ومن ولد تيرش الترك والخزر ،
ومن ولد ماشج^٨ الاشبان ، ومن ولد موع بأجوج ومأجوج ، ومن ولد
بوان الصقالبة^٩ وبرجان . والاشبان^{١٠} كانوا في القديم بأرض الروم قبل
أن يقع بها من وقع من ولد العيص بن إسحاق وغيرهم . وقصد كل فريق
من هؤلاء الثلاثة سام وحام ويافت أرضاً فسكنوها ودفنوا غيرهم عنها . ومن

- 1) توقيين . 2) In C. P. semper يقطين .
3) S. بنو فريقيش بن قيس بن صيفي . 4) B. جابر . 5) B. وبورك .
6) B. ونوان . 7) B. وقويا . 8) B. وماشج .
9) S. ولد بوان الصقالبة . 10) Gm. A. et B.

- ١ (في الطبري : ارغوا) .
٢ (في الطبري : ناخور) .
٣ (في الطبري : موعج) .

ولد يافث الروم ، وهم بنو لنطى بن يونان¹ بن يافث بن نوح .
وأما حام فولد له كوش ومصرام وقوط وكنعان ، فمن ولد كوش نمرود
ابن كوش ، وقيل : هو من ولد سام ، وصارت بقية ولد حام بالسواحل من
النوبة والحبشة والزنج ، ويقال : إن مصرام ولد القبط والبربر .

وأما قوط فقبل إنته سار إلى الهند والسند فترها وأهلها من ولده² .

وأما الكنعانيون فلحق بعضهم بالشام ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم
بها ونفوهم عنها وصار الشام لبني إسرائيل . ثم وثبت الروم على بني إسرائيل
فأجلوهم عن الشام إلى العراق إلا قليلاً منهم . ثم جاءت العرب فغلبوا على
الشام . وكان³ يقال لعاد عاد إرم ، فلما هلكوا قيل لثمود ثمود إرم⁴ .
قال⁵ :

وزعم أهل التوراة أن أرفخشذ ولد لسام بعد أن مضى من عمر سام مائة
سنة وستان ، وكان جميع عمر سام ستمائة سنة .

ثم ولد لأرفخشذ قينان بعد أن مضى من عمر أرفخشذ خمس وثلاثون
سنة ، وكان عمره أربعمائة وثمانياً وثلاثين سنة . ثم ولد لقينان شالغ بعد أن
مضى من عمره تسع وثلاثون سنة ، ولم تذكر مدة عمر قينان في الكتب لما
ذكرنا من سحره . ثم ولد لشالغ غابر بعدما مضى من عمره ثلاثون سنة ، وكان
عمره كله أربعمائة وثلاثاً وثلاثين سنة . ثم ولد لغابر فالغ وأخوه قحطان ،
وكان مولد فالغ⁶ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة ، وكان عمره أربعمائة وأربعاً
وسبعين سنة . ثم ولد لفالغ أرغو بعد ثلاثين سنة من عمر فالغ ، وكان عمره

1) A. et B. ثوبان .

2) من نسله . S.

3) قال وكان S.

4) post S. add. إرم نوح . فكل هؤلاء ولد نوح .

5) Om. A. et B.

6) قحطان C. P.

مائتين وتسعاً وثلاثين سنة . وولد لأرغو ساروغ بعدما مضى من عمره اثنتان
 وثلاثون سنة ، وكان عمره مائتين وتسعاً وثلاثين سنة . وولد لساروغ ناخور
 بعد ثلاثين سنة من عمره ، وكان عمره كله مائتين وثلاثين سنة . ثم ولد
 لناخور تارخ أبو إبراهيم بعدما مضى من عمره سبع وعشرون سنة ، وكان
 عمره كله مائتين وثمانياً وأربعين سنة . وولد لتارخ ، وهو آزر ، إبراهيم ،
 عليه السلام . وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة¹ . ومائتا سنة وثلاث
 وستون² سنة ، وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة وسبع وثلاثين³
 سنة . وولد لقحطان بن غابر يعرُب ، فولد ليعرب يشجب⁴ ، فولد يشجب
 سبأ ، فولد سبأ حمير وكهلان وعمراً والأشعر وأنمار ومرآ ، فولد
 عمرو بن سبأ عدياً ، وولد عدي لخنماً وجنداماً .

٤

1) وتسع وسبعون سنة وقيل ألف سنة S. add. ألف سنة post

2) وتسع وسبعون C. P.

3) ثلاثين وثمانين B. craso

4) يشجب Codd.

ذكر ملك أفريدون

وهو أفريدون بن اثغيان¹ ، وهو من ولد جَم شيد . وقد زعم بعض² نسابة الفرس أن نوحاً هو أفريدون الذي قهر الضحّاك وسلبه ملكه ، وزعم بعضهم أن أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم الذي ذكره الله في كلامه العزيز ، وإنّما ذكرته في هذا الموضع لأن قصته في أولاده الثلاثة شبيهة بقصة نوح على ما سيأتي ولحسن سيرته وهلاك الضحّاك على يديه ولأنه قيل إن هلاك الضحّاك كان على يد نوح .

وأما باقي نسابة الفرس فإنهم ينسبون أفريدون إلى جم شيد الملك . وكان بينهما عشرة آباء كلهم يسمّى اثغيان خوفاً من الضحّاك ، وإنّما كانوا يتميّزون بألقاب لُقّبوا بها ، فكان يقال لأحدهم اثغيان صاحب البقر الحُمُر واثغيان صاحب البقر البُلُق وأشباه ذلك ، وكان أفريدون أوّل من ذلّل² الفيلة وامتطأها ونتج البغال واتخذ الإوز والحمام وعمل الترياق وردّ المظالم وأمر الناس بعبادة الله والإنصاف والإحسان ، وردّ على الناس ما كان الضحّاك غصبه من الأرض وغيرها³ إلاّ ما لم يجد له صاحباً فإنّه وقفه على المساكين .

وقيل : إنّه أوّل من سمّي الصوفي⁴ ، وهو أوّل من نظر في علم الطب . وكان له ثلاثة بنين ، اسم الأكبر شرم⁵ ، والثاني طُوج ، والثالث إيرج ، فخاف أن يختلفوا بعده فقسم ملكه بينهم أثلاثاً وجعل ذلك في سهام كتب

1) B. ubique : انقبان .

2) C. P. ملك .

3) S. الأرضين وغيرها .

4) A. الصواني S. الصواني .

5) C. P. et S. h. 1. سلم ; سلم .

أسماءهم عليها وأمر كل واحد منهم فأخذ سهماً ، فصارت الروم وناحية
العرب لشرم¹ ، وصارت الترك والصين لطوج ، وصارت العراق والسند
والهند والحجاز وغيرها لإبرج ، وهو الثالث ، وكان يحبه ، وأعطاه التاج
والسرير ، ومات أفريدون ونشبت العداوة بين أولاده وأولادهم من بعدهم ،
ولم يزل التحاسد ينمو بينهم إلى أن وثب طوج وشرم¹ على أخيهما إبرج
فقتلاه وقتلا ابنين كانا لإبرج وملكا الأرض بينهما ثلاثمائة سنة . ولم يزل
أفريدون يتبع من بقي بالسواد من آل نمرود والنبط وغيرهم حتى أتى على
وجوههم ومحا أعلامهم ، وكان ملكه خمسمائة سنة .

1) C. P. لشم ; B. لشم .

ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم

قد ذكرنا ما كان من أمر نوح وأمر ولده واقتسامهم الأرض بعده ومساكن كل فريق منهم . فكان ممن طغى وبغى فأرسل الله إليهم رسولا فكذبوه فأهلكهم الله، هذان الحيان من ولد إرم بن سام بن نوح . أحدهما عاد والثاني ثمود .

فأما عاد فهو عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح . وهو عاد الأولى ، وكانت مساكنهم ما بين الشحر وعمان وحضرموت بالأحقاف، فكانوا جبارين طوال القامة لم يكن مثلهم . يقول الله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ﴾¹ . فأرسل الله إليهم هود بن عبد الله بن رباح² بن الجلود بن عاد بن عوض . ومن الناس من يزعم أنه هود وهو غابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وكانوا أهل أوثان ثلاثة يقال لأحدها ضرا وللآخر ضمور وللثالث الهيا³ . فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره وترك ظلم الناس . فكذبوه وقالوا : مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً ! ولم يؤمن بهود منهم إلا قليل . وكان من أمرهم ما ذكره ابن إسحاق قال : إن عاداً أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هوداً . فلما أصابهم قالوا : جهزوا منكم وفداً إلى مكة يستسقون لكم . فبعثوا قبيل بن عير

1) Cor. 7, vs. 69.

2) رباح . B.

3) الهيا . A.

١ (في الطبري : يقال لأحدها صدآء ، وللآخر صمود ، وللثالث الهباء) .

ولُقِّيم بن هَزَّال ومرثد بن سعد ، وكان مسلماً بكم إسلامه ، وجُلُّهُمَّة بن الحِيرِي ، خال معاوية بن بكر¹ ، ولقمان بن عاد بن فلان² بن عاد الأكبر في سبعين رجلاً من قومهم ، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر بظاهر مكة خارجاً عن الحرم ، فأكرمهم ، وكانوا أخواله وصهره لأن لقيم بن هزال كان تزوج هزيلة بنت بكر أخت معاوية فأولدها أولاداً كانوا عند خالهم معاوية بمكة ، وهم : عبيد وعمرو وعامر وعمير بنو لُقِّيم ، وهم عاد الآخرة التي بقيت بعد عاد الأولى . فلما نزلوا على معاوية أقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان . قينتان لمعاوية ، فلما رأى معاوية طول مقامهم وتركهم ما أرسلوا له شقّ عليه ذلك وقال : هلك أخوالي ، واستحيا أن يأمر الوفد بالخروج إلى ما بُعثوا له . فذكر ذلك للجراذتين فقالتا³ : قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قائله لعلهم يتحركون : فقال معاوية :

ألا يا قبيلُ ويحك قمْ فهينمُ لعلَّ الله يُصبحنا غمَّاماً
فيسقي أرضَ عادٍ إن عاداً قدءأمسوا لا يُبينونَ الكلاماً

في أبيات ذكرها . والهيمنة : الكلام الخفي . فلما غنتهم الجرادتان ذلك الشعر وسمعه القوم قال بعضهم لبعض : يا قوم بعثكم قومكم يتغوثون⁴ بكم من البلاء الذي نزل بهم فأبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم . فقال مرثد بن سعد : إنهم والله لا يُسقون بدعائكم ولكن أطيعوا نبيكم فأنتم تُسقون ، وأظهر إسلامه عند ذلك . فقال جُلُّهُمَّة بن الحِيرِي ، خال معاوية ، لمعاوية بن بكر : احبس عنا مرثد بن سعد . وخرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد ، فدعوا الله تعالى لقومهم واستسقوا ، فأنشأ الله سحاباً ثلاثاً بيضاء وحمراء

1) B. ubique : بكر .

2) C. P. ميلان .

3) Codd. فقالوا .

4) B. يتغوثون .

وسوداء ونادى منادٍ منها : يا قبيل اختر لنفسك وقومك . فقال : قد اخترتُ
السحابة السوداء فإنها أكثر ماء ، فناداه مناد : اخترت رماداً رَمْدَاً^١ ، لا تبقي
من عاد أحداً ، لا ولداً تترك ولا والداً إلا جعلته هميداً ، إلا بني اللوذية
المهدي . وبني اللوذية : بنو لُقَيْسِم بن هَزَّال ، كانوا بمكة عند خالهم معاوية
ابن بكر . وساق الله السحابة السوداء بما فيها من العذاب إلى عاد . فخرجت
عليهم من وادٍ يقال له المغيث ، فلما رأوها استبشروا بها وقالوا : ﴿ هَذَا عَارِضٌ
مُطِيرٌ نَا ﴾ يقول الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا
عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾^١ : أي كل شيء أمرت به .
وكان أول من رأى ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها
فهدد^٢ . فلما رأت ما فيها صاحت وصعقت ، فلما أفاقت قالوا : ماذا رأيت؟
قالت : رأيتُ ريحاً فيها كسهب النار أمامها رجال يقودونها . فلما خرجت
الريح من الوادي قال سبعة رهط منهم ، أحدهم الخَلَجَان^٣ : تعالوا حتى نقوم
على شفير الوادي فردّها . فجعلتِ الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله
فتدقّ عنقه ، وبقي الخَلَجَان فمال إلى الجبل وقال :

لم يَبْقَ إِلَّا الخَلَجَانُ نَفْسُهُ يا لكَ مِن يَوْمٍ دَهَانِي أَمْسُهُ^٣
بثابتِ الوَطْءِ شَدِيدِ وَطْءِهِ لَوُ لَمْ يَجِثْنِي جِثَّتُهُ أَجْسُهُ

فقال له هود : أسلمتَ تسلّم . فقال : وما لي ؟ قال : الجنة . فقال : فما

1) Cor. 46, vss. 24, 25.

2) مهرد S. مهرد C. P.

3) نكه B.

١ ومدداه .

٢ قال شعبة رهط من الخلجان .

هؤلاء الذين في السحاب كأنهم البُخت¹ ؟ قال : الملائكة . قال : أيعينني ربك² منهم إذ أسلمت³ ؟ قال : هل رأيت ملكاً يعيد³ من جنده ؟ قال : لو فعل ما رضيت .

ثم جاءت الرياح وألحقته بأصحابه ﴿سَخَّرَهَا - اللهُ- عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾⁴ ، كما قال تعالى . والحسوم : الدائمة . فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك ، واعتزل هود والمؤمنون في حظيرة لم يصبه ومن معه [منها] إلا تليين الجلود⁵ ، وإنها لتمر⁶ من عاد بالظن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة⁶ . وعاد وفد عاد إلى معاوية بن بكر فترلوا عليه ، فاتاهم رجل على ناقة فأخبرهم بمصاب عاد وسلامة هود .

قال : وكان قد قيل للقمان بن عاد : اختر لنفسك إلا أنه لا سبيل إلى الخلود . فقال : يا رب أعطني عمراً . فقيل له : اختر . فاختر عمر سبعة أنسر . فعمّر فيما يزعمون عمر سبعة أنسر ، فكان يأخذ الفرخ الذكر حين يخرج من بيضته حتى إذا مات أخذ غيره . وكان يعيش كل أنسر ثمانين سنة ، فلما مات السابع مات لقمان معه ، وكان السابع يُسمى لُبْدًا . قال : وكان عمر هود مائة وخمسين⁷ سنة ، وقبره بحضرموت ، وقيل بالحِجر من مكة . فلما هلكوا أرسل الله طيراً سوداً فنقلتهم إلى البحر ، فذلك قوله تعالى : ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ﴾⁸ . ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عتت

1) A. المنبت ; C. P. المنبت .

2) S. أهتقني ربك .

3) C. P. يقيد .

4) Cor. 69, vs. 7.

5) S. ما يصبه ومن معه إلا ما تليين الجلود .

6) Periodus sine dubio corrupta.

7) S. مائة وستة وخمسين .

8) Cor. 46, vs. 25.

على الخزنة ، فذلك قوله : ﴿ أَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾^١ . وكانت
الريحُ تَقْلَعُ الشجرةَ العظيمةَ بعروقِها وتَهْلِكُ البيتَ على من فيه .

وأما ثمود فهم ولد ثمود بن جاثر بن لدم بن سام ، وكانت مساكن ثمود
بالحجر بين الحجاز والشام ، وكانوا بعد عاد قد كثروا^٢ وكفروا وعتوا ،
فبعث الله إليهم صالح بن عبيد بن أسيف بن ماشج^٣ بن عبيد بن جادر بن ثمود ،
وقيل أسف بن كاشج^٤ بن اروم بن ثمود يدعوهم إلى توحيد الله تعالى وإفراده
بالعبادة ﴿ فَقَالُوا : يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ﴾
الآية^٢ ، وكان الله قد أظال أعمارهم حتى إن كان أحدهم يبني البيت من المدر
فينهدم وهو حي ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فارهين فاحتوها ،
وكانوا في سعةٍ من معاشهم ، ولم يزل صالح يدعوهم فلم يتبعه منهم إلا
قليل مستضعفون ، فلما ألح عليهم بالدعاء والتحذير والتخويف سألوهم فقالوا :
يا صالح اخرج معنا إلى عيدنا ، وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم ، فأرنا
آية فتدعو إلهك وتدعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا
اتبعتنا . فقال : نعم ، فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم ، فدعوا أصنامهم
أن لا يستجاب لصالح ما يدعو به ، وقال له سيد قومه : يا صالح أخرج لنا
من هذه الصخرة - لصخرة مفردة - ناقة جوفاء عشراء ، فإن فعلت ذلك
صدقناك .

1) Cor. 69, vs. 6.

2) تكبروا B.

3) ماشج B.

4) كاشج S. كاشج B.

١ (ورد في الطبري : ماشج) .

٢ (سورة هود ١١ ، الآية ٦٢) .

فأخذ عليهم المواثيق بذلك وأتى الصخرة وصلى ودعا ربه عز وجل
 فإذا هي تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انفجرت وخرجت من وسطها
 الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت سقياً مثلها في العِظَم ، فأمن به سيد
 قومه ، واسمه جندع بن عمرو¹ ، ورهط من قومه ، فلما خرجت الناقة
 قال لهم صالح: ﴿ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾² ،
 ومتى عقرتموها أهلككم الله . فكان شربها يوماً وشربهم يوماً معلوماً ، فإذا
 كان يوم شربها خلّوا بينها وبين الماء وحلبوها لبنها وملأوا كل وعاء وإناء ،
 وإذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه شيئاً وتزودوا من الماء
 للغد .

فأوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون الناقة ، فقال لهم ذلك ، فقالوا :
 ما كنا لنفعل . قال : إلا تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود يعقرها .
 قالوا : وما علامته ؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه ! قال : فإنه غلام أشقر أزرق
 أصهب أحمر . قال : فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن
 رغب² له عن المناكح وللآخر ابنة لا يجد لها كفواً فزوج أحدهما ابنة الآخر
 فولد بينهما المولود ، فلما قال لهم صالح إنهما يعقرها مولود فيكم اختاروا
 قوايل من القرية وجعلوا معهن شرطاً يطوفون في القرية فإذا وجدوا امرأة
 تلد نظروا ولدها ما هو ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن : هذا
 الذي يريد نبي الله صالح ، فأراد الشرط أن يأخذوه فحال جداه بينهم وبينه
 رقالا : لو أراد صالح هذا لقتلناه . فكان شر مولود وكان يشب في اليوم

1) B. عروه .

2) S. يرغب .

١ (سورة الشعراء ٢٦ ، الآية ١٥٥) .

شباب غيره في الجمعة ، فاجتمع تسعة رهط منهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، كانوا قتلوا أبناءهم حين ولدوا خوفاً أن يكون عاقر الناقة منهم ، ثم ندموا فأقسموا ليقتلن صالحاً وأهله وقالوا : نخرج فترى الناس أننا نريد السفر فنأتي الغار الذي على طريق صالح فنكون فيه ، فإذا جاء الليل وخرج صالح إلى مسجده قتلناه ثم رجعنا إلى الغار ثم انصرفنا إلى رحالنا وقلنا ما شهدنا قتله فيصدقنا قومه . وكان صالح لا يبيت معهم ، كان يخرج إلى مسجد له يُعرف بمسجد صالح فيبيت فيه ، فلما دخلوا الغار سقطت عليهم صخرة فقتلتهم ، فانطلق رجال ممن عرف الحال إلى الغار فرأوهم هلكتهم ، فعادوا يصيحون : إن صالحاً أمرهم بقتل أولادهم ثم قتلهم .

وقيل : إنما كان تقاسم التسعة على قتل صالح بعد عقر الناقة وإنذار صالح إياهم بالعذاب ، وذلك أن التسعة الذين عقروا الناقة قالوا : تعالوا فلنقتل صالحاً فإن كان صادقاً عجلنا قتله ، وإن كان كاذباً ألحقناه بالناقة ، فأتوه ليلاً في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا ، فأتى أصحابهم فرأوهم هلكتهم فقالوا لصالح : أنت قتلتهم ، وأرادوا قتله ، فمنعهم عشيرته وقالوا : إنه قد أندرکم² العذاب ، فإن كان صادقاً فلا تزيدوا ربكم غضباً وإن كان كاذباً فنحن نسلمه إليكم ، فعادوا عنه ؛ فعلى القول الأول يكون التسعة الذين تقاسموا غير الذين عقروا الناقة ، والثاني أصح ، والله أعلم .

وأما سبب قتل الناقة فقيل : إن قدار بن سالف جلس مع نفر يشربون الخمر فلم يقدرُوا على ماء يمزجون به خمرهم لأنه كان يوم شرب الناقة ، فحرض بعضهم بعضاً على قتلها ، وقيل : إن ثموداً كان فيهم امرأتان يقال لإحدهما قطام وللأخرى قبال ، وكان قدار يهوى قطام ومصدع يهوى قبال

1) A. B. et S. ينام .

2) A. B. et S وعدكم .

ويجتمعان بهما ، ففي بعض الليالي قالتا لقدار ومصدع : لا سبيل لكما إلينا حتى تقتلا الناقة ، فقالا : نعم ، وخرجا وجمعا أصحابها وقصدا الناقة وهي على حوضها ، فقال الشقي لأحدهم : اذهب فاعقرها ، فأتاها ، فتعاضمه ذلك ، فأضرب^١ عنه ، وبعث آخر فأعظم ذلك وجعل لا يبعث أحداً إلاّ تعاضمه قتلها حتى مشى هو إليها فتناول فضرب عرقوبها فوقعت تركض ، وكان قتلها يوم الأربعاء ، واسمه بلغتهم جبار ، وكان هلاكهم يوم الأحد ، وهو عندهم أول ، فلما قتلت أتى رجل منهم صالحاً فقال : أدرك الناقة فقد عقروها ، فأقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون إليه : يا نبيّ الله إنما عقروها فلان إنه لا ذنب لنا ! قال : انظروا هل تتركون فصيلها ؟ فإن أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب . فخرجوا يطلبونه ، ولما رأى الفصيل أمه تضطرب قصد جبلاً يقال له القارة قصيراً^١ فصعده ، وذهبوا يطلبونه ، فأوحى^٢ الله إلى الجبل فطال في السماء حتى ما يناله الطير ، ودخل صالح القرية ، فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموءه ثم استقبل صالحاً فرغاً ثلاثاً ، فقال صالح : لكل رغبة أجل يوم ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ وَعِنْدُ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴾^٢ ، وآية العذاب أن وجوهكم تصبح في اليوم الأول مصفرةً وتصبح في اليوم الثاني حمرةً وتصبح في اليوم الثالث مسودةً . فلما أصبحوا إذا وجوههم كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم ، فلما أصبحوا في اليوم الثاني إذا وجوههم حمرةً ، فلما أصبحوا في اليوم

١) نقرأ B .

٢) فصعدوا وذهبوا ليأخلوه فلوحى S .

١ فأصرت .

٢ (سورة هود ١١ ، الآية ٦٥) .

الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار ، فتكفّنوا وتمخّطوا ، وكان حنوطهم الصبر والمرّ ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثمّ ألقوا أنفسهم إلى الأرض فجعلوا يقلّبون أبصارهم إلى السماء والأرض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب ، فلما أصبحوا في اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كالصاعقة ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنَائِمِينَ ﴾^١ ، وأهلك الله من كان بين المشرق والمغرب منهم إلا رجلاً كان في الحرم فمنعه الحرم . قيل : ومن هو ؟ قيل : هو أبو رغال ، وهو أبو ثقيف في قول .

ولما سار النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، إلى تبوك أتى على قرية ثمود فقال لأصحابه : لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ، وأراهم مرتقى الفصيل في الجبل وأراهم الفجّ الذي كانت الناقة ترد منه الماء .

وأما صالح ، عليه السلام ، فإنه سار إلى الشام فنزل فلسطين ثمّ انتقل إلى مكة فأقام بها يعبدُ الله حتى مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وكان قد أقام في قومه يدعوهم عشرين سنة .

وأما أهل التوراة فإنهم يزعمون أنه لا ذكر لعاد وهود وشمود وصالح في التوراة ، قال : وأمرهم عند العرب في الجاهليّة والإسلام كشهرة إبراهيم الخليل ، عليه السلام .

قلتُ : وليس إنكارهم ذلك بأعجب من إنكارهم نبوة إبراهيم الخليل ورسالته ، وكذلك إنكارهم حال المسيح ، عليه السلام .

١ (سورة هود ١١ ، الآية ٦٧) .

ذكر إبراهيم الخليل ، عليه السلام ومن كان في عصره من ملوك العجم

وهو إبراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن غابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، عليه السلام ، واختلف في الموضع الذي كان فيه والموضع الذي وُلد فيه ، فقيل : وُلد بالسوس من أرض الأهواز ، وقيل : وُلد ببابل ، وقيل : بيكوثي ، وقيل : بحرّان ولكنّ أباه نقله . قال عامة أهل العلم : كان مولده في عهد نمرود بن كوش . ويقول عامة أهل الأخبار : إن نمرود كان عاملاً للآزدهاق الذي زعم بعض من زعم أن نوحاً أرسل إليه . وأما جماعة من سلف من العلماء فإنهم يقولون : كان ملكاً برأسه .

قال ابن إسحاق . وكان ملكه قد أحاط بمشارك الأرض ومغارها ، وكان ببابل . قال : ويقال : لم يجتمع ملك الأرض إلا لثلاثة ملوك : نمرود وذو القرنين وسليمان بن داود ، وأضاف غيره إليهم بخت نصر ، وسنذكر بطلان هذا القول .

فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم حجةً على خلقه ورسولاً إلى عباده ولم يكن فيما بينه وبين نوح نبي إلا هود وصالح ، فلما تقارب زمان إبراهيم أتى أصحاب النجوم نمرود فقالوا له : إنا نجد غلاماً يولد في قربتك هذه يقال له إبراهيم يفارق دينكم ويكسر أصنامكم في شهر كذا من سنة كذا . فلما دخلت السنة التي ذكروا حبس نمرود الجبال عنده إلا أم إبراهيم فإنه لم يعلم بجنها لأنه لم يظهر عليها أثره ، فذبح كل غلام وُلد في ذلك الوقت .

فلما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريبة منها فولدت إبراهيم وأصلحت من شأنه ما يُصنع^١ بالمولود ثم سدّت عليه المغارة ثم سعت إلى بيتها راجعة ، ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل ، فكان يشبّ في اليوم ما يشبّ غيره في الشهر ، وكانت تجده حياً يحصّ إبهامه جعل الله رزقه فيها .

وكان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها فقالت : ولدتُ غلاماً فمات ، فصدّقها ، وقيل : بل علم آزر بولادة إبراهيم وكتمه حتى نسي الملك ذكر ذلك ، فقال آزر : إن لي ابناً قد خبأته أفتخافون عليه الملك إن أنا جئتُ به ؟ فقالوا : لا . فانطلق فأخرجه من السرب ، فلما نظر إلى الدوابّ وإلى الخلق ، ولم يكن رأى قبل ذلك غير أبيه وأمه ، جعل يسأل أباه عما يراه ، فيقول أبوه : هذا بعير أو بقرة أو غير ذلك . فقال : ما هؤلاء الخلق بدّ من أن يكون لهم ربّ ! وكان خروجه بعد غروب الشمس ، فرفع رأسه إلى السماء فإذا هو بالكوكب وهو المشتري ، فقال : هذا ربّي . فلم يلبث أن غاب فقال : لا أحبّ الآفلين . وكان خروجه في آخر الشهر فلهذا رأى الكوكب قبل القمر .

وقيل : كان تفكّر وعمره خمسة عشر شهراً ، قال لأمه وهو في المغارة : أخرجيني أنظر ، فأخرجته عشاء فنظر فرأى الكوكب وتفكّر في خلق السموات والأرض وقال في الكوكب ما تقدّم ، ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ : هَذَا رَبِّي . فَلَمَّا أَفْلَى قَالَ : لَسْتُ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لِأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾^١ . فلما جاء النهار وطلعت الشمس رأى نوراً أعظم من كلّ ما رأى فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ . فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ :

١) R. يصلح .

١ (سورة الأنعام ، الآية ٧٧) .

يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١﴾ . ثم رجع إبراهيم إلى أبيه وقد عرف ربه وبريء من دين قومه إلا أنه لم ينادهم بذلك^١ ، فأخبرته أمه بما كانت صنعت من كتمان حاله ، فسرّه ذلك .

وكان آزر يصنع الأصنام التي يعبدونها ويعطيها إبراهيم لبيعتها ، فكان إبراهيم يقول : من يشري ما لا يضره ولا ينفعه ؟ فلا يشتريها منه أحد ، وكان يأخذها وينطلق بها إلى نهر فيصوب رؤوسها فيه ويقول : اشربي ! استهزاء بقومه ، حتى فشا ذلك عنه في قومه ، غير أنه لم يبلغ خبره نمرود . فلما بدا لإبراهيم أن يدعو قومه إلى ترك ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى دعا أباه إلى التوحيد فلم يجبه ، ودعا قومه فقالوا : مَنْ تعبد أنت ؟ قال : ربّ العالمين . قالوا : نمرود ؟ قال : بل أعبد الذي خلقي . فظهر أمره . وبلغ نمرود أن إبراهيم أراد أن يُري قومه ضعف الأصنام التي يعبدونها ليلزمهم الحجّة ، فجعل بتوقع فرصة^٢ ينتهي بها ليفعل^٣ بأصنامهم ذلك ، فنظر نظرة في النجوم فقال : إني سقيم ، أي طعين^٤ ، ليهربوا^٥ منه إذا سمعوا به ، وإنما يريد إبراهيم ليخرجوا^٥ عنه ليلبغ من أصنامهم . وكان لهم عيد يخرجون إليه جميعهم . فلما خرجوا قال هذه المقالة فلم يخرج معهم إلى العيد وخالف إلى أصنامهم وهو يقول : ﴿ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾^٦ فسمعه ضعفي الناس ومن هو في آخرهم ، ورجع إلى الأصنام وهي في بتهو عظيم بعضها إلى جنب

١) post S. add. أنه ابنه . فأخبره أنه ابنه .

٢) فرصة يتهدأ ليفعل S.

٣) طير وسقيم B. ; طين A.

٤) يهربون A. et B.

٥) أن يخرجوا S.

١ (سورة الأنعام ، الآية ٧٨) .

٢ (سورة الأنبياء ، الآية ٥٧) .

بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاماً بين يدي آلهتهم وقالوا : نترك الآلهة إلى حين نرجع فتأكله . فلما نظر إبراهيم إلى ما بين أيديهم من الطعام قال : ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ؟ ﴾ فلما لم يجبه أحد قال : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ؟ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾^١ ، فكسرها بفأس في يده حتى إذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ثم تركهن .

فلما رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم راعهم ذلك وأعظموا وقالوا : ﴿ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ! قَالُوا : سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾^٢ يعنون يسبها ويعيبها ، ولم نسمع ذلك من غيره وهو الذي نظنه صنع بها هذا . وبلغ ذلك نمرود وأشراف قومه . فقالوا : ﴿ فَأْتُوا بِرِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾^٣ ما تفعل به ، وقيل : يشهدون عليه ، كرهوا أن يأخذوه بغير بيئته ، فلما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود وقالوا : ﴿ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ قَالَ : بَلْ فَعَلْتَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ، فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾^٤ ، غضب من أن يعبدوا هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرها ، فارعوا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرها إلى أنفسهم فيما بينهم فقالوا : لقد ظلمناه وما نراه إلا كما قال . ثم قالوا ، وعرفوا أنها لا تضر ولا تنفع ولا تبطش : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾^٥ ،

١ (سورة الصافات ٣٧ ، الآيات ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣) .

٢ (سورة الأنبياء ٢١ ، الآيات ٥٩ ، ٦٠) .

٣ (سورة الأنبياء ٢١ ، الآية ٦١) .

٤ (سورة الأنبياء ٢١ ، الآيات ٦٢ ، ٦٣) .

أي لا يتكلمون ، فتخبرنا من صنع هذا بها وما تبطش بالأيدي فنصدك .
يقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ ﴾ في الحجة عليهم
لإبراهيم . فقال لهم إبراهيم عند قولهم « ما هؤلاء ينطقون » : ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ! أَفَلَا لَكُمْ وَلِيمًا
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ ﴾^١ .

ثم إن نمرود قال لإبراهيم : رأيت إلهك الذي تعبد وتدعو إلى عبادته
ما هو ؟ قال : ﴿ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾^١ . قال نمرود : أنا
أحيي وأميت . قال إبراهيم : وكيف ذلك ؟ قال : آخذ رجلين قد استوجبا
القتل^٢ فأقتل أحدهما فأكون قد أمتته وأعفو عن الآخر فأكون قد أحييته .
فقال إبراهيم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا
مِنَ الْمَغْرِبِ . فَبُهِتَ ﴾^٢ عند ذلك نمرود ولم يرجع إليه شيئاً^٣ . ثم إنه
وأصحابه أجمعوا على [قتل] إبراهيم فقالوا : ﴿ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ ﴾^٣ .
قال عبد الله بن عمر : أشار بتحريقه رجل من أعراب فارس ، قيل له :
وللفرس أعراب ؟ قال : نعم ، الأكراد هم أعرابهم . قيل : كان اسمه هيزن
فخُسف به فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

فأمر نمرود بجمع الحطب من أصناف الخشب حتى إن كانت المرأة لتنذر

1) Cor. 21, vs. 66, 67.

2) S. القتل في حكم .

3) post S. add. : وعرف أنه لا يطبق ذلك : .

١ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٢٥٨) .

٢ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٢٥٨) .

٣ (سورة الأنبياء ٢١ ، الآية ٦٨) .

ب : إن بلغت ما تطلب أن تحتطب لنار إبراهيم ، حتى إذا أرادوا أن يلقوه فيها قدّموه وأشعلوا النار حتى إن كانت الطير لتمرّ بها فتحترق من شدتها وحرّها ، فلمّا أجمعوا لقفه فيها صاحت السماء والأرض وما فيها [من الخلق] إلاّ الثقلين إلى الله صيحةً واحدة : أي ربّنا ! إبراهيم ليس في أرضك من يعبدك غيره يحرق بالنار فيك فأذن لنا في نصره ! قال الله تعالى : إن استغاث بشيء منكم فلينصره وإن لم يدعْ غيري فأنا له ¹ . فلمّا رفعوه على رأس البنيان رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم أنت الواحد في السماء وأنت الواحد في الأرض . حسبي الله ونعم الوكيل . وعرض له جبرائيل وهو يوثق فقال : ألك حاجة يا إبراهيم ؟ قال : أما إليك فلا . فقفوه في النار فناداها ² فقال : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ³ . وقيل : ناداها جبرائيل . فلو لم يتبع بردها سلامٌ لمات إبراهيم من شدة بردها ، فلم يبقَ يومئذٍ نارٌ إلاّ طففت ظنت أنها هي ⁴ . وبعث الله ملك الظلّ في صورة إبراهيم فقعدها فيها إلى جنبه يؤنسه .

فمكث نمرود أياماً لا يشكّ أن النار قد أكلت إبراهيم . فرأى كأنه نظر فيها وهي تحرق بعضها بعضاً وإبراهيم جالس إلى جنبه رجل مثله . فقال لقومه : لقد رأيتُ كأن إبراهيم حيّ ولقد شُبّه عليّ ، ابنوا لي صرحاً يشرف بي على النار ، فبنوا له وأشرف منه ⁴ فرأى إبراهيم جالساً وإلى جانبه رجل ⁵ في صورته ، فناداه نمرود : يا إبراهيم كبيرٌ إهلك الذي ² بلغت قدرته وعزته أن حال بينك وبين ما أرى ، هل تستطيع أن تخرج منها ؟ قال : نعم .

1) S. فانا وليّه .

2) B. فنادى مناد .

3) B. تعنى .

4) S. فبنوا له صرحاً وأشرف منه على النار .

5) S. وإلى جانبه الملك .

١ (سورة الأنبياء ٢١ ، الآية ٦٩) .

٢ يا إبراهيم إن إهلك كبير الذي .

قال : أتخشى إن أقمت فيها [أن تضرك ؟] قال : . . . فقام إبراهيم نخرج منها ، فلما خرج قال له : يا إبراهيم من الرجل الذي رأيتُ معك مثل صورتك ؟ قال : ذلك ملك الظل أرسله إليّ ربّي لئؤنسي . قال نمرود : إنني مقربٌ إلى إلهك قرباناً لما رأيتُ من قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيتُ إلاّ عبادته .

فقال إبراهيم : إذا لا يقبل الله منك ما كنت على شيء من دينك . فقال : يا إبراهيم لا أستطيع ترك ملكي . وقرب أربعة آلاف بقرة وكفّ عن إبراهيم ومنعه اللهُ منه . وآمن مع إبراهيم رجالٌ من قومه حين رأوا ما صنع اللهُ به على خوف من نمرود وملائم ، وآمن له لوط بن هاران ، وهو ابن أخي إبراهيم ، وكان لهم أخ ثالث يقال له فاخور بن تارخ ، وهو أبو بتويل ، وبتويل أبو لابان وأبو ربعا امرأة إسحاق بن إبراهيم أمّ يعقوب ، ولابان أبو ليا وراحيل فوجي يعقوب . وآمنت به سارة ، وهي ابنة عمّة ، وهي سارة ابنة هاران الأكبر عمّ إبراهيم ، وقيل : كانت ابنة ملك حرّان فأمنت بالله تعالى مع إبراهيم .

ذكر هجرة إبراهيم ، عليه السلام ، ومن آمن معه

ثمّ إنّ إبراهيم والذين اتبعوا أمره أجمعوا على فراق قومهم ، فخرج مهاجراً¹ حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى كان اسمه سنان بن

إلى الله ومعهم أبوه آزر كافراً فمات على كفره بمرّان ، وكان أيضاً معه : B. add. مهاجراً post (1) لوط وزوجته سارة تطلب الأمان على عبادة الله تعالى حتى نزل حرّان فمكث بها ما شاء الله تعالى ثمّ خرج مهاجراً .

علوان بن عبيد بن عولج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وقيل : كان
 أخا الضحّاك استعمله على مصر ، وكانت سارة من أحسن النساء وجهاً ، وكانت
 لا تعصي إبراهيم شيئاً ، فلما وُصفت لفرعون أرسل إلى إبراهيم فقال :
 مَنْ هذه التي معك ؟ قال : أختي ، يعني في الإسلام ، وتخوف إن قال هي
 امرأتي أن يقتله . فقال له : زينها وأرسلها إليّ . فأمر بذلك إبراهيم ، فترينت ،
 وأرسلها إليه ، فلما دخلت عليه أهوى بيده إليها ، وكان إبراهيم حين أرسلها
 قام يصلّي ، فلما أهوى إليها أخذ أخذاً شديداً ، فقال : ادعي الله ولا أضرك .
 فدعت له ، فأرسل ، فأهوى إليها ، فأخذ أخذاً شديداً ، فقال : ادعي الله
 ولا أضرك . فدعت له ، فأرسل ، ثم فعل ذلك الثالثة ، فذكر مثل المرتين ،
 فدعا أدنى حجابه فقال : إنك لم تأتني بإنسان وإنك أتيتني بشيطان ! أخرجها
 وأعطها هاجر ، ففعل ، فأقبلت بهاجر ، فلما أحس إبراهيم بها انفتل من
 صلواته فقال : مهيم ! فقالت : كفى الله كيد الكافرين وأخدم هاجر .

وكان أبو هريرة يقول : تلك أمكم يا بني ماء السماء . وروى أبو هريرة
 عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث
 مرّات ، اثنتين في ذات الله ، قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ
 فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وقوله في سارة : هي أختي .

ذكر ولادة إسماعيل ، عليه السلام وحمله إلى مكة

قيل : كانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لإبراهيم وقالت :
خذها لعلّ الله يرزقك منها ولداً ، وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت¹ ،
فوقع إبراهيم على هاجر فولدت إسماعيل ، ولهذا قال النبي ، صلى الله عليه
وسلم : إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإنّ لهم ذمّة ورحمياً ،
يعني ولادة هاجر .

فكان إبراهيم قد خرج بها إلى الشام من مصر خوفاً من فرعون ، فنزل
السبع من أرض فلسطين ، ونزل لوط بالمؤتفكة ، وهي من السبع مسيرة يوم
وليلة ، فبعثه الله نبيّاً ، وكان إبراهيم قد اتخذ بالسبع بئراً ومسجداً ، وكان
ماء البئر معيناً طاهراً ، فأذاه أهل السبع فانتقل عنهم ، فنضب الماء فاتبعوه
يسألونه العود إليهم ، فلم يفعل وأعطاهم سبعة أعتر وقال : إذا أوردتموها
الماء ظهر حتى يكون معيناً طاهراً فاشربوا منه ولا تغترب منه امرأة حائض .
فخرجوا بالأعتر ، فلما وقفت على الماء ظهر إليها ، وكانوا يشربون منه ،
إلى أن غرفت منه امرأة طامث فعاد الماء إلى الذي هو عليه اليوم . وأقام إبراهيم
بين الرملة وإيليا ببلد يقال له قَطّ أو قِطّ .

قال : فلما وُلد إسماعيل حزنت سارة حزناً شديداً ، فوهبها الله إسحاق
وعمرها سبعون² سنة ، فعمر إبراهيم مائة وعشرون سنة ، فلما كبر إسماعيل

1) B. et S. in marg. ايست .

2) C. P. S. et B. تسعون .

وإسحاق اختصما ، فغضبت سارة على هاجر فأخرجتها ثم أعادتها ، فغارت
منها فأخرجتها وحلفت لتقطعنّ منها بضعة فركت أنفها وأذنها لثلاث تشينها
ثم خففتها ، فمن ثم خفض النساء ، وقيل : كان إسماعيل صغيراً . وإنما
أخرجتها سارة غيرةً منها ، وهو الصحيح . وقالت سارة : لا تساكنني في
بلد . فأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتي مكة وليس بها يومئذ نبت ، فجاء إبراهيم
بإسماعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة بموضع زمزم ، فلما مضى نادته هاجر :
يا إبراهيم من أمرك أن تركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا
زاد ولا أنيس ؟ قال : ربي أمرني . قالت : فإنه لن يضيعنا . فلما ولّى
قال¹ : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ
بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ
تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ الآية² .

فلما ظمئ إسماعيل جعل يدحض الأرض برجله . فانطلقت هاجر حتى
صعدت الصفا لتنظر هل ترى شيئاً . فلم تر شيئاً . فأنحدرت إلى الوادي فسعت
حتى أتت المروة فاستشرفت هل ترى شيئاً فلم تر شيئاً . ففعلت ذلك سبع
مرات ، فذلك أصل السعي . ثم جاءت إلى إسماعيل وهو يدحض الأرض
بقدميه وقد نبعت العين . وهي زمزم . فجعلت تفحص الأرض بيدها³ عن
الماء ، وكلما اجتمع أخذته وجعلته في سقائها . قال : فقال النبي . صلى الله
عليه وسلم : يرحمها الله ! لو تركتها لكانت عيناً سائحة⁴ .

وكانت جرهم بوادٍ قريب من مكة ولزمت الطير الوادي حين رأت
الماء ، فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي ، قالوا : ما لزمته إلا وفيه ماء ،
فجاؤوا إلى هاجر فقالوا : لو شئت لكننا معك فأنسناك والماء ماؤك . قالت :

ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن ، يعني من الحزن ، وقال : ربنا إني : S. add. ولي قال post 1)

هيناً جارية سائحة S. 4) . يديها S. 3) . Cor. 14 . vs. 37. 2)

نعم . فكانوا معها حتى شبَّ إسماعيل وماتت هاجر ، فتزوج إسماعيل امرأة من جرهم فتعلم العربية منهم هو وأولاده ، فهم العرب المتعربة .
واستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر ، فأذنت له وشرطت عليه ألا يتزل ، فقدم وقد ماتت هاجر ، فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ليس ههنا ، ذهب يتصيد . وكان إسماعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع . قال إبراهيم : هل عندك ضيافة ؟ قالت : ليس عندي ضيافة وما عندي أحد . فقال إبراهيم : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه .

وعاد إبراهيم ، وجاء إسماعيل فوجد ربح أبيه ، فقال لامرأته : هل عندك أحد ؟ قالت : جاءني شيخ كذا وكذا ، كالمستخفة بشأنه ، قال : فما قال لك ؟ قالت : قال : أقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه . فطلقها وتزوج أخرى .

فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل ، فأذنت له وشرطت عليه أن لا يتزل . فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب ليتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله تعالى ، فانزل يرحمك الله . فقال لها : فعندك ضيافة ؟ قالت : نعم . قال : فهل عندك خبز أو بُرٌّ أو شعير أو تمر ؟ قال : فجاءت باللبن واللحم ، فدعا لهما بالبركة ، ولو جاءت يومئذٍ بخبز أو تمر أو بُرٌّ أو شعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك ، فقالت : انزل حتى أغسل رأسك . فلم يتزل . فجاءته بالمقام بالإناء¹ فوضعت عند شقه الأيمن ، فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه ، فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حوت المقام إلى شقه الأيسر ففعلت به كذلك . فقال لها : إذا جاء زوجك فأقرئيه عني السلام وقولي له : قد استقامت عتبة بابك² .

1) Om. S. بالاناء .

2) A. بيتك .

فلما جاء إسماعيل وجد ريحَ أبيه فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت :
نعم ، شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً فقال لي كذا وكذا ، وقلتُ له
كذا وكذا ، وغسلتُ رأسه ، وهذا موضع قدمه ، وهو يُقرئك السلام ويقول :
قد استقامت عتبة بابك . قال : ذلك إبراهيم .

وقيل : إن الذي أنبع الماء جبرائيل ، فإنه نزل إلى هاجر وهي تسمى
في الوادي فسمعت حسه فقالت : قد أسمعني فأغثني فقد هلكتُ أنا ومن معي .
فجاء بها إلى موضع زمزم فضرب بقدمه فقارت عيناً ، فتعجلت ، فجعلت
تُفرغ في شئها . فقال لها : لا تخافي الظم .

ذكر عمارة البيت الحرام بمكة

قيل : ثم أمر الله إبراهيم ببناء البيت الحرام ، فضاق بذلك ذرعاً فأرسل الله السكينة . وهي ريح خجوج^١ . وهي الليئة الهبوب ، لها رأسان . فسار معها إبراهيم حتى انتهت إلى موضع البيت فتطوت عليه كتطوي الحجفة . فأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة . فبنى إبراهيم .

وقيل : أرسل الله مثل الغمامة له رأس فكلتمه وقال : يا إبراهيم ابنِ علي ظلي أو علي قدري لا تزد ولا تنقص . فبنى . وهذان القولان نُقِلَا عن علي . وقال السُّدِّيُّ : الذي دلته على موضع البيت جبرائيل .

فسار إبراهيم إلى مكة ، فلما وصلها وجد إسماعيل يصلح نبلاً له وراء زمزم . فقال له : يا إسماعيل، إن الله قد أمرني أن أبني له بيتاً . قال إسماعيل : فأطع ربك . فقال إبراهيم : قد أمرك أن تعيني على بنائه . قال : إذن أفعل . فقام معه فجعل إبراهيم بينه وإسماعيل يناوله الحجارة . ثم قال إبراهيم لإسماعيل : إيتني بحجر حسن أضعه على الركن فيكون للناس علماً . فناداه أبو قُبَيْس : إن لك عندي وديعة . وقيل : بل جبرائيل أخبره بالحجر الأسود . فأخذه ووضع موضعه . وكانا كلما بنيا دعوا الله : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^٢ .

فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر ، وهو

١ محجوج .

٢ (سورة البقرة ٢ ، الآية ١٢٧) .

مقام إبراهيم ، فجعل يناوله ، فلما فرغ من بناء البيت أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج ، فقال إبراهيم : يا رب وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذنّ وعلّيّ البلاغ . فنادى : أيّها الناس إنّ الله قد كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق ! فسمعه ما بين السماء والأرض وما في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه من آمن ممّن² سبق في علم الله أن يحجّ إلى يوم القيامة ، فأجيب : لبيك لبيك ! ثمّ خرج بإسماعيل معه³ إلى التروية فنزل به منى ومن معه من المسلمين فصلّى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، ثمّ بات حتى أصبح فصلّى بهم الفجر . ثمّ سار إلى عرفّة فأقام بهم هناك حتى إذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثمّ راح بهم⁴ إلى الموقف من عرفة الذي يقف عليه الإمام ، فوقف به على الأراك ، فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتى المزدلفة فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة . ثمّ بات بها ومن معه حتى إذا طلع الفجر صلتى الغداة ثمّ وقف على قزح حتى إذا أسفر⁵ دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحر ثمّ نحر وحلّق وأراه كيف يطوف ثمّ عاد به إلى منى ليريه كيف رمى الجمار حتى فرغ من الحجّ .

وروي عن النبيّ . صلتى الله عليه وسلّم ، أنّ جبرائيل هو الذي أرى إبراهيم كيف يحجّ ، ورواه عنه ابن عمر . ولم يزل البيت على ما بناه إبراهيم ، عليه السلام ، إلى أن هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد النبيّ ، صلتى الله عليه وسلّم ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

1) وما في أرحام S.

4) ثم رجع بهم S.

2) آمن معه من S.

5) إذا استفرّ S.

3) يوم A.

ذكر قصة الذبيح

واختلف السلف من المسلمين في الذبيح^١ ، فقال بعضهم : هو إسماعيل .
وقال بعضهم : هو إسحاق . وقد روي عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ،
كلا القولين ، ولو كان فيهما صحيح لم نعد^١ إلى غيره ، فأما الحديث في
أن الذبيح إسحاق فقد روى الأحنف عن العباس بن عبد المطلب عن رسول
الله ، صلى الله عليه وسلم ، في حديث ذكر فيه : ﴿ وَقَدَيْتَاهُ بِذَبِيحٍ
عَظِيمٍ ﴾^٢ هو إسحاق ، وقد روي هذا الحديث عن العباس من قوله لم
يرفعه .

وأما الحديث الآخر في أن الذبيح إسماعيل فقد روى الصنابحي قال : كنا
عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح فقال : على الخير سقطتم ، كنا
عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فجاءه رجل فقال : يا رسول الله
عُدُّ عليَّ ممَّا أفاء الله عليك يا ابنَ الذبيحين ، فضحك ، صلى الله عليه
وسلم ، فقيل لمعاوية : وما الذبيحان ؟ فقال : إنَّ عبد المطلب نذر إن سهل
اللهُ حفر زمزم أن يذبح أحد أولاده ، فخرج السهمُ على عبد الله أبي النبي ،
صلى الله عليه وسلم ، ففداه بمائة بعير ، وسنذكره إن شاء الله ، والذبيح
الثاني إسماعيل .

١ . لم يَعد . S (1)

١ الذبيحين .

٢ (سورة الصافات ٣٧ ، الآية ١٠٧) .

ذكر من قال إنه إسحاق

ذهب عمرو بن الخطّاب وعليّ والعبّاس بن عبد المطلب وابنه عبد الله ، رضي الله عنهم ، فيما رواه عنه عكرمة وعبدُ الله بن مسعود وكعب وابن سابط وابن أبي الهذيل ومسروق إلى أنّ الذبيحَ إسحاق ، عليه السلام .

حدّث عمرو بن أبي سفيان بن أبي أسيد بن أبي جارية¹ الثقفِيّ أنّ كعباً قال لأبي هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم ؟ قال : بلى . قال كعب : لما رأى إبراهيم ذبح إسحاق قال الشيطان : والله لئن لم أفتن ، عند هذا آل إبراهيم لم أفتن² أحداً منهم بعد ذلك أبداً ، فتمثّل رجلاً³ يعرفونه فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم فقال لها : أين أصبح إبراهيم غادياً بإسحاق ؟ قالت : لبعض حاجته . قال : لا والله إنّما غدا به ليذبحه ! قالت : سارة : لم يكن ليذبح ولده . قال الشيطان : بلى والله لأنّه زعم أنّ الله قد أمره بذلك . قالت سارة : فهذا أحسن أن يطيع ربّه . ثمّ خرج الشيطان فادرك إسحاق وهو مع أبيه فقال له : إنّ إبراهيم يريد أن يذبحك . قال إسحاق : ما كان ليفعل . قال : بلى والله إنّّه زعم أنّ ربّه أمره بذلك⁴ . قال إسحاق : فوالله لئن أمره ربّه بذلك ليطيعنه ! فتركه ولحق إبراهيم فقال : أين أصبحت غادياً بابنك ؟ قال : لبعض حاجتي . قال : لا والله إنّما تريد ذبحه ! قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّك زعمت أنّ الله

1) هرجل . B. 3) . أحداً منهم اليوم فلا أفتن . B. 2) . أسيد بن حارثة . S. 1)

4) Hac verba in B. paullo aliter relata sunt.

1) (في الطبري: عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفِيّ) .

أمرك بذلك . قال إبراهيم : فوالله إن كان الله أمرني بذلك لأفعلن .

فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه أعفاهُ اللهُ من ذلك وفداه بذبح عظيم ، وأوحى اللهُ إلى إسحاق : إني معطيك دعوة أستجيبُ لك فيها . قال إسحاق : اللهم فأَيُّما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة .

وقال عبيد بن عمير¹ : قال موسى : يا ربّ يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فبِمَ نالوا ذلك ؟ قال : إن إبراهيم لم يعدل بي شيئاً قطّ إلاّ اختارني ، وإنّ إسحاق جاد لي بالذّبح وهو بغير ذلك أجود ، وإنّ يعقوب كلّما زدته بلاءً زادني حسن ظنّ بي .

(أسيد بفتح الهمزة ، وكسر السين . وجارية بالميم) .

ذكر من قال إن الذبيح إسماعيل ، عليه السلام

روى سعيد بن جبير ويوسف بن مهران والشعبيّ ومجاهد وعطاء بن أبي رباح كلّهم عن ابن عباس أنّه قال : إنّ الذبيح إسماعيل ، وقال : زعمت اليهود أنّه إسحاق ، وكذبت اليهود . وقال أبو الطفيل والشعبيّ² : رأيتُ قرني الكباش في الكعبة .

قال محمد بن كعب : إنّ الذي أمر اللهُ إبراهيمَ بذبحه من ابنيه إسماعيل ، وإنّا لنجد ذلك في كتاب الله في قصّة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبحه ابنه أنّه إسماعيل ، وذلك أنّ الله تعالى حين فرغ من قصّة المذبح من ابنيّ

ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظي أنّه إسماعيل قال الشعبي : S. add. والشعبي Post 2) . عمرو B. 1)

إبراهيم قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^١ ، ويقول : وبشرناه بإسحاق نبياً ، ومن وراء إسحاق يعقوب بابن وابن ابن ، فلم يكن يأمره بذبح إسحاق ، وله فيه من الله عز وجل ما وعده ، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل ؛ فذكر ذلك محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة ، فقال : إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه وإنني لأراه كما قلت .

ذكر السبب الذي من أجله أمر إبراهيم بالذبح وصفة الذبح

قيل : أمر الله إبراهيم ، عليه السلام ، بذبح ابنه فيما ذكر أنه دعا الله أن يهب له ولداً ذكراً صالحاً ، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^١ . فلما بشرته الملائكة بغلام حلیم قال : إذن هو لله ذبيح . فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له : أوف نذرك الذي نذرت . وهذا على قول من زعم أن الذبيح إسحاق ، وقائل هذا يزعم أن ذلك كان بالشام على ميلين من إيليا . وأما من زعم أنه إسماعيل فيقول : إن ذلك كان بمكة .

قال محمد بن إسحاق : إن إبراهيم قال لابنه حين أمر بذبحه : يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب لأهلك . فلما توجه اعترضه إبليس ليصدّه عن ذلك ، فقال : إليك عني يا عدو الله ! فوالله لأمضين لأمر الله ! فاعترض إسماعيل فأعلمه ما يريد إبراهيم يصنع به ،

1) Cor. 37, vs. 112.

١ (سورة الصافات ٣٧ ، الآية ١٠٠) .

فقال : سمعاً لأمر ربي وطاعة^١ . فذهب إلى هاجر فأعلمها ، فقالت : إن كان ربه أمره بذلك فتسليماً لأمر الله . فرجع بغيظه لم يصب منهم شيئاً .

فلما خلا إبراهيم بالشعب ، وهو شعب ثبير ، قال له : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى . قَالَ : يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ، سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾^١ . ثم قال له : يا أبت إن أردت ذبحي فاشدّد رباطي لا يصبك من دمي شيء فينتقص أجري ، فإن الموت شديد ، واشدّد^٢ شفرتك حتى تريحني ، فإذا أضجعتني فكبتي على وجهي فإنني أخشى إن نظرت في وجهي أنك تدرك رحمة فتحول بينك وبين أمر الله ، وإن رأيت أن ترد قميصي إلى هاجر أمي فعسى أن يكون أسلى لها عني ، فافعل . فقال إبراهيم : نعم المعين أنت ، أي بني ، على أمر الله !

فربطه كما أمره ثم حدّ شفرته ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، ثم أدخل الشفرة خلقه ، فقلبها الله لقفاهما ثم اجتذبا إليه طيفرغ منه ، فنودي : ﴿ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾^٢ ، هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها .

وقيل : جعل الله على حلقة صديفة نحاس . قال ابن عباس : خرج عليه كبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفاً ، وقيل : هو الكبش الذي قرّبه هابيل ، وقال عليّ ، عليه السلام : كان كبشاً أقرن أعين أبيض . وقال الحسن :

1) B. hic repetit : واقه لأمضين لأمر الله .

2) B. et S. واستعدّ .

١ (سورة الصافات ٣٧ ، الآية ١٠٢) .

٢ (سورة الصافات ٣٧ ، الآية ١٠٤) .

ما فُدي إسماعيل إلا بتيس من الأروى هبط عليه من ثبير فذبحه ، قيل :
بالمقام ، وقيل : بمنى في المنحر .

ذكر ما امتحن الله به إبراهيم ، عليه السلام

بعد ابتلاء الله تعالى لإبراهيم بما كان من نمرود وذبح ولده بعد أن رجا
نفعه^١ ابتلاه الله بالكلمات التي أخبر أنه ابتلاه بهن فقال تعالى : ﴿ وَإِذِ
ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾^١ . واختلف السلف من
العلماء الأئمة^٢ في هذه الكلمات . فقال ابن عباس من رواية عكرمة عنه
في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾^١ :
لم يُبتلَ أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم . وقال الله : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي
وَفَّىٰ ﴾^٢ ، قال : والكلمات عشر في براءة ، وهي : ﴿ الْعَابِدُونَ
الْحَامِدُونَ ﴾ الآية ، وعشر في الأحزاب . وهي : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ
وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ الآية ، وعشر في المؤمنين من أولها إلى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ
هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ . وقال آخرون : هي عشر خصال .

قال ابن عباس من رواية طاووس وغيره عنه : الكلمات عشر ، وهي
خمس في الرأس : قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق

1) Cor. 2, vs. 124.

2) علماء الأمة . B. et S.

١ بعد أن جاء نفعه .

٢ (سورة النجم ٥٣ ، الآية ٣٧) .

الرأس ، وخمس في الجسد ، وهي : تقليم الأظفار وحلق العانة والحيتان
ونشف الإبط وغسل أثر الغائط . وقال آخرون : هي مناسك الحج . وقوله
تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾^١ وهو قول أبي صالح ومجاهد . وقال
آخرون : هي ست ، وهي : الكواكب والقمر والشمس والنار والمجرة
والحيتان .

وذبح ابنه ، وهو قول الحسن ، قال : ابتلاه بذلك فعرف أن ربه
دائم لا يزول فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض - وهاجر من وطنه
وأراد ذبح ابنه وختن نفسه . وقيل غير ذلك مما لا حاجة إليه في التاريخ
المختصر ، وإنما ذكرنا هذا القدر لثلاث يخلو من فصول الكتاب .

٤

.....
١) تلا عمل بفصل S (1)

١ (سورة البقرة ٢ ، الآية ١٢٤) .

ذكر عدو الله نمروداً وهلاكه

ونرجع الآن إلى خبر عدو الله نمرود وما آل إليه أمره في دنياه وتمرده على الله تعالى وإملاء الله له ، وكان أول جبار في الأرض ، وكان إحراقه إبراهيم ما قدّمنا ذكره ، فأخرج إبراهيم ، عليه السلام ، من مدينته وحلف أنه يطلب إله إبراهيم ، فأخذ أربعة أفرخ نسور فربّاهن باللحم والحمر حتى كبرن وغلظن ، فقرنهن بتابوت وقعد في ذلك التابوت فأخذ معه رجلاً ومعه لحم هنّ ، فطرن به حتى إذا ذهب أشرف ينظر إلى الأرض فرأى الجبال تدب كالنمل ، ثم رفع هنّ اللحم ونظر إلى الأرض فرآها يحيط بها بحر كأنها فلك في ماء ، ثم رفع طويلاً فوقع في ظلمة فلم يرَ ما فوقه وما تحته . ففزع وألقى اللحم ، فاتبعته النور منقضات ، فلما نظرت الجبال إليهن وقد أقبلن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال وكادت تزول ولم يفعلن . وذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾² . وكانت طيورهن³ من بيت المقدس ، ووقوعهن في جبل الدخان .

فلما رأى أنه لا يطيق شيئاً أخذ في بنيان الصرح فبناه حتى علا وارتقى فوقه ينظر إلى إله إبراهيم بزعمه وأحدث ، ولم يكن يحدث ، وأخذ الله بنيانهم من القواعد من أساس الصرح فسقط وتبلبلت الألسن يومئذ من الفزع . فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً ، وكان لسان الناس قبل ذلك سريانياً .

هكذا روي أنه لم يُحدث ، وهذا ليس بشيء ، فإن الطبع البشري لم

1) Variat scriptio: نمرود et نمرود .

2) Cor. 14, vs. 47.

3) وكان طيرانهن B.

يخلُ منه إنسان حتى الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، وهم أكثر اتصلاً بالعالم العلويّ وأشرف أنفساً ، ومع هذا فيأكلون ويشربون ويبولون ويتغوطون ، فلو نجا منه أحد لكان الأنبياء أولى لشرفهم وقربهم من الله تعالى ، وإن كان لكثرة¹ ملكه فالصحيح أنه لم يملك مستقلاً ، ولو ملك مستقلاً لكان الإسكندر أكثر ملكاً منه ومع هذا فلم يُقل فيه شيء من هذا .

قال زيد بن أسلم : إن الله تعالى بعث إلى نمرود بعد إبراهيم ملكاً يدعوهُ إلى الله أربع مرّات فأبى وقال : أربٌ غيري ؟ فقال له الملك : اجمع جموعك إلى ثلاثة أيّام ، فجمع جموعه ، ففتح الله عليه باباً من البعوض ، فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها ، فبعثها الله عليهم فأكلتهم ولم يبقَ منهم إلاّ العظام والملك كما هو لم يصبه شيء ، فأرسل الله عليه بعوضةً فدخلت في منخره فمكث² بضرب رأسه بالمطارق فأرحمُ الناس به من يجمع³ يديه ويضرب بهما رأسه ، وكان ملكه ذلك⁴ أربعمئة سنة ، وأماته الله تعالى ، وهو الذي بني الصرح .

وقال جماعة : إن نمرود بن كنعان ملك مشرق الأرض ومغربها ، وهذا قول يدفعه أهل العلم بالسير وأخبار الملوك⁵ ، وذلك أنهم لا ينكرون أنّ مولد إبراهيم كان أيّام الضحّاك الذي ذكرنا بعض أخباره فيما مضى ، وأنّه كان ملك شرق الأرض وغربها . وقول القائل إنّ الضحّاك الذي ملك الأرض هو نمرود ليس بصحيح ، لأنّ أهل العلم المتقدمين يذكرون أنّ نسب نمرود في النبط معروف ، ونسب الضحّاك في الفرس مشهور ، وإنّما الضحّاك استعمل نمرود على السواد وما اتصل به يمنة ويسرة وجعله وولده عمّالاً على

1) S. لكثرة . وإن كان لم يحدث لكثرة S. 2) B. add. سنة . أربعين سنة .

3) B. يرفع . 4) A. & S. قبل ذلك . 5) S. الملوك الماضين .

ذلك ، وكان هو يتنقل في البلاد ، وكان وطنه ووطن أجداده دُنْبَاوَنْد^١ من جبال طَبْرِسْتَان ، وهناك رمى به أفريدون حين ظفر به ، وكذلك بخت نصر .

ذكر بعضهم أنه ملك الأرض جميعها ، وليس كذلك : وإنما كان اصبهذ ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربي دجلة من قبل لُهراسب ، لأن لُهراسب كان مشتغلاً بقتال الترك^٢ مقيماً بإزائهم ببلخ ، وهو بناها لما تطاول مقامه هناك لحرب الترك ، ولم يملك أحد من النبط شبراً من الأرض مستقلاً برأسه ، فكيف الأرض جميعها ! وإنما تطاولت مدة نمرود بالسواد أربعمائة سنة ثم دخل من نسله بعد هلاكه جيل يقال له نبط بن قعود^٢ ملك بعده مائة سنة ، ثم كداوص^٣ بن نبط ثمانين سنة ، ثم بالش^٣ بن كداوص مائة وعشرين سنة ، ثم نمرود^٤ بن بالش^٣ سنة وشهراً^٥ ، فذلك سبع مائة سنة وسنة ، وشهد أيام الضحّاك ، وظنّ الناس في نمرود ما ذكرناه ، فلما ملك أفريدون وقهر لازدهاق قتل نمرود بن بالش^٦ وشرّد النبط وقتل فيهم مقتلة عظيمة .

- 1) ديناوند B. 2) نبط بن قعود S. 3) A. et B. لثالش .
4) نمرود بن ثالش B. 5) سنة وستة أشهر وأيام S. 6) B. ثالش .

١ (المشهور أنه جبل من نواحي الري كما ورد في «معجم البلدان» ، وتقع طهران على سفح هذا الجبل) .
٢ (هم الهياطلة) .
٣ (في الطبري : داوص) .

ذكر قصة لوط وقومه

قد ذكرنا مهاجر لوط مع إبراهيم ، عليه السلام ، إلى مصر وعودهم إلى الشام ومقام لوط بسدوم .

فلما أقام بها أرسله الله إلى أهلها ، وكانوا أهل كفر بالله تعالى وركوب فاحشة ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ، أَنتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾¹ . فكان قطعهم السبيل أنهم كانوا يأخذون المسافرين إذا مرّ بهم ويعملون به ذلك العمل الخبيث ، وهو اللواط ، وأما إتيانهم المنكر في ناديم فقبل كانوا يحذفون من مرّ بهم ويسخرون منهم ، وقيل : كانوا يتضارطون في مجالسهم ، وقيل : كان يأتي بعضهم بعضاً في مجالسهم .

وكان لوط يدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم عن الأمور التي يكرهها الله منهم من قطع السبيل وركوب الفواحش وإتيان الذكور في الأدبار ويتوعددهم على إصرارهم وترك التوبة بالعذاب الأليم ، فلا يزرهم ذلك ولا يزيدهم وعظه إلاّ تمادياً واستعجالاً لعقاب الله إنكاراً منهم لوعيده ويقولون له : اتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين . حتى سأل لوط ربه النصره عليهم لما تطاول عليه أمرهم وتماديه في غيهم .

فبعث الله ، لما أراد هلاكهم ونصر رسوله ، جبرائيل وملكين آخرين

1) Cor. 29, vs. 28, 29.

معه أحدهما ميكائيل والآخر إسرافيل ، فأقبلوا فيما ذكر مشاة في صورة رجال وأمرهم أن يبدأوا بإبراهيم وسارة ويبشروه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب .

فلما نزلوا على إبراهيم ، وكان الضيف قد أبطأ عنه خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه ، وكان بضيف من نزل به ، وقد وسع الله عليه الرزق ، فرح بهم ورأى ضيفاً لم ير مثلهم حسناً وجمالاً ، فقال : لا يخدم هؤلاء القوم أحد إلا أنا بيدي . فخرج إلى أهله فجاء بعجل سمين قد حنّده ، أي أنضجه ، فقرّبه إليهم ، فأمسكوا أيديهم عنه ، ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ ، قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، وأمراته - سارة - قائمةً فضحككت - لما عرفت من أمر الله ولما تعلم من قوم لوط - فبشرنها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿ فقالت ، وصكّت وجهها : ﴿ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾ . إلى قوله : ﴿ حميدٌ مجيدٌ ﴾ 1 . وكانت ابنة تسعين سنة وإبراهيم ابن عشرين ومائة 2 .

فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشري ذهب يجادل جبرائيل في قوم لوط ، فقال له : رأيت إن كان فيهم خمسون من المسلمين ؟ قالوا : وإن كان فيهم خمسون من المسلمين لم يعدّ بهم ؟ قال : وأربعون . قالوا : وأربعون ؟ قال : وثلاثون ، حتى بلغ 3 عشرة . قالوا : وإن كان فيهم عشرة ؟ قال : ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير ! ثم قال : ﴿ إن فيها لوطاً . قالوا : نحن أعلم بمن فيها لننجينّه وأهله إلا امرأته

1) Cor. 11, vss. 70-73. 2) ومائة سنة S. 3) وثلاثون حتى بلغ إلى S.

كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿١﴾ .

ثم مضت ثلاثكة نحو سدوم قرية لوط ، فلما انتهوا إليها لقوا لوطاً في أرض له يعمل فيها ، وقد قال الله تعالى لهم : لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فأتوه فقالوا : إنا متضيفوك^٢ اللبيلة ، فانطلق بهم ، فلما مشى ساعة التفت إليهم فقال لهم : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض إنساناً أخبث منهم ، حتى قال ذلك أربع مرات .

وقيل : بل لقوا ابنته فقالوا : يا جارية هل من منزل ؟ قالت : نعم ، مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم . خافت عليهم من قومها ، فأتت أباهم فقالت : يا ابتاه أدرك فتياناً على باب المدينة ما رأيتُ أصبح وُجوهاً منهم لثلاً يأخذهم قومك فيفضحوهم . وكان قومه قد نهوه أن يضيف رجلاً ، فجاء بهم فلم يعلم إلا أهل بيت لوط ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها وقالت لهم : قد نزل بنا قوم ما رأيتُ أحسن وُجوهاً منهم ولا أطيب رائحة . فجاءه قومه يهرعون إليه ، فقال : يا قوم ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾^١ . فنهاهم ورجبهم وقال : ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾^٢ مما تريدون . ﴿ قَالُوا : لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقِّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾^٣ ﴿ أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^٤ ،

1) Cor. 11, vs. 78.

١ (سورة العنكبوت ٢٩ ، الآية ٣٢) .

٢ مضيفوك .

٣ (سورة نود ١١ ، الآية ٧٩) .

٤ (سورة الحجر ١٥ ، الآية ٧٠) .

فلما لم يقبلوا منه ﴿١﴾ قَالَ : لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ يعني لو أن لي أنصاراً أو عشيرة يمنعوني منكم . فلما قال ذلك وجد عليه الرسل فقالوا : إن ركنك لشديد ولم يبعث الله نبياً إلا في ثروة من قومه ومنعة من عشيرته . وأغلق لوط الباب ، فعالجوه ، وفتح لوط الباب ، فدخلوا ، واستأذن جبرائيل ربه في عقوبتهم فأذن له فبسط جناحه ففقا أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم بعضاً عمياناً يقولون : النجاء النجاء ! فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض ! وقالوا للوط : ﴿٣﴾ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴿٤﴾ وَاتَّبِعْ أَذْوَارَهُمْ . . . وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٥﴾ .

فأخرجهم الله إلى الشام وقال لوط : أهلكوهم الساعة ؛ فقالوا : لن نؤمر إلا بالصبح ، ﴿٦﴾ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٧﴾ . فلما كان الصبح أدخل جبرائيل ، وقيل ميكائيل ، جناحه في أرضهم وقراهم الخمس فرفعها حتى سمع أهل السماء صباح ديتكتهم ونباح كلابهم ، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل فأهلكت من لم يكن بالقرى . وسمعت امرأة لوط الهداة فقالت : واقوماه ! فأدركها حجر فقتلها . ونجى الله لوطاً وأهله إلا

١) الله بعدة S .

١ (سورة هود ١١ ، الآية ٨٠) .

٢ (سورة هود ١١ ، الآية ٨١) .

٣ (سورة الحجر ١٥ ، الآية ٦٥) .

٤ (سورة هود ١١ ، الآية ٨٢) .

امراته . وذكُر أنه كان فيها ١ أربعمئة ألف . وكان إبراهيم يتشرف عليها
ويقول : سدوم يوماً هالك . ومدائن قوم لوط خمس : سدوم وصبعة وعمرة
ودوما وصعوة 2 ، وسدوم هي القرية العظى .
قوله يهرعون إليه ، هو مَشِيٌّ بين الهرولة والحمز .

٤

1) B. فهم .

2) B. وضعوه .

ذكر وفاة سارة زوج إبراهيم ، عليه السلام وذكر أولاده وأزواجه

لا يدفع أحد من أهل العلم أن سارة توفيت بالشام ولها مائة وسبع وعشرون سنة ، وقيل : إنها كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان ، وقيل : عاشت هاجر بعد سارة مدة . والصحيح أن هاجر توفيت قبل سارة ، كما ذكرنا في مسير إبراهيم إلى مكة . وهو الصحيح إن شاء الله تعالى .

فلما ماتت سارة تزوج بعدها قطورا ابنة يقطن امرأة من الكنعانيين فولدت له ستة نفر : نفشان ومران¹ ومديان ومدن ونشق وسرح¹ ، وكان جميع أولاد إبراهيم مع إسماعيل وإسحاق ثمانية نفر . وكان إسماعيل بكره . وقيل في عدد أولاده غير ذلك . فالبربر من ولد نفشان² ، وأهل مدين قوم شعيب من ولد مديان .

وقيل : تزوج بعد قطورا امرأة أخرى اسمها حجون ابنة اهير³ .

ذكر وفاة إبراهيم وعدد ما أنزل عليه

قيل : لما أراد الله قبض روح إبراهيم أرسل إليه ملك الموت في صورة شيخ هرم ، فرآه إبراهيم وهو يطعم الناس وهو شيخ كبير في الحر . فبعث إليه بحمار فركبه حتى أتاه ، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه

1) اهبر . A. ; هبر . B. 3) لفشان S. 2) لفشان S. 1) لفشان وزمران S.

١ (وردت هذه الأسماء في الطبري هكذا: يقسان ، زمران ، مديان ، يسبق ، سوح ، بسر) .

فيدخلها في عينه وأذنه ثم يدخلها فاه ، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره ، وكان إبراهيم سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت ، فقال : يا شيخ ما لك تصنع هذا ؟ قال : يا إبراهيم الكبر . قال : ابن كم أنت ؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتين . فقال إبراهيم : إنما بيني وبين أن أصير هكذا سنتان ، اللهم اقبضني إليك ! فقام الشيخ وقبض روحه ومات وهو ابن مائتي سنة .

وقيل مائة وخمسة وسبعين سنة ، وهذا عندي فيه نظر لأن إبراهيم لا يخلو أن يكون قد رأى من هو أكبر منه بستين أو أكثر من ذلك ، فإن من عاش مائتي سنة كيف لا يرى من هو أكبر منه بهذا القدر القريب ؟ ولكن هكذا روي ، ثم إنه قد بلغه عمر نوح ولم يصبه شيء مما رأى بذلك الرجل . وروى أبو ذر عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : وأنزل الله على إبراهيم عشر صحائف ، قال : قلت : يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالا كلها : أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إنني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردّها ولو كانت من كافر .

وكان فيها أمثال ، منها : وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات . ساعة ينجي فيها ربه . وساعة يفكر فيها في صنع الله . وساعة يحاسب فيها نفسه . وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب . وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا في ثلاث : تزود لمعاده ومرمّة لمعاشه ولذّة في غير محرّم . وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه . ومن حسب كلامه من عمله قل [كلامه] إلا فيما يعنيه .

وهو أوّل من اختن ، وأوّل من أضاف الضيف ، وأوّل من اتخذ السراويل ، إلى غير ذلك من الأقاويل .

ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم

قد ذكرنا فيما مضى سبب إسكان إسماعيل الحرم وتروجه امرأة من جرهم وفراقه إياها بأمر إبراهيم ثم تزوج أخرى ، وهي السيدة بنت مضاض الجرهمي ، وهي التي قال لها : قولي لزوجك : قد رضيتُ [لك] عتبة بابك ، فولدت لإسماعيل اثني عشر رجلاً : نابت وقيدار واذيل وميشا ومسمع وربما وماش وآذر¹ وقطورا وقافس² وطميا وقيدمان¹ . وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون سبعا وثلاثين ومائة سنة . ومن نابت وقيدار ابني إسماعيل نشر الله العرب ، وأرسله الله تعالى إلى العماليق وقبائل انيس . وقد ينطق أولاد إسماعيل بغير الألفاظ التي ذكرت . ولما حضرت إسماعيل الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق ، وزوج³ ابته من العيص بن إسحاق ، ودُفن عند قبر أمه هاجر بالحجر .

.....
1) أن يزوج . . . وأن يفتن B (3) . وناس S . وقافس B (2) . وآزر B (1)

١ (في الطبري اختلاف في رواية الأسماء) .

ذكر إسحاق بن إبراهيم وأولاده

قيل : ونكح إسحاق رفقا بنت بتويل فولدت له عيصاً¹ ويعقوب توأمين ، وإن عيصاً كان أكبرهما ، وكان عمر إسحاق لما وُلد له ستين سنة ، ثم نكح عيص بن إسحاق نسمة بنت عمته إسماعيل فولدت له الروم بن عيص² ، وكل بني الأصفر من ولده ، وزعم بعض الناس أن اشبان من ولده .

ونكح يعقوب بن إسحاق ، وهو إسرائيل ، ابنة خاله ليا بنت لبان بن بتويل فولدت له روبيل ، وكان أكبر ولده ، وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون ولشحر³ ، وقيل ويشحر ، ثم توفيت ليا فتزوج أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين ، وهو بالعربية شدّاد ، ووُلد له من سُرِّيَّتَيْن أربعة نفر : دان ونفتالي وجاد واشر ، وكان ليعقوب اثناء عشر رجلاً .

قال السُّدِّي : تزوج إسحاق بجارية فحملت بغلامين ، فلما أرادت أن تضع أراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص : والله لئن خرجت قبلي لأعرضنّ في بطن أمي ولأقتلنها . فتأخر يعقوب وخرج عيص وأخذ يعقوب بعقب عيص ، فسمي يعقوب وسمي أخوه عيصاً لعصيانه . وكان عيص أحبهما إلى أبيه ويعقوب أحبهما إلى أمه . وكان عيص صاحب صيد ، فقال له إسحاق لما كبر وعمي : يا بني أطعمني لحم صيد واقرب مني أدعُ لك بدعاء دعا لي به أبي . وكان عيص رجلاً أشعر ، وكان يعقوب أجرد ، وسمعت أمهما ذلك وقالت ليعقوب : يا بني اذبح شاة واشوها والبس جلدتها وقربها

1) Variat scriptio, jam عيصا . 2) أكروم بن عيص S. 3) ويسحر B.

إلى أبيك وقل له : أنا ابنك عيص ، ففعل ذلك يعقوب ، فلما جاء قال :
يا أبتاه كل . قال : من أنت ؟ قال : أنا ابنك عيص . فمسحه إسحاق فقال :
المسّ مسّ عيص والريح ربح يعقوب . فقالت أمه : إنه عيص فكل .
فأكل ودعا له أن يجعل الله في ذريته الأنبياء والملوك .

وقام يعقوب وجاء عيص ، وكان في الصيد ، فقال لأبيه : قد جئتك بالصيد
الذي طلبت . فقال : يا بنيّ قد سبقك أخوك . فحلف عيص ليقتلنّ يعقوب .
فقال : يا بنيّ قد بقيت لك دعوة ، فدعا له أن يكون ذريته عدد التراب
وأن لا يملكهم غيرهم .

وهرب يعقوب خوفاً من أخيه إلى خاله ، وكان يسري بالليل ويكمن
بالنهار ، فلذلك سُمّي إسرائيل . ثمّ إنّ يعقوب تزوج ابنتي خاله جمع
بينهما ، فلذلك قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ﴾^١ . وولد له منهما ، فماتت راحيل في نفاسها بنيامين ،
وأراد يعقوب الرجوع إلى بيت المقدس فأعطاه خاله قطيع غنم ، فلما ارتحلوا
لم يكن لهم نفقة ، فقالت زوجة يعقوب ليوسف : اسرق صنماً من أصنام أبي
نستفق منه . فسرق صنماً من أصنام أبيها .

وأحبّ يعقوب يوسف وأخاه بنيامين حباً شديداً لئتمهما ، وقال يعقوب
لراعٍ من الرعاة : إذا أتاكم أحد يسألکم منّ أنتم فقولوا : نحن ليعقوب
عبداً عيص . فلقبهم عيص فسألهم فأجاباه الراعي بذلك الجواب ، فكفّ عيص
عن يعقوب ونزل يعقوب الشام ، ومات إسحاق بالشام وعمره مائة وستون
سنة ودُفن عند أبيه إبراهيم ، عليه السلام .

1) Cor. 4, vs. 23.

قصة أيوب ، عليه السلام

وهو رجل من الروم من ولد عيص ، وهو أيوب بن موص بن رازج ابن عيص بن إسحاق بن إبراهيم ، وقيل : موص بن روعيل بن عيص . وكانت زوجته التي أمر أن يضربها بالضغث ليا ابنة يعقوب بن إسحاق وقيل : هي رحمة ابنة افراهم بن يوسف ، وكانت أمه من ولد لوط ، وكان دينه التوحيد والإصلاح بين الناس^١ ، وإذا أراد حاجة سجد ثم طلبها .

وكان من حديثه وسبب بلائه أن إبليس سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب حين ذكره الله فحسده وسأل الله أن يسلطه عليه ليفتنه عن دينه ، فسلطه على ماله حسب ، فجمع إبليس عظماء أصحابه من العفاريت ، وكان لأيترب البسنيّة جميعها من أعمال دمشق بما فيها ، وكان له فيها ألف شاة برعاتها وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكلّ عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة الفدان أتان ولكلّ أتان ولد واثنان وما فوق ذلك ، فلما جمعهم إبليس قال : ما عندكم من القوة والمعرفة فإنّي قد تسلطت على مال أيوب . فقال كلّ منهم قولاً ، فأرسلهم فأهلكوا ماله كله وأيوب بحمد الله ولا يرجع عن الهدى في عبادته والشكر له على ما أعطاه والصبر على ما ابتلاه .

فلما رأى ذلك إبليس من أمره سأل الله أن يسلطه على ولده ، فسلطه^١ [عليهم] ولم يجعل له سلطاناً على جسده ولا عقله وقلبه ، فأهلك ولده كلهم ،

المسلمين .

١ فسلط .

ثمّ جاء . إليه ممثلاً بمعلمهم ، الذي كان يعلم الحكمة جريماً مشدوخاً يرفقه² حتى رقّ آيتوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه ، فسرّ بذلك إبليس .

ثمّ إنّ آيتوب ندم لذلك وجدّ واستغفر ، فصعد حفظته من الملائكة بتوبته إلى الله قبل إبليس ، فلما لم يرجع آيتوب عن عبادة ربه والصبر على ما ابتلاه به سأل الله تعالى أن يسلطه على جسده ، فسلطه عليه خلا لسانه وقلبه وعقله فإنه لم يجعل له على ذلك سلطاناً . فجاءه وهو ساجد فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده وصار أمره إلى أن انتثر لحمه وامتلاً جسده دوداً ، فإن كانت الدودة لتسقط من جسده فيردّها إليه ويقول : كُلي من رزق الله ، وأصابه الجُذام ، وكان أشدّ من ذلك عليه أنه كان يخرج في جسده مثل ثدي المرأة ثمّ يتفقأ ، وأنتن حتى لم يطق أحد يشمّ ريحه³ ، فأخرجته أهل القرية منها إلى الكناسة خارج القرية لا يقربه أحد ، إلاّ زوجته ، وكانت تختلف إليه بما يصلحه ، فبقي مطروحاً على الكناسة سبع سنين ما يسأل⁴ الله أن يكشف ما به ، وما على وجه الأرض أكرم على الله منه .

وقيل : كان سبب بلائه أن أرض الشام أجذبت . فأرسل فرعون إلى آيتوب أن هلمّ إلينا فإنّ لك عندنا سعة ، فأقبل بأهله وخيله وماشيته ، فأقطعهم فرعون القطائع . ثمّ إنّ شعيباً النبيّ دخل إلى فرعون فقال : يا فرعون أما تخاف أن يغضب الله غضبة فيغضب لغضبه أهل السماء وأهل الأرض والبحار والجبال ؟ وآيتوب ساكت لا يتكلّم ، فلما خرجا أوحى الله إلى آيتوب : يا آيتوب سكتّ عن فرعون لذهابك إلى أرضه ، استعدّ للبلاء . فقال آيتوب : أما كنتُ أكفل اليتيم وأؤوي الغريب وأشبع الجائع وأكفت⁵ الأرملة ؟ فمرت سحابة

1) البلاء ممثلاً عليهم يعلمهم B. 1)

2) A. et S. يرفقه .

3) S. رائحته .

4) ما سأل S. 4)

5) S. وأكف ; B. أكفل .

يُسمع فيها عشرة آلاف صوت من الصواعق يقولون: من فعل ذلك^١ يا أيوب؟
فأخذ تراباً فوضعه على رأسه وقال: أنت يا رب، فأوحى الله إليه: استعد
للبلاء. قال: فديني؟ قال: أسلمه لك. قال: فما أبالي.

وقيل: كان السبب غير ذلك، وهو نحو مما ذكرنا^١.

فلما ابتلاه الله واشتد عليه البلاء قالت له امرأته: إنك رجل مجاب
الدعوة فادعُ الله^٢ أن يشفيك. فقال: كنا في النعماء سبعين سنة فلنصبر
في البلاء سبعين سنة، والله لئن شفاني الله لأجلدتك مائة جلدة. وقيل:
إنما أقسم ليجلدها لأن إبليس ظهر لها وقال: بم أصابكم ما أصابكم؟
قالت: بقدر الله. قال: وهذا أيضاً بقدر الله فاتبعيني، فاتبعته، فأراها
جميع ما ذهب منهم في وادٍ وقال: اسجدي لي وأردّه عليكم. فقالت: إن
لي زوجاً أستأمره. فلما أخبرت أيوب قال: ألم تعلمي أن ذلك الشيطان؟
لئن شفيت لأجلدتك مائة جلدة، وأبعدها وقال لها: طعامك وشرابك علي
حرام لا أذوق مما تأتيني به شيئاً فابعدي عني فلا أراك. فذهبت عنه، فلما
رأى أيوب أن امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق
خر ساجداً وقال: رَبُّ ﴿ اِنِّي مَسْنِي الْفُضْرُ وَاَنْتَ اَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ ﴾^٣
كرر ذلك. فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك، ﴿ اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ
هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾^٤، ورد الله إليه جسده وصورته.

١. فعل بك. S. 1)

١ وهو نحو الدعوة كذلك.

٢ فقالت له امرأته ادعُ الله.

٣ (سورة الأنبياء ٢١، الآية ٨٣).

٤ (سورة ص ٣٨، الآية ٤٢).

وأما امرأته فقالت : كيف أتركه ، وليس عنده أحد ، يموت جوعاً وتأكله السباع ؟ فرجعت إليه فرأت أيوب وقد عوفي ، فلم تعرفه ، فعجبت حيث لم تراه على حاله ، فقالت له : يا عبد الله هل رأيت ذلك الرجل المبتلى الذي كان ههنا ؟ قال : وهل تعرفينه إذا رأيته ؟ قالت : نعم . قال : هو أنا . فعرفته .

وقيل : إنما قال : مستي الضرب لما وصل الدود إلى لسانه وقلبه خاف أن يبطل عن ذكر الله تعالى والفكر . ورد الله إليه أهله ومثلهم معهم ، قيل هم بأعيانهم ، وقيل : رد الله إليه امرأته ورد إليها شبابها فولدت له ست وعشرين ذكراً ، وأنزل الله إليه ملكاً فقال : يا أيوب إن الله يقرئك السلام لصبرك على البلاء . اخرج إلى أندرك . فخرج إليه ، فبعث الله سحابة فألقت عليه جراداً من ذهب ، وكانت الحرادة تذهب فيتبعها حتى يردّها في أندره ، فقال الملك : أما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج ؟ فقال : إن هذه البركة من بركات ربي لست أشبع منها .

وعاش أيوب بعد أن رفع عنه البلاء سبعين سنة ، ولما عوفي أمره الله أن يأخذ عرجوناً من النخل فيه مائة شيراخ فيضرب به زوجته ليرت من يمينه ، ففعل ذلك .

وقول أيوب : رب إني مستي الضرب ، دعاء ليس بشكوى ، ودليله قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾¹ .

وكان من دعاء أيوب : أعوذ بالله من جارٍ عينه² تراني إن رأى حسنة سترها وإن رأى سيئة ذكرها . وقيل : كان سبب دعائه أنه كان قد اتبعه

1) Cor. 21, vs. 84.

2) تراني وقلبه يرعاني إن س.

ثلاثة نفر على دينه اسم أحدهم يلدد والآخر اليفر والثالث صافراً ، فانطلقوا إليه وهو في البلاء فبكتوه أشدّ تبكيت وقالوا له : لقد أذنبت ذنباً ما أذنبه أحد ، فلماذا لم يكشف العذاب عنك . وطال الجدل بينهم وبينه ، فقال فتي كان معهم لهم كلاماً يردّ عليهم ، فقال : قد تركتم من القول أحسنه ، ومن الرأي أصوبه ، ومن الأمر أجمله ، وقد كان لأيتوب عليكم من الحقّ والذمام أفضل من الذي وصفتم ، فهل تدرّون حقّ من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم ؟ ألم تعلموا أنّ أيتوب نبيّ الله وخيرته من خلقه يومكم هذا ؟ ثمّ لم تعلموا ولم يعلمكم الله أنّه سخط شيئاً من أمره ولا أنّه نزع شيئاً من الكرامة التي كرّم الله بها عباده ولا أنّ أيتوب فعل غير الحقّ في طول ما صحبتموه ، فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في نفوسكم ، فقد علمتم أنّ الله يبتي النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لأولئك دليلاً على سخطه عليهم ولا على هوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم . وأطال في هذا النحو من الكلام .

ثمّ قال لهم : وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يُكلّ ألسنتكم ويكسر قلوبكم ويقطع خجنتكم ، ألم تعلموا أنّ الله عبداً أسكتهم خشيته عن الكلام من غير عي ولا بكم ؟ وإنّهم لهم الفصحاء الألباء العالمون بالله وآياته^٢ ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم وطاشت أحلامهم وعقولهم فرعاً من الله وهيبة له ، فإذا أفاقوا استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية يعدّون أنفسهم مع الظالمين وإنّهم لأبرار ،

١ (وردت هذه الأسماء في التوراة ، سفر أيوب ، الآية ١١ من الفصل الثاني : يلدد الشّوحي ، ألباز التّيماني ، صوفّر النّعماني) .
٢ وآياته .

ومع انقصرين وإنهم لأكياس أتقياء ، ولكنهم لا يستكثرون لله عز وجل
الكثير ولا يرضون له القليل ولا يدلّون عليه بالأعمال فهم أينما لقينهم خائفون
مُهيمُونَ وَجِلُونَ .

فلما سمع أيوب كلامه^١ قال : إن الله نزرع الحكمة بالرحمة في قلب
الصغير والكبير ، فمتى كانت في القلب ظهرت على اللسان ولا تكون الحكمة
من قبيل السن والشيبة ولا طول التجربة . وإذا جعل الله تعالى عبداً حكيماً عند
الصبا لم تسقط منزلته عند الحكام . ثم أقبل على الثلاثة فقال : رهبتم قبل أن
تُسْرهبوا ، وبكيتم قبل أن تُضْرَبوا ، كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني
بأموالكم لعل الله أن يخلصني ، أو قربوا قرباناً لعل الله أن يتقبل ويرضى عني ؟
وإنكم قد أعجبتم أنفسكم فظنتم أنكم عوفيتم بإحسانكم فبغيتم وتعزّزتم .
لو صدقتم^٢ ونظرتم بينكم وبين ربكم لوجدتم لكم عيوباً سترها الله بالعافية .
وقد كنتُ فيما خلا والرجال يوقرونني وأنا مسموع كلامي ، معروف من
حقي ، مستنصف^١ من خصمي . فأصبحتُ اليوم وليس لي رأي ولا كلام
معكم ، فأنتم أشدّ عليّ من مصيبي .

ثمّ أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثاً به متضرّعاً إليه فقال : ربّ لأيّ
شيء خلقتني ! ليتني إن كرهتني لم تفلقني : يا ليتني كنتُ حيضةً ملقاةً ،
ويا ليتني عرفتُ الذنب الذي أذنبتُ فصرفتُ وجهك الكريم عني ! لو كنتُ
أمتي فالموت أجمل بي ! ألم أكن للغريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم ولياً

1) S. منتصف .

١ كلامهم .

٢ تصدقتم .

وللأرملة قيماً؟ إلهي أنا عبد ذليل إن أحسنتُ فالمنّ لك ، وإن أسأتُ فبيدك عقوبتي ! جعلتني للبلاء عرضاً فقد وقع عليّ البلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي ! ذهب المال فصرتُ أسألُ بكفتي فيطعمني من كنتُ أعوله اللقمة الواحدة فيمنّتها عليّ ويعيّرني ! هلك أولادي ، ولو بقي أحدهم أعاني . قد ملّتي أهلي وعقتي أرحامي فتنكرت معارفي ، ورغب عني صديقي ، وجحدتُ حقوقي ، ونُسيت صنائعي . أصرخ فلا يُصرخونني ، وأعتذر فلا يعذرونني . دعوتُ غلامي فلم يجبني ، وتضرّعتُ إلى أمي فلم ترحمني ، وإنّ قضاءك هو الذي آذاني وأقماني ¹ ، وإنّ سلطانك هو الذي أسقمني . فلو أنّ ربّي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلّم ملء فمي ثمّ كان ينبغي للعبد أن يحاجّ مولاه عن نفسه ، لرجوتُ أن تعافيني عند ذلك ، ولكنه ألقاني وعلا عني فهو يراني ولا أراه ، ويسمعني ولا أسمعه ، لا نظر إليّ فرحمني ، ولا دنا مني فأتكلّم ببراءتي وأخاصم عن نفسي .

فلما قال أيّوب ذلك أظلمتهم غمامة وعمودي منها : يا أيّوب إنّ الله يقول قد دنوتُ منك ولم أزلُ منك قريباً فقم فادلّ بحجّتك وتكلّم ببراءتك وقمّ مقام جبّار فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلاّ جبّار . تجعل الزيار¹ في فم الأسد واللجام في فم التنين وتكيل مكيالاً من النور وترنُ مثقالاً من الريح وتصرّ صرّة من الشمس وتردّ أمس . لقد منتك نفسك أمراً لا تبلغه بمثل قوتك . أردتُ أن تكابرنني ² بضعفك أم تخاصمني بعيّك أم تحاجّني بخطلك ! أين أنت مني يومَ خلقتُ الأرض ؟ هل علمتَ بأيّ مقدار قدرتها ؟ أين كنتَ معي يوم

1) الويار .

2) تماكرني .

1 الويار . (الزيار : خشبتان يضغط بهما اليطار جحفلة الفرس أي شفته فيلك فيتمكن من يطرته) .

رفعتُ السماء سقفاً في الهواء لا بعلائق ولا بدعائم تحملها؟ هل تبلغ حكمتك أن تجري نورها أو تسيّر نجومها أو يختلف بأمرك ليلاً ونهارها؟ وذكر أشياء من مصنوعات الله .

قال أيوب : قصرتُ عن هذا الأمر ! ليت الأرض انشقت لي فذهبتُ فيها ولم أتكلّم بشيء يسخطك ! إلهي اجتمع عليّ البلاء وأنا أعلم أنّ كلّ الذي ذكرت صنع يديك وتديبر حكمتك لا يُعجزك شيء ولا تخفي عليك خافية ، تعلم ما تخفي القلوب ، وقد علمت في بلائي ما لم أكن أعده . كنتُ أسمع بسطوتك سمعاً فأما الآن فهو نظر العين . إنّما تكلمتُ بما تكلمتُ به لتعلمني ، وسكتتُ لترحمي ، وقد وضعتُ يدي على فمي وعضفتُ على لساني وألصقتُ بالتراب خدي فلدستُ فيه وجهي فلا أعود لشيء تكرهه . ودعا .

قال الله : يا أيوب نفذ فيك حكمي وسبقت رحمتي غضبي ، قد غفرتُ لك ورددتُ عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وعبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين ، ﴿ اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ فيه شفاء ، وقرب عن أصحابك قرباناً واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك . فركض برجله فانفجرت له عين ماء ، فاغتسل فيها ، ورفع الله عنه البلاء ، ثمّ خرج فجلس وأقبلت امرأته فسألته عنه فقال : هل تعرفينه؟ قالت : نعم ، ما لي لا أعرفه ! فتبسّم ، فعرفته بضحكه ، فاعتنقته فلم تفارقه من عناقه حتى مرّ بهما كلّ مال لهما وولد .

وانّما ذكرته قبل يوسف وقصته لما ذكر بعضهم من أمره وأنّه كان نبياً في عهد يعقوب .

١ (سورة ص ٣٨ ، الآية ٤٢) .

وذكر أن عمر أيوب كان ثلاثاً وتسعين سنة ، وأنه أوصى عند موته
إلى ابنه حومل¹ ، وأن الله بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبياً وسمّاه ذا الكِفْل ؛
وكان مقيماً بالشام حتى مات ، وكان عمره خمساً وسبعين سنة ، فأوصى إلى
ابنه عيدان ، وأن الله بعث بعده شُعَيْبَ بنَ ضَيْعُونَ² بن عنقا بن ثابت¹ بن
مدين بن إبراهيم ، عليه السلام .

2) ب. صفيون .

1 (في الطبري : بن صيفون بن عيفا بن نابت) .

ذكر قصة يوسف ، عليه السلام

ذكروا أن إسحاق توفي وعمره ستون ومائة سنة ، وقبره عند أبيه إبراهيم ، قبره ابناه يعقوب وعيص في مزرعة حَبْرُونَ^١ ، وكان عمر يعقوب مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وكان ابنه يوسف قد قسم له ولأمه شطر الحسن ، وكان يعقوب قد دفعه إلى أخته ابنة إسحاق تحضنه ، فأحبته حباً شديداً وأحبه يعقوب أيضاً حباً شديداً ، فقال لأخته : يا أختي ! سلمني إليّ يوسف فوالله ما أقدر أن يغيب عني ساعة . فقالت : والله ما أنا بتاركته ساعة . فأصرّ يعقوب على أخذه منها ، فقالت : اتركه عندي أياماً لعلّ ذلك يسليني ، ثمّ عمدت إلى منطقة إسحاق ، وكانت عندها ، لأنها كانت أكبر ولده ، فحزمتها على وسط يوسف ثمّ قالت : قد فقّدت المنطقة فانظروا منّ أخذها . فالتُمتست . فقالت : اكشفوا أهل البيت . فكشفوهم فوجدوها مع يوسف ، وكان من مذهبهم أن صاحب السرقة يأخذ السارق له لا يعارضه فيه أحد ، فأخذت يوسف فأمسكته عندها حتى ماتت وأخذته يعقوب بعد موتها . فهذا الذي تأوّل إخوة يوسف : ﴿ إِنَّ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾^٢ ، وقيل في سرقة غير هذا ، وقد تقدّم .

فلما رأى إخوة يوسف محبة أبيهم له وإقباله عليه حسدوه وعظم عندهم .

١ . جيرون B ; جيرون A ; جيرون C . P . 1)

١ تقول .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٧٧) .

ثم إن يوسف رأى في منامه كأن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر تسجد¹ له ، فقصّها على أبيه ، وكان عمره حينئذ اثني عشرة سنة . فقال له أبوه : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾² . ثم عبر له رؤياه . فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ يَدَائِلِ الْأَحَادِيثِ ﴾² .

وسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه فقال لها يعقوب : اكنمي ما قال يوسف ولا تخبري أولادك . قالت : نعم . فلما أقبل أولاد يعقوب من الرعي³ أخبرتهم بالرؤيا ، فازدادوا حسداً وكراهةً له وقالوا : ما عني بالشمس غير أينا ، ولا بالقمر غيرك ، ولا بالكواكب غيرنا ، إن ابن راحيل يريد أن يملك علينا ويقول أنا سيدكم . وتأمروا بينهم أن يفرقوا بينه وبين أبيه وقالوا : ﴿ لِيُؤْسَفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ، إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ - فِي خَطْلٍ بَيْنَ فِي إِثَارِهِمَا عَلَيْنَا - اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْخُلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾⁴ أي تائبين .

فقال قائل منهم ، وهو يهودا¹ ، وكان أفضلهم وأعقلهم : لا تقتلوا يوسف فإنّ القتل عظيم ، وألوه في غيابة الحبّ يلتقطه بعض السيّارة ، وأخذ عليهم العهد أنهم لا يقتلونه ، فأجمعوا عند ذلك أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه في إرسال يوسف معهم إلى البرية ، وأقبلوا إليه ووقفوا بين يديه ، وكذلك

1) B. et S. قد سجدا .

2) Cor. 12, vs. 5, 6.

3) S. المرعي .

4) Cor. 12, vs. 8, 9.

١ (في الطبري : يهوذا) .

كانوا يفعلون إذا أرادوا منه حاجة ، فلما رأهم قال : ما حاجتكم ؟ ﴿ قَالُوا : يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ - نحفظه حتى نرده - أَرْسَلَهُ مَعَنَا - إلى الصحراء - غَدَاً يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^١ . فقال لهم يعقوب : ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾^٢ لا تشعرون ، وإنما قال لهم ذلك لأنه كان رأى في منامه كأن يوسف على رأس جبل وكان عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليقتلوه ، وإذا ذئب منها يحمي عنه ، وكان الأرض انشقت فذهب فيها فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة أيام ، فلذلك خاف عليه الذئب .

فقال له بنوه : ﴿ لَئِنِ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾^٣ . فاطمأن^١ إليهم ، فقال يوسف : يا أبتِ أرسلني معهم . قال : أوتحبّ ذلك ؟ قال : نعم . فأذن له ، فلبس ثيابه وخرج معهم وهم يكرمونه ، فلما برزوا إلى البرية أظهروا له العداوة وجعل بعض إخوته يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لا يرى منهم رحيماً ، فضربوه حتى كادوا يقتلونه ، وجعل يصيح : يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الإماء . فلما كادوا يقتلونه قال لهم يهودا : أليس قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه ؟ فانطلقوا به إلى الحبّ فأوثقوه كتافاً ونزعوا قميصه وألقوه فيه ، فقال : يا إخوتاه ردّوا عليّ قميصي أتوارى به في الحبّ ! فقالوا : ادعُ الشمسَ والقمرَ والأحد

١) فلما سمع يعقوب ذلك اطمأن B.

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآيات ١١ ، ١٢) .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ١٣) .

٣ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ١٤) .

عشر كوكباً تؤنسك . قال : إني لم أر شيئاً ، فدلته في الحب ، فلما بلغ نصفه ألقوه وأرادوا أن يموت ، وكان في البئر ماء ، فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فأقام عليها ، ثم نادوه فظن أنهم قد رحموه فأجابهم ، فأرادوا أن يرضخوه بالحجارة فمنعهم يهودا .

ثم أوحى الله إليه : ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^١ بالوحي ، وقيل لا يشعرون أنه يوسف .
والحب بأرض بيت المقدس معروف .

ثم عادوا إلى أبيهم عشاءً يكون فقالوا : ﴿ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾^٢ . فقال لهم أبوهم : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ، فَصَبِرْ جَمِيلٌ ﴾^٣ . ثم قال لهم : أروني قميصه . فأروه . فقال : تالله ما رأيت ذنباً أحلم من هذا ! أكل ابني ولم يشق قميصه ! ثم صاح وخر مغشياً عليه ساعة ، فلما أفاق بكى بكاء طويلاً فأخذ القميص يقبله ويشمه .^٤

وأقام يوسف في الحب ثلاثة أيام ، وأرسل الله ملكاً فحل كتابه ، ثم ﴿ جَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾^٥ ، وهو الذي يتقدم إلى الماء ، ﴿ فَادَّالَى دَلْوَهُ ﴾^٦ إلى البئر ، فتعلق به يوسف فأخرجه من الحب ، و ﴿ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ ﴾^٧ وأسرّوه بضاعة^٨ يعني الوارد وأصحابه خافوا

١) تباشروا وقيل يا بشرى اسم غلام S. add. غلام post 1)

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ١٥) .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ١٧) .

٣ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ١٨) .

٤ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ١٩) .

أن يقولوا اشتريناه فيقول الرفقة اشركونا فيه فقالوا : إن أهل الماء استبضعونا هذا الغلام .

وجاء يهودا بطعام ليوسف فلم يره في الحب فنظر فرآه عند مالك في المنزل فأخبر إخوته بذلك ، فأتوا مالكا وقالوا : هذا عبد آبق منا . وخافهم يوسف فلم يذكر حاله ، واشتروه من إخوته بثمان بنحس ؛ قيل عشرون درهماً ، وقيل أربعون درهماً ، وذهبوا به إلى مصر ، فكساه مالك وعرضه للبيع ، فاشتراه قُطْفِير^١ ، وقيل اطفير ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العمالقة ، قيل : إن هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف ومات ويوسف حي ، وملك بعده قابوس بن مصعب ، فدعاه يوسف فلم يؤمن .

فلما اشترى يوسف وأتى به إلى منزله قال لامرأته ، واسمها راعيل : ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا ﴾ [فيكفينا] إذا [هو بلغ و] فهم الأمور بعض ما نحن بسبيله ﴿ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾^٢ ، وكان لا يأتي النساء ، وكانت امرأته حسناء ناعمة في ملك ودين^٣ .

فلما خلا من عمر يوسف ثلاث وثلاثون سنة آتاه الله العلم والحكمة قبل النبوة ، وراودته راعيل عن نفسه وأغلقت الأبواب عليه وعليها ودعته إلى نفسها ، فقال : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي .- يعني أن زوجك سيدي - أَحْسَنَ مَثْوَايَ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾^٤ ، يعني أن خيانته ظلم ، وجعلت

١ (ورد في التوراة ، الفصل ٣٩ من سفر التكوين ، الآية ١ ، فوطيفار) .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٢١) .

٣ ودين .

٤ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٢٣) .

تذكر محاسنه وتشوقه إلى نفسها ، فقالت له : يا يوسف ما أحسن شعرك !
 قال : هو أول ما ينتثر من جسدي . قالت : يا يوسف ما أحسن عينيك !
 قال : هما أول ما يسيل من جسدي . قالت : ما أحسن وجهك ! قال : هو
 للتراب . فلم تزل به حتى همت وهم بها^١ وذهب ليحلّ سراويله ، فإذا هو
 بصورة يعقوب قد عضّ على إصبعه يقول : يا يوسف لا تواقعها إنما مثلك
 ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ، ومثلك إذا واقعها مثله إذا
 مات وسقط إلى الأرض .

وقيل : جلس بين رجليها فرأى في الحائط : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ
 كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾^٢ . فقام حين رأى برهان ربه هارباً يريد
 الباب ، فأدركته قبل خروجه من الباب فجدبت قميصه من قبل ظهره فقدته ،
 ﴿ وَالنَّفِيَا سَيِّدَهُمَا لَدَىٰ الْبَابِ - وابن عمّتها معه ، فقالت له - :
 مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ ﴾^٣ . قال يوسف :
 بل ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾^٤ فهربتُ منها فأدركتني فقدت قميصي .
 قال لها ابن عمّتها : تبيان هذا في القميص فإن كان قدّ من قبل فصدقت ،
 وإن كان قدّ من دُبُرٍ فكذبت . فأتيّ بالقميص فوجده قدّ من دبر فقال :

أعوذ بالله من هذا الاعتقاد بل هم : 1) B. add., id quod forte e margine in textum irrepsit :
 بها بالضرب تأديباً أو القتل أو أن الهمّ وحصوله مطلق على عدم رؤية البرهان وإلا فأنبياء الله
 منزّهون من الهمّ على الفاحشة .

١ (أثبتنا رواية الطبري ، في الأصل : يا يوسف أتواقعها) .

٢ (سورة الإسراء ١٧ ، الآية ٣٢) .

٣ (سورة يوسف ١٢ ، الآيات ٢٥ ، ٢٦) .

﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾^١ .

وقيل : كان الشاهد صبيّاً في المهد . قال ابن عباس : تكلم أربعة في المهد وهم صفار ، ابن ماشطة امرأة فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم .

وقال زوجها ليوسف : ﴿ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ أي ذكر ما كان منها فلا تذكره لأحد ، ثم قال لزوجته : ﴿ اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾^٢ .

وتحدث النساء بأمر يوسف وامرأة العزيز ، وبلغ ذلك امرأة العزيز ، فأرسلت إليهن وأعدت لهن متكأ يتكئن عليه [من] وسائد ، وحضرن ، وقدمت لهن أترنجياً وأعطت كل واحدة منهن سكيناً لقطع الأترنج ، وقد أجلست يوسف في غير المجلس الذي من فيه وقالت له : ﴿ أَخْرِجْ عَلَيْنَهُنَّ - فخرج - فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ - وأعظمته - وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ بالسكاكين ولا يشعرن ، وقلن : معاذ الله ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ، إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾^٣ .

فلما حل بين ما حل من قطعهن أيديهن وذهاب عقولهن وعرفن خطأهن فيما قلن أقرت على نفسها وقالت : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ ، وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ، وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾^٤ . فاختار يوسف السجن

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٢٨) .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٢٩) .

٣ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٣١) .

٤ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٣٢) .

على معصية الله ، فقال : ﴿ رَبُّ السُّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾^١ . ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾^١ . ثم بدا للعزير من بعد ما رأى الآيات من القميص وخمش الوجه وشهادة الطفل وتقطيع النسوة أيديهن في ترك يوسف مطلقاً .

وقيل : إنها شكت إلى زوجها وقالت : إن هذا العبد قد فضحني في الناس يخبرهم أنني راودته عن نفسه ، فسجنه سبع سنين . فلما حبس يوسف أدخل معه السجن فتيان من أصحاب فرعون مصر ، أحدهما صاحب طعامه ، والآخر صاحب شرابه ، لأنهما نقل عنهما أنهما يريدان أن يسما الملك ، فلما دخل يوسف السجن قال : إني أعبر الأحلام . فقال أحد الفتيين للآخر : هلم فلنجربه . قال الحباز : ﴿ إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تاكل الطير منه ﴾^٢ . وقال الآخر : ﴿ إني أراني أعصر خمراً ﴾^٢ . فقال لهما يوسف : ﴿ لا يأتیکما طعام ترزقانه إلا نبتا کما بتأويله قبل أن يأتیکما ﴾^٣ . كره أن يعبر لهما ما سألاه عنه ، وأخذ في غير ذلك وقال : ﴿ يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ﴾^٤ وكان اسم الحباز محلت^١ ، واسم الآخر نبو^٢ ، فلم يدعاه حتى أخبرهما بتأويل ما سألاه عنه ، فقال : ﴿ أما أحدكما ﴾^٤ ، وهو الذي رأى

١) لسبو . S . الآخر نسبو . S . يو . B . 2) محبت . B . مجلت . A . 1)

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآيات ٣٣ ، ٣٤) .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٣٦) .

٣ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٣٧) .

٤ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٣٩) .

٥ (في الطبري : محلب) .

أنه يعصر الحمر ، ﴿ فَيَسْتَقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾^١ ، يعني سيده الملك ، ﴿ وَأَمَّا
الْآخِرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾^١ . فلما عبر لهما قالا :
ما رأينا شيئاً ! قال : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾^١ . ثم قال
لبنوا ، وهو الذي ظن أنه ناجٍ منهما : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾^٢ الملك
وأخبره أنني محبوس ظلماً . ﴿ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾^٢ ، غفلة
عرضت ليوسف من قبل الشيطان ، فأوحى الله إليه : يا يوسف اتخذت من
دوني وكيلاً ! لأطيلن حبسك . فلبث في السجن سبع سنين .

ثم إن الملك ، وهو الريان بن الوليد بن الهروان بن اراشة² بن فاران بن
عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، رأى رؤيا هائلة ، رأى سبع بقرات
سمان يأكلهن سبع عجاف ، ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات ،
فجمع السحرة والكهنة والحازرة والعافة فقصها عليهم ، فقالوا : ﴿ أَضْغَاثُ
أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ . وَقَالَ الَّذِي نَجَا
مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ - أَي حِينَ - أَنَا أَنْبَتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
فَأَرْسِلُونِ ﴾^٣ . فأرسلوه إلى يوسف ، فقص عليه الرؤيا ، فقال : ﴿ تَزْرَعُونَ
سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا
تَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا
قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ

1) للآخر B. ; ليو A. 1)

2) راشد B. 2)

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٤١) .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٤٢) .

٣ (سورة يوسف ١٢ ، الآيات ٤٤ ، ٤٥) .

ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿١﴾ ، فَإِنَّ الْبَقْرَ السَّمَانَ
السنون المخاصيب ، والبقرات العجاف السنون المحول ، وكذلك السنبلات الحضر
واليابسات ، فعاد نبوا إلى الملك فأخبره ، فعلم أن قول يوسف حق ، فقال :
﴿ ائْتُونِي بِهِ ﴾ ٢ . فلما أتاه الرسول ودعاه إلى الملك لم يخرج معه وقال :
﴿ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ اللَّاتِي قَطَعْنَا أَيْدِيَهُنَّ ؟ ﴾ ٣
فلما رجع الرسول من عند يوسف سأل الملك أولئك النسوة فقلن : ﴿ حَاشَ
لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ ٤ ولكن امرأة العزيز خبرتنا أنها راودته
عن نفسه ، فقالت امرأة العزيز : ﴿ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ٥ . فقال
يوسف : إنما رددت الرسل ليعلم سيدي ﴿ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ٦
في زوجته . فلما قال ذلك ، قال له جبرائيل : ولا حين هممت بها ؟ فقال
يوسف : ﴿ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ ٧ .
فلما ظهر للملك براءة يوسف وأمانته قال : ﴿ ائْتُونِي بِهِ اسْتَخْلِصْهُ
لِنَفْسِي ﴾ ٨ . فلما جاءه الرسول خرج معه عودعا لأهل السجن وكتب على
بابه : هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء .
ثم اغتسل ولبس ثيابه وقصد الملك ، فلما وصل إليه ﴿ كَلَّمَهُ قَالَ : إِنَّكَ

١) بنو B .

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآيات ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩) .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٥٠) .

٣ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٥١) .

٤ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٥٢) .

٥ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٥٣) .

٦ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٥٤) .

الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿١﴾ . فقال يوسف : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ ٢ . فاستعمله بعد سنة ولو لم يقل اجعني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ، فسلم خزائنه كلها إليه بعد سنة ٣ وجعل القضاء إليه وحكمه نافذاً ، وردّ إليه عمل قُطْفِير سيّده بعد أن هلك ، وكان هلاكه في تلك الليالي ، وقيل : بل عزله فرعون وولّى يوسف عمله . والأوّل أصحّ لأنّ يوسف تزوّج امرأته ، على ما نذكره .

ولما ولي يوسف عمل مصر دعا الملك الريّان إلى الإيمان ، فأمن ، ثمّ توفي ، ثمّ ملك بعده مصر قابوس بن مصعب بن معاوية بن نعيم بن السلواس ابن فاران بن عمرو بن عملاق ، فدعاه يوسف إلى الإيمان ، فأمّ يؤمن ، وتوفي يوسف في ملكه .

ثمّ إنّ الملك الريّان زوّج يوسف راعيل امرأة سيّده . فلما دخل بها قال : أليس هذا خيراً ممّا كنتِ تريدين ؟ فقالت : أيتها الصديق لا تلمني فإنّي كنتُ امرأة حسناء جميلة في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء ، وكنتُ كما جعلك الله في حسنك فغلبتني نفسي . ووجدتها بكرّاً ، فولدت له ولدَيْن افرائيم ومنشا ٤ .

فلما ولي يوسف خزائن أرضه ومضت السنون السبع المخصبات وجمع فيها الطعام في سنبله ودخلت السنون المجذبة وقحط الناس وأصابهم الجوع وأصاب بلاد يعقوب التي هو بها بعث بنيه إلى مصر وأمسك بنيامين أخا يوسف

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٥٤) .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٥٥) .

٣ . فاستعمله من ساعته ، فسلم خزائنه كلها إليه بعد سنة .

٤ (في سفر التكوين ، الفصل ٣٩ ، الآية ٥١ ، ورد الاسم منسّق) .

لأمة ، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ، وإنما أنكروه
 بعد عهدهم منه ولتغير لبيسته ، فإنه لبس ثياب الملوك ، فلما نظر إليهم قال :
 أخبروني ما شأنكم . قالوا : نحن من الشام جئنا نمتار الطعام . قال : كذبتُمْ ،
 أنتم عيون ، فأخبروني خبركم . قالوا : نحن عشرة أولاد رجل واحد صديق ،
 كنا اثني عشر ، وإنه كان لنا أخ فخرج معنا إلى البرية فهلك ، وكان أحبنا
 إلى أبينا . قال : فإلى من سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه .
 قال : فأتوني به أنظر إليه ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي
 وَلَا تَقْرَبُونِ ، قَالُوا : سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ . قال : فاجعلوا بعضكم
 عندي رهينة حتى ترجعوا . فوضعوا شمعون ، أصابته القرعة ، وجهزهم
 يوسف بجهازهم وقال لفتيانہ : اجعلوا بضاعتهم ، يعني ثمن الطعام ، في رحالهم
 لعلهم يرجعون ، لما علم أن أمانتهم وديانتهم تحملهم على ردّ البضاعة فيرجعون
 إليه لأجلها .

وقيل : ردّ ما لهم لأنه خشي أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة
 أخرى ، فإذا رأوا معهم بضاعة عادوا . وكان يوسف حين رأى ما بالناس
 من الجهد قد أسي بينهم ، وكان لا يحمل للرجل إلا بعيراً .

فلما رجعوا إلى أبيهم بأحمالهم قالوا : يا أبانا إن عزيز مصر قد أكرمنا
 كرامة لو أنه بعض أولاد يعقوب ما زاد على كرامته ، وإنه ارتهن شمعون
 وقال : اتوني بأخيكم الذي عطف عليه أبوكم بعد أخيكم ، ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي
 بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ . قال : ﴿ هَلْ آمَنُكُمْ
 عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ! وَلَمَّا فَتَحُوا
 مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ، قَالُوا : يَا أَبَانَا مَا

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآيات ٦٠ ، ٦١) .

نَبِيٍّ ، هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلِنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَنَا
 وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴿١﴾ ، قَالَ يَعْقُوبُ : ﴿ ذَلِكْ كَيْلٌ بِسِيرٍ ﴾ ﴿١﴾ ،
 فَقَالَ يَعْقُوبُ : ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ
 لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ . فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ : اللَّهُ
 عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ ﴿٢﴾ . ثُمَّ أَوْصَاهُمْ أَبُوهُمْ بَعْدَ أَنْ أذِنَ لِأَخِيهِمْ فِي
 الرَّحِيلِ مَعَهُمْ ﴿ وَقَالَ : يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ
 وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ ﴿٣﴾ ، خَافَ عَلَيْهِمُ الْعَيْنَ ، وَكَانُوا ذَوِي
 صُورَةٍ حَسَنَةٍ ، ففَعَلُوا كَمَا أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ، ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ
 آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ ﴿٤﴾ وَعَرَفَهُ وَأَنْزَلَهُمْ مَنَازِلًا وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ الْوُظَائِفَ وَقَدَّمَ لَهُمُ
 الطَّعَامَ وَأَجْلَسَ كُلَّ اثْنَيْنِ عَلَى مَائِدَةٍ ، فَبَقِيَ بَنِيَامِينَ وَحَدَهُ ، فَبَكَى وَقَالَ :
 لَوْ كَانَ أَخِي يُوسُفَ حَيًّا لِأَجْلَسَنِي مَعَهُ ! فَقَالَ يُوسُفُ : لَقَدْ بَقِيَ أَخُوكُمْ
 هَذَا وَحِيدًا ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ وَقَعَدَ بِوَأْكَلَهُ . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ جَاءَهُمْ بِالْفُرْشِ
 وَقَالَ : لِيَمْ كُلُّ أَخَوَيْنِ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشٍ ، وَبَقِيَ بَنِيَامِينَ وَحَدَهُ ، فَقَالَ :
 هَذَا يَنَامُ مَعِيَ ، فَبَاتَ مَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَبَقِيَ يَشْمُهُ وَيَضُمُّهُ إِلَيْهِ حَتَّى أَصْبَحَ ،
 وَذَكَرَ لَهُ بَنِيَامِينَ حَزْنَهُ عَلَى يُوسُفَ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَخَاكَ عَوَضَ
 أَخِيكَ الذَّاهِبِ ؟ فَقَالَ بَنِيَامِينَ : وَمَنْ يَجِدُ أَخًا مِثْلَكَ ! وَلَكِنْ لَمْ يَلِدْكَ
 يَعْقُوبُ وَلَا رَاحِيلُ . فَبَكَى يُوسُفَ وَقَامَ إِلَيْهِ فَعَانَقَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَنَا أَخُوكَ
 يُوسُفَ فَلَا تَبْتَسِ بِمَا فَعَلُوهُ بِنَا فِيمَا مَضَى ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا ، وَلَا
 تَعْلَمُهُمْ بِمَا عَلَّمْتُكَ .

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآيات ٦٤ ، ٦٥) .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٦٦) .

٣ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٦٧) .

٤ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٦٩) .

وقيل : لما دخلوا على يوسف فصر الصواع وقال : إنه يخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً وأنكم بعم أخاكم . فلما سمعه بنيامين سجد له وقال : سل صواعك هذا عن أخي أحي هو ؟ فنقره ثم قال : هو حي وستراه . قال : فاصنع بي ما شئت فإنه إن علم بي فسوف يستقدني^١ ، قال : فدخل يوسف فبكى ثم توضأ وخرج إليهم ، قال : فلما حمل يوسف إبل إخوته من الميرة جعل الإناء الذي يكيل به الطعام ، وهو الصواع ، وكان من فضة ، في رحل أخيه . وقيل : كان إناء يشرب فيه . ولم يشعر أخوه بذلك .

وقيل : إن بنيامين لما علم أن يوسف أخوه قال : لا أفارقك . قال يوسف : أخاف غم أبوينا ولا يمكنني حبسك إلا بعد أن أشهرك بأمر فطيع . قال : افعل . قال : فإني أجعل الصواع في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة لأخذك منهم . قال : افعل . فلما ارتحلوا ﴿ أذَّنْ مُؤذَّنٌ ﴾ : أيتها العير إنكم لسارقون ﴿ ٢ ﴾ . ﴿ قَالُوا ﴾ : تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ﴿ ٣ ﴾ لأننا رجعنا ثمن الطعام إلى يوسف . فلما قالوا ذلك ﴿ قَالُوا ﴾ : فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ؟ قالوا : جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه ﴿ ٤ ﴾ تأخذونه لكم . فبدأ بأوعيتهم ففتشها قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه . فقالوا : ﴿ إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ﴾ ، يعنون يوسف ، وكانت سرقة حين سرق صنماً لجدته أبي أمه فكسره فعيروه بذلك ، وقيل ما تقدم ذكره من المنطقة .

١ سوف يستقدني .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٧٠) .

٣ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٧٣) .

٤ (سورة يوسف ١٢ ، الآيتان ٧٤ ، ٧٥) .

٥ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٧٧) .

فلما استخرجت السرقة من رحل الغلام قال إخوته : يا بني راحيل لا يزال لنا منكم بلاء ! فقال بنيامين : بل بنو راحيل ما يزال لهم منكم بلاء ! وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم .

فأخذ يوسف أخاه بحكم إخوته ، فلما رأوا أنهم لا سبيل لهم عليه سألوه أن يبركه لهم و ﴿ قَالُوا : يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾^١ . فقال : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ ﴾^٢ . فامتا أسوا من خلاصه خلصوا نجياً لا يختلط بهم غيرهم ، فقال كبيرهم ، وهو شمعون^٣ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ ﴾^٤ أن نأتيه بأخينا إلا أن يحاط بنا . ومن قبل هذه المرة ﴿ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ . فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَسْأَلَ لِي أَبِي ﴾^٥ بالخروج . وقيل : بالحرب . فارجعوا إلى أبيكم فقصوا عليه خبركم .

فلما رجعوا إلى أبيهم فأخبروه بخبر بنيامين وتخلف شمعون^١ ﴿ قَالَ : بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً . فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً ﴾^٥ يوسف وأخيه وشمعون^٢ . ثم أعرض عنهم وقال : وا حزناه على يوسف ! ﴿ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾^٦ مملوء من الحزن والغيط . فقال له بنوه : ﴿ تَسْأَلُ تَمَنُّنًا تَدُكُّرُ

١) B. add. وقيل روبيل . 2) S. وقيل روبيل .

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٧٨) .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٧٩) .

٣ (في الطبري : فقال كبيرهم وهو روبيل ، وقد قيل إنه شمعون) .

٤ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٨٠) .

٥ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٨٣) .

٦ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٨٤) .

يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا - أَي دَفْنًا - أَوْ تَكُونَ مِنَ الْمَالِكِينَ ﴿١﴾ .
فَاجَابَهُمْ يَعْقُوبُ فَقَالَ : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ١ من صِدْفِ رُؤْيَا يَوْسُفَ .

وقيل : بلغ من وجد يعقوب وجد سبعين مبتلى^١ ، وأعطي على ذلك أجر
مائة شهيد .

قيل : دخل على يعقوب جارك له فقال : يا يعقوب قد انهشمت وفنيت
ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك ! فقال : هشمي وأفناني ما ابتلاني الله به من
هم يوسف . فأوحى الله إليه : أتشكوني إلى خلقي ؟ قال : يا رب خطيئة
فاغفرها . قال : قد غفرتها لك . فكان يعقوب إذا سئل بعد ذلك قال :
﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ١ ، فأوحى الله إليه : لو كانا مبتلين
لأحييتهما لك ، إنما ابتليتك لأنك قد شويت وقترت على جارك ولم
تطعمه .

وقيل : كان سبب ابتلائه أنه كان له بقرة لها عجول فذبح عجولها بين
يديها وهي تخور فلم يرحمها يعقوب ، فابتلى بفقد أعزّ ولده عنده ، وقيل :
ذبح شاة ، فقام ببابه مسكين فلم يطعمه منها ، فأوحى الله إليه في ذلك وأعلمه
أنه سبب ابتلائه ، فصنع طعاماً ونادى : من كان صائماً فليطفر عند يعقوب .

ثم إن يعقوب أمر بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع إليها وتجنّس
الأخبار عن يوسف وأخيه ، فرجعوا إلى مصر فدخلوا على يوسف وقالوا :
﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَانَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ

١) م. كلا B ; م. لا A .

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآيات ٨٥ ، ٨٦) .

- يعني قليلة - فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ﴿١﴾ ، قيل : كانت بضاعتهم دراهم زيوفاً ، وقيل : كانت سمناً وصوفاً ، وقيل غير ذلك ، ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾^١ بفضل ما بين الجيد والرديء ، وقيل : برداً أحنينا علينا . فلما سمع كلامهم غلبته نفسه فارتضى دمه باكياً ثم باح لهم بالذي كان يكتم ، وقيل : إنما أظهر لهم ذلك لأن أباه كتب إليه ، حين قيل له إنه أخذ ابنة لأخته سرق ، كتاباً :

من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى
عزيز مصر المظهر العدل

« أما بعد فإننا أهل بيت موكل بنا بالبلاء ، أما جدتي فشددت يدها ورجلاه وألقي في النار فجعلها الله عليه برّداً وسلاماً ، وأما أبي فشددت يدها ورجلاه ووضع السكين على حلقه ليذبح ففداه الله ، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إليّ فذهب به إخوته إلى البرية فعادوا ومعهم قميصه ملطخاً بدم وقالوا : أكله الذئب ، وكان لي ابن آخر أخوه لأمه فكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا : إنه سرق وإنك حبسته ، وإننا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً فإن ردّدتَهُ عليّ وإلاّ دعوتُ عليك دعوة تترك السابع من ولدك . »

فلما قرأ الكتاب لم يتمالك أن بكى وأظهر لهم فقال : ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ؟﴾ قَالُوا : أَنْتَ لِأَنْتَ يُوسُفُ ! قَالَ : أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ، قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴿٢﴾ بَأَنْ جَمَعَ بَيْنَنَا ، فاعترفوا ﴿وَقَالُوا : تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ

١ . بفضل . B . 1)

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٨٨) .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآيتان ٨٩ ، ٩٠) .

عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ . قَالَ : لَا تَشْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴿١﴾ ،
 أَي لَا أَذْكَرْ لَكُمْ ذَنْبَكُمْ ، ﴿يَتَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ﴿١﴾ ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ عَنْ أَبِيهِ ،
 فَقَالُوا : لَمَّا فَاتَهُ بَنِيَامِينَ عَمِي مِنَ الْحَزَنِ ، فَقَالَ : ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا
 فَالْتَقُوهُ عَلَيَّ وَجْهِي أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٢﴾ .
 فَقَالَ يَهُودَا : أَنَا أَذْهَبُ بِهِ لِأَنِّي ذَهَبْتُ إِلَيْهِ بِالْقَمِيصِ مَلْطَخًا بِالْدَمِ وَأَخْبَرْتُهُ
 أَنَّ يَوْسُفَ أَكَلَ الذُّبَّ ، فَأَنَا أَخْبَرُهُ أَنَّهُ حَيٌّ فَأَفْرَحُهُ كَمَا أَحْزَنْتُهُ . وَكَانَ
 هُوَ الْبَشِيرُ .

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ﴾ ﴿٣﴾ الْعِيرُ عَنْ مِصْرَ حَمَلَتِ الرِّيحُ إِلَى يَعْقُوبَ رِيحَ
 يَوْسُفَ ، وَبَيْنَهُمَا ثَمَانُونَ فَرَسًا ، يَوْسُفَ بِمِصْرَ وَيَعْقُوبَ بِأَرْضِ كَنْعَانَ .
 فَقَالَ يَعْقُوبُ : ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ لَوْلَا أَن تَفَنَّدُونِ﴾ ﴿٤﴾ ؟
 فَقَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَوْلَادِهِ : ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ﴾ ﴿٥﴾ مِنْ ذَكَرِ يَوْسُفَ ﴿لَقِي
 ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ، فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ ﴿٦﴾ بِقَمِيصِ يَوْسُفَ ﴿الْقَاهُ﴾ ﴿٧﴾ عَلَى
 وَجْهِ يَعْقُوبَ فَعَادَ بِصِيرًا وَ﴿قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ ﴿٨﴾ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
 مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩﴾ ، يَعْنِي تَصَدِيقَ اللَّهِ تَأْوِيلَ رُؤْيَا يَوْسُفَ : ﴿وَلَمَّا
 أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ ﴿١٠﴾ قَالَ لَهُ يَعْقُوبُ : كَيْفَ تَرَكْتَ يَوْسُفَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ مَلِكُ
 مِصْرَ . قَالَ : مَا أَصْنَعُ بِالْمَلِكِ ! عَلَى أَيِّ دِينٍ تَرَكْتَهُ ؟ قَالَ : عَلَى الْإِسْلَامِ .
 قَالَ : الْآنَ تَمَّتِ النِّعْمَةُ . فَلَمَّا رَأَى مَنْ عِنْدَهُ مِنْ أَوْلَادِهِ قَمِيصَ يَوْسُفَ
 وَخَبَرَهُ قَالُوا لَهُ : ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ . قَالَ : سَوْفَ

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآيتان ٩١ ، ٩٢) .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٩٣) .

٣ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ٩٤) .

٤ (سورة يوسف ١٢ ، الآيتان ٩٥ ، ٩٦) .

أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ ﴿١﴾ آخر الدعاء إلى السحر من ليلة الجمعة .

ثم ارتحل يعقوب وولده ، فلما دنا من مصر خرج يوسف يتلقاه ومعه أهل مصر ، وكانوا يعظّمونه ، فلما دنا أحدهما من صاحبه نظر يعقوب إلى الناس والحيل ، وكان يعقوب يمشي ويتوكأ على ابنه يهودا ، فقال له : يا بني هذا فرعون مصر . قال : لا ، هذا ابنك يوسف . فلما قرب منه أراد يوسف أن يبدأ بالسلام ، فمُنِعَ من ذلك ، فقال يعقوب : السلام عليك يا مُذهب الأحزاز ، لأنه لم يفارقه الحزن والبكاء مدّة غيبة يوسف عنه .

قال : فلما دخلوا مصر رفع أبويّه ، يعني أمّه وأباه ، وقيل : كانت خالته ، وكانت أمّه قد ماتت ، وخرّ له يعقوب وأمّه وإخوته سُجّداً ، وكان السجود نحيّة الناس للملوك ، ولم يرد بالسجود وضع الجبهة على الأرض . فإنّ ذلك لا يجوز إلاّ لله تعالى . وإنّما أراد الخضوع والتواضع والانحناء عند السلام ، كما يفعل الآن بالملوك . والعرش : السرير . وقال : ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ ٢ .

وكان بين رؤيا يوسف ومجيء يعقوب أربعون سنة ، وقيل : ثمانون سنة ، فإنه أُلقي في الحبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، ولقيه وهو ابن سبع وتسعين سنة ، وعاش بعد جمع شمله ثلاثاً وعشرين سنة ، وتوفي وله مائة وعشرون سنة ، وأوصى إلى أخيه يهودا . وقيل : كانت غيبة يوسف عن يعقوب ثمانين سنة . وقيل : إنّ يوسف دخل مصر وله سبع عشرة سنة ، واستوزره فرعون بعد ثلاث عشرة سنة من قدومه إلى مصر ، وكانت مدّة غيبته عن يعقوب اثنتين وعشرين سنة ، وكان مُقام يعقوب بمصر وأهله معه سبع عشرة سنة ،

١ (سورة يوسف ١٢ ، الآيات ٩٧ ، ٩٨) .

٢ (سورة يوسف ١٢ ، الآية ١٠٠) .

وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

ولما مات يعقوب أوصى إلى يوسف أن يدفنه مع أبيه إسحاق ، ففعل
يوسف ، فسار به إلى الشام فدفنه عند أبيه ، ثم عاد إلى مصر وأوصى يوسف
أن يُحْمَل من مصر ويُدْفَن عند آباءه ، فحمله موسى لما خرج ببني إسرائيل .
وولد يوسفُ افرائيمَ ومنشى ، فولد لافرائيم نون ولنون يوشع فبنو موسى ،
وولد لمنشى موسى ، قيل موسى بن عمران ، وزعم أهل التوراة أنه موسى
الخنزير ، وولد له رحمة امرأة أيوب في قول .

قصة شعيب ، عليه السلام

قيل : إن اسم شعيب يثرون¹ بن ضيعون¹ بن عنقا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم ، وقيل : هو شعيب بن ميكيل من ولد مدين ، وقيل : لم يكن شعيب من ولد إبراهيم ، وإنما هو من ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه إلى الشام ، ولكنه ابن بنت لوط ، فجدّة شعيب ابنة لوط ، وكان ضيرير البصر ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾² ؛ أي ضيرير البصر . وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إذا ذكره قال : ذلك خطيب الأنبياء ؛ بحسن مراجعته قومه ؛ وإن الله أرسله إلى أهل مدين وهم أصحاب الأيكة ، والأيكة : شجر ملتف ، وكانوا أهل كفر بالله ، وبخس للناس³ في المكاييل والموازين وإفساد أموالهم ، وكان الله وسع عليهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجاً لهم منه مع كفرهم بالله ، فقال لهم شعيب : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾¹ . فلما طال تماديهم في غيبتهم وضلالهم ولم يزددهم تذكير شعيب إياهم وتحذيره عذاب الله إياهم إلا تمادياً ، ولما أراد إهلاكهم سلط عليهم عذاب

1) صيفون . B .

2) Cor. 11, vs. 91.

3) الناس . S .

١ (في الطبري : يزون) .

٢ (سورة هود ١١ ، الآية ٨٤) .

يَوْمِ الظُّلَّةِ ، وهو ما ذكره ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُمُ
عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾¹ . فقال : بعث الله
عليهم وقدة وحرّاً شديداً فأخذ بأنفسهم ، فخرجوا من البيوت هراباً إلى البرية ،
فبعث الله عليهم سحابة فأظلمت من الشمس ، فوجدوا لها برداً ولذّة فنادى
بعضهم بعضاً حتى اجتمعوا تحتها ، فأرسل الله عليهم ناراً . قال عبد الله بن
عباس : فذلك ﴿ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾¹ .

وقال قتادة : بعث الله شعيباً إلى أمتين : إلى قومه أهل مدين ، وإلى أصحاب
الأيكة ، وكانت الأيكة من شجر ملتف ، فلما أراد الله أن يعذبهم بعث عليهم
حرّاً شديداً ورفع لهم العذاب كأنه سحابة ، فلما دنت منهم خرجوا إليها
رجاء بردها ، فلما كانوا تحتها أمطرت عليهم ناراً ، قال : فذلك قوله :
﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾¹ .

وأما أهل مدين فمنهم من ولد مدين بن إبراهيم الخليل ، فعذبهم الله
بالرجفة ، وهي الزلزلة ، فأهلكوا .

قال بعض العلماء : كان قوم شعيب عطلوا حدّاً ، فوسع الله عليهم
في الرزق ، ثم عطلوا حدّاً فوسع الله عليهم في الرزق ، فجعلوا كلما عطلوا
حدّاً وسع الله عليهم في الرزق ، حتى إذا أراد هلاكهم سلط عليهم حرّاً
لا يستطيعون أن يتقاروا ولا ينفعهم ظل ولا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظلّ
تحت ظلّة فوجد رَوْحاً فنادى أصحابه : هلمّوا إلى الرّوح ، فذهبوا إليه
سراعاً حتى إذا اجتمعوا إليها ألهبها الله عليهم ناراً ، فذلك عذاب يوم
الظُّلّة .

وقد روى عامر عن ابن عباس أنه قال له : مَنْ حَدَّثَكَ مَا عَذَابُ يَوْمِ

1) Cor. 26, vs. 189.

الظُّلَّةُ فكَذَّبَهُ . وقال مجاهد : عذاب يوم الظُّلَّةِ هو إضلال العذاب على قوم شعيب . وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ يَا شُعَيْبُ أَصَلَّاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ ١ ؛ قال : مما كان ينهاهم عنه قطع الدراهم .

.....
) Cor. 11, vs. 87.

قصة الخضر وخبره مع موسى

قال أهل الكتاب : إن موسى صاحب الخضر هو موسى بن منشى بن يوسف بن يعقوب ، والحديث الصحيح عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران على ما ذكره . وكان الخضر ممن كان في أيام أفريدون الملك ابن اثنيان¹ في قول علماء [أهل] الكتب الأول قبل موسى بن عمران . وقيل : إنه كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي كان في أيام إبراهيم الخليل ، وإنه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة فشرب من مائه ولا يعلم ذو القرنين ومن معه ، فخلد وهو حيّ عندهم إلى الآن . وزعم بعضهم : أنه كان من ولد من آمن مع إبراهيم وهاجر معه ، واسمه يليا² بن ملكان بن فالغ بن غابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وكان أبوه ملكاً عظيماً . وقال آخرون : ذو القرنين الذي كان على عهد إبراهيم أفريدون بن اثنيان ، وعلى مقدمته كان الخضر .

قال عبد الله بن شوذب : الخضر من ولد فارس ، والياس من بني إسرائيل يلتقيان كل عام بالموسم . وقال ابن إسحاق : استخلف الله على بني إسرائيل رجلاً منهم يقال له ناشية بن أموص ، فبعث الله لهم الخضر معه نبياً ، قال : واسم الخضر فيما يقول بنو إسرائيل إرميا بن حلقيا ، وكان من سبط هارون ابن عمران ، وبين هذا الملك وبين أفريدون أكثر من ألف عام .

وقول من قال إن الخضر كان في أيام أفريدون وذي القرنين الأكبر

1) C. P. et S. اثنيان .

2) B. cui supra scribitur est ; S. يليا .

قبل موسى بن عمران أشبه للحديث الصحيح أن موسى بن عمران أمره الله بطلب الخضر ، ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كان أعلم الخلق بالكائن من الأمور ، فيحتمل أن يكون الخضر على مقدمة ذي القرنين قبل موسى ، وأنه شرب من ماء الحياة فطال عمره ، ولم يرسل في أيام إبراهيم ، وبُعث في أيام ناشية بن أموص . وكان ناشية هذا في أيام بشتاسب بن لهراسب . والحديث ما رواه أبي بن كعب عن النبي ، صلى الله عليه وسلم .

قال سعيد بن جبّير : قلت لابن عباس : إن نوقال يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران . قال : كذب عدو الله ، حدثني أبي بن كعب عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : إن موسى قام في بني إسرائيل خطيباً فقيل له : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فغضب الله عليه حين لم يرد العلم إليه ، فقال : يا رب هل هناك أعلم مني ؟ قال : بلى ، عبد لي بمجمع البحرين . قال : يا رب كيف لي به ؟ قال : تأخذ حوتاً فتجمله في مكمل فحيث تفقده فهو هناك . فأخذ حوتاً فجعله في مكمل ثم قال لفتاه : إذا فقدت هذا الحوت فأخبرني . فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا الصخرة وذلك الماء ، وهو ماء الحياة ، فمن شرب منه خلد ولا يقاربه شيء ميت إلا حبي ، فمس الحوت منه فحبي ، وكان موسى راقداً ، واضطرب الحوت في المكمل فخرج في البحر ، فأمسك الله عنه جرية الماء² فصار مثل الطاق ، فصار للحوت سرباً ، وكان لهما عجباً . ثم انطلقا ، فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً . قال : ولم يجد موسى النصب حتى تجاوز حيث أمره الله ، فقال : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً ،

1) لوقا ٨ : ١٦ .

2) جريه في الماء . S .

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ، فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١﴾ . قال: يقصان آثارهما حتى أتيا الصخرة ، فإذا رجل نائم مسجى بثوبه ، فسلم موسى عليه ، فقال : وأنتى بأرضنا السلام ! قال : أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل؟ قال : نعم . قال : يا موسى إنني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله لا² أعلمه . قال : فإنني أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً . ﴿٢﴾ قَالَ : فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٣﴾ . فانطلقا يمسيان على ساحل البحر ثم ركبا سفينة³ ، فجاء عصفور فقعد على حرف السفينة فنقر في الماء ، فقال الخضر لموسى : ما ينقص علمي وعلمك من علم الله إلا مقدار ما نقر هذا العصفور من البحر .

قال : فبينما هم في السفينة لم يُفجأ موسى إلا وهو يوتد وتداً أو ينزع تخناً منها . فقال له موسى : حملنا بغير نول فتخرقها ﴿٤﴾ لِيَتَفَرَّقَ أَهْلُهَا ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ؛ قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ قَالَ : لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴿٥﴾ . قال : وكانت الأولى من موسى نسياناً . قال : فخرجا فانطلقا يمسيان فأبصرا غلاماً يلعب مع الغلمان . فأخذ برأسه فقتله ، فقال له موسى : ﴿٦﴾ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ! لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ؛ قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ

1) Coran. 18, vss. 63, 64.

2) S. الله أعلمك لا .

3) A. S. et B. الساحل فحرف الخضر فحمل بغير نول .

4) ولا ترهقني من أمري عسراً S. add. نسيت post .

١ (سورة الكهف ١٨ ، الآية ٧٠) .

٢ (سورة الكهف ١٨ ، الآيات ٧١ - ٧٣) .

لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قَالَ: إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي، قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا. فَاذْهَبْ فَإِنِ طَلَقْنَا نَعْمًا إِذَا تَوَلَّى سَوَآءًا لِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. فَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ فَانْظُرْ إِلَى هَيْئِهِ فَاتَّبَعْ سُبُلَ اللَّهِ وَأَنْتَ تَكُونُ مِنَ الْمُنْتَضِينَ. ﴿١٨﴾ فَذَكَرْنَا إِلَيْهِ عَمَلَنَا وَكَبْرًا لِكُنُوزِنَا وَأَخْلَافًا بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَمْ تَكُنِ اللَّهُفِي السَّفِينَةِ وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا. — وفي قراءة أبي: سفينة صالحة — وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين، فخشيتم أن يرهقهما طغياناً وكُفراً؛ فأردنا أن يبدلتهما ربهما خيراً منه زكاةً وأقرب رحماً؛ وأما الحدار فكان لغيرهم يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحاً ﴿١٩﴾ إلى ﴿٢٠﴾ مَا لَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٢١﴾.

فكان ابن عباس يقول: ما كان الكثر إلا علماً، قيل لابن عباس: لم نسمع لفتى موسى بذكر؛ فقال: شرب الفتى من الماء فخلد، فأخذ العالم فطابق به سفينة ثم أرسلها في البحر، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة.

الحديث يدل على أن الحضبر كان قبل موسى وفي أيامه، وبدل على خطأ من قال إنه إرميا، لأن إرميا كان أيام بخت نصر، وبين أيام موسى وبخت نصر من المدة ما لا يشكل على عالم بأيام الناس، فإن موسى إنما نبي في أيام منوهر، وكان ملكه بعد جدّه 3 أفريدون.

1) B. يطعمونا .

2) B.

3) Codd. بعده جدّه .

١ (سورة الكهف ١٨، الآيات ٧٤ - ٨٢).

ذكر الخبر عن منوجهرا والحوادث في أيامه

ثمّ ملك بد أفريدون بن اثغيان بن كاوا منوجيهراً ، وهو من ولد إيرج ابن أفريدون ، وكان مولده بدُنباوند ، وقيل بالريّ ، فلما ولد منوجهر أخفى أمره خوفاً من طوج وسلّم عليه ، ولما كبر منوجهر سار إلى جدّه أفريدون فتوسّم فيه الخير وجعل له ما كان جعله لجدّه إيرج من المملكة وتوجّه بتاجه .

وقد زعم بعضهم أنّ منوجهر بن شجر¹ بن افريقش بن إسحاق بن إبراهيم انتقل إليه الملك ، واستشهد بقول جرير بن عطية :

وأبناء إسحاق اللبوث إذا ارتدوا ²	حمائل موت لابسين السنورا
إذا انتسبوا عدوا الصبهبذ ³ منهم	وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصراً
وكان كتاب فيهم ونبوّة	وكانوا بإصطخر الملوك وتسترأ
فجمعنا والغرّة أبناء فارس	أب لا نبالي بعده من تأخرأ

1) B. & S. منسحر . 2) C. P. أنتما .

١ (ضبطه الطبري : منوشهر ، بالشين . وأصله منوجهر ، ومعنى « منو » الشمس و « جهر » الوجه) .

٢ (في الطبري : اثغيان بركاو) .

٣ الأصهبذ .

٤ والنز .

٥ يبال .

أَبُونَا خَلِيلُ اللَّهِ وَاللَّهُ رَبُّنَا رَضِينَا بِمَا أَعْطَى الْإِلَهُ وَقَدَرَا ۱

وأما الفرس فتنكر هذا النسب ولا تعرف لها ملكاً إلا في أولاد أفريدون
ولا تقرّ بالملك لغيرهم .

قلتُ : والحق ما قاله الفرس ، فإن أسماء ملوكهم قبل الإسكندر [معروفة]
وبعد أيامه ملوك الطوائف ، وإذا كان منوجهر أيتام موسى وكل ما بين موسى
وإسحاق خمسة آباء معروفون ولم يزالوا بمصر ففي أيّ زمان كثروا وانتشروا
وملكوا بلاد الفرس ؟ ومن أين لحرير هذا العلم حتى يكون قوله حجة
لا سيما وقد جعل الجميع أبناء إسحاق !

قال هشام بن الكلبي : ملك طوج وسلّم الأرض بعد أخيهما إيرج ثلاثاً
سنة ، ثمّ ملك منوجهر² مائة وعشرين سنة ، ثمّ وثب به ابن لطوج التركي
على رأس ثمانين سنة فنفاه عن بلاد العراق اثني عشرة سنة ، ثمّ أدبيل منه منوجهر
فنفاه عن بلاده وعاد إلى ملكه ، [وملك] بعد ذلك ثمانياً وعشرين سنة .

وكان منوجهر يوصف بالعدل والإحسان ، وهو أول من خندق الخنادق
وجمع آلة الحرب ، وأول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقاناً وأمر
أهلها بطاعته ، ويقال : إن موسى ظهر في سنة ستين من ملكه .

وقال غير هشام : إنّه لما ملك سار نحو بلاد الترك طالباً بدم جدّه إيرج
ابن أفريدون ، فقتل طوج بن أفريدون وأخاه سلماً ، ثمّ إنّ افراسياب بن
فشنج بن رستم بن ترك . الذي ينسب إليه الأتراك من ولد طوج بن أفريدون ،

1) Duo ultimi versus in C. P. desunt.

2) Interdum B. habet: منوشهر .

حارب منوجهر بعد قتله طوج بستين سنة وحاصره بطبرستان ، ثم اصطالحا أن يجعل حدّ ما بين ملكيهما [منتهى] رمية سهم رجل من أصحاب منوجهر اسمه إيرشى ، وكان رامياً شديداً الترع ، فرمى سهماً من طبرستان فوق بنهر بلخ ، وصار النهر حدّ ما بين الترك ولد طوج وعمل منوجهر .

قلتُ : وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس في أكاذيبهم ، أن رمية سهم تبلغ هذا كله .

وقد ذكر أن منوجهر اشتق من الفرات ودجلة ونهر بلخ أنهاراً نظاماً وأمر بعمارة الأرض . وقيل : إن الترك تناولت من أطراف رعيته بعد خمس وثلاثين سنة من ملكه ، فوبّخ قومه وقال لهم : أيها الناس إنكم لم تلدوا الناس كلهم وإنما الناس ناس ما عقلوا من أنفسهم ودفعوا العدو عنهم ، وقد نالت الترك من أطرافكم وليس ذلك إلا بترككم جهاد عدوكم ، وإن الله أعطانا هذا الملك ليلبونا أنشكر أم نكفر فيعاقبنا ، فإذا كان غد فاحضروا .

فحضر الناس والأشراف ، فقام على قدميه ، فقام له الناس ، فقال : اقعدي ، إنما قمت لأسمعكم . فجلسوا . فقال : أيها الناس إنما الخلق للخالق والشكر للمنعم والتسليم للقادر ، ولا بدّ ممّا هو كائن ، وإنه لا أضعف من مخلوق طالباً كان أو مطلوباً ، ولا أقوى من خالق ولا أقدر ممّن طلبته في يده ولا أعجز ممّن هو في يد طالبه ، وإن التفكير نور والغفلة ظلمة ، فالضلالة جهالة ، وقد ورد الأول ولا بدّ للآخر من اللحاق بالأول . إن الله أعطانا هذا الملك فله الحمد ونسأله إلهام الرشد والصدق واليقين ، وإنه لا بدّ أن يكون للملك على أهل مملكته حقّ ولأهل مملكته عليه حقّ ، فحقّ الملك عليهم أن بطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدوّه ، وحقّهم على الملك أن يعطيهم

١ ما غفلوا عن أنفسهم .

أرزاقهم في أوقاتها إذ لا معول لهم إلاّ عليها ، وإنه خازنهم ، وحقّ الرعيّة على الملك أن ينظر إليهم ويرفق بهم ولا يحملهم على ما لا يطيقون ، وإن أصابتهم مصيبة تنقص^١ من ثمارهم أن يسقط عنهم خراج ما نقص ، وإن اجتاحتهم مصيبة أن يعوّضهم ما يقوّمهم على عمارتهم ، ثمّ يأخذ منهم بعد ذلك قدر ما لا يحفف بهم في سنة أو سنتين . ألا وإنّ الملك ينبغي أن يكون فيه ثلاث خصال : أن يكون صدوقاً^٢ لا يكذب ، وأن يكون سخيّاً لا يبخل ، وأن يملك نفسه عند الغضب فإنّه مسلّط ويده مبسوطة ، والخراج يأتيه ، فلا يستأثر عن جنده ورعيّته بما هم أهل له ، وأن يكثر العفو فإنّه لا ملك أقوى ولا أبقى من ملك فيه العفو ، فإنّ الملك إن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة .

ألا وإنّ الترك قد طمعت فيكم فاكفونا فإنّما تكفون أنفسكم ، وقد أمرتُ لكم بالسلاح والعدّة وأنا شعريككم في الرأي ، وإنّما لي من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم . ألا وإنّما الملك ملك إذا أطيع ، فإن خولف فهو مملوك وليس بملك . ألا وإنّ أكل الأداة عند المصيبات الأخذ بالصبر والراحة إلى اليقين ، فمن قُتل في مجاهدة العدو رجوتُ له بفوز رضوان الله ، وإنّما هذه الدنيا سفر لأهلها لا يحلّون عقد الرحال إلاّ في غيرها . وهي خطبة طويلة .

ثمّ أمر بالطعام فأكلوا وشربوا وخرجوا وهم له شاكرون مطيعون .

وكان ملكه مائة وعشرين سنة .

وزعم ابن الكلبيّ أنّ الرايش ، واسمه الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ^١ بن يعرّب بن قحطان ، وكان قد ملك اليمن بعد يعرب بن قحطان ،

1) B.

١ أو نقص .

٢ صديقاً .

كان ملكه باليمن أيام ملك مینوجهر ، وإنما سُمّي الرايش لغلبة غنمها فأدخلها اليمن فسُمّي الرايش ، ثمّ غزا الهند فقتل بها وأسر وغنم ورجع إلى اليمن ، ثمّ سار على جبلي طيء ، ثمّ على الأنبار ، ثمّ على الموصل ووجه منها خيله وعليها رجل من أصحابه يقال له شمر بن العطف ، فدخل على الترك بأرض أذربيجان فقتل المقاتلة وسبى الذرية وكتب ما كان من مسيره على حجرين ، وهما معروفان بأذربيجان .

ثمّ ملك بعده ابنه أبرهة ، ولقبه ذو المنار ، وإنما لُقّب بذلك لأنه غزا بلاد المغرب وأوغل¹ فيها برأً وبحراً ، وخاف على جيشه الضلال عند قفوله فبنى المنار ليهتدوا [بها] ، وقد زعم أهل اليمن أنه وجه ابنه العبّد² بن أبرهة في غزواته إلى ناحية بن أقاصي المغرب فغنم وقدم³ بسبي له وحشة منكورة ، فذعر الناس منهم ، فسُمّي ذو الأذعار ؛ فأبرهة أحد ملوكهم الذين توغّلوا في البلاد .

وإنما ذكرتُ من ذكرتُ من ملوك اليمن هاهنا لقول من زعم أن الرايش كان أيام مینوجهر وأن ملوك اليمن كانوا عمّالاً لملوك فارس .

1) A. S. et B. ووغل .

2) C. P. المید .

3) S. وقدم عليه .

قصة موسى ، عليه السلام ، ونسبه وما كان في أيامه من الأحداث

قيل : هو موسى بن عمران بن بصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، وولد لاوي ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة ، وولد قاهث للاوي وهو ابن ست وأربعين سنة ، وولد لقاهث بصهر ، وولد عمران ليصهر وله ستون سنة ، وكان عمره جميعه مائة¹ وثلاثين سنة . وأمّ موسى يوخابد² . واسم امرأته صفورا بنت شعيب النبي .

وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني ، وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول ، وقيل : كانت من بني إسرائيل ، فلما نودي موسى أعلم أنّ قابوس فرعون مصر مات وقام أخوه الوليد بن مصعب مكانه ، وكان عمره طويلاً ، وكان أعنى من قابوس وأفجر³ ، وأمر بأن يأتيه هو وهارون بالرسالة . ويقال : إنّ الوليد تزوّج آسية بعد أخيه ، ثمّ سار موسى إلى فرعون رسولاً مع هارون ، فكان من مولد موسى إلى أن أخرج بني إسرائيل من مصر ثمانون سنة . ثمّ سار إلى التيه بعد أن مضى وعبر البحر ، وكان مقامهم هنالك إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة ، فكان ما بين مولد موسى إلى وفاته مائة وعشرين سنة .

قال ابن عباس وغيره ، دخل حديث بعضهم في بعض : إنّ الله تعالى

1) post S. add. مائة

وسبماً وأربعين سنة وولد موسى ولعمران سبعون سنة وكان عمر عمران جميعه مائة وسبماً .

2) A. بوخايد . B. نوخايك aut نوخايل .

3) B. أنخر . S. وأفخر وأكبر .

لما قبض يوسف وهلك الملك الذي كان معه وتوارثت الفراعنة ملك مصر ونشراً الله بني إسرائيل لم يزل بنو إسرائيل تحت يد الفراعنة وهم على بقايا من دينهم ممّا كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام حتى كان فرعون موسى ، وكان أعتاهم على الله وأعظمهم قولاً وأطولهم عمراً ، واسمه فيما ذكر الوليد بن مصعب ، وكان سيء الملكة على بني إسرائيل يعذبهم ويجعلهم خولاً ويسومهم سوء العذاب .

- فلما أراد الله أن يستنقذهم بلغ موسى الأشدّ وأعطي الرسالة ، وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى أنّه رأى في منامه كأنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل وأخربت بيوت مصر ، فدعا السحرة والحزاة² والكهنة فسألهم عن رؤياه ، فقالوا : يخرج من هذا البلد ، يعنون بيت المقدس ، الذي جاء بنو إسرائيل منه ، رجل يكون على وجهه هلاك مصر ، فأمر أن لا يولد لبني إسرائيل مولود إلاّ ذُبِح ويترك الجوّاري .

وقيل : إنّه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون وحزانه إليه فقالوا : اعلم أنّا نجد في علمنا أنّ مولوداً من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يولد فيه يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ويبدل دينك . فأمر بقتل كلّ مولود يولد في بني إسرائيل .

وقيل : بل تذاكر فرعون وجلساؤه معاً ما وعد الله عزّ وجلّ إبراهيم أن يجعل في ذريّته أنبياء وملوكاً ، فقال بعضهم : إنّ بني إسرائيل ليبتظرون ذلك ، وقد كانوا يظنونونه يوسف بن يعقوب ، فلما هلك قالوا : ليس هكذا وعد الله إبراهيم . فقال فرعون : كيف ترون ؟ فأجمعوا على أن يبعث رجلاً

1) B. وقر .

2) B.

يقتلون كل مولود في بني إسرائيل ، وقال للقبط : انظروا¹ ممالئكم الذين يعملون خارجاً فأدخلوهم واجعلوا بني إسرائيل يلون ذلك ، فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم ، فذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾² ؛ فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح ، وكان يأمر بتعذيب الحبالى حتى يضعن ، فكان يشقق القصب ويوقف المرأة عليه فيقطع أقدامهن ، وكانت المرأة تضع فتتي بولدها القصب ، وقذف³ الله الموت في مشيخة بني إسرائيل ، فدخل رؤوس القبط على فرعون وكلموه وقالوا : إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك أن يقع العمل على غلماننا ، تذبح الصغار وتفي الكبار ، فلو أنك كتبت تبقي من أولادهم ، فأمرهم أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة ، فلما كان في تلك السنة التي تركوا فيها ولد هارون ، وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها ، وهي السنة المقبلة . فلما أرادت أمه وضعه حزنت من شأنه ، فأوحى الله إليها ، أي أهمها : ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ - وَهُوَ النَّيْلُ - وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴾⁴ .

فلما وضعت أرضته ثم دعت نجاراً فجعل له تابوتاً وجعل مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته في اليم ، فلما تواری عنها أتاها إبليس ، فقالت في نفسها : ما الذي صنعت بنفسي ! لو ذبح عندي فواريتك وكفنته كان أحب إلي من أن ألقه بيدي إلى حيطان البحر ودوابه . فلما ألقته ﴿ قَالَتْ لِأُخْتِهِ - وَاسْمُهَا مَرْيَمُ - : قُصِّيهِ - يعني قصي أثره - فَبَصَّرْتُ بِهِ عَن جُنْبٍ وَهُمْ

1) A. ابطروا .

2) Cor. 28, vs. 4.

3) C. P. قفى .

4) Cor. 28, vs. 7.

لا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ أنها أختُه ، فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرّة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند دور فرعون ، فخرج جوارِي آسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلنه إلى آسية ، وظنن أن فيه مالا ، فلما فتّح ونظرت إليه آسية وقعت عليها رحمته وأحبته ، فلما أخبرت به فرعون وأتته به قالت : ﴿ قُرّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ ﴿١﴾ . فقال فرعون : يكون لك ، وأما أنا فلا حاجة لي فيه .

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : والذي يُحلف به لو أقرّ فرعون أن يكون له قرّة عين كما أقرت لهداه الله كما هداها .

وأراد أن يذبحه فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها وقال : إنني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل وأن يكون هذا الذي على يديّه هلاكنا ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ﴿٢﴾ . وأرادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء ، فذلك قوله : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ - أخته مريم - : هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ ﴿٣﴾ . فأخذوها وقالوا : ما يدريك ما نصحهم له ؟ هل يعرفونه ؟ حتى شكروا في ذلك . فقالت : نصحهم له شفقتهم عليه ورغبتهم في قضاء حاجة الملك ورجاء منفعتهم . فانطلقت إلى أمه فأخبرتها الخبر ، فجاءت أمه ، فلما أعطته ثديها

1) عسى أن ينتمنا أو نتخذها ولداً S. add. تقتلوه post . 2) Cor. 28 , vs. 8.

3) Cor. 28 , vs. 12.

١ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٦١) .

٢ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٩) .

أخذه منها ، فكادت تقول : هذا ابني ، فعصمها الله .

وإنما سُمِّي موسى لأنه وُجد في ماء وشجر ، والماء بالقبطية مو ، والشجر سا .
فذلك قوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ ۱ ﴾ .

وكان غيبته عنها ثلاثة أيام ، وأخذته معها إلى بيتها ، واتخذها فرعون
ولداً فدعى ابن فرعون ، فلما تحرك الغلام حملته أمه إلى آسية ، فأخذته
ترقصه وتلعب به وناولته فرعون ، فلما أخذه إليه أخذ الغلام بلحيته فتنفها .
قال فرعون : عليّ بالذباحين يذبحونه ، هو هذا ! قالت آسية : ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۗ ۱ ﴾ ، إنما هو صبي لا يعقل وإنما فعل هذا
من جهل ² ، وقد علمت أنه ليس في مصر امرأة أكثر حلياً مني ، أنا
أضع له حلياً من ياقوت وجمراً فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وإن
أخذ الجمر فإنما هو صبي ، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طشتاً من جمر
فجاء جبرائيل فوضع يده في جمره فأخذها فطرحها موسى في فيه ،
فأحرقت لسانه ، فهو الذي يقول الله تعالى : ﴿ وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِن
لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ۗ ۳ ﴾ . فدرأت عن موسى بتلك القتل .

وكبر موسى ، وكان يركب مركب فرعون ويلبس ما يلبس ، وإنما
يُدعى موسى بن فرعون ، وامتنع به بنو إسرائيل ولم يبق قبطي يظلم إسرائيلياً
خوفاً منه .

1) Cor. 28 , vs. 13.

2) من صباه S. صفر سنت B.

3) Cor. 20, vs. 27, sq.

ثم إن فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى ، فلما جاء موسى قيل له : فرعون قد ركب ، فركب موسى في أثره فأدركه المقييل بأرض يقال لها منف ، وهذه منف (بفتح الميم وسكون النون) مصر القديمة التي هي مصر يوسف الصديق ، وهي الآن قرية كبيرة ، فدخل نصف النهار ، وقد أغلقت أسواقها ، ﴿ عَلَى حِينَ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾^١ يقول هذا إسرائيلي قيل إنه السامري ﴿ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾^٢ يقول من القبط ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾^١ ، فغضب موسى لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم ، وكان قد حماهم من القبط ، وكان الناس لا يعلمون أنه منهم بل كانوا يظنون أن ذلك بسبب الرضاع . فلما اشتد غضبه وكزه ففَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ : إِنَّ ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ ؛ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^١ ؛ أوحى الله تعالى إلى موسى : وعزتي لو أن النفس التي قتلت أقرت لي ساعة واحدة أنني خالق رازق لأذقتك العذاب . ﴿ قَالَ : رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾^١ . فأصبح في المدينة خائفاً يترقب أن يؤخذ ، ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ - يقول يستعيه - . قَالَ لَهُ مُوسَى : إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾^٢ . ثم أقبل لينصره ، فلما نظر إلى موسى وقد أقبل نحوه ليطش بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي خاف أن يقتله من أجل أنه أغلظ له في الكلام قال : ﴿ أَنْتَرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ ﴾

١ (سورة القصص ٢٨ ، الآيات ١٥ - ١٧) .

٢ سورة القصص ٢٨ ، الآية ١٨) .

إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١﴾ . فترك القبطي ، فذهب فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل ، فطلبه فرعون وقال : خذوه فإنه صاحبنا . فجاء رجل فأخبره وقال له : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ فَاخْرُجْ ﴾ ٢ .

قيل : كان خربيل ١ مؤمن آل فرعون ، كان على بقية من دين إبراهيم ، عليه السلام ، وكان أول من آمن بموسى . فلما أخبره خرج من بينهم ﴿ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ ، قَالَ : رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ . وأخذ في ثنيات الطريق ، فجاءه ملك على فرس وفي يده عترة ، وهي الحربة الصغيرة ، فلما رآه موسى سجد له من الفرق . فقال له : لا تسجد لي ولكن اتبعني ؛ فهده نحو مدين . وقال موسى وهو متوجه إليها : ﴿ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ٤ . فانطلق به الملك حتى انتهى به إلى مدين ، فكان قد سار وليس معه طعام ، وكان يأكل ورق الشجر ، ولم يكن له قوة على المشي ، فما بلغ مدين حتى سقط خفاً قدمه . ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ - قَصْدَ الْمَاءِ - وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ ٥ ، أي تحبسان غنمهما ، وهما ابنتا شعيب النبي ، وقيل : ابنتا يثرون ، وهو ابن أخي شعيب ، فلما رآهما موسى سألهما : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ؟ ﴾

١) حزقيل B .

- ١ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ١٩) .
- ٢ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٢٠) .
- ٣ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٢١) .
- ٤ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٢٢) .
- ٥ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٢٣) .

قَالَتَا : لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿١﴾ . فرحمهما موسى فأتى البئر فاقتلع صخرة عليها كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما غنمهما ، فرجعنا سريعاً ، وكانتا إنما تسقيان من فضول الحياض . وقصد موسى شجرة هناك ليستظل بها فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ﴿٢﴾ .

قال ابن عباس : لقد قال موسى [ذلك] ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خضرة أمائه من شدة الجوع لفعل وما سأل إلا أكلة .

فلما رجع الجاريتان إلى أبيهما سريعاً سألهما فأخبرتا . فأعاد إحداهما إلى موسى تستدعيه ، فأتته وقالت له : ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ ﴿٣﴾ . فقام معها ، فمشت بين يديه ، فضربت الريح ثوبها فحكى عجيزتها ، فقال لها : امشي خلفي ودليني على الطريق فإننا أهل بيت لا ننظر في أعقاب النساء .

فلما أتاه ﴿ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ : لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٤﴾ . قالت إحداهما . وهي التي أحضرته : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ ﴿٥﴾ . قال لها أبوها : القوة قد رأيتها فما يدريك بأمانته ؟ فذكرت له ما أمرها به من انشي خلفه . فقال له أبوها : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي - - نَفْسِكَ - - ثَمَانِي حَجَجٍ . فَإِنْ أُنْمَنَّا

١ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٢٣) .

٢ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٢٤) .

٣ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ١٥) .

٤ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٢٦) .

عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴿١﴾ . فقال له موسى : ﴿ ذَلِكْ بَيْتِي وَبَيْنَكَ أَيْمًا
 الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ، وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ ٢ .
 فأقام عنده يومه ، فلما أمسى أحضر شعيب العشاء ، فامتنع موسى من الأكل ،
 فقال : ولِمَ ذلك ؟ قال : إنا من أهل بيت لا نأخذ على اليسير من عمل
 الآخرة الدنيا بأسرها . فقال شعيب : ليس لذلك أطعمتك إنما هذه عادتني
 وعادة آبائي ، فأكل ، وازدادت رغبة شعيب في موسى فزوجه ابنته التي
 أحضرته ، واسمها صفورا ، وأمرها أن تأتيه بعضاً ، فأتته بعضاً ، وكانت
 تلك العصا قد استودعها إياه ملك في صورة رجل ، فدفعتها إليه ، فلما
 رآها أبوها أمرها ببردتها والإتيان بغيرها ، فألقته وأرادت أن تأخذ غيرها ،
 فلم تقع بيدها سواها ، وتعل ببردتها ، وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها ،
 فأخذها موسى ليرعى بها فندم أبوها حيث أخذها وخرج إليه ليأخذها منه حيث
 هي وديعة ، فلما رآه موسى يريد أخذها منه مانعه ، فحكمتما أول رجل يلقاهما ،
 فأتاهما ملك في صورة آدمي ففرض بينهما أن يضعها موسى في الأرض ،
 فمن حملها فهي له ، فألقاها موسى فلم يطق أبوها حملها وأخذها موسى بيده
 فتركها له . وكانت من عوسج لها شعبتان وفي رأسها محجن . وقيل : كانت
 من آس الجنة ، حملها آدم معه . وقيل في أخذها غير ذلك .

وأقام موسى عند شعيب يرعى له غنمه عشر سنين ، وسار بأهله في
 زمن شتاء وبرد ، فلما كانت الليلة التي أراد الله عز وجل لموسى لمجراته
 وابتدائه فيها نبوته وكلامه أخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجه ، وكانت
 امرأته حاملاً ، فأخذها الطلق في ليلة شاتية ذات مطر ورعد وبرق ، فأخرج
 زنده ليقده ناراً لأهله ليصطلوا ويبيتوا حتى يصبح ويعلم وجه طريقه ، فأصلد

١ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٢٧) .

٢ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٢٨) .

زندہٗ ففدح حتى أعبا ، فرُفَعَتْ له نار ، فلما رآها ظنَّ أنها نار ، وكانت من نور الله ، ﴿ قَالَ لِأَهْلِيهِ : امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾^١ ، فإن لم أجد خيراً ﴿ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾^٢ . فحين قصدها رآها نوراً ممتداً من السماء إلى شجرة عظيمة من العوسج ، وقيل : من العناب ، فتحير موسى وخاف حين رأى ناراً عظيمة بغير دخان وهي تلتهب في شجرة خضراء لا تزداد النار إلا عظماً ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ، فلما دنا منها استأخرت عنه ، ففرع ورجع ، فنودي منها ، فلما سمع الصوت استأنس فعاد ، ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾^٣ : أن بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا يَا مُوسَى ، ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^٤ ، فلما سمع النداء ورأى تلك الهيبة علم أنه ربه تعالى ، فخفق قلبه وكفل لسانه وضعفت قوته وصار حياً كيت إلا أن الروح يتردد فيه ، فأرسل الله إليه ملكاً يشد قلبه ، فلما تاب إليه عقله نودي : ﴿ اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُورِي ﴾^٥ ؛ وإنما أمر بخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار ميت ، وقيل : لينال قدمه الأرض المباركة ، ثم قال له تسكيناً لقلبه : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ؟ ﴾ قال : هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴿ ؛ يقول : أضرب الشجر فيسقط ورقه للغنم ؛ ﴿ وَوَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ﴾

١ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٢٩) .

٢ (سورة النمل ٢٧ ، الآية ٧) .

٣ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٣٠) .

٤ (سورة طه ٢٠ ، الآية ١٢) .

٥ (سورة طه ٢٠ ، الآيتان ١٧ ، ١٨) .

أحمل عليها المزود والسقاء .

وكانت تضيء لموسى في الليلة المظلمة ، وكانت إذا أعوزه الماء أدلاها في
البئر فينال الماء ويصير في رأسها شبه الدلو ، وكان إذا اشتهى فاكهة غرسها
في الأرض فنبت لها أغصان تحمل الفاكهة لوقتها .

قال له : ألقها يا موسى . فألقاها موسى ، فإذا هي حية تسمى عظيمة
الجثة في خفة حركة الجحان ، فلما رآها موسى ﴿ وَتَى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾^١ ،
فَنُودِي : ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾^٢ ،
أقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى عصاً ؛ وإنما أمره الله بإلقاء العصا حتى
إذا ألقاها عند فرعون لا يخاف منها ، فلما أقبل قال : خذها ولا تخف
وأدخل يدك في فيها . وكان على موسى جبة صوف ، فلف يده بكفه وهو
لها هائب ، فنودي : ألق كمنك عن يدك ، فألقاه ، وأدخل يده بين لحيها ،
فلما أدخل يده عادت عصاً كما كانت لا ينكر منها شيئاً .

ثم قال له : ﴿ ادْخُلْ بَدَاكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ
سُوءٍ ﴾^٣ ، يعني برصاً ، فأدخلها وأخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج
لها نور ، ثم ردها فعادت كما كانت . فقيل له : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ
مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ ، قال : رَبِّ
إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ، وَأَخِي هَارُونُ هُوَ
أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴿^٤ ، أي يبين لهم عني
ما أكلتهم به ، فإنه يفهم عني ما لا يفهمون . ﴿ قَالَ : سَنَشُدُّ عَضُدَكَ

١ (سورة النمل ٢٧ ، الآية ١٠) .

٢ (سورة النمل ٢٧ ، الآية ١٢) .

٣ (سورة القصص ٢٨ ، الآيات ٣٢ - ٣٤) .

بِأَخِيكَ وَتَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا
وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿١﴾ .

أقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاهم ليلاً ، فتضيف على
أمه وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه ، فجاء هارون فسألها عنه ، فأخبرته أنه
ضيف ، فدعاه فأكل معه ، وسأله هارون : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا موسى .
فاعتقنا . وقيل : إنَّ الله ترك موسى سبعة أيام ثم قال : أجب ربك فيما
كلمك . فقال : ﴿ رَبُّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ ١ الآيات . فأمره بالمسير إلى
فرعون ، ولم يزل أهله مكانهم لا يدرون ما فعل حتى مرَّ راعٍ ٢ من أهل
مدين فعرفهم فاحتملهم إلى مدين ، فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى
بعدهما فلق البحر ، فساروا إليه .

وأما موسى فإنه سار إلى مصر ، وأوحى الله إلى هارون يعلمه بقول ٢
موسى ويأمره بتلقيه ، فخرج من مصر فالتقى به ، قال موسى : يا هارون
إنَّ الله تعالى قد أرسلنا إلى فرعون فانطلق معي إليه . قال : سمعاً وطاعة ،
فلما جاء إلى بيت هارون وأظهر أنهما يتطلقان إلى فرعون سمعت ذلك ابنة
هارون ٣ فصاحت أمهما فقالت : أنشد كما الله أن [لا] تنهبا إلى فرعون فيقتلكما
جميعاً ! فأيا فانطلقا إليه ليلاً ، فضربا بابه ، فقال فرعون لبوابه : مَنْ هَذَا
الذي يضرب بابي هذه الساعة ؟ فأشرف عليهما البواب فكلتھما ، فقال له
موسى : إنا رسولا رب العالمين ، فأخبر فرعون ، فأدخلا إليه .

1) B . 2) B . 3) B .

١ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٣٥) .

٢ (سورة طه ٢٠ ، الآية ٢٥) .

وقيل : إن موسى وهارون مكثا ستين يغلوان إلى باب فرعون ويروحان
يلتمسان الدخول إليه فلم يجسر أحد يخبره بشأنهما ، حتى أخبره مسخرة كان
يُضحكه بقوله ، فأمر حينئذ فرعون بإدخالهما . فلما دخلا قال له موسى :
إني رسول من رب العالمين . فعرفه فرعون فقال له : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا
وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ، وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ
وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ؟ قَالَ : فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ، فَفَرَرْتُ
مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً - بَعِي نَبْوَةً - وَجَعَلَنِي
مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۱﴾ . فقال له فرعون : ﴿ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ۲﴾
قد فتح فاه فوضع اللحي الأسفل في الأرض والأعلى على القصر وتوجه نحو
فرعون ليأخذه ، فخافه فرعون ووثب فرعاً فأحدث في ثيابه ، ثم بقي بضعة
وعشرين يوماً يجيء بطنه حتى كاد يهلك ، وناشده فرعون بربه تعالى أن يرد
الثعبان ، فأخذه موسى فعاد عصاً . ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها بيضاء
كالثلج لها نور يتلألأ ثم ردها فعادت إلى ما كانت عليه من لونها ۱ ثم أخرجها
الثانية لها نور ساطع في السماء تكل منه الأبصار قد أضاءت ما حولها بدخل
نورها البيوت ويرى من الكوى ومن وراء الحُجُب ، فلم يستطع فرعون
النظر إليها ، ثم ردها موسى في جيبه وأخرجها فإذا هي على لونها .
وأوحى الله تعالى إلى موسى وهارون أن ﴿ قُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ

1) لونها الأول S. 1)

1 (سورة الشعراء ٢٦ ، الآيات ١٨ - ٢١) .
2 (سورة الأعراف ٧ ، الآيات ١٠٦ ، ١٠٧) .

يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿١﴾ ، فقال له موسى : هل لك في ^١ أن أعطيك شبابك فلا تهرم ، وملكك فلا يُنزع ، وأردّ إليك لذّة المناكح والمشارب والركوب ، فإذا مُتَّ دخلت الجنة وتؤمن بي ؟ فقال : لا حتى يأتي هامان ، فلما حضر هامان عرض عليه قول موسى ، فعجزه وقال له : تصير تُعبّد بعد أن كنت تُعبّد ! ثمّ قال له : أنا أردّ عليك شبابك ، فعمل له الوسمة فخضبه بها ، فهو أول من خضب بالسواد ، فلما رآه موسى هاله ذلك ، فأوحى الله إليه : لا يهولتك ما ترى فلن يلبث إلا قليلاً . فلما سمع فرعون ذلك خرج إلى قومه فقال : إن هذا لساحر عليم . وأراد قتله . فقال مؤمن آل فرعون ، واسمه خربيل ^٢ : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ ﴾ ^٣ وقال الملا من قوم فرعون : ﴿ أَرَجِيهِ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَا تُوَكَّ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴾ ^٤ . ففعل وجمع السحرة ، فكانوا سبعين ساحراً ، وقيل : اثنين وسبعين ، وقيل : خمسة عشر ألفاً ، وقيل : ثلاثين ألفاً ، فوعدهم فرعون واتعدوا يوم عيد كان لفرعون ، فصفّهم فرعون وجمع الناس ، وجاء موسى ومعه أخوه هارون وبيده عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشرف قومه ، فقال موسى للسحرة حين جاءهم : ﴿ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ﴾ ^٤ . فقال السحرة بعضهم لبعض : ما هذا بقول ساحر ! ثمّ قالوا :

1) B. ل . 2) B. حزقيل .

١ (سورة طه ٢٠ ، الآية ٤٤) .

٢ (سورة غافر ٤٠ ، الآية ٢٨) .

٣ (سورة الشعراء ٢٦ ، الآيات ٣٦ ، ٣٧) .

٤ (سورة طه ٢٠ ، الآية ٦١) .

لنأتينك بسحر لم تر مثله، ﴿ وَقَالُوا: بَعِزَّةٍ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾^١.
 فقال له السحرة: يا ﴿ مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ
 الْمُلْقِينَ ﴾^٢. قال: بل ألقوا. ﴿ فَالْقُوا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ ﴾^٣
 فإذا هي في رأي العين حيات أمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها
 بعضاً، فأوجس موسى خوفاً، فأوحى الله إليه: أن ﴿ أَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ
 تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾^٤، فألقى عصاه من يده فصارت ثعباناً عظيماً
 فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيتهم، وهي كالحيات في أعين الناس،
 فجعلت تلقفها وتبتلعها حتى لم تبق منها شيئاً، ثم أخذ موسى عصاه فإذا هي
 في يده كما كانت.

وكان رئيس السحرة أعمى، فقال له أصحابه: إن عصا موسى صارت
 ثعباناً عظيماً وتلقف حبالنا وعصيتنا. فقال لهم: ولم يبق لها أثر ولا عادت
 إلى حالها الأول؟ فقالوا: لا. فقال: هذا ليس بسحر. فخر ساجداً وتبعه
 السحرة أجمعون و ﴿ قَالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى
 وَهَارُونَ ﴾^٥. قال فرعون: ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ! إِنَّهُ
 لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقِطَعْنَ أَيْدِيكُمْ
 وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا تُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾^٦. فقطعهم
 وقتلهم وهم يقولون: ﴿ رَبَّنَا أفرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾^٧.

١ (سورة الشعراء ٢٦، الآية ٤٤).

٢ (سورة الأعراف ٧، الآية ١١٥).

٣ (سورة طه ٢٠، الآية ٦٩).

٤ (سورة الشعراء ٢٦، الآيتان ٤٧، ٤٨).

٥ (سورة طه ٢٠، الآية ٧١).

٦ (سورة الأعراف ٧، الآية ١٢٦).

فكانوا أول النهار كفّاراً وآخر النهار شهداء .

وكان خرييل مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه ، قيل : كان من بني إسرائيل ،
وقيل : كان من القبط ، وقيل : هو النجار الذي صنع التابوت الذي جعل
فيه موسى وألقي في النيل ، فمما رأى غلبة موسى السحرة أظهر إيمانه ، وقيل :
أظهر إيمانه قبل¹ قُتل وصلب مع السحرة ، وكان له امرأة مؤمنة تكتم إيمانها
أيضاً ، وكانت ماشطة ابنة فرعون ، فبينما هي تمشطها إذ وقع المشط من يدها ،
فقالت : بسم الله . فقالت ابنة فرعون : أبي ؟ قالت : لا بل ربّي وربك
وربّ أهلك . فأخبرت أباها بذلك ، فدعا بها وبولدها وقال لها : من ربك ؟
قالت : ربّي وربك الله . فأمر بتنوير نحاس فأحمر ليعذبها وأولادها . فقالت :
لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها .
قال : ذلك لك ، فأمر بأولادها فألقوا في التنور واحداً واحداً ، وكان آخر
أولادها صبياً صغيراً ، فقال : اصبري يا أمّاه فإنك على الحق ، فألقيت
في التنور مع ولدها .

وكانت آسية امرأة فرعون من بني إسرائيل ، وقيل : كانت من غيرهم ،
وكانت مؤمنة تكتم إيمانها ، فلما قُتلت الماشطة رأت آسية الملائكة تعرج بروحها ،
كشف الله عن بصيرتها ، وكانت تنظر إليها وهي تعذب ، فلما رأت الملائكة
قوي إيمانها وازدادت يقيناً وتصديقاً لموسى ، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها
فرعون فأخبرها خبر الماشطة . قالت له آسية : الويل لك ! ما أجراك على الله !
فقال لها : لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة ؟ فقالت : ما بي جنون
ولكنني آمنتُ باللهِ تعالى ربّي وربك وربّ العالمين .

ذلك وكان فرعون أراد قتل موسى فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم والله أعلم فلما أظهر إيمانه . . .

فدعا فرعون أمّها وقال لها : إن ابتك قد أصابها ما أصاب الماشطة فأقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله موسى . فخلت بها أمّها وأرادتها على موافقة فرعون ، فأبت [وقالت] : أمّا أن أكفر بالله فلا والله ! فأمر فرعون حتى مدّت بين يديه أربعة أوتاد وعُدّبت حتى ماتت ، فلما عاينت الموت قالت : ﴿ رَبُّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^١ . فكشف الله عن بصيرتها فرأت الملائكة وما أعدّها من الكرامة ، فضحكت ، فقال فرعون : انظروا إلى الجنون الذي بها ! تضحك وهي في العذاب ! ثمّ ماتت .

ولما رأى فرعون قومه قد دخلهم الرعب من موسى خاف أن يؤمنوا به ويتركوا عبادته فاحتال لنفسه وقال لوزيره : يا هامان ابن لي صرحاً لعليّ ﴿ أَطَّلِعْ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ كاذباً ﴾^٢ . فأمر هامان بعمل الآجر ، وهو أول من عمله ، وجمع الصُّنَّاع وعمله في سبع سنين ، وارتفع البنيان ارتفاعاً لم يبلغه بنيان آخر ، فشقّ ذلك على موسى واستعظمه ، فأوحى الله إليه : أن دعه وما يريد فإنّي مستدرجه ومبطل ما عمله في ساعة واحدة . فلما تمّ بناؤه أمر الله جبرائيل فخرّبه وأهلك كلّ من عمل فيه من صانع ومستعمل . فلما رأى فرعون ذلك من صنع الله أمر أصحابه بالشدة على بني إسرائيل وعلى موسى ، ففعلوا ذلك ، وصاروا يكلّفون بني إسرائيل من العمل ما لا يطيقونه ، وكان الرجال والنساء في شدة ، وكانوا قبل ذلك يطعمون بني إسرائيل إذا استعملوهم ، فصاروا لا يطعمونهم شيئاً ، فيعودون بأسوأ حال يريدون يكسبون ما يقوتهم ، فشكوا ذلك إلى موسى ، فقال لهم : استعينوا بالله واصبروا ، إنّ العاقبة للمتقين ،

١ (سورة التحريم ٦٦ ، الآية ١١) .

٢ (سورة غافر ٤٠ ، الآية ٣٧) .

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾^١ .

فلما أبى فرعون وقومه إلاّ الثبات على الكفر ، تابع الله عليه الآيات ، فأرسل عليهم الطوفان ، وهو المطر المتتابع ، ففرق كل شيء لهم . فقالوا : يا موسى ادع ربك يكشف عنا هذا ونحن نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل ، فكشفه الله عنهم ونبت زروعهم ، فقالوا : ما يسرنا أننا لم نخطر . فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم ، فسألوا موسى أن يكشف ما بهم ويؤمنوا به ، فدعا الله فكشفه ، فلم يؤمنوا وقالوا : قد بقي من زروعنا بقية . فأرسل الله عليهم الدّبا ، وهو القمل ، فأهلك الزروع والنبات أجمع ، وكان يهلك أطمعتهم ، ولم يقدرُوا أن يحترزوا منه ، فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ، ففعل ، فلم يؤمنوا ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، وكانت تسقط في قلوبهم وأطمعتهم وملأت البيوت عليهم ، فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ليؤمنوا به ، ففعل ، فلم يؤمنوا ، فأرسل الله عليهم الدّم ، فصارت مياه الفرعونيّين دماً ، وكان الفرعونيّ والإسرائيليّ يستقيان من ماء واحد ، فيأخذ الإسرائيليّ ماء [ويأخذ] الفرعونيّ دماً ، وكان الإسرائيليّ يأخذ الماء في فمه فيمجّته في فم الفرعونيّ فيصير دماً ، فبقي ذلك سبعة أيّام ، فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ليؤمنوا ، ففعل ، فلم يؤمنوا .

فلما يش من إيمانهم ومن إيمان فرعون دعا موسى وأمن هارون فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، رَبَّنَا لِيَفْضِلْنَا عَلَيْنَا لِيُفْضِلُوا عَنْ سَبِيلِكَ ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيْنَا قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾^٢ : فاستجاب

١ (سورة الأعراف ٧ ، الآية ١٢٩) .

٢ (سورة يونس ١٠ ، الآية ٨٨) .

اللهُ لهما ، فمسخ الله أموالهم ، ما عدا خيلهم وجواهرهم وزيتهم ،
حجارةً ، والنخلَ والأطعمة والدقيقَ وغير ذلك ، فكانت إحدى الآيات
التي جاء بها موسى .

فلما طالَ الأمر على موسى أوحى اللهُ إليه يأمره بالمسير بيني إسرائيل
وأن يحمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالأرض المقدسة ، فسأل
موسى عنه فلم يعرفه إلا امرأة عجوز فأرته مكانه في النيل ، فاستخرجه
موسى ، وهو في صندوق مرمر ، فأخذه معه فسار ، وأمر بني إسرائيل أن
يستعيروا من حلي القبط ما أمكنهم ، ففعلوا ذلك وأخذوا شيئاً كثيراً ، وخرج
موسى بيني إسرائيل ليلاً والقبط لا يعلمون ، وكان موسى على ساقه بني إسرائيل ،
وهارون على مقدمتهم ، وكان بنو إسرائيل لما ساروا من مصر ستمائة ألف
وعشرين ألفاً ، وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان ، ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى
الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى : إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ يا موسى ! أوذينا
من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، أما الأول فكانوا يذبحون أبناءنا
ويستحيون نساءنا ، وأما الآن فيدركنا فرعون فيقتلنا . قال موسى : ﴿ كَلَّا
إِن مَّعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ .

وبلغ بنو إسرائيل إلى البحر وبقي بين أيديهم وفرعون من ورائهم ،
فأيقنوا بالهلاك ، فتقدم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق ، فكان كل فرق
كالطود العظيم ، وصار فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق ، فقال كل
سبط : قد هلك أصحابنا . فأمر الله الماء فصار كالشباك ، فكان كل سبط
يرى مَنْ عن يمينه وعن شماله حتى خرجوا ، ودنا فرعون وأصحابه من البحر
فرأى الماء على هيئته والطرق فيه ، فقال لأصحابه : ألا ترون البحر قد فرق

١ (سورة الشعراء ٢٦ ، الآيات ٦١ ، ٦٢) .

مني وانفتح لي حتى أدرك أعدائي ؟ فلما وقف فرعون على أفواه الطرق لم تقنحه خيله ، فتزل جبرائيل على فرس أنثى وديق ، فشمت الحصن ربحها فافتحمت في أثرها حتى إذا هم^١ أولهم أن يخرج ودخل آخرهم أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فأغرقهم ، وبنو إسرائيل ينظرون إليهم . وانفرد جبرائيل بفرعون يأخذ من حمأة البحر فيجعلها في فيه ، وقال حين أدركه الغرق : آمنتُ أنه لا إله إلا الذي آمنتُ به بنو إسرائيل ، وغرق ، فبعث الله إليه ميكائيل بغيره ، فقال له : ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^٢ . وقال جبرائيل للنبي ، صلى الله عليه وسلم : لو رأيتني وأنا أدس من حمأة البحر في فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها .

فلما نجا بنو إسرائيل قالوا : إن فرعون لم يغرق . فدعا موسى فأخرج الله فرعون غريقاً ، فأخذه بنو إسرائيل يتمثلون به ، ثم ساروا فأتوا على قوم يعبدون الأصنام فقالوا : ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ . قَالَ : إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ^٢ . فتفكروا ذلك . ثم بعث موسى جندين عظيمين كل جند اثنا عشر ألفاً إلى مدائن فرعون ، وهي يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم ولم يبق غير النساء والصبيان والزمنى والمرضى والمشايخ والعاجزين ، فدخلوا البلاد وغنموا الأموال وحملوا ما أطاقوا وباعوا ما عجزوا عن حمله من غيرهم ، وكان على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا .

وكان موسى قد وعده الله وهو بمصر أنه إذا خرج مع بني إسرائيل منها

١) ثم C. P.

١ (سورة يونس ١٠ ، الآية ٩١) .

٢ (سورة الأعراف ٧ ، الآية ١٣٨) .

وأهلك الله عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يتنرون ، فلما أهلك الله فرعون^١ وأنجي بني إسرائيل قالوا : يا موسى اننا بالكتاب الذي وعظمتنا . فسأل موسى ربه ذلك ، فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً ويظهر ويظهر ثيابه ويأتي إلى الجبل جبل طور سينا ليكلمه ويعطيه الكتاب ، فصام ثلاثين يوماً أولها أول ذي القعدة ، وسار إلى الجبل واستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل ، فلما قصد الجبل أنكر ريح فمه فسوك يعود خرتوب ، وقيل : تسوك يلحاه شجرة ، فأوحى الله إليه : أما علمت أن تخوف قم الصائم أطيب عتدي من ريح المسك ؟ وأمره أن يصوم عشرة أيام أخرى ، فصامها ، وهي عشر ذي الحجة ، ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ .

ففي تلك الليالي المشراقتن بنو إسرائيل لأن الثلاثين انقضت ولم يرجع إليهم موسى ، وكان السامري من أهل باجرتي ، وقيل : من بني إسرائيل ، قال هارون : يا بني إسرائيل إن القاتم لا تحمل لكم والحلي الذي استرتموه من القبط غيمة فاحرقوا خيرة وألقوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ، ففعلوا ذلك ، وجاء السامري بقبضة من التراب الذي أتته من أثر حافر فرس جبرائيل فألقاه فيه ، فصار الحلي عجلًا جسدًا له خوار ، وقيل : إن الحلي ألقى في النار فذاب فألقى السامري ذلك التراب فصار الحلي عجلًا جسدًا له خوار ، وقيل : كان يخور ويمشي ، وقيل : ما خطر إلا مرة واحدة ولم يعد ، وقيل : إن السامري صاغ العجل من قلك الحلي في ثلاثة أيام ثم قذف فيه التراب فقام له خوار .

١ - فرعون وقومه ٥ (١)

١ (سورة الأعراف ٧ ، الآية ١٤٢) .

فلما رأوه قال لهم السامريّ : ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ،
فَنَسِيَ ﴾^١ موسى وتركه مهنا وذهب يطلبه ، فعكفوا عليه يعبدونه فقال لهم
هارون : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي
وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾^٢ ، فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم ، فأقام بمن معه ولم يقاتلهم .
ولما ناجى الله تعالى موسى قال له : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ؟
قَالَ : هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَاجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى . قَالَ :
فَلِأَنَّا قَدْ فُتِنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ - يَا مُوسَى - وَأَضَلَّهُمُ
السَّامِرِيُّ ﴾^٣ . فقال موسى : يا ربّي هذا السامريّ قد أمرهم . أن يتخذوا
العجل ، من نفخ فيه الروح ؟ قال : أنا . قال : فأنت إذا أضللتهم .

ثمّ إن موسى لما كلمه الله تعالى أحبّ أن ينظر إليه قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي
انظُرْ إِلَيْكَ . قَالَ : لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ
مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي . فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ،
وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا
أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^٤ . وأعطاه الألواح فيها الحلال والحرام والمواظظ ، وهاد
موسى ولا يقدر أحد أن ينظر إليه ، وكان يجعل عليه حريرة نحو أربعين يوماً ،
ثمّ يكشفها لما تغشاه من النور ، فلما وصل إلى قومه ورأى عبادتهم العجل
ألقي الألواح وأخذ برأس أخيه ولحيته يجره إليه ، ﴿ قَالَ : يَا ابْنَ أُمَّ لَا

١) بعبادة .

١ (سورة طه ٢٠ ، الآية ٨٨) .

٢ (سورة طه ٢٠ ، الآية ٩٠) .

٣ (سورة طه ٢٠ ، الآيات ٨٣ - ٨٥) .

٤ (سورة الأعراف ٧ ، الآية ١٤٣) .

تَأْخُذُ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَمَّ تَرْقُبُ قَوْلِي ﴿١﴾ . فترك هارون وأقبل على السامري وقال : ﴿ مَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ؟ ﴾ قَالَ : بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ، فَتَبَّضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي . قَالَ : فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴿٢﴾ . ثم أخذ العجل وبرده بالمبارد وأحرقه وأمر السامري فبال عليه وذراه في البحر .

فلما ألقى موسى الألواح ذهب ستة أسباعها وبقي سبع ، وطلب بنو إسرائيل التوبة فأبى الله أن يقبل توبتهم وقال لهم موسى : ﴿ يَا قَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ ﴿٣﴾ ، فاقتل الذين عبدوه والذين لم يعبدوه ، فكان من قتل من الفريقين شهيداً ، فقتل منهم سبعون ألفاً ، وقام موسى وهارون يدعوان الله ، فعفا عنهم وأمرهم بالكف عن القتال وتاب عليهم ، وأراد موسى قتل السامري فأمره الله بتركه وقال : إنه سخى ، فلعله موسى .

ثم إن موسى اختار من قومه سبعين رجلاً من أخصيارهم ^١ وقال لهم : انطلقوا معي إلى الله فتوبوا مما صنعتم وصوموا وتطهروا . وخرج بهم إلى طور سينا للميقات الذي وقته الله له . فقالوا : اطلب أن نسمع كلام ربنا . فقال : أفعل . فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل

١) أخصيارهم . B .

١ (سورة طه ٢٠ ، الآيات ٩٤ - ٩٧) .

٢ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٥٤) .

كلته ودخل فيه موسى وقال للقوم : اذفوا ، فذفوا حتى دخلوا في الغمام .
 فوقفوا سجوداً ، فسمعوه وهو يكلم موسى بأمره وينهاه ، فلما فرغ انكشف
 عن موسى الغمام فأقبل إليهم ، فقالوا للموسى : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى
 تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ فَمَاتُوا جَمِيعاً . قام موسى
 يتلشد الله تعالى ويلجوه ويقول : يا رب اخترتُ أخيارَ بني إسرائيل وأعودُ
 إليهم وليسوا معي فلا يصدّقوني . ولم يزل يتضرع حتى ردّ الله إليهم
 أرواحهم فعاثوا رجلاً رجلاً يتنظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون . فقالوا :
 يا موسى أنت تدعو الله فلا تسأله شيئاً إلا أعطاكه ، فادعهُ يجعلنا أنبياء .
 فدعا الله فجعلهم أنبياء .

وقيل : أمرُ السبعين كان قبل أن يتوب الله على بني إسرائيل ، فلما
 مضوا للميقات واعتذروا قبيل توبتهم وأمرهم أن يقتل بعضهم بعضاً ،
 والله أعلم .

ولما رجع موسى إلى بني إسرائيل ومعه التوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما
 فيها للأثقال والشدة التي جاء بها ، وأمر الله جبرائيل فقلع جبلاً من فلسطين
 على قدر عسكرهم ، وكان فرسخاً في فرسخ ، ورفع فوق رؤوسهم مقدار
 قامة الرجل مثل الظلّة وبعث ناراً من قبّل وجوههم وأتاهم البحر من خلفهم ،
 فقال لهم موسى : خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فإن قبليتموه وفعلتم ما أمرتم
 به وإلا رُضختم بهذا الجبل وغرقتم في هذا البحر وأحرقكم بهذه النار . فلما

اعتذروا وتابوا قبل 1)

١ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٥٥) -

رأوا أن لا مهرب لهم قبلوا ذلك وسجدوا على شقّ وجوههم وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود ، فصارت سنة في اليهود يسجدون على جانب وجوههم وقالوا : سمعنا وأطعنا .

ولما رجع موسى من المناجاة بقي أربعين يوماً لا يراه أحد إلا مات ، وقيل : ما رآه إلا عمي ، فجعل على وجهه ورأسه برنسا لئلا يرى وجهه .

ثم إن رجلاً من بني إسرائيل قتل ابن عمّ له ولم يكن له ارث غيره ليرث ماله وحمله وألقاه بموضع آخر ، ثم أصبح يطلب دمه عند موسى من بعض بني إسرائيل ، فجدوا ، فسأل موسى ربه ، فأمرهم أن يذبحوا بقرة ، فقالوا : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا ؟ ۚ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۚ ۱﴾ المستهزئين . فقالوا له : ما هي ؟ ولو ذبحوا بقرة ما لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدّ الله عليهم ، وإنما كان تشديدهم لأن رجلاً منهم كان برّاً بأمه وكان له بقرة على النعت المذكور فنفعه برّه بأمه ، فلم يجدوا على الصفة المذكورة إلا بقرته^٢ ، فباعها منهم بملء جلدها ذهاً ، فلما سألوا موسى عنها قال : ﴿ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ ۚ ۳﴾ . يقول : لا كبيرة ولا صغيرة نصف بين السنين . ﴿ قَالُوا : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْبَعْ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ ۚ قَالُوا : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ، إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا . . . قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا

١ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٦٧) .

٢ إلا بقرة له .

٣ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٦٨) .

ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا -
يعني لا عيب فيها ، وقيل لا يياض فيها - قَالُوا : الْآنَ جِئْتَ
بِالْحَقِّ ﴿١﴾ . وطلبوها فلم يجدوا إلا بقرة ذلك الرجل البارّ بأمه ، فاشتروها ،
فغالى بها حتى أخذ ملء جلدها ذهباً ، فذبحوها وضربوا القليل بلسانها ، وقيل :
بغيره ، فحیی وقام وقال : قتلني فلان . ثم مات .

١ (سورة البقرة ٢ ، الآيات ٦٩ - ٧١) .

دَخَلْتُمُوهُ فَلْيَنْتَبِهُوا ۗ ﴿١١﴾ . ﴿ قَالُوا : يَا مُوسَى إِنَّا لَنَرُكَ
 نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ، فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ۗ إِنَّا
 هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۗ ﴿١٢﴾ .

فغضب موسى فدعا عليهم فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَسْأَلُكَ إِلَّا نَفْسِي
 وَأَخِي ، فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۗ ﴿١٣﴾ ، وكانت عجلة من
 موسى . فقال الله تعالى : ﴿ فَلْيَنْتَبِهُوا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
 يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ ﴿١٤﴾ . فندم موسى حينئذ . فقالوا له : فكيف لنا بالطعام؟
 فأنزل الله المن والسلوى ، فأما المن فقبيل هو كالصمغ وطعمه كالشهد يقع على
 الأشجار ، وقيل : هو الترنجيبين² ، وقيل : هو الخبز الرقاق ، وقيل : هو
 عسل كان ينزل لكل إنسان صاع ، وأما السلوى فهو طائر يشبه السماني .
 فقالوا : أين الشراب ؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر ﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ
 اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۗ ﴿١٥﴾ لكل سبط عين . فقالوا : أين الظل ؟ فظلل عليهم
 الغمام . فقالوا : أين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم³ ولا يتمزق لهم
 ثوب . ثم قالوا : ﴿ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ
 لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا

غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، قالوا : يا موسى إن فيها قوماً جابرين فلما لن . . . S. 1)

عليهم . B. 3) . الطرنجيبين . A. & B. 2)

١ (سورة المائدة ٥ ، الآيات ٢١ - ٢٣) .

٢ (سورة المائدة ٥ ، الآية ٢٤) .

٣ (سورة المائدة ٥ ، الآيات ٢٥ ، ٢٦) .

٤ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٦٠) .

وَقَوْمِيهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِيهَا . قَالَ : أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ؟ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ لَهَا مَا سَأَلْتُمْ ﴿٦١﴾ . فَلَمَّا
خَرَجُوا مِنْ أَتَيْهِ رَفَعَ عَنْهُمْ الْمَنَ وَالسُّلُوبَ .

ثم إن موسى التقى هو وعوج بن عناق ، فوثب موسى عشرة أذرع ،
وكانت عصاه عشرة أذرع ، وكان طوله عشرة أذرع ، فأصاب كعب عوج
فقتله . وقيل : عاش عوج ثلاثة آلاف سنة .

ثم إن الله أوحى إلى موسى : إنني متوفٍ هارون فاتٍ به جبل كذا
وكذا . فانطلقا نحوه فإذا هم فيه بشجرة لم يروا مثلها وفيه بيت مبني وسرير
عليه فرش وريح طيبة ، فلما رآه هارون أعجبه ، قال : يا موسى إنني أريد
أن أنام على هذا السرير . فقال له موسى : نعم . قال : إنني أخاف رب هذا
البيت أن يأتي فيغضب عليّ . قال موسى : لا تخف أنا أكفيك . قال : فم
معي . فلما ناما أخذ هارون الموت ، فلما وجد حسه قال : يا موسى
خدعتني ! فتوفيتي ورفعتني على السرير إلى السماء . ورجع موسى إلى بني
إسرائيل ، فقال له بنو إسرائيل : إنك قتلت هارونَ لحبنا إياه . فقال :
ويحكم أفرون أني أقتل أخي ! فلما أكثروا عليه صلتى ودعا الله ، فنزل
بالسرير حتى نظروا إليه ما بين السماء والأرض ، فأخبرهم أنه مات وأن
موسى لم يقتله ، فصدقوه ، وكان موته في التيه .

١ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٦١) .

ذكر وفاة موسى ، عليه السلام

قيل : بينما موسى ، عليه السلام ، يمشي ومعه يوشع بن نون فتاه إذ أقبلت ريح سوداء ، فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة ، فالتزم موسى وقال : لا تقوم الساعة وأنا ملتزم نبي الله . فاستل موسى من تحت القميص وبقي القميص في يدي يوشع . فلما جاء يوشع بالقميص أخذه بنو إسرائيل وقالوا : قتلت نبي الله ! فقال : ما قتلته ولكنه استل مني . فلم يصدقوه . قال : فإذا لم تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام ، فوكلوا به من يحفظه ، فدعا الله ، فأتى كل رجل كان يحرسه في المنام فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى ، وأنا [قد] رفضناه إلينا ، فتركوه .

وقيل : إن موسى كره الموت فأراد الله أن يحبب إليه الموت ، فأوحى الله إلى يوشع بن نون ، وكان يغدو عليه ويروح ، ويقول له موسى : يا نبي الله ما أحدث الله إليك ؟ فقال له يوشع بن نون : يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله لك ؟ ولا يذكر له شيئاً . فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت . وقيل : إنه مرّ منفرداً برهط من الملائكة يحفرون قبراً ، فعرفهم فوقف عليهم ، فلم ير أحسن منه ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والبهجة . فقال لهم : يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ فقالوا : نحفره لعبد كريم على ربّه . فقال : إن هذا العبد له منزل كريم ما رأيت مضجعا ولا مدخلا مثله . فقالوا : أتحب أن يكون لك ؟ قال : وددت . قالوا : فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك وتنفس أسهل تنفس تنفسه . فترل فيه وتوجه إلى ربّه ثم تنفس ، فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب .

وكان ، صلى الله عليه وسلم ، زاهداً في الدنيا راغباً فيما عند الله ،
إنما كان يستظلّ في عريش ويأكل ويشرب من نقيع من حجر تواضعا إلى
الله تعالى .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : إن الله أرسل ملك الموت ليقبض
روحه فلطمه فقطاً عينه ، فعاد وقال : يا رب أرسلني إلى عبد لا يحب الموت .
قال الله : ارجع له وقل له يضع يده على ظهر ثور وله بكل شعرة تحت يده
سنة ، وخيرته بين ذلك وبين أن يموت الآن . فأناه ملك الموت وخيرته .
فقال له : فما بعد ذلك ؟ قال : الموت . قال : فالآن إذن . فقبس روحه .
وهذا القول صحيح قد صحّ النقل به عن النبي ، صلى الله عليه وسلم .
فكان موته في التيه أيضاً .

وقيل : بل هو الذي فتح مدينة الجبارين على ما نذكره .

وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة ، من ذلك في ملك أفريدون
عشرون ، وفي ملك منوجهر مائة سنة ، وكان ابتداء أمره منذ بعثه الله إلى أن
قبضه في ملك منوجهر .

ثم نبى بعده يوشع بن نون فكان في زمن منوجهر عشرين سنة ، وفي
زمن أفراسياب سبع سنين .

ذكر يوشع بن نون ، عليه السلام

وفتح مدينة الجبارين

لما توفي موسى بعث الله يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، عليه السلام ، نبياً إلى بني إسرائيل وأمره بالسير إلى أريحا مدينة الجبارين ، واختلف العلماء في فتحها على يد مَنْ كان . فقال ابن عباس : إن موسى وهارون توفيا في التيه وتوفي فيه كل مَنْ دخله ، وقد جاوز العشرين سنة ، غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ، فلما انقضى أربعون سنة أوحى الله إلى يوشع بن نون فأمره بالسير إليها وفتحها ، ففتحها ؛ ومثله قال قتادة والسدي وعكرمة .

وقال آخرون : إن موسى عاش حتى خرج من التيه وسار إلى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يوشع بن نون ففتحها ؛ وهو قول ابن إسحاق ، قال ابن إسحاق : سار موسى بن عمران إلى أرض كنعان لقتال الجبارين ، فقدم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ، وهو صهره على أخته مريم بنت عمران ، فلما بلغوها اجتمع الجبارون إلى بلعم بن باعور ، وهو من ولد لوط ، فقالوا له : إن موسى قد جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا فادعُ الله عليهم . وكان بلعم يعرف اسم الله الأعظم ، فقال لهم : كيف أدعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة ! فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم ، فأتوا امرأته وأهدوا لها هدية ، فقبلتها ، وطلبوا إليها أن تحسن لزوجها أن يدعو على نبي

١ (في الطبري : يوفنة) .

إسرائيل ، فقالت له في ذلك ، فامتنع ، فلم ترل به حتى قال : أستخير الله . فاستخار الله تعالى ، فنهاه في المنام ، فأخبرها بذلك ، فقالت : راجع ربك . فعاود الاستخارة فلم يُرد إليه جواب . فقالت : لو أراد ربك لنهاك ، ولم تنزل تخدعه حتى أجابهم ، فركب حماراً له متوجّهاً إلى جبل مشرف على بني إسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم ، فما سار عليه إلا قليلاً حتى ربض الحمار ، فنزل عنه وضربه حتى قام فركبه فسار به قليلاً فبرك ، فعل ذلك ثلاث مرّات ، فلما اشتدّ ضربه في الثالثة أنطقه الله فقال له : ويحك يا بلعم أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة تردّتي ؟ فلم يرجع ، فأطلق الله الحمار حينئذٍ ، فسار عليه حتى أشرف على بني إسرائيل ، فكان كلما أراد أن يدعو عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم ، وإذا أراد أن يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم ، فقالوا له في ذلك ، فقال : هذا شيء غلبنا الله عليه ، واندلع لسانه فوق على صدره ، فقال : الآن قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق غير المكر والحيلة . وأمرهم أن يزيّنوا نساءهم ويعطوهنّ السلع للبيع ويرسلوهنّ إلى العسكر ولا تمنع امرأة نفسها ممن يريدّها . وقال : إن زنتي منهم رجل واحد كُفيتموهم . ففعلوا ذلك ، ودخل النساء عسكر بني إسرائيل ، فأخذ زمري بن شلوم ، وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب ، امرأة وأتى بها موسى فقال له : أظنك تقول هذا حرام فوالله لا نطيعك ، ثمّ أدخلها خيمته فوق عليها ، فأنزل الله عليهم الطاعون ، وكان فنحاص بن العزار بن هارون صاحب امرأة عمّة موسى غائباً ، فلما جاء رأى الطاعون قد استقرّ في بني إسرائيل ، وأخبر الخبر ، وكان ذا قوّة

.....
1) امرأة B.

١ (في الطبري : العيزار) .

ويعطش ، فقصد زمري فرآه وهو مضاجع المرأة ، فطعنهما بحربة في يده
فانتظمهما ، ورُفِع الطاعون ، وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفاً ، وقيل :
سبعون ألفاً ، فأنزل الله في بلعم : ﴿ وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ
آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾¹ .

ثم إن موسى قدم يوشع إلى أريحا في بني إسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين ،
وبقيت منهم بقية ، وقد قاربت الشمس الغروب ، فخشي أن يدركهم الليل
فيعجزوه ، فدعا الله تعالى أن يحبس عليهم² الشمس ، ففعل وحبسها حتى
استأصلهم ، ودخلها موسى فأقام بها ما شاء الله أن يقيم ، وقبضه الله إليه لا يعلم
بقبره أحد من الخلق .

وأما من زعم أن موسى كان قد توفي قبل ذلك فقال : إن الله أمر
يوشع بالمسير إلى مدينة الجبارين ، فسار ببني إسرائيل ، ففارقه رجل يقال له
بلعم بن باعور ، وكان يعرف الاسم الأعظم ، وساق من حديثه نحو ما تقدم .
فلما ظفر يوشع بالجبارين أدركه المساء ليلة السبت ، فدعا الله فردت الشمس عليه
وزاد في النهار ساعة فهزم الجبارين ودخل مدينتهم وجمع غنائمهم ليأخذها
القربان ، فلم تأت النار ، فقال يوشع : فيكم غلول³ فبايعوني ، فبايعوه ،
فلصقت يده في يد من غل ، فأناه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت
فجعله في القربان وجعل الرجل معه ، فجاءت النار فأكلتهما .

وقيل : بل حصرها ستة أشهر ، فلما كان السابع تقدموا إلى المدينة
وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور ، فدخلوها وهزموا الجبارين وقتلوا⁴ فيهم
فأكثرُوا . ثم اجتمع جماعة من ملوك الشام وقصدوا يوشع فقاتلهم وهزمهم

1) Cor. 7, vs. 175.

2) عليه B.

3) إن فيكم غلولا B.

4) أتبع هزيمة وقتلوا B.

وهرب الملوك إلى غار ، فأمر بهم يوشع بن نون فقتلوا وصلبوا . ثمّ ملك الشام جميعه فصار لبني إسرائيل وفرق عماله فيه . ثمّ توفاه الله فاستخلف على بني إسرائيل كالب بن يوفنا ، وكان عمر يوشع مائة وستاً وعشرين سنة ، وكان قيامه بالأمر بعد موسى سبعاً وعشرين سنة .

وأما من بقي من الجبارين فلان إفريقش بن قيس بن صيفي بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان مرّ بهم متوجّهاً إلى إفريقية فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم إفريقية فافتتحها وقتل ملكها جرجيرا وأسكنهم إياها ، فهم البرابرة ، وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة ، فهم فيهم إلى اليوم .

.....
1) B. ceteri . ابن حمير .

ذكر أمر قارون

وكان قارون بن بصهر بن قاهث ، وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث ، وقيل : كان عم موسى ؛ والأول أصح . وكان عظيم المال كثير الكنوز ، قيل : إن مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلاً ، فبغى على قومه بكثرة ماله ، فوعظوه ونهوه وقالوا له ما قص الله تعالى في كتابه : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾¹ ؛ فأجابهم جواب مغر لحلم الله عنه فقال : إنما أوتيته ، يعني المال والخزائن ، على علم عندي ، قيل على خبر ومعرفة مني ، وقيل : لولا رضى الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا . فلم يرجع عن غيئه ولكنه تهادى في طغيانه حتى ﴿ خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾¹ ، وهي أنه ركب برذوناً أبيض بمراكب الأرجوان المذهبة وعليه الثياب المعصفرة وقد حمل معه ثلاثمائة جارية على مثل برذونه وأربعة آلاف من أصحابه ، وبني داره وضرب عليها صفائح الذهب وعمل لها باباً من ذهب ، فتمنى أهل الغفلة والجهل مثل ماله ،

1) Cor. 28, vs. 76, 77.

١ (سورة القصص ٢٨ ، الآية ٧٩) .

فنهاهم أهل العلم بالله .

وأمره الله تعالى بالزكاة ، فجاء إلى موسى من كل ألف دينار دينار ، وعلى هذا من كل ألف شيء شيء ، فلما عاد إلى بيته وجدته كثيراً ، فجمع نفراً يثق بهم من بني إسرائيل فقال : إن موسى أمركم بكل شيء فأطعمموه ، وهو الآن يريد أخذ أموالكم . فقالوا : أنت كبيرنا وسيدتنا فمرنا بما شئت . فقال : أمركم أن تحضروا فلانة البغي فتجعلوا لها جُعلاً فتتذفه بنفسها ، ففعلوا ذلك ، فأجابتهم إليه .

ثم أتى موسى فقال : إن قومك قد اجتمعوا لك لتأمرهم وتنهاهم . فخرج إليهم فقال : من سرق قطعناه ، ومن افترى جلدناه ، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة ، وإن كانت له امرأة رجمناه حتى يموت . فقال له قارون : وإن كنت أنت ؟ فقال : نعم . قال : فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة . فقال : ادعوها فإن قالت فهو كما قالت .

فلما جاءت قال لها موسى : أقسمت عليك بالذي أنزل التوراة إلا صدقت : أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ قالت : لا ، كذبوا ، ولكن جعلوا لي جُعلاً على أن أقذفك . فسجد ودعا عليهم ، فأوحى الله إليه : مَرِ الأَرْضَ بما شئت تطعك . فقال : يا أرض خذهم .

وقيل : إن هذا الأمر بلغ موسى ، فدعا الله تعالى عليه ، فأوحى الله إليه : مَرِ الأَرْضَ بما شئت تطعك . فجاء موسى إلى قارون ، فلما دخل عليه عرف الشر في وجهه فقال له : يا موسى ارحمني . فقال موسى : يا أرض خذهم . فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين ، وجعل يقول : يا موسى ارحمني . قال : يا أرض خذهم . فأخذتهم إلى ركبهم . فلم يزل يستعطفه وهو يقول : يا أرض خذهم ، حتى خسف بهم ، فأوحى

الله إلى موسى : ما أفضلك ! أما وعزتي لو إيتاي نادى لأجبتة ، ولا أعيد الأرض
تُطيع أحداً أبداً بعدك ، فهو يخسف به كل يوم¹ ، فلما أنزل الله نقمته
حمد المؤمنون الله ، وعرف الذين تمنّوا مكانه بالأمس خطأ أنفسهم واستغفروا
وتابوا .

1) B. et S. add. قامة .

ذكر من ملك من الفرس بعد منوجهر

لما هلك منوجهر ملك فارس سار أفراسياب بن فشنج بن رستم ملك الترك إلى مملكة الفرس واستولى عليها وسار إلى أرض بابل وأكثر المقام بها وبمهرجانقدق وأكثر الفساد في - إكة فارس ، وعظم ظلمه ، وأخرب ما كان عامراً ، ودفن الأنهار والقنى ، وقحط الناس سنة خمس من ملكه ، إلى أن خرج عن مملكة فارس ، ولم يزل الناس منه في أعظم البلية إلى أن ملك زو ابن طهماسب ، وكان منوجهر قد سخط على ولده طهماسب ونفاه عن بلاده ، فأقام في بلاد الترك عند ملك لهم يقال له وامن وتزوج ابنته ، فولدت له زو ابن طهماسب ، وكان المنجمون قد قالوا لأبيها : إن ابنته تلد ولداً يقتله ، فسجنها ، فلما تزوجها طهماسب وولدت منه كتمت أمرها وولدها ، ثم إن منوجهر رضي عن طهماسب وأحضره إليه ، فاحتال في إخراج زوجته وابنه زو من محبسهما ، فوصلت إليه ، ثم إن زواً فيما ذكر قتل جده وأمن في بعض الحروب [التُّرك] وطرده أفراسياب التركي عن مملكة فارس حتى رده إلى الترك بعد حروب جرت بينهما ، فكانت غلبة أفراسياب على أقاليم بابل ومملكة الفرس اثني عشرة سنة من لدن توفي منوجهر إلى أن أخرجه عنها زو ، وكان إخراجها عنها في روزابان من شهر ايهان ماه ، فاتخذ لهم هذا اليوم عيداً وجعلوه الثالث لعيدهم النوروز والمهرجان .

وكان زو محموداً في ملكه محسناً إلى رعيته فأمر بإصلاح ما كان أفراسياب أفسده من مملكتهم ، وبعمارة الحصون ، وإخراج المياه التي غور طرقها ، حتى عادت البلاد إلى أحسن ما كانت ، ووضع عن الناس الخراج سبع

سنين ، فعمرت البلاد في ملكه وكثرت المعاش ، واستخرج بالسواد نهراً
وسماه الزاب ، وبنى عليه مدينة ، وهي التي تسمى العتيقة ، وجعل لها
طسوج الزاب الأعلى وطسوج الزاب الأوسط وطسوج الزاب الأسفل ،
وكان أول من اتخذ ألوان الطيخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة ، وأعطى جنوده
ما غنم من الترك وغيرهم .

وكان جميع ملكه إلى أن انقضت مدته ثلاث سنين ، وكان كرشاسب
ابن أنوط وزيره في ملكه ومعينه فيه ، وقيل : كان شريكه في الملك ؛ والأول
أصح ؛ وكان عظيم الشأن في فارس إلا أنه لم يملك .

ذكر ملك كيقباز

ثمّ ملك بعدزو كيقباز بن راع¹ بن ميسرة بن نوذر² بن منوجهر وقدّر مياه الأنهار والعيون لشرب الأرض ، وسمّى البلاد بأسمائها وحدّها بحدودها ، وكور الكور وبين حيز كلّ كورة ، وأخذ العُشر من غلاتها لأرزاق الجند ، وكان - فيما ذكر - كيقباز حريصاً على عمارة البلاد ، ومنعها من العدو ، كثير الكنوز ؛ وقيل : إنّ الملوك الكيانية وأبناءهم من نسله . وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة ، فكان مقيماً بالقرب من نهر بلخ ، وهو جيحون ، لمنع الترك من تطرق شيء من بلاده . وكان ملكه مائة سنة .

1) بن راع . S.

2) نوذر . S.

ذكر الأحداث في بني إسرائيل في عهد زور وكيقباد ونبوة حزقييل

لما توفي يوشع بن نون قام بأمر بني إسرائيل بعده كالب بن يوفنا ، ثم حزقييل بن نوري ، وهو الذي يقال له ابن العجوز ، وإنما قيل له ذلك لأن أمه سألت الله الولد وقد كبرت ، فوهبه الله لها ، وهو الذي دعا للقوم الموتى فأحياهم الله .

وكان سبب ذلك : أن قرية يقال لها راوردارة¹ وقع بها الطاعون ، فهرب عامة أهلها ونزلوا ناحية ، فهلك أكثر من بقي بالقرية وسلم الآخرون ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا . فقال الذين بقوا : أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا ولو صنعنا كما صنعوا بقينا . فوقع الطاعون² من قابل² ، فهرب عامة أهلها ، وهم بضعة وثلاثون ألفاً ، وقيل : ثلاثة آلاف ، وقيل : أربعة آلاف ، وقيل غير ذلك ، حتى نزلوا ذلك المكان ، فصاح بهم ملك فماتوا ونحرت عظامهم ، فمر بهم حزقييل فلما رآهم جعل يتفكر في بعثهم ، فأوحى الله إليه : أتريد أن أريك كيف أحييهم ؟ قال : نعم . فقيل : نادِ ، فنادى : يا أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي ، فجعلت العظام تطير بعضها إلى بعض حتى صارت أجساداً من عظام . ثم نادى : يا أيتها العظام إن الله أمرك أن تكتسي [فألبست] لحماً ودماً وثيابها التي ماتت فيها . ثم نادى : يا أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن تعودي إلى أجسادك . فعادت وقامت الأجسادُ أحياء ، وقالوا

1) راوردان . S. ; واوردان . B. ; اووردان . A.)

2) في باهل . B.)

حين أحيوا : سبحانك ربنا وبمحمدك لا إله إلا أنت ! فرجعوا إلى قومهم
أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى ، سُحِنَتِ الموت على وجوههم ، لا يلبسون
ثوباً إلا عاد كفناً دسماً ، ثم ماتوا ثم مات حزقييل ؛ ولم تُذكر مدته في بني
إسرائيل . وقيل : كانوا قوم حزقييل ، فلما أن ماتوا بكى حزقييل وقال :
يا رب كنتُ في قومٍ يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيداً ! فقال الله : أنحب
أن أحييهم ؟ قال : نعم . قال : فإنني قد جعلتُ حياتهم إليك . فقال حزقييل :
أحيوا بإذن الله تعالى ، فعاشوا .

ذكر إلیاس ، علیه السلام

لما توفي حزقیل كثرت الأحداثُ فی بني إسرائيل وتركوا عهدَ الله وعبدوا الأوثان ، فبعث الله إلیهم إلیاس بن یاسین بن فنحاص بن العزار بن هارون ابن عمران نبیاً ، وكان الأنبياء فی بني إسرائيل بعد موسى بن عمران يُبعثون بتجدید ما نسوا من التوراة ، وكان إلیاس مع ملك من ملوكهم يقال له أخاب¹ ، وكان یسمع منه ویصدقه ، وكان إلیاس یقیم له أمره ، وكان بنو إسرائيل قد اتخذوا صنماً یعبدونه يقال له بعل ، فجعل إلیاس یدعوهم إلى الله وهم لا یسمعون إلا من² ذلك الملك ، وكان ملوك بني إسرائيل متفرقة كل ملك قد تغلب على ناحية يأكلها ، فقال ذلك الملك الذي كان إلیاس معه : والله ما أرى الذي تدعو إليه إلا باطلاً لأنني أرى فلاناً وفلاناً - بعد ملوك بني إسرائيل - قد عبدوا الأوثان فلم یضرهم ذلك شيئاً ، يأكلون ویشربون ویتمتعون ما ینقص ذلك من دنياهم وما نرى لنا عليهم من فضل .

ففارقه إلیاس وهو یسترجع ، فعبد ذلك الملك الأوثان أيضاً ، وكان للملك جار صالح مؤمن یكتم إیمانه وله بستان إلى جانب دار الملك والمملك یحسن جواره ، وللملك زوجة عظيمة الشرّ والكفر ، فقالت له لیأخذ بستان الرجل ، فلم یفعل ، فكانت تخلف زوجها إذا سار عن بلده وتظهر للناس ، فغاب مرة فوضعت امرأته على صاحب البستان من شهد علیه أنه سب الملك ، فقتلته وأخذت بستانه ، فلما عاد الملك غضب من ذلك واستعظمه وأنكره فقالت :

1) Codd. اجاب .

2) S. om. من .

فات أمره . فأوحى اللهُ إلى إلیاس بأمره أن يقول للملك وامرأته أن يردّا البستان على ورثة صاحبه ، فإن لم يفعلا غضب عليهما وأهلكهما في البستان ولم يتمتعا به إلا قليلاً .

فأخبرهما إلیاس بذلك فلم يراجعا الحق . فلما رأى إلیاس أن بني إسرائيل قد أبوا إلا الكفر والظلم دعا عليهم ، فأمسك اللهُ عنهم المطر ثلاث سنين ، فهلكت الماشيةُ والطيورُ والهوامُ والشجرُ وجهد الناسُ جهداً شديداً : واستخفى إلیاس خوفاً من بني إسرائيل ، فكان يأتيه رزقه ، ثم إنه أوى ليلاً إلى امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له أليسع بن أخطوب به ضرّ شديد ، فدعا له فعوفي من الضرّ الذي كان به واتبع إلیاس ، وكان معه وصحبته وصدقته ، وكان إلیاس قد كبر ، فأوحى اللهُ إليه : إنك قد أهلكت كثيراً من الخلق من البهائم والدواب والطيور وغيرها ولم يعص سوى بني إسرائيل . فقال إلیاس : أي ربّي دعني أكن أنا الذي أدعو لهم وأبتهج بالفرج لعلهم يرجعون . فجاء إلیاس إليهم وقال لهم : إنكم قد هلكتم وهلكت الدواب بنخطاياكم فإن أحببتم أن تعلموا أن الله ساخط عليكم بفعلكم وأن الذي أدعوكم إليه هو الحق فاخرجوا بأصنامكم وادعوها فإن استجابت لكم فذلك الحق كما تقولون ، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فترعتم ودعوتُ الله ففرج عنكم .

قالوا : أنصفت . فخرجوا بأصنامهم فدعوها فلم يستجب لهم ولم يفرج عنهم . فقالوا لإلیاس : إنا قد هلكنا فادعُ الله لنا . فدعا لهم بالفرج وأن يسقوا ، فخرجت سحابةٌ مثل الترس وعظمت وهم ينظرون ، ثم أرسل اللهُ منها المطر ، فحييت بلادهم وفرج اللهُ عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، فلم يتزعوا¹ ولم يراجعوا الحق ، فلما رأى ذلك إلیاس سأل الله أن يقبضه فيريجه منهم ،

1) B. add. برتلوا .

فكساه اللهُ الرِّيشَ وألبسه النورَ وقطع عنه لذّةَ الطعامِ والمشربِ ، فصار ملكياً
إنسياً سماوياً أرضياً ، وسلط اللهُ على الملكِ وقومه عدواً فظفر بهم وقتل
الملكِ وروجه بذلك البستانِ وألقاهما فيه حتى بليت لحومهما .

ذكر نبوة أليسع ، عليه السلام وأخذ التابوت من بني إسرائيل

فلما انقطع إلياس عن بني إسرائيل بعث اللهُ أليسع ، فكان فيهم ما شاء
الله ، ثم قبضه اللهُ وعظمت فيهم الأحداثُ وعندهم التابوت ينوارثونه فيه
السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ، فكانوا لا
يلقاهم عدواً فيقدّمون التابوت إلاّ هزم اللهُ العدوَّ ، وكانت السكينة شبه رأس
هرّ ، فإذا صرخت في التابوت بصراخ هرّ أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتحُ . ثمّ
خلف فيها ملك يقال له إيلاف ، وكان اللهُ يمنهم ويحميهم ، فلما عظمت
أحداثهم نزل بهم عدواً فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت ، فاقتلوا فغلبهم
عدوهم على التابوت وأخذه منهم وانهموا ، فلما علم ملكهم أنّ التابوت
أخذ مات كمدأ ، ودخل العدوُّ أرضهم ونهب وسبى وعاد ، فمكثوا على
اضطراب من أمرهم واختلاف ، وكانوا يتمادون أحياناً في غيهم فيسلط
اللهُ عليهم من ينتقم منهم ، فإذا راجعوا التوبة كفّ اللهُ عنهم شرّ عدوهم ،
فكان هذا حالهم من لدن توفّي يوشع بن نون إلى أن بعث اللهُ اشمويل وملكهم
طالوت وردّ عليهم التابوت .

وكانت مدّة ما بين وفاة يوشع ، الذي كان يلي أمر بني إسرائيل بعضها
القضاة وبعضها الملوك وبعضها المتغلبون إلى أن ثبت الملك فيهم ورجعت

النبوة إلى اشموبيل ، أربعمائة سنة وستين سنة .

فكان أول من سلط عليهم رجل من نسل لوط يقال له كوشان فقهرهم وأذلهم ثماني سنين ، ثم أنقذهم من يده أخ لكالب الأصغر يقال له عتيل ، فقام بأمرهم أربعين سنة .

ثم سلط عليهم ملك يقال له عجلون¹ فملكهم ثماني عشرة سنة ، ثم استنقذهم منه رجل من سبط بنيامين يقال له أهوذ ، وقام بأمرهم ثمانين² سنة .

ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يابين ، فملكهم عشرين سنة ، واستنقذهم منه امرأة من بني أنبيائهم يقال لها دبورا ، ودبر الأمر رجل من قبلها يقال له باراق أربعين سنة .

ثم سلط عليهم قوم من نسل لوط فملكوهم سبع سنين ، واستنقذهم رجل يقال له جدعون بن يواش من ولد نفتالي بن يعقوب ، فدبر أمرهم أربعين سنة وتوفي ، ودبر أمرهم بعده ابنه ايمالخ³ ثلاث سنين ، ثم دبرهم بعده فولع بن فوا ابن خال ايمالخ³ ، ويقال إنه ابن عمه ، ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم دبر أمرهم بعده رجل يقال له يائير اثنتين وعشرين سنة .

ثم ملكهم قوم من أهل فلسطين بني عمون ثماني عشرة سنة ، ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين . ثم دبرهم بعده يبسون¹ سبع سنين . ثم بعده آلون عشر سنين . ثم بعده لترون ، ويسميه بعضهم عكرون ،

1) Codd. جملون .

2) A. ثلثين .

3) C. P. انتيل ; A. et B. اسمل .

١ (في الطبري : يبشون . وفي طبعة المنيرية للكامل : يتحسون) .

ثمانى سنين . ثم قهرهم أهل فلسطين وملكوهم أربعين سنة . ثم وليهم شمسون
عشرين سنة . ثم بقوا بعده عشر سنين¹ بغير مدبر ولا رئيس . ثم قام بأمرهم
بعد ذلك ، عالي الكاهن . وفي أيامه غلب أهل فلسطين على التابوت في قول ،
فلما مضى من وقت قيامه أربعون سنة بعث اشمويل نبياً فدبرهم عشر سنين .
ثم سألوا اشمويل أن يبعث لهم ملكاً يقاتل بهم أعداءهم .

٤

١) عشرين سنة .

ذكر حال اشمويل وطالوت

كان من خبر اشمويل بن بالي أن بني إسرائيل لما طال عليهم البلاء ، وطمع فيهم الأعداء ، وأخذ التابوت منهم ، فصاروا بعده لا يلقون ملكاً إلا خائفين ، فقصدتهم جالوت ملك الكنعانيين ، وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين ، فظفر بهم ، فضرب عليهم الجزية ، وأخذ منهم التوراة ، فدعوا الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه ، وكان سبط النبوّة هلكوا ، فلم يبقَ منهم غير امرأة حبلى ، فحبسوها في بيت خيفة¹ أن تلد جارية فتبدّلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها ، فولدت غلاماً سمّته اشمويل ، ومعناه : سمع الله دعائي .

وسبب هذه التسمية أنّها كانت عاقراً ، وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبغت عليها بكثرة الأولاد ، فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولداً ، فرحم الله انكسارها وحاضت لوقتها وقرب منها زوجها ، فحملت ، فلما انقضت مدّة الحمل ولدت غلاماً فسّمته اشمويل ، فلما كبر أسلمته في بيت المقدس يتعلّم التوراة ، وكفله شيخ من علمائهم وتبناه .

فلما بلغ أن يبعثه الله نبياً أتاه جبرائيل وهو يصلّي فناداه بصوت يشبه صوت الشيخ ، فجاء إليه ، فقال : ما تريد ؟ فكره أن يقول لم أدعك فيفزع ، فقال : ارجعْ فمّ . فرجع ، فعاد جبرائيل لمثلها ، فجاء إلى الشيخ ، فقال له :

.....
1) ربة A .

با بني عُدّ فإذا دعوتك فلا تجبني . فلما كانت الثالثة ظهر له جبرائيل وأمره بإنذار قومه وأعلمه أن الله بعثه رسولا ، فدعاهم ، فكذبوه ، ثم أطاعوه ، وأقام يدبّر أمرهم عشر سنين ، وقيل : أربعين سنة .

وكان العمالقة مع ملكهم جالوت قد عظمت نكايتهم في بني إسرائيل حتى كادوا يهلكونهم ، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك قالوا : ﴿ ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله . قال : هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ؟ قالوا : وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾^١ .

فدعا الله فأرسل إليه عصاً وقرناً فيه دهن ، وقيل له : إن صاحبكم يكون طولُه طول هذه العصا ، وإذا دخل عليك رجل فنشّ الدهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل فادهن رأسه به وملكه عليهم ، فحاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها ، وكان طالوت دباغاً . وقيل : كان سقاء يسقي الماء ويبيعه ، فضلّ حماره فانطلق يطلبه ، فلما اجتاز بالمكان الذي فيه اشمويل^١ دخل يسأله أن يدعو له ليردّ الله حماره . فلما دخل نشّ الدهن ، فحاسوه بالعصا فكان مثلها ، ﴿ قال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ﴾^٢ ، وهو بالسريانية شاول بن قيس بن أنمار بن ضرار بن بحرف ابن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق . فقالوا له : ما كنت قطّ أكذب منك الساعة ونحن من سبط المملكة ولم يؤت طالوت سعة من المال فنتبعه .

1) Subinde nomen اشمويال scribitur.

١ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٢٤٦) .

٢ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٢٤٧) .

فقال اشمويل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾^١ . فقالوا : إن كنت صادقاً فأنت بآية . فقال : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾^٢ . والسكينة رأس هر ، وقيل طشت من ذهب يُغسل فيها قلوب الأنبياء ، وقيل غير ذلك ، وفيه الألواح وهي من درّ وياقوت وزبرجد ، وأما البقية فهي عصا موسى ورضاضة الألواح ، فحملته الملائكة وأنت به إلى طالوت نهاراً بين السماء والأرض والناس ينظرون ، فأخرجه طالوت إليهم ، فأقروا بملكه ساخطين وخرجوا معه كارهين ، وهم ثمانون ألفاً . فلما خرجوا قال لهم طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ، وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾^٣ . وهو نهر فلسطين ، وقيل : الأردن ، فشربوا منه إلا قليلاً ، وهم أربعة آلاف ، فمن شرب منه عطش ومن لم يشرب منه إلا غرفة روي ، ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾^٤ . لقيهم جالوت ، وكان ذا بأس شديد ، فلما رأوه رجع أكثرهم و ﴿ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾^٥ ، ولم يبق معه غير ثلاثمائة وبضعة عشر ، عدد أهل بدر ، فلما رجع من رجع قالوا : ﴿ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^٦ . وكان فيهم إيشي أبو داود ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابناً ، وكان داود أصغر بنه ، وقد خلفه يرعى لهم ويحمل لهم الطعام ، وكان قد قال لأبيه ذات

١ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٢٤٧) .

٢ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٢٤٨) .

٣ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٢٤٩) .

٤ عشرة .

يوم : يا ابتاه ما أرمي بقذافي شيئاً إلا صرعتُهُ . ثم قال له : لقد دخلتُ بين الجبال فوجدتُ أسداً رابضاً فركبتُ عليه وأخذتُ بأذنيه فلم أخفه ، ثم أتاه يوماً آخر فقال : إنني لأمشي بين الجبال فأسبح فلا يبقى جبل إلا سبّح معي . قال له : أبشر فإنّ هذا خير أعطاكه الله .

فأرسل اللهُ إلى النبيّ الذي مع طالوت قرناً فيه دهن و تنّور من حديد ، فبعث به إلى طالوت وقال له : إنّ صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا الدهن على رأسه فيغلي حتى يسيل من القرن ، ولا يجاوز رأسه إلى وجهه ويبقى على رأسه كهيئة الإكليل ، ويدخل في هذا التنّور فيملاهُ . فدعا طالوت بني إسرائيل فجرّبهم ، فلم يوافقهم منهم أحد ، فأحضر داود من رعيه ، فمرّ في طريقه بثلاثة أحجار ، فكلّمته وقلن : خذنا يا داود تقتل بنا جالوت ، فأخذهن فجعلهنّ في مخلاته ، وكان طالوت قد قال : منّ قتل جالوت زوجته ابنتي وأجريت خاتمه في مملكتي .

فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه ، فمغلي حتى ادّهن منه ولبس التنّور فملاهُ ، وكان داود مسقماً أزرق مصفراً ، فلما دخل في التنّور تضايق عليه حتى ملاهُ ، وفرح اشمويل وطالوت وبنو إسرائيل بذلك وتقدّموا إلى جالوت وتصافوا للقتال ، وخرج داود نحو جالوت وأخذ الأحجار ووضعها في قذافته ورمى بها جالوت ، فوقع الحجر بين عينيه فنقب^١ رأسه فقتله ، ولم يزل الحجر يقتل كلّ منّ أصابه ينفذ منه إلى غيره ، فانهزم عسكر جالوت بإذن الله ورجع طالوت فأنكح ابنته داود وأجرى خاتمه في ملكه ، فمال الناس

١) فتقبت . S . نفت C. P. 1)

إلى داود وأحبّوه .

فحسده طالوت وأراد قتله غيلةً ، فعلم ذلك داود فقارقه وجعل في مضجعه زقّ خمر وسجّاه ، ودخل طالوت إلى منام داود ، وقد هرب داود ، فضرب الزقّ ضربة خرقة ، فوقعت قطرة من الخمر في فيه ، فقال : يرحم الله داود ما كان أكثر شربه الخمر ! فلما أصبح طالوت علم أنه لم يصنع شيئاً ، فخاف داود أن يغتاله فشدّ حجّابه وحرّاسه .

ثمّ إنّ داود أتاه من المقابلة في بيته وهو نائم فوضع سهمين عند رأسه وعند رجلَيْه¹ ، فلما استيقظ طالوت بصر بالسهم فقال : يرحم الله داود ! هو خير مني ، ظفرتُ به وأردتُ قتله وظفر بي فكفّ عني . وأذكى عليه العيون فلم يظفروا به .

وركب طالوت يوماً فرأى داود فرخص في أثره ، فهرب داود منه واختفى في غار في الجبل ، فعمى الله أثره على طالوت . ثمّ إنّ طالوت قتل العلماء حتى لم يبقَ أحدٌ إلاّ امرأة كانت تعرف اسمَ الله الأعظم فسلمها إلى رجل يقتلها ، فرحمها وتركها وأخفى أمرها .

ثمّ إنّ طالوت ندم وأراد التوبة وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس ، فكان كلّ ليلة يخرج إلى القبور فيبكي ويقول : أنشد الله عبداً علم لي توبة إلاّ أخبرني بها . فلما أكثر ناداه منادٍ من القبور : يا طالوت أما رضيتَ قتلنا أحياء حتى تؤذينا أمواتاً ! فازداد بكاءً وحزناً ، فرحمه الرجل الذي أمره² بقتل تلك المرأة فقال له : إن دلتك على عالم لعلك تقتله ! قال : لا . فأخذ عليه العهد والمواثيق ثمّ أخبره بتلك المرأة فقال : سلها هل لي من توبة ؟ فحضر عندها وسألها هل له من توبة ؟ فقالت : ما أعلم له من توبة ، ولكن

1) . رجله ونزل S. 1)

2) . وكه A. & S. 2)

هل تعلمون قبر نبي؟ قالوا: نعم، قبر يوشع بن نون. فانطلقت وهم معها فدعت، فخرج يوشع، فلما رأهم قال: ما لكم؟ قالوا: جئنا نسألك هل لطالوت من توبة؟ قال: ما أعلم له توبة إلا أن يتخلى من ملكه ويخرج هو وولده فيقاتلوا في سبيل الله حتى تقتل أولاده ثم يقاتل هو حتى يقتل، فعسى أن يكون له توبة، ثم سقط ميتاً. ورجع طالوت أحزن مما كان يخاف أن لا يتابعه ولده، فبكى حتى سقطت أشفاره عينيّه ونحل جسمه، فسأله بنوه عن حاله، فأخبرهم، فتجهزوا للغزو¹ فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا، ثم قاتل هو بعدهم حتى قُتل.

وقيل: إن النبي الذي بعث لطالوت حتى أخبره بتوبته أليسع، وقيل: اشمويل، والله أعلم.

وكانت مدة ملك طالوت إلى أن قُتل أربعين سنة.

1) للغزوه 2) 1)

ذكر ملك داود

هو داود بن إيشى بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون¹ بن عمي نوزب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق ، وكان قصيراً أزرق قليل الشعر ، فلما قُتل طالوت أتى بنو إسرائيل داود فأعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم ، وقيل : إن داود ملك قبل أن يُقتل جالوت ، وسبب ملكه حينئذ أن الله أوصى إلى اشمويل ليأمر طالوت بغزو مدين وقتل مَنْ بها ، فسار إليها وقتل مَنْ بها إلا ملكهم ، فإنه أخذه أسيراً ، فأوحى الله إلى اشمويل : قل لطالوت أملك بأمر فركته ! لأترعن الملك منك ومن بنيك ثم لا يعود فيكم إلى يوم القيامة . وأمر اشمويل بتملك داود ، فملكه وسار إلى جالوت فقتله ، والله أعلم .

فلما ملك بني إسرائيل جعله الله نبياً وملكاً وأنزل عليه الزبور وعلمه صنعة الدروع ، وهو أول مَنْ عملها ، وألان له الحديد ، وأمر الجبال والطيور بسبحون معه إذا سبح ، ولم يعط الله أحداً مثل صوته ، كان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وإنها لمصيخة تسمع صوته .

وكان شديد الاجتهاد كثير العبادة والبكاء ، وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر ، وكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف ، وكان يأكل من كسب يده .

وفي ملكه مُسَخ أهل أيلة قردة ؛ وسبب ذلك أنهم كانوا تأتيهم يوم السبت

1) Codd. نحشون .

حيتان البحر كثيراً ، فإذا كان غير يوم السبت لا يجيء إليهم منها شيء ،
فعملوا على جانب البحر حياضاً كبيرة وأجروا إليها الماء ، فإذا كان آخر نهار
يوم الجمعة فتحوا الماء¹ إلى الحياض فتدخلها الحيتان ولا تقدر على الخروج
عنها ، فيأخذونها يوم الأحد ، فنهاهم بعض أهلها فلم ينتهوا ، فمسخهم
الله قردةً وبقوا ثلاثة أيام وهلكوا .

ذكر فتنه بزوجة أوريا

ثم إن الله ابتلاه بزوجة أوريا .

وكان سبب ذلك أنه قد قسم زمانه ثلاثة أيام ، يوماً يقضي فيه بين الناس ،
ويوماً يخلو فيه للعبادة ، ويوماً يخلو فيه مع نسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ،
وكان يحسد² فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فقال : أي ربّي أرى الخير
قد ذهب به آبائي فأعطني مثل ما أعطيتهم ! فأوحى الله إليه : إن آباءك ابتلوا
ببلاء فصبروا ، ابتلي إبراهيم بذبح ابنه ، وابتلي إسحاق بذهاب بصره ، وابتلي
يعقوب بحزنه على يوسف . فقال : ربّ ابتلي بمثل ما ابتليتهم وأعطني مثل
ما أعطيتهم . فأوحى الله إليه : إنك مبتلي¹ فاحترس .

وقيل : كان سبب البلية أنه حدث نفسه أنه يطيق أن يقطع يوماً بغير

1) الجمعة يتحول الماء S. 1)

2) يحسد A. S. et B.

مقارفة سوء ، فلما كان اليوم الذي يخلو فيه للعبادة عزم على أن يقطع ذلك اليوم بغير سوء وأغلق بابه وأقبل على العبادة ، فإذا هو بحمامة من ذهب فيها كل لون حسن قد وقعت بين يديه ، فأهوى ليأخذها ، فطارت غير بعيد من غير أن يبأس من أخذها ، فما زال يتبعها وهي تفرّ منه حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه حسنها ، فلما رأت ظله في الأرض جلّت نفسها بشعرها فاستترت به ، فزاده ذلك رغبةً ، فسأل عنها فأخبر أن زوجها بشعر كذا ، فبعث إلى صاحب الثغر بأن يقدم أوريا بين يدي التابوت في الحرب ، وكان كل من يتقدم بين يدي التابوت لا يهزم ، إنا أن يظفر أو يئسّل ، ففعل ذلك به فقتل .

وقيل : إن داود لما نظر إلى المرأة فأعجبته سأل عن زوجها . فقيل : إنه في جيش كذا ، فكتب إلى صاحب الجيش أن يبعثه في سرية إلى عدو كذا ، ففعل ذلك ، ففتح الله عليه ، فكتب إلى داود فأمر [داود] أن يرسل أينا إلى عدو كذا أشد منه . ففعل . فظفر . فأمر داود أن يرسل إلى عدو ثالث ، ففعل ، فقتل أوريا في المرة الثالثة ، فلما قتل تزوج داود امرأته ، وهي أم سليمان في قول قتادة .

وقيل : إن خطيئة داود كانت أنه لما بلغه حسن امرأة أوريا تمنى أن تكون له حلالاً ، فاتفق أن أوريا سار إلى الجهاد فقتل فلم يجد له من المهم ما وجدته لغيره ، فبينما داود في الحراب يوم عبادته وقد أغلق الباب إذ دخل عليه ملكان أرسلهما الله إليه من غير الباب ، فراع ذلك فقالا : ﴿ لا تخف ، خصمان بقى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ١ ، إن هَذَا

١) بالحق ولا تشطط S. 1)

١ يرسله .

٢ قتمى .

أخي له نِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَكَالَ :
 أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْحِطَابِ ١ ، أَي قهرني ، وَأَخَذَ نَعْجَتِي ، قَالَ
 لِلْآخِرِ : مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : صَدَقَ ، إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَكْمَلَ نَعَاجِي مِائَةَ فَأَخَذْتُ
 نَعْجَتَهُ . فَقَالَ دَاوُدُ : إِذَا لَا نَدَعُكَ وَذَلِكَ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : مَا أَنْتَ بِقَادِرٍ عَلَيْهِ .
 قَالَ دَاوُدُ : فَإِنْ لَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ ضَرَبْنَا مِنْكَ هَذَا وَهَذَا ، وَأَوْمَأَ إِلَى أَفْهٍ
 وَجِبْهَتِهِ . قَالَ : يَا دَاوُدُ أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يُضْرَبَ مِنْكَ هَذَا وَهَذَا حَيْثُ لَكَ تِسْعٌ
 وَتِسْعُونَ امْرَأَةً وَلَمْ يَكُنْ لِأُورِيَا إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى قُتِلَ وَتَزَوَّجَتْ
 امْرَأَتُهُ . ثُمَّ غَابَا عَنْهُ .

فَعَرَفَ مَا ابْتَلِي بِهِ وَمَا وَقَعَ فِيهِ ، فَخَرَّ سَاجِدًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ
 إِلَّا لِحَاجَةٍ لَا بَدَّ مِنْهَا ، وَأَدَامَ الْبُكَاءَ حَتَّى نَبَتَ مِنْ دَمْعِهِ عَشْبٌ غَطَى رَأْسَهُ ،
 ثُمَّ نَادَى : يَا رَبِّ قَرِحِ الْجَبِينُ وَجَمَدَتِ الْعَيْنُ وَدَاوُدُ لَمْ يُرْجِعْ إِلَيْهِ فِي خَطِيئَتِهِ
 بِشَيْءٍ . فَتَوَدَّى : أَجَاعٌ فَتَطْعَمُ أَمْ مَرِيضٌ فَتَشْفِي ٢ أَمْ مَظْلُومٌ فَتَنْصُرُ ؟ قَالَ :
 فَتَحَبُّ نَجْبَةً هَاجَ مَا كَانَ نَبْتًا ١ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَبِلَ اللهُ تَوْبَتَهُ وَأَوْحَى إِلَيْهِ : ارْفَعْ
 رَأْسَكَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ . قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ غَفَرْتَ لِي ؟ وَأَنْتَ
 حَكَمَ عَدْلًا لَا تَحِيْفُ فِي الْقَضَاءِ إِذَا جَاءَ أُورِيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذًا بِرَأْسِهِ بِيَمِينِهِ
 تَشْخَبُ أَوْدَاجَهُ دَمًا قَبِيلَ عَرْشِكَ يَقُولُ : يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلْتَنِي . فَأَوْحَى
 اللهُ إِلَيْهِ : إِذَا كَانَ ذَلِكَ دَعْوَتَهُ وَأَسْتَوْهَبَكَ مِنْهُ فَيُهَبُكَ لِي فَأَهْبِهِ بِذَلِكَ الْجَنَّةِ .
 قَالَ : يَا رَبِّ الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ قَدْ غَفَرْتَ لِي .

١) C. P. بيت .

١ (سورة ص ٣٨ ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣) .

٢ فسقى .

قال : فما استطاعَ داود بعدها أن يملأ عينه من السماء حياء من ربه حتى قبض . ونقش خطيبته في يده ، فكان إذا رآها اضطربت يده ، وكان يؤتى بالشراب في الإناء ليشربه فكان يشرب نصفه أو ثلثيه فيذكر خطيبته فيتحب حتى تكاد مفاصله يزول بعضها من بعض ثم يملأ الإناء من دموعه . وكان يقال : إن دمة داود تعدل دموع الحلائق ، وهو يجيء يوم القيامة وخطيبته مكتوبة بكفه فيقول : يا رب ذنبي ذنبي قدمني ، فيقدم ، فلا يأمن فيقول : يا رب أخرجني ، فلا يأمن .

وأزالت الخطيئة طاعة داود عن بني إسرائيل واستخفوا بأمره ، ووثب عليه ابن له يقال له إيشي وأمه ابنة طالوت فدعا إلى نفسه ، فكثر أتباعه من أهل الزيبغ من بني إسرائيل ، فلما تاب الله على داود اجتمع إليه طائفة من الناس فحارب ابنه حتى هزمه ووجه إليه بعض قواده وأمره بالرفق به والتلطّف لعله بأسره ولا يقتله ، وطلبه القائد وهو منهزم فاضطره إلى شجرة فقتله ، فحزن عليه داود حزناً شديداً وتكرّر لذلك القائد .

ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود ، عليه السلام

قيل : أصاب الناس في زمان داود طاعون جارف ، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس ، وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء ، فلماذا قصده ليدعو فيه ، فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم ، فاستجاب له ورفع الطاعون ، فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً ، وكان الشروع في بنائه لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه ، وتوفي قبل أن يستتمّ بناؤه ، وأوصى إلى سليمان بإتمامه وقتل القائد الذي قتل أخاه إيشي بن داود .

فلما توفي داود ودفنه سليمان تقدم بإنفاذ أمره فقتل القائد واستتم بناء المسجد . بناه بالرخام وزخرفه بالذهب ورصعه بالجواهر ، وقوي على ذلك جميعه بالجزء والشياطين ، فلما فرغ اخذ ذلك اليوم عيداً عظيماً وقرب قرباناً ، فتقبله الله¹ منه . وكان ابتداءه أولاً ببناء المدينة ، فلما فرغ منها ابتدا بعمارة المسجد . وقد أكثر الناس في صفة البناء مما يُستبعد ولا حاجة إلى ذكره .

وقيل : إن سليمان هو الذي ابتدا بعمارة المسجد ، وكان داود أراد أن يبنيه فأوحى الله إليه : إن هذا بيت مقدس وإنك قد صبغت يدك في الدماء فلست ببايه ، ولكن ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدماء . فلما ملك سليمان بناه .

ثم إن داود توفي وكان له جارية تغلق الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح فيقوم إلى عبادته ، فأغلقها ليلة فرأت في الدار رجلاً فقالت : من أدخلك الدار ؟ فقال : أنا الذي أدخل على الملوك بغير إذن . فسمع داود قوله فقال : أنت ملك الموت ؟ قال : نعم . قال : فهلاً أرسلت إلي لأستعد للموت ؟ قال : قد أرسلت إليك كثيراً . قال : من كان رسولك ؟ قال : أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك ؟ قال : ماتوا . قال : فهم كانوا رسلي إليك لأنك تموت كما ماتوا ! ثم قبضه . فلما مات ورث سليمان ملكه وءامه ونبوته .

وكان له تسعة عشر ولداً ، فورثه سليمان دونهم . وكان عمر داود لما توفي مائة سنة ، صح ذلك عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكانت مدة ملكه أربعين سنة .

١) قبله الله .

ذكر ملك سليمان بن داود ، عليه السلام

لما توفي داود ملك بعده ابنه سليمان على بني إسرائيل . وكان ابن ثلاث عشرة سنة . وآتاه [الله] مع الملك النبوة ، وسأل الله أن يؤتیه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فاستجاب له وسخر له الإنس والجن والشياطين والطيور والرياح ، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطيور وقام له الإنس والجن حتى يجلس .

وقيل : إنما سخر له الريح والجن والشياطين والطيور وغير ذلك بعد أن زال ملكه وأعاد الله سبحانه إليه على ما نذكره .

وكان أبيض جسيماً كثير الشعر يلبس البياض . وكان أبوه يستشيريه في حياته ويرجع إلى قوله . فمن ذلك ما قصه الله في كتابه في قوله : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾^١ : الآية . وكان خبره : أن غنماً دخلت كرمها فأكلت عناقيده وأفسدته . فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم . فقال سليمان : أو غير ذلك ، أن تسلّم الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها إلى أن يعود كرمه إلى حاله ثم يأخذ كرمه ويدفع الغنم إلى صاحبها . فأمضى داود

1) Corani 21, vs. 78.

قوله . وقال الله تعالى : ﴿ فَفَقَهُمُنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾¹ .

قال بعض العلماء : في هذا دليل على أن كل مجتهد في الأحكام الفروعية مصيب ، فإن داود أخطأ الحكم الصحيح عند الله تعالى وأصابه سليمان ، فقال الله تعالى : ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾¹ .

وكان سليمان يأكل من كسب يده ، وكان كثير الغزو ، وكان إذا أراد الغزو أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره ويركبون عليه هم ودوابهم وما يحتاجون إليه ، ثم أمر الريح فحملته فسارت في غدوته مسيرة شهر وفي روحته كذلك ، وكان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة سرية ، وأعطاه الله أجراً² أنه لا يتكلم أحد بشيء إلا حملته الريح إليه فيعلم ما يقول .

ذكر ما جرى له مع بلقيس

نذكر أولاً ما قيل في نسبها وملكها ، ثم ما جرى له معها ، فنقول :
قد اختلف العلماء في اسم آبائها ، فقيل : إنها³ هي بلقيس ابنة ليشرح³ بن الحارث ابن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقيل : هي بلقيس ابنة هادد⁴ واسمه ليشرح بن تبع ذي الأذعار⁴ بن تبع ذي المنار بن تبع الرايش ،

1) Corani 21, va. 79.

2) خبراً B.

3) ابنة النشرح S.

4) ابنة الهمام S. ; الهند باد B. ; هاد ماد A.

وقيل في نسبها غير ذلك لا حاجة إلى ذكره .

وقد اختلف الناس في التبابعة وتقديم بعضهم على بعض وزيادة في عددهم ونقصان ، اختلافاً^١ لا يحصل الناظر فيه على طائل ، وكذا أيضاً اختلفوا في نسبها اختلافاً كثيراً ، وقال كثير من الرواة : إن أمها جنيّة ابنة ملك الجنّ واسمها رواحة بنت السكر ، وقيل : اسم أمها يلقمة بنت عمرو بن عمير الجنيّ ، وإنما نكح أبوها إلى الجنّ لأنه قال : ليس في الإنس لي كفوة ، فخطب إلى الجنّ فزوجوه .

واختلفوا في سبب وصوله إلى الجنّ حتى خطب إليهم فقيل : إنه كان لهجاً بالصيد ، فربّما اصطاد الجنّ على صور الطباء فيخلّي عنهنّ ، فظهر له ملك الجنّ وشكره على ذلك واتخذه صديقاً ، فخطب ابنته فأنكحه على أن يعطيه ساحل البحر^١ ما بين يَبْرين^٢ إلى عدن ؛ وقيل : إن أباهما خرج يوماً متصيداً فرأى حيتّين تقتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فأمر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصبّ عليها ماء ، فأفاقت ، فأطلقها وعاد إلى داره وجلس منفرداً ، وإذا معه شابّ جميل ، فدعر منه ، فقال له : لا تخف أنا الحية التي أنجيتني ، والأسود الذي قتلته غلامٌ لنا تمرّد علينا وقتل عدّة من أهل بيتي ؛ وعرض عليه المال وعلم الطبّ ، فقال : أمّا المال فلا حاجة لي به ، وأمّا الطبّ فهو قبيح بالملك ، ولكن إن كان لك بنت فزوجنيها ، فزوجه على شرط أن لا يغيّر عليها شيئاً عمله ومتى غير عليها

.....
1) A. B. et B. الشحر . 2) B. هرمز .

١ اختلافاتهم .

٢ وعرض على أبيها المال .

فارقته ، فأجابه إلى ذلك ، فحملت منه^١ فولدت له غلاماً فألقته في النار ، فجزع لذلك وسكت للشرط ، ثم حملت منه فولدت جارية فألقته إلى كلبة فأخذتها ، فعظم ذلك عليه وصبر للشرط ، ثم إنته عصى عليه بعض أصحابه فجمع عسكره فسار إليه ليقاتله وهي معه ، فأنتهى إلى مفازة ، فلما توسطها رأى جميع ما معهم من الزاد يخلط بالتراب ، وإذا الماء يُصب من القرب والمزاود . فأيقنوا بالهلاك وعلّموا أنه من فعال الجح من أمر زوجته ، فضاقت ذرعاً عن حمل ذلك ، فأتاها وجلس وأوماً إلى الأرض وقال : يا أرض صبرت لك على إحراق ابني وإطعام الكلبة ابني ثم أنت الآن قد فجعتنا^٢ بالزاد والماء وقد أشرفنا على الهلاك !

فقلت المرأة : لو صبرت لكان خيراً لك ، وسأخبرك : إن عدوك خدع وزيرك فجعل السم في الأزواد والمياه ليقنتك وأصحابك . فمر وزيرك ليشرّب ما بقي من الماء ويأكل من الزاد . فأمره فامتنع . فقتله ، ودلتهم على الماء والميرة من قريب وقالت : أمّا ابنك فدفعته إلى حاضنة تربيته وقد مات ، وأمّا ابنتك فهي باقية ، وإذا بجويرية قد خرجت من الأرض ، وهي بلقيس ، وفارقت امرأته وسار إلى عدوه فظفر به .

وقيل في سبب نكاحه إليهم غير ذلك ، والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة .

وأما ملكها اليمن فقيل : إن أباه فوّض إليها الملك فملكته بعده ، وقيل : بل مات عن غير وصية بالملك لأحد . فأقام الناس ابن أخ له ، وكان

.....
١) فلك الجند .

١ إليه .

٢ فجعتنا .

فاحشاً خبيثاً فاسقاً لا يبلغه عن بنت قبيل ولا ملك ذات جمال إلا أحضرها
وفضحها ، حتى انتهى إلى بلقيس بنت عمه ، فأراد ذلك منها فوعده أن
يحضر عندها إلى قصرها وأعدت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله إذا دخل
إليها وانفرد بها ، فلما دخل إليها وثبا عليه فقتلاه . فلما قُتل أحضرت وزراءه
فقرعتهم فقالت : أما كان فيكم من يأنف لكريمته وكرائم عشيرته ! ثم
أرتهم إياه قتيلاً وقالت : اختاروا رجلاً تملكونه . فقالوا : لا نرضى بغيرك ،
فملكوها .

وقيل : إن أباهم لم يكن ملكاً وإنما كان وزير الملك ، وكان الملك خبيثاً ،
قبيح السيرة يأخذ بنات الأقبال والأعيان والأشراف ، وإنها قتله ، فملكها
الناس عليهم .

وكذلك أيضاً عظموا ملكها وكثرة جندها فقيل : كان تحت يدها أربعمئة
ملك . كل ملك منهم على كورة ، مع كل ملك منهم أربعة آلاف مقاتل ،
وكان لها ثلاثمئة وزير يدبرون ملكها ، وكان لها اثنا عشر قائداً يقود كل قائد
منهم اثني عشر ألف مقاتل .

وبالغ آخرون مبالغة ندل على سخف عقولهم وجهلهم ، قالوا : كان
لها اثنا عشر ألف قبيل ، تحت يد كل قبيل مائة ألف مقاتل ، مع كل
مقاتل سبعون ألف جيش ، في كل جيش سبعون ألف مبارز ، ليس فيهم
إلا أبناء خمس وعشرين سنة . وما أظن الساعة راوي هذا الكذب الفاحش
عرف الحساب حتى يعلم مقدار جهله ، ولو عرف مبلغ العدد لأقصر عن

1) A. et B. قاید .

إقدامه على هذا القول السخيف ، فإن أهل الأرض لا يبلغون جميعهم شبابهم وشيوخهم وصبيانهم ونساؤهم هذا العدد ، فكيف أن يكونوا أبناء خمس وعشرين سنة ! فيا ليت شعري كم يكون غيرهم ممن ليس من أسنانهم ، وكم تكون الرعيّة وأرباب الحرف والفلاحة وغير ذلك ، وإنّما الجند بعض أهل البلاد ، وإن كان الحاصل من اليمن قد قلّ في زماننا فإنّ رقعة أرضه لم تصغر ، وهي لا تسع هذا العدد قيماً كل واحد إلى جانب الآخر .

ثمّ إنهم قالوا : أنفقت على كوة بيتها التي تدخل الشمس منها فتسجد لها ثلاثمائة ألف أوقية من الذهب ، وقالوا غير ذلك ، وذكروا من أمر عرشها ما يناسب كثرة جيشها ، فلا نطول بذكره . وقد تواطأوا على الكذب والتلاعب بقول الجهّال واستهانوا بما يلحقهم من استجهال العقلاء لهم ، وإنّما ذكرنا هنا على قبحة ليقف بعض من كان يصدق به عليه فينتهي إلى الحق .

وأما سب مجيئها إلى سليمان وإسلامها فإنّه طلب الهدد فلم يره ، وإنّما طلبه لأنّ الهدد يرى الماء من تحت الأرض فيعلم هل في تلك الأرض ماء أم لا ، وهل هو قريب أم بعيد ، فبينما سليمان في بعض مغازيه احتاج إلى الماء فلم يعلم أحد ممن معه ببعده ، فطلب الهدد ليسأله عن ذلك فلم يره . وقيل : بل نزلت الشمس إلى سليمان ، فنظر ليرى من أين نزلت لأنّ الطير كانت تظله ، فرأى موضع الهدد فارغاً ، فقال : ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ .

عظم A (1)

١ قحاج .

٢ (سورة النمل ٢٧ ، الآية ٢١) .

وكان الهدهد قد مرّ على قصر بلقيس فرأى بستاناً لها خلف قصرها ، فمال إلى الخصرة ، فرأى فيه هدهداً فقال له : أين أنت عن سليمان وما تصنع هاهنا ؟ فقال له : ومنّ سليمان ؟ فذكر له حاله وما سُخّر له من الطير وغيره ، فعجب من ذلك . فقال له هدهد سليمان : وأعجب من ذلك أن كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة ﴿ وَأَوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾^١ ، وجعلوا الشكر لله أن سجدوا للشمس من دونه ، وكان عرشها سريراً من ذهب مكلل بالجواهر النفيسة من اليواقيت والزبرجد واللؤلؤ .

ثمّ إنّ الهدهد عاد إلى سليمان فأخبره بعذره في تأخيره ، فقال له : اذهب بكتابي هذا فألقه إليها ، فوافاها وهي في قصرها فألقاه في حجرها ، فأخذته وقرأته وأحضرت قومها وقالت : ﴿ إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ، وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾^٢ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ... مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾^٣ .

﴿ قَالُوا : نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِئْسَ شَدِيدٍ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾^١ . قَالَتْ : ﴿ إِنِّي مَرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ﴾^٢ فإن قبلها فهو من ملوك الدنيا فنحن أعزّ منه وأقوى ، وإن لم يقبلها فهو نبي من الله .

١ . بهية فنظرة بم يرجع المرسلون فإن 8 (1)

١ (سورة النمل ٢٧ ، الآية ٢٣) .

٢ (سورة النمل ٢٧ ، الآيات ٢٩ - ٣٣) .

٣ (سورة النمل ٢٧ ، الآية ٣٥) .

فلما جاءت الهدية إلى سليمان قال للرسول: ﴿ أَنُؤْمِدُ وَنْتِي بِمَالٍ فَمَا أَنَا فِي اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ - إلى قوله - : وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾^١؛ فلما رجع الرسول إليها سارت إليه وأخذت معها الأقبال من قومها ، وهم القواد ، وقدمت عليه ، فلما قاربته وصارت منه على نحو فرسخ قال لأصحابه : ﴿ أَبُكُمْ بِأَنْبِي بَعْرَشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ؟ قَالَ عِزْرِيثُ مِنَ الْجِنِّ : أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾^٢ ، يعني قبل أن تقوم في الوقت الذي تقصد فيه بيتك للغداء . قال سليمان : أريد أسرع من ذلك . ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ - وهو آصف بن برخيا . وكان يعرف اسم الله الأعظم - : أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾^٣ ، وقال له : انظر إلى السماء وأدمِ النظر فلا تردّ طرفك حتى أحضره^٤ عندك . وسجد ودعا ، فرأى سليمان العرش قد نبع من تحت سريرته . فقال : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ ﴾^٥ إذ أتاني به قبل أن يرتدّ إليّ طرفي ﴿ أَمْ أَكْفُرُ ﴾^٦ إذ جعل تحت يدي من هو أقدر مني على إحضاره .

فلما جاءت قيل : ﴿ أَهَكَذَا عَرَشُكَ ؟ ﴾ قالت : كأنه هو ﴿ ولقد تركته في حصون وعنده جنود تحفظه فكيف جاء إلى هاهنا ؟

1 } Corani 27, vs. 36, 37.

١ (سورة النمل ٢٧ ، الآيات ٣٨ ، ٣٩) .

٢ (سورة النمل ٢٧ ، الآية ٤٠) .

٣ أحضر .

٤ (سورة النمل ٢٧ ، الآية ٤٢) .

فقال سليمان للشياطين: ابنوا لي صرحاً تدخل علي فيه بلقيس . فقال بعضهم : إن سليمان قد سخر له ما سخر وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاماً فلا تنفك من العبودية أبداً ، وكانت امرأة شعراء الساقين ، فقال للشياطين : ابنوا له بنياناً^١ يرى ذلك منها فلا يتزوجها ، فبنوا له صرحاً من قوارير خضراً وجعلوا له طوابيق من قوارير بيضاً ، فبقي كأنه الماء ، وجعلوا تحت الطوابيق صور دواب البحر من السمك وغيره ، وقعد سليمان على كرسي ثم أمر فأدخلت بلقيس عليه ، فلما أرادت أن تدخله ورأت صور السمك ودواب الماء حسبه^٢ بلحمة ماء فكشفت عن ساقها لتدخل ، فلما رآها سليمان صرف نظره عنها و ﴿ قَالَ إِنَّهُ صَرَخٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ، قَالَتْ : رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسَدْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^٣ .

فاستشار سليمان في شيء يزيل الشعر ولا يضر الجسد ، فعمل له الشياطين النورة ، فهي أول ما عملت النورة ، ونكحها سليمان وأحبها حباً شديداً وردّها إلى ملكها باليمن ، فكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام .

وقيل : إنه أمرها أن تنكح رجلاً من قومها فامتنعت وأنفت من ذلك ، فقال : لا يكون في الإسلام إلا ذلك . فقالت : إن كان لا بد من ذلك فزوجني ذا تبّع ملك همدان ، فزوجه إياها ثم ردّها إلى اليمن ، وملط زوجها ذا

١) بيتاً . A. & B.

١ أخضر .

٢ أبيض .

٣ فحسبه .

٤ (سورة النمل ٢٧ ، الآية ٤٤) .

تُبَعَّ عَلَى الْمَلِكِ ، وَأَمْرَ الْجَنْبِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ بِطَاعَتِهِ ، فَاسْتَعْمَلَهُمْ ذُو تَبَعٍ ،
فَعَمَلُوا لَهُ عِدَّةَ حِصُونٍ بِالْيَمَنِ ، مِنْهَا سَلْحِينٌ^١ وَمِرَاوِحٌ وَقَلْيُونٌ وَهَنْيدَةٌ وَغَيْرُهَا ،
فَلَمَّا مَاتَ سُلَيْمَانٌ لَمْ يَطِيعُوا ذَا تَبَعٍ وَاتَّقَضَى مَلِكٌ ذِي تَبَعٍ وَمَلِكٌ بَلْقَيْسٍ مَعَ
مَلِكِ سُلَيْمَانَ^١ .

١ . وَقِيلَ : إِنَّ بَلْقَيْسَ مَاتَ قَبْلَ سُلَيْمَانَ بِالشَّامِ وَإِنَّ دَفْنَهَا بِتَدْمُرَ وَأَخْفَى
قَبْرَهَا^٢ .

ذِكْرُ غَزْوَتِهِ أَبَا زَوْجَتِهِ جَرَادَةَ وَنِكَاحِهَا وَعِبَادَةِ الصُّنَمِ فِي دَارِهِ وَأَخْذِ خَاتَمِهِ وَعَوْدِهِ إِلَيْهِ

قِيلَ : سَمِعَ سُلَيْمَانٌ بِمَلِكٍ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ وَشِدَّةَ مَلِكِهِ وَعَظَمَ
شَأْنَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ إِلَيْهِ سَبِيلٌ ، فَخَرَجَ سُلَيْمَانٌ إِلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَحَمَلَتْهُ
الرِّيحُ حَتَّى نَزَلَ بِجَنُودِهِ بِهَا فَقَتَلَ مَلِكَهَا وَغَنِمَ مَا فِيهَا وَغَنِمَ بَتًّا لِلْمَلِكِ لَمْ يَرَ النَّاسُ
مِثْلَهَا حُسْنًا وَجَمَالًا فَاصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ وَدَعَاَهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَاسْلَمَتْ عَلَى قَلْبَةٍ
رَغْبَةٍ فِيهِ ، وَأَحْبَبَتْهَا حُبًّا شَدِيدًا ، وَكَانَتْ لَا يَذْهَبُ حَزْنُهَا وَلَا تَزَالُ تَبْكِي ،
فَقَالَ لَهَا : وَمَعَكَ مَا هَذَا الْحَزْنُ وَاللَّمْعُ الَّذِي لَا يِرْقَأُ ؟ قَالَتْ : إِنَّنِي أَذْكَرُ أَبِي
وَمَلِكِهِ وَمَا أَصَابَهُ فَيُحْزِنُنِي ذَلِكَ . قَالَ : فَقَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ مُلْكًا خَيْرًا مِنْ مَلِكِهِ

1) post سليمان S. add. بقيا . 2) C. P.

١ سَلْحِينٌ . (سَلْحِينٌ : حِصْنٌ عَظِيمٌ بِأَرْضِ الْيَمَنِ كَانَ لِلْعَبَابَةِ مَلُوكِ الْيَمَنِ - يَأْقُوتُ) .

وهذاك إلى الإسلام . قالت : إنه كُنك ولكني إذا ذكرته أصابني ما ترى ،
فلو أمرت الشياطين فصوروا صورته في داري أراها بكرة وعشبة لرجوتُ
أن يذهب ذلك حزني .

فأمر الشياطين فعملوا لها مثل صورته لا ينكر منها شيئاً ، وألبستها ثياباً
مثل ثياب أبيها ، وكانت إذا خرج سليمان من دارها تغزو عليه في جواربها
فتسجد له ويسجدن معها ، وتروح عشبة ويرحن ، فضل مثل ذلك ، ولا يعلم
سليمان بشيء من أمرها أربعين صباحاً .

وبلغ الخبر آصف بن برخياً ، وكان صديقاً ، وكان لا يُرد من منزل
سليمان أي وقت أراد من ليل أو نهار سواء كان سليمان حاضراً أو غائباً ،
فأناه فقال : يا نبي الله قد كبر سني ودق^١ عظمي وقد حان مني ذهاب عمري
وقد أحببت أن أقوم مقاماً أذكر فيه أنبياء الله وأثنى عليهم بعلمي فيهم وأعلم
الناس بعض ما يجهلون . قال : افعل . فجمع له سليمان الناس ، فقام آصف
خطيباً فيهم فذكر من مضى من الأنبياء وأثنى عليهم حتى انتهى إلى سليمان
فقال : ما كان أحلمك في صغرك ، وأبعذك من كل ما يكره في صغرك .
ثم انصرف .

فملء سليمان غضباً ، فأرسل إليه وقال له : يا آصف لما ذكرتني جعلت
تثني عليّ في صغري وسكت عما سوى ذلك ، فما الذي أحدثت في آخر
أمري ؟ قال : إن غير الله ليُعبد في دارك أربعين يوماً في هوى امرأة . قال :
﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾^٢ ، لقد علمت أنك ما قلت إلا عن

١ . ورة ٤ (١) .

١ ذهاب بصري .

٢ (سورة البقرة ٢ ، الآية ١٥٦) .

شيء بلغك ، ودخل داره وكسر الصم وعاقب تلك المرأة وجواربها . ثم أمر بثياب الطهارة فأتي بها ، وهي ثياب تغزلها الأبقار اللاتي لم يحضن ولم تمسها امرأة ذات دم^١ ، فلبسها وخرج إلى الصحراء وفرش الرماد ثم أقبل تائباً إلى الله وتمعك في الرماد بثيابه تذليلاً لله تعالى وتضرعاً ، وبكى واستغفر يومه ذلك ثم عاد إلى داره .

وكانت أم ولد له لا يثق إلا بها يسلم خاتمه إليها ، وكان لا يتزعه إلا عند دخول الحلاء ، وإذا أراد يصيب امرأة فيسلمه إليها حتى يتطهر ، وكان ملكه في خاتمه ، فدخل في بعض تلك الأيام الحلاء وسلم خاتمه إليها ، فأتاها شيطان اسمه صخر الجنّي في صورة سليمان فأخذ الخاتم وخرج إلى كرسي سليمان ، وهو في صورة سليمان ، فجلس عليه ، وعكفت عليه الإنس والجن والطير . وخرج سليمان وقد تغيرت حاله وهيبته ، فقال : خاتمي ! فقالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان . قالت : كذبت لست بسليمان ! قد جاء سليمان وأخذ خاتمه مني وهو جالس على سريره ! فعرف سليمان خطيئته فخرج وجعل يقول لبني إسرائيل : أنا سليمان ، فيحثون عليه التراب ، فلما رأى ذلك قصد البحر وجعل ينقل سمك الصيادين ويعطونه كل يوم سمكتين يبيع إحداهما بخبز ويأكل الأخرى ، فبقي كذلك أربعين يوماً .

ثم إن آصف وعظماء بني إسرائيل أنكروا حكم الشيطان المتشبه بسليمان ، فقال آصف : يا بني إسرائيل هن رأيت من اختلاف حكم سليمان ما رأيت ؟ قانوا : نعم . قال : أمهلوني حتى أدخل على نساءه وأسألهن هل أنكرن ما أنكرنا منه . فدخل عليهن وأسألهن ، فذكرن أشد مما عنده ، فقال : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾^٢ ، ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾^٣ .

١ الدم .

٢ (سورة البقرة ٢ - الآية ١٥٦) .

٣ (سورة الصافات ٣٧ ، الآية ١٠٦) .

ثم خرج إلى بني إسرائيل فأخبرهم ، فلدنا رأى الشيطان أنهم قد علموا به . طار من مجلسه فمرّ بالبحر فألقى الخاتم فيه . فبلعته سمكة واصطادها صياداً وحمل له سليمان يومه ذلك فأعطاه سمكتين ، تلك السمكة إحداهما ، فأخذها فشقتها ليصلحها ويأكلها فرأى خاتمه في جوفها ، فأخذه وجعله في إصبعه وخرّ لله ساجداً ، وعكفت عليه الإنسُ والجنّ والطير وأقبل عليه الناسُ ورجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وبث الشياطين في إحضار صخر الذي أخذ الخاتم . فأحضره ، فنقب له صخرة وجعله فيها وسدّ النقب بالحديد والرصاص وألقاه في البحر .

وكان مقامه في الملك أربعين يوماً ، بمقدار عبادة الصنم في دار سليمان .

وقيل : كان السبب في ذهاب ملكه أن امرأة له كانت أبرد نساءه عنده تسمى جرادة ولا يأتز على خاتمه سواها . فقالت له : إن أخي بينه وبين فلان حكومة وأنا أحب أن تقضي له . فقال : أفعل . ولم يفعل . فابتلي ، وأعطاهما خاتمه ودخل الحلاء . فخرج الشيطان في صورته فأخذه . وخرج سليمان بعده فطلب الخاتم فقالت : ألم تأخذه ؟ قال : لا ، وخرج من مكانه تائها وبقي الشيطان أربعين يوماً يحكم بين الناس . ففطنوا له وأحدقوا به ونشروا التوراة فقرأوها ، فطار من بين أيديهم وألقى الخاتم في البحر ، فابتلعه حوت ، ثم إن سليمان قصد صياداً وهو جائع فاستطعمه وقال : أنا سليمان ، فكذبته وضربه فشجته ، فجعل يغسل الدم ، فلام الصيادون صاحبهم وأعطوه سمكتين إحداهما التي ابتلعت الخاتم . فشقّ بطنها وأخذ الخاتم . فردّ الله إليه ملكه ، فاعتذروا إليه ، فقال : لا أحمدكم على عذرکم ولا ألومکم على ما کان منکم .

وسخر الله له الجنّ والشياطين والريح ، ولم يكن سخرها له قبل ذلك ، وهو أشبه بظاهر القرآن ، وهو قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَنَاصِدَ الْوَعْدِ ﴾

لي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، فَسَخَّرْنَا
 لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ
 وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝^١ .
 وقيل في سبب زوال ملكه غير ذلك ، والله أعلم .

ذكر وفاة سليمان

لما ردَّ الله إلى سليمان الملك لبث فيه مطاعاً والجنّ تعمل له ﴿ مَا يَشَاءُ
 مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾^١ وغير
 ذلك ويعذب من الشياطين من شاء وبطلب من شاء ، حتى إذا دنا أجله وكان
 عادته إذا صلى كلَّ يوم رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول : ما اسمك ؟
 فتقول : كذا . فيقول : لأي شيء أنت ؟^٢ فإن كانت لغرس غُرست
 وإن كانت لدواء كُتبت ، فيبينا هو يصلي^٣ ذات يوم إذ رأى شجرة بين
 يديه فقال لها : ما اسمك ؟ فقالت : الخرنوبة . فقال لها : لأي شيء أنت ؟
 قالت : لخراب هذا البيت ، يعني بيت المقدس . فقال سليمان : ما كان الله
 ليخرّبه وأنا حيّ ، أنت التي على وجهك هلاكى وخراب البيت ! وقلعها ،

1) Cor. 38, vs. 35—38.

١ (سورة سبأ ٣٤ ، الآية ١٣) .

٢ لأي شيء غُرست أنت ؟

٣ فيبينا هو قد صلى .

ثم قال : اللهم عمّ على الجنّ موتي حتى يعلم الناس أن الجنّ لا يعلمون الغيب .

وكان سليمان يتجرّد للعبادة في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقلّ وأكثر ، يُدخّل معه طعامه وشرابه ، فأدخله في المرّة التي توفي فيها ، فبينما هو قائم يصلي متوكّئاً على عصاه أدركه أجله فمات ولا تعلم به الشياطين ولا الجنّ ، وهم في ذلك يعملون خوفاً منه ، فأكلت الأرضة عصاه فانكسرت فسقط ، فعلموا أنه قد مات ، وعلم الناس أن الجنّ لا يعلمون الغيب ولو علموا ﴿ الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾^٢ ومقاساة الأعمال الشاقة .

ولما سقط أراد بنو إسرائيل أن يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا يوماً وليلة فأكلت منها ، فحسبوا بنسبته فكان أكل تلك العصا في سنة . ثمّ إن الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنت تشربين الشراب لأتيناك بأطيب الشراب . ولكننا سننقل لك الماء والطين ، فهم ينقلون إليها [ذلك] حيث كانت . ألم ترّ إلى الطين يكون في وسط الخشبة ؟ فهو ما ينقلونه لها .

قيل : إن الجنّ والشياطين شكوا ما يلحقهم من التعب والنصب إلى بعض أولي التجربة منهم . وقيل : كان إبليس ، فقال لهم : أستم تنصرفون بأحمال وتعودون بغير أحمال ؟ قالوا : بلى . قال : فلکم في كلّ ذلك راحة . فحملت الريح الكلام فألقته في أذن سليمان ، فأمر الموكّلين بهم أنهم إذا جاءوا بالأحمال والآلات التي يبني بها إلى موضع البناء والعمل يحملهم منّ هناك في عودهم

١ عمّ عن .

٢ (سورة سبأ ٣٤ ، الآية ١٤) .

ما يُلقونه من المواضع التي فيها الأعمال ليكون أشقّ عليهم وأسرع في العمل ،
فاجتازوا بذلك الذي شكوا إليه حالهم فأعلموه حالهم ، فقال لهم : انتظروا
الفرج فإنّ الأمور إذا تناهت تغيرت ، فلم تطل مدّة سليمان بعد ذلك حتى
مات ، وكان مدّة عمره ثلاثاً وخمسين سنة ، وملكه أربعين سنة .

ذكر من ملك من الفرس بعد كيقباز

لما توفي كيقباز ملك بعده ابنه كيكاووس بن كينية بن كيقباز ، فلما ملك حمى بلاده وقتل جماعةً من عظماء البلاد المجاورة له ، وكان يسكن بنواحي بلخ ، وولد له ولد سمّاه سیاوخش وضمّته إلى رسم الشديد ، داستان بن نريمان بن جوذنگ بن كرشاسب ، وكان أصهبذ سجستان وما يليها ، وجعله عنده ليربّيه ، فأحسن تربيته وعلّمه العلوم والفروسيّة والآداب وما يحتاج الملوك إليه . فلما كمل ما أراد حمله إلى أبيه ، فلما رآه سرّ به صورةً ومعنى .

وكان أبوه كيكاووس قد تزوج ابنة أفراسياب ملك الترك ، وقيل : إنَّها ابنة ملك اليمن ، فهويت سیاوخش ودعته إلى نفسها . فامتنع ، فسعت به إلى أبيه حتى أفسدته عليه . فسأل سیاوخش رسم الشديد ليتوصّل مع أبيه لينفذه إلى محاربة أفراسياب بسبب منعه بعض ما كان قد استقرّ بينهما ، وأراد البعد عن أبيه ليأمن كيد امرأته . ففعل ذلك رسم ، فسبّره أبوه وضمّ إليه جيشاً كثيراً ، فسار إلى بلاد الترك للقاء أفراسياب ، فلما سار إلى تلك الناحية جرى بينهما صلح . فكتب سیاوخش إلى أبيه يعرفه ما جرى بينه وبين أفراسياب من الصلح . فكتب إليه والده يأمره بمناهضة أفراسياب ومحاربتة وفسخ الصلح ، فاستقبح سیاوخش الغدر وأنف منه . فلم ينفذ ما أمره به ، ورأى أن ذلك من فعل زوجة والده ليقبّح فعنه . فراسل أفراسياب في الأمان لنفسه لينتقل إليه ، فأجابه أفراسياب إلى ذلك . وكان السفير في ذلك قيران بن ويسعان² ،

1) et sqq. S. A. et C. P. فراسياب

2) بن وكمان S.

ودخل سیاوخش إلى بلاد الترك ، فأكرمه أفراسياب وأنزله وأجرى عليه وزوجه بنتاً له يقال لها وسفامريد¹ ، وهي أم كيخسرو ، فظهر له من أدب سیاوخش ومعرفته بالملك وشجاعته ما خاف على ملكه منه ، وزاد الفساد بينهما بسعي ابني أفراسياب وأخيه كيدر² حسداً منهم لسياوخش ، فأمرهم أفراسياب بقتله ، فقتلوه ومثلوا به . وكانت زوجته ابنة أفراسياب حاملة منه بابنه كيخسرو ، فطلبوا الحيلة في إسقاط ما في بطنها ، فلم يسقط ، فأنكر قيران الذي كان أمان سیاوخش على يده قتله وحذر عاقبته والأخذ بثأره من والده كيكاووس ومن رستم ، وأخذ زوجة سیاوخش إليه لتضع ما في بطنها ويقتله . فلما وضعت رق قيران لها وللمولود ولم يقتله وسر أمره حتى بلغ ، فسير كيكاووس إلى بلاد الترك من كشف أمره وأخذه إليه .

وحين بلغ خبر قتله إلى فارس لبس شادوس³ بن جودرز السواد حزناً ، وهو أول من لبسه . ودخل على كيكاووس فقال له : ما هذا ؟ فقال : إن هذا اليوم يوم ظلام وسواد .

ثم إن كيكاووس لما علم بقتل ابنه سير الجيوش مع رستم الشديد وطوس أصهبذ أصهبان لمحاربة أفراسياب ، فدخلا بلاد الترك فقتلا وأسرا وأثخنا فيها ، وجرى لهما مع أفراسياب حروب شديدة قُتل فيها ابنا أفراسياب وأخوه الذين أشاروا بقتل سیاوخش .

وزعمت الفرس أن الشياطين كانت مسخرة له ، وأنها بنت له مدينة طولها في زعمهم ثلاثمائة فرسخ وبنوا عليها سوراً من صُفر وسوراً من شَبَه¹

1) A. et B. وسفامريد .

2) S. وأخيه كندر .

3) A. et B. سادرس .

١ (الشبه : النحاس الأصفر ، سمي به لأنه عندما يُصَفَّر يشبه الذهب بلونه) :

وسوراً من فضة ، وكانت الشياطين تنقلها بين السماء والأرض وما بينهما .
وأن¹ كيكاووس لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث . ثم إن الله أرسل إلى المدينة
من يخرّبها فعجزت الشياطين عن المنع عنها ، فقتل كيكاووس جماعة من
رؤسائهم .

وقال بعض العلماء بأخبار المتقدمين : إنما سخر له فعل² الشياطين
بأمر سليمان بن داود . وكان مظفراً لا يناوئه أحد من الملوك إلا ظهر عليه ،
فلم يزل كذلك حتى حدثته نفسه بالصعود إلى السماء ، فسار بن خراسان
إلى بابل ، وأعطاه الله تعالى قوة ارتفع بها هو ومن معه حتى بلغوا السحاب ،
ثم سلبهم الله تلك القوة ، فسقطوا وهلكوا وأفلت بنفسه وأحدث يومئذ .
وهذا جميعه من أكاذيب الفرس الباردة .

ثم إن كيكاووس بعد هذه الحادثة تمزق ملكه وكثرت الحوارج عليه
وصاروا يغزونه ، فيظفر مرة ويظفرون أخرى . ثم غزا بلاد اليمن وملكها
يومئذ ذو الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرايش ، فلما ورد اليمن خرج إليه
ذو الأذعار ، وكان قد أصابه الفالج ، فلم يكن يغزو ، فلما وطىء كيكاووس
بلادهم خرج إليه بنفسه وعساكره وظفر بكيكاووس فأسره واستباح عسكره
وحبسه في بئر وأطبق عليه . فسار رستم من سجستان إلى اليمن وأخرج كيكاووس
وأخذه . وأراد ذو الأذعار منعه فجمع العساكر وأراد القتال ثم خاف البوار
فاصطلحا على أخذ كيكاووس والعود إلى بلاد الفرس ، فأخذه وأعادته إلى
ملكه ، فأقطعه كيكاووس سيجستان وزابليستان ، وهي [من] أعمال غزنة .
وأزال عنه اسم العبودية ، ثم توفي كيكاووس ، وكان ملكه مائة وخمسين سنة .

1) وأن فيها S .

2) بعض A. et S .

ذكر ملك كيخسرو بن سیاوخش بن كیکاووس

لما مات كیکاووس ملك بعده ابنُ ابنة كيخسرو بن سیاوخش بن كیکاووس ،
 وأمه وسفافرید ابنة أفراسياب ملك الترك ، فلما ملك كتب إلى الأصبهذین
 جميعهم أن یأتوا بعساكرهم جميعها ، فلما اجتمعوا جهز ثلاثین ألفاً مع
 طوس وأمره بدخول بلاد الترك ، وأن لا یمر بقریة ولا مدينة لهم إلا قتل كل
 من فيها إلا مدينة من مدنهم كان بها أخ له اسمه فیروزد¹ بن سیاوخش ، كان
 أبوه قد تزوج أمه في بعض مدائن الترك ، فاجتاز طوس بها فجرى بينه وبين
 فیروزد حرب قتل فيها فیروزد ، فبلغ خبره كيخسرو فعظم عليه وكتب إلى
 عمه نه كان مع طوس بأمره بالقبض على طوس وإرساله² مقيداً والقیام بأمر
 الجيش . ففعل ذلك وسار بالعسكر نحو أفراسياب ، فسیر أفراسياب العساكر
 إليه . فاقتلوا قتالاً شديداً كثرت فيه القتل وانحازت الفرس إلى رؤوس الجبال
 وعادوا إلى كيخسرو ، فوبخ عمه ولامه واهتم بغزو الترك . فأمر بجمع
 العساكر جميعها وأن لا يتخلف أحدٌ ، فلما اجتمعوا أعلمهم أنه يريد قصد
 بلاد الترك من أربعة وجوه ، فسیر جودرز³ في أعظم العساكر وأمره بالدخول
 إلى بلاد الترك مما يلي بلخ وأعطاه درفش كایبان ، وهو العلم الأكبر الذي
 لهم . وكانوا لا يرسلونه إلا مع بعض أولاد الملوك لأمر عظیم ، وسیر عسكراً
 آخر من ناحية الصين ، وسیر عسكراً آخر مما يلي الخزر ، وعسكراً آخر
 بين هذين العسکرین ، فدخلت العساكر بلاد الترك من كل جهاتها وأخربتھا ،
 لا سيما جودرز ، فإنه قتل وأخرب وسبي ، وتبعه كيخسرو بنفسه في طريقه ،

1) et sqq. : A. et S. فرورد . 2) S. وإرساله إليه . 3) A. et B. ubiquo . كودرز .

فوصل إليه وقد قتل جماعة كثيرة من أهل أفراسياب وأُخِنَ فيهم ، وراه قد قتل خمسمائة ألف ونيّفاً وستين ألفاً وأسر ثلاثين ألفاً وغم ما لا يحُدّ ولا يحصى ، وعرض عليه من قتل من أهل أفراسياب وطراختة^١ ، فعظم جودرز عنده وشكره وأقطعه أصبهان وجرجان ، ووردت عليه الكتب من عساكره الداخلة من تلك الوجوه إلى الترك بما قتلوا وغنموا وأخربوا وأنهم هزموا لأفراسياب عسكرياً بعد عسكر ، فكتب إليهم أن يجدّوا في محاربتهم ويوافقوه بموضع سمّاه لهم .

فلما بلغ أفراسياب قتل مَنْ قُتِلَ من طراختة وأهله وعساكره عظم ذلك عليه فسقط في يديه ولم يكن بقي عنده من أولاده غير ولده شیده^٢ ، فوجهه في جيش نحو كيخسرو ، فسار إليه واقتلوا قتالاً شديداً أربعة أيام ، ثم انهزمت الترك وتبعهم الفرس يقتلونهم ويأسرون ، وأدركوا ابن أفراسياب فقتلوه ، وسمع أفراسياب بالحادثة وقتل ابنه فأقبل فيمن عنده من العساكر فلقى كيخسرو فاقتلوا قتالاً شديداً لم يُسمع بمثله ، واشتدّ الأمر ، فانهزم أفراسياب وكثر القتل في الترك فقتل منهم مائة ألف ، وجدّ كيخسرو في طلب أفراسياب ، ولم يزل يهرب من بلد إلى بلد حتى بلغ أذربيجان فاستتر ، وظنّ به وأتى به إلى كيخسرو ، فلما حضر عنده سأله عن غدرة بأبيه ، فلم يكن له حجة ولا عذر ، فأمر بقتله ، فدُبِحَ كما دُبِحَ سیاوخش ، ثم انصرف من أذربيجان مظفراً منصوراً فرحاً .

فلما قتل أفراسياب ملك الترك^١ بعده أخوه كي سواسف ، فلما توفي

١) ملك بلاد الترك S. 1

١ (الطراختة ، خراسانية ، مفرداً طَرُخَان : الرئيس الشريف) .
إلا ولد وسيّره .

ملك بعده ابنه جرزاسف ، وكان جبّاراً عاتياً .

فلما فرغ كيخسرو من الأخذ بثأر أبيه واستقرّ في ملكه زهد في الدنيا وترك الملك وتنسك . واجتهد أهله وأصحابه به ليلازم الملك فلم يفعل ، فقالوا له : فاعهد¹ إلى من يقوم بالملك بعدك . فعهد إلى هراسب¹ ، وفارقهم كيخسرو وغاب عنهم ، فلا يُدرى ما كان منه ولا أين مات . وبعض يقول غير ذلك .

وكان ملكه ستين سنة ، وملك بعده هراسب .

e

1) A. et B. بهراسب ubique.

ذكر أمر بني إسرائيل بعد سليمان

قيل : ثمّ ملك بعد سليمان على بني إسرائيل ابنه رحبعم¹ بن سليمان ، وكان ملكه سبع عشرة سنة ، ثمّ افترقت ممالك بني إسرائيل بعد رحبعم ، فملك أيّبا بن رحبعم سبط يهوذا وبنيامين دون سائر الأسباط ، وذلك أنّ سائر الأسباط ملكوا عليهم يوربعم بن بايعا عبد سليمان بسبب القربان الذي كانت جرادة زوجة سليمان فيما زعموا قرّبتة في داره للصنم ، فتوعده الله تعالى أن يتزع بعض الملك عن ولده ، فكان ملك أيّبا بن رحبعم ثلاث سنين ، ثمّ ملك أسا² بن أيّبا أمر السبطين اللذين³ كان أبوه يملكهما إحدى وأربعين سنة ؛ وكان رجلاً صالحاً ، وكان أعرج .

ذكر محاربة أسا بن أيّبا وروح³ الهندي

قيل : كان أسا بن أيّبا رجلاً صالحاً ، وكان أبوه قد عبد الأصنام ودعا الناس إلى عبادتها ، فلما ملك ابنه أسا أمر منادياً فنادى : ألا إنّ الكفر قد مات وأهله وعاش الإيمانُ وأهله ، فليس كافر في بني إسرائيل يطلع رأسه

1) Nomina fere semper distorta restitui. 2) A. et B. أسا .

3) A. روح ; B. وروح . et S. , qui tamen postea habet : روح .

بكفر إلا قتلته ، فإن الطوفان لم يفرق الدنيا وأهلها ولم يخسف بالقرى ولم
تمطر الحجارة والنار من السماء إلى الأرض إلا بترك طاعة الله والعمل بمعصيته !
وشدد في ذلك .

فأتى بعضهم ممن كان يعبد الأصنام ويعمل بالمعاصي إلى أم آسا الملك ،
وكانت تعبد الأصنام ، فشكوا إليها ، فجاءت إليه ونهته عما كان يفعله وبالفت
في زجره ، فلم يصغ إلى قولها بل تهددها على عبادة الأصنام وأظهر البراءة
منها ، فحينئذ أيس الناس منه وانترح من كان يخافه وساروا إلى الهند .

وكان بالهند ملك يقال له رزح¹ ، وكان جباراً عاتياً عظيم السلطان قد
أطاعه أكثر البلاد ، وكان يدعو الناس إلى عبادته ، فوصل إليه أولئك نفر
من بني إسرائيل وشكوا إليه ملكهم ووصفوا له البلاد وكثرتها وقلة عسكرها
وضعف ملكها وأطمعوه فيها .

فأرسل الجواسيس فأتوه بأخبارها ، فلما تيقن² الخبر جمع العساكر وسار
إلى الشام في البحر ، وقال له بنو إسرائيل : إن آسا صديقاً بنصره وبعينه ،
قال : فأين آسا وصديقه من كثرة عساكري وجنودي !

وبلغ خبره إلى آسا ، فتضرع إلى الله تعالى وأظهر الضعف والعجز عن
الهندي وسأل الله النصر عليه ، فاستجاب الله له وأراه في المنام : إنني
سأظهر من قدرتي في رزح الهندي وعساكره ما أكفيك شرهم وأغنمكم أموالهم
حتى يعلم أعداؤك أن صديقك لا يطاق وليه ولا ينهزم جنده .

ثم سار رزح حتى أرمى بالساحل ، وسار إلى بيت المقدس ، فلما صار

1) Hinc in A. et B. semper روح . et S. , qui tamen postea habet : روح .

2) فلما تبين .

على مرحلتين منه فرق عساكره ، فامتلات منهم تلك الأرض وملئت قلوب
 بني إسرائيل رعباً ، وبعث أسا العيون فعادوا وأخبروه من كثرتهم بما لم يُسمع
 بمثله ، وسمع الخبر بنو إسرائيل فصاحوا وبكوا وودع بعضهم بعضاً وعزموا
 على أن يخرجوا إلى رزح ويستسلموا إليه وينقادوا له . فقال لهم ملكهم :
 إن ربّي قد وعدني بالظفر ولا خلف لوعده ، فعادوا الدعاء والتضرّع .
 ففعلوا ودعوا جميعهم وتضرّعوا ، فزعموا أن الله أوحى إليه : يا أسا إن
 الحبيب لا يُسلم حبيبه ، وأنا الذي أكفيك عدوك فإنه لا يهون من توكل
 عليّ ، ولا يضعف من تقوى بي ، وقد كنت تذكرني في الرخاء فلا أسلمك
 في الشدة ، وسأرسل بعض الزبانية يقتلون أعدائي . فاستبشر وأخبر بني إسرائيل .
 فأما المؤمنون فاستبشروا وأما المنافقون فكذبوه .

وأمره الله بالخروج إلى رزح في عساكره ، فخرج في نفر يسير ، فوقفوا
 على رابية من الأرض ينظرون إلى عساكره ، فلما رأهم رزح احتقرهم
 واستسخرهم وقال : إنما خرجت من بلادي وجمعت عساكري وأنفقت
 أموالي لهذه الطائفة ! ودعا نفر من بني إسرائيل الذين قصلوه والجواسيس
 الذين أرسلهم ليختبروا له وقال : كذبتوني وأخبرتوني بكثرة بني إسرائيل
 حتى جمعت العساكر وفرقت أموالي ! ثم أمر بهم فقتلوا ، وأرسل إلى أسا
 يقول له : أين صديقك الذي ينصرك ويخلصك من سطوتي ؟ فأجابه أسا :
 يا شقي إنك لا تعلم ما تقول ! أتريد أن تغالب الله بقوتك أم تكاثره بقلتك ؟
 وهو معي في موقفي هذا ، ولن يُغلب أحد كان الله معه ، وستعلم ما
 يحلّ بك !

فغضب رزح من قوله وصف عساكره وخرج إلى قتال أسا وأمر الرماة

١ وملأت .

فرمواهم بالسهم ، وبعث الله من الملائكة مدداً لبني إسرائيل ، فأخذوا السهام ورموا بها الهنود ، فقتلت كل إنسان منهم نساوته ، فقتل جميع الرماة ، فضج بنو إسرائيل بالتسبيح والدعاء ، وتراءت الملائكة للهنود ، فلما رأهم رزح ألقى الله الرعب في قلبه وسقط في يده ونادى في عساكره بأمرهم بالحملة عليهم ، ففعلوا ، فقتلتهم الملائكة ولم يبق منهم غير رزح وعبيده ونسائه ، فلما رأى ذلك ولّى هارباً وهو يقول : قنلي صديق أسا .

فلما رآه أسا مدبراً قال : اللهم إنك إن لم تهلكه استنفر علينا نائبه¹ . وبلغ رزح ومن معه إلى البحر فركبوا السفن ، فلما سارت بهم أرسل الله عليهم الرياح فغرقتهم أجمعين .

ثم ملك بعد أسا ابنه سافاط إلى أن هلك خمساً وعشرين سنة ، ثم ملكت عزليا بنت عمرم أخت أخزيا² ، وكانت قتلت أولاد ملوك بني إسرائيل ولم يبق منهم إلا يواش بن أخزيا ، وهو ابن ابنها ، فإنه ستر عنها ، ثم قتلها يواش وأصحابه ، وكان ملكها سبع سنين ؛ ثم ملك يواش أربعين سنة ، ثم قتله أصحابه ، وهو الذي قتل جدته ؛ ثم ملك عوزيا بن امصيا³ بن يواش ، ويقال له غوزيا ، إلى أن توفي اثنتين وخمسين سنة ؛ ثم ملك يوثام بن عوزيا إلى أن توفي ست عشرة سنة ؛ ثم ملك حزقيا بن أحاز إلى أن توفي . فيقال : إنه صاحب شعيا الذي أعلمه شعيا انقضاء عمره ، فتضرع إلى ربه فزاده ، وأمر شعيا بإعلامه ذلك . وقيل : إن صاحب شعيا في هذه القصة اسمه صدقيا ، على ما يرد ذكره .

1) بن موضيا S. 2) أم أخزيا S. 3) باينة S. بابه B. 1)

ذكر شعيا والملك الذي معه من بني إسرائيل ومسير سنحاريب إلى بني إسرائيل

قيل : كان الله تعالى قد أوحى إلى موسى ما ذكر في القرآن : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا . إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝ ١ ۱ .

فكثرت في بني إسرائيل الأحداث والذنوب ، وكان الله يتجاوز عنهم متعطفاً عليهم ، وكان من أول ما أنزل الله عليهم عقوبة لذنوبهم أن ملكاً منهم يقال له صدقية ، وكانت عادتهم إذا ملك عليهم رجل بعث الله إليه نبياً يرشده ويوحى إليه ما يريد ، ولم يكن لهم غير شريعة التوراة ، فلما ملك صدقية بعث الله تعالى إليه شعيا ، وهو الذي بشر بعيسى وبمحمد ، عليهما السلام ، فلما قارب أن ينقضي ملكه عظمت الأحداث في بني إسرائيل ، فأرسل الله عليهم سنحاريب ملك بابل في عساكر يغص بها الفضاء ، فسار حتى نزل بيت المقدس وأحاط به وملك بني إسرائيل مريض في ساقه قرحة ، فأناه النبي شعيا وقال له : إن الله يأمرك أن توصي وتعهده فإنك ميت ، فأقبل الملك على

1) Cor. 17, vs. 4—8.

الدعاء والتضرع . فاستجاب الله له ، فأوحى الله إلى شعيا أنه قد زاد في عمر الملك صدقية خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب ، فلما قال له ذلك، زال عنه الألم وجاءته الصحة .

ثم إن الله أرسل على عساكر سنحاريب ملكاً صاح بهم فماتوا غير ستة نفر ، منهم : سنحاريب وخمسة من كتّابه ، أحدهم بخت نصر في قول بعضهم . فخرج صدقية وبنو إسرائيل إلى معسكرهم فغنموا ما فيه والتمسوا سنحاريب فلم يجدوه ، فأرسل الطلب في أثره فوجدوه ومعه أصحابه ، فأخذوهم وقيّدوهم وحملوهم إليه ، فقال لسنحاريب : كيف رأيت صنع ربنا بك ؟ فقال : قد أتاني خبر ربكم ونصره إيتاكم فلم أسمع ذلك ، فطاف بهم حول بيت المقدس ثم سجنهم .

فأوحى الله إلى شعيا يأمر الملك بإطلاق سنحاريب ومن معه . فأطلقهم ، فعادوا إلى بابل وأخبروا قومهم بما فعل الله بهم وبعساكرهم ، وبقي بعد ذلك سبع سنين ثم مات .

وقد زعم بعض أهل الكتاب أن بني إسرائيل سار إليهم قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل يقال له كفروا ، وكان بخت نصر ابن عمه وكتابه ، وأن الله أرسل عليهم ريحاً فأهلك جيشه وأفلت هو وكتابه . وأن هذا البابلي قتل ابن له ، وأن بخت نصر غضب لصاحبه فقتل ابنه الذي قتله ، وأن سنحاريب سار بعد ذلك وكان ملكه بنيوى وغزا مع ملك أذربيجان يومئذ بني إسرائيل فأوقع بهم ، ثم اختلف سنحاريب وملك أذربيجان وتجاربا حتى تفانى عسكراهما ، فخرج بنو إسرائيل وغنموا ما معهم .

وقيل : كان ملك سنحاريب إلى أن توفي تسعاً وعشرين سنة ، وكان

1) A. et B. كيفرو .

ملك بني إسرائيل الذي حصره سنحاريب حزقيا ، فلما توفي حزقيا ملك بعده ابنه منثي خمسا وخمسين سنة ، ثم ملك بعده آمون إلى أن قتله أصحابه اثني عشرة سنة ، ثم ملك ابنه يوشيا إلى أن قتله فرعون مصر الأجدع¹ إحدى وثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده ياهو أهاز بن يوشيا ، فعزله فرعون الأجدع¹ واستعمل بعده يوياقيم بن ياهو أهاز ووظف عليه خراجاً يحمله إليه ، وكان ملكه اثني عشرة سنة ، ثم ملك بعده يوياحين ، فغزاه بخت نصر وأشخصه إلى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه ، وملك بعده يقونيا ابن عمته ، وسمّاه صدقية ، وخالفه فغزاه وظفر به وحمله إلى بابل وذبح ولده بين يديه وسمل عينيه وخرّب بيت المقدس والهيكل وسبى بني إسرائيل وحملهم إلى بابل ، فمكثوا إلى أن عادوا إليه ، على ما نذكره إن شاء الله ؛ وكان جميع ملك صدقية إحدى عشرة سنة .

وقيل : إن شعيأ أوحى الله إليه ليقوم في بني إسرائيل يذكرهم بما يوحى الله على لسانه لما كثرت فيهم الأحداث ، ففعل ، فعدوا عليه ليقتلوه ، فهرب منهم ، فلقبه شجرة فانفلقت له ، فدخلها ، وأخذ الشيطان بهدب ثوبه وأراه بني إسرائيل ، فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتى قطعوه في وسطها .
وقيل في أسماء ملوكهم غير ذلك ، تركناه كراهة التطويل ولعدم الثقة بصحة النقل به .

.....
1) الأجدع 8 .

ذكر ملك هراسب¹ وابنه بشتاسب وظهور زرادشت

قد ذكرنا أن كيخسرو لما حضرته الوفاة عهد إلى ابن عمه هراسب بن كيوخي بن كيكاووس ، فهو ابن ابن كيكاووس ، فلما ملك اتخذ سريراً من ذهب وكتله بأنواع الجواهر وبُنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ وسمّاها الحسناء ، ودون الدواوين ، وقوى ملكه بانتخابه الجنود ، وعمر الأرض ، وجبى الخراج لأرزاق الجند .

واشتدت شوكة الترك في زمانه فترل مدينة بلخ لقتالهم ، وكان محموداً عند أهل مملكته شديد القمع لأعدائه² المجاورين له ، شديد التفقد لأصحابه ، بعيد الهمة ، عظيم البنيان ، وشقّ عدة أنهار ، وعمر البلاد ، وحمل إليه ملوك الهند والروم والمغرب الخراج ، وكاتبوه بالتمليك هبةً له وحنراً منه .

ثمّ إنّه تنسك وفارق الملك واشتغل بالعبادة واستخلف ابنه بشتاسب³ في الملك ، وكان ملكه مائة وعشرين سنة ، وملك بعده ابنه بشتاسب ، وفي أيامه ظهر زرادشت بن سقيمان الذي ادعى النبوة وتبعه المجوس ، وكان زرادشت فيما يزعم أهل الكتاب من أهل فلسطين يخدم لبعض تلامذة إرميا النبيّ خاصّاً به ، فخانه وكذب عليه ، فدعا الله عليه فبرص ولحق ببلاد أذربيجان وشرع بها دين المجوس .

وقيل : إنّه من العجم . وصنّف كتاباً وطاف به الأرض ، فما عرف

1) et sqq. : S. بهراسب .

2) B. et S. للمارك .

3) S. كيشتاب .

أحد معناه ، وزعم أنها لغة سماوية خوطب بها ، وسمّاه : اشتا ، فسار من أذربيجان إلى فارس ، فلم يعرفوا ما فيه ولم يقبلوه ، فسار إلى الهند وعرضه على ملوكها ، ثم أتى الصين والترك فلم يقبله أحد وأخرجوه من بلادهم ، وقصد فرغانة ، فأراد ملكها أن يقتله فهرب منها وقصد بشتاسب بن لهراسب ، فأمر بحبسه ، فحبس مدة . وشرح زرادشت كتابه وسمّاه : زند ، ومعناه : التفسير ، ثم شرح الزند بكتاب سمّاه : بازند ، يعني : تفسير التفسير . وفيه علوم مختلفة كالرياضات وأحكام النجوم والطب وغير ذلك من أخبار القرون الماضية وكتب الأنبياء . وفي كتابه : تمسكوا بما جئتكم به إلى أن يجيثكم صاحب الحمل الأحمر ، يعني محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، وذلك على رأس ألف سنة وست مائة سنة . وبسبب ذلك وقعت البغضاء بين المجوس والعرب . ثم يذكر عند أخبار سابور ذي الأكتاف أن من جملة الأسباب المهيجة لغزوة العرب هذا القول ؛ والله أعلم .

ثم إن بشتاسب أحضر زرادشت ، وهو يبلغ ، فلما قدم عليه شرع له دينه ، فأعجبه واتبعه وقهر الناس على اتباعه وقتل منهم خلقاً كثيراً حتى قبلوه ودانوا به .

وأما المجوس فيزعمون أن أصله من أذربيجان ، وأنه نزل على الملك من سقف إيوانه ويده كبة من نار يلعب بها ولا تحرقه ، وكل من أخذها من يده لم تحرقه ، وأنه اتبعه الملك ودان بدينه وبني بيوت النيران في البلاد وأشعل² من تلك النار في بيوت النيران ، فيزعمون أن النيران التي في بيوت عباداتهم من تلك إلى الآن .

وكذبوا فإن النار التي للمجوس طففت في جميع البيوت لما بعث الله

1) Tota periodus in A. et B. om.

2) وانتقل من تلك نار بيوت النيران B.

عمّداً ، صلى الله عليه وسلم ، على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

وكان ظهور زرادشت بعد مضيّ ثلاثين سنة من ملك بشتاسب ، وأتاه بكتاب زعم أنه وحي من الله تعالى . وكتب في جلد اثني عشر ألف بقرة حفرأً ونقشاً بالذهب ، فجعله بشتاسب في موضع بإصطخر ومنع من تعليمه العامة .

وكان بشتاسب وآباؤه قبله يدينون بدين الصابئة . وسيرد باقي أخباره .

٤.

ذكر مسير بخت نصر إلى بني إسرائيل

قد اختلف العلماء في الوقت الذي أرسل فيه بخت نصر على بني إسرائيل ،
فقيل : كان في عهد إرميا النبي ودانيل وحنانيا^١ وعزاريا وميشائيل^٢ . وقيل :
إنما أرسله الله على بني إسرائيل لما قتلوا يحيى بن زكرياء . والأول أكثر .

وكان ابتداء أمر بخت نصر ما ذكره سعيد بن جبير قال : كان رجل
من بني إسرائيل يقرأ الكتب ، فلما بلغ إلى قوله تعالى : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ
عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾^٢ . قال : أي ربّ أرنى هذا الرجل الذي
جعلت هلاك بني إسرائيل على يده . فأري في المنام مسكيناً يقال له بخت نصر
ببابل ، فسار على سبيل التجارة إلى بابل وجعل يدعو المساكين ويسأل عنهم
حتى دلّوه على بخت نصر ، فأرسل من يحضره ، فرآه صعلوكاً مريضاً ،
فقام عليه في مرضه يعالجه حتى برأ ، فلما برأ أعطاه نفقة وعزم على السفر ،
فقال له بخت نصر وهو يبكي : فعلت معي ما فعلت ولا أقدر على مجازاتك !
قال الإسرائيلي : بلى تقدر عليه ، تكتب لي كتاباً إن ملكت أطلقني . فقال :
أستهزىء بي ؟ فقال : إنما هذا أمر لا محالة كائن .

ثم إن ملك الفرس أحب أن يطلع على أحوال الشام ، فأرسل إنساناً يتق

1) A. et B. وميشائيل .

2) Corani 17, vs. 5.

به ليتعرف له أخباره وحال من فيه ، فسار إليه ومعه بخت نصر فقير لم يخرج إلا للخدمة . فلما قدم الشام رأى أكبر بلاد الله خيلاً ورجالاً وسلاحاً ، ففت ذلك في ذرعه ، فلم يسأل عن شيء ، وجعل بخت نصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول لهم : ما يمنعكم أن تغزوا بابل ، فلو غزوتموها ما دون بيت ما لها شيء ! فكلتهم يقول له : لا نحسن القتال ولا نراه . فلما عادوا أخبر الطليعة بما رأوا من الرجال والسلاح والخيال ، وأرسل بخت نصر إلى الملك يطلب إليه أن يحضره ليعرفه جليّة الحال ، فأحضره ، فأخبره بما كان جميعه ، ثم إن الملك أراد أن يبعث عسكرياً إلى الشام أربعة آلاف راكب جريده ، واستشار فيمن يكون عليهم ، فأشاروا ببعض أصحابه ، فقال : لا بل بخت نصر ، فجعله عليهم . فساروا فغنموا وأوقعوا ببعض البلاد وعادوا سالمين .

ثم إن هراسب استعمله أصبهذ على ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربي دجلة ؛ وكان السبب في مسيره إلى بني إسرائيل أنه لما استعمله هراسب كما ذكرنا سار إلى الشام فصالحه أهل دمشق وبيت المقدس ، فعاد عنهم وأخذ رهائنهم ، فلما عاد من القدس إلى طبرية وثبّ بنو إسرائيل على ملكهم الذي صالح بخت نصر فقتلوه وقالوا : داهنت أهل بابل وخذلتنا ، فلما سمع بخت نصر [بذلك] قتل الرهائن الذين معه وعاد إلى القدس فأخبره .

وقيل : إن الذي استعمله إنما كان الملك بهمن بن بشتاسب بن هراسب ، وكان بخت نصر قد خدم جدّه وأباه وخدمه وعمّر عمراً طويلاً . فأرسل بهمن رسلاً إلى ملك بني إسرائيل بيت المقدس فقتلهم الإسرائيليّ ، فغضب

١ يتى إليه .

٢ وثبوا .

بهم من ذلك واستعمل بخت نصر على أقاليم¹ بابل وسيره في الجنود الكثيرة ،
فعمل بهم ما نذكره .

هذه الأسباب الظاهرة وإنما السبب الكلي الذي أحدث هذه الأسباب
الموجبة للانتقام من بني إسرائيل هو معصية الله تعالى ومخالفة أوامره ، وكانت
سنة الله تعالى في بني إسرائيل أنه إذا ملك عليهم ملكاً أرسل معه نبياً يرشده
ويهديه إلى أحكام التوراة . فلما كان قبل مسير بخت نصر إليهم كثرت فيهم
الأحداث والمعاصي ، وكان الملك فيهم يقونيا بن يوباقيم ، فبعث الله إليه
إرميا ، قيل : هو الحضر ، عليه السلام ، فأقام فيهم يدعوهم إلى الله وينهاهم
عن المعاصي ويذكر لهم نعمة الله عليهم بإهلاك سنحاريب ، فلم يراعوا .
فأمره الله أن يحذرهم عقوبته وأنه إن لم يراجعوا الطاعة سلط عليهم من
يقتلهم ويسبي ذراريهم ويحرب مدينتهم ويستعبدهم ويأتيهم بجنود ينزع من
قلوبهم الرأفة والرحمة . فلم يراجعوها فأرسل الله إليه : لأقيضن لهم فتنه
نذر الحليم² حيران¹ ويضل فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم ، ولأسلطن
عليهم جباراً قاسياً عاتياً ألبسه الهيبة وأثرع من صدره الرحمة ، يتبعه عدد
مثل سواد الليل ، وعساكر مثل قطع السحاب ، يهلك بني إسرائيل وينتقم
منهم ويحرب بيت المقدس .

فلما سمع إرميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه . وجعل الرماد على رأسه
وتضرع إلى الله في رفع ذلك عنهم في أيامه .

فأوحى الله إليه : وعزتي لا أهلك بيت المقدس وبني إسرائيل حتى

1) إقليم .

2) الحكيم .

يكون الأمر من قبلك في ذلك . ففرح إرميا ، وقال : لا والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق¹ لا أمر بهلاك بني إسرائيل أبداً .

وأتى ملك بني إسرائيل فأعلمه بما أوحى إليه ، فاستبشر وفرح ، ثم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين ولم يزدادوا إلا معصيةً وتمادياً في الشر ، وذلك حين اقترب هلاكهم ، فقل² الوحي حيث لم يكونوا هم يتذكرون . فقال لهم ملكهم : يا بني إسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يأتكم عذابُ الله ! فلم يتهوا ، فألقى الله في قلب بخت نصر أن يسير إلى بني إسرائيل بيت المقدس ، فسار في العساكر الكثيرة التي تملأ الفضاء .

ويبلغ ملك بني إسرائيل الخبر ، فاستدعى إرميا النبي ، فلما حضر عنده قال له : يا إرميا أين ما زعمت أن ربك أوحى إليك أن لا يهلك بيت المقدس حتى يكون الأمر منك ؟ فقال إرميا : إن ربي لا يخلف الميعاد وأنا به واثق .

فلما قرب الأجل ودنا انقطاع ملكهم وأراد الله إهلاكهم أرسل الله ملكاً في صورة آدمي إلى إرميا وقال له : استفتني . فأناه وقال له : يا إرميا أنا رجل من بني إسرائيل أستفتيك في ذوي رحمي ، وصلت أرحامهم بما أمرني الله به وأتيت إليهم حسناً وكرامة فلا تزيدهم كرامتي إياهم إلا سخطاً لي وسوء سيرة معي فأفتني فيهم . فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله وصل ما أمرك الله به أن تصله . فانصرف عنه الملك ثم عاد إليه بعد أيام في تلك الصورة ، فقال له إرميا : أما طهرت أخلاقهم وما رأيت منهم ما تريد ؟ قال : والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيا أحد من الناس إلى ذوي رحمه إلا وقد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك فلم يزدادوا إلا سوء سيرة .

1) B. add. وتبناه بالحق .

2) B. فقد .

فقال : ارجع إلى أهلك وأحسن إليهم . فقام الملكُ من عنده فلبث أياماً ، ونزل بنح نصر على بيت المقدس بأكثر من الجراد ، ففزع منهم بنو إسرائيل وقال ملكهم لإرميا : أين ما وعدك ربك ؟ فقال : إنني بربّي واثق .

ثم إن الملك الذي أرسله الله يستفتي إرميا عاد إليه وهو قاعد على جدار بيت المقدس فقال مثل قوله الأوّل وشكا أهله وجورهم وقال له : يا نبيّ الله كلّ شيء كنت أصبر عليه قبل اليوم لأنّ ذلك كان فيه سخطي ، وقد رأيتهم اليوم على عمل عظيم من سخط الله تعالى ، فلو كانوا على ما كانوا عليه اليوم لم يشتدّ عليهم غضبي ، وإنما غضبتُ اليومَ لله وأتيتك لأخبرك خبرهم ، وإنني أسألك بالله الذي بعثك بالحقّ إلا ما دعوتَ الله عليهم أن يهلكوا . فقال إرميا : يا ملك السموات والأرض إن كانوا على حقّ وصواب فأبقهم ، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم . فلما خرجت الكلمة من فيه أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس والنهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها .

فلما رأى ذلك إرميا صاح وشقّ ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال : يا ملك السموات والأرض ، يا أرحم الراحمين ! أين ميعادك ، أيا ربّ، الذي وعدتني به ؟ فأوحى الله إليه أنّه لم يصبهم ما أصابهم إلاّ بفتياك التي أفتيت رسولنا ، فاستيقن أنّها فتياه وأنّ السائل كان من عند الله ، وخرج إرميا حتى خالط الوحش ، ودخل بنح نصر وجنوده بيت المقدس ، فوطئ الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم ، وخرّب بيت المقدس وأمر جنوده ، فحملوا التراب وألقوه فيه حتى ملأوه ، ثمّ انصرف راجعاً إلى بابل وأخذ معه سبايا بني إسرائيل ، وأمرهم ، فجمعوا من كان في بيت المقدس كلّهم ، فاجتمعوا واختار منهم مائة ألف صبيّ فقسّمهم على الملوك والقواد الذين كانوا معه ، وثمان من أولئك الغلمان دانيال النبيّ وحنانيا وعزاريّا وميشائيل ، وقسم بني

إسرائيل ثلاث فرق^١ ، فقتل ثلثاً ، وأقرّ بالشام ثلثاً ، وسبي ثلثاً ، ثمّ عمر الله بعد ذلك إرميا ، فهو الذي رُئي بفلوات الأرض والبلدان .

ثمّ إنّ بخت نصر عاد إلى بابل وأقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم . ثمّ رأى رؤيا ، فبينما هو قد أعجبه ما رأى إذ رأى شيئاً أنساه ما رأى ، فدعا دانيال وحنانيا وعزارياء وميشائيل وقال : أخبروني عن رؤيا رأيتموها فأنسيتها ، ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لأنزعنّ أكتافكم ! فخرجوا من عنده ودعوا الله وتضرّعوا إليه وسألوه أن يُعلمهم إياها ، فأعلمهم الذي سألمهم [عنه] ، فجاءوا إلى بخت نصر فقالوا : رأيتَ تمثالاً . قال : صدقتم . قالوا : قدماء وساقاه من فخّار وركبتاه وفخذه من نحاس وبطنه من فضّة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد ، فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك أرسل الله عليه صخرة من السماء فدقته ، وهي التي أنستك الرؤيا ! قال : صدقتم ، فما تأويلها ؟ قالوا : أريتَ مُلْكَ الملوك ، وبعضهم كان ألين ملكاً من بعض ، وبعضهم كان أحسن ملكاً من بعض ، وبعضهم أشدّ . وكان أوتى الملك الفخّار ، وهو أضعفه وألينه ، ثمّ كان فوقه النحاس ، وهو أفضل منه وأشدّ ، ثمّ كان فوق النحاس الفِضّة ، وهي أفضل من ذلك وأحسن ، ثمّ كان فوقها الذهب ، وهو أحسن من الفِضّة وأفضل ، ثمّ كان الحديد ، وهو ملكك ، فهو أشدّ الملوك وأعزّ^٢ . وكانت الصخرة التي رأيتَ قد أرسل الله من السماء فدقت ذلك جميعه^٣ نبيّاً يبعثه الله من السماء ويصير الأمر إليه .

فلما عبّر دانيال ومن معه رؤيا بخت نصر قرّبهم وأدناهم واستشارهم

1) B. add. . قسم أي ثلاث فرق . 2) S. . وأعز من كان قبله .

3) B. . فيدق ذلك أجمع . S. et A. add. السماء post ; فدقته .

١ أرسل الله ملكاً من السماء فدقّ ذلك جميعه .

في أمره ، فحسداهم أصحابه^١ وسعوا بهم إليه وقالوا عنهم ما أوحشه منهم ، فأمر ، فحفر لهم أخدود وألقاهم فيها^٢ ، وهم ستة رجال ، وألقى معهم سبباً ضارياً ليأكلهم ، ثم قال^٣ أصحاب بخت نصر : انطلقوا فلناكل ولنشرب ، فذهبوا فأكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه بينهم لم يخذش منهم أحداً ، ووجدوا معهم رجلاً سابعاً ، فخرج إليهم السابع ، وكان ملكاً من الملائكة ، فلطم بخت نصر لطمه فمسخه وصار في الوحش في صورة أسد ، وهو مع ذلك يعقل ما يعقله الإنسان ، ثم رده الله إلى صورة الإنس وأعاد عليه ملكه ، فلما عاد إلى ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه ، فعاد^٤ الفرس وسعوا بهم إلى بخت نصر وقالوا له في سعائتهم : إن دانيال إذا شرب الخمر لا يملك نفسه من كثرة البول ، وكان ذلك عندهم عاراً ، فصنع لهم بخت نصر طعاماً وأحضره عنده وقال للبواب : انظر أول من يخرج ليبول فاقتله ، وإن قال لك : أنا بخت نصر ، فقل له^٥ : كذبت ، بخت نصر أمرني بقتلك [واقته] .

فحبس الله عن دانيال البول ، وكان أول من قام من الجمع بخت نصر فقام مدلاً أنه الملك^١ . وكان ذلك ليلاً ، فلما رآه البواب شد عليه ليقتله . فقال له : أنا بخت نصر ! فقال : كذبت ، بخت نصر أمرني بقتلك ، وقتله .

١ . لا يقدم أحد عليه S. add. الملك post 1)

١ فحسده أصحابهم .

٢ وألقاهم فيها .

٣ ثم قالوا .

٤ فعادوا .

٥ أنا بخت نصر فاقتله ، فقل له .

وقيل في سبب قتله : إن الله أرسل عليه بعوضةً فدخلت في منخره وصعدت إلى رأسه ، فكان لا يقرّ ولا يسكن حتى يدقّ رأسه ، فلما حضره الموت قال لأهله : شقّوا رأسي فانظروا ما هذا الذي قتني . فلما مات شقّوا رأسه فوجدوا البعوضة بأماً¹ رأسه ، ليُري الله العباد قدرته وسلطانه وضعف بخت نصر ، لما تجبّر قتله بأضعف مخلوقاته ، تبارك الذي بيده ملكوت كل شيء ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

وأما دانيال فإنه أقام بأرض بابل وانتقل عنها ومات ودُفن بالسوس من أعمال خوزستان .

ولما أراد الله تعالى أن يردّ بني إسرائيل إلى بيت المقدس كان بخت نصر قد مات ، فإنه عاش بعد تخريب بيت المقدس أربعين سنة ، في قول بعض أهل العلم ، وملك بعده ابن² له يقال [له] أولمردج¹ ، فملك الناحية ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم هلك وملك ابن³ له بلناصر سنة² ، فلما ملك تخلّط في أمره ، فعزله ملك الفرس حينئذٍ ؛ وهو مختلف فيه على ما ذكرناه ؛ واستعمل بعده داريوش على بابل والشام ، وبقي ثلاثين سنة² ، ثم عزله واستعمل مكانه أخشويرش ، فبقي أربع عشرة سنة ، ثم ملك ابنه كيرش العلمي ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة . وكان قد تعلّم التوراة ودان باليهودية ، وفهم عن دانيال ومن معه مثل حنانيا وعزاريا وغيرهما ، فسألوه أن يأذن لهم في الخروج إلى بيت المقدس ، فقال : لو كان بقي منكم ألف نبيّ - ما فارقتكم³ ، وولّي دانيال القضاء وجعل إليه جميع أمره ، وأمره أن يقسم ما غنمه⁴ بخت نصر من بني إسرائيل

1) البعوضة عاضة بأماً S.

2) ثلاث سنين A. et B.

3) بما فارقتني A. et B.

4) يقسم جميع ما بقي مما غنمه S.

١ (في بعض النسخ : والمردج) .

عليهم ، وأمره بعمارة بيت المقدس ، فعمّر في أيامه ، وعاد إليه بنو إسرائيل .

وهذه المدّة لهؤلاء الملوك معدودة من خراب بيت المقدس منسوبة إلى بخت نصر ، وكان ملك كيرش اثنتين وعشرين سنة .

وقيل : إنّ الذي أمر بعود بني إسرائيل إلى الشام بشتاسب بن هراسب ، وكان قد بلغه خراب بلاد الشام ، وأنها لم يبقَ بها من بني إسرائيل أحد ، فنأدى في أرض بابل : مَنْ شاء من بني إسرائيل أن يرجع إلى الشام فليرجع . وملك عليهم رجلاً من آل داود وأمره أن يعمر بيت المقدس ، فرجعوا وعمره .

وكان إرميا بن خلقيا^١ من سبط هارون بن عمران ، فلما وطىء بخت نصر الشام وخرّب بيت المقدس وقتل بني إسرائيل وسباهم ، فارق البلاد واختلط بالوحش ، فلما عاد بخت نصر إلى بابل أقبل إرميا على حمار له معه عصير عنب وفي يده سلّة تين فرأى بيت المقدس خراباً فقال : ﴿ أَنْتَى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ! فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾^٢ ثمّ أمات حماره وأعمى عنه العيون ، فلما انعم بيت المقدس أحيا الله من إرميا عينيه ، ثمّ أحيا جسده ، وهو ينظر إليه ، وقيل له : ﴿ كَمْ لَبِثْتَ ؟ قَالَ : لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾^٣ . قيل : ﴿ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ، فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ - وَبِتَغْيِيرٍ - وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾^٤ فنظر إلى عظام حماره وهي تجتمع بعضها إلى بعض ، ثمّ كسي لحمًا . ثمّ

١ . لم يتسنه أي لم يتغير . S (1)

١ (في بعض النسخ : حزقيا) .

٢ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٢٥٩) .

قام حياً بإذن الله ، ونظر إلى المدينة وهي تُبنى ، وقد كثر فيها بنو إسرائيل وتراجعوا إليها من البلاد ، وكان عهدا خراباً ، وأهلها ما بين قتيل وأسير ، فلما رآها عامرة ﴿ قَالَ : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^١ .

وقيل : إن الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه كان عزيزاً ، فلما عاش قصد منزله^٢ من بيت المقدس على وهم منه فرأى عنده^٣ عجوزاً عمياء زمته كانت جارياً له ، ولها من العمر مائة وعشرون سنة ، فقال لها : هذا منزل عزيز؟ قالت : نعم ، وبكت وقالت : ما أرى أحداً يذكر عزيزاً غيرك ! فقال : أنا عزيز . فقالت : إن عزيزاً كان مجاب الدعوة ، فادعُ الله لي بالعافية ، فدعا لها فعاد بصرها وقامت ومشيت ، فلما رآته عرفته . وكان لعزيز ولد^٤ وله من العمر مائة وثلاث^١ عشرة سنة ، وله أولاد شيوخ ، فذهبت إليهم الجارية وأخبرتهم به ، فجاؤوا^٢ ، فلما رأوه عرفه ابنه بشامة كانت في ظهره .

وقيل : إن عزيزاً كان مع بني إسرائيل بالعراق ، فعاد إلى بيت المقدس فجدد لبني إسرائيل التوراة لأنهم عادوا إلى بيت المقدس ، ولم يكن معهم التوراة لأنها كانت قد أخذت فيما أخذ وأحرقت وهدمت ، وكان عزيز قد أخذ مع السبي ، فلما عاد عزيز إلى بيت المقدس مع بني إسرائيل جعل يبكي ليلاً ونهاراً^٣ وانفرد عن الناس ، فبينما هو كذلك في حزنه^٤ إذ أقبل إليه رجل ، وهو جالس ، فقال : يا عزيز ما يبكيك ؟ فقال : أبكي لأن

1) B. عثمان .

2) S. فجاؤوا إليه .

3) S. et A. ليله ونهاره .

4) B. خربة .

١ (سورة البقرة ٢ ، الآية ٢٥٩) .

٢ منزله .

٣ عندها .

كتاب الله وعهده كان^١ بين أظهرنا فعدم . قال : فتريد أن يردّه الله عليكم ؟
 قال : نعم . قال : فارجعْ وصم وتطهّر والميعاد بيننا غداً هذا المكان . ففعل
 عزيز ذلك وأتى المكان فانتظره ، وأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء ، وكان ملكاً
 بعثه الله في صورة رجل ، فسقاه من ذلك الإناء ، فتمثلت التوراة في صدره ،
 فرجع إلى بني إسرائيل فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وحدودها ،
 فأحبّوه حبّاً شديداً لم يحبّوا شيئاً قطّ مثله ، وأصلح أمرهم ، وأقام عزيز
 بينهم ، ثمّ قبضه اللهُ إليه على ذلك ، وحدثت فيهم الأحداثُ ، حتى قال
 بعضهم : عزيز ابن الله . ولم يزل بنو إسرائيل بيت المقدس ، وعادوا وكثروا
 حتى غلبت عليهم الرومُ زمن ملوك الطوائف ، فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة .
 وقد اختلف العلماء في أمر بخت نصر وعمارة بيت المقدس اختلافاً كثيراً
 تركنا ذكره اختصاراً .

ذكر غزو بخت نصر العرب

قيل : أوحى اللهُ إلى برخيا بن حنيا^٢ بأمره أن يقول لبخت نصر ليغزو
 العرب فيقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم ويستبيح أموالهم عقوبة لهم على كفرهم .
 فقال برخيا لبخت نصر ما أمر به ، فابتدأ بمن في بلاده من تجّار العرب فأخذهم
 وبنى لهم حبيراً^٣ بالنّجف وحبسهم فيه ووكل بهم ، وانتشر الخبرُ في العرب ،
 فخرجت إليه طوائف منهم مستأمنين ، فقبلهم وعفا عنهم فأنزلهم السواد ،

١ وعهده الذي كان .

٢ (في الطبري : أحنيا) .

٣ (ما أثبتناه عن معجم البلدان مادة الحيرة ، وفي الأصل : حرّان) .

فابتنوا الأنبار ، وختى عن أهل الحيرة فاتخذوها منزلاً حياة بخت نصر^١ .
 فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار ، وهذا أول سكنى العرب السواد بالحيرة
 والأنبار . وسار إلى العرب بنجد والحجاز ، فأوحى الله إلى برخيا وإرميا
 بأمرهما أن يسيرا إلى معد بن عدنان فيأخذه ويحملاه إلى حران ،
 وأعلمهما أنه يخرج من نسله محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الذي ينتم
 به الأنبياء . فسارا تطوى لهما المنازل والأرض حتى سبقا بخت نصر إلى معد ،
 فحملاه إلى حران في ساعتها ، ولمعد حينئذ اثنا عشرة سنة ، وسار بخت
 نصر فلقى جموع العرب فقاتلهم فهزمهم وأكثر القتل فيهم ، وسار إلى الحجاز
 فجمع عدنان العرب والتقى هو وبخت نصر بذات عرق فاقتلوا قتالاً شديداً ،
 فانهزم عدنان وتبعه بخت نصر إلى حصون هناك ، واجتمع عليه العرب وخذق
 كل واحد من الفريقين على نفسه وأصحابه ، فكمن بخت نصر كميناً ،
 وهو أول كمين عمل ، وأخذتهم السيوف ، فنادوا بالويل ، ونهى عدنان
 عن بخت نصر ، وبخت نصر عن عدنان ، فافترقا ، فلما رجع بخت نصر
 خرج معد بن عدنان مع الأنبياء حتى أتى مكة فأقام أعلامها وحج وحج معه
 الأنبياء ، وخرج معد حتى أتى ريسوت^٢ . وسأل عمن بقي من ولد الحرث
 ابن مضاخ^٢ الجرهمي ، فقيل له : بقي جوشم بن جلهمه ، فتزوج معد
 ابنته معانة ، فولدت له نزار بن معد .

1) رستوب C. P.

2) مياض B.

١ (هكذا في الأصل ، والرواية في معجم البلدان مادة « الحيرة » عن هشام بن محمد :
 « وختى عن أهل الحيرة فابتنوا في موضعه وسموها الحيرة لأنه كان حيراً مبنياً ، وما
 زالوا كذلك مدة حياة بخت نصر . ») .

٢ (في الأصل : ريشوب . وفي الطبري : ريسوب . وفي معجم البلدان أن ريسوت موئل
 كالقلمة في منتصف الساحل ما بين ضمان وعلدن .) .

ذكر بشتاسب والحوادث في ملكه وقتل أبيه هراسب

لما ملك بشتاسب بن هراسب ضبط الملك وقرّر قوانينه وابتنى بفارس مدينة فسّاء ورتب سبعة من عظماء أهل مملكته مراتب وملك كل واحد منهم مملكة على قدر مرتبته ، ثمّ إنّه أرسل إلى ملك الترك ، واسمه خرزاسف ، وهو أخو أفراسياب ، وصالحه ، واستقرّ الصلح على أن يكون لبشتاسب دابة واقفة على باب ملك الترك لا تزال على عاداتها على أبواب الملوك ، فلما جاء زرادشت إلى بشتاسب واتبعه على ما ذكرناه أشار زرادشت على بشتاسب بنقض الصلح مع ملك الترك ، وقال : أنا أعين لك طالعاً تسير فيه إلى الحرب فتظفر ؛ وهذا أوّل وقت وضعت [فيه] الاختيارات للملوك بالنجوم ؛ وكان زرادشت عالماً بالنجوم جيّد المعرفة بها ، فأجابه^١ بشتاسب إلى ذلك ، فأرسل إلى الدابة التي يباب ملك الترك وإلى الموكل بها فصرفهما ، فغضب ملك الترك وأرسل إليه يهدّده وينكر عليه ذلك ويأمره بإفّاذ زرادشت إليه وإن لم يفعل غزاه وقتله وأهل بيته .

فكتب إليه بشتاسب كتاباً غليظاً يؤذنه فيه بالحرب ، وسار كل واحد منهما إلى صاحبه والتقيا واقتتلا قتالاً شديداً ، فكانت الهزيمة على الترك ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، ومروا منهزمين ، وعاد بشتاسب إلى بلخ ، وعظّم أمر

١) با. ا.

١ فأجابها .

زرادشت عند الفرس ، وعظم شأنه حيث كان هذا الظفر بقوله .

وكان أعظم الناس غناء في هذه الحرب إسفنديار بن بشتاسب ، فلما انجلت الحربُ سعى الناس بين بشتاسب وابنه إسفنديار وقالوا^١ : يريد الملك لنفسه ، فندبه لحرب بعد حرب ، ثم أخذه وحبسه مقيداً .

ثم إن بشتاسب سار إلى ناحية كرمان وسجستان وسار إلى جبل يقال له طمبدر^١ لدراسة دينه والتنسك هناك ، وخلف أباه لهراسب يبلغ شيخاً قد أبطله الكبر ، وترك بها خزائنه وأولاده ونساءه ، فبلغت الأخبار إلى ملك الترك خرزاسف ، فلما تحققها^٢ جمع عساكره وحشد وسار إلى بلخ وانتهز الفرصة بغية بشتاسب عن مملكته ، ولما بلغ بلخ ملكها وقتل لهراسب وولدَيْن لبشتاسب والمهرا بذة^٣ وأحرق الدواوين وهدم بيوت النيران وأرسل السرايا إلى البلاد ، فقتلوا وسبوا وأخربوا ، وسبى ابنتين لبشتاسب إحداهما خُماني ، وأخذ علمهم الأكبر المعروف بدرفش كايان ، وسار متبعاً لبشتاسب ، وهرب بشتاسب من بين يديه فتحصن بتلك الجبال ممّا يلي فارس ، وضاق ذرعاً بما نزل به .

فلما اشتدّ عليه الأمر أرسل إلى ابنه إسفنديار مع عالمهم جاماسب ، فأخرجه من حبسه واعتذر إليه ووعدّه أن يعهد إليه بالملك من بعده ، فلما سمع إسفنديار كلامه سجد له ونهض من عنده وجمع من عنده من الجند وبات ليلته مشغولاً بالتجهز وسار من الغد نحو عسكر الترك وملكهم ، والتقوا

1) طمبدر B. et S.

2) وجهابذة B.

١ وقال .

٢ تحقّقه .

٣ (المراهبة ، فارسية ، واحدها هيربید : خادم نار المجوس) .

واقتلوا والتحمت الحرب وحمي الوطيس ، وحمل إسفنديار على جانب من
العسكر فأثر فيه ووهته ، وتابع الحملات ، وفشا في الترك أن إسفنديار هو
المتولي لحربهم ، فانهزموا لا يلوون على شيء ، وانصرف إسفنديار وقد ارتجع
درفش كايان .

فلما دخل على أبيه استبشر به وأمره باتباع الترك ووصاه بقتل ملكهم
ومن قدر عليه من أهله ويقتل من الترك من أمكنه قتله وأن يستنقذ السبايا
والغنائم التي أخذت من بلادهم ، فسار إسفنديار ودخل بلاد الترك وقتل وسبى
وأخرب وبلغ مدينتهم العظمى ودخلها عنوة وقتل الملك وإخوته ومائتته واستباح
أمواله وسبى نساءه واستنقذ أختيه ودوخ البلاد وانتهى إلى آخر حدود بلاد
الترك وإلى التبت ، وأقطع بلاد الترك ، وجعل كل ناحية إلى رجل من وجوه
الترك بعد أن آمنهم ووظف عليهم خراجاً يحملونه كل سنة إلى أبيه بشتاسب .
ثم عاد إلى بلخ .

فحسده أبوه بما ظهر منه من حفظ الملك والظفر بالترك ، وأسر ذلك في
نفسه ، وأمره بالتجهز والمسير إلى قتال رسم الشديد بسجستان ، وقال له :
هذا رسم متوسط بلادنا ولا يعطينا الطاعة لأن الملك كيكاووس أعتقه فأقطعه
إياها ؛ وقد ذكرنا ذلك في ملك كيكاووس ؛ وكان غرض بشتاسب أن يقتله
رسم أو يقتل هو رسم ، فإنه كان أيضاً شديد الكراهة لرسم ، فجمع العساكر وسار
إلى رسم لينزع سجستان منه ، فخرج إليه رسم وقاتله ، فقتل إسفنديار ، قتله رسم .
ومات بشتاسب ، وكان ملكه مائة سنة واثنى عشرة سنة ، وقيل : مائة
وعشرين سنة ، وقيل : مائة وخمسين سنة .

وقيل : إنه جاءه رجل من بني إسرائيل زعم أنه نبي أرسل إليه واجتمع
به ببلخ ، فكان يتكلم بالعبري وزرادشت نبي المجوس يعبر عنه ، وجاماسب
العالم هو حاضر معهم يترجم أيضاً عن الإسرائيلي . وكان بشتاسب ومن قبله
من آباءه وسائر الفرس يدينون بدين الصابئة قبل زرادشت .

ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيتام كيكاووس إلى أيتام بهمن بن إسفنديار

تد مضي ذكر الخبر عَمَّنْ زعم أن كيكاووس كان في عهد سليمان ابن داود ، وقد ذكرنا مَنْ كان في عهد سليمان من ملوك اليمن والخبر عن بلقيس بنت ايلشرح¹ ، وصار الملك بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له أنعم الانعام . قال أهل اليمن : إنه سار غازياً نحو المغرب حتى بلغ وادياً يقال له وادي الرمل . ولم يبلغه أحد قبله ، فلما انتهى إليه لم يجد وراءه مجازاً لكثرة الرمل ، فبينما هو مقيم عليه إذ انكشف الرمل فأمر رجلاً يقال له عمرو أن يعبر هو وأصحابه ، فعبروا ، فلم يرجعوا ، فلما رأى ذلك أمر بنصب صنم نحاس ، فصنع ثم نُصب على صخرة على شفير الوادي وكتب على صدره بالمسند : هذا الصنم لياسر أنعم الحميري ، ليس وراءه مذهب فلا يتكلفن أحد ذلك فيعطب .

وقيل : إن وراء ذلك الرمل قوماً من أمة موسى ، وهم الذين عنى الله بقوله : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾² ، والله أعلم .

ثم ملك بعده تَبَع ، وهو تَبَان³ ، وهو أسعد ، وهو أبو كرب بن ملكيكرب⁴ تبع بن زيد بن عمرو بن تبع ، وهو ذو الأذتار بن أبرهة تبع في المنار بن الرايش بن قيس بن صيفي بن سبأ ، وكان يقال له الزايد ، وكان

1) B. المنشرح ; cfr. pag. ٢٢٠

2) Corani 7, vs. 159.

3) Codd. بنان .

4) ملككرب : B. ملكيكرب A.

تبع هذا في أيام بشتاسب وأردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، وإنه شخص متوجّهاً من اليمن في الطريق الذي سلكه الرايش حتى خرج على جبلتيّ طيء ، ثمّ سار يريد الأنبار ، فلما انتهى إلى موضع الحيرة تحيّر ، وكان ليلاً ، فأقام بمكانه ، فسمّي ذلك المكان بالحيرة ، وخلف به قوماً من الأزد ولحم وجُذام وعاملة وقُضاة ، فبنوا وأقاموا به . ثمّ انتقل إليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب والسكون وبلحرت بن كعب وإياد ، ثمّ توجه إلى الموصل ، ثمّ إلى أذربيجان ، فلقى الترك فهزمهم ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، ثمّ عاد إلى اليمن ، فهابته الملوك وأهدوا إليه . وقدمت عليه هديّة ملك الهند ، وفيها تحف كثيرة من الحرير والمسك والعود وسائر طرف الهند ، فرأى ما لم ير مثله ، فقال للرسول : كلّ هذا في بلدكم ؟ فقال : أكثره من بلد الصين ، ووصف له بلد الصين ، فحلف ليغزونها ، فسار بحميّر حتى أتى إلى الركاك وأصحاب القلانس السود ، ووجه رجلاً من أصحابه يقال له ثابت نحو الصين في جمع عظيم ، فأصيب ، فسار تبع حتى دخل الصين ، فقتل مقاتلتها واكتسح¹ ما وجد فيها ، وكان مسيره ومقامه ورجعته في سبع سنين .

ثمّ إنه خلف بالتبّت اثني عشر ألف فارس من حميّر ، فهم أهل التّبّت ، ويزعمون أنّهم عرب ، وألوانهم ألوان² العرب وخلقهم .

هكذا ذكر ، وقد خالف هذه الرواية كثير من أصحاب السّيّر والتواريخ ، وكلّ واحد منهم خالف الآخر ، وقدم بعضهم من آخره الآخر ، فلم يحصل منهم كثير فائدة ، ولكن نقل ما وجدنا مختصراً .

1) واكتسب . B .

2) ألوانهم وخلقهم ألوان S. et B .

ذكر خبر أردشير بهمن وابنته خماني

ثمّ ملك بعد بشتاسب ابن ابنه أردشير بهمن بن إسفنديار، وكان مظفراً في مغازيه، وملك أكثر من أبيه، وقيل: إنه ابنتي بالسواد مدينة وسمّاها اياوان أردشير، وهي القرية المعروفة بهمينيا بالزاب الأعلى، وابنتي بكور دجلة الأبلّة، وسار إلى سجستان طالباً بثأر أبيه، فقتل رسم وأباه دستان وابنه فرامرز.

وبهمن هو أبو دارا الأكبر، وأبو ساسان أبي ملوك الفرس الأحرار أردشير ابن بابك وولده، وأمّ دارا خماني ابنة بهمن، فهي أخته وأمه.

وغزا بهمن رومية الداخلة في ألف ألف مقاتل، وكان ملوك الأرض يحملون إليه الإتاوة، وكان أعظم ملوك الفرس شأناً وأفضلهم تدبيراً.

وكانت أمّ بهمن من نسل بنيامين بن يعقوب، وأمّ ابنه ساسان من نسل سليمان بن داود. وكان ملك بهمن مائة وعشرين سنة، وقيل: ثمانين سنة، وكان متواضعاً مرضياً فيهم، وكانت كتبه تخرج: من عبد الله خادم الله السائس لأموركم.

ثمّ ملكت بعده ابنته خماني، ملكوها حباً لأبيها ولعقلها وفروسيّتها، وكانت تلقب بشهرزاد، وقيل: إنّما ملكت لأنها حين حملت منه دارا الأكبر سألته أن يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك، ففعل بهمن وعقد التاج عليه حملاً في بطنها، وساسان بن بهمن رجل يتصنع للملك، فلما رأى فعل أبيه

1) بهشنا B.

لحق بإصطخر وتزهد ولحق برؤوس الجبال واتخذ غنماً ، وكان يتولاها بنفسه ،
فاستبشعت العامة ذلك منه .

وهلك بهمن وابنه دارا في بطن أمه ، فملكوها ، ووضعت بعد أشهر
من ملكيها ، فأنت من إظهار ذلك وجعلته في تابوت وجعلت معه جواهر
وأجرته في نهر الكرّ من إصطخر ، وقيل : بنهر بلخ ، وسار التابوت إلى طحان
من أهل إصطخر ، ففرح لما فيه من الجوهر ، فحضنته امرأته ، ثم ظهر
أمره حين شب ، فأقرت خُماني بإساءتها¹ ، فلما تكامل امتحن فوجد على
غاية ما يكون أبناء الملوك ، فحوّلت التاج إليه وسارت إلى فارس وبنت مدينة
إصطخر ، وكانت قد أوتيت ظفراً وأغزت الروم وشغلت الأعداء عن تطرق
بلادها ، وخفتت عن رعيّتها الحراج ، وكان ملكها ثلاثين سنة .

وقيل : إن خُماني أمّ دارا حضنته حتى كبر فسلمت الملك إليه وعزلت
نفسها ، فضبط الملك بشجاعة وحزم .

• • •

ونرجع إلى ذكر بني إسرائيل ومقابلة تاريخ أيامهم إلى حين نصرّتها ومدّة
من كان في أيامهم من ملوك الفرس .
قد ذكرنا فيما مضى سبب انصراف من انصرف إلى بيت المقدس من
سبايا بني إسرائيل الذين كان بخت نصرّ سباهم ، وكان ذلك في أيام كيرش
ابن اخشويرش ، وملكه بابل من قبل بهمن وأربع سنين بعد وفاته في ملك
ابنته خُماني ، وكانت مدّة خراب بيت المقدس من لدن خربته بخت نصرّ
مائة سنة ، كلّ ذلك في أيام بهمن بعضه وفي أيام ابنته خُماني بعضه ، وقيل
غير ذلك ، وقد تقدّم ذكر الاختلاف .

.....
1) بأن ابنتها .

وقد زعم بعضهم أن كيرش هو بشتاسب¹ ، وأنكر عنيه قوله ولم يملك² كيرش منفرداً قطاً .

ولما عمر بيت المقدس ورجع إليه أهله كان فيهم عزير ، وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس إماماً رجل منهم وإماماً رجل من بني إسرائيل ، إلى أن صار الملك بناحيتهم لليونانية والروم لسبب غلبة الإسكندر على الناحية حين قتل دارا بن دارا . وكان جملة مدة ذلك فيما قيل ثمانياً وثمانين سنة .

.....
1) A. et B. كشتاسب .

2) B. يذكر .

ذكر خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين

وملك دارا بن بهمن بن إسفنديار ، وكان يلقب جهرازاد ، يعني كريم
الطبع ، فنزل ببابل ، وكان ضابطاً للملكه قاهراً لمن حوله من الملوك ، يؤدون
إليه الخراج ، وبني بفارس مدينة سماها دارا مجرد ، وحذف دواب البرد
ورتبها¹ ، وكان معجباً بابنه دارا ومن حبه له سماه باسم نفسه وصير له
الملك بعده .

وكان ملكه اثنتين وعشرين² سنة .

ثم ملك بعده ابنه دارا وبني بأرض الجزيرة بالقرب من نصيبين مدينة
دارا ، وهي مشهورة إلى الآن ، واستوزر إنساناً لا يصلح لها ، فأفسد قلبه
على أصحابه ، فقتل رؤساء عسكره واستوحش منه الخاصة والعامة ، وكان
شاباً غيراً جميلاً حقوداً جباراً سيء السيرة في وعيته .

وكان ملكه أربع عشرة سنة .

1) الردي وزينها . B .

2) اثني عشرة . A. et S .

1 (حذف الشيء : أخذ من نواحيه وهذبه حتى يستوي) .

ذكر الإسكندر ذي القرنين

كان فيلفوس^١ أبو الإسكندر اليوناني من أهل بلدة يقال لها مقدونية ، كان ملكاً عليها وعلى بلاد أخرى ، فصالح دارا على خراج يحمله إليه في كل سنة . فلما هلك فيلفوس ملك بعده ابنه الإسكندر واستولى على بلاد الروم أجمع ، فقوي على دارا فلم يحمل إليه من الخراج شيئاً ، وكان الخراج الذي يحمله أيضاً من ذهب ، فسخط عليه دارا وكتب إليه يؤنبه بسوء صنيعه في ترك حمل الخراج ، وبعث إليه بصولجان وكرة وقفيز من سسم ، وكتب إليه : إنه صبي ، وإنه ينبغي له أن يلعب بالصولجان والكرة ويترك الملك ، وإن لم يفعل ذلك واستعصى عليه بعث إليه من يأتيه به في وثاق ، وإن عدة جنوده كعدة حب السسم الذي بعث به إليه ؟

فكتب إليه الإسكندر : إنه قد فهم ما كتب به ، وقد نظر إلى ما ذكر في كتابه إليه من إرساله الصولجان والكرة وتيمن^١ به لإلقاء الملقى الكرة إلى الصولجان واحترازه إياها ؛ وشبه^٢ الأرض بالكرة ، وأنه يجرّ ملك دارا إلى ملكه ، وتيمن^٣ بالسسم الذي بعث كتيمنه^٤ بالصولجان والكرة لدسمه وبعده

1) A. et C. P. فيلفوس semper .

١ ويتمن .

٢ ويشبه .

٣ ويتمنه .

٤ كتيمنه .

من المرارة والحرافة ، وبعث إليه بصرّة فيها خردل ، وأعلمه في ذلك أن ما بعث به إليه قليل ولكنه مرّ حريف ، وأن جنوده مثله . فلما وصل كتابه إلى دارا تأهب لمحاربته .

وقد زعم بعض العلماء بأخبار الأولين أن الإسكندر الذي حارب دارا ابن دارا هو أخو دارا الأصغر الذي حاربه ، وأن أباه دارا الأكبر كان تزوج أمّ الإسكندر ، وهي ابنة ملك الروم ، فلما حملت إليه وجد نثن ريحها وسهكها^١ ، فأمر أن يحتمل لذلك منها ؛ فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسيّة سندر ، فغسلت بمائها فأذهب ذلك كثيراً من نثنها ولم يذهب كله ، وانتهت نفسه عنها . فردّها إلى أهلها ، وقد علقت منه فولدت في أهلها غلاماً فسّمته باسم الشجرة التي غسّلت بمائها مضافاً إلى اسمها . وقد هلك أبوها وملك الإسكندر بعده ، فمنع الخراج الذي كان يؤدّيه جدّه إلى دارا ، فأرسل يطلبه ، وكان بيضاً من ذهب ، فأجابه : إنّي قد ذبحت الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها ، فإن أحببت وادعناك ، وإن أحببت ناجزناك .

ثمّ خاف الإسكندر من الحرب فطلب الصلح . فاستشار دارا أصحابه ، فأشاروا عليه بالحرب لفساد قلوبهم عليه . فعند ذلك ناجزه دارا القتال ، فكتب الإسكندر إلى حاجبتي دارا وحكّمتهما على الفتك بدارا ، فاحتكما شيئاً ، ولم يشترطا أنفسهما . فلما التقيا للحرب طعن دارا حاجباه في الوقعة ، وكانت الحرب بينهما سنة ، فانهزم أصحاب دارا ولحقه الإسكندر وهو بآخر رمق .

وقيل : بل فتك به رجلان من حرسه من أهل همذان حباً للراحة من ظلمه ، وكان فتكهما به لما رأيا عسكره قد انهزم عنه ، ولم يكن ذلك بأمر

١ (السّهك : ريح كريهة تجدها من عرق) .

الإسكندر ، وكان قد أمر الإسكندر منادياً ينادي عند هزيمة عسكر دارا أن يؤسر دارا ولا يُقتل ، فأخبر بقتله ، فنزل إليه ومسح التراب عن وجهه وجعل رأسه في حجره وقال له : إنما قتلك أصحابك وإنّني لم أهمّ بقتلك قطّ ، ولقد كنتُ أرغبُ بك يا شريف الأشراف ويا ملك الملوك وحرّ الأحرار عن هذا المصرع ، فأوصى بما أحببت . فأوصاه دارا أن يتزوج ابنته روشنك ويرعى حقها ويعظم قدرها ويستبقي أحرار فارس ويأخذ له بثأره ممّن قتله . ففعل الإسكندر ذلك أجمع وقتل حاجبي دارا ، وقال لهما : إنكما لم تشرطا نفوسكما ، فقتلها بعد أن وفّى لهما بما ضمن لهما ، وقال : ليس ينبغي أن يُستبقي قاتل الملوك إلاّ بدمّة لا تُخفر . وكان التقاؤهما بناحية خراسان ممّا يلي الخزر ، وقيل : ببلاد الجزيرة عند دارا .

وكان ملك الروم قبل الإسكندر متفرّقاً فاجتمع ، وملك فارس مجتمعاً فتفرّق . وحمل الإسكندر كتباً وعلوماً لأهل فارس من علوم ونجوم وحكمة^١ ونقله إلى الرومية .

وقد ذكرنا قول من قال إنّ الإسكندر أخو دارا لأبيه ، وأمّا الروم وكثير من أهل الأنساب فيزعمون أنّه الإسكندر بن فيلفوس ، وقيل فيلبوس بن مطربوس^٢ ، وقيل : ابن مصرم بن هرمس بن هردس^١ بن منطون^٢ بن رومي ابن ليطي بن يونا^٣ بن يافت بن ثوبة بن سرحون بن رومي^٤ بن زنط بن توقيل^٤ بن رومي بن الأصفر بن اليفز^٣ بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم .

١) توفيل S. ٤) . يونان S. ثوباق B. ٣) . ابن ميطن S. ٢) . هورس B. ١)

١) وحكم .

١) في الأصل : مطربوس . والذي أثبتناه عن الطبري .

٢) في الأصل : ايلفر . والذي أثبتناه عن الطبري .

فجمع بعد هلك دارا ملك دارا فملك العراق والشام والروم ومصر والجزيرة،
وعرض جنده فوجدهم على ما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف رجل ، منهم
من جنده ثمانمائة ألف رجل ، ومن جند دارا ستمائة ألف رجل ، وتقدم
بهدم حصون فارس وبيوت النيران وقتل الهرايذة ، وأحرق كتبهم ، واستعمل
على مملكة فارس رجالاً ، وسار قُدماً إلى أرض الهند فقتل ملكها وفتح
مدنها وخرّب بيوت الأصنام وأحرق كتب علومهم ، ثمّ سار منها إلى الصين ،
فلما وصل إليها أتاه حاجبه في الليل وقال : هذا رسول ملك الصين ، فأحضره
فسلم وطلب الحلوة ، ففتشوه فلم يروا معه شيئاً ، فخرج من كان عند
الإسكندر ، فقال : أنا ملك الصين جئت أسألك عن الذي تريده ، فإن كان
مما يمكن عمله^١ عملته وتركتُ الحرب . فقال له الإسكندر : ما الذي آمنك
مني ؟ قال : علمتُ أنك عاقل حكيم ولم يكن بيني وبينك عداوة ولا ذحل ،
وأنت تعلم أنك إن قتلتني لم يكن قتلي سبباً لتسليم أهل الصين ملكي إليك ،
ثمّ إنك تُنسب إلى الغدر .

فعلم أنه عاقل فقال له : أريد منك ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلاً^٢
ونصف الارتفاع لكل سنة . قال : قد أجبتك ولكن أسألي^٣ كيف حالي ،
قال : قل كيف حالك ؟ قال : أكون أول قتيل لمحارب وأول أكلة لمفترس .
قال : [فإن] قنعتُ منك بارتفاع سنتين ؟ قال : يكون حالي أصلح قليلاً . قال :
[فإن] قنعتُ منك بارتفاع سنة ؟ قال : يبقى ملكي وتذهب لذاتي . قال : وأنا أترك
لك ما مضى وأخذ الثلث لكل سنة فكيف يكون حالك ؟ قال : يكون السدس
للفقراء والمساكين ومصالح البلاد ، والسدس لي ، والثلث للعسكر ، والثلث

١ كان ما يمكنه عمله .

٢ ولكنك ستلني .

لك . قال : قد قنعتُ منك بذلك . فشكره وعاد ، وسمع العسكر بذلك ففرحوا بالصلح .

فلما كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم أحاط بعسكر الإسكندر ، فركب الإسكندر والناس ، فظهر ملك الصين على الفيل وعلى رأسه التاج ، فقال له الإسكندر : أغدرتَ ؟ قال : لا ولكنني أردتُ أن تعلم أنني لم أطعك من ضعف ولكني لما رأيتُ العالم العلويّ مقبلاً عليك أردتُ طاعته بطاعتك والقرب منه بالقرب منك . فقال له الإسكندر : لا يسام¹ مثلك² الجيزية ، فما رأيتُ بيني وبينك من يستحقّ الفضل والوصف بالعقل غيرك ، وقد أعفيتك من جميع ما أردتُه منك وأنا منصرف عنك . فقال له ملك الصين : فلستَ تخسر ، وبعث إليه بضعف ما كان قرّره معه ، وسار الإسكندر عنه من يومه ودانت له عامّة الأرضين في الشرق والغرب وملك التبتّ وغيرها .

فلما فرغ من بلاد المغرب والشرق وما بينهما قصد بلاد الشمال ، وملك تلك البلاد وداها من بها من الأمم المختلفة إلى أن اتصل بديار بأجوج ومأجوج ، وقد اختلفت الأقوال فيهم ، والصحيح أنهم نوع من الترك لهم شوكة وفيهم شرّ ، وهم كثيرون ، وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الأرض ويخربون ما قدروا عليه من البلاد ويؤذون من يقرب منهم . فلما رأى أهل تلك البلاد الإسكندر شكوا إليه من شرهم ، كما أخبر الله عنهم في قوله : ﴿ ثُمَّ أَتَّبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ³ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۚ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ

1) منك . A . 2) نستم . B .

3) post السدين S. add.

وهما جبلان متقابلان لا يرتقى فيهما وليس لهما مخرج إلا من الفرجة التي بينهما فلما بلغ إلى تلك

القرنيتين . . .

في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً؟ قال ما مكنتي فيه ربي خيراً فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم رداً¹ . يقول : ما مكنتي فيه ربي خير من خرجكم ، ولكن أعينوني بالقوة ، والقوة الفعلة والصناعات والآلة التي يبني بها ، فقال : ﴿آتوني زبر الحديد¹ ، أي قطع الحديد ، فأتوه بها ، فحفر الأساس حتى بلغ الماء ، ثم جعل الحديد والحطب صفوفاً بعضها فوق بعض ﴾ حتى إذا ساوى بين الصدفين¹ ، وهما جبلان ، أشعل النار في الحطب فحمي الحديد وأفرغ عليه القطر¹ ، وهو النحاس المذاب ، فصار موضع الحطب وبين قطع الحديد ، فبقي كأنه برود مجر² من حمرة النحاس وسواد الحديد ، وجعل أعلاه شرفاً من الحديد ، فامتنعت بأجوج ومأجوج من الخروج إلى البلاد المجاورة لهم . قال الله تعالى : ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْطَاعُوا لَهُ نَقْباً³ .

فلما فرغ من أمر السد دخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي ، والشمس جنوبية ، فلهذا كانت ظلمة ، وإلا فليس في الأرض موضع إلا تطلع الشمس عليه أبداً . فلما دخل الظلمات أخذ معه أربعمئة من أصحابه يطلب عين الخلد ، فسار فيها ثمانية عشر يوماً ، ثم خرج ولم يظفر بها ، وكان الحضر على مقدمته ، فظفر بها وسبح فيها وشرب منها ، والله أعلم .

ورجع إلى العراق فمات في طريقه بشهرزور بعلة الخوانيق ، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة في قول ، ودُفن في تابوت من ذهب مرصع بالجوهر وطلاء بالصبر لثلاثين يوماً وحُمل إلى أمه بالإسكندرية .

1) Cor. 18, vs. 92—96.

2) جمر محمر B.

3) Cor. 18, vs. 97.

وكان ملكه أربع عشرة سنة ، وقتل دارا في السنة الثالثة من ملكه . وبنى اثني عشرة مدينة ، منها : أصبهان ، وهي التي يقال لها جَيّ ، ومدينة هراة ، ومرو ، وسمرقند ، وبنى بالسواد مدينة لروشنك ابنة دارا ، وبأرض اليونان مدينة ، وبمصر الإسكندرية .

فلما مات الإسكندر أطاف به مَنْ مِنْ منة من الحكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم ، فكان يجمعهم ويستريح إلى كلامهم ، فوقفوا عليه ، فقال كبيرهم : ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزياً وللعامّة واعظاً ، ووضع يده على التابوت وقال : أصبح أسر الأسراء أسيراً . وقال آخر : هذا الملك كان ينجب الذهب فقد صار الذهب ينجباه . وقال آخر : ما أزهّد الناس في هذا الجسد وما أرغبهم في التابوت . وقال آخر : من أعجب العجب أن القوي قد غلب والضعفاء لاهون مغترّون . وقال آخر : هذا الذي جعل أجله ضميراً وجعل أمله عياناً ، هلاًّ باعدت من أجلك لتبلغ بعض أملك ، بل هلاًّ حققت من أملك¹ بالامتناع من وفور أجلك² . وقال آخر : أيها الساعي المنتصب جمعت ما خذلك عند الاحتياج إليه فعودت عليك أوزاره وقارفت آثامه فجمعت لغيرك وإثمه عليك . وقال آخر : قد كنت لنا واعظاً فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك ، فمن كان له معقول فليعقل ، ومن كان معتبراً فليعتبر . وقال آخر : ربّ هائب لك يخافك من ورائك وهو اليوم بحضرتك ولا يخافك . وقال آخر : ربّ حريص على سكوتك إذ لا تسكت ، وهو اليوم حريص على كلامك إذ لا تتكلم . وقال آخر : كم أماتت هذه النفس لثلاث تموت وقد ماتت . وقال آخر ، وكان صاحب كُتُب الحكمة : قد كنت تأمرني أن لا أبعد عنك فالיום لا أقدر على الدنو منك . وقال آخر : هذا يوم عظيم أقبل من شرّه ما كان مدبراً ، وأدبر من خيره ما كان مقبلاً ، فمن كان

1) خفتت من أملك S.

2) من وقت أجلك S.

با كياً على مَنْ زال ملكه فليكِ . وقال آخر : يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل انسحاب ، وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الذباب . وقال آخر : يا مَنْ ضاقت عليه الأرض طولاً وعرضاً ليت شعري كيف حالك بما احتوى عليك منها ! وقال آخر : اعجبوا ممن كان هذا سبيله كيف شهر نفسه يجمع الأموال الحطام البائد والمهشم¹ النافذ . وقال آخر : أيها الجمع الحافل والملقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته ، فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغي والفساد² . وقال آخر : يا من كان غضبه الموت هلاً غضبت² على الموت ! وقال آخر : قد رأيت هذا الملك الماضي فليتعض به هذا الملك الباقي . وقال آخر : إن الذي كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلّم الآن كل ساكت . وقال آخر : سيلحق بك مَنْ سرّه موتك كما لحقت بمن سرّك موته . وقال آخر : ما لك [لا] تُقِلّ عضواً من أعضائك وقد كنت تستقلّ بملك الأرض ! بل ما لك لا ترغب عن ضيق المكان الذي أنت فيه وقد كنت ترغب عن رُحْب البلاد ! وقال آخر : إن دنيا يكون هذا في آخرها فالزهد أولى أن يكون في أولها .

وقال صاحب مائدته : قد فرشتُ النمارق ونضدتُ النضائد ولا أرى عميد القوم . وقال صاحب بيت ماله : قد كنت تأمرني بالادّخار فإلى من أدفع ذخائرك ؟

وقال آخر : هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طُوّبت منها في سبعة أشبار

1) . النابذ والمهشم S .

2) وقال آخر : انظروا إلى علم النائم كيف انقضى وظل الغمام كيف انجل S. add. والفساد post .

: غضبه .

٢ غضبه .

ولو كنتَ بذلك موقناً لم تحمل على نفسك في الطلب .

وقالت زوجته روشنك : ما كنتُ أحسب أن غالب دارا يُغلب ، فإنّ الكلام الذي سمعتُ منكم فيه شماتة ، فقد خلف الكأس الذي شرب به ليشربه الجماعة . وقالت أمّه حين بلغها موته : لئن فقدتُ من ابني أمره لم يُفقد من قلبي ذكره .

فهذا كلام الحكماء فيه مواعظ وحكم حسنة فلهذا أثبتّها .

ومن حيل الإسكندر في حروبه أنّه لما حارب دارا خرج إلى بين الصفيين وأمر منادياً فنادى : يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبتم إلينا وما كتبنا إليكم من الأمان ، فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل فإنّه يرى منا الوفاء . فاتهمت الفرسُ بعضها بعضاً واضطربوا .

ومن حيله أنّه تلقاه ملك الهند بالفيلة ، فنفرت خيلُ أصحابه عنها ، فعاد عنه وأمر باتخاذ فيلة من نحاس وألبسها السلاح وجعلها مع الخيل حتى ألفتها . ثمّ عاد إلى الهند ، فخرج إليهم ملك الهند ، فأمر الإسكندر بتلك الفيلة فملئت بطونها من النفط والكبريت وجرتُ على العجل إلى وسط المعركة ومعها جمع من أصحابه ، فلما نشبت الحربُ أمر بإشعال النار في تلك الفيلة . فلما حميت انكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلةُ الهند ، فضربت بها بخراطيمها فاحترقتُ وولت هاربة راجعة على الهند ، فانهزموا بين يديها .

ومن حيله أنّه نزل على مدينة حصينة وكان بها كثير من الأقوات وبها عيون ماء ، فعاد عنها فأرسل إليها قوماً على هيئة التجار ومعهم أمتعة يبيعونها وأمرهم بمشترى الطعام والمغلاة في ثمنها ، فإذا صار عندهم أحرقوه وهربوا ، ففعلوا ذلك وهربوا إليه فأنفذ السرايا إلى سواد تلك المدينة وأمرهم بالغارة مرة بعد أخرى ، فهربوا ودخلوا البلد ليحتموا به ، فسار الإسكندر إليهم ، فلم يمتنعوا عليه .

وكتب إلى أرسطاطاليس يذكر له أن من خاصة الروم جماعة لهم همم بعيدة ونفوس كبيرة وشجاعة ، وأنه يخافهم على نفسه ويكره قتلهم بالظنّة . فكتب إليه أرسطاطاليس : فهتُ كتابك ، فإنّ ما ذكرت من بُعد هممهم فإنّ الوفاء من بُعد الهمة وكبر النفس ، والغدر من دناءة النفس وخسّتها ، وأمّا شجاعتهم ونقص عقولهم فمنّ كانت هذه حاله فرفقه في معيشتهم واخصصه بحسان النساء ، فإنّ رفاهية العيش تميمت الشجاعة وتجبّ السلامة ، وإيّاك والقتل فإنه زلّة لا تستقال وذنّب لا يُغفر ، وعاقبٌ بدون القتل تكنّ قادراً على العفو ، فما أحسن العفو من القادر ، وليحسن خلاك تخلص لك النيّات بالمحبّة ، ولا تؤثر نفسك على أصحابك ، فليس مع الاستئثار محبّة ، ولا مع المؤاساة بغضة .

وكتب إلى أرسطاطاليس أيضاً لما ملك بلاد فارس يذكر له أنه رأى بإيران شهر رجالات ذوي رأي وصرامة وشجاعة وجمال وأنساب رفيعة ، وأنه إنّما ملكهم بالحظّ والإنفاق ، وأنه لا يأمن : إن سافر عنهم فأفرغهم ، وثوبهم ، وأنه لا يكفى شرّهم إلاّ بيوارهم . فكتب إليه : قد فهتُ كتابك في رجال فارس ، فأما قتلهم فهو من الفساد والبغي الذي لا يؤمن عاقبته ، ولو قتلتمهم لأثبت أهلُ البلد أمثالهم وصار جميع أهل البلد أعداءك بالطبع وأعداء عقبك لأنك تكون قد وترتهم في غير حرب ، وأمّا إخراجك إيّاهم من عسكري فمخاطرة بنفسك وأصحابك ، ولكنّي أشير عليك برأي هو أبلغ من القتل ، وهو أن تستدعي منهم أولاد الملوك ومن يصلح للملك فتقلدهم البلدان وتجعل كلّ واحد منهم ملكاً برأسه فتتفرّق كلمتهم ويقع بأسهم بينهم ويجمعون على الطاعة والمحبّة لك ويرون أنفسهم صنيعتك . ففعل الإسكندر ذلك ، فهم ملوك الطوائف ، وقيل في ملوك الطوائف غير هذا السبب ، ونحن نذكره إن شاء الله .

ذكر من ملك من قومه بعد الإسكندر

لما مات الإسكندر عرض الملك على ابنه الإسكندرون¹ ، فأبى واختار العبادة ، فملكت اليونان فيما قيل بطلميوس² بن لاغوس ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة ، ثم ملك بعده بطلميوس فيلوذفوس ، وكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك بعده بطلميوس أوراغاطس أربعاً وعشرين سنة ، ثم ملك بعده بطلميوس فيلافطر إحدى وعشرين سنة ، ثم ملك بعده بطلميوس ايفانيس اثنتين وعشرين سنة ، ثم ملك بعده بطلميوس أوراغاطس تسعاً وعشرين سنة ، ثم ملك بعده بطلميوس ساطر سبع عشرة سنة ، ثم ملك بعده بطلميوس الاخشندر إحدى عشرة سنة ، ثم ملك بعده بطلميوس الذي اختفى عن ملكه ثمانين سنين ، ثم ملكته بعده قالوبطرى سبع عشرة سنة ، وكانت من الحكماء ؛ وهؤلاء كلهم من اليونان ، وكل من كان بعد الإسكندر كان يدعى بطلميوس كما كانت تدعى ملوك الفرس أكاسرة وملوك الروم قياصرة .

وقد ذكر بعض العلماء أن بطلميوس صاحب المجسطي وغيره من الكتب لم يكن من هؤلاء الملوك ، وإنما كان أيام ملوك الروم على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ثم ملك الشام فيما بعد قالوبطرى ملوك الروم ، فكان أول من ملك منهم جايوس يولوس خمس سنين ، ثم ملك بعده أغسطس ستاً وخمسين سنة ، فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم ، عليه السلام ، وقيل : كان بين مولده وقيام الإسكندر ثلاثمائة وثلاث سنين³ .

1) الإسكندر B. ; الإسكندروس A.)

2) S. et C. P. بطلميوس : et sqq.)

3) ثلاثمائة سنة S.)

ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الإسكندر وهم ملوك الطوائف

لما مات الإسكندر ملك بلاد الفرس بعده ملوك الطوائف ، وقد تقدم ذكر السبب في تملكهم . وقيل : كان السبب في ذلك أن الإسكندر لما ملك بلاد الفرس ووصل إلى ما أراد كتب إلى أرسطاطاليس الحكيم : إنني قد وترتُ جميع مَنْ في بلاد المشرق وقد خشيتُ أن يتفقوا بعدي على قصد بلادنا وإيذاء قومنا ، وقد هممتُ أن أقتل أولاد من قتلتُ من الملوك وألحقهم بآبائهم ، فما ترى ؟

فكتب إليه : إنك إن قتلتَ أبناء الملوك أفضى الملك إلى السفلى والأندال ، والسفلى إذا ملكوا قدروا وإذا قدروا طغوا وبعثوا وظلموا ، وما يخش من معرفتهم أكثر ، والرأي أن تجمع أبناء الملوك فتملك كل واحد منهم بلداً واحداً وكورة واحدة ، فإن كل واحد منهم يقوم في وجه الآخر يمنعه عن بلوغ غرضه خوفاً على ما بيده فتتولد العداوة بينهم فيشتغل بعضهم ببعض فلا يتفرغون إلى مَنْ بَعْدَ عنهم .

فعندها قسم الإسكندر بلاد المشرق على ملوك الطوائف ونقل عن بلدانهم النجوم والحكمة ، وكان من حالهم بعد الإسكندر ما ذكره أرسطاطاليس ، واشتغلوا عن قصد اليونان .

وكان أرسطاطاليس من أفضل الحكماء وأعلمهم ، وكان الإسكندر يصدر

1) مفرتهم B.

عن رأيه ، وأخذ الحكمة عن أفلاطون تلميذ سقراط ، وسقراط تلميذ أوسيلوس في الطبيعيات¹ دون غيرها ، ومعناه رأس السباع ، وكان أوسيلوس تلميذ انكساغورس ، إلا أن أرسطاطاليس خالف أستاذه في عدة مسائل ، فلما قيل له في ذلك قال : أفلاطون صديق والحق صديق ، إلا أن الحق أولى بالصدقة منه .

وقد اختلف العلماء في الملك الذي كان بسواد العراق بعد الإسكندر وعدد ملوك الطوائف الذين ملكوا إقليم بابل ، فقال هشام بن الكلبي وغيره : ملك بعد الإسكندر بلاقس سلبقس¹ ، ثم أنطيوخس ، وهو الذي بنى مدينة أنطاكية ، وكان في أيدي هؤلاء الملوك سواد الكوفة أربعاً وخمسين سنة ، وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الأهواز وفارس .

ذكر ملك أشك بن أشكان

ثم خرج رجل يقال له أشك ، وهو من ولد دارا الأكبر ، وكان مولده ومنشأه بالري ، فجمع جمعاً كبيراً وسار يريد أنطيوخس ، وزحف إليه أنطيوخس والتقى ببلاد الموصل ، فقتل أنطيوخس وملك أشك السواد وصار بيده من الموصل إلى الري وأصبهان ، وعظّمته سائر ملوك الطوائف لسنة² وشرفه وفعله ، وبدأوا به كتبهم ، وسمّوه ملكاً من غير أن يعزل أحداً منهم ، ثم ملك بعده ابنه سابور بن أشك .

1) سلبقس . س. بلاتش بن سلبقس . A .

2) لهيته . B .

ذكر ملك جودرز

ثمّ ملك بعد سابور جودرز بن أشكان ، وهو الذي غزا بني إسرائيل في المرة الثانية .

وسبب تسليط الله إياه عليهم قتلهم يحيى بن زكرياء ، فأكثر القتل فيهم ، فلم يعد لهم جماعة كجماعتهم الأولى ، ورفع الله منهم النبوة ونزل بهم الدال . وقيل : إن الذي غزا بني إسرائيل طيطوس بن اسفيانوس ملك الروم ، فقتلهم وسباهم وخرّب بيت المقدس ، وقد كانت الروم غزت بلاد فارس يطلبون ثار أنطيوخس . وملك بابل حينئذٍ بلاش أبو أردوان الذي قتله أردشير بن بابك . فكتب بلاش إلى ملوك الطوائف يعلمهم ما أجمعت عليه الروم من غزو بلادهم وما حشدوا وجمعوا وأنه إن عجز عنهم ظفروا بهم جميعاً . فوجه كل ملك من ملوك الطوائف إلى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته ، فاجتمع عنده أربعمئة ألف رجل ، فولّى عليهم صاحب الحضرة . وكان له ما بين السواد والجزيرة ، فلقى الروم وقتل ملكهم واستباح عسكرهم ، وذلك الذي هبج الروم على بناء القسطنطينية ونقل الملك من رومية إليها ، وكان الذي أنشأها قسطنطين الملك ، وهو أول من تنصّر من ملوك الروم وأجلى من بقي من بني إسرائيل عن فلسطين والشام لقتلهم عيسى بزعمهم ، وأخذ الخشبة التي يزعمون أنهم صلبوا المسيح عليها ، فعظّمها الروم وأدخلوها خزائنها وهي عندهم إلى اليوم . ولم يزل ملك فارس متفرّقاً حتى ملك أردشير ابن بابك . ولم يبين هشام مدّة ملكهم .

وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس : ملك بلادهم بعد الإسكندر

.....
1) وأنزل بهم S. 1

ملوك من غير الفرس كانوا يطيعون كل من ملك بلاد الجبل ، وهم الأشغانيون الذين يُدعون ملوك الطوائف ، وكان ملكهم مائتي سنة ، وقيل : كان ملكهم ثلاثمائة وأربعين سنة ، ملك من هذه السنين أشك بن أشكان عشرين سنة¹ ، ثم ابنه سابور ستين سنة ، وفي إحدى وأربعين سنة من ملكه ظهر المسيح عيسى بن مريم ، عليه السلام ، وإن تيطوس بن اسفيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع المسيح بنحو من أربعين سنة فملك المدينة وقتل وسبى وأخرب المدينة ، ثم ملك جودرز بن أشغانان الأكبر عشر سنين ، ثم ملك بيرن الأشغاني² إحدى وعشرين سنة ، ثم ملك جودرز الأشغاني تسعاً وثمانين سنة ، ثم ملك نرسي الأشغاني أربعين سنة ، ثم ملك هرمز الأشغاني سبع عشرة سنة ، ثم ملك أردوان الأشغاني اثنين وعشرين سنة ، ثم ملك كسرى الأشغاني أربعين سنة ، ثم ملك بلاش الأشغاني أربعاً وعشرين سنة ، ثم ملك أردوان الأصغر ثلاث عشرة سنة ، ثم ملك أردشير بن بابك .

وقال بعضهم : ملك بلاد الفرس بعد الإسكندر ملوك الطوائف الذين فرّق الإسكندر المملكة بينهم ، وتفرّد بكل ناحية من ملك عليها من حين ملكه عليها ما خلا السواد ، فإنه كان أربعاً وخمسين سنة بعد هلاك الإسكندر في يد الروم ، وكان في ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك قد ملك الجبال وأصبهان ، ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد ، وكانوا ملوكاً عليها ، وعلى الماهات والجبال ، وأصبهان كالرئيس على سائر ملوك الطوائف ، لأن العادة جرت بتقديمه وتقديم ولده ، ولذلك قصد لذكورهم في كتب سير الملوك ، فاقصرنا على ذكرهم دون غيرهم ، فكانت مدة ملوك الطوائف مائتي سنة وستين سنة ، وقيل : ثلاثمائة وأربعين سنة ، وقيل : خمسمائة وثلاثاً وعشرين سنة ، والله أعلم .

1) عشر سنين . A. et S.

2) تيرى الأشغاني S.

فمن الملوك الذين ملكوا الجبال ثم تهيأت بعد أولادهم الغلبة على السواد
 أشك بن جزء¹ ، وهو من ولد إسفنديار بن بشتاسب في قول ، وبعض الفرس
 زعم أن أشك بن دارا ، قال بعضهم : أشك بن أشكان الكبير ، هو من ولد
 كيكاووس² ، وكان ملكه عشرين سنة ، ثم ملك بعده أشك ابنه إحدى
 وعشرين سنة ، ثم ملك ابنه سابور ثلاثين سنة ، ثم ملك ابنه جودرز عشر
 سنين ، ثم ملك ابنه بيرن³ إحدى وعشرين سنة ، ثم ملك ابنه جودرز الأصغر
 تسع عشرة سنة ، ثم ابنه نرسي أربعين سنة ، ثم هرمز بن بلاش بن أشكان
 سبع عشرة سنة ، ثم أردوان الأكبر بن أشكان اثني عشرة سنة ، ثم كسرى
 ابن أشكان أربعين سنة ، ثم أردوان الأصغر بن بلاش ثلاث عشرة سنة ،
 وكان أعظم ملوك الأشكانية وأظهرهم وأعزهم قهراً للملوك ، ثم ملك أردشير
 ابن بابك وجمع مملكة الفرس على ما ذكره إن شاء الله .

وقد عدت بعضهم في أسماء الملوك غير ما ذكرنا لا حاجة إلى الإطالة بذكره ،
 وقد ذكرنا بعض ما قيل عند ملك أردشير بن بابك .

1) A. S. et B. حره . 2) A. et B. كيقباد . 3) S. et C. P. ابنه تيرى .

ذكر الأحداث أيام ملوك الطوائف ، فمن ذلك ذكر المسيح عيسى بن مريم ويحيى بن زكرياء ، عليهم السلام

إنما جمعنا هذين الأمرين العظيمين في هذه الترجمة لتعلق أحدهما بالآخر ،
فنقول : كان عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود ، وكان آل ماثان
رؤوس بني إسرائيل وأخبارهم ، وكان متزوجاً بحنة بنت فاقورا ، وكان
زكرياء بن برخيا متزوجاً بأختها إيشاع ، وقيل : كانت إيشاع أخت مريم
بنت عمران ، وكانت حنة قد كبرت وعجزت ولم تلد ولداً ، فبينما هي في
ظلّ شجرة أبصرت طائراً يزقّ فرخاً له فاشتتهت الولد فدعت الله أن يهبَ
لها ولداً ، ونذرت إن يرزقها ولداً أن تجعله من سدنة بيت المقدس وخدمه ،
فحرّرت ما في بطنها ، ولم تعلم ما هو ، وكان النذر المحرّر عندهم أن يجعل
للكنيسة يقوم بخدمتها ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم ، فإذا بلغ خبير ، فإن
أحبّ أن يقيم فيها أقام ، وإن أحبّ أن يذهب ذهب حيث شاء . ولم يكن
يحرّر إلاّ الغلمان ، لأنّ الإناث لا يصلحن لذلك لما يصيهنّ من الحيض
والأذى .

ثمّ هلك عمران وحنة حامل بمريم ، فلما وضعتها إذا [هي] أنثى^١ فقالت عند
ذلك : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ، وَلَيْسَ

١) A. et B. فاقورا .

الذِّكْرُ كَالْأُنْثَى^١ في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها ، ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾^٢ ، وهي بلغتهم العبادة ، ثم لفتها في خرقه وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون ، وهم يلون من بيت المقدس ما يلي بنو شيبه من الكعبة . فقالت : دونكم هذه المنورة . فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم وصاحب قربانهم . فقال زكرياء : أنا أحق بها لأن خالتها عندي . فقالوا : لكننا نقرع عليها . فألقوا أقلامهم في نهر جارٍ ، قيل هو نهر الأردن ، فألقوا فيه أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة ، فارتفع قلم زكرياء فوق الماء ورسبت أقلامهم ، فأخذها وكفلها وضمها إلى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى كبرت ، فبنى لها غرفة في المسجد لا يرقى إليها إلا بسلم ولا يصعد إليها غيره ، وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف . وفاكهة الصيف في الشتاء ، فيقول : أنتى لك هذا ؟ فتقول : هو من عند الله . فلما رأى زكرياء ذلك منها دعا الله تعالى ورجا الولد حيث رأى فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ، فقال : إن الذي فعل هذا بمریم قادر على أن يصلح زوجتي حتى تلد . ﴿ قَالَ : رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾^٣ .

فبينما هو يصلّي في المذبح الذي لهم إذا^٤ هو برجل شاب ، هو جبرائيل ، ففرغ زكرياء منه ، فقال له : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ اللَّهِ ﴾^٥ ، يعني عيسى بن مريم ، عليه السلام ، ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه ، وذلك أن أمه كانت حاملاً به فاستقبلت مريم وهي حامل

١ (سورة آل عمران ٣ ، الآية ٣٦) .

٢ (سورة آل عمران ٣ ، الآية ٣٨) .

٣ فإذا .

٤ (سورة آل عمران ٣ ، الآية ٣٩) .

بعيسى فقالت لها : يا مريم أحامل أنتِ ؟ فقالت : لماذا تسأليني ؟ قالت :
إني أرى ما في بطني يسجد لِمَا في بطنك ، فذلك تصديقه .

وقيل : صدق المسيح ، عليه السلام ، وله ثلاث سنين ، وسمّاه الله تعالى
[بجيسى] ولم يكن قبله من تسمى هذا الاسم ، قال الله تعالى : ﴿ لَمْ نَجْعَلْ
لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾^١ . وقال تعالى : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ
وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾^٢ . قيل : أوحش ما يكون ابن
آدم في هذه الأيام الثلاثة ، فسلمه الله تعالى من وحشتها ، وإنما وُلد بجيسى
قبل المسيح بثلاث سنين ، وقيل بستة أشهر ، وكان لا يأتي النساء ، ولا يلعب
مع الصبيان .

﴿ قَالَ : رَبِّ أَنْتَى بَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرَ وَأَمْرَأَتِي
عَاقِرٌ ﴾^١ ؟ وكان عمره اثنتين وتسعين سنة ، وقيل : مائة وعشرين سنة ،
وكانت امرأته ابنة ثمان وتسعين سنة . فقيل له : ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا
يَشَاءُ ﴾^١ . وإنما قال ذلك استخباراً هل يرزق الولد من امرأته العاقرة أم
غيرها ، لا إنكاراً لقدرة الله تعالى . ﴿ قَالَ : رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ، قَالَ :
آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾^٢ . قال : أمسك الله
لسانه عقوبة لسؤاله الآية ، والرمز الإشارة .

فلما وُلد رآه أبوه حسن الصورة ، قليل الشعر ، قصير الأصابع ، مقرون
الحاجبين ، دقيق الصوت ، قويّاً في طاعة الله مذ كان صبيّاً ، قال الله تعالى :

1) Corani 19, vs. 7.

2) Ib. vs. 15.

3) S. كذلك .

١ (سورة آل عمران ٣ ، الآية ٤٠) .

٢ (سورة آل عمران ٣ ، الآية ٤١) .

﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾^١ . قيل : إنه قال له يوماً الصبيان أمثاله :
يا يحيى اذهب بنا نلعب . فقال لهم : ما للعب خلقتُ . وكان يأكل العشب
وأوراق الشجر ، وقيل : كان يأكل خبز الشعير ، ومرّ به إبليس ومعه رغيف
شعير فقال : أنت تزعم أنك زاهد وقد ادّخرت رغيف شعير ؟ فقال يحيى :
يا ملعون هو القوت . فقال إبليس : إن الأقلّ من القوت يكفي لمن يموت .
فأوحى الله إليه : اعقل ما يقول لك .

ونبيّ صغيراً فكان يدعو الناس إلى عبادة الله ، ولبس الشعر ، فلم يكن
له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن إليه ، أينما جنته الليل أقام ، ولم يكن
له عبد ولا أمة ، واجتهد في العبادة^٢ ، فنظر يوماً إلى بدنه وقد نحل فبكى ،
فأوحى الله إليه : يا يحيى أتبكي لما نحل من جسمك ؟ وعزّتي وجلالي لو اطلعت
في النار اطلاعة لتدرّعت الحديد عوض الشعر ! فبكى حتى أكلت الدموع
لحم خديّه وبدأت أضراسه للناظرين . فبلغ ذلك أمّه فدخلت عليه وأقبل
زكرياء ومعه الأحبار فقال : يا بنيّ ما يدعوك إلى هذا ؟ قال : أنت أمرتني
بذلك حيث قلت : إن بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها إلاّ الباكون من خشية
الله . فقال : فابك واجتهد إذن . فصنعت له أمّه قطعتيّ لبد على خديّه
تواريان^١ أضراسه ، فكان يبكي حتى يبلّهما^٢ ، وكان زكرياء إذا أراد يعظ الناس
نظر فإن كان يحيى حاضراً لم يذكر جنة ولا ناراً .

وبعث الله عيسى رسولاً نسخ بعض أحكام التوراة ، فكان ممّا نسخ أنّه
حرّم نكاح بنت الأخ ، وكان لملكهم ، واسمه هيرودس ، بنت أخ تعجبه

1) Corani 19, vs. 12.

2) C. P. الطاعة .

١ توارى .

٢ بلّتها .

يريد أن يتزوجها ، فنهاه يحيى عنها ، وكان لها كل يوم حاجة يقضيها لها . فلما بلغ ذلك أمها قالت لها : إذا سألك الملك ما حاجتك فقولي أن تذبح يحيى ابن زكرياء . فلما دخلت عليه وسأها ما حاجتك قالت : أريد أن تذبح يحيى ابن زكرياء . فقال : أسألي غير هذا . قالت : ما أسألك غيره . فلما أت دعا يحيى ودعا بطست فذبحه ، فلما رأت الرأس قالت : اليوم قررت عيني ! فصعدت إلى سطح قصرها فسقطت منه إلى الأرض ولها كلاب ضارية تحته ، فوثبت الكلابُ عليها فأكلتها وهي تنظر ، وكان آخر ما أكل منها عينها لتعتبر . فلما قُتل بذرت¹ قطرة من دمه على الأرض ، فلم تزل تغلي حتى بعث اللهُ بخت نصر عليهم ، فجاءته امرأة فدلته على ذلك الدم ، فألقى اللهُ في قلبه أن يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن ، فقتل منهم سبعين ألفاً حتى سكن الدم .

وقال السُّدِّيُّ نحو هذا ، غير أنه قال : أراد الملك أن يتزوج بنت امرأة له ، فنهاه يحيى عن ذلك ، فطلبت المرأة من الملك قتل يحيى ، فأرسل إليه فقتله وأحضر رأسه في طست وهو يقول له : لا تحمل لك ، فبقي دمه يغلي ، فطُرح عليه تراب حتى بلغ سور المدينة ، فلم يسكن الدم . فسلب اللهُ عليهم بخت نصر في جمع عظيم فحصرهم فلم يظفر بهم ، فأراد الرجوع فأتته امرأة من بني إسرائيل فقالت : بلغني أنك تريد العود ! قال : نعم ، قد طال المقام وجاع الناسُ وقلت الميرة بهم وضاق عليهم . فقالت : إن فتحت لك المدينة أقتل من أمرك بقتله وتكف إذا أمرتُك ؟ قال : نعم . قالت : أقسمُ جندك أربعة أقسام على نواحي المدينة ، ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء وقولوا : اللهم إنا نستفتحك على دم يحيى بن زكرياء ، ففعلوا ، فحرب سور المدينة ، فدخلوها ،

1) تبددت .

فأمرتهم العجوز أن يقتلوا على دم يحيى بن زكرياء حتى يسكن ، فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفاً وسكن الدم ، فأمرته بالكف ، وكف .

وخرّب بيت المقدس ، وأمر أن تُلقى فيه الجيف ، وعادَ ومعهُ دانيال وغيره من وجوه بني إسرائيل ، منهم عزريا وميشائيل ورأس الجالوت . فكان دانيال أكرم الناس عليه ، فحسدّهم المجوس وسعوا بهم إلى بخت نصر ، وذكر نحو ما تقدّم من إلقائهم إلى السبع ونزول الملك عليهم ومسّخ بخت نصر ومقامه في الوحش سبع سنين .

وهذا القول وما لم نذكره من الروايات من أن بخت نصر هو الذي خرّب بيت المقدس وقتل بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكرياء باطل عند أهل السيرة والتاريخ وأهل العلم بأمور الماضين ، وذلك أنهم أجمعين^١ مجمعون على أن بخت نصر غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيّهم شعيا في عهد إرميا بن حلقيا ، وبين عهد إرميا وقتل يحيى أربعمئة سنة وإحدى وستون سنة عند اليهود والنصارى ، ويذكرون أن ذلك في كتبهم وأسفارهم مبين ، وتوافقهم المجوس في مدّة غزو بخت نصر بني إسرائيل إلى موت الإسكندر ، وتخالّفهم في مدّة ما بين موت الإسكندر ومولد يحيى ، فيزعمون أن مدّة ذلك كانت إحدى وخمسين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : الحقّ أن بني إسرائيل عمروا بيت المقدس بعد مرجعهم من بابل وكثروا ثمّ عادوا يُحدثون الأحداث ويعود الله سبحانه عليهم ويبعث فيهم الرسل ، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون ، حتى كان آخر من بعث الله فيهم زكرياء وابنه يحيى وعيسى بن مريم ، عليهم السلام ، فقتلوا

يحيى وزكرياء ، فابتعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له جودرس¹ ، فسار إليهم حتى دخل عليهم الشام ، فلما دخل عليهم بيت المقدس قال لقائد عظيم من عسكره اسمه نبوزاذان ، وهو صاحب الفيل : إني كنت حلفتُ لئن أنا ظفرتُ ببني إسرائيل لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري إلى أن لا أجد من أقتله ؛ وأمره أن يدخل المدينة ويقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ، فدخل نبوزاذان المدينة فأقام في المدينة التي يقربون فيها قربانهم ، فوجد فيها دماً يغلي ، فقال : يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي ؟ فقالوا : هذا دم قربان لنا لم يُقبَل فلذلك هو يغلي . فقال : ما صدقتموني الخبر ! فقالوا : إنه قد انقطع منا الملكُ والنبوةُ فلذلك لم يُقبل منا . فذبح منهم على ذلك الدم سبعمئة وسبعين رجلاً من رؤوسهم ، فلم يهدأ ، فأمر بسبعمئة من علمائهم فذُبحوا على الدم ، فلم يهدأ . فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم : يا بني إسرائيل اصدقوني واصبروا على أمر ربكم ، فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون ما شئتم ، قبل أن لا أدعَ منكم نافع نار أنثى ولا ذكراً إلا قتلتها² .

فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر وقالوا : هذا [دم] نبي كان ينهانا عن كثير مما³ يُسخط الله ويخبرنا بخبركم ، فلم نصدقته وقتلناه فهذا دمه . فقال : ما كان اسمه ؟ قالوا : يحيى بن زكرياء . قال : الآن صدقتموني ، لمثل هذا انتقم ربكم منكم ، وخرّ ساجداً وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من هاهنا من جيش جودرس . ففعلوا ، وخلا في بني إسرائيل

1 . جودرس et جودوس post vero حاورس . S. h. 1. ; خردوس . C. P. ; جودوس . A. et B. 1)

١ إلا .

٢ نافع ناراً ولا ذكر إلا قتله .

٣ ما .

ثم قال للدم : يا يحيى قد علم ربّي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قُتل منهم ، فاهداً بإذن الله قبل أن لا يبقى من قومك أحد . فسكن الدم ، ورفع نبوزاذان القتل ، وقال : آمنتُ بما آمنت به بنو إسرائيل وصدقتُ به وأيقنتُ أنه لا ربّ غيره . ثمّ قال لبني إسرائيل : إنّ جودرس أمرني أن أقتل فيكم حتى تسيل دماؤكم في عسكره ، ولستُ أستطيع أن أعصيه . قالوا : افعل . فأمرهم أن يحفروا حفيرة ، وأمر بالخيول والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل فذبحها حتى كثر الدم وأجرى عليه ماء ، فسال الدم في العسكر ، فأمر بالقتلى الذين كان قتلهم ، فألقوا فوق المواشي ، فلما نظر جودرس إلى الدم قد بلغ عسكره أرسل إلى نبوزاذان : أن ارفع القتل عنهم فقد انتقمتم منهم بما فعلوا .

وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل ، يقول الله تعالى لنبية محمد ، صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا . فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ، إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم ، وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ ١ ، و : « عسى » [وعدٌ] من الله حق .

وكانت الواقعة الأولى بنحت نصر وجنوده ، ثمّ ردّ الله سبحانه لهم الكرة ،

1) Cor. 17, vs. 4 — 8.

ثمّ كانت الواقعة الأخيرة جوهرس وجنوده ، وكانت أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبى ذراريهم ونسائهم ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلِيُتَبَّرُوا مَا عَلَوُا تَتَّبِيرًا ﴾ .

وزعم بعض أهل العلم أن قتل يحيى كان أيام أردشير بن بابك ، وقيل : كان قتله قبل رفع المسيح ، عليه السلام ، بسنة ونصف ؛ والله أعلم .

ذكر قتل زكرياء

لما قُتل يحيى وسمع أبوه بقتله فرّاً هارباً فدخل بستاناً عند بيت المقدس فيه أشجار ، فأرسل الملك في طلبه ، فمرّ زكرياء بالشجرة . فنادته : هلمّ إليّ يا نبيّ الله ! فلما أتاها انشقت فدخلها ، فانطبقت عليه وبقي في وسطها ، فأتى عدوّ الله إبليس فأخذ هذب رداءه فأخرجّه من الشجرة ليصدّقه إذا أخبرهم ، ثمّ لقي الطلب فأخبرهم ، فقال لهم : ما تريدون ؟ فقالوا : نلتمس زكرياء . فقال : إنّه سحر هذه الشجرة فانشقت له فدخلها . قالوا : لا نصدّك ! قال : فإنّ لي علامة تصدّقوني بها ؛ فأراهم طرف رداءه ، فأخذوا الفؤوس وقطعوا الشجرة باثنتين وشقّوها بالمنشار ، فمات زكرياء فيها ، فسلب الله عليهم أخبث أهل الأرض فانقم به منهم .

وقيل : إنّ السبب في قتله أن إبليس جاء إلى مجالس بني إسرائيل فخذف زكرياء بمريم وقال لهم : ما أحببها غيره ، وهو الذي كان يدخل عليها ، فطلبوه فهرب ، وذكر من دخوله الشجرة نحو ما تقدّم .

ذكر ولادة المسيح ، عليه السلام ونبوته إلى آخر أمره

كانت ولادة المسيح أيام ملوك الطوائف . قالت المجوس : كان ذلك بعد خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل وبعد إحدى وخمسين سنة مضت من ملك الأشكانيين . وقالت النصارى : إن ولادته كانت لمضي ثلاثمائة وثلاث وستين سنة من وقت غلبة الإسكندر على أرض بابل ، وزعموا أن مولد يحيى كان قبل مولد المسيح بستة أشهر ، وأن مريم ، عليها السلام ، حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة ، وقيل : خمس عشرة ، وقيل : عشرون^١ . وأن عيسى عاش إلى أن رفع اثنين وثلاثين سنة وأياماً ، وأن مريم عاشت بعده ست سنين ، فكان جميع عمرها إحدى وخمسين سنة . وأن يحيى قُتل قبل أن يُرفع المسيح ، وأتت المسيح النبوة والرسالة وعمره ثلاثون سنة .

وقد ذكرنا حال مريم في خدمة الكنيسة ، وكانت هي وابن عمها يوسف ابن يعقوب بن ماثان النجار يليان خدمة الكنيسة ، وكان يوسف حكيماً نجاراً يعمل بيديه ويتصدق بذلك . وقالت النصارى : إن مريم كان قد تزوجها يوسف ابن عمها إلا أنه لم يقربها إلا بعد رفع المسيح . والله أعلم .

وكانت مريم إذا نفذ ماؤها وماء يوسف ابن عمها أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق إلى المغارة التي فيها الماء يستعذبان منه ثم يرجعان إلى الكنيسة ،

فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبرائيل فقد ماؤها فقالت ليوسف ليذهب معها إلى الماء ، فقال : عندي من الماء ما يكفيني إلى غد ، فأخذت قلتها وانطلقت وحدها حتى دخلت المغارة ، فوجدت جبرائيل قد مثله الله ﴿ لَهَا بَشْرًا سَوِيًّا ﴾^١ ، فقال لها : يا مريم إن الله قد بعثني إليك ﴿ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾^٢ . ﴿ قَالَتْ : إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ﴾^٣ أي مطيعاً لله ، وقيل : هو اسم رجل بعينه ، وتحسبه رجلاً ، ﴿ قَالَ : إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا . قَالَتْ : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا - أَي زَانِيَةً - قَالَ : كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴾^٤ ، إلى قوله : ﴿ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾^٥ .

فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله ، فنفخ في جيب درعها ثم انصرف عنها وقد حملت بالمسيح ، وملاأت قلتها وعادت ، وكان لا يعلم في أهل زمانها أعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار ، وكان معها ، وهو أول من أنكر حملها ، فلما رأى الذي بها استعظمه ولم يدرك على ماذا يضع ذلك منها ، فإذا أراد يتهمها ذكر صلاحها وأنها لم تغب عنه ساعة قط ، وإذا أراد يبرئها رأى الذي بها ، فلما اشتد ذلك ، عليه كلمها فكان أول كلامه لها أن قال لها : إنه قد وقع من أمرك شيء قد حرصت على أن أميته وأكتمه فغلبني . فقالت : قل قولاً جميلاً . فقال : حدثيني هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت : نعم . قال : فهل ينبت شجر بغير غيث يصبه ؟ قالت : نعم . قال : فهل يكون

١ (سورة مريم ١٩ ، الآية ١٧) .

٢ (سورة مريم ١٩ ، الآية ١٩) .

٣ (سورة مريم ١٩ ، الآية ١٨) .

٤ (سورة مريم ١٩ ، الآيات ١٩ - ٢١) .

٥ قالت .

ولد بغير ذكر؟ قالت له: نعم، ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه بغير بذر! ألم تعلم أن الله خلق الشجر من غير مطر! وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعدما خلق كل واحد منهما وحده! أوتقول لن يقدر الله علي أن ينبت حتى يستعين¹ بالبذر والمطر! قال يوسف: لا أقول هكذا ولكني أقول إن الله يقدر على ما يشاء، إنما يقول لذلك كن فيكون. قالت له: ألم تعلم أن الله خلق آدم وحواء من غير ذكر ولا أنثى! قال: بلى، فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله لا يسعه أن يسألها عنه لما رأى من كتمانها له.

وقيل: إنها خرجت إلى جانب الحجرات لحيض أصابها فاتخذت من دونهم حجاباً من الجدران، فلما طهرت إذا برجل معها، وذكر الآيات، فلما حملت أتتها خالتها² ومكرياء ليلة تزورها، فلما فتحت لها الباب التزمتها، فقالت امرأة زكرياء: إنني حبلية. فقالت لها مريم: وأنا أيضاً حبلية. قالت امرأة زكرياء: فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك.

وولدت امرأة زكرياء يحيى. وقد اختلف في مدة حملها، فقيل: تسعة أشهر، وهو قول النصارى، وقيل: ثمانية أشهر، فكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعش مولود لثمانية أشهر غيره، وقيل: ستة أشهر، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: ساعة واحدة، وهو أشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾²؛ عقبه بالفاء¹.

فلما أحست مريم³ خرجت إلى جانب المحراب الشرقي فأتت أقصاه

1) S. et A. حتى استعان.

2) Corani 19, vs. 22.

﴿ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ، قَالَتْ - وَهِيَ تَطْلُقُ مِنَ الْجِبِلِّ اسْتِحْيَاءً مِنَ النَّاسِ - يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَتْسِيًّا ﴾^١ ، يعني نسي ذكري وأثري فلا يرى لي أثر ولا عين . قالت مريم : كنتُ إذا خلوتُ حدثني عيسى وحدثته ، فإذا كان عندنا إنسان سمعتُ تسيحه في بطني . ﴿ فَنَادَاهَا ﴾^٢ جبرائيل ﴿ مِنْ تَحْتِهَا - أَي مِنْ أَسْفَلِ الْجِبِلِّ - أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾^٣ ، وهو النهر الصغير ، أجراه تحتها ، فمن قرأ : مِنْ تَحْتِهَا ، بكسر الميم ، جعل المتأدي جبرائيل ، ومن فتحها قال إنه عيسى ، أنطقه الله ، ﴿ وَهَزَيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾^٤ ، كان جذعاً مقطوعاً فهزته فإذا هو نخلة ، وقيل : كان مقطوعاً فلما أجهدها^١ الطلق احتضته فاستقام واخضر وأرطب ، قيل لها : ﴿ وَهَزَيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾^٢ ، فهزته فتساقط الرطبُ فقال لها : ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ، فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي : إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾^٥ ، وكان من صام في ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسي .

فلما ولدتها ذهب إبليس فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت ، فأقبلوا يشتدون بدعوتها^٢ ، ﴿ فَأَنَّتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ ﴾^٥ .

وقيل : إن يوسف النجار تركها في مغارة أربعين يوماً ثم جاء بها إلى

١) فلما أخفا .

٢) يدعوها .

- ١ (سورة مريم ١٩ ، الآية ٢٣) .
- ٢ (سورة مريم ١٩ ، الآية ٢٤) .
- ٣ (سورة مريم ١٩ ، الآية ٢٥) .
- ٤ (سورة مريم ١٩ ، الآية ٢٦) .
- ٥ (سورة مريم ١٩ ، الآية ٢٧) .

أهلها ، فلما رأوها قالوا لها : ﴿ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ،
يا أختَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾^١
فما بالك أنت ؟ وكانت من نسل هارون أخي موسى ، كنا قيل .

قلت : إنها ليست من نسل هارون إنما هي من سبط يهوذا بن يعقوب
من نسل سليمان بن داود ، وإنما كانوا يُدعون بالصلحين ، وهارون من
ولد لاوي بن يعقوب .

قالت لهم ما أمرها اللهُ به ، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام ﴿ أَشَارَتْ
إِلَيْهِ ﴾^٢ ، فغضبوا وقالوا : لَسُخْرِيَّتَهَا بِنَا أَشَدَّ عَلَيْنَا مِنْ زَنَائِهَا . ﴿ قَالُوا :
كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾^٣ ، فتكلم عيسى قال :
﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا
أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾^٤ . فكان
أول ما تكلم به العبودية ليكون أبلغ في الحجّة على من يعتقد أنه إله .

وكان قومها قد أخذوا الحجارة ليرجموها . فلما تكلم ابنها تركوها .
ثم لم يتكلم بعدها حتى كان بمتزلة غيره من الصبيان ، وقال بنو إسرائيل :
ما أحبلها غير زكرياء فإنه هو الذي كان يدخل عليها ويخرج من عندها .
فطلبوه ليقتلوه . ففرّ منهم ، ثم أدركوه فقتلوه .

وقيل في سبب قتله غير ذلك ، وقد تقدّم ذكره .

وقيل : إنه لما دنا نفاسها أوحى الله إليها : أن اخرجي من أرض قومك

١ (سورة مريم ١٩ ، الآيات ٢٧ ، ٢٨) .

٢ كنا قال .

٣ (سورة مريم ١٩ ، الآية ٢٩) .

٤ (سورة مريم ١٩ ، الآيات ٣٠ ، ٣١) .

فإنهم إن ظفروا بك عيرونك وقتلوك وولدك . فاحتملها يوسف النجار وسار بها إلى أرض مصر ، فلما وصلا إلى تخوم مصر أدركها المخاض ، فلما وضعت وهي محزونة قيل لها : ﴿ لَا تَحْزَنِي ﴾ ، الآية إلى إنسيًا ، فكان الرطب يتساقط عليها ، وذلك في الشتاء ، وأصبحت الأصنام منكوسة على رؤوسها ، وفزعت الشياطين فجاؤوا إلى إبليس ، فلما رأى جماعتهم سألهم فأخبروه ، فقال : قد حدث في الأرض حادث ، فطار عند ذلك وغاب عنهم فمرّ بالمكان الذي وُلد فيه عيسى فرأى الملائكة مُحدقين به ، فعلم أن الحدث فيه ، ولم تمكنه الملائكة من الدنو من عيسى ، فعاد إلى أصحابه وأعلمهم بذلك وقال لهم : ما ولدت امرأة إلا وأنا حاضر ، وإنّي لأرجو أن أضلّ به أكثر ممّن يهتدي . واحتملته مريم إلى أرض مصر¹ فمكثت اثني عشرة سنة تكتمه من الناس ، فكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها¹ .

قلتُ : والقول الأوّل في ولادته بأرض قومها للقرآن أصحّ لقول الله تعالى : ﴿ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ ﴾² ، وقوله : ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾³ .

وقيل : إنّ مريم حملت المسيح إلى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار ، وهي الربوة التي ذكرها الله تعالى ، وقيل : الربوة دمشق ، وقيل : بيت المقدس ، وقيل غير ذلك ، فكان سبب ذلك الخوف من ملك بني إسرائيل . وكان من الروم ، واسمه، هيرودس ، فإنّ اليهود أغروه بقتله ، فساروا إلى مصر وأقاموا بها اثني عشرة سنة إلى أن مات ذلك الملك ، وعادوا إلى الشام، وقيل : إنّ هيرودس لم يرد قتله ولم يسمع به إلاّ بعد رفعه ، وإنّما خافوا اليهود عليه ، والله أعلم .

1) مصر وهو الربوة S.

2) Corani 19, vs. 27.

3) Ibid. 19, vs. 29.

ذكر نبوة المسيح وبعض معجزاته

لما كانت مريم بمصر نزلت على دهقان ، وكانت داره يأوي إليها الفقراء والمساكين ، فسُرق له مال ، فلم يتهم المساكين ، فحزنت مريم ، فلما رأى عيسى حزن أمه قال : أتريدن أن أدله على ماله ؟ قالت : نعم . قال : إنته أخذه الأعمى والمقعذ ، اشركا فيه ، حمل الأعمى المقعذ فأخذه ، فقيل للأعمى ليحمل المقعذ ، فأظهر العجز ، فقال له المسيح : كيف قويت على حمله البارحة لما أخذتما المال ؟ فاعترفا وأعاداه .

ونزل بالدهقان أضياف ولم يكن عندهم شراب ، فاهتم لذلك ، فلما رآه عيسى دخل بيتاً للدهقان فيه صفان من جِرار فأمر عيسى يده^١ على أفواهها وهو يمشي ، فامتلات شراباً ، وعمره حينئذ اثنا عشرة سنة .

وكان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع أهلهم وبما كانوا يأكلون .

قال وهب : بينما عيسى يلعب مع الصبيان إذ وثب غلام على صبي فصر به برجله^٢ فقتله فألقاه بين رجلتي المسيح منطلقاً بالدم ، فانطلقوا به إلى الحاكم في ذلك البلد فقالوا : قتل صبياً ، فسأله الحاكم ، فقال : ما قتلته . فأرادوا أن يبطشوا به ، فقال : إيتوني بالصبي حتى أسأله من قتله ، فتعجبوا من قوله وأحضروا عنده القتيل^٣ ، فدعا الله فأحياه ، فقال : من قتلك ؟ فقال : قتلي فلان ، يعني الذي قتله . فقال بنو إسرائيل للقتيل : من هذا ؟ قال :

١ يده .

٢ فصر به على رجله .

٣ وأحضروه عند القتيل .

هذا عيسى بن مريم ، ثم مات الغلام من ساعته .

. وقال عطاء : سلمت مريم عيسى إلى صبّاغ يتعلم عنده ، فاجتمع عند الصبّاغ ثياب وعرض له حاجة ، فقال للمسيح : هذه ثياب مختلفة الألوان وقد جعلتُ في كل ثوب منها خيطاً على اللون الذي يُصبغ به فاصبغها تحق أعود من حاجتي هذه . فأخذها المسيح وألقاها في حُبّ واحد ، فلما عاد الصبّاغ سأله عن الثياب فقال : صبغتها . فقال : أين هي ؟ قال : في هذا الحُبّ . قال : كلها ؟ قال : نعم . قال : لقد أفسدتها على أصحابها ! وتغيّظ عليه . فقال له المسيح : لا تعجل وانظر إليها ، وقام وأخرجها كل ثوب منها على اللون الذي أراد صاحبه . فتعجب الصبّاغ منه وعلم أن ذلك من الله تعالى .

وإذا عاد عيسى وأمه إلى الشام نزلاً بقرية يقال لها ناصرة ، وبها سميت ناصرة . فأقام إلى أن بلغ ثلاثين سنة ، فأوحى الله إليه أن يبرز للناس ويدعوهم إلى الله تعالى ويدنوي المرضى والرمي والأكمه والأبرص وغيرهم من المرضى ، ففعل ما أمر به . وأحبه الناس . وكثر أتباعه . وعلا ذكره .

وحضر يوماً طعام بعض الملوك كان دعا الناس إليه ، فقعده على قصعة يأكل منها ولا تنقص . فقال الملك : من أنت ؟ قال : أنا عيسى بن مريم . فترى الملك عن ملكه واتبعه في قفر من أصحابه فكانوا الحواريين .

وقيل : إن الحواريين هم الصبّاغ الذي تقدم ذكره وأصحابه له . وقيل : كانوا صيادين ، وقيل : قصارين . وقيل : ملاحين ، والله أعلم .

. في خبت ٤ (1)

١ نزولاً .

وكانت عدتهم اثني عشر رجلاً ، وكانوا إذا جاعوا أو عطشوا قالوا : يا روح الله قد جُعمنا وعطشنا ، فيضرب يده¹ إلى الأرض فيُخرج لكل إنسان منهم رغيفين وما يشربون . فقالوا : مَنْ أفضل منا ، إذا شتتا أطعمتنا وسقيتنا ! قال : أفضل منكم مَنْ يأكل من كسب يده ، فصاروا يفسلون الثياب بالأجرة .

ولما أرسله الله أظهر من المعجزات أنه صور من الطين صورة طائر ثم نفع فيه فيصير طائراً بإذن الله ، قيل هو الخفاش .

وكان غالباً¹ على زمانه الطب فأتاهم بما أبرأ الأكمة والأبرص وأحيا الموتى تعجيزاً لهم ، فممن أحياه عازر ، وكان صديقاً لعيسى ، فمرض ، فأرسلت أخته إلى عيسى أن عازر يموت ، فسار إليه وبينهما ثلاثة أيام ، فوصل إليه وقد مات منذ ثلاثة أيام ، فأتى قبره فدعا له فعاش ، وبقي حتى وُلد له . وأحيا امرأة وعاشت وولد لها . وأحيا سام بن نوح ، كان يوماً مع الحواريتين يذكر نوحاً والفرق والسفينة فقالوا : لو بعثت لنا مَنْ شهد ذلك ! فأتى تلاميذ وقال : هنا قبر سام بن نوح ، ثم دعا الله فعاش ، وقال : قد قامت القيامة ؟ فقال المسيح : لا ولكن دعوتُ الله فأحياك ، فسألوه فأخبرهم ، ثم عاد ميتاً . وأحيا عزيزاً النبي ، قال له بنو إسرائيل : احْيِ لنا عزيزاً وإلا أحرقتك . فدعا الله فعاش ، فقالوا : ما تشهد لهذا الرجل ؟ قال : أشهد أنه عبدُ الله ورسوله . وأحيا يحيى بن زكرياء² . وكان يمشي على الماء .

1) يده .

2) وأحيا غير من ذكرنا S. & A. 2)

ذكر نزول المائدة

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة .

وسبب ذلك : أن الحواريين قالوا له : يا عيسى ﴿ هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ ﴾^١ فدعا عيسى فقال : ﴿ اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ﴾^٢ ، فأنزل الله المائدة عليها خبز ولحم يأكلون منها ولا تنفد . فقال لهم : إنها مقيمة ما لم تذخروا منها . فما مضى يومهم حتى اذخروا . وقيل : أقبلت الملائكة تحمل المائدة عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات^١ حتى وضعوها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم ؛ وقيل : كان عليها من ثمار الجنة ، وقيل : كانت تمتد بكل طعام إلا اللحم ، وقيل : كانت سمكة فيها طعم كل شيء ، فلما أكلوا منها ، وهم خمسة آلاف ، وزادت حتى بلغ الطعام ركبهم ، قالوا : نشهد أنك رسول الله ، ثم تفرقوا فتحدثوا بذلك . فكذب به من لم يشهده ، وقالوا : سحر أعينكم ، فافتن بعضهم وكفر ، فمسخوا خنازير ليس فيهم امرأة ولا صبي ، فبقوا ثلاثة أيام ، ثم هلكوا ولم يتوالدوا .

وقيل : كانت المائدة سفرة حمراء تحتها غمامة وفوقها غمامة وهم ينظرون إليها تنزل حتى سقطت بين أيديهم ، فبكى عيسى وقال : اللهم اجعلي من الشاكرين ! اللهم اجعلها رحمةً ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة ! واليهود ينظرون

1) اخوان B .

١ (سورة المائدة ٥ ، الآية ١١٢) .

٢ (سورة المائدة ٥ ، الآية ١١٤) .

إلى شيء لم يروا مثله ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحها . فقال شمعون : يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة ؟ فقال المسيح : لا من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ، إنما هو شيء خلقه الله بقدرته . فقال لهم : كُلُوا مما سألتكم . فقالوا له : كُلْ أنت يا روح الله . فقال : معاذ الله أن آكل منها ! فلم يأكل ولم يأكلوا منها ، فدعا المرضى والزمي والفقراء ، فأكلوا منها ، وهم ألف وثلاثمائة ، فشبِعوا ، وهي بحالها لم تنقص ، فصَحَّ المرضى والزمي ، واستغنى الفقراء ، ثمَّ صعِدت وهم ينظرون إليها حتى توارت ، وندم الحواريون حيث لم يأكلوا منها .

وقيل : إنها نزلت أربعين يوماً ، كانت تنزل يوماً وتنقطع يوماً ، وأمر الله عيسى أن يدعو إليها الفقراء دون الأغنياء ، ففعل ذلك ، فاشتدَّ على الأغنياء وجحدوا نزولها وشكّوا في ذلك وشكّوا غيرهم فيها ، فأوحى الله إلى عيسى : إنني شرطتُ أن أعذب المكذّبين عذاباً لا أعذب به أحداً من العالمين ، فمسح منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين رجلاً فأصبحوا خنازير . فلما رأى الناسُ ذلك فرعوا إلى عيسى وبكوا وبكى عيسى على المسوخين . فلما أبصرت الخنازيرُ عيسى بكوا وطاقفوا به وهو يدعوهم بأسمائهم ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرّون على الكلام ، فعاشوا ثلاثة أيام ثمَّ هلكوا .

ذكر رفع المسيح إلى السماء ونزوله إلى أمته وعوده إلى السماء

قيل : إن عيسى استقبله ناسٌ من اليهود ، فلما رأوه قالوا : قد جاء الساحر ابنُ الساحرة الفاعل ابنُ الفاعلة ! وقذفوه وأمته ، فسمع ذلك ودعا عليهم ،

من .

فاستجاب الله دعاه ومسخهم خنازير ، فلما رأى ذلك رأس بني إسرائيل
 فرع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتله ، فاجتمعوا عليه ، فسألوه ، فقال :
 يا معشر اليهود إن الله يبغضكم ، فغضبوا من مقالته وثاروا إليه ليقتلوه ، فبعث
 إليه جبرائيل فأدخله . في خوخة إلى بيت¹ فيها روزنة¹ في سقفها فرغه إلى السماء
 من تلك الروزنة ، فأمر رأس اليهود رجلاً من أصحابه اسمه قطيانوس² أن
 يدخل إليه فيقتله ، فدخل فلم ير أحداً ، وألقى الله عليه شبه المسيح ، فخرج
 إليهم فظنوه عيسى ، فقتلوه وصلبوه .

وقيل : إن عيسى قال لأصحابه : أيكم يحب أن يلتقى عليه شبيهي وهو
 مقتول ؟ فقال رجل منهم : أنا يا روح الله . فألقى عليه شبهه ، فقتل وصلب .

وقيل : إن الذي شبه بعيسى وصلب برجل إسرائيلي اسمه يوشع أيضاً .

وقيل : لما أعلم الله المسيح أنه خارج من الدنيا جزع من الموت فدعا
 الحواريين فصنع لهم طعاماً فقال : احضروني اللبلة فإن لي إليكم حاجة ،
 فلما اجتمعوا عشاهم وقام يخدمهم . فلما فرغوا أخذ يغسل أيديهم بيده
 ويمسحها بثيابه ، فتعاضموا ذلك وكرهوه . فقال : من يرد علي اللبلة شيئاً
 مما أصنع فليس مني ، فأقرؤه حتى فرغ من ذلك ، ثم قال : أمّا ما خطمتكم
 على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة فلا يتعاضم بعضهم على
 بعض ، وأمّا حاجتي التي أستغيثكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء
 أن يؤخر أجلي . فلما نصبوا أنفسهم للدعاء أخذهم النوم حتى ما يستطيعون
 الدعاء ، فجعل يوقظهم ويقول : سبحان الله ما تصبرون لي ليلة ! قالوا :

1) تطلبانوس . S. قطلبانوس . A. 2) من خوخة . S. مزخرقة . B. 1)

١ (الخوخة : الباب الصغير في الباب الكبير . الروزنة : الكوة) .

والله ما ندرى ما لنا، لقد كنا نسمر فنكث السمر وما تقدر عليه الليلة ، وكلما أردنا^١ الدعاء حيل بيننا وبينه . فقال : يذهب بالراعي ويضرق الغنم ؛ وجعل ينعي نفسه ، ثم قال : ليكفرن^٢ بي أحدكم قبل أن يصبح الديك^٣ ثلاث مرّات ، وليسعي أحدكم بلراهم يسيرة وليأكلن^٤ ثمني .

فخرجوا وتفرّقوا، وكانت اليهود تطلبه ، فأخذوا شمعون ، أحد الخواريين ، وقالوا : هنا صاحبه .

• واختلف العلماء في موته قبل رفعه إلى السماء ، فقيل : رفع ولم يمّت ، وقيل : توفاه الله ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ، ثمّ أحياه ورفع ، ولما رفع إلى السماء قال الله له : انزل ، فلما قالوا لشمعون عن المسيح^١ جحد^٢ وقال : ما أنا صاحبه ! فركوه . فعلوا ذلك ثلاثاً ، فلما سمع صباح الديك بكى وأحزنه ذلك . وأتى أحد الخواريين إلى اليهود فدلتهم على المسيح وأعطوه ثلاثين درهماً فأتى معهم إلى البيت الذي فيه المسيح ، فدخله ، ورفع الله^٣ المسيح وألقى شبهه على الذي دلتهم عليه ، فأخذوه وأوثقوه وقادوه وهم يقولون له : أنت كنت تحيي الموتى وتفعل كذا وكذا فهلاً تنجي نفسك ؟ وهو يقول : أنا الذي دلتكم عليه ، فلم يصغوا إلى قوله ووصلوا به إلى الحشبة وصلبوه عليها .

وقيل : إن اليهود لما دلتهم عليه الخواري اتبعوه وأخذوه من البيت الذي كان فيه ليصلبوه ، فأظلمت الأرض ، وأرسل الله^٤ ملائكة فحاولوا بينهم وبينه ، وألقى شبه المسيح على الذي دلتهم عليه ، فأخذوه ليصلبوه ، فقال : أنا الذي

1) Om. A. et B. Periodus errore quodam hic exstat.

١ نريد .

٢ فجدد .

دلّكم عليه ، فلم يلتفتوا إليه فقتلوه وصلبوه عليها . ورفع الله المسيح إليه بعد أن توفاه ثلاث ساعات ، وقيل : سبع ساعات ، ثمّ أحياه ورفعته ، ثمّ قال له : انزل إلى مريم ، فإنه لم يبكِ عليك أحد بكاءها ولم يحزن أحد حزنها . فنزل عليها بعد سبعة أيّام ، فاشتعل الجبل حين هبط نوراً ، وهي عند المصلوب تبكي ومعها امرأة كان أبرأها من الجنون ، فقال : ما شأنكما تبكيان ؟ قالتا : عليك ! قال : إنّي رفعتي الله إليه ولم يصبني إلاّ خير ، وإنّ هذا شيء شبه لهم ، وأمرها فجمعت له الحواريّتين ، فبشّهم في الأرض رسلاً عن الله وأمرهم أن يبلغوا عنه ما أمره الله به ، ثمّ رفعه الله إليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذّة الطعام والمشرب ، وطار مع الملائكة ، فهو معهم ، فصار إنسيّاً ملكيّاً سماويّاً أرضيّاً .

فتفرّق الحواريّون حيث أمرهم ، فترك الليلة التي أهبّطه الله فيها هي التي تدخّن فيها النصارى .

وتعدّى اليهود على بقيّة الحواريّين يعذبونهم ويشتمونهم ، فسمع بذلك ملك الروم ، واسمه هيرودس ، وكانوا تحت يده ، وكان صاحب وثن ، فقيل له : إنّ رجلاً كان في بني إسرائيل وكان يفعل الآيات من إحياء الموتى وخلق الطير من الطين والإخبار عن الغيوب فعدوا¹ عليه فقتلوه ، وكان يخبرهم أنّه رسول الله . فقال الملك : ويحكم ما منعكم أن تذكروا هذا من أمره ، فوالله لو علمت ما خلّيت بينهم وبينه ! ثمّ بعث إلى الحواريّتين فانتزعهم من أيدي اليهود وسأهم عن دين عيسى ، فأخبروه ، وتابعهم على دينهم واستنزل²

1) A. et S. وقد عدوا .

2) C. P. add. جرجس ; S. سرخس .

المصلوب الذي شُبّه لهم فغيّبه، وأخذ الخشبة التي صُلب عليها فأكرمها وصانها ،
وعدا على بني إسرائيل فقتل منهم قتلى كثيرة ، فمن هناك كان أصل النصرانية
في الروم .

وقيل : كان هذا الملك هيرودس ينوب عن ملك الروم الأعظم الملقب
قيصر ، واسمه طيباريوس ، وكان هذا أيضاً يسمّى ملكاً . وكان مُلك طيباريوس
ثلاثاً وعشرين سنة ، منها إلى ارتفاع المسيح ثماني عشرة سنة وأياماً .

١ وأياماً .

ذكر من ملك من الروم بعد رفع المسيح إلى عهد نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم

زعموا أن ملك الشام جميعه صار بعد طيباريوس إلى ولده جايوس ،
وكان ملكه أربع سنين ، ثم ملك بعده ابن¹ له آخر اسمه قلوديوس أربع
عشرة سنة ، ثم ملك بعده نيرون الذي قتل بطرس وبولس فصلبهما منكسين
أربع عشرة سنة ، ثم ملك بعده بوطلايس أربعة أشهر ، ثم ملك اسفسيانوس ،
وهذا الذي وجه ابنه طيطوس إلى البيت المقدس فهدمه وقتل من بني إسرائيل
غضباً² للمسيح ، ثم ملك ابنه طيطوس ، ثم ملك أخوه دومطيانوس ست
عشرة سنة ، ثم ملك بعده نارواس ست سنين ، ثم ملك من بعده طرايانوس
تسع عشرة سنة ، ثم ملك بعده هدريانوس إحدى وعشرين سنة ، ثم ملك
من بعده أنطونينوس بن بطيانوس اثنتين وعشرين سنة ، ثم ملك مرقوس وأولاده
تسع عشرة سنة ، ثم ملك بعده قومودوس ثلاث عشرة سنة ، ثم ملك من بعده
فرطيناجوس ستة أشهر ، ثم ملك بعده سيواروش أربع عشرة سنة ، ثم ملك
بعده انطينانوس سبع سنين ، ثم ملك من بعده مرقيانوس ست سنين ، ثم ملك
من بعده انطينانوس أربع سنين ، وفي ملكه مات جالينوس الطبيب ، ثم ملك
الحسندروس ثلاث عشرة سنة ، ثم ملك مكسيمانوس ثلاث سنين ، ثم ملك
جورديانوس ست سنين ، ثم فيلفوس سبع سنين ، ثم ملك داقيوس ست سنين ،
ثم ملك قالوس ست سنين ، ثم ملك والريانوس وقالينوس خمس عشرة
سنة ، ثم ملك قلوديوس سنة ، ثم ملك قريطاليوس شهرين ، ثم ملك أورليانوس

1) A. اغ . 2) تصباً B.

خمس سنين ، ثمّ ملك طيقطوس ستة أشهر ، ثمّ ملك فولورنوس خمسة وعشرين يوماً ، ثمّ ملك فروبوس ست سنين ، ثمّ ملك دقلطيانوس ست سنين ، ثمّ ملك نحسيميانوس عشرين سنة ، ثمّ قسطنطين ثلاثين سنة ، ثمّ ملك يليانوس ستين ، ثمّ ملك يويانوس سنة ، ثمّ ملك والنطيانوس وخرطيانوس عشر سنين ، ثمّ ملك خرطيانوس ووالنطيانوس الصغير سنة ، ثمّ ملك تيداسيس الأكبر سبع عشرة سنة ، ثمّ ارقاديوس وانوريوس عشرين سنة ، ثمّ ملك تيداسيس الأصغر ووالنطيانوس ست عشرة سنة ، ثمّ ملك مرقيانوس سبع سنين ، ثمّ لاوست عشرة سنة ، ثمّ ملك زانون ثماني عشرة سنة ، ثمّ ملك أنسطاس سبعاً وعشرين سنة ، ثمّ ملك يوسطيانوس تسع سنين ، ثمّ ملك يوسطيانوس الشيخ عشرين سنة ، ثمّ ملك يوسطيس اثني عشرة سنة ، ثمّ ملك طيباريوس ست سنين ، ثمّ مريقيش وتاداسيس ابنه عشرين سنة ، ثمّ ملك فوقا الذي قُتل سبع سنين وستة أشهر ، ثمّ هرقل الذي كتب إليه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ثلاث سنين .

فمن لدن عمير البيت المقدس بعد أن أخربه بخت نصر إلى الهجرة ، على قولهم ، ألف سنة ونيف ، ومن ملك الإسكندر إليها تسعمائة ونيف وعشرون سنة ، فمن ذلك من وقت ظهوره إلى مولد عيسى ، عليه السلام ، ثلاثمائة سنة وثلاث سنين ، ومن مولده إلى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة ، ومن وقت ارتفاعه إلى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة وأشهر .

هذا الذي ذكره أبو جعفر من عدد ملوك الروم ، وقد أخلى ذكرهم عن شيء من الحوادث التي كانت في أيامهم ، وقد سطرها غيره من العلماء بالتاريخ وخالفه في كثير منها ووافق في الباقي مع مخالفة الاسم وأضاف إلى أسمائهم ذكر شيء من الحوادث في أيامهم ، وأنا أذكره مختصراً ، إن شاء الله .

1) A. S. et B. صج .

ذكر ملوك الروم ، وهم ثلاث طبقات ، فالطبقة الأولى الصابثون

ذكر غير واحد من علماء التاريخ أنّ الروم غلبت اليونان ، وهم ولد صوفير¹ ، والإسرائيليتون يدعون أنّ صوفير¹ هو الأصغر بن نفر² بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم ، وكانوا ينزلون رومية قبل غلبتهم على اليونان ، وكانوا يدينون قبل النصرانية بمذهب الصابثين ، ولهم أصنام يعبدونها على عادة الصابثين . فكان أول ملوكهم برومية غالْيوس ، وكان ملكه ثماني عشرة سنة ، وقيل : كان ملك قبله روملس وارمانوس ، وهما بניהا ، وإليهما نُسبت ، وأضيف الروم إليها ، وإنّما غالْيوس أول من يُعدّ في التاريخ لشهرته ، ثمّ ملك بعده يوليوس أربع سنين وأربعة أشهر ، ثمّ ملك أوغسطس ، ومعناه الصباء ، وهو أول من سمّي قيصر . وتفسير ذلك أنّه شقّ عنه بطن أمّه لأنّها ماتت وهي حامل به ، فأخرج من بطنها ، ثمّ صار ذلك لقباً لملوكهم ، وكان ملكه ستاً وخمسين سنة وخمسة أشهر ، وأكثر المؤرّخين يتدثرون باسمه لأنّه أول من خرج من رومية وسير الجنود برّاً وبحراً ، وغزا اليونانيّين ، واستولى على ملكهم ، وقتل قلوبطرة آخر ملوكهم ، واستولى على الإسكندرية ونقل ما فيها إلى رومية ، وملك الشام ، واضمحلّ ملك اليونانيّين ، ودخلوا في الروم ، واستخلف على البيت المقدس هيرودس بن أنطيقوس ؛ ولائتين وأربعين سنة من ملكه كانت ولادة المسيح ، وهو الذي بنى قيصرية .

ثمّ ملك بعده طيباريوس ثلاثاً وعشرين سنة ، وهو الذي بنى مدينة طبرية ، فأضيفت إليه ، وعربها العرب ؛ وفي ملكه رُفِع المسيح ، عليه السلام ،

1) A. et S. صوفر . 2) C. P. et A. sine punctis ; B. cui superscriptum est.

وملك بعد رفعه ثلاث سنين .

ثمّ ملك بعده ابنه غايوس أربع سنين ، وهو الذي قتل اصطفنوس رئيس الشمامسة عند النصارى ويعقوب أخا يوحنا بن زبدي ، وهما من الحواريتين ، وقتل خلقاً من النصارى ، وهو أوّل الملوك من عبّاد الأصنام قتل النصارى .

ثمّ ملك قلوديوس بن طيباريوس أربع عشرة سنة ، وفي ملكه حبس شمعون الصفا ، ثمّ خلص شمعون من الحبس وسار إلى أنطاكية ، فدعا إلى النصرانية ، ثمّ سار إلى رومية فدعا أهلها أيضاً ، فأجابته زوجة الملك وه رت إلى البيت المقدس وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى أنّ المسيح صُلب عليها ، وكانت في أيدي اليهود ، فأخذتها ورددتها إلى النصارى .

ثمّ ملك نيرون ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وفي آخر ملكه قتل بطرس وبولس بمدينة رومية وصلبهما منكسين . وفي أيامه ظفرت اليهود بيعقوب ابن يوسف ، وهو أوّل الأساقفة بالبيت المقدس ، فقتلوه وأخذوا خشبة الصليب فدفنوها ، وفي أيامه كان مارينوس الحكيم صاحب كتاب الجغرافيا في صورة الأرض .

ثمّ ملك بعده غلباس سبعة أشهر ، ثمّ ملك أوثون ثلاثة أشهر ، ثمّ ملك بيطاليس أحد عشر شهراً ، ثمّ ملك اسباسيانوس سبع سنين وسبعة أشهر ، وفي أيامه خالف أهل البيت المقدس قيصر فحصرهم وافتتح المدينة عنوةً وقتل كثيراً من أهلها من اليهود والنصارى وعمتهم الأذى في أيامه .

ثمّ ملك ابنه طيطوس سنتين وثلاثة أشهر ، وفي أيامه أظهر مرقيون مقاته بالاثنين ، وهما : الخير والشرّ ، وبعد ثالث بينهما ، وإليه تُنسب المرقونية ؛ وهو من أهل حرّان .

ثمّ ملك ذومطيانش بن اسباسيانوس خمس عشرة سنة وعشرة أشهر ،

ولتسع سنين من ملكه نفى يوحنا الحواريّ كاتب الإنجيل إلى جزيرة في البحر
ثمّ رده .

ثمّ ملك نرواس سنة وخمسة أشهر .

ثمّ ملك طرايانوس تسع عشرة سنة ، وفي السادسة من ملكه توفي يوحنا
كاتب الإنجيل بمدينة أفسيس . ثمّ ملك إيليا اندريانوس عشرين سنة ، وقتل
من اليهود والنصارى خلقاً كثيراً لخلاف كان منهم عليه ، وأخرب البيت
المقدس ، وهو آخر خرابه ، فلما مضى من ملكه ثماني سنين عمره أيضاً وسمّاه
إيليا ، فبقي الاسمُ عليه ، فكان قبل ذلك يسمّى أورشلم ، وأسكن المدينة
جماعةً من الروم واليونان ، وبني هيكلاً عظيماً للزهرة ، وكان عالي البنيان ،
فهُدم من أعلاه كثير ، وهو باقٍ [إلى] يومنا هذا ، وهو سنة ثلاث وستمائة ،
وقد رأيتُه ، وهو محكم البناء ، ولا أدري كيف نُسب إلى داود وقد بُني
بعده بدهر طويل ، على أنّي سمعتُ بالبيت المقدس من جماعة يذكرون أنّ
داود بناه وكان يتفرّغ فيه لعبادته .

وفي أيام هذا الملك كان ساقيدس الفيلسوف الصامت .

ثمّ ملك أنطينس بيوس اثنتين وعشرين سنة ، وفي أيامه كان بطلميوس
صاحب المجسطي والجغرافيا وغيرهما ؛ وقيل : إنّه من ولد قلوديوس ،
ولهذا قيل له القلوديّ نسبة إليه ، وهو السادس من ملوك الروم . ودليل كونه
في هذا الزمان وليس من ملوك اليونان أنّه ذكر في كتاب المجسطي أنّه رصد
الشمس بالإسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين لبخت نصر ، وكان من ملك بخت
نصر إلى قتل دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وستة عشر يوماً ،
ومن قتل دارا إلى زوال ملك قلوبطرة الملكة آخر ملوك اليونان على يد أوغسطس
مائتا سنة وست وثمانون سنة ، ومد غلبة أوغسطس إلى انطينوس مائة وسبع

وستون سنة ، فمذ ملك بخت نصر إلى أدريانوس ثمانمائة وثلاث وثمانون سنة تقريباً ، وهذا موافق لما حكاه بطلميوس .

قال : ومن زعم أن¹ ابن قلوبطرة آخر ملوك اليونانيين فقد أبطل ذكر هذا بعض العلماء بالتاريخ وعدّ ملوك اليونان وذكر مدّة ملكهم على ما قال . وأما أبو جعفر الطبري فإنه ذكر في مدّة ملكهم مائتي سنة وسبعاً وعشرين سنة ، على ما تقدّم ذكره .

ثمّ ملك بعده مرقس ، ويسمى أورليوس ، تسع عشرة سنة ، وفي ملكه أظهر ابن ديصان مقالته ، وكان أسقفاً بالرّهاء ، وهو من القائلين بالاثنين ، ونُسب إلى نهر على باب الرّهاء يسمى ديصان وجد عليه منبوزاً ، وبني على هذا النهر كنيسة .

ثمّ ملك قومودوس اثنتي عشرة سنة ، وفي أيامه كان جالينوس قد أدرك بطلميوس القلودي ، وكان دين النصرانية قد ظهر في أيامه وذكرهم في كتابه في : جوامع كتاب أفلاطون في السياسة .

ثمّ ملك برطينقش ثلاثة أشهر ، ثمّ ملك يوليانوس شهرين ، ثمّ ملك سيوارس سبع عشرة سنة ، وشمل اليهود والنصارى في أيامه القتل والتشريد ، وبني بالإسكندرية هيكلًا عظيمًا سماه هيكل الآلهة .

ثمّ ملك أنطونيوس ستّ سنين ، ثمّ ملك مقرونيوس سنة وشهرين ، ثمّ ملك أنطونيوس الثاني أربع سنين ، ثمّ ملك الاكصندروس ، ويلقب مامياس ، ثلاث عشرة سنة ، ثمّ ملك مقسميانوس ثلاث سنين ، ثمّ ملك مقسموس ثلاثة أشهر ، ثمّ ملك غرديانوس ستّ سنين ، ثمّ ملك فيلبوس ستّ سنين ،

1) A. et B. وسبعون .

وتنصر وترك دين الصابئين وتبعه كثير من أهل مملكته واختلفوا لذلك ، وكان
فمن خالفه بطريق يقال له داقبوس ، قتل فيلبوس واستولى على الملك ، ثم
ملك بعد فيلبوس داقبوس سنتين وتبع النصارى ، فهرب منه أصحاب الكهف
إلى غار في جبل شرقي مدينة أفسيس¹ ، وقد خربت المدينة ، وكان لبثهم فيه
مائة² وخمسين سنة .

وهذا باطل لأنه على هذا السياق من حين¹ رفع المسيح إلى الآن نحو
مائتي سنة وخمس عشرة سنة ، وكان لبث أصحاب الكهف على ما نطق
به القرآن المجيد ﴿ ثَلَاثِمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾² فذلك خمسمائة
سنة وأربع وعشرون سنة ، فعلى هذا يكون ظهورهم قبل الإسلام بنحو ستين
سنة ، وقد ذكرنا من لدن ظهورهم إلى الهجرة زيادة على مائتي سنة . فهذه
الجملة أكثر من الفترة بين المسيح والنبي ، عليهما الصلاة والسلام . إلا أن
هذا الناقل قد ذكر أن غيبتهم كانت مائة وخمسين سنة على ما نراه مذكوراً .
وفيه مخالفة للقرآن ، ولولا نص القرآن لكان استقام له ما يريد .

ثم ملك بعده غالبيوس سنتين ، وكان شريكه في الملك يوليانوس ، ملك
خمس عشرة سنة ، ثم ملك قلوديبوس³ ، ثم ملك ابنه اورليانوس ست سنين ،
ثم ملك طافسطوس وأخوه فورس تسعة أشهر ، ثم بروبس تسع سنين ،
ثم ملك قاروس سنتين وخمسة أشهر ، ثم ملك دقلطيانوس سبع عشرة سنة ،
ثم ملك مقسيمانوس وشاركه مقسنطيوس ، ثم اقتتلا فاقتما الملك ، فملك

1) S. ubique . افسس (1)

2) B. ثلث مائة .

3) S. قلوديبوس سنة .

١ حيث .

٢ (سورة الكهف ١٨ ، الآية ٢٥) .

الأبُّ على الشام وبلاد الجزيرة وبعض الروم ، وملك الابنُ رومية وما اتصل بها من أرض الفرنج ، وملكاً تسع سنين ، وتملك معها قسطنس أبو قسطنطين بلاد بونطيا وما يليها ، وهي نواحي القسطنطينية ، ولم تكن بنيت حينئذٍ ، ثم مات قسطنس وملك بعده ابنه قسطنطين المعروف بأمه هيلاني ، وهو الذي تنصّر .

قال : ومن أوّل ملوك الروم إلى ها هنا كانوا شبيهاً بملوك الطوائف لا ينضبط عددهم ، وقد اختلف الناسُ فيهم كاختلافهم في ملوك الطوائف ، وإنّما الذي يعزّل عليه من قسطنطين إلى هرقل الذي بعث محمد ، صلى الله عليه وسلم ، في أيامه ، ولقد صدق قائل هذا فإنّ فيه من الاختلاف والتناقض ما ذكرنا بعضه عند ذكر دقيوس وأصحاب الكهف ، وهذه العلة لم يذكر الطبري أصحاب الكهف في زمان أيّ الملوك كانوا ، وإنّما ذكرناه نحن لما في أيام الملوك من الحوادث .

الطبقة الثانية من ملوك الروم المنتصرة

ثمّ ملك قسطنطين المعروف بأمه هيلاني في جميع بلاد الروم ، وجرى بينه وبين مقسيمانوس وابنه حروب كثيرة ، فلما ماتا استولى على الملك وتفرد به ، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ، وهو الذي تنصّر من ملوك الروم وقاتل عليها حتى قبلها الناس ودانوا بها إلى هذا الوقت .

وقد اختلفوا في سبب تنصّره ، فقيل : إنّه كان به برص وأرادوا نزعهُ

1) برء . B .

فأشار عليه بعضُ وزرائه ممن كان يكتم النصرانية بإحداث دين يقاتل عليه
ثمّ حسن له النصرانية ليساعده من دان به ، ففعل ذلك . فتبعه النصارى من
الروم مع أصحابه وخاصته ، فقوي بهم وقهر من خالفه ، وقيل : إنه سير
عساكر على أسماء أصنامهم ، فانهزمت العساكر . وكان لهم سبعة أصنام على
أسماء الكواكب السبعة ، على عادة الصابئين . فقال له وزير له يكتم النصرانية
في هذا وأزرى بالأصنام وأشار عليه بالنصرانية . فأجابته ، فظفر ، ودام
ملكه ؛ وقيل غير ذلك .

وهو الذي بنى مدينة القسطنطينية لثلاث سنين خلت من ملكه بمكانها الآن ،
اختاره لحصانه ، وهي على الخليج الآخذ من البحر الأسود إلى بحر الروم ،
والمدينة على البرّ المتصل برومية وبلاد الفرنج والأندلس ؛ والروم تسميها
استنبول ، يعني مدينة الملك .

ولعشرين سنة مضت من ملكه كان السنهودس الأول بمدينة نيقية من بلاد
الروم ، ومعناه الاجتماع ، فيه ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً ، فاختر منهم
ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً متفقين غير مختلفين ، فحرموا آريوس الإسكندراني
الذي يضاف إليه الآريوسية من النصارى ، ووضع شرائع النصرانية بعد أن
لم تكن ، وكان رئيس هذا المجمع بطرق الإسكندرية .

وفي السنة السابعة من ملكه سارت أمه هيلاني الرهاوية ، كان أبوه سباها
من الرها ، فأولدها هذا الملك ، فسارت إلى البيت المقدس وأخرجت الخشبة
التي تزعم النصارى أن المسيح صلب عليها ، وجعلت ذلك اليوم عيداً ، فهو
عيد الصليب ، وبنّت الكنيسة المعروفة بقمامة ، وتسمى القيامة ، وهي إلى
وقتنا هذا يحجّها أنواع النصارى . وقيل : كان مسيرها بعد ذلك لأن ابنها

1) الخزر B.

دان بالنصرانية في قول بعضهم بعد عشرين سنة من ملكه . وفي السنة الحادية والعشرين من ملكه طبق جميع ممالكه بالبيع هو وأمه، منها : كنيسة حمص ، وكنيسة الرها ، وهي من العجائب .

ثمّ ملك بعده قسطنطين أنطاكية أربعاً وعشرين سنة بعهد من أبيه إليه وسلم إليه القسطنطينية ، وإلى أخيه قسطنس أنطاكية والشام ومصر والجزيرة ، وإلى أخيه قسطنس رومية وما يليها من بلاد الفرنج والصقالبة ، وأخذ عليهما المواثيق بالانقياد لأخيها قسطنطين .

ثمّ ملك بعده يوليانوس ابن أخيه سنتين ، وكان يدين بمذهب الصابئين ويخفي ذلك . فلما ملك أظهرها وخرّب البيع وقتل النصارى ، وهو الذي سار إلى العراق أيام سابور بن أردشير فقتل بسهم غرب ، وقد ذكر أبو جعفر خبر هذا الملك مع سابور ذي الأكتاف وهو بعد سابور بن أردشير .

ثمّ ملك بعده يوليانوس سنة فأظهر دين النصرانية ودان بها وعاد عن العراق .

ثمّ ملك بعده ولنطيوش اثني عشرة سنة وخمسة أشهر ، ثمّ ملك والنس ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، ثمّ ملك والنطيانوس ثلاث سنين ، ثمّ ملك تدوس الكبير ، ومعناه عطية الله ، تسع عشرة سنة ، وفي ملكه كان السنهودس الثاني بمدينة القسطنطينية ، اجتمع فيه مائة وخمسون أسقفياً لعنوا مقدونس وأشياعه ، وكان فيه بطرق الإسكندرية وبترق أنطاكية وبترق البيت المقدس ، والمدن التي يكون فيها كراسي البطرق أربع : إحداهما رومية ، وهي لبطرس الحواري ، والثانية الإسكندرية ، وهي لمرقس أحد أصحاب الأناجيل الأربعة ، والثالثة

.....
1) ubique leg. يوليانوس (1)

القسطنطينية ، والرابعة أنطاكية ، وهي لبطرس أيضاً . ولثمانى سنين من ملكه ظهر أصحاب الكهف .

ثمّ ملك بعده أرقاديبوس بن تدوس ثلاث عشرة سنة ، ثمّ ملك تدوس الصغير بن تدوس الكبير اثنتين وأربعين سنة ، وإحدى وعشرين سنة من ملكه كان السنهودس الثالث بمدينة أفسس ، وحضر هذا المجمع مائتا أسقف ، وكان سببه ما ظهر من نسطورس بطرق القسطنطينية ، وهو رأس النسطورية من النصارى ، من مخالفة مذهبهم ، فلعنوه ونفوه ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد إخميم ومات بقرية يقال لها سيصلح¹ ، وكثر أتباعه ، وصار بسبب ذلك بينهم وبين مخالفيهم حرب وقتال ، ثمّ دثرت مقالته إلى أن أحيها برصوما مطران نصيبين قديماً .

ومن العجائب أن الشهرستاني مصنف كتاب : نهاية الاقدام في الأصول ، ومصنف كتاب : الملل والنحل ، في ذكر المذاهب والآراء القديمة والجديدة ، ذكر فيه أن نسطور كان أيام المأمون ، وهذا تفرّد به ، ولا أعلم له في ذلك موافقاً .

ثمّ ملك بعده مرقيان ست سنين ، وفي أوّل سنة من ملكه كان السنهودس الرابع على تسقرس² بطرق القسطنطينية ، اجتمع فيه ثلاثمائة وثلاثون أسقفاً ، وفي هذا المجمع خالفت يعقوبية سائر النصارى .

ثمّ ملك ليون الكبير ست عشرة سنة ، ثمّ ملك ليون الصغير سنة ، وكان يعقوبي المذهب ، ثمّ ملك زينون سبع سنين ، وكان يعقوبياً ، فزهد في الملك فاستخلف ابناً له ، فهلك ، فعاد إلى الملك ، ثمّ ملك نسطاس سبعا وعشرين سنة ، وكان يعقوبي المذهب ، وهو الذي بنى عمورية ، فلما حفر أساسها

1) A. S. et B. سيفلح .

2) ديسقرس (Ibn Khaldun, ed. Bulaq. I, 102)

أصاب فيه مالاً وفي بالنفقة على بنائها وفضل منه شيء بني به بيعة وأديرة^١ .
ثم ملك يوسطين سبع سنين ، وأكثر القتل في اليعقوبية .

ثم ملك يوسطانوس تسعاً وعشرين سنة ، وبني بالرهاء كنيسة عجيبة ،
وفي أيامه كان السنهودس الخامس بالقسطنطينية ، فحرموا أدريجا^١ أسقف منبج
لقوله بتناسخ الأرواح في أجساد الحيوان ، وإن الله يفعل ذلك جزاء لما ارتكبه .
وفي أيامه كان بين اليعاقبة والملكية ببلاد مصر فتن ؛ وفي أيامه ثار اليهود
بالبيت المقدس وجبل الخليل على النصارى فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ؛ وبني
الملك من البيعة والأديرة شيئاً كثيراً ؛ ثم ملك يوسطينوس ثلاث عشرة سنة ،
وفي أيامه كان كسرى أنوشروان ، ثم ملك طباريوس ثلاث سنين وثمانية
أشهر ، وكان بينه وبين أنوشروان مراسلات ومهاداة ، وكان مغرّياً بالبناء
وتحسينه وتزويقه .

ثم ملك موريق عشرين سنة وأربعة أشهر ، وفي أيامه ظهر رجل من أهل
مدينة حماة يُعرف بمارون إليه تُنسب المارونية من النصارى ، وأحدث رأياً
يخالف من تقدمه ، وتبعه خلقٌ كثير بالشام ، ثم إنهم انقرضوا ولم يُعرف
الآن منهم أحد .

وهذا موريق هو الذي قصده كسرى أبرويز حين انهزم من بهرام جوبين^٢
فزوج ابنته وأمدّه بعساكره وأعادته إلى ملكه ، على ما نذكره إن شاء الله .

ثم ملك بعده فوقاس ، وكان من بطارقة موريق ، فوثب به فاغتاله فقتله .

1) pro أدريجا Ibn Khaldun l. c. p. ١٥٣ habet.

2) جور B.

وملك الروم بعده ، وكان ملكه ثمانين سنين وأربعة أشهر ، ولما ملك تبعاً ولد موريق وحاشيته بالقتل . فلماً بلغ ذلك أبرويز غضب وسير الجنود إلى الشام ومصر فاحتوى عليهما وقتلوا من النصارى خلقاً كثيراً ، وسيرد ذلك عند ذكر أبرويز .

ثمّ ملك هيرقل ، وكان سبب ملكه أن عساكر الفرس لما فتكت في الروم ساروا حتى نزلوا على خليج القسطنطينية وحصروها ، وكان هرقل يحمل الميرة في البحر إلى أهلها ، فحسن موقع ذلك من الروم وبانت شهامته وشجاعته وأحبه الروم فحملهم على الفتك بفوقاس وذكرهم سوء آثاره ، ففعلوا ذلك وقتلوه وملكوا عليهم هيرقل .

ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الروم بعد الهجرة

فأولهم هيرقل ، قد ذكر سبب ملكه ، وكان مدة ملكه خمساً وعشرين سنة ، وقيل : إحدى وثلاثين سنة ؛ وفي أيامه كان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ومنه ملك المسلمون الشام .

ثمّ ملك بعده ابنه قسطنطين ، وقيل : هو ابن أخيه قسطنطين ، وكان ملكه تسع سنين وستة أشهر ، وسيرد خبره عند ذكر غزاة الصواري ، إن شاء الله .

وفي أيامه كان السنهودس السادس على لعن رجل يقال له قورس الإسكندري

١ يتبع .

خالف الملكية ووافق المارونية .

ثمّ ملك بعده ابنه قسطنطين الخامس عشرة سنة في خلافة عليّ ، عليه السلام ،
ومعاوية ، ثمّ ملك هرقل الأصغر بن قسطنطين أربع سنين وثلاثة أشهر ، ثمّ
ملك قسطنطين بن قسطنطين ثلاث عشرة سنة بعض أيّام معاوية وأيّام يزيد وابنه
معاوية ومروان بن الحكم وصدرأ من أيّام عبد الملك . ثمّ ملك أسطينان ،
المعروف بالأخرم ، تسع سنين أيّام عبد الملك ، ثمّ خلعه الرومُ وخرموا أنفه
وحمل إلى بعض الجزائر ، فهرب ولحق بملك الخزر واستنجده فلم ينجده ،
فانتقل إلى ملك بُرجان ؛ ثمّ ملك بعده لونتش ثلاث سنين أيّام عبد الملك ،
ثمّ ترك الملك وترهب ؛ ثمّ ملك ابسمير ، المعروف بالطرسوسي ، سبع
سنين ، فقصد أسطينان ومعه برجان وجرى بينهما حروب كثيرة وظفر به
أسطينان وخلعه وعاد إلى ملكه ، فكان ذلك أيّام الوليد بن عبد الملك . واستقرّ
أسطينان ، وكان قد شرط لملك برجان أن يحمل إليه خراجاً كلّ سنة ، ففسف
الروم وقتل بها ١ خلقاً كثيراً ، فاجتمعوا عليه وقتلوه ، فكان ملكه الثاني ستين
ونصفاً ، وكان قتله أوّل دولة سليمان بن عبد الملك ؛ ثمّ ملك نسطاس بن
فيلفوس ، وكان في أيّامه اختلاف بين الروم فخلعوه ونفوه .

ثمّ ملك تيدوس المعروف بالأرمنيّ في أيّام سليمان بن عبد الملك أيضاً ،
وهو الذي حصره مسلمة بن عبد الملك ؛ ثمّ ملك بعده اليون بن قسطنطين
لضعفه عن الملك ، وضمن اليون للروم ردّ المسلمين عن القسطنطينيّة ، فملكوه ،
فكان ملكه ستاً وعشرين سنة ، ومات في السنة التي بويج فيها الوليد بن يزيد
ابن عبد الملك .

ثمّ ملك بعده ابنه قسطنطين إحدى وعشرين سنة ، وفي أيّامه انقرضت

1) س. و قتل منهم .

الدولةُ الأمويّةُ ، وتوفي لعشر سنين مضت من أيّام المنصور . ثمّ ملك بعده ابنه اليون تسع عشرة سنة وأربعة أشهر بقيّة أيّام المنصور ، وتوفي في خلافة المهديّ . ثمّ ملك بعده ريني امرأة اليون بن قسطنطين ، ومعها ابنها قسطنطين ابن اليون ، وهي تدبّر الأمر بقيّة أيّام المهديّ والهادي وصدراً من خلافة الرشيد . فلما كبر ابنها أفسد ما بينه وبين الرشيد ، وكانت أمّه مهادنة له ، فقصدته الرشيد وجرى له معه وقعة ، فانهزم وكاد يؤخذ ، فكحلت أمّه وانفردت بالملك بعده خمس سنين وهاذنت الرشيد .

ثمّ ملك بعدها نقفور ، أخذ الملك منها ، وكان ملكه سبع سنين وثلاثة أشهر ، وهو نقفور أبو استبراق ، وكنتُ قد رأيتُه مضبوطاً بكثير من الكتب بسكون القاف ، حتى رأيتُ رجلاً زعم أن اسمه نقفور ، بفتح القاف . وعهد نقفور إلى ابنه استبراق بالملك بعده ، وهو أوّل من فعل ذلك في الروم ، ولم يكن يُعرف قبله ، وكانت ملوك الروم قبل نقفور تحلق لحاها ، وكذلك ملوك الفرس ، فلم يفعله نقفور . وكانت ملوك الروم قبله تكتب : من فلان ملك الفرس ، فلم يفعله نقفور . وكانت ملوك الروم ، وقال : لستُ ملك النصرانيّة كلّها . وكانت الروم تسمي العرب سارقوس ، يعني : عبيد سارة ، بسبب هاجر أمّ إسماعيل ، فنهاهم عن ذلك وجرى بين نقفور وبين بُرجان حرب سنة ثلاث وتسعين ومائة فقتل فيها .

ثمّ ملك بعده ابنه استبراق بعهد من أبيه إليه ، وكان ملكه شهرين ، ثمّ ملك بعده ميخائيل بن جرجس ، وهو ابن عمّ نقفور ، وقيل : ابن استبراق ، وكان ملكه سنتين في أيّام الأمين ، وقيل أكثر من ذلك ، فوثب به اليون المعروف بالبطريق وغلب على الأمر وحجسه ، ثمّ ملك بعده اليون البطريق سبع سنين وثلاثة أشهر ، فوثب به أصحابُ ميخائيل في خلاص صاحبهم وقتل¹

1) وقتل وتم له ذلك وما د S.

اليون ثم فتح لهم ذلك وعاد ميخائيل إلى الملك ، وقيل : إنه كان قد ترهب أيام اليون ، وكان ملكه هذه الدفعة الثانية تسع سنين ، وقيل أكثر من ذلك .

ثم ملك بعده ابنه توفيل بن ميخائيل أربع عشرة سنة ، وهو الذي فتح زبطرة ، وسار المعتصم بسبب ذلك وفتح عمورية ، وكان موته أيام الواصل .

ثم ملك بعده ابنه ميخائيل ثمانياً وعشرين سنة ، وكانت أمه تدبر الملك معه ، وأراد قتلها فترهبت ، وخرج عليه رجل من أهل عمورية من أبناء الملوك السالفة يُعرف بابن بقراط ، فلقبه ميخائيل فيمن عنده من أسارى المسلمين ، فظفر به ميخائيل فمثل به ، ثم خرج عليه بسيل الصقلي فاستولى على الملك وقتل ميخائيل سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

ثم ملك بعده بسيل الصقلي عشرين سنة أيام المعتز والمهتدي وصدراً من أيام المعتمد ، وكانت أمه صقلية فنُسب إليها .

وقد غلط حمزة الأصفهاني فيه فقال عند ذكر ميخائيل : ثم انتقل الملك عن الروم وصار في الصقل فقتله بسيل الصقلي ظناً منه أن أباه كان صقلياً .

ثم ملك بعده ابنه اليون بن بسيل ستاً وعشرين سنة أيام المعتمد والمعتضد والمكفي وصدراً من أيام المقتدر ، وقيل : إن وفاته كانت سنة سبع وتسعين ومائتين .

ثم ملك أخوه الألكسندروس سنةً وشهرين ومات بالدبيلة ، وقيل : إنه اغتيل لسوء سيرته . ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون ، وهو صبي ، وتولّى الأمر له بطريق البحر ، واسمه ارمانوس ، وشرط على نفسه شروطاً ، منها أنه لا يطلب الملك ولا يلبس التاج لا هو ولا أحد من أولاده ، فلم يمض غير ستين حتى خوطب هو وأولاده بالملك وجلس مع قسطنطين على السرير ،

1) قبضها . B .

وكان له ثلاثة من الولد ، فخصى أحدهم وجعله بطرقاً ليأمن من المنازعة ، فإنّ البطرق يحكم على الملك ، فبقي على حاله إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة¹ من الهجرة ، فاتفق ابناه مع قسطنطين الملك على إزالة أبيهما ، فدخلا عليه وقبضاه وسيّراه إلى دبر له في جزيرة بالقرب من القسطنطينية ، وأقام ولداه مع قسطنطين نحو أربعين يوماً وأرادا الفتك به ، فسبقهما إلى ذلك وقبض عليهما وسيّرها إلى جزيرتين في البحر ، فوثب أحدهما بالموكّل به فقتله ، وأخذ أهله تلك الجزيرة فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى قسطنطين الملك ، فجزع لقتله .

وأما ارمانوس فإنه مات بعد أربع سنين من ترهّبه . ودام ملك قسطنطين بقية أيام المقتدر والقاهر والراضي والمستكفي وبعض أيام المطيع ، ثمّ خرج على قسطنطين هذا قسطنطين بن أندرونقس ، وكان أبوه قد توجه إلى المكثفي سنة أربع وتسعين ومائتين وأسلم على يده وتوفي . فهرب ابنه هذا على طريق أرمينية وأذربيجان إلى بلاد الروم ، فاجتمع عليه خلق كثير وكثُر أتباعه ، فسار إلى القسطنطينية ونازع الملك قسطنطين في ملكه ، وذلك سنة إحدى وثلاثمائة ، فظفر به الملك فقتله .

وخرج عن طاعته أيضاً صاحب رومية ، وهي كرسيّ ملك الإفرنج ، وتسمّى بالملك ، ولبس ثياب الملوك . وكانوا قبل ذلك يطيعون ملوك الروم أصحاب القسطنطينية ويصدرون عن أمرهم ، فلما كان سنة أربعين وثلاثمائة قوي ملك رومية ، فخرج عن طاعته ، فأرسل إليه قسطنطين العساكر يقاتلونه ومنّ معه من الفرنج ، فالتقوا واقتلوا ، فانهزمت الروم وعادت إلى القسطنطينية منكوبة² ، فكفّ حينئذٍ قسطنطين عن معارضته ورضي بالمسألة وجرى بينهما مصاهرة ، فزوج قسطنطين ابنه ارمانوس بابنة ملك رومية . ولم يزل أمر

1) Codd. ومايتين .

2) مكورين B .

الإفرنج بعد هذا يقوى ويزداد ويتسع ملكهم كالاستيلاء على بعض بلاد
الأندلس ، على ما نذكره ، وكأنهم جزيرة صقلية وبلاد ساحل الشام والبيت
المقدس ، على ما نذكره ، وفي آخر الأمر ملكوا القسطنطينية سنة إحدى
وستمائة ، على ما نذكره إن شاء الله .

ومما ينبغي أن يلحق بهذا أن الطوائف من الترك اجتمعت ، منهم :
البعناك والبختي وغيرهما ، وقصدوا مدينة الروم قديمة تسمى وليدرا سنة
اثنين وعشرين وثلاثمائة وحصروها ، فبلغ خبرهم إلى أرمانوس ، فسير إليهم
عسكراً كثيراً كثيفاً فيهم من المنتصرة اثنا عشر ألفاً ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم
الروم ، واستولى الترك على المدينة وخرّبوها بعد أن أكثروا القتل فيها والسبي
والنهب ، ثم ساروا إلى القسطنطينية وحصروها أربعين يوماً وأغاروا على بلاد
الروم واتصلت غاراتهم إلى بلاد الإفرنج ، ثم عادوا راجعين .

.....
1) A. ولتر ; B. ولندر .

ذكر وصول قبائل العرب إلى العراق ونزولهم الحيرة

قال ابن الكلبي : لما مات بخت نصر انضم الذين أسكنهم الحيرة من العرب إلى أهل الأنبار وبقيت الحيرة خراباً دهنراً طويلاً وأهلها بالأنبار لا يطلع عليهم قادم¹ من العرب ، فلما كثر أولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ومزقتهم الحروب خرجوا يطلبون الريف فيما يليهم من اليمن ومشارف² الشام ، وأقبلت³ منهم قبائل حتى نزلوا بالبحرين وبها جماعة من الأزد ، وكان الذين أقبلوا من تهامة مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم بن أسد بن وبرة بن قضاة ، ومالك بن زهير بن عمرو بن فهم في جماعة من قومهم ، والحيقاد بن الحنق⁴ ابن عمير بن قبيص بن معد بن عدنان في قبيص⁵ كلتها ، ولحق بهم غطفان ابن عمرو بن الطمّثان بن عوذ مناة بن يقدم بن أفضى بن دُعمي بن إباد بن نزار بن معد بن عدنان وغيره من إباد ، فاجتمع بالبحرين قبائل من العرب وتحالفوا على التَّنُوخ ، وهو المقام ، وتعاقبوا على التناصر والتساعد ، فصاروا يداً واحدةً وضمّتهم اسم تنوخ ، وتَنَخَّ عليهم بطون من نُمارة بن لحم ، ودعا مالك بن زهير جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي إلى التَّنُوخ معه وزوجه أخته ليس ، فتنخ جذيمة ، وكان اجتماعهم أيام ملوك

1) قيس. B. 3) . ومشارك. Codd. 2) . لا يقدم عليهم S. ; قلادة. B. 1)

١ وأفلت . (وما أثبتناه عن الطبري) .

٢ (في الطبري : والحيقاد بن الحنق) .

الطوائف ، وإنما سُمّوا ملوك الطوائف لأن كلّ ملك منهم كان ملكه على طائفة قليلة من الأرض .

قال : ثمّ تطلّعت أنفس منّ كان بالبحرين إلى ريف العراق فطمعوا في غلبة الأعاجم على ما يلي^١ بلاد العرب [منه] أو^١ مشاركتهم فيه لاختلاف بين ملوك الطوائف ، فأجمعوا على المسير إلى العراق ، فكان أوّل من يطلع منهم الحيقاد ابن الحنق في جماعة من قومه وأخلاق من الناس ، فوجدوا الأرمانيين ، وهم الذين ملكوا أرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل ، يقاتلون الأردوانيين ، وهم ملوك الطوائف ، وهو ما بين نيفر^٢ ، وهي قرية من سواد العراق إلى الأبلّة ، فدفعوهم عن بلادهم ، والأرمانيون من بقايا إرم فلهدا سُمّوا الأرمانيين ، وهم نبط السواد .

ثمّ طلع مالك وعمرو ابنا فهم بن فهم الله وغيرهما^٢ من تنوخ إلى الأنبار على ملك الأرمانيين ، وطلع نمارة ومن معه إلى نيفر على ملك الأردوانيين ، وكانوا^٣ لا يدينون للأعاجم حتى قدمها تبّع ، وهو أسعد أبو كرب . بن ملكي^٢ كرب في جيوشه ، فخلف بها من لم يكن فيه قوة من عسكره ، وسار تبّع ثمّ رجع إليهم فأقرّمهم على حالهم ، ورجع إلى اليمن وفيهم من كلّ القبائل ، ونزلت تنوخ من الأنبار إلى الحيرة في الأخبية لا يسكنون بيوت المدر ، وكان أوّل منّ ملك منهم مالك بن فهم ، وكان منزله ممّا يلي الأنبار ، ثمّ مات مالك فملك بعده أخوه عمرو بن فهم بن

1) S. العرب من ملكهم أو .

2) A.

١ في أن يغلبوا الأعاجم في ما يلي . (ما أثبتناه عن الطبري) .

٢ وغيرهم .

٣ وكان .

غانم بن دوس الأزدي ، ثم مات فملك بعده جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم ، وقيل : إن جذيمة من العادية الأولى من بني دمار¹ بن أميم بن لوذ ابن سام بن نوح² ، عليه السلام ؛ والله أعلم .

ذكر جذيمة الأبرش

قال : وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً ، وأبعدهم مغاراً ، وأشدّهم نكابة ، وأول من استجمع له الملك بأرض العراق ، وضم إليه العرب ، وغزا بالجيوش ، وكان به برص فكنت العرب عنه ، فقيل : الوضاح ، والأبرش ، إعظماً له . وكانت منازلها ما بين الحيرة والأنبار وبتقة² وهيت وعين التمر وأطراف البر إلى العمير¹ وخفية ، وتجبى إليه الأموال ، وتغد إليه الوفود . وكان غزا طسماً وجديساً في منازلهم من اليمامة ، فأصاب حسان بن تبع أسعد أبي كرب قد أغار عليهم فعاد بمن معه ، وأصاب حسان سرية لجذيمة فاجتاحها ، وكان له صنمان يقال لهما الضيرنان¹ ، وكانت إياد بعين أباغ ، فدكر لجذيمة غلام من لخنم في أخواله من إياد يقال له عدي بن نصر بن ربيعة له جمال وظرف ، فزاهم جذيمة ، فبعث إياد من سرق صنميه وحملهما إلى إياد ، فأرسلت إليه : إن صنميك أصبحا فينا زهداً فيك [ورغبة فينا] ، فإن أوثقت لنا أن لا

1) وباز S. ; زياد B. ; وبار A. 1)

2) وكبه B. ; ونفه A. 2)

1 (في الطبري : الغوير) .

2 الضيرنان .

تغزونا دفعناهما إليك . قال : وتدفعون معهما عدي بن نصر^١ . فأجابوه إلى ذلك وأرسلوه مع الصنمين ، فضمه إلى نفسه وولاه شرابه .

فأبصرته رقاشِ أخت جذيمة فعشقتة وراسلته ليخطبها إلى جذيمة . فقال : لا أجتريء على ذلك ولا أطمع فيه . قالت : إذا جلس على شرابه فاسقه صرفاً واسقِ القوم ممزوجاً ، فإذا أخذتِ الحمرُ فيه فاخطبني إليه فلن يردك . فإذا زوجك فأشهدِ القوم .

ففعل عدي ما أمرته ، فأجابه جذيمةُ وأملكه إياها . فانصرف إليها فأعرس بها من ليلته وأصبح بالخلوق ، فقال له جذيمة ، وأنكر ما رأى به : ما هذه الآثار يا عدي ؟ قال : آثار العرس . قال : أي عرس ؟ قال : عرس رقاش . قال : من زوجكها^١ ويحك ! قال : الملك . فندم جذيمة وأكبّت على الأرض متفكراً ، وهرب عدي ، فلم ير له أثر ولم يُسمع له بذكر ، فأرسل إليها جذيمة :

خبريني وأنتِ لا تكذبيني : أبحرِ زنيّتِ أم بهجينِ
أم بعبدِ فانتِ أهلٌ لعبدٍ أم بدونِ فانتِ أهلٌ لدونِ

فقلت : لا بل أنت زوجتي امرأً عربياً حسيباً ولم تستأمرني في نفسي . فكفّ عنها وعذرهما . ورجع عدي إلى إباد فكان فيهم . فخرج يوماً مع فتية منصبتين ، فرمى به فتى منهم في ما بين جبلين ، فتنكس^٢ فمات .

فحملت رقاش فولدت غلاماً فسمته عمراً . فلما ترعرع وشبّ ألبسته

١) نصر إلى S .

١ زوجها .

٢ فتكسر .

وعطّرتّه وأزارته خاله ، فلما رآه أحبّه وجعله مع ولده ، وخرج جذيمة متبدّياً بأهله وولده في سنة خصيبة ، فأقام في روضة ذات زهر وغُدُرًا ، فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون¹ الكمأة ، فكانوا إذا أصابوا كمأة جيّدة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها ، فانصرفوا إلى جذيمة يتعادون ، وعمرو يقول :

هذا جنّاي وخياره² فيه إذ كلّ جانٍ يده³ في فيه

فضمته جذيمة إليه والتزمه وسرّ بقوله [وفعله] ، وأمر فجعل له حلي من فضة وطوق ، فكان أوّل عربيّ ألبس طوقاً .

فبينما هو على أحسن حالة إذ استطارته الجنّ ، فطلبه جذيمة في الآفاق زماناً فلم يقدر عليه ، ثمّ أقبل رجلان من بلقّين قضاة⁴ يقال لهما مالك وعقيل ابنا فارح بن مالك من الشام يريدان جذيمة ، وأهديا له طُرْفًا ، فترلا مترلاً ومعهما قيّنة⁵ لهما تسمى أمّ عمرو ، فقدّمت طعاماً . فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى عريان قد تلبّد شعره وطالت أظفاره وساءت حاله فجلس ناحية⁶ عنهما ومدّ يده يطلب الطعام ، فناولته القيّنة⁷ كُرَاعًا ، فأكلها ، ثمّ مدّ يده ثانية ، فقالت : لا تعطِ العبدَ كُرَاعًا فيطمع في الذراع ! فذهبت مثلاً ، ثمّ سقتهما من شراب معها وأوكت زقها⁸ ، فقال عمرو بن عديّ :

صدّدتِ الكأسَ عَنَّا أمّ عمرو وكانَ الكأسُ مَجراها اليمينا
وما شرّ الثلاثةِ أمّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا⁹

1) يحشون .

2) وخياري .

1) وعلر .

2) فجة .

3) (أي ربطته وشدت عليه) .

4) تصحينا (البتان من معلقة عمرو بن كلثوم) .

فسألاه عن نفسه ، فقال :

إنْ تُنْكِرَانِي أَوْ تُنْكِرَا نَسَبِي ، فَإِنِّي أَنَا عَمْرُو ابْنِ عَدِي ، بِنِ تَنُوحِيَّةَ ، اللَّخْمِيَّ ، وَغَدَاً مَا تَرِيَانِي فِي نُمَارَةَ غَيْرِ مَعْصِي .

فنهضا وغسلا رأسه وأصلحا حاله وألبساه ثياباً وقالوا : ما كنا لنهدي لجذيمة أنفس من ابن أخته ! فخرجنا به إلى جذيمة ، فسُرَّ به سروراً شديداً وقال : لقد رأيتُهُ يوم ذهب وعليه طوق ، فما ذهب من عيني وقلبي إلى الساعة ، وأعادوا عليه الطوق ، فنظر إليه وقال : شَبَّ^١ عمرو عن الطوق ، وأرسلها مثلاً ، وقال لمالك وعقيل : حكمتكما . قالوا^٢ : حكمتنا منادمتك ما بقينا وبقيت ، فهما ندمانا^٣ جذيمة اللذان يُضربان^٤ مثلاً .

وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب^١ بن حسان بن أذينة العمليقي من عاملة العمالقة ، فتحارب هو وجذيمة ، فقتل عمرو وانهزمت عساكره ، وعاد جذيمة سالماً ، وملكته بعد عمرو ابنته الزبباء ، واسمها نائلة ، وكان جنود الزبباء بقايا العماليق وغيرهم ، وكان لها من الفرات إلى تدمر . فلما استجمع^٢ لها أمرها واستحكم ملكها اجتمعت لغزو جذيمة تطلب بثأر أبيها ، فقالت لها أختها ربيعة ، وكانت عاقلة : إن غزوتِ جذيمة فإنما هو يوم له ما بعده والحرب سيجال ، وأشارت بترك الحرب وإعمال الحيلة .

1) B. للضرب .

2) S. & C. P. فلما اجتمع .

١ كبر .

٢ قال .

٣ ندماء .

٤ يضربا بهما .

فأجابتها إلى ذلك وكتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها ، وكتبت إليه
أنها لم تجد مُلك النساء إلا قبحاً في السماع وضعفاً^١ في السلطان ، وأنها لم تجد
لملكها ولا لنفسها كفواً غيره .

فلما انتهى كتاب الزبَاء إليه استخف ما دعت إليه وجمع إليه ثقافته ،
وهو بيقته من شاطئ الفرات ، فعرض عليهم ما دعت إليه واستشارهم ؛ فأجمع
رأيهم على أن يسير إليها ويستولي على ملكها .

وكان فيهم رجلٌ يقال له قصير بن سعد من لحم ، وكان سعد تزوج أمة
لجذيمة فولدت له قصيراً ، وكان أديباً حازماً ناصحاً لجذيمة قريباً منه ، فخالقهم
فيما أشاروا به عليه وقال : رأي فاتر ، وغدراً حاضر ؛ فذهبت مثلاً ؛ وقال
لجذيمة : اكتب إليها فإن كانت صادقة فلتقبل إليك وإلا لم تتمكنها من نفسك
وقد وترتها وقتلت أباه .

فلم يوافق جذيمة ما أشار به قصير وقال له : لا ولكنك امرؤ رأيتك في
الكنين لا في الضح^٢ ؛ فذهبت مثلاً .

ودعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدي فاستشاره ، فشجته على المسير وقال :
إن نمارة قومي مع الزبَاء فلو رأوك صاروا معك ، فأطاعه .
فقال قصير : لا يُطاع لقصير أمر . وقالت العرب : بيقته أبرم الأمر ؛
فذهبتا مثلاً .

واستخلف جذيمة عمرو بن عدي على ملكه ، وعمرو بن عبد الجن على

١) في الكسر لا في الصح . S . 1)

١) إلا قبح في السماع وضعف .

٢) وعدو . (وما أثبتناه عن الطبري) .

خيوله معه ، وسار في وجوه أصحابه ، فلما نزل الفريضة قال لقصير : ما الرأي ؟ قال : بيقّة تركت الرأي ؛ فذهبت مثلاً .

واستقبله رسل الزبّاء بالهدايا والألطف ، فقال : يا قصير كيف ترى ؟ قال : خطرٌ يسير ، وخطب كبير ؛ فذهبت مثلاً ؛ وستلّقاك الخيول ، فإن سارت أمامك فإنّ المرأة صادقة ، وإن أخذت جنبيك وأحاطت بك فإنّ القوم غادرون ، فأركب العصا ، وكانت فرساً لجذيمة لا تُجارى ، فإنّي راكبها ومسايرك عليها .

فلقيته الكتاب فحالت بينه وبين العصا ، فركبها قصير ، ونظر إليه جذيمة مولياً على متنها ، فقال : ويل أمّه حزماً على من العصا ! فذهبت مثلاً . وقال : ما ضلّ من تجري به العصا ؛ فذهبت مثلاً ؛ وجرت به إلى غروب الشمس ، ثمّ نقتت وقد قطعت أرضاً بعيدة ، فبنى عليها برجاً يقال له برج العصا ، وقالت العرب : خيرٌ ما جاءت به العصا ؛ مثل تضربه .

وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيول حتى دخل على الزبّاء ، فلما رآته تكشّفت ، فإذا هي مضمفورة^١ الاسب ؛ والاسب بالباء الموحدة هو شعر الاسب ، وقالت له : يا جذيمة أدأب عروس^١ ترى ؟ فذهبت مثلاً . فقال : بلغ المدى ، وجفّ الثرى ، وأمر غدر أرى ؛ فذهبت مثلاً . فقالت له : أما وإلهي ما بنا من عدم مواس ، ولا قلّة أواس ، ولكنها شيمة من^٢ أناس ؛ فذهبت مثلاً . وقالت له : أنبت أنّ دماء الملوك شفاء من الكلب . ثمّ أجلسه

١) الرب عروس .

١ مضمفورة .

٢ ما .

على نطع وأمرت بطست من ذهب ، فأعدت له ، وسقته الخمر حتى أخذت منه مأخذها ثم أمرت براهشيه^١ فقطعا ، وقدّمت إليه الطست ، وقد قبل لها : إن قطر من دمه شيء في غير الطست طُلب بدمه . وكانت الملوك لا تُقتل بضرب الرقبة إلا في قتال تكريمة^٢ للملك . فلما ضعفت يداه سقطتا ، فقطر من دمه في غير الطست ، فقالت : لا تضيّبوا دم الملك ! فقال جذيمة : دعوا دماً ضيّعه أهله ! فذهبت مثلاً .

فهلك جذيمة وخرج قصير من الحيّ الذين هلكت العصا بين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عديّ ، وهو بالحيرة ، فوجده قد اختلف هو وعمرو ابن عبد الجنّ فأصلح بينهما ، وأطاع الناس عمرو بن عديّ ، وقال له قصير : تهيّأ واستعدّ ولا تطلّ دم خالك . فقال : كيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجوّ ؟ فذهبت مثلاً .

وكانت الزبّاء سألت كهنة عن أمرها وهلاكها ، فقالوا لها : نرى هلاكك بسبب عمرو بن عديّ ، ولكنّ حتفك بيدك^٣ ، فحذرت عمراً واتخذت نفقاً من مجلسها إلى حصن لها داخل مدينتها ، ثمّ قالت : إن فجأني أمر دخلتُ النفق إلى حصني ، ودعت رجلاً مصوراً حاذقاً فأرسلته إلى عمرو بن عديّ متنكراً وقالت له : صوره جالساً وقائماً ومتفضلاً^٤ ومتنكراً ومتسلحاً بهيئته ولبسه ولونه ثمّ أقبل إليّ . ففعل المصور ما أوصته الزبّاء وعاد إليها ، وأرادت أن تعرف عمرو بن عديّ فلا تراه على حال إلاّ عرفته وحذرته .

وقال قصير لعمرو : اجدع أنفي واضرب ظهري ودعني وإياها . فقال

١ (الراهشان : عراقان في باطن النراعين) .

٢ ومنفضلاً . (منفضلاً أي لابساً الفضلة وهي الثوب الذي يُبتدل في الشغل أو للنوم أو

يتوشح به الإنسان في بيته) .

عمرو : ما أنا بفاعل . فقال قصير : خلّ عني إذا وخلصك ذمّ ، فذهبت مثلاً .
 فقال عمرو : فأنت أبصرٌ ؛ فجدع قصيرٌ أنفه ودقّ¹ بظهره وخرج كأنه
 هارب وأظهر أنّ عمراً فعل ذلك به ، وسار حتى قدم على الزبياء ، فقيل لها :
 إنّ قصيراً بالباب² ؛ فأمرت به فأدخل عليها ، فإذا أنفه قد جدع وظهره
 قد ضرب ، فقالت : لأمر ما جدع قصيرٌ أنفه ؛ فذهبت مثلاً . قالت : ما
 الذي أرى بك يا قصير ؟ قال : زعم عمرو أنّي غدرتُ خاله وزينتُ له
 المسير إليك ومالأتك عليه ففعل بي ما ترين فأقبلتُ إليك وعرفتُ أنّي لا أكون
 مع أحد هو أثقل عليه منك . فأكرمته ، وأصابت عنده بعض ما أرادت من الخزم
 والرأي والتجربة والمعرفة بأمر الملك .

فلما عرف أنّها قد استرسلت إليه ووثقت به ، قال لها : إنّ لي بالعراق
 أموالاً كثيرة ، ولي بها طرائف وعطر ، فابعثني لأحمل مالي وأحمل إليك من
 طرائفها وصنوف ما يكون بها من التجارات فتصيبين أرباحاً وبعض ما لا غناء
 للملوك عنه . فسرحته ودفعتُ إليه أموالاً وجهزتُ معه عيراً ، فسار حتى
 قدم العراق وأتى عمرو بن عديّ متخفياً وأخبره الخبر³ وقال : جهّزني
 بالبزّ والطرف وغير ذلك لعلّ الله يمكنني من الزبياء فتصيب ثأرك وتقتل
 عدوك . فأعطاه حاجته ، فرجع بذلك كله إلى الزبياء فعرضه عليها ، فأعجبها
 وسرها وازدادت به ثقةً ، ثمّ جهّزته بعد ذلك بأكثر ممّا جهّزته به في المرّة
 الأولى . فسار حتى قدم العراق وحمل من عند عمرو حاجته ولم يدع طرفةً
 ولا متاعاً قدر عليه ، ثمّ عاد الثالثة فأخبر عمراً الخبر وقال : اجمع لي ثقات
 أصحابك وجندك وهيء لهم الغرائر ، وهو أول من عملها ، واحمل كلّ رجلين

1) B. واثر . 2) B. أتى الباب . 3) A. سير . 4) B. يمكني .

على بعير في غرارتين وأجعل^١ معقد رؤوسهما من باطنهما . وقال له : إذا دخلتُ
مدينة الزبَاء أقتك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل
المدينة ، فمن قاتلهم قاتلوه ، وإن أقبلت الزبَاء تريد نفقها قتلتها .

ف فعل عمرو ذلك وساروا ، فلما كانوا قريباً من الزبَاء تقدم قصير إليها
فبشرها وأعلمها كثرة ما حمل من الثياب والطرائف وسألها أن تخرج وتنظر
إلى الإبل وما عليها ، وكان قصير يكمن النهار ويسير الليل ، وهو أول من
فعل ذلك ، فخرجت الزبَاء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض ،
فقالت : يا قصير ،

ما للجِمالِ مَشِيهاً وثيداً^٢ أجندلاً يحملنَ أمَ حديدًا
" أم صرْفاناً بارداً شديدًا^١ أم الرجالِ جُثمًا قُعودًا

ودخلت الإبلُ المدينة ، فلما توسطتها أنيخت وخرج الرجال من الغرائر ،
ودلَّ [قصير] عمراً على باب النفق وصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح ،
وقام عمرو على باب النفق . وأقبلت الزبَاء تريد الخروج من النفق ، فلما
أبصرت عمراً قائماً على باب النفق عرفت^٣ بالصورة التي عملها المصور ، فمصت
سمّاً كان في خاتمها ، فقالت : بيدي لا بيد عمرو ! فذهبت مثلاً . وتلقاها
عمرو بالسيف فقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة ثم عاد إلى العراق . وصار
المُلك بعد جذيمة لابن أخته عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث
ابن سعود بن مالك بن عمرو بن نُمارة بن لَحْم ، وهو أول من اتخذ الحيرة

1) ام الرحال في الفرار السودا . B .

١ وجعل .

٢ رويدا .

٣ عرفت .

متزلاً من ملوك العرب ، فلم يزل ملكاً حتى مات ، وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وقيل : مائة وثمانين سنة ، منها أيام ملوك الطوائف خمس وتسعون سنة ، وأيام أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وأشهر ، وأيام ابنه سابور بن أردشير ثمانين سنة وشهران^١ ، وكان منفرداً بملكه يغزو المغازي ولا يدين للملوك الطوائف إلى أن ملك أردشير بن بابك أهل فارس . ولم يزل الملك في ولده إلى أن كان آخرهم النعمان بن المنذر ، إلى أيام ملوك كنده ، على ما نذكره إن شاء الله .

وقيل في سبب مسير ولد نصر بن ربيعة إلى العراق غير ما تقدم : وهو رؤيا رآها ربيعة : وسيرد ذكرها عند أمر الحبشة ، إن شاء الله تعالى .

ذكر طسم وجديس وكانوا أيام ملوك الطوائف

كان طسم بن لوذ بن أزهر^١ بن سام بن نوح ، وجديس بن عامر بن أزهر^١ بن سام ابني عم ، وكانت مساكنهم موضع اليمامة . وكان اسمها حينئذ جواً ، وكانت من أنحصب البلاد وأكثرها خيراً ، وكان ملكهم أيام ملوك الطوائف عمليق ، وكان ظالماً قد تهادى في الظلم والغشم والسيرة الكثيرة القبح ، وإن امرأة من جديس يقال لها هزيمة طلقها زوجها وأراد أخذ ولدها

١) ارم C. P. 1)

منها ، فخاصمته إلى عمليق وقالت : أيتها الملك حملته تسعاً ، ووضعتُه
 دفعا ، وأرضعته شفعا ؛ حتى إذا تمت أوصاله ، ودنا فضاله ، أراد أن
 يأخذه مني كرها ، ويتركني بعده ورها¹ . فقال زوجها : أيتها الملك إنَّها أعطيت
 مهرها كاملا ، ولم أصب منها طائلا ، إلا وليدا خاملا ، فافعل ما كنتَ
 فاءلا . فأمر الملك بالفلام فصار في غلمانه وأن تباع المرأة وزوجها فيعطى
 زوجها خمس ثمنها وتعطى المرأة عشر ثمن زوجها ، فقالت هزيلة :

أتينا أبا طسم ليحكّم بيننا فأنفذ² حكما في هزيلة ظلما
 لعمرى لقد حكمت لا متورعا ولا كنت فيمن³ يُبرم الحكم عالما
 ندمت ولم أندم وأنى بعيرتي وأصبح بعلي في الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولها أمر أن لا تزوج بكر من جديس وتُهدى إلى
 زوجها حتى يفرعها ، فلقوا من ذلك بلاء وجهداً وذللاً ، ولم يزل يفعل ذلك
 حتى زوّجت الشمس ، وهي عفيرة⁴ بنت عباد⁵ أخت الأسود ، فلما
 أرادوا حملها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق لينالها قبله ، ومعها الفتيان ، فلما
 دخلت عليه افترعها وختلى سبيلها ، فخرجت إلى قومها في دماثها وقد شقت
 درعها من قُبُل ودُبُر والدم بين⁶ وهي في أقبح منظر تقول :

لا أحد أذل من جديس أهكذا يُفعل بالعرّوس
 يرضى بذا يا قوم بعل حرّ أهدي وقد أعطى وسبق المهر⁷
 وقالت أيضاً لتعرض قومها :

- 1) B. ولها . 2) A. et B. فابعد . 3) S. فيما .
 4) B. et S. عفيرة . 5) C. P. عفار . 6) S. والدم ينتثر .
 7) B. et S. hunc addit versum :

يقبضه الموت كذا بنفسه اصلح ان يصنع ذا بمره

أَيَجْمَلُ مَا يُؤْتَى إِلَى فِتْيَاتِكُمْ ، وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فَيَكُمُ عَدَدُ النَّمْلِ¹ ،
 وَتُصْبِحُ تَمْشِي فِي الدِّمَاءِ عَفِيرَةً² جِهَاراً وَزُفَّتْ فِي النِّسَاءِ إِلَى بَعْلِ
 وَلَوْ أَنَّا كُنَّا رِجَالاً وَكُنْتُمْ نِسَاءً لَكُنَّا لَا نَقْرُ بِذَا³ الْفِعْلِ
 فَمُوتُوا كِرَاماً أَوْ أَمِيتُوا عَدُوَّكُمْ وَدَبُّوا لِنَارِ الْحَرْبِ بِالْحَطْبِ الْجَزَلِ
 وَإِلَّا فَخَلُّوا بَطْنَهَا وَتَحَمَّلُوا إِلَى بَلَدٍ قَفْرٍ وَمُوتُوا مِنَ الْهَزَلِ
 فَلَلْبَيْنُ خَيْرٌ مِنْ مَقَامٍ عَلَى الْأَذَى وَلَتَمُوتُ خَيْرٌ مِنْ مَقَامٍ عَلَى الذَّلِ
 وَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَغْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ فَكُونُوا نِسَاءً لَا تُعَابُ³ مِنْ الْكَحْلِ
 إِيَّادُونَكُمْ طِيبَ النِّسَاءِ فَإِنَّمَا خُلِقْتُمْ لِأَثْوَابِ الْعُرُوسِ وَاللِنَسْلِ⁴
 فَبُعْداً وَسُحْقاً لِلَّذِي لَيْسَ دَافِعاً وَيَخْتَالُ يَمْشِي بَيْنَنَا مِشْيَةَ الْفَحْلِ

فلما سمع أخوها الأسود قولها ، وكان سيّداً مطاعاً ، قال لقومه : يا معشر
 جدّيس إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزّ منكم في داركم إلا بملك صاحبهم علينا
 وعليهم ، ولولا عجزنا لما كان له فضل علينا ، ولو امتنعنا لانتصفنا منه ،
 فأطيعوني فيما أمركم فإنه عزّ الدّهر .

وقد حمي جدّيس لما سمعوا من قولها فقالوا : نطيعك ولكنّ القوم أكثر
 منا ! قال : فإنّي أصنع للملك طعاماً وأدعوه وأهله إليه ، فإذا جاؤوا يرفلون
 في الحلل أخذنا⁶ سيوفنا وقتلناهم . فقالوا : افعل . فصنع طعاماً فأكثر وجعله
 بظاهر البلد ودفن هو وقومه سيوفهم في الرمل ودعا الملك وقومه ، فجاؤوا

- 1) B. الرمل . 2) C. P. et S. عفيرة . 3) S. et C. P. لا تعب .
 4) B. وللمسل . 5) B. غي . 6) B. add. ثم أخذنا .

١ للنا .

٢ تعب .

٣ وللنسل .

يرفلون في حللهم ، فلما أخذوا مجالسهم ومدّوا أيديهم يأكلون ، أخذت جديس سيوفهم من الرمل وقتلوهم وقتلوا ملكهم وقتلوا بعد ذلك السفلة .

ثمّ إنّ بقيّة طسم قصدوا حسّان بن تبيّع ملك اليمن فاستنصروه ، فسار إلى اليمامة . فلما كان منها على مسيرة ثلاث قال له بعضهم : إنّ لي اختاً متزوجة في جديس يقال لها اليمامة تبصر الراكب من مسيرة ثلاث ، وإنّي أخاف أن تنذر القوم بك ، فمرّ أصحابك فليقطع كلّ رجل منهم شجرة^١ فليجعلها أمامه .

فأمرهم حسّان بذلك ، فنظرت اليمامة فأبصرتهم فقالت لجديس : لقد سارت إليكم حمير . قالوا : وما ترين ؟ قالت : أرى رجلاً في شجرة معه كتف يتعرّقها أو نعل يخرّصها ، وكان كذلك ، فكذبوها ، فصبتهم حسّان فأبادهم ، وأتى حسّان باليمامة ففقأ عينها ، فإذا فيها عروق سود . فقال : ما هذا ؟ قالت : حجر أسود كنت أكتحل به يقال له الإثمّد ، وكانت أوّل من اكتحل به . وبهذه اليمامة سُمّيت اليمامة^٢ وقد أكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم .

ولما هلكت جديس هرب الأسود قاتل عمليق إلى جبلي طيء فأقام بهما ، ذلك قبل أن تنزلهما طيء ، وكانت طيء تنزل الجرف من اليمن ، وهو الآن لمُراد وهمدان . وكان يأتي إلى طيء بعير أزمان الخريف عظيم السمن ويعود عنهم ، ولم يعلموا من أين يأتي ، ثمّ إنهم اتبعوه يسرون بسيره حتى هبط بهم على أجأ وسلمى جبلي طيء ، وهما بقرب فيد ، فرأوا فيهما^١ النخل والمراعي الكثيرة ورأوا الأسود بن عفار ، فقتلوه ، وأقامت طيء بالجبلتين بعده ، فهم هناك إلى الآن ، وهذا أوّل مخرجهم إليهما^٢ .

١ فيه .

٢ إليها

ذكر أصحاب الكهف ،

وكانوا أيام ملوك الطوائف

كان أصحاب الكهف أيام ملك اسمه دقيوس¹ ، ويقال دقيانوس ، وكانوا بمدينة للروم اسمها أفسوس ، وملكهم يعبد الأصنام ، وكانوا فتية آمنوا بربهم كما ذكر الله تعالى ، فقال : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾² ؛ والرقيم خبرهم كُتِبَ في لوح وجعل على باب الكهف الذي أووا إليه ، وقيل : كتبه بعض أهل زمانهم وجعله [في البناء] وفيه أسماؤهم وفي أيام من كانوا وسبب وصولهم إلى الكهف³ .

وكانت عديتهم ، فيما ذكر ابن عباس ، سبعة وثمانهم كلهم . وقال : إنا من القليل الذين تعلمونهم . وقال ابن إسحاق : كانوا ثمانية ، فعلى قوله يكون تسعهم كلهم . وكانوا من الروم ، وكانوا يعبدون الأوثان . فهداهم الله ، وكانت شريعتهم شريعة عيسى ، عليه السلام .

وزعم بعضهم أنهم كانوا قبل المسيح ، وأن المسيح أعلم قومه بهم ، وأن الله بعثهم من رقدتهم بعد رفع المسيح⁴ ، والأول أصح .

وكان سبب إيمانهم أنه جاء حوارى من أصحاب عيسى إلى مدينتهم فأراد أن يدخلها ، فقيل له : إن على بابها صنما لا يدخلها أحد حتى يسجد له . فلم يدخلها وأتى حمّاماً قريباً من المدينة ، فكان يعمل فيه ، فرأى صاحب

1) A. دقيوس .

2) Cor. 18, vs. 9

3) post الكهف S. add. ظهر عليهم وبني الكنيسة عليهم .

4) Om. A. et B.

الحمّام البرّكة وعلقه الفتية ، فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه . فكان على ذلك حتى جاء ابنُ الملك بامرأة فدخل بها الحمّام ، فعيّره الحواريّ ، فاستحيا ، ثمّ رجع مرّة أخرى فعيّره فسبه وانتهره ودخل الحمّام ومعه المرأة ، فماتا في الحمّام ، فقيل للملك : إنّ الذي بالحمّام قتلهما ، فطلب فلم يُوجد ، فقيل : من كان يصحبه ؟ فذكر الفتية ، فطلبوا فهربوا فمروا بصاحب لهم على حالهم في زرع له فذكروا له أمرهم . فسار معهم وتبعهم الكلب الذي له حتى آواهم الليل إلى الكهف ، فقالوا : نبيت هنا حتى نصبح ثمّ نرى رأينا ، فدخلوه فرأوا عنده عين ماء وثماراً ، فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء ، فلما جنتهم الليلُ ضرب الله على آذانهم ووكل بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال لئلاّ تأكل الأرض أجسادهم ، وكانت الشمس تطلع عليهم .

وسمع الملك دقيانوس خبرهم فخرج في أصحابه يتبعون أثرهم حتى وجدهم قد دخلوا الكهف ، وأمر أصحابه بالدخول إليهم وإخراجهم . فكلما أراد رجل أن يدخل أربع فعاد ، فقال بعضهم : أليس لو كنتَ ظفرتَ بهم قتلتهم ؟ قال : بلى . قال : فابنِ عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعاً وعطشاً . ففعل ، فبقوا زماناً بعد زمان .

ثمّ إنّ راعياً أدركه المطر فقال : لو فتحتُ باب هذا الكهف فأدخلتُ غنمي فيه ، ففتحه ، فردّ الله إليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدهم بورق ليشتري لهم طعاماً ، واسمه تلميخا ، فلما أتى باب المدينة رأى ما أنكره حتى دخل على رجل فقال : بعني بهذه الدراهم طعاماً . فقال : فمن أين لك هذه الدراهم ؟ قال : خرجتُ أنا وأصحاب لي أسس¹ ثمّ أصبحوا

1) أسس فلما أصبحنا فأرسلوني لأشتري لهم طعاماً .

فأرسلوني . فقال : هذه الدراهم كانت على عهد الملك الفلاني . فرفعه إلى الملك ، وكان ملكاً صالحاً ، فسأله عنها ، فأعاد عليه حالهم . فقال الملك : وأين أصحابك ؟ قال : انطلقوا معي . فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف ، فقال : دعوني أدخل إلى أصحابي قبلكم لثلاثاً يسمعون أصواتكم فيخافوا^١ ظناً منهم أن دقيانوس قد علم بهم . فدخل عليهم وأخبرهم الخبر ، فسجدوا شكراً لله وسألوه أن يتوفاهم ، فاستجاب لهم . فضرب على أذنه وآذانهم ، وأراد الملك الدخول عليهم فكانوا كلما دخل عليهم رجل أربع ، فلم يقدرُوا أن يدخلوا عليهم ، فعاد عنهم ، فبنوا عليهم كنيسة يصلون فيها .

قال عكرمة : لما بعثهم الله كان الملك حينئذٍ مؤمناً ، وكان قد اختلف أهل مملكته في الروح والجسد وبعثهما ، فقال قائل : يبعث الله الروح دون الجسد . وقال قائل : يُبعثان جميعاً ، فشق ذلك على الملك فلبس المسوح وسأل الله أن يبين له الحق ، فبعث الله أصحاب الكهف بكرة^٢ ، فلما بزغت الشمس قال بعضهم لبعض : قد غفلنا هذه الليلة عن العبادة ، فقاموا إلى الماء ، وكان عند الكهف عين وشجرة ، فإذا العين قد غارت والأشجار قد يبست ، فقال بعضهم لبعض : إن أمرنا لعجب ! هذه العين غارت وهذه الأشجار يبست في ليلة واحدة ! وألقى الله عليهم الجوع ، فقالوا : أيتكم يذهب إلى المدينة فليتنظر أيها أركى طعاماً فليأتكم برزق منه^٣ وليتلطّف ولا يشعرن بكم أحداً^٤ .

فدخل أحدهم يشري الطعام ، فلما رأى السوق عرف طرقها وأنكر الوجوه ورأى الإيمان ظاهراً بها ، فأتى رجلاً يشري منه ، فأنكر الدراهم ،

١ فيخافون .

٢ . (سورة الكهف ١٨ ، الآية ١٩) .

فرضه إلى الملك ، فقال الفتى : أليس ملككم فلان ؟ فقال الرجل : لا بل فلان !
فجذب لذلك . فلما أحضر عند الملك أخبره بنجر أصحابه ، فجمع الملكُ
الناسَ وقال لهم : إنكم قد اختلفتم في الروح والجسد ، وإن الله قد بعث
لكم آيةً هنا الرجل من قوم فلان ، يعني الملك الذي مضى . فقال الفتى :
انطلقوا بي إلى أصحابي ، فركب الملكُ والناسُ معه ، فلما انتهى إلى الكهف
قال الفتى للملك : دروني أسبقكم إلى أصحابي أعرفهم خبركم لئلا يخافوا إذا
سمعوا وقع حوافر دوابكم وأصواتكم فيظنّوكم دقيانوس . فقال : افعل .
فسبقهم إلى أصحابه ودخل على أصحابه فأخبرهم الخبرَ ، فعلموا حينئذٍ مقدار
ليثهم في الكهف وبكوا فرحاً ودعوا الله أن يميتهم ولا يراهم أحد ممّن جاءهم ،
فماتوا لساعتهم ، فضرب الله على أذنه وآذانهم معه . فلما استبطأوه دخلوا إلى
الفتية ١ فإذا أجسادهم لا ينكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواح فيها ، فقال الملك :
هذه آية لكم . ورأى الملك تابوتاً من نحاس محتوماً بخاتم ، ففتحه . فرأى فيه
لوحاً من رصاص مكتوباً ١ فيه أسماء الفتية وأنهم هربوا من دقيانوس الملك
مخافةً على نفوسهم ودينهم فدخلوا هذا الكهف . فلما علم دقيانوس بمكانهم
بالكهف مدّه عليهم . فليعلم من يقرأ كتابنا هذا شأنهم .

فلما قرأوه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم هذه الآية للبعث ورفعوا
أصواتهم بالتحميد والتسبيح .

وقيل : إن الملك ومن معه دخلوا على الفتية فرأوهم أحياء مشرقة وجوههم
وألوانهم لم تيل ثيابهم ، وأخبرهم الفتية بما لقوا من ملكهم دقيانوس ، واعتنقهم

1) pro verbis الفتية . . . ضرب S. habet:

والفتى منهم ووصل الملك إلى الكهف فأبطأ عليهم الفتى فدخلوا الكهف فرأوا الفتية .

الملك ، وقعدوا معه يسبحون الله ويذكرونه ، ثم قالوا له : نستودعك الله .
ورجعوا إلى مضاجعهم كما كانوا ، فعمل الملك لكل رجل منهم تابوتاً من
الذهب . فلما نام رآهم في منامه وقالوا : إننا لم نُخلق من الذهب إنما خلقنا
من اتراب وإليه نصير ، فعمل لهم حينئذٍ توابيت من خشب ، فحجبتهم الله
بالرعب ، وبني الملك على باب الكهف مسجداً وجعل لهم عيداً عظيماً .

وأسماء الفتية : مكسلمينيا ويلمخا ومرطوس ونيرويس وكسطومس ودينموس
وريطونس¹ وقالوس ومخيلمينيا . وهذه تسعة أسماء ، وهي أتم الروايات .
والله أعلم ، وكلبهم قطمير .

1) مكسلمينيا ويلمخا . . . وكسطومس . . . وريطونس 5 (1)

ذكر يونس بن متى

وكان أمره من الأحداث أيام ملوك الطوائف .

قيل : لم يُنسب أحد من الأنبياء إلى أمه إلا عيسى بن مريم ويونس بن متى ، وهي أمه ، وكان من قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى ، وكان قومه¹ يعبدون الأصنام ، فبعثه الله إليهم بالنهي عن عبادتها والأمر بالتوحيد ، فأقام فيهم ثلاثاً وثلاثين سنة يدعوهم ، فلم يؤمن غير رجلين ، فلما آيس من إيمانهم دعا عليهم ، فقيل له : ما أسرع ما دعوت على عبادي ! ارجع إليهم فادعهم أربعين يوماً ، فدعاهم سبعة وثلاثين يوماً ، فلم يجيبوه ، فقال لهم : إن العذاب يأتيكم إلى ثلاثة أيام ، وآية ذلك أن ألوانكم تتغير ، فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم ، فقالوا : قد نزل بكم ما قال يونس ولم نجرب عليه كذباً فانظروا فإن بات فيكم فأمنوا من العذاب ، وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب يصبحكم¹ .

فلما كانت ليلة الأربعين أيقن يونس بتزول العذاب ، فخرج من بين أظهرهم . فلما كان الغد تغشاهم العذاب فوق رؤوسهم ، خرج عليهم غيم أسود هائل يدخن دخاناً شديداً ، ثم نزل إلى المدينة فاسودت منه سطوحهم ، فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك ، فطلبوا يونس فلم يجدوه ، فألمهم الله التوبة ،

1) وكان نينوى مدينة تقابل الموصل بينهما دجلة وكان قومه S (1)

فأخلصوا النية في ذلك وقصدوا شيخاً وقالوا له : قد نزل بنا ما ترى فما نفعل ؟
 فقال : آمنوا بالله وتوبوا وقولوا : يا حيّ يا قيوم ، يا حيّ حين لا حيّ ،
 يا حيّ محيي الموتى ، يا حيّ لا إله إلا أنت . فخرجوا من القرية إلى مكان رفيع
 في براز من الأرض وفرقوا بين كلّ دابة وولدها ثمّ عجزوا إلى الله واستقالوه
 وردّوا المظالم جميعاً حتى إن كان أحدهم ليقلع الحجر من بنائه فيردّه إلى
 صاحبه .

فكشف الله عنهم العذاب ، وكان [يوم عاشوراء] يوم الأربعاء ،
 وقيل : للنصف من شوال يوم الأربعاء ، وانتظر يونس الخبر عن القرية
 وأهلها حتى مرّ به مرّة فقال : ما فعل أهل القرية ؟ فقال : تابوا إلى الله فقبل
 منهم وأخر عنهم العذاب . فغضب يونس عند ذلك فقال : والله لا أرجع
 كذاباً ! ولم تكن قرية ردّ الله عنهم العذاب بعدما غشيهم إلا قوم يونس ،
 ومضى مغاضباً لربه . وكان فيه حدة وعجلة وقلة صبر ، ولذلك نهى النبيّ ،
 صلّى الله عليه وسلّم ، أن يكون مثله ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ
 الْحُوتِ ﴾¹ .

ولما مضى ظنّ أنّ الله لا يقدر عليه ، أي يقضي عليه العقوبة ، وقيل :
 يضيّق عليه الحبس ، فسار حتى ركب في سفينة فأصاب أهلها عاصف من
 الريح ، وقيل : بل وقفت فلم تسيّر ، فقال منّ فيها : هذه بخطيئة أحدكم !
 فقال يونس : هذه بخطيئتي فألقوني في البحر ، فأبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم
 ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾¹ ، فلم يلقوه ، وفعّلوا ذلك ثلاثاً ولم
 يلقوه ، فألقى نفسه في البحر ، وذلك تحت الليل ، فالتصمه الحوت ، فأوحى الله

1) Cor. 68, vs. 48.

١ (سورة الصافات ٣٧ ، الآية ١٤١) .

إلى الحوت أن يأخذه ولا يخذش له لحماً ولا يكسر له عظماً ، فأخذه وعاد إلى مسكنه من البحر ، فلما انتهى إليه سمع يونس حساً فقال في نفسه : ما هذا ؟ وأوحى الله إليه في بطن الحوت : إن هذا تسيح دواب البحر ، فسبح وهو في بطن الحوت ، فسمعت الملائكة تسيحه ، فقالوا : ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة . فقال : ذلك عبدي يونس عصاب فحبسته في بطن الحوت في البحر . فقالوا : العبد الصالح الذي كان يصعد له كل يوم عمل صالح ؟ فشفعوا له عند ذلك ، ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ - ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة الليل - : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^١ ! وكان قد سبق له من العمل الصالح ، فأنزل الله فيه : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾^٢ ، وذلك أن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر ، ﴿ فَتَبَدَّنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾^٣ : ألقى على ساحل البحر وهو كالصبي المنفوس ، ومكث في بطن الحوت أربعين يوماً ، وقيل : عشرين يوماً ، وقيل : ثلاثة أيام ، وقيل : سبعة أيام ، والله أعلم .

وأنبت [الله] عليه شجرة من يقطين ، وهو القرع ، يتقطر إليه منه اللبن ، وقيل : هبأ الله له أروية وحشية ، فكانت تُرضعه بكرة وعشبة حتى رجعت إليه قوته وصار يمشي ، فرجع ذات يوم إلى الشجرة فوجدها قد يبست ، فحزن وبكى عليها ، فعاتبه الله ، وقيل له : أتبكي وتخزن على شجرة ولا تخزن على مائة ألف وزيادة أردت أن تهلكهم ! ثم إن الله أمره أن يأتي قومه فيخبرهم أن الله قد تاب عليهم ، فعمد إليهم ،

١ (سورة الأنبياء ٢١ ، الآية ٨٧) .

٢ (سورة الصافات ٣٧ ، الآيات ١٤٣ ، ١٤٤) .

٣ (سورة الصافات ٣٧ ، الآية ١٤٥) .

فلقي راعياً ، فسأله عن قوم يونس ، فأخبره أنهم على رجاء أن يرجع إليهم رسولهم ، قال : فأخبرهم أنك قد لقيت يونس . قال : لا أستطيع إلاّ بشاهد ، سمى له عتراً من غنمه والبقرة التي كانا فيها وشجرة هناك ، وقال : كل هذه تشهد لك¹ . فرجع الراعي إلى قومه فأخبرهم أنه رأى يونس ، فهموا به ، فقال : لا تعجلوا حتى أصبح . فلما أصبح غدا بهم إلى البقرة التي لقي فيها يونس فاستنطقها ، فشهدت له ، وكذلك الشاة والشجرة ، وكان يونس قد اختفى هناك . فلما شهدت الشاة قالت لهم : إن أردتم نبي الله فهو بمكان كذا وكذا ، فأتوه ، فلما رأوه قبلوا يديته ورجليه وأدخلوه المدينة بعد امتناع ، فمكث مع أهله وولده أربعين يوماً وخرج سائحاً ، وخرج الملك معه يصحبه وسلم الملك إلى الراعي ، فأقام يدبر أمرهم أربعين سنة بعد ذلك . ثم إن يونس أتاهم بعد ذلك .

وقال ابن عباس وشهر بن حوشب : كانت رسالة يونس بعدما نبذه الحوت ، وقالوا : كذلك أخبر الله تعالى في سورة الصافات فإنه قال : ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾¹ . وقال شهر : إن جبرائيل أتى يونس فقال له : انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم العذاب فإنه قد حضرهم . قال : الشمس دابة . قال : الأمر أعجل من ذلك . قال : الشمس حذاء . قال : الأمر أعجل من ذلك . قال : فغضب وانطلق إلى السفينة فركب ، فلما ركب احتبست ، قال : فساهموا ، فسهم ، فجاءت الحوت ، فنودي الحوت : إننا لم نجعل يونس من رزقك إنما جعلناك له حرزاً ، فالتقمه الحوت وانطلق به من ذلك المكان حتى مرّ به على الأبلّة² ، ثم انطلق به على دجلة حتى ألقاه نينوى .

1) Corāni 37, vs. 145 - 147.

2) الآية B.

ومما كان من الأحداث أيام ملوك الطوائف

إرسالُ الله تعالى الرسل الثلاثة إلى مدينة أنطاكية ، وكانوا من الحواريتين أصحاب المسيح ، أرسل أولاً اثنين ، وقد اختلف في أسمائهما ، فقدا أنطاكية فرأيا عندهما شيخاً يرعى غنماً ، وهو حبيب النجار ، فسَلما عليه ، فقال : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قالا : رسولا عيسى ندعوكم إلى عبادة الله تعالى . قال : معكما آية ؟ قالا : نعم ، نحن نشفي المرضى ونبريء الأكمه والأبرص بإذن الله . قال حبيب : إن لي ابناً مريضاً منذ سنين ، وأتى بهما منزله ، فمسحاً ابنه ، فقام في الوقت صحيحاً ، ففشا الخبرُ في المدينة ، وشفى اللهُ على أيديهما كثيراً من المرضى . وكان لهم ملك اسمه أنطيوخس يعبد الأصنام ، فبلغ إليه خبرهما ، فدعاهما ، فقال : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قالا : رسل عيسى ندعوك إلى الله تعالى . قال : فما آيتكما ؟ قالا : نبريء الأكمه والأبرص ونشفي المرضى بإذن الله . فقال : قُوماً حتى ننظر في أمركما ، فقاما ، فضربهما العامة .

وقيل : إنهما قدما المدينة فبقيا مدة لا يصلان إلى الملك ، فخرج الملك يوماً ، فكبراً وذكراً الله ، فغضب وحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة ، فلما كذبا وضربا بعث المسيح شمعون رأس الحواريتين لينصرهما ، فدخل البلد متنكراً وعاشر حاشية الملك ، فرفعوا خبره إلى الملك ، فأحضره ورصي عشرته وأنس به وأكرمه ، فقال له يوماً : أيها الملك بلغني أنك حبستَ رجلين في السجن وضربتَهما حين دعواك إلى دينهما فهل كلتَهما وسمعتَ قولهما ؟ فقال الملك : حال الغضب بيني وبين ذلك . قال : فإن رأى الملك أن يحضرهما حتى نسمع كلامهما ، فدعاهما الملك ، فقال لهما شمعون :

مَنْ أَرْسَلَكُمْ؟ قَالَا : اللهُ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا شَرِيكَ لَهُ . قَالَ : فَصِفَاهُ وَأَوْجُزًا . قَالَا : إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيُحْكِمُ مَا يَرِيدُ . قَالَ شَمْعُونُ : فَمَا آيَتُكُمَا؟ قَالَا : مَا تَتَمَنَّاهُ¹ .

فَأَمَرَ الْمَلِكُ ، فَجِيءَ بِغُلَامٍ مَطْمُوسٍ الْعَيْنَيْنِ مَوْضِعَهُمَا كَاللَّحْمَةِ² ، فَمَا زَالَا يَدْعَوَانِ رَبَّهُمَا حَتَّى انشَقَّ مَوْضِعُ الْبَصَرِ ، وَأَخَذَا بِنَدَقَتَيْنِ مِنَ الطِّينِ فَوَضَعَاهُمَا فِي حَدَقَتَيْهِ فَصَارَتَا مَقْلَتَيْنِ يَبْصُرُ بِهِمَا . فَعَجِبَ الْمَلِكُ لَذَلِكَ فَقَالَ : إِنْ قَدِرَ إِلَهُكُمَا الَّذِي تَعْبُدَانِهِ عَلَى إِحْيَاءِ مَيِّتٍ آمَنَّا بِهِ وَبِكُمَا . قَالَا : إِنْ إلهنا قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . فَقَالَ الْمَلِكُ : إِنْ هَاهُنَا مَيِّتًا مِنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ فَلِمَ نَدْفِنُهُ حَتَّى يَرْجِعَ أَبُوهُ وَهُوَ غَائِبٌ ، فَأَحْضَرَ الْمَيِّتَ وَقَدْ تَغَيَّرَتْ رِيحُهُ ، فَدَعَا اللهُ تَعَالَى عِلَانِيَةً وَشَمْعُونُ يَدْعُو سِرًّا ، فَقَامَ الْمَيِّتُ فَقَالَ لِقَوْمِهِ : إِنِّي مَتَّ مُشْرِكًا وَأُدْخِلْتُ فِي أَوْدِيَةِ مِنَ النَّارِ وَأَنَا أَحْذِرُكُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ : فَتُحَتُّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَنَظَرْتُ فَرَأَيْتُ شَابًا حَسَنَ الْوَجْهِ يَشْفَعُ لِهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ . فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَنْ هُمْ؟ فَقَالَ : هَذَا ، وَأَوْمَأَ إِلَى شَمْعُونِ ، وَهَذَا ، وَأَشَارَ إِلَيْهِمَا ، فَعَجِبَ الْمَلِكُ ، فَحَيْثُ دَعَا شَمْعُونُ الْمَلِكَ إِلَى دِينِهِ ، فَأَمَنَ قَوْمُهُ ، وَكَانَ الْمَلِكُ فِيْمَنْ آمَنَ وَكَفَرَ آخَرُونَ . وَقِيلَ : بَلْ كَفَرَ الْمَلِكُ وَأَجْمَعَ هُوَ وَقَوْمُهُ عَلَى قَتْلِ الرَّسْلِ ، فَلَبِغَ ذَلِكَ حَبِيبًا النَّجَّارَ ، وَهُوَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَ يَسْعَى إِلَيْهِمْ فَيَذَكِّرُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ الْمُرْسَلِينَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ³ ، وَهُوَ شَمْعُونُ ، فَأَضَافَ اللهُ تَعَالَى الْإِرْسَالَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا أَرْسَلَهُمُ الْمَسِيحَ لِأَنَّهُ أَرْسَلَهُمْ¹ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى .

فَلَمَّا كَذَّبَهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، حَبَسَ اللهُ عَنْهُمْ الْمَطَرَ ، فَقَالَ أَهْلُهَا لِلرَّسْلِ :

1) B. بيناه .

2) موضعها كاللحمية S.

3) Corani 36, vz. 14.

﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرَجُمَنَّكُمْ - بالحجارة ،
وقيل : لنقتلنكم - وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^١ ، فلما حضر
حبيب ، وكان مؤمناً بكم إيمانه ، وكان يجمع كسبه كل يوم وينفق على عياله
نصفه ويتصدق بنصفه ، فقال : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾^٢ . فقال
قومه : وأنت مخالف لربنا ومؤمن بإله هؤلاء ؟ فقال : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ
الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؟ ﴾^٣ ، فلما قال ذلك قتلوه ، فأوجب
الله له الجنة ، فذلك قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ
قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾^١ ؛
وأرسل الله عليهم صيحة فماتوا .

ومما كان من الأحداث شمسون

،

وكان من قرية من قرى الروم قد آمن ، وكانوا يعبدون الأصنام ، وكان
على أميال من المدينة ، وكان يغزوهم وحده ويقاتلهم بلحى جمل . فكان إذا
عطش انفجر له من الحجر الذي فيه ماء عذب فيشرب منه ، وكان قد أعطي
قوة لا يوثقه حديد ولا غيره ، وكان على ذلك يجاهدهم ويصيب منهم ولا

1) Corani 36, vs. 27.

١ (سورة يس ٣٦ ، الآية ١٨) .

٢ (سورة يس ٣٦ ، الآية ٢٠) .

٣ (سورة يس ٣٦ ، الآية ٢٢) .

يقدرّون منه على شيء ، فجعلوا لامراته جعلاً لتوثقه لهم ، فأجابتهم إلى ذلك ، فأعطوها حبلاً وثيقاً ، فتركته حتى نام وشدّت يديه ، فاستيقظ وجذبه ، فسقط الحبل من يديه ، فأرسلت إليهم فأعلمتهم ، فأرسلوا إليها بجامعة من حديد ، فتركتها في يديه وعنقه وهو نائم . فاستيقظ وجذبها فسقطت من عنقه ويديه ، فقال لها في المرتين : ما حملك على ما صنعت ؟ فقالت : أريد أجرب قوتك وما رأيتُ مثلك في الدنيا فهل في الأرض شيء يغلبك ؟ قال : نعم شيء واحد ، فلم تزل تسأله عنه حتى قال لها : ويحك لا يضبطني إلا شعري ! فلما نام أوثقت يديه بشعر رأسه ، وكان كثيراً ، فأرسلت إليهم . فجاؤوا فأخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وفاقأوا عينيه وأقاموه للناس . وجاء الملك لينظر إليه ، وكانت المدينة على أساطين ، فدعا الله شمسون [أن يسلطه] عليهم ، فأمر أن يأخذ بعمودين¹ من عمد المدينة فيجذبهما ، وردّ إليه بصره وما أصابوه من جسده ، وجذب العمودين فوقعت المدينة بالملك والناس وهلك من فيها هدماً . وكان شمسون أيام ملوك الطوائف .

ومما كان من الأحداث أيضاً جرجيس

قيل : كان بالموصل ملك يقال له دازانه ، وكان جبّاراً عاتياً ، وكان جرجيس رجلاً صالحاً من أهل فلسطين يكمّ إيمانه مع أصحاب له صالحين ، وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريين فأخذوا عنهم ، وكان جرجيس كثير

1) رازانة B .

التجارة عظيم الصدقة ، وربما نفذ ماله في الصدقة ثم يعود يكتسب مثله ،
ولولا الصدقة لكان الفقر أحب إليه من الغنى ، وكان يخاف بالشام أن يفتن
عن دينه ، فقصد الموصل ومعه هدية لملكها لئلا يجعل لأحد عليه سبيلاً ،
فجاءه حين جاءه وقد أحضر عظماء قومه وأوقد ناراً وأعدّ أصنافاً من العذاب
وأمر بصنم له يقال له اقلون¹ فنُصب ، فمن لم يسجد له عذبه وألقي في
النار .

فلما رأى جرجيس ما يصنع استعظمه وحدث² نفسه بجهاده ، فعمد إلى
المال الذي معه فقسمه في أهل ملته وأقبل عليه وهو شديد الغضب فقال له :
اعلم أنك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئاً ولا لغيرك شيئاً ، وأن فوقك رباً
هو الذي خلقك ورزقك ، فأخذ في ذكر عظمة الله تعالى وعيب صنمه .
فأجابه الملك بأن سأله¹ مَنْ هو ومن أين هو . فقال جرجيس : أنا عبد الله
وابن أمته من التراب خلقت وإليه أعود . فدعاه الملك إلى عبادة صنمه وقال
له : لو كان ربك ملك الملوك لرؤي² عليك أثره كما ترى على مَنْ حولي
من ملوك قومي . فأجابه جرجيس بتعظيم أمر الله وتمجيده وقال له : تعبد
اقلون¹ الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يغني من رب العالمين ، أم تعبد الذي قامت³
بأمره السموات والأرض ، أم تعبد طرفلينا عظيم قومك من الناس⁴ ، عليه
السلام ، فإنه كان آدمياً يأكل ويشرب فأكرمه الله بأن جعله إنسياً ملكياً ،

1) وقال له أين اقلون S. ; اقلون B. 1)

2) وأحدث في نفسه S. 2)

3) يعني رب العالمين الذي قامت S. 3)

4) ام يعدل فللنا عظيم قومه من الناس S. 4)

١ يسأله .

٢ لرأى .

أم تعبد عظيم^١ قومك مخليطيس أيضاً وما نال^١ بولايتك [من] عيسى ،
عليه السلام ! وذكر من معجزاته وما خصّه الله به من الكرامة .

فقال له الملك : إنك أتيتنا بأشياء لا نعلمها ! ثمّ خيّرته بين العذاب والسجود
للصنم . فقال جرجيس : إن كان صنمك هو الذي رفع السماء ، وعدّد أشياء
من قدرة الله ، عزّ وجلّ ، فقد أصبتَ ونصحتَ ، وإلاّ فأنحسأ أيّها الملعون .

فلما سمع الملك أمر بحبسه ومشط جسده بأمشاط الحديد حتى تقطع لحمه
وعروقه ، ويُنضح بالخلّ والحردل ، فلم يمت . فلما رأى ذلك لم يقتله أمر
بستة مسامير من حديد فأحميت حتى صارت ناراً ثمّ سمر بها رأسه ، فسال
دماغه ، فحفظه الله تعالى . فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد
عليه حتى جعله ناراً ثمّ أدخله فيه وأطبق عليه حتى برد . فلما رأى ذلك لم
يقتله دعاه وقال له : ألم تجد ألمّ هذا العذاب ؟ قال : إنّ إلهي حملّ عني عذابك
وصبرني ليحتجّ عليك .

فأيقن الملك بالشرّ وخافه على نفسه وملكه فأجمع رأيه على أن يخلده في
السجن ، فقال الملائمة من قومه : إنك إن تركته في السجن طليقاً يكلم الناس
ويعميل بهم عليك ، ولكن يُعذّب بعذاب يمنع من الكلام . فأمر به فبُطح في
السجن على وجهه ثمّ أوتد في يديه ورجليه أوتاداً من حديد ، ثمّ أمر بأسطوان
من رخام حملة ثمانية عشر رجلاً فوُضع على ظهره ، فظلّ يومه ذلك تحت
الحجر ، فلما أدركه الليل أرسل الله إليه ملكاً ، وذلك أوّل ما أيدّ بالملائكة ،
فأوّل ما جاءه الوحي قلع عنه الحجر ونزع الأوتاد وأطعمه وسقاه وبشره

.....
١) ام يعدل عظيم S. 1)

وعزاه ، فلما أصبح أخرجه من السجن فقال له : الحق بعنوك فجاهده ،
فإني قد ابتليتُك به سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرّات في كلّ ذلك
أردت إليك روحك ، فإذا كانت القتلة الرابعة تقبلتُ روحك وأوفيتُك
أجرِك .

فلم يشعر الملك إلاّ وقد وقف جرجيس على رأسه يدعوهُ إلى الله ، فقال
له : أخرجيس ؟ قال : نعم . قال : من أخرجك من السجن ؟ قال : أخرجني
من سلطانهِ فوق سلطانك !

فملئ غيظاً ودعا بأصناف العذاب ومدّوه بين خشبتين ووضعوا على
رأسه سيفاً ثمّ وشروه² حتى سقط بين رجليه وصار جزلتين¹ ، ثمّ قطعوهما
قطعاً ، وكان له سبعة أسد ضارية في جبّ فألقوا جسده إليها ، فلما رآته خضعت³
برؤوسها وقامت على برائنها لا تألو² أن تقيه الأذى الذي تحتها ، فظلّ يومه
تحتها ميتاً ، فكانت³ أول ميتة ذاقها . فلما أدركه الليل جمع الله جسده وسواه
وردّ فيه روحه وأخرجه من قعر الجبّ . فلما أصبحوا أقبل جرجيس ، وهم
في عيد لهم صنعوه فرحاً بموت جرجيس ، فلما نظروا إليه مقبلاً قالوا : ما
أشبه هذا بجرجيس ! قال الملك : هو هو ! قال جرجيس : أنا هو حقاً ،
بشس القوم أنتم ! قتلتم ومثلتم فردّ الله روحي إليّ ! هلمّوا إلى هذا
الربّ العظيم الذي أراكم قدرته . فقالوا : ساحر سحر أعينكم وأيديكم عنه ،

1) B. بأصناف . 2) B. وتروه . 3) S. خضعت له .

١ (أي نصفين) .

٢ شالوا .

٣ وكان .

٤ هلموا إلى عذاب هذا .

فجمعوا من بلادهم من السحرة ، فلما جاؤوا قال الملك لكبيرهم : اعرض عليّ من سحرك ما يُسرّي به عني . فدعا بثور فنفخ في أذنيه فإذا هو ثوران ، ودعا ببذر فحرث وزرع وحصد ودقّ وذرّى^١ وطحن وخبز وأكل في ساعته . فقال له الملك : هل تقدر أن تمسخه كلباً ؟ قال : ادع لي بقدر من ماء ، فأتي به ، فنفت فيه الساحر ثمّ قال [الملك] لجرجيس : اشربه ، فشربه جرجيس حتى أتى على آخره . فقال له الساحر : ماذا تجد ؟ قال : ما أجد إلاّ خيراً ! كنت عطشاناً فلطف الله بي فسقاني . وأقبل الساحر على الملك وقال : لو كنت تقاسي^١ جباراً مثلك لغلبته إنّما تقاسي جبار السماء والأرض .

وكانت أمت جرجيس امرأة من الشام ، وهو في أشدّ العذاب ، فقالت له : إنّه لم يكن لي مال إلاّ ثوراً أعيش به من حرثه فمات ، وجئتك لترحمني وتسال الله أن يحيي ثوري . فأعطاها عصاً وقال : اذهبي إلى ثورك فاضريه بهذه العصا وقولي له : احيي بإذن الله . فأخذت العصا وأتت مصرع الثور فرأت روقيه وشعر ذنبه فجمعتها^٢ ثمّ قرعتها بالعصا وقالت ما أمرها به جرجيس ، فعاش ثورها ، وجاء الخبر بذلك .

فلما قال الساحر ما قال ، قال رجل من أصحاب الملك ، وكان أعظمهم بعد الملك : اسمعوا مني . قالوا : نعم . قال : إنكم قد وضعت أمره على السحر ، وإنّه لم يُعذب ولم يُقتل ، فهل رأيتم ساحراً قط قدر أن^٣ يدفع عن

١) أسقي .

١ وذرّى .

٢ وأتت مصرع أذنيه وجمعتها .

٣ قط على أن .

نفسه الموت أو أحياء ميتاً؟ وذكر الثور وإحياءه . فقالوا له : إن كلامك كلام رجل قد أصغى إليه . فقال : قد آمنتُ به وأشهدُ الله أنني بريء مما تعبدون ! فقام إليه الملكُ وأصحابه بالخناجر فقطعوا لسانه بالخناجر . فلم يلبث أن مات . وقيل : أصابه الطاعون فأعجله قبل أن يتكلم ، وكنتموا شأنه ، فكشفه جرجيس للناس ، فاتبعه أربعة آلاف وهو ميت ، فقتلهم الملك بأنواع العذاب حتى أفناهم ، وقال له رجل من عظماء أصحاب الملك : يا جرجيس إنك زعمتَ أن إلهك يبدأ الخلق ثم يعيده ، وإنني سأثلك أمراً إن فعله إلهك آمنتُ به وصدقتك وكفيتك قومي . هذا تحتنا أربعة عشر منبراً ومائدة وأقداح وصحاف من خشب يابس وهو من أشجار شتى فادعُ ربك أن يعيدها خضراً كما بدأها يُعرف كلّ عود بلونه وورقه وزهره وثمره . قال جرجيس : قد سألتُ أمراً عزيزاً عليّ وعليك ، وإنه على الله يسير ، ودعا الله فما برحوا حتى اخضرت وساخت عروقها وتشعبت ونبت ورقها وزهرها حتى عرفوا كلّ عود باسمه .

فقال الذي سأله هذا : أنا أتولّى عذابه . فعمد إلى نحاس فصنع منه صورة ثور مجوّف ثمّ حشاها نفضاً ورصاصاً وكبريتاً وزرنيخاً وأدخل جرجيس في وسطها ثمّ أوقد تحت الصورة النار حتى التهبت وذاب كلّ شيء فيها واختلط ومات جرجيس في جوفها . فلما مات أرسل الله ريحاً عاصفاً ورعداً وبرقاً وسحاباً مظلماً وأظلم ما بين السماء والأرض وبقوا أيتاماً متحيرين ، فأرسل الله ميكائيل ، فاحتمل تلك الصورة ، فلما أقلتها ضرب بها الأرض ، ففزع من روعتها كلّ من سمعها وانكسرت وخرج منها جرجيس حياً ، فلما وقف وكنتمهم انكشفت الظلمة وأسفرا ما بين السماء والأرض .

.....
1) س. وأشرق .

١ ونبت .

قال له عظيم من عظمائهم : ادعُ اللهَ بأن يُحيي موتانا من هذه القبور .
فأمر جرجيس بالقبور فنُبشت وهي عظام رفات ، ثم دعا فلم يبرحوا¹ حتى
نظروا إلى سبعة عشر إنساناً ، تسعة رجال وخمس نساء وثلاثة² صبية وفيهم
شيخ كبير . فقال له جرجيس : متى مت ؟ فقال : في زمان كذا وكذا ، فإذا
هو أربع مائة عام .

فلما رأى ذلك الملك قال : لم يبقَ من عذابكم شيء إلا وقد عدتُموه
وأصحابه به إلا الجوع والعطش . فعذبوه به¹ . فعمدوا إلى بيت عجوز فقيرة ،
وكان لها ابن أعمى أبكم مقعد ، فحصره فيه ، فلا يصل إليه طعام ولا شراب .
فلما جاع قال للعجوز : هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : لا والذي يُحلف
به ما لنا عهد بالطعام من كذا وكذا وسأخرج فألتمس لك شيئاً . فقال لها :
هل تعبدن الله ؟ قالت : لا . فدعاها فأمنت . وانطلقت تطلب له شيئاً ، وفي
بيتها دعامة [من] خشبة يابسة تحمل خشب البيت ، فدعا اللهَ فاخضرت تلك
الدعامة وأنبت كل فاكهة تؤكل وتُعرف ، فظهر للدعامة فروع من فوق
البيت تُظله وما حوله ، وعادت العجوز وهو يأكل رغداً . فلما رأت الذي
[حدث] في بيتها قالت : آمنتُ بالذي أطعمك في بيت الجوع² ، فادعُ
هذا الربَّ العظيم أن يشفي ابني . قال : أدنيه مني ، فأدنته ، فبصق في عينيه
فأبصر ، فنفت في أذنيه فسمع . قالت له : أطلق لسانه ورجليه . قال لها :
أخبريه فإن له يوماً عظيماً .

1) هما . 2) B. العجوز .

1) فما يبرحوا .

2) وثلاث .

ورأى الملكُ الشجرةَ فقال : أرى شجرة ما كنتُ أعهدُها ! قالوا :
تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردتَ أن تعذِّبه بالجوع وقد شبع منها
وأشبع العجوز ، وشفى لها ابنها .

فأمر بالبيت فهُدِّم ، وبالشجرة أن تُقطع ، فلما همَّوا بقطعها أيسها اللهُ
وتركوها . وأمر بجرجيس فبُطِّح على وجهه ، وأمر بعَجَل فأوقر أسطواناً
وجعل في أسفل العَجَل خناجر وشفاراً ثمَّ دعا بأربعين ثوراً فنهضت بالعَجَل
نهضة واحدة وجرجيس تحتها ، فانقطع ثلاث قطع ، ثمَّ أمر بقطعه فأحرقت
حتى صارت رماداً ، وبعث بالرماد مع رجال فذروه في البحر ، فلم يبرحوا
حتى سمعوا صوتاً من السماء : يا بحر إنَّ الله يأمرُك أن تحفظ ما فيك من هذا
الجسد الطيب فإنِّي أريد أن أعيده . فأرسل الرياح فجمعتَه كما كان قبل أن
ينذروه ، والذين ذروه قيام لم يبرحوا ، وخرج جرجيس حياً مغبراً ، فرجعوا
ورجع معهم وأخبروا الملك خبر الصوت والرياح . فقال له الملك : هل لك
فيما هو خير لي ولك ؟ ولولا أن يُقال إنَّك غلبتني لآمنتُ بك ، ولكن اسجد
لصنمي سجدة واحدة أو اذبحْ له شاة واحدة وأنا أفعل ما يسرك . فطمع جرجيس
في إهلاك الصنم حين يراه وإيمان الملك عند ذلك ، فقال له : أفعل - خديعة
منه - وأدخلتني على صنمك أسجد له وأذبح .

ففرح الملكُ بذلك وقبَّل يديه ورجليه وطلب منه أن يكون يومه وليته
عنده ، ففعل ، فأخلى له الملك بيتاً ودخله جرجيس ، فلما جاء الليلُ قام
يصلِّي ويقرأ الزُّبور ، وكان حسن الصوت ، فلما سمعته امرأةُ الملك استجابت
له وآمنت به وكتمت إيمانها ، فلما أصبح غداً به إلى بيت الأصنام ليسجد لها .

وقيل للعجوز : إنَّ جرجيس قد افتتن وطمع في الملك بعد الملك . فخرجت
تحمل ابنها على عاتقها في أعراضهم^١ توبِّخ جرجيس ، فلما دخل بيت الأصنام

١ أعراضها .

نظر فإذا العجوز وابنها أقرب الناس إليه ، فدعا ابنتها ، فأجابه وما تكلم قبل ذلك قط ، ثم نزل عن عاتق أمه يمشي على قدميه سويتين وما وطىء الأرض قط . فلما وقف بين يدي جرجيس قال له : ادع لي هذه الأصنام ، وهي على منابر من ذهب واحد وسبعون صنماً ، وهم يعبدون الشمس والقمر معها ، فدعاها ، فأقبلت تتدحرج إليه . فلما انتهت إليه ركض برجله الأرض فحُسف بها وبمنابرها ، فقال له الملك : يا جرجيس خدعتني وأهلكت أصنامي ! فقال له : فعلت ذلك عمداً لتعتبر وتعلم أنها لو كانت آلهة لامتنت مني . فلما قال هذا قالت امرأة الملك وأظهرت إسلامها وعدت عليهم أفعال جرجيس وقالت : ما تنتظرون من هذا الرجل إلا دعوة فتهلكون كما هلكت أصنامكم . فقال الملك : ما أسرع ما أضلك هذا الساحر ! ثم أمر بها فعُلقت على خشبة ، ثم مشط لحمها بمشاط الحديد ، فلما آلمها العذاب قالت بلجرجيس : ادع الله أن يخفف عني الألم . فقال : انظري فوقك . فنظرت فضحكت . فقال لها الملك : ما يضحكك ؟ قالت : أرى على رأسي ملكين معهما تاج من حلي الجنة ينتظران خروج روحي ليزيتاني به ويصعدا^١ بها إلى الجنة . فلما ماتت أقبل جرجيس على الدعاء وقال : اللهم أكرممتني بهذا البلاء لتعطيني أفضل منازل الشهداء ، وهذا آخر أيامي فأسألك أن تنزل بهؤلاء المنكرين من سطواتك وعقوبتك ما لا قبيل لهم به ، فأمطر الله عليهم النار فأحرقتهم . فلما احترقوا بحرما عمدوا إليه فضربوه بالسيوف فقتلوه ، وهي القتلة الرابعة . فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها رُفعت من الأرض وجعل عاليها سافلها ، فلبثت زماناً يخرج من تحتها دخان منتن .

وكان جميع من آمن به وقتل معه أربعة وثلاثين ألفاً وامرأة الملك

١ ويصعدان .

ذكر خالد بن سنان العسبي

وممن كان في الفترة خالد بن سنان العسبي ، قيل : كان نبياً ، وكان من معجزاته أن ناراً ظهرت بأرض العرب فافتنوا بها وكادوا يتمجسون ، فأخذ خالد عصاه ودخلها حتى توسطها ففرقتها ، وهو يقول : بدأ بدأ ، كل هدى مؤدى¹ ، لأدخلتها وهي تلتظي ولأخرجن منها وثيابي تندي¹ . ثم إنها طفئت وهو في وسطها .

فلما حضرته الوفاة قال لأهله : إذا دُفنت فإنه ستجيء عانة من حمير يقدمها غير أتر فيضرب قبري بحافره ، فإذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فإنني سأخبركم بجميع ما هو كائن . فلما مات ودفنوه رأوا ما قال ، فأرادوا نبشه ، فكره ذلك بعضهم قالوا : نخاف إن نبشناه أن تسبنا العرب بأننا نبشنا ميتاً لنا . فتركوه .

ف قيل إن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال فيه : ذلك نبي ضيعة قومه ، وأنت ابنته النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأمنت به .

كذا قيل إنه آخر الحوادث أيام ملوك الطوائف ، ولا وجه له ، فإن من أدركت ابنته النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يكون بعد اجتماع الملك لأردشير بن بابك بدهر طويل .

ونرجع إلى أخبار ملوك الفرس لسياق التاريخ ، ونقدم قبل ذكرهم عدد الملوك الأشغانية² من ملوك الطوائف وطبقات ملوك الفرس ، إن شاء الله تعالى .

1) كل هذا مود إلى S .

2) B. ubique .

1) بدأ بدأ كل هادي مورا إلى الله الأعلى ، لأدخلتها . . . وثيابي تندا . (وما أثبتناه عن الأعلام للزركلي) .

ذكر طبقات ملوك الفرس

الطبقة الأولى الفيشدادية ملوك الأرض بعد جيومرث أوشهنج ؛ [وملك] فيشداذ أربعين سنة ، ومعنى فيشداذ أول حاكم . ملك بعده طهمورث بن يوجهان¹ ثلاثين سنة . ثم ملك أخوه جمشيد سبعمائة وست عشرة سنة . ثم ملك بيوراسف بن أرونداسف ألف سنة . ثم ملك أفريدون بن أثغيان² خمسمائة سنة . ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة . ثم ملك أفراسياب التركي اثني عشرة سنة . ثم ملك زو بن تهماسف³ ثلاث سنين . ثم ملك كرشاسب تسع سنين .

الطبقة الثانية الكيانية

ثم ملك كيقباز مائة وستاً وعشرين سنة . ثم ملك كيكاووس مائة وخمسين سنة . ثم ملك كيخسرو ثمانين سنة . ثم ملك كي هراسب مائة وعشرين سنة . ثم ملك كي بشتاسب مائة وعشرين سنة . ثم ملك كي بهمن مائة واثنى عشرة سنة . ثم ملك خُماني جهرزاد ثلاثين سنة . ثم ملك أخوها دارا بن بهمن

1) نوجهان . S. يوسهان . B. 1)

2) أثغيان . B. 2)

3) زه بن يوراسف . S. زه . B. نزه بن بوراسف . P. C. زه بن يوراسف . A. 3)

اثنى عشرة سنة . ثمّ ملك ابنه دارا بن دارا أربع عشرة سنة ، وهو الذي أخذ الإسكندر الملك منه . وكان ملك الإسكندر بعده أربع عشرة سنة .

الطبقة الثالثة الأشغانية¹

وهم الذين استولوا على العراق والجزبال ، وكان سائر ملوك الطوائف يعظّمونهم . فأول ملوك الأشغانيين أيام ملوك الطوائف أشك ، ملك اثنى عشر وخمسين سنة . ثمّ ملك ابنه شابور بن أشك أربعاً وعشرين سنة . ثمّ ملك ابنه جودرز بن شابور ، وهو الذي غزا بني إسرائيل بعد قتل يحيى بن زكرياء ، خمسين سنة . ثمّ ملك ابن أخيه ويجن² بن بلاش إحدى وعشرين سنة . ثمّ ملك جودرز بن ويجن³ تسع عشرة⁴ سنة . ثمّ ملك أخوه نرسی ثلاثين سنة . ثمّ ملك عمه هرمزان⁵ بن بلاش بن شابور تسع عشرة سنة . ثمّ ملك ابنه فيروز⁶ بن هرمزان⁵ اثنى عشرة سنة . ثمّ ملك ابنه خسرو أربعين سنة . ثمّ ملك أخوه بلاش بن فيروز⁶ أربعاً وعشرين سنة . ثمّ ملك ابنه أردوان بن بلاش خمساً وخمسين سنة . وقد ذكر بعضهم أنّه ملك بعد هرمزان بن بلاش أردوان الأكبر اثنى عشرة سنة .

1) A. et B. الأشكانية .

2) S. ; ونجها B. .

3) B. ; ويجن S. ; ويجا B. .

4) S. . سبع عشرة .

5) C. P. . هرمز .

6) C. P. ; فيروزان S. ; فيروان A. et B. ; فرزان C. P. .

وقيل في عدد ملوك الطوائف غير ذلك ، والفرس تعترف باضطراب
التاريخ عليهم في أيام ملوك الطوائف وملك بيوراسف وملك أفراسياب التركي
لأنهم زال الملك عنهم ولم يمكن ضبطه .

الطبقة الرابعة الساسانية

فأولهم أردشير بن بابك .

ذكر أخبار أردشير بن بابك وملوك الفرس

قيل : لما مضى من لدن ملك الإسكندر أرضَ بابل ، في قول النصارى وأهل الكتب الأول ، خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة ، وفي قول المجوس : مائتان وست وستون ، وثب أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر بن بابك بن ساسان بن بابك بن مهرمس¹ بن ساسان بن بهمن الملك ابن إسفنديار بن بشتاسب ، وقيل في نسبه غير ذلك ، يريد الأخذ بثأر الملك دارا بن دارا وردت الملك إلى أهله وإلى ما لم يزل عليه أيام سلفه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف وجمعه لرئيس واحد .

وذكر أن مولده كان بقريه من قرى إصطخر يقال لها طيزوده² من رستاق إصطخر ، وكان جدّه ساسان شجاعاً مغرّياً بالصيد ، وتزوج امرأة من نسل ملوك فارس يُعرفون بالبازرنجيين³ ، وكان قتماً على بيت نار بإصطخر يقال له بيت نار هيد³ ، فولدت له بابك ، فلما كبر قام بأمر الناس بعد أبيه ، ثم ولد له ابنه أردشير ، وكان ملك إصطخر يومئذ رجل من البازرنجيين يقال له جوزهر ، وكان له خصي اسمه تيري³ قد صيره ارجيداً بدارا بجرد . فلما

1) B. هرمن .

2) B. طبرزد .

3) B. ubiquie بترى .

١ (في الطبري : طيزوده) .

٢ (في الطبري : بالبازرنجيين) .

٣ (في الطبري : بيت نار أنا هيد) .

أتى لأردشير سبع سنين قدمه أبوه إلى جوزهر وسأله أن يضمه إلى تيرى ليكون ريباً له وارجيداً بعده في موضعه ، فأجابه وأرسله إلى تيرى ، فقبله وتبناه . فلما هلك تيرى تقلد أردشير الأمر وحسن قيامه به ، وأعلمه قوم من المنجمين صلاح مولده وأنه يملك^١ [البلاد] ، فازداد في الخير ، ورأى في منامه ملكاً جلس عند رأسه فقال له : إن الله يملكك البلاد ؛ فقويت نفسه قوة^٢ لم يعهد لها ؛ وكان أول ما فعل أنه سار إلى موضع من دارا مجرد يسمى خوبابان^٣ فقتل ملكها ، واسمه فاسين^٤ ، ثم سار إلى موضع يقال له كوسن^٥ فقتل ملكها ، واسمه منوجهر . ثم إلى موضع يقال له لزويز^٦ فقتل ملكها ، واسمه دارا ، وجعل في هذه المواضع قوماً من قبله ، وكتب إلى أبيه بما كان منه ، وأمره بالوثوب بجوزهر ، وهو بالبيضاء ، ففعل ذلك وقتل جوزهر وأخذ تاجه ، وكتب إلى أردوان ملك الجبال وما يتصل بها يتضرع إليه ويسأله في تتويج ابنه سابور بتاج جوزهر ، فمنعه من ذلك وهدده ، فلم يحفل^٧ بابك بذلك وهلك في ثلاثة^٨ أيام ، فتتوج^٩ سابور بن بابك بالتاج وملك مكان أبيه ، وكتب إلى أردشير يستدعيه ، فامتنع ، فغضب سابور وجمع جموعاً وسار بهم نحوه ليحاربه ، وخرج من إصطخر وبها عدة من أصحابه وإخوانه^{١٠} وأقاربه وفيهم من هو أكبر سنّاً منه ، فأخذوا التاج والسرير وسلموهما^{١١} إلى أردشير ، فتتوج

1) C. P. فاسي ; S. قاسين .

2) B. et S. تلك .

3) B. et S. واخوته .

١ تملك .

٢ (في الطبري : خوبابان) .

٣ (في الطبري : كونس) .

٤ (في الطبري : لروير) .

٥ فتتوج .

٦ وسلموه .

وافتح أمره بجدّ وقوّة وجعل له وزيراً ورتب موبّذان موبّذ ، وأحسن من إخوته وقوم كانوا معه بالفتك به ، فقتل جماعةً كثيرة منهم ، وعصى عليه أهل دارابجرد فعاد إليهم فافتتحها وقتل جماعةً من أهلها ، ثمّ سار إلى كرمان وبها ملك يقال له بلاش فاقتلا قتالاً شديداً ، وقاتل أردشير بنفسه وأسر بلاش ، فاستولى على المدينة وجعل فيها ابناً له اسمه أردشير أيضاً .

وكان في سواحل بحر فارس ملك اسمه اسبون¹ يعظم² فسار إليه أردشير فقتله وقتل منّ معه واستخرج له أموالاً عظيمة .

وكتب إلى جماعة من الملوك ، منهم : مِهْرَك³ صاحب ابرساس¹ من أردشير خُرّه : يدعوهم إلى الطاعة ، فلم يفعلوا ، فسار إليهم فقتل مِهْرَك ثمّ سار إلى جور فأستسها وبني الجوسق المعروف بالطرّبال² وبيت نار هناك .

فبينا هو كذلك إذ ورد عليه رسول أردوان بكتاب ، فجمع الناس فقراه عليهم ، فإذا فيه : إنك عدوت قدرك واجتلبت حتفك أيها الكردي ! منّ أذن لك في التاج والبلاذ ؟ ومنّ أمرك ببناء المئينة ؟ وأعلمه أنه قد وجه إليه ملك الأهواز ليأتيه به في رثاق .

فكتب إليه : إن الله حباني بالتاج وملّكني البلاذ ، وأنا أرجو أن يمكّني منك فأبعث برأسك إلى بيت النار الذي أسسته .

وسار أردشير نحو إصطخر وخلف وزيره أبرسام بأردشير خُرّه ، فلم

1) A. et B. اسبون ; S. اسنون .

2) B. معظم .

3) C. P. بهرك ; B. مهزل .

١ (في الطبري : لإراستان) .

٢ الطوبال . (وما أثبتناه عن معجم البلدان مادة : جور) .

يلبث إلا قليلاً حتى ورد عليه كتاب أبرسام بموافاة ملك الأهواز وعوده منكوباً¹ ، ثم سار إلى أصبهان فملكها وقتل¹ ملكها ، وعاد إلى فارس وتوجه إلى محاربة نيروفر² صاحب الأهواز ، وسار إلى أرتجان وإلى ميسان وطاسار ، ثم إلى سُرَق ، فوقف على شاطيء دجيل فظفر بالمدينة وابتنى مدينة سوق الأهواز وعاد إلى فارس بالغنائم ، ثم عاد من فارس إلى الأهواز على طريق خرّه³ وكازرون ، وقتل ملك ميسان وبنى هناك كرخ ميسان وعاد إلى فارس .

فأرسل إلى أردوان يؤذنه بالحرب ويقول له ليعين موضعاً للقتال . فكتب إليه أردوان: إنني أوافيك في صحراء هُرْمُزْجان لانسلاخ مِهْرْمَاه . فوافاه أردشير قبل الوقت وخندق على نفسه واحتوى على الماء ، ووافاه أردوان وملك الأرمانيين ، وكانا يتحاربان على الملك فاصطلحا على أردشير وحراباه ، وهما متساندان يقاتله هذا يوماً وهذا يوماً ، فإذا كان يوم بابا ملك الأرمانيين لم يقم له أردشير ، وإذا كان يوم أردوان لم يقم لأردشير . فصالح أردشير بابا ملك الأرمانيين على أن يكف عنه ويفرغ أردشير لأردوان ، فلم يلبث أن قتله واستولى على ما كان له ، وأطاعه بابا وسمي أردشير : شاهنشاه .

ثم سار إلى همدان فافتتحها ، وإلى الجبل وأذربيجان وأرمينية والموصل ففتحها عنوة⁴ ، وسار إلى السواد من الموصل فملكه وبنى على شاطيء دجلة قبالة طيسفون⁵ ، وهي المدينة التي في شرق المدائن مدينة غربية ، وسمّاها به

1) منكوباً . B .

2) نيروفر . B .

١ وقيل .

٢ (في الطبري : جيره) .

٣ طهيسور . (وما أثبتناه عن معجم البلدان) .

أردشير ، وعاد من السواد إلى إصطخر ، وسار منها إلى سجستان ، ثم إلى
جرجان ، ثم إلى نيسابور ومرو وبلخ وخوارزم ، وعاد إلى فارس ونزل جور .
فجاءه رُسُل ملك كوسان وملك طُوران وملك مُكران بالطاعة .

ثم سار من جور إلى البحرين ، فاضطرّ ملكها إلى أن رمى نفسه من حصنه
فهلك . وعاد إلى المدائن فتوجّ ابنه سابور بتاجه في حياته وبني ثماني مدن ،
منها : مدينة الخط بالبحرين ، ومدينة بهرسير مقابل المدائن . وكان اسمه
به أردشير فعربت به سير ، وأردشير خُرّه ، هي مدينة فيروزاباذ ، سماها عضد
الدولة بن بُويّه كذلك ، وبني بكرمان مدينة أردشير أيضاً فعربت بردشير ،
وبني بهمن أردشير على دجلة عند البصرة ، والبصريّون يسمونها بهمن شير ،
وفرات ميسان أيضاً ، وبني رامهرمز بخوزستان ، وبني سوق الأهواز ، وبالموصل
بودرا أردشير ، وهي حزة .

ولم يزل محمود السيرة مظفراً منصوراً لا تُردّ له راية ، ومدن المدن ،
وكور الكور ، ورتب المراتب وعمر البلاد .

وكان ملكه من قتله أردوان إلى أن هلك أربع عشرة سنة ، وقيل : أربع
عشرة سنة وعشرة أشهر ، ولما استولى أردشير على العراق كره كثير من تنوخ
المقام في مملكته فخرج . مَنْ كان منهم² من قضاة إلى الشام ، ودان له
أهل الحيرة والأنبار ، وقد كانت الحيرة والأنبار بنيتا زمن بخت نصر ، فخربت
الحيرة لتحوّل أهلها إلى الأنبار ، وعُمرت الأنبار خمسمائة سنة وخمسين سنة
إلى أن عُمرت الحيرة زمن عمرو بن عديّ ، فعمرت خمسمائة وبضعاً وثلاثين
سنة إلى أن وضعت الكوفة ونزلها أهل الإسلام .

1) B. بودن ; S. بوردا .

2) A. كبير .

ذكر ملك سابور بن أردشير بن بابك

ولما هلك أردشير بن بابك قام بالملك بعده ابنه سابور ، وكان أردشير قد أسرف في قتل الأشكانيين حتى أفناهم بسبب أليّة آلاها جدّه ساسان بن أردشير بن بهمن ، فإنه أقسم أنه إن ملك يوماً من الدهر لم يستبق من نسل أشك بن جزه¹ أحداً ، وأوجب ذلك على عقبه ، فكان أول من ملك من عقبه أردشير ، فقتلهم جميعاً نساءهم ورجالهم ، غير أن جارية وجدها في دار المملكة فأعجبه ، وكانت ابنة للملك المقتول ، فسألها عن نسبها ، فذكرت أنها خادم لبعض نساء الملك . فسألها أبكر أم ثيب ، فأخبرته أنها بكر ، فاتخذها لنفسه وواقعها ، فعلقته منه ، فلما أمنت منه بجبلها أخبرته أنها من ولد أشك ، فنفر منها ودعا هرجد بن اسام ، وكان شيخاً مسنّاً ، فأخبره الخبر ، وقال له ليقتلها ليرت قسم جدّه . فأخذها الشيخ ليقتلها ، فأخبرته أنها حبلى ، فأتى بالقوابل فشهدن بجبلها ، فأودعها سرباً في الأرض ثم قطع مذاكيره ووضعها في حقّ وختم عليه ، وحضر عند الملك فقال : ما فعلت ؟ فقال : استودعتها بطن الأرض ، ودفع الحقّ إليه ، وسأله أن يختمه بخاتميه ويودعه بعض خزائنه² ، ففعل .

ثم وضعت الجارية غلاماً ، فكره الشيخ أن يسمي ابن الملك دونه ، وخاف يعلمه به وهو صغير ، فأخذ له الطالع وسمّاه شابور ، ومعناه : ابن الملك ، فيكون اسماً وصفة ، وهو أول من سمّي بهذا الاسم .

1) خزه S.

2) حراسه B.

وبقي أردشير لا يولد له ، فدخل عليه الشيخ الذي عنده الصبي يوماً فوجده
مخزوناً ، فقال له : ما يحزن الملك ؟ فقال : ضربتُ بسيفي ما بين المشرق
والمغرب حتى ظفرتُ وصفا لي مُلك آبائي ثمَّ أهلك وليس لي عقب فيه .
فقال له الشيخ : سرَّك الله أيها الملك وعمرك ! لك عندي ولد طيب نقيس ،
فادعُ لي بالحُقّ الذي استودعتك أرك برهان ذلك . فدعا أردشير بالحُقّ وفتحهُ ،
فوجد فيه مذاكير الشيخ وكتاباً فيه : لما أخبرتني ابنةُ أشك التي علقت من
ملك الملوك حين أمر بقتلها لم أستحل^١ إتلاف زرع الملك الطيب فأودعتها بطن
الأرض كما أمر وتبرأنا إليه من أنفسنا لثلاث^٢ يجد عاصيه^٣ [إلى عَضَّهَا] سبيلاً .

فأمره أردشير أن يجعل مع سابور مائة غلام ، وقيل : ألف غلام من أشباهه
في الهيئة والقامة ، ثمَّ يدخلهم عليه جميعاً لا يفرق بينهم زيّ ، ففعل الشيخ .
فلما نظر إليهم أردشير قبلت نفسه ابنة من بينهم ، ثمَّ أعطوا صوابحة وكرة ،
فلعبوا بالكرة وهو في الإيوان ، فدخلت الكرة الإيوان ، فهاب الغلمان أن
يدخلوه ، وأقدم سابور من بينهم ودخل ، فاستبدل بإقدامه مع ما كان من
قبوله له حين رآه أنه ابنة ، فقال له أردشير : ما اسمك ؟ قال : شاه بور .

فلما ثبت عنده أنه ابنة شهر أمره وعقد له التاج من بعده ، وكان عاقلاً
بليغاً فاضلاً ، فلما ملك ووضع التاج على رأسه فرّق الأموال على الناس من
قرب ومن بعد ، وأحسن إليهم ، فبان فضل سيرته وفاق جميع الملوك ،
وبنى مدينة نيسابور ، ومدينة سابور بفارس ، وبنى فيروز سابور ، وهي
الأنبار ، وبنى جنديسابور .

وقيل : إنه حاصر الروم بتصيين وفيها جمع من الروم مدة ثمَّ أتاه من

١ يستحل .

٢ أنسنا لثلاث يجد عاصيه . (العاصه : المفترى والرامي بالبهتان) .

ناحية خراسان ما احتاج إلى مشاهدته ، فسار إليها وأحكم أمرها ، ثم عاد إلى نصيبين ، فزعموا أن سورها تصدّع وانفجرت منه فرجة دخل منها وقتل وسبى وغنم وتجاوزها إلى بلاد الشام فافتتح من مدائنها مدناً كثيرة . منها فالوقية وقلدوقية¹ ، وحاصر ملكاً للروم بأنطاكية فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه فأسكنهم مدينة جنديسابور .

ذكر خبر مدينة الحضر

كانت بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر . وكان بها ملك يقال له الساطرون . وكان من الجرامقة . والعرب تسميه الضيزن . وهو من قضاة . وكان قد ملك الجزيرة وكثر جنده . وإنه تطرّق بعض السواد إذ كان سابور بخراسان ، فلما عاد سابور أخبر بما كان منه . فسار إليه وحاصره أربع سنين ، وقيل : سنتين . لا يقدر على هدم حصنه ولا الوصول إليه .

وكان للضيزن بنت تسمى النّضيرة ، فحاضت ، فأخرجت إلى ربض المدينة ، وكذلك كان يفعل بالنساء ، وكانت من أجمل النساء ، وكان سابور من أجمل الناس ، فرأى كل واحد منهما صاحبه فتعاشقا² ، فأرسلت إليه : ما تجعل لي إن دلتك على ما تهدم به سور المدينة؟ فقال : أحكمك³ وأرفعك على نسائي . فقالت : عليك بحمامة ورقاء مطوّقة فاكتب على رجلها بحيض جارية بكر زرقاء ثم أرسلها فإنها تقع على سور المدينة فيخرب ، وكان ذلك طلسم ذلك البلد . ففعل وتداعت المدينة ، فدخلها عتوة⁴ وقتل الضيزن وأصحابه ،

1) قالونية وقدرية B .

2) نعشقه S .

3) حكمتك S .

فلم يبقَ منهم أحد يُعرف اليوم ، وأخرب المدينة واحتمل النَّصيرة فأعرس بها بعين التمر ، فلم تزل ليلتها تتصوّر ، فالتمس ما يؤذيها فإذا ورقة آس ملتزقة بعكنة من عكن بطنها ، فقال لها : ما كان يغذوك به أبوك ؟ قالت : بالزبد والمخ وشهد الأبقار من النحل وصفو الحمر . فقال : وأبيك لأنا^١ أحدث عهداً [بك] وآثر^٢ لك من أبيك ! فأمر رجلاً فركب فرساً جموحاً ثمَّ عصب غدائرهما بذنبه ثمَّ استركضها فقطعها قطعاً ، وقد أكثر الشعراء ذكر الضيزن في أشعارهم .

وفي أيام سابور ظهر ماني الزنديق وادّعى النبوة ، وتبعه خلقٌ كثير ، وهم الذين يسمون المانوية .

وكان ملكه ثلاثين سنة وخمسة عشر يوماً ، وقيل : إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة أيام^١ .

٤

ذكر ملك ابنه هُرْمَزُ بن سابور بن أردشير بن بابك

وكان يشبهه في خلقه بأردشير غير لاحق به في تدبيره ، وكان من البطش والجرأة على أمر عظيم ، وكانت أمّه من بنات مِهْرَك الملك الذي قتله أردشير وتتبع نسله فقتلهم ، لأنَّ المنجمين أخبروه أنه يكون من نسله من يملك ،

.....
1) A. S. et B. وتسعة عشر يوماً .

١ لأيتنا .

٢ وأوتر .

فهربت أمّه إلى البادية وأقامت عند بعض الرعاء ، وخرج سابور متصيّداً ، فاشتدّ به العطش وارتفعت له الأخبية التي فيها أمّ هرمز ، فقصدها وطلب الماء ، فناولته المرأة ، فرأى منها جمالاً فائقاً ، فلم يلبث أن حضر¹ الرعاء فسألهم سابور عنها ، فقال بعضهم : إنّه ابنته ، فتزوجها وسار بها إلى منزلها ، وكسيت ونظفت ، فأرادها فامتنعت عليه مدّة . فلما طال عليه سأخا عن سبب ذلك فأخبرته أنّها ابنة مهرك وأنّها تفعل ذلك إبقاء عليه من أردشير . فعاهدها على ستر أمرها ، ووطنها فولدت له هرمز . فستر أمره حتى صار له سنون .

فركب أردشير يوماً إلى منزل ابنه سابور لشيء أراد ذكره له ، فدخل منزله مفاجأة . فلما استقرّ خرج هرمز وبيده صولجان وهو يصيح في أثر الكرة ، فلما رآه أردشير أنكره ووقف على المشابه التي فيه من² حسن الوجه وعبالة الخلق وأمور غيرها . فاستدناه أردشير وسأل عنه سابور ، فخرج مفكراً على سبيل الإقرار بالخطأ ، وأخبر أباه أردشير الخبر ، فسرى ، وأخبره أنّه قد تحقّق الذي ذكره المنجمون في ولد مهرك ، وأن ذلك قد سلّى ما³ كان في نفسه وأذهب .

فلما ملك سابور ولّى هرمز خراسان وسيّره إليها ، فقهر الأعداء واستقلّ بالأمر . فوشى به الوشاة إلى سابور أنّه على عزم أن يأخذ الملك منه ، وسمع هرمز بذلك فقبل إنّه قطع يده وأرسلها إلى أبيه ، فكتب إليه بما بلغه وأنّه فعل ذلك إزالةً للثمة لأنّ رسمهم أنّهم كانوا لا يملكون ذا عاهة . فلما وصلت يده إلى سابور تقطع أسفاً وأرسل إلى هرمز يعلمه ما ناله لذلك وعقد له على الملك وملّكه ، ولما ملك عدل في رعيّته ، وكان صادقاً ، وسلك سبيل آباءه وكور كورة رامهرمز . وكان ملكه سنة وعشرة أيام .

1) يحضر S.

2) منهم من S.

3) قد سرّى ما S.

ذكر ملك ابنه بهرام بن هرمز بن سابور

وكان حليماً متأنياً حسن السيرة ، وقتل ماني الزنديق وسلخه وحشا جلده
تبناً وعلّق على باب من أبواب جُنْدَيْسَابُور يسمّى باب ماني .
وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيّام . وكان عامل سابور بن
أردشير وابن بهرام بن هرمز - بعد مهلك عمرو بن عديّ على ربيعة
ومُضَر وسائر مَن ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذٍ - ابن عمرو بن عديّ ،
يقال له امرؤ القيس البدء^١ ، وهو أول مَن تنصّر من آل نصر بن ربيعة
وعُمّال الفرس ، وعاش مملّكاً في عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة ، منها في
زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً ، وفي زمن هرمز بن سابور
سنة وعشرة أيّام ، وفي زمن بهرام ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيّام ، وفي
زمن بهرام بن بهرام بن هرمز ثمانين سنة .

ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير

وكان ملكه حسناً ، وكان عالماً بالأمور ، فلما عقّد له التاج وعدهم بحسن
السيرة ، واختلّف في سني ملكه ، فقيل ثمانين سنة ، وقيل سبع عشرة
سنة . والله أعلم .

١ الكندي . (راجع : امرؤ القيس الأول ، في الأعلام للزركلي) .

ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور

فلما عقد التاج على رأسه دعا له العظماء فأحسن الرد ، وكان قبل أن يفضي إليه الأمر مملّكاً على سجستان . وكان ملكه أربع سنين .

ذكر ملك نرسي بن بهرام

وهو أخو بهرام الثالث ، فلما عقد التاج على رأسه دخل عليه الأشراف والعظماء فدعوا له ، فوعدهم خيراً وسار فيهم بأعدل السيرة¹ ، وقال : لن نضيع شكر ما أنعم الله به علينا . وكان ملكه تسع سنين .

ذكر ملك هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز

وكان الناس قد وجلوا منه لفظاظته ، فأعلمهم أنه قد علم بما كانوا يخافون من شدة ولايته ، وأن الله قد أبدل ما كان فيه من اللفظاظه رقة ورأفة . وسامهم أرفق سياسة ، وكان حريصاً على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل ، ثم هلك ولا ولد له ، فشق ذلك على الناس ، فسألوا عن نسائه ، فذكر لهم أن

1) سيرة 3.

بعضهن حبل ، وقيل : إنّ هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل ، وولدت المرأة سابور ذا الأكتاف .

وكان ملك هرمز ستّ سنين وخمسة أشهر ، وقيل سبع سنين وخمسة أشهر .

وأسماء الملوك من سابور بن أردشير إلى ههنا لم يحذف منها شيء .

ذكر ملك ابنه سابور ذي الأكتاف

وهو سابور بن هرمز بن نرسي بن بهرام¹ بن هرمز بن سابور بن أردشير ابن بابك ، قيل : ملك بوصية أبيه له ، فاستبشر الناس بولادته وبثوا خبره في الآفاق ، وتقلد الوزراء والكتاب ما كانوا يعملونه في ملك أبيه .

وسمع الملوك أنّ ملك الفرس صغير في المهد ، فطمعت في مملكتهم الترك والعرب والروم ، وكانت العرب أقرب إلى بلاد فارس ، فسار جمعٌ عظيم منهم في البحر من عبد القيس والبحرين إلى بلاد فارس وسواحل أردشير خُرّه وغلبوا أهلها على مواشيهم ومعاشيهم وأكثروا الفساد ، وغلبت إياد على سواد العراق وأكثروا الفساد فيهم ، فمكثوا حيناً لا يغزوهم أحد من الفرس لصغر ملكهم .

فلما ترعرع سابور وكبر كان أول ما عُرِف من حسن فهمه أنّه سمع في البحر² ضوضاء وأصواتاً فسأل عن ذلك فقيل : إنّ الناس يزدحمون في البحر

1) بهرام بن بهرام بن هرمز S. 1) .

2) البحر A. et S. 2) .

الذي على دجلة مقبلين ومدبرين ، فأمر بعمل جسر آخر يكون أحدهما للمقبلين والآخر للمدبرين ، فاستبشر الناس بذلك . فلما بلغ ستّ عشرة سنة وقوي على حمل السلاح جمع رؤساء أصحابه فذكر لهم ما اختلّ من أمرهم وأنه يريد الذبّ عنهم ويشخص إلى بعض الأعداء . فدعا له الناس وسألوه أن يقيم بموضعه ويوجه القوادم والجنود ليكفوه ما يريد ، فأبى واختار من عسكره ألف رجل ، فسألوه الازدياد ، فلم يفعل ، وسار بهم ونهاهم عن الإبقاء على أحد من العرب ، وقصد بلاد فارس فأوقع بالعرب وهم غارون فقتل وأسر وأكثر . ثمّ قطع البحر إلى الخطّ فقتل من بالبحرين لم يلتفت إلى غنيمته ، وسار إلى هجر وبها ناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فقتل منهم حتى سالت دماؤهم على الأرض ، وأباد عبد القيس ، وقصد اليمامة وأكثر في أهلها القتل ، وغور مياه العرب ، وقصد بكرأ وتغلب فيما بين مناظر الشام والعراق فقتل وسبى وغور مياههم وسار إلى قرب المدينة ففعل كذلك ، وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتلهم^١ إلى أن هلك فسمّوه سابور ذا الأكتاف لهذا ، وانتقلت إياد حينئذٍ إلى الجزيرة وصارت تغير على السواد ، فجهّز سابور إليهم الجيوش ، وكان لقيط الإيادي معهم ، فكتب إلى إياد :

سلامٌ في الصّحيفةِ من لقيطٍ إلى منّ بالجزيرة^٢ من إيادٍ
بأنّ الليثَ كسرى قد أتاكم فلا يشغلكم سوقُ النقادِ^١
أتاكم منهم سبعون ألفاً يزجون الكتابَ كالجرادِ

1) B. et S. النقاد .

١ ويقتل .

٢ بالبحرين .

فلم يقبلوا منه وداموا على الغارة ، فكتب إليهم أيضاً :

أبليغ إباداً وطولاً في سراتهم¹ أني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعاً¹

وهي قصيدة مشهورة من أجود ما قيل في صفة الحرب . فلم يحذروا ، وأوقع بهم سابور وأبادهم قتلاً إلا من لحق بأرض الروم . فهذا فعله بالعرب .

وأما الروم فإن سابور كان هادن ملكهم ، وهو قسطنطين ، وهو أول من تنصّر من ملوك الروم ، ونحن نذكر سبب تنصّره عند الفراغ من ذكر سابور إن شاء الله . ومات قسطنطين وفرّق ملكه بين ثلاثة بنين كانوا له ، فملكوا ، وملك الروم عليهم رجلاً من أهل بيت قسطنطين يقال له اليانوس ، وكان على ملّة الروم الأولى ويكتم ذلك ، فلما ملك أظهر دينه وأعاد ملّة الروم وأخرب البيع وقتل الأساقفة ثم جمع جموعاً من الروم والخزر وسار نحو سابور . واجتمعت العرب للانتقام من سابور ، فاجتمع في عسكر اليانوس منهم خلق كثير . وعادت عيون سابور إليه فاختلفوا في الأخبار ، فسار سابور بنفسه مع جماعة من ثقاته نحو الروم ، فلما قرب من يوسانوس² ، وهو على مقدّمة اليانوس ، اختفى وأرسل بعض من معه إلى الروم ، فأخذوا ، وأقرّ بعضهم على سابور ، فأرسل يوسانوس إليه سرّاً ينذره فارتحل سابور إلى عسكره وتحارب هو والعرب والروم ، فانهزم عسكره وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وملك الروم مدينة طيسفون³ ، وهي المدائن الشرقية ، وملكوا أيضاً أموال سابور وخزائنه .

1) C. P. بضما ; B. بضما .

2) et sqq. . يويانوس .

3) Cod. طيسور .

١ طيسور . (والتصحيح عن ياقوت) .

وكتب سابور إلى جنوده وقواده يعلمهم ما لقي من الروم والعرب ويستحثهم على المسير إليه ، فاجتمعوا إليه ، وعادوا استنقذ مدينة طيسفون ، ونزل الينوس مدينة بهرسير ، واختلف الرسل بينهما ، فبينما الينوس جالس أصابه سهم لا يُعرف راميهِ فقتله ، فسقط في أيدي الروم ، ويشوا من الخلاص من بلاد الفرس ، فطلبوا من يوسانوس أن يملك عليهم ، فلم يفعل وأبى إلا أن يعودوا إلى النصرانية ، فأخبروه أنهم على ملته ، وإنما كتموا ذلك خوفاً من الينوس . فملك عليهم ، وأرسل سابور إلى الروم يتهددهم ويطلب الذي ملك عليهم ليجتمع به . فسار إليه يوسانوس في ثمانين رجلاً ، فلقاه سابور وتساخدا وطعما ، وقوى سابور أمر يوسانوس بجهدهِ وقال للروم : إنكم أخربتم بلادنا وأفسدتم فيها ، فإما أن تعطونا قيمة ما أهلككم وإما أن تعوضونا نصيبين ، وكانت قديماً للفرس ، فغلبت الروم عليها ، فدفعوها إليهم ، وتحوّل أهلها عنها ، فحوّل إليها سابور اثني عشر ألف بيت من أهل إصطخر وأصبهان وغيرهما ، وعادت الروم إلى بلادهم ، وهلك ملكهم بعد ذلك بيسير .

وقيل : إن سابور سار إلى حدّ الروم وأعلم أصحابه أنه على قصد الروم مخفياً لمعرفة أحوالهم وأخبار مدنها ، وسار إليهم ، فجال فيهم حيناً ، وبلغه أن قيصر أولمّ وجمع الناس فحضر بزّي سائل لينظر إلى قيصر على الطعام ، ففطن به وأخذ وأدرج في جلد ثور ، وسار قيصر بجنوده إلى أرض فارس ومعه سابور على تلك الحال ، فقتل وأخرب حتى بلغ جنود سابور ، فتحصن أهلها وحاصرها ، فبينما هو يحاصرها إذ غفل الموكّلون بحراسة سابور ، وكان بقربه قوم من سبي الأهواز ، فأمرهم أن يلقوا على القدر الذي عليه زيتاً كان بقربهم ، ففعلوا ، ولان الجلد وانسلّ منه وسار إلى المدينة وأخبر حراسها فأدخلوه ، فارتفعت أصوات أهلها ، فاستيقظ الروم ، وجمع سابور منّاً وعبّاهم وخرج إلى الروم سحرّ تلك الليلة فقتلهم وأسر قيصر وغنم أمواله

ونساءه وأثقله بالحديد وأمره بعمارة ما أخرب وألزمه بنقل التراب من بلد الروم
ليبي به ما هدم المنجنيق من جُنْدَيْسَابُور وأن يغرس الزيتون مكان النخل، ثمّ
قطع عقبه وبعث به إلى الروم على حمار وقال : هذا جزاؤك ببغيك علينا ؛
فأقام مدّة ثمّ غزا فقتل وسبى سبايا أسكنهم مدينة بناها بناحية السوس سماها
إيران شهر سابور ، وبني مدينة نيسابور بخراسان في قول ، وبالعراق بُزُرْج^١
سابور .

وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة . وهلك في أيّامه امرؤ القيس بن عمرو
ابن عديّ عامله على العرب ، فاستعمل ابنه عمرو بن امرئ القيس ، فبقي
في عمله بقيّة ملك سابور وجميع أيّام أخيه أردشير بن هرمز وبعض أيّام
سابور بن سابور .

وكانت ولايته ثلاثين سنة .

[سبب تنصّر قسطنطين]

وأما سبب تنصّر قسطنطين فإنه كان قد كبر سنّه وساء خلقه وظهر به
وضّح^٢ كبير ، فأرادت الروم خلعه وترك ماله عليه ، فشاور نصحاءه ، فقالوا
له : لا طاقة لك بهم فقد أجمعوا على خلعتك وإنما تحتال عليهم بالدّين . وكانت
النصرانية قد ظهرت ، وهي خفيّة ، وقالوا له : استمهلهم حتى تزور البيت
المقدّس ، فإذا زرتّه دخلت في دين النصرانية وحملت الناس عليه ، فإنّهم

١ تزوج .

٢ وضخ . (والوضح : البرص) .

يعترفون ، فتقاتل من عصاك بمن أطاعك ، وما قاتل قوم على دين إلا نُصروا .
 ففعل ذلك ، فأطاعه عالم عظيم وخالفه خلق كثير وأقاموا على دين اليونانية ،
 فقاتلهم وظفر بهم ، فقتلهم فأحرق كتبهم وحكمتهم وبنى القسطنطينية ونقل
 الناس إليها ، وكانت رومية دار ملكهم ، وبقي ملكه عليه ، وغلب على الشام ،
 وكان الأكاسرة قبل سابور ذي الأكتاف يتزلون طيسفون¹ ، وهي المدينة
 الغربية من المدائن ، فلما نشأ سابور بنى الإيوان بالمدائن الشرقية وانتقل إليه
 وصار هو دار الملك ، وهو باقٍ إلى الآن ، ونحن في سنة خمس وعشرين²
 وستمائة .

ذكر ملك أردشير بن هرمز بن فرسي بن بهرام بن
 سابور بن أردشير بن بابك أخي سابور

فلما ملك واستقر له الملك عطف على العظماء وذوي الرئاسة فقتل منهم
 خلقاً كثيراً ، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه .

ذكر ملك سابور بن سابور ذي الأكتاف

فلما ملك بعد خلع عمته استبشر الناس بعود ملك أبيه إليه ، وكتب إلى
 العمال بالعدل والرفق بالرعية وأمر بذلك وزراءه وحاشيته ، وأطاعه عمته

1) طيسور . Codd.

2) عشرة . A.

المخلوع وأحبته رعيته ، ثم إن¹ العظماء وأهل الشرف قطعوا أطناب خيمة
كان فيها فسقطت عليه فقتلته .
وكان ملكه خمس سنين .

ذكر ملك أخيه بهرام بن سابور ذي الأكتاف

وكان يلقب كرممان شاه ، لأن أباه ملكه كرممان في حياته ، فكتب إلى
القواد كتاباً يحثهم على الطاعة ، وكان محموداً في أموره ، وبني بكرمان مدينة .
وثار به ناس من الفتاك فقتله أحدهم بنشابة .
وكان ملكه إحدى عشرة سنة .

ع

ذكر ملك يزدجيرد الأثيم بن بهرام ابن سابور ذي الأكتاف

ومن أهل العلم من يقول إن يزدجيرد هذا هو أخو بهرام كرممان شاه بن
سابور لا ابنه ، وكان فظاً² غليظاً ذا عيوب كثيرة يضع الشيء في غير
مواضعه ، كثير الرؤية في الصغائر ، واستعمال¹ كل ما عنده في المواربة والدهاء

1) Codd. . وإن

2) B فظاً .

١ واستعمل .

والمخاتلة مع فطنة بجهات الشرّ وعُجُوب به ، وكان غَلَقاً^١ سيء الخلق لا يغفر الصغيرة من الزلات ولا يقبل شفاعة أحد من الناس وإن كان قريباً منه ، كثير التهمة ، ولا يَأْتَمَنُ أحداً على شيء ، ولم يكن يكافئ أحداً على حسن البلاء وإن هو أولى الحسيس من العُرْفِ^٢ استعظمه ، وإذا بلغه أن أحداً من أصحابه صافى أحداً من أهل صناعته نحاه عن خدمته . وكان فيه مع ذلك ذكاء ذهن وحسن أدب ، وقد مهر في صنوف من العلم ، واستوزر نرسي حكيم زمانه ، وكان فاضلاً قد كمل أدبه ولقبه هزار بيده ، فأمل الناس أن يصلح نرسي منه ، فكان ما أملوه بعيداً .

فلما استوى له الملك واشتدت شوكته هابته^٣ الأشراف والعظماء ، وحمل على الضعفاء فأكثر من سفك الدماء .

فلما ابتليت الرعيّة به شكوا ما نزل بهم منه إلى الله تعالى وسألوه تعجيل إنقاذهم منه ، فزعموا أنه كان يجرجان فرأى ذات يوم في قصره فرساً غائراً^٤ لم ير مثله ، فأخبر به ، فأمر أن يسرج ويلجم ويدخل عليه ، فلم يقدر أحد على ذلك ، فأعلم بذلك ، فخرج إليه بنفسه وألجمه بيده وأسرجه ، فلما رفع ذنبه ليُثْفِرَه^٥ رمحه على فواده رمحة هلك منها مكانه وملا الفرس فروجه جريباً ولم يعلم له خبر ، وكان ذلك من صنع الله ورأفته بهم .

١ علقاً . (الغلق : الضجر السيء الخلق) .

٢ العرق . (العرف : الجود والمعروف ؛ ما تعطيه) .

٣ أهانته .

٤ غائراً . (والعائر : الهائم على وجهه لا يشبه شيء) .

٥ عليه .

٦ (يثفره : أي يضع الثفر ، وهو سير من الجلد في مؤخر السرج ، تحت ذنب الفرس) .

وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوماً .

• • •

وأما العرب فقيل إنه لما هلك عمرو بن امرئ القيس البدء^١ بن عمرو ابن عدي في عهد سابور استخلف سابور على عماله أوس بن قلام ، وهو من العماليق ، فملك خمس سنين وقتل في عهد بهرام بن سابور ، فاستخلف بعده في عمله امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس البدء^١ ، فبقي خمسا وعشرين سنة ، وهلك أيام يزدجرد الأثيم ، فاستخلف بعده في عمله ابنه النعمان وأمه شقيقة ابنة أبي ربيعة بن ذهل بن شيان ، وهو صاحب الخورنق . وسبب بناؤه له أن يزدجرد الأثيم كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل مريء صحيح ، فدُلَّ على ظاهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان هذا وأمره ببناء الخورنق مسكناً له وأمره بإخراجه إلى بواهي^١ العرب ، وكان الذي بنى الخورنق رجلاً اسمه سينمار . فلما فرغ من بناؤه تعجبوا منه ، فقال : لو علمت أنكم توفوني أجري لعمليته يدور مع الشمس . فقال : وإنك لتقدر على ما هو أفضل منه ! ثم أمر به فألقي من رأس الخورنق فهلك ، فضربت العرب بجزائه المثل ، وهو مذكور في أشعارها .

وغزا النعمان هذا الشام مراراً وأكثر المصائب في أهلها وسبى وغنم وجعل معه ملك فارس كتيبتين يقال لإحدهما دوس وهي لتنوخ ، وللأخرى الشهباء وهي لفارس ، فكان يغزو بهما الشام ومن لم يطعه من العرب . ثم إنه جلس يوماً في مجلسه من الخورنق فأشرف منه على النجف وما

١) بداد بداد S .

١ الندى . (والتصحيح عن الزركلي) .

يليه من البساتين والأنهار في يوم من أيام الربيع ، فأعجبه ذلك ، فقال لوزيره : هل رأيتَ مثل هذا المنظر قطّ ؟ قال : لا لو كان يدوم . قال : فما الذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة . قال : فبِمَ يُنال ذلك ؟ قال : بترك الدنيا وعبادة الله . فترك ملكه من ليلته ولبس المسوح وخرج هارباً لا يُعلم به ، فأصبح الناس فلم يروه .

وكان ملكه إلى أن تركه وساح تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر ، من ذلك في أيام يزدجرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة .

وأما علماء الفرس فإنهم يقولون غير هذا ، وسيرد ذكره .

ذكر ملك بهرام بن يزدجرد الأثيم

لما ولد يزدجرد بهرام جور اختار لحضائه العرب ، فدعا بالمنذر بن النعمان واستحضنه بهرام وشرفه وكرمه وملكه على العرب ، فسار به المنذر واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات أجسام صحيحة وأذهان ذكية وآداب حسنة من بنات الأشراف ، منهنّ عربيتان وعجمية ، فأرضعنه ثلاث سنين . فلما بلغ خمس سنين أحضر له مؤدبين فعلموه الكتابة والرمي والفقّه بطلب من بهرام بذلك ، وأحضر حكيماً من حكماء الفرس فتعلم ووعى كلّ ما علّمه بأدنى تعليم . فلما بلغ اثني عشرة سنة تعلم كلّ ما أفيد وفاق معلميه ، فأمرهم المنذر بالانصراف ، وأحضر معلّمي الفروسية فأخذ عنهم كلّ ما ينبغي له ، ثمّ صرفهم . ثمّ أمر فأحضرت خيل العرب للسباق فسبقها فرس أشقر للمنذر ، وأقبل باقي الخيل بدّاد [بدّاد] ، فقرب المنذر الفرس بيده إليه ، فقبله وركبه

يوماً للصيد ، فبصر بعانة حمير وحش ، فرمى عليها وقصدها وإذا هو بأسد
 قد أخذ عيراً منها فتناول ظهره بفيه ، فرماه بهرام بسهم فنقد في الأسد والعير ،
 ووصل إلى الأرض فساخ السهم إلى ثلثه ، فرآه من معه ففجبوا منه ، ثم أقبل
 على الصيد واللهو والتلذذ .

فمات أبوه وهو عند المنذر ، فتعاهد العظماء وأهل الشرف على أن لا يملكوا
 أحداً من ذرية يزيدجرد لسوء سيرته ، فاجتمعت الكلمة على صرف الملك عن
 بهرام لنشوته في العرب وتخلقه بأخلاقهم ولأنه من ولد يزيدجرد ، وملكوا
 رجلاً من عقب أردشير بن بابك يقال له كسرى . فانتهى هلاك يزيدجرد
 وتمليك كسرى إلى بهرام ، فدعا بالمنذر وابنه النعمان وناس من أشرف العرب
 وعرفهم إحسان والده إليهم وشدته على الفرس ، وأخبرهم الخبر . فقال المنذر :
 لا يهولنك ذلك حتى أطف الحيلة فيه ، وجهز عشرة آلاف فارس ووجههم
 مع ابنه النعمان إلى طيسفون¹ وبهرسير مدينتي الملك ، وأمره أن يعسكر قريباً
 منهما ويرسل طلائعه إليهما وأن يقاتل من قاتله ويغير على البلاد ، ففعل ذلك ،
 وأرسل عظماء فارس حواربي² صاحب رسائل يزيدجرد إلى المنذر يعلمه أمر
 النعمان ، فلما ورد حواربي قال له : التق الملك بهرام . فدخل عليه ، فراعته
 ما رأى منه ، فأغفل السجود دهشاً ، فعرف بهرام ذلك فكلّمه ووعدّه
 أحسن الوعد وردّه إلى المنذر وقال له : أجبه . فقال له : إن الملك بهرام أرسل
 النعمان إلى ناحيتكم حيث ملكه الله بعد أبيه . فلما سمع حواربي مقالة المنذر
 وتذكر ما رأى من بهرام علم أن جميع من تشاور في صرف الملك عن بهرام

1) طيسور . Codd.

2) حواربي . S. ubique ; B.

محجوج ، فقال للمنذر: سرّ إلى مدينة الملوك فيجتمع^١ إليك الأشراف والعظماء ،
وتشاوروا في ذلك فلن يخالفوا^٢ ما تشير به .

وسار المنذر بعد عود حوابي من عنده بيوم في ثلاثين ألفاً من فرسان العرب
إلى مدينتي الملك بهرام ، فجمع الناس ، وصعد بهرام على منبر من ذهب
مكّلت بالجوهر وتكلّم عظماء الفرس فذكروا فظاظة يزدجرد أبي بهرام وسوء
سيرته وكثرة قتله وإخراب البلاد وأنهم لهذا السبب صرفوا الملك عن ولده .

فقال بهرام : لست أكذبكم وما زلتُ زارياً عليه ذلك ولم أزل أسأل
الله أن يملكني لأصلح ما أفسد ومع هذا فإذا أتى على ملكي سنة ولم أفِ بما أعد
تبرأتُ من الملك طائعاً وأنا راضٍ بأن تجعلوا التاج وزينة الملك بين أسدين
ضارين فمن تناولهما^٣ كان الملكُ له . فأجابوه إلى ذلك ووضعوا التاج والزينة
بين أسدين ، وحضر موبّذان موبّذ ، فقال بهرام لكسرى : دونك التاج والزينة .
فقال كسرى : أنت أولى لأنك تطلب الملك بوراثة وأنا فيه مغتصب . فحمل
بهرام جُرُزاً^٤ وتوجّه نحو التاج ، فبدر إليه أحد الأسدين فوثب بهرام فعلا
ظهره وعصر جنبَي الأسد بفخذه وجعل يضرب رأسه بالجرز الذي معه .
ثم وثب الأسد الآخر عليه ، فقبض أذنيه بيده ولم يزل يضرب رأسه برأس
الأسد الآخر الذي تحته حتى دمغهما ثم قتلها بالجرز الذي معه وتناول بعد
ذلك التاج والزينة . فكان أول من أطاعه كسرى ، وقال جميع من حضر :
قد أذعنا لك ورضينا بك ملكاً ، وإنّ العظماء والوزراء والأشراف سألوا
المنذر ليكلّم بهرام في العفو عنهم . فسأل المنذر الملك بهرام ذلك فأجابه .

١ ونجمع .

٢ تخالفوا .

٣ تناولها .

٤ (الجرز : العمود من الحديد) .

وملك بهرام وهو ابن عشرين سنة وأمر أن يلزم رعيته راحة ودعة ،
 وجلس للناس يعدهم بالخير ويأمرهم بتقوى الله ، ولم يزل مدة ملكه¹ يؤثر
 اللهو على ما سواه حتى طمع فيه مَنْ حوله من الملوك في بلاده ، وكان أوّل
 من سبق إلى قصده خاقان ملك الترك ، فإنه غزاه في مائتي ألف وخمسين ألفاً
 من الترك ، فعظم ذلك على الفرس ، ودخل العظماء على بهرام وحذروه ،
 فتمادى في هوه ثم تجهّز وسار إلى أذربيجان ليتنسك في بيت نارها ، ويتصيد
 بأرمينية¹ في سبعة رهط من العظماء وثلاثمائة من ذوي البأس والنجدة ، واستخلف
 أخاه نرسي ، فما شكّ الناس في أنه هرب من عدوه ، فاتفق رأي جمهورهم
 على الانقياد² إلى خاقان ، وبذل الخراج له خوفاً على نفوسهم وبلادهم .

فبلغ ذلك خاقان فأمن ناحيتهم وسار بهرام من أذربيجان إلى خاقان في تلك
 العدة ، فثبت للقتال وقتل خاقان بيده وقتل جنده وانهمز من سلم من القتل ،
 وأمن بهرام في طلبهم يقتل ويأسر ويغنم ويسبي ، وعاد وجنده سالمين وظفر
 بتاج خاقان وإكليبه وغلب على طرف من بلاده واستعمل عليها مرزباناً ،
 وأتاه رسل الترك خاضعين مطيعين وجعلوا بينهم حدّاً لا يعدونه ، وأرسل إلى
 ما وراء النهر قائداً من قواده فقتل وسبى وغنم ، وعاد بهرام إلى العراق ،
 وولّى أخاه نرسي خراسان وأمره أن ينزل مدينة بلخ .

وانتصل به أن بعض رؤساء الديلم جمع جمعاً كثيراً وأغار على الري
 وأعمالها فغنم وسبى وخرّب البلاد وقد عجز أصحابه في الثغر عن دفعه ، وقد
 قرروا عليهم إتاوة يدفعونها إليه ، فعظّم ذلك عليه وسيّر مرزباناً إلى الري
 في عسكر كثيف وأمره أن يضع على الديلمي من يطعمه في البلاد ويغريه بقصدها ،

1) يزل مذ ملك S.

2) فاتفق القواد على الانقياد S.

1) بأمنيته . (والتصحيح عن الطبري) .

ففعل ذلك ، فجمع الديلمي جموعه وسار إلى الرّي ، فأرسل المرزبان إلى بهرام جور يعلمه خبره ، فكتب إليه بأمره بالمسير نحو الديلمي والمقام بموضع سمّاه له ، ثمّ سار جريدة في نفر من خواصّه فأدرك عسكره بذلك المكان والديلمي لا يعلم بوصوله ، وهو قد قوي طمعه لذلك ، فعبّى بهرام أصحابه وسار نحو الديلم ، فلقبهم وباشر القتال بنفسه ، فأخذ رئيسهم أسيراً ، وانهمزم عسكره ، فأمر بهرام بالنداء فيهم بالأمان لمن عاد إليه ، فعاد الديلم جميعهم ، فأمنهم ولم يقتل منهم أحداً وأحسن إليهم وعادوا إلى أحسن طاعة ، وأبقى على رئيسهم وصار من خواصّه .

وقيل : كانت هذه الحادثة قبل حرب الترك ، والله أعلم .

ولما ظفر بالديلم أمر ببناء مدينة سمّاهها فيروز بهرام ، فبُنيت له هي ورساقها . واستوزر نرسي ، فأعلمه أنّه ماضٍ إلى الهند متخفياً ، فسار إلى الهند وهو لا يعرفه أحد ، غير أنّ الهند يرون شجاعته وقتله السباع . ثمّ إنّ فيلاً ظهر وقطع السبيل وقتل خلقاً كثيراً ، فاستدلّ عليه ، فسمع الملكُ خبره فأرسل معه من يأتيه بخبره . فانتهى بهرام والهنديّ معه إلى الأجمة ، فصعد الهندي شجرة ومضى بهرام فاستخرج الفيل وخرج وله صوت شديد ، فلما قرب منه رماه بسهم بين عينيه كاد يغيب ، ووقذه بالنشاب وأخذ مشفره¹ ، ولم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه فاحتزّ رأسه وأخرجه .

وأعلم الهنديّ ملكهم بما رأى ، فأكرمه وأحسن إليه وسأله عن حاله . فذكر أنّ ملك فارس سخط عليه فهرب إلى جواره ، وكان لهذا الملك عدوّ فقصدته ، فاستسلم الملك وأراد أن يطبع ويبدل الخراج ، فنهاه بهرام وأشار بمحاربتة ، فلما التقوا قال لأساورة الهنديّ : احفظوا لي ظهري ، ثمّ حمل

1) مستقره . S. 1)

عليهم فجعل يضرب في أعراضهم ويرميهم بالنشأب حتى انهزموا ، وغنم أصحاب بهرام ما كان في عسكر عدوه ، فأعطى بهرام الدَّيْبُل ومُكْران وأنكحه ابنته ، فأمر بتلك البلاد فضُمَّت إلى مملكة الفرس .

وعاد بهرام مسروراً وأغزى نرسي بلاد الروم في أربعين ألفاً وأمره أن يطالب¹ ملك الروم بالإتاوة ، فسار إلى القسطنطينية ، فهادنه ملك الروم ، فانصرف بكل ما أراد إلى بهرام . وتيل : إنه لما فرغ من خاقان والروم سار بنفسه إلى بلاد اليمن ودخل بلاد السودان¹ فقتل مقاتلتهم وسبى لهم خلقاً كثيراً وعاد إلى مملكته .

ثم إنه في آخر ملكه خرج إلى الصيد² فشدت على عتر³ فأمعن في طلبه ، فارتطم في جب فغرق ، فبلغ والدته ذلك ، فسارت إلى ذلك الموضع وأمرت بإخراجه ، فنقلوا من الجب طيناً كثيراً حتى صار إكاماً عظيماً ولم يقدرُوا عليه .

وكان ملكه ثمانى عشرة سنة وعشرة أشهر⁴ وعشرين يوماً ، وقيل : ثلاثاً وعشرين سنة⁴ .

هكذا ذكر أبو جعفر في اسم بهرام جور أن أباه أسلمه إلى المنذر بن النعمان ، كما تقدم ، وذكر عند يزدجرد الأئيم أنه سلم ابنه بهرام إلى النعمان بن امرئ القيس ، ولا شك أن بعض العلماء قال هذا وبعضهم قال ذلك ، إلا أنه لم ينسب كل قول إلى قائله .

1) A. et B. السواد . 2) A. S. et B. للصيد . 3) S. على غير .

4) post سنة S. add. . وعشرة أشهر وعشرين يوماً .

ذكر ملك ابنه يزدجرد بن بهرام جور

لما لبس التاج جلس للناس ووعدهم وذكر أباه ومناقبه وأعلمهم أنهم إن فقدوا منه طول جلوسه لهم فإن خلوته في مصالحهم وكيد أعدائهم ، وأنه قد استوزر نرسي صاحب أبيه . وعدل في رعيته وقمع أعداءه وأحسن إلى جنده ، وكان له ابنان يقال لأحدهما هرمز وللآخر فيروز ، وكان لهرمز سجستان ، فغلب على الملك بعد هلاك أبيه يزدجرد ، فهرب فيروز ولحق ببلاد الهياطلة واستنجد ملكهم ، فأمدّه بعد أن دفع إليه الطالقان ، فأقبل بهم فقتل أخاه بالرّي ، وكانا من أمّ واحدة ، وقيل لم يقتله وإنما أسره وأخذ الملك منه . وكان الروم منعوا الخراج عن يزدجرد ، فوجه إليهم نرسي في العدة التي أنفذه أبوه فيها فبلغ إرادته .

وكان ملك يزدجرد ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر ، وقيل : تسع¹ عشرة سنة .

ذكر ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام بعد أن قتل أخاه هرمز وثلاثة من أهل بيته

ولما ظفر فيروز بأخيه وملك أظهر العدل وأحسن السيرة ، وكان يتدين ، إلا أنه كان محدوداً مشؤوماً على رعيته ، وقحطت البلاد في زمانه سبع سنين

1) A. S. et B. سبع .

متوالية ، وغارت الأنهار والقنى ، وقلّ ماء دجلة ، ومحلت الأشجار ،
وهاجت عامةُ الزروع في السهل والجبل من بلاده ، وماتت الطيورُ
والوحوشُ ، وعمّ أهلَ البلادِ الجوعُ والجهدُ الشديدُ ، فكتب إلى جميع
رعيته [يعلمهم] أنه لا خراج عليهم ولا جزية ولا مؤونة ، وتقدّم إليهم
بأنّ كلَّ مَنْ عنده طعام مذخور يواسي به الناس وأن يكون حال الغنيّ
والفقير واحداً ، وأخبرهم أنه إن بلغه أن إنساناً مات جوعاً بمدينة أو قرية
عاقبهم ونكل بهم ، وساسَ الناسَ سياسةً لم يعطب أحد جوعاً ما خلا رجلاً
واحداً من رستاق أردشير خُرّه ، وابتهل فيروز إلى الله بالدعاء فأزال ذلك
القحط وعادت بلاده إلى ما كانت عليه .

فلما حيي الناسُ والبلادُ وأثنى في أعدائه سار مريداً حربَ الهياطة ،
فلما سمع إخشنواراً ملكهم خافه ، فقال له بعض أصحابه : اقطعْ يدي
ورجلي وألقني على الطريق وأحسن إلى عيالي لأحتال على فيروز . ففعل ذلك .
واجتاز به فيروز فسأله عن حاله فقال له : إنّي قلتُ لإخشنوار لا طاقة لك
بفيروز ففعل بي هذا ، وإنّي أدلك على طريق لم يسلكها ملك وهي أقرب .
فاغترّ فيروز بذلك وتبعه ، فسار به ويجنده حتى قطع بهم مفازة بعد مفازة حتى إذا
علم أنهم لا يقدرّون على الخلاص أعلمهم حاله . فقال أصحاب فيروز لفيروز :
حذّرناك فلم تحذر ، فليس إلاّ التقدّم على كلِّ حال ، فتقدّموا أمامهم
فوصلوا إلى عدوّهم وهم هلكت عطشى وقتل العطشُ منهم كثيراً . فلما أشرفوا
على تلك الحال صالحوا إخشنوار على أن يخلي سبيلهم إلى بلادهم على أن يحلف
له فيروز أنه لا يغزو بلاده ، فاصطلحا ، وكتب فيروز كتاباً بالصلح وعاد .

فلما استقرّ في مملكته حملته الأنفةُ على معاودة إخشنوار ، فنهاه وزراؤه

1) ا. اخشوار B. ; ا. اخشوار A. 1)

عن نقض العهد ، فلم يقبل وسار نحوه ، فلما تقاربا أمر إخشنوار فحضر خلف
عسكره خندقاً عرضه عشرة أذرع وعمقه عشرون ذراعاً وغطاه بنخشب ضعيف
تراب ، ثم عاد وراه ، فلما سمع فيروز بذلك اعتقده هزيمة فتبعه ولا يعلم
عسكر فيروز بالخندق فسقط هو وأصحابه فيه فهلكوا ، وعاد إخشنوار إلى
عسكر فيروز وأخذ كل ما فيه وأسر نساءه وموبدان موبذ ثم استخرج جثة
فيروز [وجثة كل] من سقط معه فجعلها في النواويس .

وقيل : إن فيروز لما انتهى إلى الخندق الذي حفره إخشنوار ولم يكن مغطى
عقد عليه قناطر وجعل عليها أعلاماً له ولأصحابه يقصدونها في عودهم وجاز
إلى القوم . فلما التقى العسكران احتج عليه إخشنوار بالعهد التي بينهما وحذره
عاقبة الغدر ، فلم يرجع ، فنهاه أصحابه فلم يته ، فضعفت نيّاتهم في القتال .
فلما أبى إلا القتال رفع إخشنوار نسخة العهد على رمح وقال : اللهم خذ
بما في هذا الكتاب وقلده بغيه . فقاتله فانهزم فيروز وعسكره فصلّوا عن مواضع
القناطر فسقطوا في الخندق ، فهلك فيروز وأكثر عسكره ، وغنم إخشنوار
أموالهم ودوابهم وجميع ما معهم ، وغلب إخشنوار على عامة خراسان .
فسار إليهم رجل من أهل فارس يقال له سوخرا¹ ، وكان فيهم عظيماً ،
وخرج كالمحتسب² ، وقيل : بل كان فيروز استخلفه على ملكه لما سار ،
وكان له سجستان ، فلقى صاحب الهياطة فأخرجه من خراسان واستعاد منه
كل ما أخذ من عسكر فيروز بما هو في عسكره من السبي وغيره
وعاد إلى بلاده ، فعظّمته الفرس إلى غاية لم يكن فوقه إلا الملك ، وكانت
مملكة الهياطة طخارستان ، فكان فيروز قد أعطى ملكهم لما ساعده على حرب
أخيه الطالقان .

وكان ملك فيروز ستاً وعشرين سنة ، وقيل : إحدى وعشرين سنة .

1) سوخذ . B .

2) كالمختبر . B .

ذكر الأحداث في العرب أيام يزديجرد و فيروز

كان يخدم ملوك حمير أبناء الأشراف من حمير وغيرهم ، وكان ممن يخدم حسّان بن تبع عمرو بن حُجر الكندي سيّد كِنْدَةَ ، فلما قتل عمرو ابن تبع أخاه حسّان بن تبع اصطنع عمرو بن حُجر وزوجه ابنة أخيه حسّان ، ولم يطمع في التزوج إلى ذلك البيت أحد من العرب ، فولدت الحارث بن عمرو . وملك بعد عمرو بن تبع عبد كُلال بن مُثَوَّب ، وإنّما ملكوه لأنّ أولاد عمرو كانوا صغاراً ، وكان الجنّ قبل ذلك قد استهامت تبع بن حسّان ، وكان عبد كُلال على دين النصرانية الأولى ويكتم ذلك . ورجع تبع بن حسّان من استهامته وهو أعلم الناس بما كان قبله ، فملك اليمن ، وهابته حمير ، فبعث ابن أخته الحارث بن عمرو بن حُجر في جيش إلى الحيرة ، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس ، وهو ابن الشقيقة ، فقاتله فقتل النعمان وعدة من أهل بيته ، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر وأمّه ماء السماء امرأة من النمر ابن قاسط ، فذهب ملك آل النعمان ومالك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون ، قاله بعضهم .

وقال ابن الكلبي : ملك بعد النعمان المنذر بن النعمان بن المنذر بن النعمان¹ أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور ثمانين سنين ، وفي زمن يزديجرد ابن بهرام ثمانين سنة ، وفي زمن فيروز بن يزديجرد سبع عشرة سنة ، ثم ملك بعده الأسود بن المنذر عشرين سنة ، منها في زمن فيروز بن يزديجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن فيروز أربع سنين ، وفي زمن قباد بن فيروز ست سنين .

1) S. . . النعمان بن المنذر بن النعمان المنذر بن النعمان .

وهكذا ذكر أبو جعفر هاهنا أن الحارث بن عمرو قتل النعمان بن امرئ القيس وأخذ بلاده وانقرض ملك أهل بيته ، وذكر فيما تقدم أن المنذر بن النعمان أو النعمان ، على الاختلاف المذكور ، هو الذي جمع العساكر وملك بهرام جور على الفرس ، ثم ساق فيما بعد ملوك الحيرة من أولاد النعمان هذا إلى آخرهم ولم يقطع ملكهم بالحارث بن عمرو ، وسبب هذا أن أخبار العرب لم تكن مضبوطة على الحقيقة ، فقال كل واحد ما نقل إليه من غير تحقيق .

وقيل غير ذلك ، وسنذكره في مقتل حُجر بن عمرو والد امرئ القيس في أيام العرب إن شاء الله .

والصحيح أن ملوك كندة عمرو والحارث كانوا بنجد على العرب ، وأمّا اللخميون ملوك الحيرة المناذرة فلم يزالوا عليها إلى أن ملك قبّاذ الفرس وأزاهم واستعمل الحارث بن عمرو الكندي على الحيرة . ثم أعاد أنوشيروان الحيرة إلى اللخميّين ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر ملك بلاش بن فيروز بن يزدجرد

ثمّ ملك بعد فيروز ابنه بلاش وجرى بينه وبين أخيه قبّاذ منازعة استظهر فيها قبّاذ وملك ، فلما ملك بلاش أكرم سوخرًا وأحسن إليه لما كان منه ، ولم يزل حسن السيرة حريصاً على العمارة ، وكان لا يبلغه أن بيتاً خرب وجلا أهله إلاّ عاقب صاحب تلك القرية على تركه سدّ فافتهم حتى لا يضطروا إلى مفارقة أوطانهم ، وبني مدينة ساباط بقرب المدائن ، وكان ملكه أربع سنين .

.....
1) عليه . B .

ذكر ملك قباد بن فيروز بن يزدجرد¹

وكان قباد قبل أن يصير الملك إليه قد سار إلى خاقان مستنصراً به على أخيه بلاش، فمرّ في طريقه بحدود نيسابور² ومعه جماعة من أصحابه متنكرين وفيهم زرميهر بن سوخرا، فتاقت نفسه إلى الزواج، فشكا ذلك إلى زرمهر وطلب منه امرأة، فسار إلى امرأة صاحب المنزل، وكان من الأساورة، وكان لها بنت حسناء، فخطبها منها وأطمعها وزوجها، فزوجا [قباد بها]، فدخل بها من ليلته، فحملت بأنوشروان، وأمر لها بجائزة سنية وردّها، وسألها أمها عن قباد وحاله. فذكرت أنها لا تعرف من حاله شيئاً غير أن سراويله منسوجة بالذهب، فعلمت أنه من أبناء الملوك. ومضى قباد إلى خاقان واستنصره على أخيه، فأقام عنده أربع سنين وهو يعده، ثم أرسل معه جيشاً. فلما صار بالقرب من الناحية التي بها زوجته سأل³ عنها فأحضرت ومعه أنوشروان وأعلمته أنه ابنه. وورد الخبر إليه بذلك المكان أنه أخاه بلاش قد هلك، فتيمن بالمولود وحمله وأمه على مراكب نساء الملوك واستوثق له الملك وخصّ سوخرا وشكر لولده خدمته. وتولّى سوخرا الأمر، فمال الناس إليه وتهاونوا بقباد، فلم يحتمل ذلك. فكتب إلى سابور الرازي³، وهو أصهبند ديار الجبل، ويقال للبيت الذي هو منه مهران، فاستقدمه ومعه جنده، فتقدم⁴ إليه فأعلمه عزمه على قتل سوخرا وأمره بكتمان ذلك، فأتاه يوماً سابور وسوخرا عند

1) A. S. et B. totam hic repetunt genealogiam.

2) S. سابور.

3) S. سابور للداري.

4) S. تقدم.

١ وحلما .

٢ فسأل .

قباذ فألقى في عنقه وهماً^١ وأخذه وحبسه ثم خنقه قباذ وأرسله إلى أهله وقدم
عوضه سابور الرازي^١ .

وفي أيامه ظهر مزدك وابتدع ووافق زرادشت في بعض ما جاء به وزاد
ونقص ، وزعم أنه يدعو إلى شريعة إبراهيم الخليل حسب ما دعا إليه زرادشت ،
واستحل المحارم والمنكرات ، وسوى بين الناس في الأموال والأموال والنساء
والعبيد والإماء حتى لا يكون لأحد على أحد فضل في شيء البتة ، فكثرت أتباعه
من السفلة والأغنام^٢ فصاروا عشرات ألوف ، فكان مزدك يأخذ امرأة هذا
فيسلمها إلى الآخر ، وكذا في الأموال والعبيد والإماء وغيرها من الضياع
والعقار ، فاستولى وعظم شأنه وتبعه الملك قباذ . فقال يوماً لقباز : اليوم نوبتي
من امرأتك أم أنوشروان . فأجابه إلى ذلك ، فقام أنوشروان إليه ونزع خفيته
بيده وقبل رجله وشفع إليه حتى لا يتعرض لأمة وله حكمه في سائر ملكه ،
فتركها .

وحرّم ذباجة الحيوان وقال : يكفي في طعام الإنسان ما تُنبتة الأرض وما
يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجن ، فعظمت البلية به على
الناس فصار الرجل لا يعرف ولده والولد لا يعرف أباه .

فلما مضى عشر سنين من ملك قباذ اجتمع موبدان موبد والعظماء وخلعوه
وملكوا عليهم أخاه جامسب وقالوا له : إنك قد أثمت باتباعك مزدك وبما
عمل أصحابه بالناس وليس ينجيك إلا إباحة نفسك ونسائك ، وأرادوه على
أن يسلم نفسه إليهم ليذبحوه ويقربوه إلى النار ، فامتنع من ذلك ، فحبسوه

.....
١) سابور الداري S. 1)

١ (الوهم : حبل في طرفه أنشودة يُطرح في عنق الدابة حتى تؤخذ) .

٢ (الأغنام ، واحدها أغم وغمي : من لا يفصح في كلامه) .

وتركوه لا يصل إليه أحد . فخرج زَرْمِيَهْر بن سوخرا فقتل من المزدكيّة خلقاً ،
وأعاد قُبَاذ إلى ملكه وأزال أخاه جامسب . ثمّ إنّ قباذ قتل بعد ذلك زَرْمِيَهْر .
وقيل : لما حبس قُبَاذ وتولّى أخوه دخلت أخت قباذ عليه كأنها تزوره
ثمّ لفته في بساط وحمله غلام ، فلما خرج من السجن سأله السجن سألها عما
معه ، فقالت : هو مرحل كنت أحيض فيه ، فلم يمسه البساط ، فمضى
الغلام بقباذ ، وهرب قباذ فلحق بملك الهياذله يستجيشه . فلما صار بـبـيران
شهر ، وهي نيسابور ، نزل برجل من أهلها له ابنة بكر حسنة جميلة فنكحها ،
وهي أمّ كسرى أنوشروان ، فكان نكاحه إياها في هذه السفرة لا في تلك ،
في قول بعضهم ، وعاد ومعه أنوشروان ، فغلب أخاه جامسب على الملك ؛
وكان ملك جامسب ستّ سنين . وغزا قباذ بعد ذلك الروم ففتح مدينة آمد
وبنى مدينة أَرَجَان ومدينة حُلوان ومات ، فملك ابنه كسرى أنوشروان بعده ،
فكان ملك قباذ مع سني أخيه جامسب ثلاثاً وأربعين سنة ، فتولّى أنوشروان
ما كان أبوه أمر له به .

وفي أيامه خرجت الخزر فأغارت على بلاده فبلغت الدينور ، فوجه قباذ
قائداً من عظماء قواده في اثني عشر ألفاً ، فوطىء بلاد أَرَان وفتح ما بين النهر
المعروف بالرّس¹ إلى شروان ، ثمّ إنّ قباذ لحق به فبنى بأَرَان مدينة البيلقان
ومدينة بردعة ، وهي مدينة الثغر كلّها ، وغيرهما ، وبقي الخزر ، ثمّ بنى سدّاً
للان فيما بين أرض شروان وباب اللان ، وبنى على السدّ مدناً كثيرة خربت
بعد بناء الباب والأبواب .

1) C. P. et S. بارس .

ذكر حوادث العرب أيام قباذ

لما ملك الحارث بن عمرو بن حُجر الكنديّ العرب وقتل النعمان بن المنذر ابن امرئ القيس ، كما ذكرناه ، بعث إليه قباذ : إنه قد كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد، وأحبّ لقاءك . وكان قباذ زنديقاً يُظهر الخيرَ ويكره الدماء ويداري أعداءه . فخرج إليه الحارثُ والتقى واصطلحا على أن لا يجوز الفرات أحدٌ من العرب ، فطمع الحارث الكنديّ فأمر أصحابه أن يقطعوا الفرات ويغيروا على السواد ، فسمع قباذ فعلم أنه من تحت يد الحارث ، فاستدعاه ، فحضر ، فقال له : إنّ لصوصاً من العرب صنعت كذا وكذا . فقال : ما علمتُ ولا أستطيعُ ضبط العرب إلاّ بالمال والجنود . وطلب منه شيئاً من السواد ، فأعطاه ستة¹ طساسيج¹ ، وأرسل الحارث بن عمرو إلى تَبَع ، وهو باليمن ، يُطمعه في بلاد العجم ، فسار تَبَع حتى نزل الحيرة ، وأرسل ابن أخيه شَميراً ذا الجناح إلى قباذ ، فحاربه فهزمه شَميراً حتى لحق بالريّ ، ثم أدركه بها فقتله ، ثمّ وجّه تَبَع شَميراً إلى خراسان ، ووجه ابنه حسان إلى السُغد، وقال : أيتكما سبق إلى الصين فهو عليها ، وكان كلّ واحد منهما في جيش عظيم ، يقال : كانا في ستمائة ألف وأربعين ألفاً ؛ وأرسل ابن أخيه يعفر إلى الروم ، فنزل على القسطنطينيّة ، فأعطوه الطاعة والإتاوة ،

.....
1) فاعطاه من ستة S .

(الطساسيج ، جمع طسوج : الناحية) .

ومضى إلى رومية فحاصرها فأصاب من معه طاعون ، فوثب الروم عليهم فقتلوهم ولم يفلت منهم أحد .

وسار شمير ذو الجناح إلى سمرقند فحاصرها ، فلم يظفر بها ، وسمع أن ملكها أحرق وأن له ابنة ، وهي التي تقضي الأمور ، فأرسل إليها هدية عظيمة ، وقال لها : إنني إنما قدمت لأتزوج بك ومعى أربعة آلاف تابوت مملوءة ذهباً وفضة أنا أدفعها إليك ، وأمضي إلى الصين ، فإن ملكت كنت امرأتى وإن هلكت كان المال لك .

فلما بلغت الرسالة قالت : قد أجبته فليبعث المال ؛ فأرسل أربعة آلاف تابوت في كل تابوت رجلان . ولسمرقند أربعة أبواب ، ولكل باب ألفا رجل ، وجعل العلامة بينهم أن يضرب بالجرس . فلما دخلوا البلد صاح شمير في الناس وضرب بالجرس ، فخرجوا وملكوا الأبواب ودخل المدينة فقتل أهلها وحوى ما فيها وسار إلى الصين فهزم الترك ودخل بلادهم ولقي حسان بن تبع قد سبقه إليها بثلاث سنين ، فأقاما بها حتى ماتا ؛ وكان مقامهما فيما قيل إحدى وعشرين سنة ، وقيل : عادا في طريقهما حتى قدما على تبع بالغنائم والسبي والجواهر ، ثم انصرفوا [جميعاً] إلى بلادهم ، ومات تبع باليمن فلم يخرج أحد من اليمن غازياً بعده .

وكان ملكه مائة وإحدى وعشرين سنة ؛ وقيل تهود .

قال ابن إسحاق : كان تبع الآخر وهو تبان أسعد أبو كرب حين أقبل من المشرق بعد أن ملك البلاد جعل طريقه على المدينة ، وكان حين مرّ بها في بدايته لم يهجم أهلها وخلف عندهم ابناً له فقتل غيلةً فقدمها عازماً على تخريبها واستئصال أهلها ، فجمع له الأنصار حين سمعوا ذلك ورئيسهم عمرو ابن الطلة ، أحد بني عمرو بن مبدول من بني النجار وخرجوا لقتاله ، وكانوا

1) C. P. الطلما ؛ B. et S. النلة .

يقاتلونه نهاراً ويقرونه^١ ليلاً . فبينما هو على ذلك إذ جاءه حبران من بني قريظة عالمان ، فقالا له : قد سمعنا ما تريد أن تفعل ، وإنك إن أبيت إلا ذلك حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة . فقال : ولم ذلك ؟ فقالا : إنها مهاجر نبي من قريش تكون داره . فأنتهى عما كان يريد وأعجبه ما سمع منهما فاتبعهما على دينهما ، واسمهما كعب وأسد ، وكان تبتع وقومه أصحاب أوثان . وسار من المدينة إلى مكة . وهي طريقه ، فكسا الكعبة الوصائل والملاء ، وكان أول من كساها ، وجعل لها باباً ومفتاحاً ، وخرج متوجهاً إلى اليمن فدعا قومه إلى اليهودية فأبوا عليه حتى حاكموه إلى النار ، وكانت لهم نار تحكم بينهم فيما يزعمون تأكل الظالم ولا تضر المظلوم . فقال لقومه : أنصفتم . فخرج قومه بأوثانهم وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما حتى قعدوا عند مخرج النار ، فخرجت النار فغشيتهم وأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير ، وخرج الحبران تعرق جباههما لم تضرهما ، فأصفت^١ حمير على دينه .

وكان قدم على تبتع قبل ذلك شافع بن كليب الصدفي ، وكان كاهناً ، فقال له تبتع : هل تجد لقوم^٢ ملكاً يوازي ملكي ؟ قال : لا إلا ملك غسان . قال : فهل تجد ملكاً يزيد عليه ؟ قال : أجده لبار مبرور ، أيّد بالقهور ، ووُصف في الزبور ، وفضلت أمته في السفور ، يفرج الظلم بالنور ، أحمد النبي ، طوبى لأمته حين يجي ، أحد بني لؤي ، ثم أحد بني قصي ! فنظر تبتع في الزبور فإذا هو يجد صفة النبي ، صلى الله عليه وسلم .

١) فاطقت B .

١ ويغزونه . (يقرونه : يتبعونه) .

٢ لقومك .

ثمّ ملك بعد تُبّع هذا ، وهو تُبّان أسعد أبو كرب بن ملكي كرب ،
ربيعة بن نصر اللخمي ، فلما ملك ربيعة رجع الملك باليمن إلى حسّان بن
تُبّان أسعد .

فلما ملك ربيعة رأى رؤيا هالته فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عاتفاً^١
إلا أحضره وقال لهم : رأيت رؤيا هالتي فأخبروني بتأويلها . فقالوا : اقصصها
علينا . فقال : إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم بتأويلها ، فلما قال ذلك
قال له رجل منهم : إن كان الملك يريد ذلك فليبعث إلى سطيع وشيق فهما
يخبرانك عما سألت . واسم سطيع ربيع بن ربيعة^١ ، وكان يقال له الذئبي نسبة
إلى ذئب بن عدي ، وشيق بن مصعب بن يشكر بن أنمار .

فبعث إليهما ، فقدم عليه سطيع قبل شيق ، فلما قدم عليه سطيع سأله
عن رؤياه وتأويلها . فقال : رأيت جمجمة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت
بأرض بهمة^٢ ، فأكلت منها كل ذات جمجمة ؟ قال له الملك : ما أخطأت
منها شيئاً ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من حنّس^٣
ليهبطن أرضكم الجيش^٤ فليملكن ما بين أبيّن إلى جرّش . قال الملك : وأبيك
يا سطيع إن هذا لغائظ موجه ، فمتى يكون أفي زماني أم بعده ؟ قال : بل
بعده بمجئ ستين سنة أو سبعين يمضين من السنين . قال : هل يدوم ذلك من
ملكهم أو يتقطع ؟ قال : بل يتقطع لبضع وسبعين يمضين من السنين ، ثمّ

١) تهمة S. 2) . ابن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن غان S. add. ربيعة post 1)

١ عارفاً .

٢ بتأويلهم .

٣ جيش .

٤ الجيش .

يُقتلون بها أجمعون ويخرجون منها هارين . قال الملك : ومن الذي يلي ذلك ؟
 قال : يليه إرم ذي وزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .
 قال : فيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع ، يقطعه نبي زكي ،
 يأتيه الوحي من العلي ، وهو رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ،
 يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر . قال : وهل للدّهر من آخر ؟ قال : نعم ،
 يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد^١ فيه المحسنون ، ويشقى فيه
 المسيئون . قال : أحقّ ما تخبرنا يا سطيح ؟ قال : نعم والشفق ، والغسق ،
 والفلق إذا اتسق ، إن ما أنباتك^٢ به لحق .

ثمّ قدم عليه شيق فقال : يا شيق إني رأيت رؤيا هالتي فأخبرني عنها
 وعن تأويلها ! وكتبه ما قال سطيح لينظر هل يتفقان أم يختلفان . قال : نعم ،
 رأيت جمجمة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وآكة ، فأكلت منها
 كل ذات نسمة .

فلما سمع الملك ذلك قال : ما أخطأت شيئاً ، فما تأويلها ؟ قال : أحلف
 بما بين الحرتين من إنسان^١ ، لينزلن أرضكم السودان ، وليملكن ما بين
 آبين إلى نجران . قال الملك : وأبيك يا شيق ! إن هذا لغائظ ، فمتى هو كائن ؟
 قال : بعدك بزمان ، ثمّ يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشدّ
 الهوان ، وهو غلام ليس بدني ولا مُزَن^٣ ، يخرج من بيت ذي وزن . قال :

البيان B (1)

١ وليعد .

٢ والغسق والغلق إذا اتسق إن ما يتيك .

٣ بدني ولا ملن . (المزن ، من أزنه بخير أو شرّ : ظنه به) .

فهل يدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل ، يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم تُجزى فيه الولاية ، ويدعى من السماء بدعوات ، ويسمع منها الأحياء والأموات ، ويجتمع فيه الناس للميقات .

فلما فرغ من مسألتها جهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، فمن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر ذلك الملك .

فلما هلك ربيعة بن نصر واجتمع ملك اليمن إلى حسّان بن تبتان بن أبي كريب بن ملكيكرب بن زيد بن عمرو ذي الأذعار ، كان ممّا هيج أمر الحبشة وتحوّل الملك عن حمير أن حسّان سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب والعجم ، كما كانت التبابعة تفعل . فلما كان بالعراق كرهت قبائل العرب من اليمن المسير معه فكلّموا أخاه عمراً في قتل حسّان وتمليكه ، فأجابهم إلى ذلك إلا ما كان من ذي رعين الحميري ، فإنه نهاه عن ذلك ، فلم يقبل منه ، فعمد ذو رعين إلى صحيفة فكتب فيها :

ألا من يشتري سَهراً بنوم؟ سعيدٌ من بيتٍ قريرٍ عَيْنِ
فلما حميرٌ غدرتْ وخانتْ فمعدرةُ الإلهِ لذي رُعَيْنِ

ثمّ ختمها وأتى بها عمراً فقال : ضع هذه عندك ، ففعل . فلما بلغ حسّان ما أجمع عليه أخوه وقبائل اليمن قال لعمرو :

يا عمرو لا تُعجلِ عليّ مني فإلّا تأخذني بغيرِ حشود¹

1) B. sine punctis.

فأبى إلا قتله ، فقتله بموضع رحبة مالك ، فكانت تسمى فرضة نعيم
فيما قيل ، ثم عاد إلى اليمن فمُنِعَ النوم منه ، فسأل الأطباء وغيرهم عما به
وشكا إليهم السهر ، فقال له قائل منهم : ما قتل أحدٌ أخاه أو ذا رحم بغياً
إلا مُنِعَ منه النوم . فلما سمع ذلك قتل كلَّ مَنْ أشار عليه بقتل أخيه حتى
خلص إلى ذي رُعيين ، فلما أراد قتله قال : إنَّ لي عندك براءة . قال : وما
هي ؟ قال : أخرج الكتاب الذي استودعتك . فأخرجه فإذا فيه البيتان ، فكفَّ
عن قتله ، ولم يلبث عمرو أن هلك ، ففترقت حمير عند ذلك .

قلتُ : هذا الذي ذكره أبو جعفر من قتل قباد بالري وملك تبَّع البلاد
من بعد قتله من النقل القبيح والغلط الفاحش ، وفساده أشهر من أن يُذكر ،
فلولا أننا شرطنا أن لا نترك ترجمة من تاريخه إلا ونأتي بمعناها من غير إخلال
بشيء لكان الإعراض عنه أولى . ووجه الغلط فيه أنه ذكر أن قباد قُتل
بالري ، ولا خلاف بين أهل النقل من النرس وغيرهم أن قباد مات حتف
أنفه في زمان معلوم ، وكان ملكه مدّة معلومة . كما ذكرناه قبل ، ولم ينقل
أحد أنه قُتل إلا في هذه الرواية . ولما مات ملك ابنه كسرى أنوشروان بعده ،
وهذا أشهر من : قِفَا نَبِكِ ، ولو كان ملك الفرس انتقل بعد قباد إلى حمير ،
كيف كان ملك ابنه بعده وتمكَّن في الملك حتى أطاعه ملوك الأمم وحملت
الروم إليه الحجاج !

ثم ذكر أيضاً أن تبَّعاً وجّه ابنه حسّان إلى الصين وشميراً إلى سمرقند
وابن أخيه إلى الروم وأنه ملك القسطنطينية وسار إلى رومية فحاصرها ، فيا
ليت شعري ! ما^١ هو اليمن : حضرموت حتى يكون بهما^٢ من الجنود ما يكون

١ كم .

٢ بها .

بعضهم في بلادهم لحفظها ، وجيش مع تبّع ، وجيش مع حسان يسير بهم إلى مثل الصين في كثرة عساكره ومقاتلته ، وجيش مع ابن أخيه تبّع يلقي به مثل كسرى ويهزمه ويملك بلاده ويحاصر به مثل سمرقند في كبرها وعظمتها وكثرة أهلها ، وجيش مع يعفر يسير بهم إلى ملك الروم ويملك القسطنطينية ١ والمسلمون مع كثرة ممالكهم واتساعها وكثرة عددهم قد اجتهدوا ليأخذوا القسطنطينية أو ما يجاورها واليمن من أقل بلادهم عدداً وجنوداً فلم يقدرُوا على ذلك ، فكيف يقدر عليه بعض عساكر اليمن مع تبّع؟ هذا ممّا تأباه العقول ، وتمجته الأسماع .

ثمّ إنّه قال : إنّ ملك تبّع بلاد الفرس والروم والصين وغيرها كان بعد قتل قباد . يعني أيام ابنه أنوشروان ، ولا خلاف أنّ مولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كان في زمن أنوشروان ، وكان ملكه سبعا وأربعين سنة ، ولا خلاف أيضاً أنّ الحبشة لما ملكت اليمن انقرض ملك ١ حمير منه ، وكان آخر ملوكهم ذا نواس . وكان ملك حمير قد اختلّ قبل ذي نواس ، وانقطع نظامهم حتى طمعت الحبشة فيه وملكته ، وكان ملكهم اليمن أيام قباد ، وكيف يمكن أن يكون ملك الحبشة الذي هو مقطوع به أيام قباد ويكون تبّع هو الذي ملك اليمن قد قتل قباد وملك بلاده قبل أن تملك الحبشة اليمن؟ هذا مردود محال وقوعه ، وكان ملك الحبشة اليمن سبعين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وكان انقراض ملكهم في آخر ملك أنوشروان ، والخبر في ذلك مشهور ، وحديث سيف ذي يزن في ذلك ظاهر ، ولم يزل اليمن بعد الحبشة في يد الفرس إلى أن ملكه المسلمون ، فكيف يستقيم أن ينقضي ملك تبّع الذي هو ملك بلاد فارس ومن بعده من ملوك حمير وملك الحبشة وهو سبعون سنة في ملك أنوشروان وكان ملكه نيفاً وأربعين سنة؟ وهذا أعجب أنّ مدّة بعضها سبعون

١ انقرضت ملوك .

سنة تنقضي قبل مضي نيف وأربعين سنة ، ولو فكر أبو جعفر في ذلك لاستحيا
من نقله¹ .

وأعجب من هذا أنه قال : ثمّ ملك بعد تبّع هذا ربيعة بن نصر اللخميّ ،
وهذا ربيعة هو جدّ عمرو بن عديّ ابن أخت جذيمة ، وكان ملك عمرو الحيرة
بعد خاله جذيمة أيام ملوك الطوائف قبل ملك أردشير بن بابك بخمس وتسعين
سنة² ، وبين أردشير وقباذ ما يقارب عشرين ملكاً ، وكيف يكون جدّ عمرو
وقد ملك بعد قباذ وهو قبله بهذا الدهر الطويل ؟ ولو لم يترجم أبو جعفر على
هذه الحادثة بقوله : ذكر الحوادث أيام قباذ ، لكان يحتمل تأويلاً فيه ، ثمّ³
ما قنع بذلك حتى قال ، بعد أن قصّ مسير تبّع : وقتل قباذ وملك البلاد .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : إنّ الذي سار إلى المشرق من التبابعة هو تبّع
الأخير ، ويعني بقوله تبّع الأخير أنه آخر من سار إلى المشرق وملك البلاد .
فإنّ ابن إسحاق وغيره يقولون إنّ الذي ملك البلاد المشرقيّة لما توفي ملك
بعده عدّة تبابعة ثمّ اختلّ أمرهم زماناً طويلاً حتى طمعت الحبشة فيهم وخرجت
إلى اليمن . فليت شعري إذا كان هذا تبّع في أيام قباذ فلا شكّ أنّ تبّعاً الأخير
الذي أخذ منه اليمن يكون في زمن بني أميّة ويكون ملك الحبشة اليمن بعد مدّة
من ملك بني العباس ، ويكون أول الإسلام من ثلاثمائة سنة من ملكهم أيضاً
مما بعدها حتى يستقيم هذا القول .

ثمّ إنّه قال : إنّ عمرو بن طلّة⁴ الأنصاري خرج إلى تبّع ، وعمرو هذا

1) من نقله وتركه S. . 2) S. add. سنة post .

3) بعد A. S. et B. . 4) عمرو بن طلّة S. et B. .

قيل إنه أدرك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، شيخاً كبيراً ومات عند مرجعه من غزوة بدر . ومن الدليل على بطلانه أيضاً أن المسلمين لما قصدوا بلاد الفرس ما زالت الفرس تقول لهم عند مراسلاتهم ومحاوراتهم في حروبهم : كنتم أقل الأمم وأذلها وأحقرها والعرب تقرّ لهم بذلك ، فلو كان ملك تبع قريب العهد لقالت لعرب : إننا بالأمس قتلنا ملككم وملكنا بلادكم واستبحنا حريمكم وأموالكم ، فسكوت العرب عن ذلك وإقرارها للفرس دليل على بُعد عهده^١ أو عدمه . على أن الفرس لا تقرّ بذلك لا في قديم الزمان ولا في حديثه ، فإنهم يزعمون أن ملكهم لم ينقطع من عهد جيومرث ، الذي هو آدم في قول بعضهم . إلى أن جاء الإسلام ، إلاّ أيام ملوك الطوائف ، وكان لملوك الفرس طرف من البلاد في ذلك الزمان لم ينقطع انقطاعاً كلياً ، على أن أصحاب السير قد اختلفوا في تبع الذي سار وملك البلاد اختلافاً كثيراً ، فقيل : شمير بن غش . وقيل : تبع أسعد ، وإنه بعث إلى سمرقند شميراً ذا الجناح ، إلى غير ذلك من الاختلافات التي لا طائل فيها . وهذا القدر كافٍ في كشف الخطأ فيه .

ذكر ملك لتخينة^٢

فلما هلك عمرو وتفرقت حمير وثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لتخينة تنوف^١ ذو شناتر^٣ فملكهم ، في قول ابن إسحاق ،

1) A. et C. P. ينوف ; om. B.

١ هذه .

٢ تخينة (وفي الاسم خلاف . تخينة ، أو تخينة . راجع القاموس مادة شتر ، والأعلام للزركلي) .

٣ (الشناتر : الأصابع) .

فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، وكان امرأ فاسقاً يزعمون أنه كان يعمل عمل قوم لوط ، فكان إذا سمع بغلام من أبناء الملوك^١ أنه قد بلغ أرسل إليه فوقع عليه في مشربة لثلاث يملك بعد ذلك ، ثم يطلع إلى حرسه وجنده قد أخذ سواكاً في فيه يعلمهم أنه قد فرغ منه ، ثم يخلّي سبيله فيفضحه .

ذكر ملك ذي نواس وقصة أصحاب الأخدود

كان من أبناء الملوك زُرعة ذو نواس بن تَبان أسعد بن كرب ، وكان صغيراً حين أصيب أخوه حسّان ، فشبّ غلاماً جميلاً ذا هيئة ، فبعث إليه لختيعة ليفعل به ما كان يفعل بغيره ، فأخذ سكيناً لطيفاً فجعله بين نعله وقدمه ، ثم انطلق إليه مع رسوله ، فلما خلا به في المشربة قتله ذو نواس بالسكين ثم احترّ رأسه فجعله في كوة مشربته التي يطلع منها ، ثم أخذ سواكه فجعله في فيه ، ثم خرج ، فقالوا له : ذو نواس أرطب أم يباس^٢ ؟ فقال : سل^٣ نخماس^١ ، استرطبان ذو نواس لا باس .

فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال ، فإذا رأس لختيعة مقطوع ، فخرجت

١) B. et S. بحماس .

١ الملك .

٢ يابس .

٣ نحاس . (النخماس : الرأس بلغة اليمن . والتصحيح عن ابن هشام) .

حمير والحرس في أثر ذي نواس حتى أدركوه فملكوه حيث أراحهم من
لخنيعة ، واجتمعوا عليه ، وكان يهودياً ، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى
ابن مريم على استقامة¹ لهم رئيس يقال له عبد الله بن الثامر ، وكان أصل النصرانية
بنجران .

قال وهب بن منبه : إن رجلاً من بقايا أهل دين عيسى يقال له
فيميون² ، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا مجاب الدعوة ، وكان
سائحاً لا يُعرف بقرية إلا خرج منها إلى غيرها ، وكان لا يأكل إلا من كسب
يده ، وكان يعمل الطين ويعظم الأحد لا يعمل فيه شيئاً ويخرج إلى الصحراء
يصلّي جميع نهاره ، فتزل قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ،
فقطن به رجل اسمه صالح فأحبه حباً شديداً ، وكان يتبعه حيث ذهب لا يفتن
به فيميون ، حتى خرج مرة يوم الأحد إلى الصحراء واتبعه صالح وفيميون
لا يعلم . فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً ، وقام فيميون يصلّي ،
فبينما هو يصلّي إذ أقبل نحوه تنين ، فلمّا رآه فيميون دعا عليه فمات ،
ورآه صالح ولم يدرك ما أصابه فخاف على فيميون ، فصاح : يا فيميون التنين
قد أقبل نحوك ! فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى أمسى ، وعرف أن
صالحاً عرفه ، فكلّمه صالح وقال له : يعلم الله أنني ما أحببت شيئاً حبك قطّ
وقد أردتُ صحبتك حينما كنت . قال : افعل . فلزمه صالح ، وكان إذا ما
جاءه العبد به ضرٌّ شفي إذا دعا له ، وإذا دُعِيَ إلى أحد به ضرٌّ لم يأت . وكان
لرجل من أهل القرية ابن ضرير فجعل ابنه في حجرة ألقى عليه ثوباً ثم قال
لفيميون : قد أردتُ أن تعمل في بيتي عملاً ، فانطلق إليه لأشارتك عليه ،
فانطلق معه ، فلما دخل الحجرة ألقى الرجل الثوب عن ابنه وطلب إليه أن
يدعو له ، فدعا له فأبصر .

1) S. أهل استقامة . عيسى على الإنجيل ، أهل استقامة . 2) B. ubique فيميون .

وعرف فيميون أنه قد عُرف بالقرية فخرج هو وصالح ومرّ بشجرة عظيمة بالشام . فناداه رجل وقال : ما زلت أنتظرِكَ ، لا تبرح حتى تقوم إليّ فإنّي ميت ، قال : فمات ، فواراه فيميون وانصرف ومعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب ، وأخذهما بعضُ العرب فباعوهما بنجران ، وأهل نجران على دين العرب تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد كل سنة ؛ [إذا كان ذلك العيد علقوا^١ عليها^٢ كل ثوب حسن وحلي جميل ، فعكفوا^٢ عليها يوماً^١ ، فابتاع رجل من أشرافهم فيميون ، وابتاع رجل [آخر] صالحاً ، فكان فيميون إذا قام من الليل يصلي في بيته استسرج له البيت حتى يصبح من غير مصباح . فلما رأى سيّده ذلك أعجبه ، فسأله عن دينه فأخبره ، وعاب دين سيّده . وقال له : لو دعوتُ إلهي الذي أعبد لأهلك النخلة . فقال : افعل فإنك إن فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه . فصلّى فيميون ودعا الله تعالى ، فأرسل اللهُ عليها ريحاً فجففتها وألقتها ، فاتبعه عند ذلك أهلُ نجران على دينه ، فحملهم على شريعة من دين عيسى ودخل عليهم بعد ذلك الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض . فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران .

وقال محمد بن كعب القرظي : كان أهل نجران يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قرأها ساحر كان أهل نجران يرسلون أولادهم إليه يعلمهم السحر . فلما نزلها فيميون [وهو رجل] كان يعبد الله [على دين عيسى بن مريم ، عليه السلام] ، فإذا عُرف في قرية خرج منها إلى غيرها ، وكان مجاب

١) ثوباً A. et B.

١ (عبارة الأصل : لها عيد كل سنة تعلق عليها) .

٢ فماتوا .

الدعوة يرى المرضي ، وله كرامات ، فوصل نجران فسكن خيمة بين نجران وبين الساحر ، فأرسل الثامر^١ ابنه عبد الله مع الغلمان إلى الساحر ، فاحتاز بفيميون فرأى ما أعجبه من صلاته ، فجعل يجلس إليه ويستمع منه ، فأسلم معه ووحّد الله تعالى وعبدّه ، وجعل يسأله عن الاسم الأعظم [وكان يعلمه] فكتمه إياه وقال : لن تحمله ، والثامر يعتقد أنّ ابنه يختلف إلى الساحر مع الغلمان . فلما رأى عبدُ الله أنّ صاحبه قد ضنّ عليه بالاسم الأعظم عمد إلى قده فكتب عليها أسماء الله جميعها ثمّ ألقاها في النار واحداً واحداً حتى إذا ألقى القده الذي عليه الاسم الأعظم وثب منها فلم تضره شيئاً ، فأخذه وعاد إلى صاحبه فأخبره الخبر ، فقال له : امسك على نفسك ، وما أظنّ أنّ تفعل ، فكان عبدُ الله لا يلقى أحداً إذا أتى نجران به ضرّاً إلاّ قال : يا عبد الله أتدخل في ديني حتى أدعو الله فيعافيك ممّا أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحّد الله ويسلم ، ويدعو له عبد الله فيشفى ، حتى لم يبقَ أحد من أهل نجران ممّن به ضرّاً إلاّ أتاه واتبعه ودعا له فعوفي .

فرُفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت عليّ أهل قريبي بحالفت ديني . لأثلنّ بك ! فقال : لا تقدر على ذلك . فجعل يرسله إلى الجبل الطويل فيُلقي من رأسه فيقع على الأرض ليس به بأس ، فأرسله إلى مياه نجران ، وهي بحور^١ لا يقع فيها شيء إلاّ هلك ، فيُلقي فيها فيخرج ليس به بأس . فلما غلبه قال عبد الله بن الثامر : إنك لا تقدر على قتلي حتى توحّد الله وتؤمن كما آمنت^٢ ، فإنك إذا فعلت قتلتني . فوحّد الله الملك

١) B. ubique . الناصر .

١ مجور .

٢ لعنت .

ثمّ ضربه بعضاً بيده فشجّه شجّة غير كبيرة فقتله ، فهلك الملك مكانه ،
واجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر .

قال : فسار إليهم ذو نواس بجنوده فجمعهم ثمّ دعاهم إلى اليهوديّة
وخيرهم بينها وبين القتل ، فاختاروا القتل ، فخذّ لهم الأخلود ، فحرق بالنار
وقتل بالسيف حتى قتل قريباً من عشرين ألفاً .

وقال ابن عباس : كان بنجران ملك من ملوك حِمير يقال له ذو نواس
واسمه يوسف بن شرحبيل ، وكان قبل مولد النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ،
بسبعين سنة ، وكان له ساحر حاذق . فلما كبر قال للملك : إنّي كبرتُ
فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاماً اسمه عبد الله بن الثامر
ليعلمه ، فجعل يختلف إلى الساحر ، وكان في طريقه راهب حسن القراءة ،
فقعد إليه الغلام ، فأعجبه أمره ، فكان إذا جاء إلى المعلم يدخل إلى الراهب
فيقعد عنده ، فإذا جاء من عنده إلى المعلم ضربه وقال له : ما الذي حبسك ؟
وإذا انقلب إلى أبيه دخل إلى الراهب فيضربه أبوه ويقول : ما الذي أبطأ بك ؟
فشكا الغلامُ ذلك إلى الراهب ، فقال له : إذا أتيت المعلمَ فقلْ حبسني أبي ،
وإذا أتيتَ أباكَ فقلْ حبسني المعلم . وكان في ذلك البلد حيّة عظيمة قطعتُ
طريق الناس ، فمرّ بها الغلامُ فرماها بحجر² فقتلها ، وأتى الراهب فأخبره .
فقال له الراهب : إنّ لك لشأناً ، وإذك ستبلى فإن ابتليتَ فلا تدلنّ عليّ .
وصار الغلامُ يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي الناس . وكان للملك ابن عمّ
أعمى ، فسمع بالغلام وقاتل الحيّة فقال : ادعُ الله أن يردّ عليّ بصري . فقال
الغلامُ : إن ردّ اللهُ عليك بصرك تؤمن به ؟ قال : نعم . قال : اللهم إن كان

1) In A. et B. sequentia om., usque ad duos ultimos capituli versus.

وهم الذين أنزل الله فيهم : قتل أصحاب الأخلود S. et A. add. post ألفاً

2) وقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب من أمر الساحر فاقتلها ، فلما رماها قتلها S. add. post بحجر

صادقاً فأررد^١ عليه بصره ، فعاد بصره ، ثم دخل على الملك ، فلما رآه تعجب منه وسأله ، فلم يخبره ، وألح عليه فدله على الغلام ، فجيء به ، فقال له : لقد بلغ من سحرك ما أرى . فقال : أنا لا أشفي أحداً إنما يشفي الله من يشاء ، فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب ، فجيء به ، فقال له^١ : ارجع عن دينك ، فأبى ، فأمر به فوضع المنشار على رأسه فشق^٢ بنصفين ، ثم جيء بابن عم الملك ، فقال : ارجع عن دينك ، فأبى ، فشقه قطعتين ، ثم قال للغلام : ارجع عن دينك ، فأبى^١ ، فأرسله إلى جبل فقال : اللهم اكفنيهم ! فرجف بهم الجبل وهلكوا ، ورجع الغلام إلى الملك ، فسأله عن أصحابه ، فقال : كفانيهم الله . فغاضه ذلك وأرسله في سفينة إلى البحر ليلقوه فيه ، فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم ! فغرقوا ونجا ، وجاء إلى الملك فقال : اقتلوه بالسيف ، فضربوه فبنا عنه . وفشا خبره في اليمن ، فأعظمه الناس وعلموا أنه على الحق ، فقال الغلام للملك : إنك لن تقدر على قتلي إلا أن تجمع أهل مملكتك وترميني بسهم وتقول : بسم الله رب الغلام . ففعل ذلك فقتله . فقال الناس : آمنا رب الغلام ! فقيل للملك : قد نزل بك ما تحذر . فأغلق أبواب المدينة وخذ^٢ أخدوداً وملاء ناراً وعرض الناس ، فمن رجع عن دينه تركه ، ومن لم يرجع ألقاه في الأخدود فأحرقه .

وكانت امرأة مؤمنة ، وكان لها ثلاثة بنين ، أحدهم رضيع ، فقال لها الملك : ارجعي وإلا قتلتك أنتِ وأولادك ، فأبت^٢ ، فألقى ابنها الكبيرين^٢ ،

ندفه إلى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به إلى جبل كذا فان posteriorius S. add. post (٢) : جمع وإلا فاطرحوه من رأسه ، تذهبوا به إلى الجبل فقال اللهم . . .

١ قليل .

٢ فألقى ابنها الكبير والصغير .

فأبت ، ثم أخذ الصغير ليلقيه فهتت بالرجوع . قال لها الصغير : يا أمّاه لا ترجعي عن دينك ، لا بأس عليك ! فألقاه وألقاها في أثره ، وهذا الطفل أحد من تكلم صغيراً .

قيل : حفر رجل خربة بنجران في زمن عمر بن الخطاب ، فرأى عبد الله ابن الثامر واضعاً يده على ضربة في رأسه ، فإذا رفعت عنها يده جرت دماً ، وإذا أرسلت يده ردها إليها وهو قاعد ، فكتب فيه إلى عمر ، فأمر بتركه على حاله .

ذكر ملك الحبشة اليمن

قيل : لما قتل ذو نواس من قتل من أهل اليمن في الأخلود لأجل العود عن النصرانية أفلت منهم رجل يقال له دوس ذو ثعلبان حتى أعجز القوم ، فقدم على قيصر فاستنصره على ذي نواس وجنوده وأخبره بما فعل بهم . فقال له قيصر : بعدت بلادك عنا ، ولكن سأكتب إلى النجاشي ملك الحبشة وهو على هذا الدين وقريب منكم . فكتب قيصر إلى ملك الحبشة يأمره بنصره ، فأرسل معه ملك الحبشة سبعين ألفاً وأمر عليهم رجلاً يقال له أرباط¹ ، وفي جنوده أبرهة الأشرم ، فساروا في البحر حتى نزلوا بساحل اليمن ، وجمع ذو نواس جنوده فاجتمعوا ، ولم يكن [له] حرب غير أنه ناوش شيئاً من قتال ثم انهزموا ، ودخلها أرباط . فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه

.....
1) أرباط . C. P. et B.

اقتحم البحر بفرسه ففرق ، ووطىء أرباط اليمن فقتل ثلث رجالهم^١ ، وبعث إلى النجاشي بثلاث سبائهم ، ثم أقام بها وأذل أهلها .

وقيل : إن الحبشة لما خرجوا إلى المنذب^١ من أرض اليمن كتب ذو نواس إلى أقبال اليمن يدعوهم إلى الاجتماع على عدوهم ، فلم يجيبوه وقالوا : يقاتل كل رجل عن بلاده . فصنع مفاتيح وحملها على عدة من الإبل ولقي الحبشة وقال : هذه مفاتيح خزائن الأموال باليمن ، فهي لكم ولا تقتلوا الرجال والذرية ، فأجابوه إلى ذلك وساروا معه إلى صنعاء ، فقال لكبيرهم : وجه أصحابك لقبض الخزائن . ففرق أصحابه ودفع إليهم المفاتيح ، وكتب إلى الأقبال بقتل كل ثور أسود ، فقتلت الحبشة ولم ينبج منهم إلا الشريد .

فلما سمع النجاشي جهز إليهم سبعين ألفاً مع أرباط والأشرم ، فملك البلاد وأقام بها سنين ، ونازعه أبرهة الأشرم ، وكان في جنده ، فمال إليه طائفة منهم ، وبقي أرباط في طائفة ، وسار^٢ أحدهما إلى الآخر ، وأرسل أبرهة : إنك لن تصنع بأن تلقي الحبشة بعضها على بعض شيئاً ، فيهلكوا ، ولكن ابرز إلي قاتنا قهر صاحبه استولى على جنده .

فتبارزا، فرفع أرباط الحربة فضرب أبرهة، فوقعت^٣ على رأسه فشرمت أنفه وعينه ، فسمي الأشرم . وحمل غلام لأبرهة يقال له عتودة ، كان قد تركه كميناً من خلف أرباط ، على أرباط فقتله ، واستولى أبرهة على الجند والبلاد وقال لعتودة : احتكم . فقال : لا تدخل عروس على زوجها من اليمن حتى

1) C. P. et S. المنذر .

2) طائفة من الجند وبقي مع أرباط طائفة وتهيوا للحرب وسار S.

3) أبرهة يريد يافوخه فوقعت S. et A.

أصيها قبله ، فأجابه إلى ذلك ، فبقي يفعل بهم هذا الفعل حيناً ، ثمّ عدا عليه إنسان من اليمن فقتله ، فسُرّ أبرهة بقتله وقال : لو علمتُ أنه يحتكم هكذا لم أحكمه .

ولما بلغ النجاشي قتلُ أرباط غضب غضباً شديداً وحلف ألاّ يدع أبرهة حتى يبطأ أرضه ويجزّ ناصيته ، فبلغ ذلك أبرهة ، فأرسل إلى النجاشي من تراب اليمن وجزّ ناصيته وأرسلها أيضاً ، وكتب إليه بالطاعة وإرسال شعره وترابه ليبرّ قسمه بوضع التراب تحت قدميه ، فرضي عنه وأقرّه على عمله .

فلما استقرّ باليمن بعث إلى أبي مرّة ذي يزن ، فأخذ زوجته ربحانة بنت ذي جدّان ونكحها ، فولدت له مسروقاً . وكانت قد ولدت لذي يزن ولداً اسمه معدي كرب ، وهو سيف ، فخرج ذو يزن من اليمن فقدم الحيرة على عمرو بن هند وسأله أن يكتب له إلى كسرى كتاباً يعلمه محلّه وشرفه وحاجته ، فقال : إنني أفد إلى الملك كلّ سنة وهذا وقتها ، فأقام عنده حتى وفد معه ودخل إلى كسرى معه ، فأكرمه وعظّمه وذكر حاجته وشكا ما يلقون من الحبشة ، واستنصره عليهم ، وأطعمه في اليمن وكثرة مالها ، فقال له كسرى أنوشروان : إنني لأحبّ أن أسعفك بحاجتك ولكنّ المسالك إليها صعبة وسأنظر . وأمر بإنزاله ، فأقام عنده حتى هلك .

ونشأ ابنه معدي كرب بن ذي يزن في حجرة أبرهة . وهو يحسب أنه أبوه ، فسبّه ابن لأبرهة وسبّ أباه ، فسأل أمّه عن أبيه ، فصدقته ، وأقام حتى مات أبرهة وابنه يكسوم وسار عن اليمن ، ففعل ما نذكره إن شاء الله .

ذكر ملك كسرى أنوشروان بن قباد بن فيروز بن

يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الأليم¹

لما لبس التاج خطبَ النَّاسَ فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما ابتلوا به من فساد أمورهم ودينهم وأولادهم ، وأعلمهم أنه يُصلح ذلك ، ثم أمر برؤوس المزدكية فقتلوا وقُسمت أموالهم في أهل الحاجة .

وكان سبب قتلهم أن قباد كان ، كما ذكرنا ، قد اتبع مزدك على دينه وما دعاه إليه وأطاعه في كل ما يأمره به من الزندقة وغيرها مما ذكرنا أيام قباد ، وكان المنذر بن ماء السماء يومئذٍ عاملاً على الحيرة ونواحيها ، فدعاه قباد إلى ذلك ، فأبى ، فدعا الحارث بن عمرو الكندي ، فأجابه ، فسدد² له ملكه وطرده المنذر عن مملكته ، وكانت أم أنوشروان يوماً بين يدي قباد ، فدخل عليه مزدك . فلما رأى أم أنوشروان قال لقباز : ادفعها إلي لأقضي حاجتي منها . فقال : دونكها . فوثب إليه أنوشروان ، ولم يزل يسأله ويتضرع إليه أن يهب له أمه حتى قبل رجله ، فتركها ، فحاك³ ذلك في نفسه .

فهلك قباد على تلك الحال وملك أنوشروان ، فجلس للملك³ ، ولما بلغ المنذر هلاك قباد أقبل إلى أنوشروان ، وقد علم خلافه على أبيه في مذهبه واتباع مزدك ، فإن أنوشروان كان منكراً لهذا المذهب كارهاً له ، ثم إن أنوشروان أذن للناس إذناً عاماً ، ودخل عليه مزدك ، ثم دخل عليه المنذر ، فقال

1) In A. et B. genealogia tota exstat.

2) فسدد .

3) جلس في مجلس الملك .

١ فكان . (حاك في نفسه : أثر وعمل) .

أنوشروان : إني كنت تمنيتُ أمنيّتين ، أرجو أن يكون الله عزّ وجلّ قد جمعهما إليّ . فقال مزدك : وما هما أيّها الملك ؟ قال : تمنيتُ أن أملك وأستعمل هذا الرجل الشريف ، يعني المنذر ، وأن أقتل هذه الزنادقة . فقال مزدك : أوتستطيع أن تقتل الناس كلهم ؟ فقال : وإنك هاهنا يا ابن الزانية ! والله ما ذهب نثن ربح جوربك من أنفي منذ قبّلت رجلك إلى يومي هذا . وأمر به فقتل وصلب . وقتل منهم ما بين جازر إلى النهروان وإلى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم ، وسمّي يومئذٍ أنوشروان .

وطلب أنوشروان الحارث بن عمرو ، فبلغه ذلك وهو بالأنبار ، فخرج هارباً في صحابته وماله وولده ، فمرّ بالثويّة ، فتبعه المنذر بالخيال من تغلب وإياد وبهراء ، فلحق بأرض كلب ونجا وانتهبوا ماله وهجأته ، وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار فقدموا بهم على المنذر ، فضرب رقابهم بحفر الأميال¹ في ديار بني مرين العباديين بين دير بني هند² والكوفة ، فذلك قول عمرو بن كلثوم :

فآبوا بالنهبِ وبالسبأيا وأبنا بالملوكِ مُصَفِّدِينَا

وفيهم يقول امرؤ القيس :

ملوكٌ من بني حُجر بن عمرو يُساقونَ العشيّةَ يُقتلُونَا
فلو في يومِ معركةٍ أصيبُوا ولكن في ديارِ بني مرِينَا
ولم تُفسلِ جماجمهم بغِسلٍ ولكن في الدماءِ مُرَمَلِينَا
تظللُ الطيرُ عاكفةً عليهم وتنتزعُ الحواجبَ والعِيُونَا

ولما قتل أنوشروان مزدك وأصحابه أمر بقتل جماعة ممن دخل على الناس

1) بحفر الامال S. 1)

2) دير هند S. 2)

في أموالهم وردّ الأموال إلى أهلها، وأمر بكلّ مولود اختلفوا فيه أن يلحق بمن هو منهم إذا لم يُعرف أبوه وأن يعطى نصيباً من ملك الرجل الذي يُسند إليه إذا قبله الرجل ، وبكلّ امرأة غُلبت على نفسها أن يؤخذ مهرها من الغالب ، ثمّ تُخيّر المرأة بين الإقامة عنده وبين فراقه إلاّ أن يكون لها زوج فتُردّ إليه .

وأمر بعيال ذوي الأحساب الذين مات قيمهم فأنكح بناتهم الأكفاء، وجهزهن من بيت المال ، وأنكح نساءهم من الأشراف ، واستعان بأبنائهم في أعماله ، وعمر الجسور والقناطر . وأصلح الخراب¹ ، وتفقد الأساورة وأعطاهم ، وبنى في الطرق القصور والحصون ، وتخيّر الولاة والعمّال والحكّام ، واقتدى بسيرة أردشير ، وارتجع بلاداً كانت مملكة الفرس، منها : السند وسندوست والرُخج وزابُدِستان وطخارستان ، وأعظم القتل في النازور² وأجلى بقيتهم عن بلاده . واجتمع أبخز وبنجر وبلنجر واللان على قصد بلاده ، فقصدوا أرمينية للغارة على أهلها ، وكان الطريق سهلاً ، فأمهلهم كسرى حتى توغّلوا في البلاد وأرسل إليهم جنوداً ، فقاتلوهم فأهلكوهم ما خلا عشرة آلاف رجل أسروا فأسكنوا أذربيجان .

وكان لكسرى أنوشروان ولد هو أكبر أولاده اسمه أنوشزاد³ ، فبلغه عنه أنّه زنديق، فسيرّه إلى جُنْدِيسابور وجعل معه جماعة يثق بدينهم ليصلحوا دينه وأدبه . فبينما هم عنده إذ بلغه خبر مرض والده لما دخل بلاد الروم ، فوثب بمن عنده فقتلهم وأخرج أهل السجون فاستعان بهم وجمع عنده جموعاً من الأشرار ، فأرسل إليهم نائب أبيه بالمدائن عسكرياً ، فحصره بجنديسابور ، وأرسل الخبر إلى كسرى ، فكتب إليه يأمره بالجدّة في أمره وأخذه أسيراً ،

1) وأصلح القرابا الخراب S.

2) البارز B. ; البار A. et S. sine punctis .

3) أنوشروان S. habet أنوشزاد pro .

فاشتدّ الحصار حينئذٍ عليه ودخل العساكرُ المدينة عنوةً فقتلوا بها خلقاً كثيراً وأسرّوا أنوشزاد¹، فبلغه خبر جدّه لأمه الداور الرازي، فوثب بعامل سجستان وقاتله، فهزّمه العامل، فالتجأ إلى مدينة الرُخج وامتنع² بها، ثمّ كتب إلى كسرى يعتذر ويسأله أن ينفذ إليه منّ يسلم له البلد، ففعل وآمنه.

وكان الملك فيروز قد بنى بناحية صُول واللان بناءً يحصّن به بلاده، وبني عليه ابنه قباد زيادةً، فلما ملك كسرى أنوشروان بنى في ناحية صُول وجرجان بناءً كثيراً وحصوناً حصّن بها بلاده جميعها.

وإنّ سيجيور³ خاقان قصد بلاده، وكان أعظم التّرك، واستمال الخزر وأبخز وبلنجر، فأطاعوه، فأقبل في عدد كثير وكتب إلى كسرى يطلب منه الإتاوة، ويتهدّده إن لم يفعل، فلم يجبه كسرى إلى شيء ممّا طلب لتحصينه بلاده، وإنّ ثغر أرمينية قد حصّنه، فصار يكتفي بالعدد اليسير، فقصد⁴ خاقان فلم يقدر على⁵ شيء منه، وعاد خائباً، وهذا خاقان هو الذي قتل ورد⁵ ملك الهياطلة وأخذ كثيراً من بلادهم.

ذكر ملك كسرى بلاد الروم

كان بين كسرى أنوشروان وبين غطيانوس ملك الروم هدنة، فوقع بين رجل من العرب، كان ملكه غطيانوس على عرب الشام يقال له خالد بن جبيلة،

1) انوشروان S. habet انوشزاد pro

2) وأتبع C. P.

3) سيجيور S.

4) فقصد خاقان البلاد فلم يقدر منها على S.

5) وزير ملك C. P. ; وزد ملك S.

وبين رجل من لحم كان ملكه كسرى على عُمان¹ والبحرين واليمامة إلى الطائف وسائر الحجاز يقال له المنذر بن النعمان ، فتنة² ، فأغار خالد على ابن النعمان فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة³ وغنم أمواله ، فكتب كسرى إلى غطيانوس يذكره ما بينهما من العهد والصلح ويُعلمه ما لقي المنذر من خالد ، وسأله² أن يأمر خالد برد ما غنم إلى المنذر ويدفع له دية من قتل من أصحابه ويُنصفه من خالد، وإنه إن لم يفعل ينقض الصلح . ووالى الكتب إلى غطيانوس في إنصاف المنذر ، فلم يحفل به³ .

فاستعدت كسرى وغزا بلاد غطيانوس في بضعة وسبعين⁴ ألفاً ، وكان طريقه على الجزيرة ، فأخذ مدينة دارا ومدينة الرهااء وعبر إلى الشام فملك منبج وحلب وأنطاكية ، وكانت أفضل مدائن الشام ، وفامية وحمص ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن عنوة⁵ واحتوى على ما فيها من الأموال والعروض ، وسبى أهل مدينة أنطاكية ونقلهم إلى أرض السواد ، وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جانب مدينة طيسفون⁵ على بناء مدينة أنطاكية وأسكنهم إياها ، وهي التي تسمى الرومية ، وكور لها خمسة طساسيج : طسوج النهروان الأعلى ، وطسوج النهروان الأوسط ، وطسوج النهروان الأسفل ، وطسوج بادرايا ، وطسوج باكسايا ، وأجرى على السبي الذين نقلهم إليها من أنطاكية الأرزاق ، وولّى القيام بأمرهم رجلاً من نصارى الأهواز ليستأنسوا به لموافقته في الدين ، وأما سائر مدن الشام ومصر فإن غطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها إليه وضمن له فدية يحملها إليه كل سنة على أن لا يغزو بلاده ، فكانوا يحملونها كل عام .

وسار أنوشروان من الروم إلى الخزر فقتل منهم وغنم وأخذ منهم بثأر

1) كسرى ما بين عمان S.

2) ويسأله S.

3) يحفل بها S.

4) وتسمين A. S. et B.

5) طيسون Codd.

رعيته . ثمّ قصد اليمن فقتل فيها وغنم وعاد إلى المدائن وقد ملك ما دون هرقله وما بينه وبين البحرين وعمّان . وملك النعمان بن المنذر على الحيرة وأكرمه ، وسار نحو الهياطلة ليأخذ بنار جدّه فيروز ، وكان أنوشروان قد صاهر خاقان قبل ذلك ، ودخل كسرى بلادهم فقتل ملكهم ، واستأصل أهل بيته ، وتجاوز بلخ وما وراء النهر وأنزل جنوده فرغانة ، ثمّ عاد إلى المدائن . وغزا البرجان ثمّ رجع وأرسل جنده إلى اليمن ، فقتلوا الحبشة وملكوا البلاد .

وكان ملكه ثمانياً وأربعين سنة ، وقيل : سبعاً وأربعين سنة .

وكان مولد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في آخر ملكه ، وقيل : ولد عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لأربع وعشرين سنة مضت من ملك أنوشروان ، وولد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سنة اثنتين وأربعين من ملكه .

قال هشام بن الكلبيّ : ملك العرب من قبيل ملوك الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان سبع سنين ، ثمّ ملك بعده النعمان بن الأسود أربع سنين ، ثمّ استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عديّ اللخميّ ثلاث سنين ، ثمّ ملك المنذر بن امرئ القيس البداء¹ ولقب ذو القرنين لصفيرتبن كائتا له ، وأمه ماء السماء ، وهي ماوية ابنة عمرو بن جشم¹ ابن النمر بن قاسط . تسعاً وأربعين سنة ، ثمّ ملك ابنه عمرو بن المنذر ست عشرة سنة . قال : ولثماني سنين وثمانية أشهر من ولايته ولد النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وذلك أيام أنوشروان عام الفيل .

1) الحيم .

فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجهه إلى سرتنديب من بلاد الهند ، وهي أرض الجواهر ، قائداً من قواده في جند كثيف ، فقاتل ملكها ، فقتله واستولى عليها ، وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة وجواهر كثيرة . ولم يكن ببلاد الفرس بنات آوى ، فجاءت إليها من بلاد الترك في ملك كسرى أنوشروان ، فشق عليه ذلك وأحضر موبدان موبند وقال له : قد بلغنا تساقط هذه السباع إلى بلادنا وقد تعاضمنا ذلك ، فأخبرنا برأيك فيها . فقال : سمعتُ فقهاءنا يقولون : متى لم يغلب العدلُ الجورَ في البلاد بل [جار] أهلها غزاهم أعداؤهم وأتاهم ما يكرهون . فلم يلبث كسرى أن أتاه أن فتیاناً من الترك قد غزوا أقصى بلاده ، فأمر وزراءه وعماله أن لا يتعدوا فيما هم بسبيله العدل ولا يعملوا في شيء منها إلا به ، ففعلوا ما أمرهم ، فصرف الله ذلك العدو عنهم من غير حرب .

ذكر ما فعله أنوشروان بأرمينية وأذربيجان

كانت أرمينية وأذربيجان بعضها للروم وبعضها للخزر ، فبنى قبادسوراً مما يلي بعض تلك الناحية ، فلما توفي وملك ابنه أنوشروان وقوي أمره وغزا فرخانة والبُرْجان وعاد بنى مدينة الشَّابَران ومدينة مَسْقَط ومدينة الباب والأبواب ، وإنما سُمِّيَتْ أبواباً لأنها بُنيت على طريقاً في الجبل ، واسكن المدن قوماً سماهم السَّيَسَجِين¹ ، وبنى غير هذه المدن ، وبنى لكل باب قصرأ من

1) C. P. السانسجين ; A. النشاستجين ; B. النساجين . Cf. *Beladsori*, ed. DE GOEJE, p. 191 sqq.

حجارة ، وبنى بأرض جُرْزَان¹ مدينة سغدييل وأنزلها السغد وأبناء فارس ، وبنى باب اللان ، وفتح جميع ما كان بأيدي الروم من أرمينية ، وعمر مدينة أَرْدَبِيل وعدة حصون ، وكتب إلى ملك الترك يسأله المoadعة والاتفاق ويخطب إليه ابنته ، ورغب في صهره ، وتزوج كل واحد بابنة الآخر .

فأما كسرى فإنه أرسل إلى خاقان ملك الترك بنتاً كانت قد تبنتها بعض نسائه وذكر أنها ابنته ، وأرسل ملك الترك ابنته ، واجتمعا ، فأمر أنوشروان جماعة من ثقاته أن يكسوا طرفاً من عسكر الترك ويحرقوا فيه ، ففعلوا ، فلما أصبحوا شكوا ملك الترك ذلك ، فأنكر أن يكون له علم به ، ثم أمر بمثل ذلك بعد ليل ، فضج التركي ، فرفق به أنوشروان ، فاعتذر إليه ، ثم أمر أنوشروان أن تلقى النار في ناحية من عسكره فيها أكواخ من حشيش ، فلما أصبح شكوا إلى التركي ، قال : كافأني بالتهمة ! فحلف التركي أنه لم يعلم بشيء من ذلك ، فقال أنوشروان له : إن جندنا قد كرموا صلحنا لانقطاع العطاء والغارات ، ولا آمن أن يحدثوا حدثاً يفسد قلوبنا فنعود إلى العداوة ، والرأي أن تأذن لي في بناء سور يكون بيني وبينك نجعل عليه أبواباً فلا يدخل إليك إلا من تريده ولا يدخل إلينا إلا من تريده . فأجابته إلى ذلك .

وبنى أنوشروان السور من البحر وألحقه برؤوس الجبال ، وعمل عليه أبواب الحديد ووكل به من يحرسه . فقيل لملك الترك : إنه خدعك وزوجك غير ابنته وتحصن منك فلم تقدر له على حيلة .

وملك أنوشروان ملوكاً رتبهم على النواحي ، فمنهم صاحب السرير وفيلان شاه واللكز ومسقط وغيرها ، ولم تزل أرمينية بأيدي الفرس حتى ظهر

.....
1) خراسان C. P. : خروان B. 1)

الإسلام ، فرفض كثير من السياسيين حصونهم ومدائنهم حتى خربت واستولى عليها الخزر والروم ، وجاء الإسلام وهي كذلك .

ذكر أمر الفيل

لما دام ملك أبرهة باليمن وتمكن به بنى القُلَيْس¹ بصنعاء ، وهي كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي : إنني قد بنيتُ لك كنيسة لم يُرَ مثلها ولستُ بمنتهٍ حتى أصرف إليها حاجَ العرب .

فلما تحدثت العرب بذلك غضب رجل من النِّسَاء¹ من بني فُقَيْمٍ ، فخرج حتى أتاها فقعدها فيها وتغوط ، ثم لحق بأهله ، فأخبر بذلك أبرهة ، وقيل له : إنَّه فِعْلٌ رجل من أهل البيت الذي تحجته العرب بمكة غضب لما سمع أنك تريد صرف الحجَّاج عنه فنعل هذا .

فغضب أبرهة وحلف ليسيرون إلى البيت فيهدمه ، وأمر الحبشة فتجهزت ، وخرج معه بالفيل واسمه محمود ، وقيل : كان معه ثلاثة عشر فيلاً وهي تتبع محموداً ، وإنما وحّد الله سبحانه الفيلَ لأنَّه عنى [به] كبيرها محموداً ، وقيل في عددهم غير ذلك .

١ . القيس A. et C. P ; القين B. ()

١ (النِّسَاء : هم الذين كانوا يؤخرون شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شئ الغارات وطلب الثارات) .

فلما سار سمعت العرب به فأعظموه ورأوا جهاده حقاً عليهم ، فخرج عليه رجل من أشراف اليمن يقال له ذو نفر وقاتله ، فهزم ذو نفر وأخذ أسيراً ، فأراد قتله ثم تركه مجبوساً عنده ، ثم مضى على وجهه ، فخرج عليه نُفَيْلُ ابن حبيب الخثعمي فقاتله ، فانهزم نُفَيْلُ وأخذ أسيراً ، فضمن لأبرهة أن يدلّه على الطريق ، فتركه وسار حتى إذا مرّ على الطائف بعثت معه ثقيف أبا رِغَالٍ يدلّه على الطريق حتى أنزله بالمُغَمَّسِ ، فلما نزله مات أبو رِغَالٍ ، فرجّمت العرب قبره ، فهو القبرُ الذي يُرْجَمُ .

وبعث أبرهة الأسود بن مقصود إلى مكة ، فساق أموال أهلها وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، ثم أرسل أبرهة حُنَاطَةَ الحميريّ إلى مكة فقال : سلّ عن سيّد قريش وقلّ له إنني لم آتٍ لحربكم إنّما جئتُ لهدم هذا البيت ، فإن لم تمنعوا عنه فلا حاجة لي بقتالكم .

فلما بلغ عبد المطلب ما أمره قال له : والله ما نريد حربته ، هذا بيت الله وبيت خليله إبراهيم ، فإن يمنعه فهو بمنع بيته وحرمة وإن يخلّ بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع ، فقال له : انطلق معي إلى الملك . فانطلق معه عبد المطلب حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذي نفر ، وكان له صديقاً ، فدُلّ عليه ، وهو في محبسه ، فقال له : هل عندك غنّاء فيما نزل بنا ؟ فقال : وما غنّاء رجل أسير بيديّ ملك ينتظر أن يقتله ؟ ولكن أنيس سائس الفيل صديق لي فأوصيه بك وأعظّم حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلّمه بما تريد ويشفع لك عنده إن قدر . قال : حسبي . فبعث ذو نفر إلى أنيس ، فحضره وأوصاه بعبد المطلب وأعلمه أنه سيّد قريش . فكلّم أنيس أبرهة وقال : هذا سيّد قريش يستأذن ، فأذن له .

1) A. et B. حماطة ; C. P. حياطة .

وكان عبد المطلب رجلاً عظيماً جليلاً¹ وسيماً ، فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه ونزل عن سريره إليه وجلس معه على بساط وأجلسه إلى جنبه وقال لترجمانه: قل له ما حاجتك²؟ فقال له الترجمان ذلك ، فقال عبد المطلب : حاجتي³ أن يرد عليّ مائتي بعير أصابها لي . فقال أبرهة لترجمانه : قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم زهدت⁴ فيك حين كلمتني ، أتكلمني في ليلك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه؟ قال عبد المطلب : أنا رب الإبل ولليث رب يمنعه . قال : ما كان ليمنع مني . وأمر برد إبله ، فلما أخذها قلدها وجعلها هدياً وبثها في الحرم لكي يُصاب منها شيء فيغضب الله . وانصرف عبد المطلب إلى قريش وأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج معه من مكة والتحرز في رؤوس الجبال خوفاً من معرة الجيش ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة ، فقال عبد المطلب ، وهو آخذ [بحلقة] باب الكعبة⁵ :

يا رب لا أرجو لهم سواك
يا رب فامنع منهم حماك
إن عدو البيت من عاداك
إمنعهم أن يخرّبوا فيناك⁶

وقال أيضاً :

لاهم إن العبد يمد
نع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليهم
وميحالهم غدراً مِحالك⁶

1) B. S. et A. جميلاً : جسيماً . 2) S. حاجتك إلى الملك . 3) S. حاجتي إلى الملك .

4) S. ثم ذهب الإعجاب وزهدت . 5) A. et B. قراكا .

6) S. hunc add. verum : ولكن فعلت فرجماً أو لا فأمر ما بدا لك :

١ وهو آخذ بباب الكعبة .

ولئن فعلت فإنه أمرٌ تُتيمُّ بهِ فِعالِكَ
 أنتَ الذي إن جاءَ با غِ نرتجيك له كذالك
 ولتوا ولم يحووا سوي خزي وتهلكهم هنالك
 لم أستمع يوماً بأز جس منهم يبغوا قتالك
 جرّوا جموعَ بلادهم والفيلَ كي يسبوا عيالك
 عمدوا حماك بكيدهم جهلاً وما رقبوا جلالك¹

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال فتحرّزوا فيها ينتظرون ما يفعل أبرهة بمكة إذا دخل .
 فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة وهيأ فيه ، وكان اسمه محموداً ، وأبرهة مجمعٌ لهدم البيت والعود إلى اليمن ، فلما وجهوا الفيل أقبل نُفَيْل بن حبيب الخثعمي فمسك بأذنه وقال : ارجع محمود ، ارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام ! ثم أرسل أذنه ، فألقى الفيل نفسه إلى الأرض واشتد نُفَيْل فصعد الجبل ، فضربوا الفيل ، فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن ، فقام يُهرّول ، ووجهوه إلى الشام ففعل كذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك . ووجهوه إلى مكة فسقط إلى الأرض . وأرسل الله عليهم طيراً أباييل من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طير منها ثلاثة أحجار تحملها ، حجر في منقاره وحجران في رجليه ، فقاذتهم بها وهي مثل الحمص والعدس لا تصيب أحداً منهم إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وأرسل الله سَيْلاً ألقاهم في البحر وخرج من سلم مع أبرهة هارباً يتدرون الطريق الذي جاؤوا منه ويسألون عن نُفَيْل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نُفَيْل حين

1) S. h. add. versum :

إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك

رأى ما أنزل الله بهم من نعمته :

أين المفرّ والإله الطالب والأشرمّ المغلوب غير الغالب

وقال أيضاً :

ألا حُيِّتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَعِمْنَاكُمْ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا
أَنَا قَابِسٌ مِنْكُمْ عِشَاءً فَلَمْ يُقَدَّرْ لِقَابِسِكُمْ لَدَيْنَا
رُدَيْنَةٌ لَوْ رَأَيْتِ وَلَمْ تَرَيْهِ لَدَى جَنْبِ الْمُحْصَبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا لَعَدَّرْتِنِي وَحَمِدْتِ رَأْبِي وَلَمْ تَأْسِي لِمَا قَدَفَاتِ بَيْنَنَا
حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ عَايَنْتُ طَيْرًا وَخِفْتُ حَجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَن نُّفَيْلٍ كَانَ عَلِيٍّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا

وأصيب أبرهة في جسده فسقطت أعضاؤه عضواً عضواً حتى قدموا به صنعاء وهو مثل الفرخ ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه .
فلما هلك ملك ابنه يكسوم بن أبرهة ، وبه كان يكنى ، وذلت حمير واليمن له ، ونكحت الحبشة نساءهم وقتلوا رجالهم واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب .

• ولما أهلك الله الحبشة وعاد ملكهم ومعه من سلم منهم ونزل عبد المطلب من الغد إليهم لينظر ما يصنعون ومعه أبو مسعود الثقفي لم يسمعا حساً ، فدخلوا معسكرهم فرأيا القوم هلكي ، فاحتفر عبد المطلب حفرتين ملامهما

1) Add. A. et S. فخرجوا يتساقطون بكل منهل .

ذهباً وجوهرأ له ولأبي مسعود ونادى في الناس ، فتراجعوا ، فأصابوا من فضلها شيئاً كثيراً ، فبقي عبد المطلب في غنى من ذلك المال حتى مات¹ .
 وبعث الله السيل فألقى الحبشة في البحر² . ولما رد الله الحبشة عن الكعبة وأصابهم ما أصابهم عظمت العرب قريشاً وقالوا : أهل الله قاتل عنهم . ثم مات يكسوم وملك بعده أخوه مسروق .

ذكر عود اليمن إلى حِمَيْر وإخراج الحبشة عنه

لما هلك يكسوم ملك اليمن أخوه مسروق بن أبرهة ، وهو الذي قتله وهرز ، فلما اشتد البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن³ ذي يزن ، وكنيته أبو مرة ، وقيل : كنية ذي يزن أبو مرة ، حتى قدم على قيصر ، وتككب كسرى لإبطائه عن نصر أبيه ، فإنه كان قصد كسرى أنوشروان لما أخذت زوجته يستنصره على الحبشة ، فوعده ، فأقام ذو يزن عنده ، فمات على بابه . وكان ابنه سيف مع أمه في حجر أبرهة ، وهو يحسب أنه ابنه ، فسبه ولد لأبرهة وسب أباه ، فسأل أمه عن أبيه فأعلمته خبره بعد مراجعة بينهما ، فأقام حتى مات أبرهة وابنه يكسوم ، ثم سار إلى الروم فلم يجد عند ملكهم ما يحب لموافقته الحبشة في الدين ، فعاد إلى كسرى ، فاعترضه يوماً وقد ركب فقال له : إن لي عندك

1) Om. A. et B.

2) وقال كثير من أهل السير إن الحصبة والجدري أول ما رؤيا في العرب بعد S. haec add. البحر post الفيل وكذلك قالوا إن العشر والحرملة والشجر لم تعرف بأرض العرب إلا بعد الفيل . وهذا مما لا ينبغي أن يعرض عليه فإن هذه الأمراض والأشجار قبل الفيل لم تخلق الله العالم .

3) Om. S. ابن

ميراثاً ، فدعا به كسرى لما نزل فقال له : مَنْ أنت وما ميراثك ؟ قال : أنا ابن الشيخ اليماني الذي وعدته النصره فمات ببابك ، فتلك العِدَّة حقّ في وميراث . فرق كسرى له وقال له : بعُدتُ بلادك عنّا وقلّ خيرها والمسلك إليها وعمرٌ ولست أغرّر بجيشي . وأمر له بمال ، فخرج وجعل ينثر الدراهم ، فانتهبها الناسُ ، فسمع كسرى فسأله ما حملة على ذلك ، فقال : لم آتكَ للمال وإنّما جئتكَ للرجال ولتمنعني من الذلّ والهوان ، وإنّ جبال بلادنا ذهب وفضة .

فأعجب كسرى بقوله وقال : يظنّ المسكين أنّه أعرف ببلاده مني ، واستشار وزراءه في توجيه الجند معه ، فقال له مَوْبَدَان مَوْبَدَان : أيّها الملك إنّ لهذا الغلام حقّاً بنزوعه¹ إليك وموت أبيه ببابك وما تقدّم من عِدّته بالنصرة ، وفي سجونك رجال ذوو نجدة وبأس فلو أنّ الملك وجّتهم معه فإن أصابوا ظفراً كان للملك ، وإن هلكوا فقد استراح وأراح أهل مملكته منهم .

فقال كسرى : هذا الرأي . فأمر بمن في السجون ، فأحضروا ، فكانوا ثمانمائة ، فقوّد عليهم قائداً من أساورته يقال له وَهْرِيْز ، وقيل : بل كان من أهل السجون سخط عليه كسرى لحدث أحدثه فحبسه ، وكان يعدله بألف أسوار ، وأمر بحملهم في ثماني سفن ، فركبوا البحر ، ففرق سفينتان وخرجوا بساحل حضرموت ، ولحق بابن ذي يزن بشرٌ كثير ، وسار إليهم مسروق في مائة ألف من الحبشة وحمير والأعراب ، وجعل وَهْرِيْز البحر وراء ظهره وأحرق السفن لثلاثاً يطمع أصحابه في النجاة ، وأحرق كلّ ما معهم من زاد وكسوة إلاّ

1) بنزوله .

ما أكاوا وما على أبدانهم ، وقال لأصحابه : إنما أحرقتُ ذلك لثلاثٍ يأخذه
 الحبشة إن ظفروا بكم ، وإن نحن ظفرتنا بهم فسنأخذ أضعافه ، فإن كنتم تقاتلون
 معي وتصبرون أعلمتموني ذلك ، وإن كنتم لا تفعلون اعتمدتُ على سيفي حتى
 يخرج من ظهري ، فانظروا ما حالكم إذا فعل رئيسكم هذا بنفسه . قالوا :
 بل نقاتل معك حتى نموت أو نظفر . وقال لسيف بن ذي يزن : ما عندك ؟
 قال : ما شئت من رجل عربيّ وسيف عربيّ ، ثمّ اجعل رجلي مع رجلك حتى
 نموت جميعاً أو نظفر جميعاً . قال : أنصفت .

فجمع إليه سيف من استطاع من قومه ، فكان أول من لحقه السكاسك
 من كندة . وسمع بهم مسروق بن أبرهة فجمع إليه جنده ، فعبأ وهرز أصحابه
 وأمرهم أن يوتروا قسيهم . وقال : إذا أمرتكم بالرمي فارموا رشقاً .

وأقبل مسروق في جمع لا يرى طرفاه ، وهو على فيل وعلى رأسه تاج
 وبين عينيه باقوتة حمراء مثل البيضة لا يرى دون الظفر شيئاً . وكان وهرز
 كلّ بصره ، فقال : أروني عظيمهم . فقالوا : هذا صاحب الفيل ، ثمّ ركب
 فرساً ، فقالوا : ركب فرساً ، ثمّ انتقل إلى بغلة ، فقالوا : ركب بغلة . فقال
 وهرز : ذلّ وذلّ ملكه ! وقال وهرز : ارفعوا لي حاجبيّ ، وكانا قد سقطا
 على عينيه من الكبر ، فرفعوهما له بعصاية ، ثمّ جعل نشابة في كبد قومه
 وقال : أشيروا إلى مسروق ، فأشاروا إليه ، فقال لهم : سأرميه فإن رأيتم
 أصحابه وقوفاً لم يتحركوا فاثبتوا حتى أؤذنكم ، فلإني قد أخطأت الرجل .
 وإن رأيتموهم قد استداروا ولاثوا² به فقد أصبته فاحملوا عليهم . ثمّ رماه
 فأصاب السهم بين عينيه ، ورمى أصحابه ، فقتل مسروق وجماعة من أصحابه ،
 فاستدارت الحبشة بمسروق وقد سقط عن دابته ، وحملت الفرس عليهم فلم
 يكن دون الهزيمة شيء ، وغم الفرس من عسكرهم ما لا يُحدّ ولا يحصى .

1) موت عن أمرنا لو .

2) ولاثوا .

وقال وهرز : كفتوا عن العرب واقتلوا السودان ولا تبقوا منهم أحداً .
وهرب رجل من الأعراب يوماً وليلة ثم التفت فرأى في جعبته نشابة فقال :
لأمتك الويل ! أبعداً أم طول مسير ! وسار وهرز حتى دخل صنعاء وغلب
على بلاد اليمن وأرسل عماله في المخاليف .

وكان مدة ملك الحبشة اليمن اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم
أربعة ملوك : أرباط ثم أبرهة ثم ابنه يكسوم ثم مسروق بن أبرهة ، وقيل :
كان ملكهم نحواً من مائتي سنة ، وقيل غير ذلك ، والأول أصح .

فلما ملك وهرز اليمن أرسل إلى كسرى يعلمه بذلك وبعث إليه بأموال ،
وكتب إليه كسرى يأمره أن يملك سيف بن ذي يزن ، وبعضهم يقول معدي
كرب بن سيف [بن ذي يزن] على اليمن وأرضها ، وفرض عليه كسرى جزية
وخراجاً معلوماً في كل عام ، فملكه وهرز وانصرف إلى كسرى وأقام سيف
على اليمن ملكاً يقتل الحبشة ويبقر بطون الحبالي عن الحمل ، ولم يترك منهم إلا
القليل جعلهم خولاً فاتخذ منهم جمّازين يسعون بين يديه بالحرايب ، فمكث
غير كثير ، ثم إنّه خرج يوماً والحبشة يسعون بين يديه بحرايبهم فضربوه بالحرايب
حتى قتلوه ، فكان ملكه خمس عشرة سنة ، ووثب بهم رجل من الحبشة فقتل
باليمن وأفسد ، فلما بلغ ذلك كسرى بعث إليهم وهرز في أربعة آلاف فارس
وأمره أن لا يترك باليمن أسود ولا ولد عربيّة . من أسود [إلا قتله ،
صغيراً أو كبيراً ، ولا يدع رجلاً جعداً قططاً قد] شرك فيه السودان إلا
قتله ^٢ ، وأقبل حتى دخل اليمن ففعل ما أمره ، وكتب إلى كسرى يخبره ، فأقره

١ نحو اثنتين وثلاثين سنة S. : ثلاثين B. 1)

١ حقيقه .

٢ . من أسود ومن شرك فيه أسود قتله .

على ملك اليمن ، فكان يجيها لكسرى حتى هلك ، وأمر بعده كسرى ابنه
المرزبان بن وهرز حتى هلك ، ثم أمر بعده كسرى التينجان بن المرزبان ، ثم
أمر بعده خراً خسره بن¹ التينجان بن المرزبان .

ثم إن كسرى أبرويز غضب عليه فأحضره من اليمن ، فلما قدم تلقاه
رجل من عظماء الفرس فألقى عليه سيفاً كان لأبي كسرى ، فأجاره كسرى
بذلك من القتل وعزله عن اليمن ، وبعث باذان إلى اليمن ، فلم يزل عليها حتى
بعث الله نبيه محمداً ، صلى الله عليه وسلم .

وقيل : إن أنوشروان استعمل بعد وهرز زريرين² ، وكان مسرفاً ، إذا أراد
أن يركب قتل قتيلاً ثم سار بين أوصاله ، فمات أنوشروان وهو على اليمن ،
فعرله ابنه هرْمُز .

وقد اختلفوا في ولاية اليمن للأكاسرة اختلافاً كثيراً لم أرَ لذكره فائدة³ .

ذكر ما أحدثه قريش بعد الفيل

لما كان من أمر أصحاب الفيل ما ذكرناه عظمت قريش عند العرب فقالوا
لهم أهل الله وقطنه بحامي عنهم ، فاجتمعت قريش بينها وقالوا : نحن بنو إبراهيم ،
عليه السلام ، وأهل الحرم وولاية البيت وقاطنوا مكة ، فليس لأحد من العرب

1) S. . حرره بن S. . 2) Codd. رين . S. reliqui.

3) Hic pars prior voluminis primi in C. P. desinit. Quae jam sequuntur omnia ibi
desunt, usque ad caput inscriptum : ذكر نسب رسول الله وذكر بعض أخبار آياته وأجداده :

مثل متراتنا ، ولا يعرف العرب لأحد مثل ما يُعرف لنا ، فهلموا فلتتفق على
 ائتلاف أتنا لا نعظم شيئاً من الحلّ كما يعظم الحرم ، فإننا إذا فعلنا ذلك
 استخفّت العرب بنا وبجرمنا وقالوا: قد عظمت قريش من الحلّ مثل ما عظمت
 من الحرم ، فركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها ، وهم يعرفون ويقرون
 أُنّها من المشاعر والحجّ ودين إبراهيم ، ويروى سائر العرب أن يقفوا عليها
 وأن يفيضوا منها ، وقالوا : نحن أهل الحرم فلا نعظم غيره ، ونحن الحُمس ،
 وأصل الحماسة الشدة أنهم تشدّدوا في دينهم وجعلوا لمن ولد واحدة من نسائهم
 من العرب ساكني الحلّ مثل ما لهم بولادتهم ، ودخل معهم في ذلك كناية
 وخزاعة وعامر لولادة لهم ، ثمّ ابتدعوا فقالوا : لا ينبغي للحُمس أن يعملوا
 الأقط ولا يسأوا السمن وهم حُرّم، ولا يدخلوا بيتاً من شعر، ولا يستظلّوا إلاّ
 في بيوت الأدم ما كانوا حُرماً . وقالوا : ولا ينبغي لأهل الحلّ أن يأكلوا من
 طعام جاؤوا به معهم من الحلّ في الحرم إذا جاؤوا حُجّاجاً أو عُمّاراً .
 ولا يطوفون بالبيت طوافهم إذا قدموا إلاّ في ثياب الخمس² ، فإن لم يجدوا
 طافوا بالبيت عُرّة ، فإن أنف أحد من عظمائهم أن يطوف عرياناً إذا لم يجد
 ثياب الخمس² فطاف في ثيابه ألقاها إذا فرغ من الطواف ولا يمسه هو ،
 ولا أحد غيره ، وكانوا يسمونها اللقي .

فدانت العرب لهم بذلك ، فكانوا يطوفون كما شرعوا لهم ويتركون أزوادهم
 التي جاؤوا بها من الحلّ ويشترون من طعام الحرم ويأكلونه .
 هذا في الرجال ، وأمّا النساء فكانت المرأة تضع ثيابها كلها إلاّ درعها
 مفرّجاً ثمّ تطوف فيه وتقول :

[اليوم يبئو بعضه أو كله وما بدأ منه فلا أحلّه]

2) A. et B. لاهر .

3) B. الحر .

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، ففسخه ، فأفاض من عرفات ، وطاف الحجاج بالثياب التي معهم من الحل ، وأكلوا من طعام الحل ، في الحرم أيتلم الحج ، وأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾¹ ، أراد بالناس العرب ، أمر قريشاً أن يفيضوا من عرفات ، وأنزل الله تعالى في اللباس والطعام الذي من الحل وتركهم إياه في الحرم : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا - إِلَى قَوْلِهِ - : لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾² .

ذكر حلف المطيبين والأخلاف

قد ذكرنا ما كان قصي أعطى ولده عبد الدار من الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ، ثم إن هاشماً وعبد شمس والمطلب ونوفلاً بني عبد مناف ابن قصي رأوا أنهم أحق بذلك من بني عبد الدار لشرفهم عليهم ولفضلهم في قومهم ، وأرادوا أخذ ذلك منهم ، ففترقت عند ذلك قريش ، كانت أطائفة مع بني عبد مناف ، وطائفة مع بني عبد الدار يرون أنه لا يجوز أن يؤخذ منهم ما كان قصي جعله لهم إذ كان أمر قصي فيهم شرعاً متبعاً معرفة منهم لفضله تيمناً بأمره ، وكان صاحب أمر بني عبد مناف بن قصي عبد شمس لأنه كان أكبرهم ، وكان صاحب بني عبد الدار الذي قام في المنع عنهم عامر بن هاشم¹

1) Cor. 2, vs. 199.

2) Cor. 7, vss. 31, 32.

ابن عبد مناف بن عبد الدار ، فاجتمع بنو أسد بن عبد العزى بن قصي ،
وبنو زُهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك
ابن النضر مع بني عبد مناف ، واجتمع بنو مخزوم ، وبنو سهم ، وبنو جُمح ،
وبنو عدي بن كعب مع بني عبد الدار ، وخرجت عامر بن لؤي ومُحارب
ابن فهر من ذلك ، فلم يكونوا مع أحد الفريقين ، وعقد كل طائفة بينهم
حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ولا يُسلم بعضهم بعضاً ما بلّ بحر صوفة ،
فأخرجت بنو عبد مناف بن قصي جفنة مملوءة طيباً ، قيل : إن بعض نساء
بني عبد مناف أخرجتها لهم ، فوضعوها في المسجد وغمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا
وتعاقدوا ومسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم ، فسُموا بذلك المُطيبين .

وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم من القبائل عند الكعبة على أن لا يتخاذلوا
ولا يُسلم بعضهم بعضاً فسُموا الأحلاف ، ثم تصافوا للقتال وأجمعوا على
الحرب ، فبينما هم على ذلك إذ تداعوا للصلح على أن يعطوا بني عبد مناف
السقاية والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار ، فاصطلحوا
ورضي كل واحد من الفريقين بذلك وتجاوزوا عن الحرب ، وثبت كل
قوم مع من حالفوا حتى جاء الإسلام وهم على ذلك ، فقال رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم : ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزد
إلا شدة ولا حلف في الإسلام .

فولي السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف لأن عبد شمس كان كثير
الأسفار قليل المال كثير العيال ، وكان هاشم موسراً جواداً .

وكان ينبغي أن نذكر هذا قبل الفيل وما أحدثه قريش ، وإنما أخرناه
للزوم تلك الحوادث بعضها ببعض .

ذكر ما فعله كسرى في أمر الخراج والهند

كان ملوك الفرس يأخذون من غلات كورهم قبل ملك كسرى أنوشروان في خراجها من بعضها الثلث ومن بعضها الربع ، وكذلك الخمس والسدس على قدر شربها وعمارتها ، ومن الجزية شيئاً معلوماً ، فأمر الملك قباز بمسح الأرضين ليصح الخراج عليها ، فمات قبل الفراغ من ذلك ، فلما ملك أنوشروان أمر باستتمام ذلك ووضع الخراج على الحنطة والشعير والكرم والرطب والنخل والزيتون والأرز على كل نوع من هذه الأنواع شيئاً معلوماً ، ويؤخذ في السنة في ثلاثة أنجم^١ ، وهي الوضائع التي اقتدى بها عمر بن الخطاب ، وكتب كسرى إلى القضاة في البلاد نسخة بالخراج ليمتنع العمال من الزيادة عليه ، وأمر أن يوضع عمّن أصابت غلته جائحة بقدر جائحته ، وألزموا الناس الجزية ما خلا العظماء وأهل البيوتات والهند والهرابذة والكتاب ومّن في خدمة الملك كل إنسان على قدره من اثني عشر درهماً وثمانية دراهم وستة دراهم وأربعة دراهم ؛ وأسقطها [عمر] عمّن لم يبلغ عشرين سنة أو جاوز خمسين سنة .

ثم إن كسرى ولّى رجلاً من الكتاب من الكفاة والنبلاء اسمه بابك عرض جيشه ، فطلب من كسرى التمكن من شغله إلى ذلك ، فتقدّم ببناء مصطبة موضع عرض الجيش وفرشها ، ثم نادى أن يحضر الهند بسلاحهم وكراعهم للعرض ، فحضروا ، فحيث لم ير معهم كسرى أمرهم بالانصراف ، فعل ذلك يومين ، ثم أمر فنودي في اليوم الثالث أن لا يتخلف أحد ولا مّن أكرم بتاج ، فسمع كسرى فحضر وقد لبس التاج والسلاح ، ثم أتى بابك ليعرض عليه ، فرأى سلاحه تاماً ما عدا وترين للقوس كان عادتهم أن يستظهروا

١ في نية أنجم .

بهما ، فلم يرهما بابلك معه فلم يجزّ على اسمه وقال له : هلمّ كلّ ما يلزمك .
 فذكر كسرى الورين فتعلّقهما ، ثمّ نادى منادي بابلك وقال : للكميّ السيّد ،
 سيّد الكمّاء^١ ، أربعة آلاف درهم ، وأجاز على اسمه . فلما قام عن مجلسه حضر
 عند كسرى يعتذر إليه من غلظته عليه ، وذكر له أن أمره لا يتمّ إلاّ بما فعل .
 فقال كسرى : ما غلظ علينا أمرٌ نريد^٢ به إصلاح دولتنا .

ومن كلام كسرى : الشكر والنعمة كفتان ككفتي^١ الميزان أيهما رجع
 بصاحبه احتاج الأخرى إلى أن يزداد فيه حتى يعادل صاحبه ، فإذا كانت النعم
 كثيرة والشكر قليلاً انقطع الحمد^٢ ، فكثير النعم يحتاج إلى كثير من الشكر ،
 وكلّما زيد في الشكر ازدادت النعم وجاوزته ، ونظرتُ في الشكر فوجدتُ
 بعضه بالقول وبعضه بالفعل ، ونظرتُ أحبّ الأعمال إلى الله فوجدتُه الشيء
 الذي أقام به السموات والأرض وأرسي به الجبال وأجرى به الأنهار وبرأ به
 البرية ، وهو الحقّ والعدل ، فلزمته ، ورأيتُ ثمرة الحقّ والعدل عمارة
 البلدان التي بها قوام الحياة للناس والدوابّ والمطيّر وجميع الحيوانات . ولما
 نظرتُ في ذلك وجدتُ المقاتلة أجراء لأهل العمارة ، وأهل العمارة أجراء
 للمقاتلة ، فأما المقاتلة فإنّهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكّان البلدان
 لمدافعتهم عنهم ومجاهدتهم من ورائهم^٢ ، فحقّ على أهل العمارة أن يوفوهم
 أجورهم ، فإنّ العمارة والأمن والسلامة في النفس والمال لا يتمّ إلاّ بهم ،
 ورأيتُ أن المقاتلة لا يتمّ لهم المقام والأكل والشرب وتشمير الأموال والأولاد

١) والنعمة عدلان ككفتي S.

٢) ومجاهدتهم عليهم من S.

١ وقال للمكيّ سيّد الكمّاء .

٢ علينا امرئ يريد .

٣ الحمل .

إلا بأهل الخراج والعمارة ، فأخذتُ للمقاتلة من أهل الخراج ما يقوم بأودهم وتركت على أهل الخراج من مستغلاتهم ما يقوم بمؤونتهم وعمارتهم ولم أجحف بواحد من الجانبين ، ورأيتُ المقاتلة وأهل الخراج كالعينين المبصرتين واليدين المتساعدتين والرجلين على أيهما دخل الضرر تعدى إلى الأخرى .

ونظرنا في سير آبائنا فلم نترك منها شيئاً يقترن بالثواب من الله والذكر الجميل بين الناس والمصلحة الشاملة للجند والرعية إلا اعتمدناه ، ولا فساداً إلا أعرضنا عنه ، ولم يدعنا إلى حب ما لا خير فيه حب الآباء .

ونظرتُ في سير أهل الهند والروم وأخذنا محمودها ، ولم تنازعنا أنفسنا إلى ما تميل إليه أهواؤنا ، وكتبنا بذلك إلى جميع أصحابنا ونوابنا في سائر البلدان .

فانظر إلى هذا الكلام الذي يدل على زيادة العلم وتوفر العقل والقدرة على منع النفس ، ومن كان هذا حاله استحق أن يضرب به المثل في العدل إلى أن تقوم الساعة .

وكان لكسرى أولاد متادبون ، فجعل الملك من بعده لابنه هرمز .

وكان مولد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عام الفيل ، وذلك لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملكه ، وفي هذا العام كان يوم ذي جيلة ، وهو يوم من أيام العرب المذكورة .

ذکر مولد رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم

قال قیس بن مخزوم وقثا¹ بن أشیم وابن عباس وابن إسحاق : إن رسول الله ، صلی اللہ علیہ وسلم ، وُلد عام الفیل . قال ابن الكلبي : وُلد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ، صلی اللہ علیہ وسلم ، لأربع وعشرين مضت من سلطان كسرى أنوشروان ، و وُلد رسول الله ، صلی اللہ علیہ وسلم ، سنة اثنتين وأربعين من سلطانه ، وأرسله الله تعالى لمضي اثنتين وعشرين من ملك كسرى أبرويز بن كسرى هرمز بن كسرى أنوشروان ، فهاجر لاثنتين وثلاثين سنة مضت من ملك أبرويز .

قال ابن إسحاق : وُلد رسول الله ، صلی اللہ علیہ وسلم ، يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة مضت من ربيع الأول ، وكان مولده بالدار التي تُعرف بدار ابن يوسف . قيل : إن رسول الله ، صلی اللہ علیہ وسلم ، وهبها عقيل بن أبي طالب ، فلم تزل في يده حتى توفي ، فباعها ولده من محمد بن يوسف أخي الحجاج ، فبنى داره التي يقال لها دار ابن يوسف وأدخل ذلك البيت في الدار حتى² أخرجه الخيزران فجعلته مسجداً بصلتي فيه . وقيل : وُلد لعشر حلون منه ، وقيل : لليلتين خلنا منه .

قال ابن إسحاق : إن آمنة ابنة وهب أم رسول الله ، صلی اللہ علیہ وسلم ، كانت تحدث أنها أنبت في منامها لما حملت برسول الله ، صلی اللہ علیہ وسلم .

1) غياث B.

2) S. حن .

عليه وسلم ، فقيل لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع بالأرض قولي أعينه بالواحد ، من شرّ كلّ حاسد ، ثمّ سمّيه محمّداً . ورأت حين حملت به أنّه خرج منها نورٌ رأت به قصور بصرى من أرض الشام . فلما وضعته أرسلت إلى جدّه عبد المطلب : إنّه قد وُلد لك غلام فأتبه فانظر إليه ، فنظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسمّيه .

وقال عثمان بن أبي العاص : حدثتني أمي أنّها شهدت ولادة آمنة ابنة وهب رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم ، فما شيء^١ أن أنظر إليه من البيت إلا نوراً^٢ وإني لأنظر [إلى] النجوم تدنو حتى إنني لأقول لتقعن عليّ .

وأول من أرضع رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم ، ثوية مولاة أبي لهب بلبن ابن له يقال له مسروح^٣ ، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب ، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي . فكانت ثوية تأتي رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم ، بمكّة قبل أن يهاجر فيكرمها وتكرمها خديجة ، فأرسلت إلى أبي لهب أن يبيعهما إياها لتعتقها ، فأبى ، فلما هاجر رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم ، إلى المدينة أعتقها أبو لهب ، فكان رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم ، يبعث إليها بالصلة إلى أن بلغه خبر وفاتها منصرفه من خيبر ، فسأل عن ابنها مسروح^٣ ، فقيل : توفي قبلها ، فسأل : هل لها من قرابة ؟ فقيل : لم يبق لها أحد .

ثمّ أرضعت رسول الله ، صلتى الله عليه وسلم ، بعد ثوية حليلة بنت أبي ذؤيب ، واسمه عبد الله بن الحارث بن شِجْنة من بني سعد بن بكر بن

١ فماشيت .

٢ الاثور .

٣ مسروح .

هوازن ، واسم زوجها الذي أرضعته بلبنه الحارث بن عبد العزّي ، واسم إخوته من الرضاعة عبد الله وأنيسة وجذامة ، وهي الشيماء ، عُرِفَتْ بذلك ، وكانت الشيماء تحضنه مع أمها حليلة .

وقدمت حليلة على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعد أن تزوج خديجة ، فأكرمها ووصلها ، وتوفيت قبل فتح رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مكة ، [فلماً فتح مكة] قدمت عليه أختها فسألها عنها ، فأخبرته بموتها ، فذرفت عيناه ، فسألها عمّن خلفت ، فأخبرته ، فسألته نيحلة وحاجة فوصلها .

وقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : كانت حليلة السعدية تحدث أنها خرجت من بلدها مع نسوة يلتمسن الرضعاء ، وذلك في سنة شهباء لم تُبق شيئاً . قالت : فخرجت على أتان لنا قمراء معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلتنا أجمع من صبيتنا الذي معي من بكائه من الجوع ، وما في ثديي ما يُغنيه ، وما في شارفنا ما يغذوه ، ولكننا نرجو الغيث والفرج ، فلقد أذمت¹ أتانِي بالركب حتى شقّ عليهم ضعفاً وعجفاً ، حتى قدمنا مكة فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا إنما نرجو المعروف من أبي الصبي . فكنا نقول : يتيم فما عسى أن تصنع أمه وجدّه ! فما بقيت امرأة معي إلا أخذت رضيعاً غيري ، فلماً أجمعنا الانطلاق¹ قلت لصاحبي ، وكان معي : إنني لأكره أن أرجع من بين صواحي² ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاخذنه ! قال : افعلي فعسى أن الله يجعل لنا فيه بركة . قالت : فذهبت فأخذته ،

1) للانطلاق S. 2) صواحي Codd.

١ أذمت . (وأذمت : أي جاءت بما يدم عليه) .

فلما أخذته ووضعته في حجري أقبل عليه ثدياي ممّا شاء من لبن ، فشرّب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثمّ ناما ، وما كان ابني ينام قبل ذلك ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا انها حافل ، فحلب منها ثمّ شرب حتى روي ، ثمّ سقاني فشربت حتى شبعنا . قالت : يقول لي صاحبي : تعلمين والله يا حليلة لقد أخذت نسمةً مباركة ! قلت : والله لأرجو ذلك . قالت : ثمّ خرجنا ، فركبت أتانِي وحملتة عليها فلم يلحقني شيء من حمهم حتى إنّ صواحي¹ ليقن لي : يا ابنة أبي ذؤيب اربعي علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول : بلى والله هي هي ، فيقن : إنّ لها شأنًا ، ثمّ قدمنا منازلنا من بني سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها ، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا شباعاً لبناً فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة ولا يجدها في ضرع ، حتى إن كان الحاضر من قومنا ليقولون لرعيانهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب ! فتروح أغنامهم جياً ما تبضّ بقطرة من لبن ، وتروح غنمي شباعاً لبناً .

فلم نزل نتعرف البركة من الله والزيادة في الخير حتى مضت سنتان وفصلته² ، وكان يشبّ شباباً لا يشبّد الغلمان ، فلم يبلغ ستية حتى كان غلاماً جفراً ، فقدمنا به على أمّه ونحن أحرص شيء على مكته عندنا لما كنا نرى من بركته ، سكلّمنا أمّه في تركه عندنا ، فأجابت . قالت : فرجعنا به ، فوالله إنّه بعد مترامنا به بأشهر [مرّ] مع أخيه في بهم² لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتدّ فقال لي ولأبيه : ذلك أخي القرشيّ قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجماه وشقّا بطنه وهما يسوطانه ! قالت : فخرجنا نشدّ فوجدناه قائماً منتقماً وجهه . قالت : فالترمته أنا وأبوه وقلنا له : ما لك يا بُنيّ ؟ قال : جاعني رجلان فأضجعاني فشقّا بطني فالتمسا به شيئاً لا أدري ما هو . قالت :

1) صواحي . Codd.

2) غم .

فرجعنا إلى خباتنا ، وقال لي أبوه : والله لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك .

قالت : فاحتملناه فقدمنا به على أمه . فقالت : ما أقدمك يا ظئر به وقد كنت حريصة على مكثه عندك ؟ قالت : قلتُ : قد بلغ الله بابني وقضيتُ الذي عليّ وتخوفتُ عليه الأحداث فأدبته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا بشأنك فاصدقني ! ولم تدعني حتى أخبرتها . قالت : فتخوفتِ عليه الشيطان ؟ قلتُ : نعم . قالت : كلا والله ما للشيطان عليه سبيل ، وإن لابني لشأناً ، أفلا أخبرك ؟ قلتُ : بلى . قالت : رأيتُ حين حملتُ به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من الشام ، ثم حملتُ به فوالله ما رأيتُ من حمل قطّ كان أخفّ منه ولا أيسر ، ثم وقع حين وضعته وإنه لو وضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك وانطلقني راشدة .

وكانت مدة رضاع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ستين ، وردته حليلة إلى أمه وجدته عبد المطلب وهو ابن خمس سنين في قول .

وقال شدّاد بن أوس : بينما نحن عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل شيخ من بني عامر وهو ملك قومه وسيدهم شيخ كبير متوكئاً على عصاً فمثل قائماً وقال : يا ابن عبد المطلب إنني أنبتُ أنك تزعم أنك رسول الله ، أرسلك بما أرسل به إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء ، ألا وإنك فُهِتَ بعظيم ، ألا وقد كانت الأنبياء من بني إسرائيل وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والأوثان وما لك وللنبوة ، وإن لكلّ قول حقيقة ، فما حقيقة قولك وبدء شأنك ؟

فأعجب النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، بمساءلته ثم قال : يا أخا بني عامر اجلس . فجلس ، فقال له النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : إن حقيقة قولك وبدء شأنك أنتي دعوةُ أبي إبراهيم وبشرى أخى عيسى ، وكنتُ بكر

أمي^١ ، وحملتني كأثقل ما تحمل النساء^١ ، ثم رأت في منامها أن الذي في بطنها نور ، [قالت] : فجعلت أتبع بصري النور وهو يسبق بصري حتى أضاءت لي مشارق الأرض ومغاربها ؛ ثم إنهما ولدني فنشأت ، فلما نشأت بُغِضْتُ إليّ الأوثان والشعر ، فكنتُ مسترضعاً في بني سعد بن بكر ، فيينا أنا ذات يوم منتبذاً من أهلي مع أتراب من الصبيان إذ أتانا ثلاثة رهط معهم طست من ذهب مملوء ثلجاً فأخذوني من بين أصحابي ، فخرج أصحابي هراباً حتى انتهوا إلى شفير الوادي ثم أقبلوا على الرهط فقالوا : ما أربكم إلى هذا الغلام فإنه ليس له أب وما يردُّ عليكم قتله ؟ فلما رأى الصبيان الرهط لا يردون جواباً انطلقوا مسرعين إلى الحي يؤذنونهم بي ويستصرخونهم على القوم ، فعمد أحدهم فأضجني على الأرض إضجاعاً لطيفاً ، ثم شقَّ ما بين مفرق صدري إلى منتهى عاني ، فأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مساً ، ثم أخرج أحشاء بطني فغسلها بالثلج فأنعم غسلها ، ثم أخرج قلبي فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ، قال بيده يمّنة منه كأنه يتناول شيئاً ، فإذا [أنا] بنخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه ، فختم به قلبي ، فامتلاً نوراً ، وذلك نور النبوة والحكمة ، ثم أعاده مكانه ، فوجدتُ برد ذلك الخاتم في قلبي دهرأ ، ثم قال الثالث لصاحبه : تنح ، فتنحى عني ، فأمر يده ما بين مفرق صدري إلى منتهى عاني فالتأم ذلك الشقُّ بإذن الله تعالى ، ثم أخذ بيدي فأنهضني إنهاضاً لطيفاً ثم قال للأول الذي شقَّ بطني : زنه بعشرة من أمته . فوزنوني بهم فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمته . فوزنوني بهم فرجحتهم . ثم قال : زنه بألف من أمته . فوزنوني بهم فرجحتهم . فقال : دعوه فلو وزنته بأمته كلتهم لرجع بهم .

١) بكر أبي وأمي S .

ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا : يا حبيب ،
لم ترع ؛ إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عينك .

قال : فيينا نحن كذلك إذ أنا بالحي قد جاؤوا بخذافيرهم ، وإذ ظنري
أمام الحي تهتف بأعلى صوتها وهي تقول : يا ضعيفاه ! قال : فانكبوا عليّ
وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا : حبذا أنت من ضعيف ! ثم قالت ظنري :
يا وحيداه ! فانكبوا عليّ فضموني إلى صدورهم وقبلوا ما بين عيني وقالوا :
أنت من وحيد وما أنت بوسيد ! إن الله معك ! ثم قالت ظنري :
يا بنيده استضعفت من بين أصحابك فقنلت لضعفك ! فانكبوا عليّ وضموني
إلى صدورهم وقبلوا ما بين عيني وقالوا : حبذا أنت من يتيم ! ما أكرمك
على الله ! أو تعلم ما يراد بك من الخير ! قال : فوصلوا بي إلى شفير الوادي .
فلما بصرت بي ظنري قالت : يا بني ألا أراك حياً بعد ! فجاءت حتى انكبت
عليّ وضممتني إلى صدرها ، فوالذي نفسي بيده إنني لفي حجرها وقد ضممتني
إليها ، وإن بدي في يد بعضهم ، فجعلت ألقت إليهم ، وظننت أن القوم
يبصرونهم ، يقول بعض القوم : إن هذا الغلام أصابه لثم أو طائف من الجن .
انطلقوا به إلى كاهننا حتى ينظر إليه ويداويه . فقلت : ما هذا ! ليس بي شيء
مما يُذكر ، إن إرادتي سليمة ، وفؤادي صحيح ليس في قلبي^٢ . فقال أبي
من الرضاع : ألا ترون كلامه صحيحاً ؟ إنني لأرجو أن لا يكون بابني بأس .
فاتفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن ، فذهبوا بي إليه . فلما قصوا عليه قصتي
قال : اسكتوا حتى أسمع من الغلام فإنه أعلم بأمره منكم . فقصت عليه

١ . على يعني الرهط وقبلوا S. 1)

١ من بين أصحابه قبلت لضعفك .

٢ فلة . (القلبيّة : انداء الذي يتقلب منه صاحبه على فراشه) .

أمري من أوله إلى آخره ، فلما سمع قولي وثب إليّ وضمتني إلى صدره ،
ثم نادى بأعلى صوته : يا للعرب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه ! فواللات
والعزى لئن تركتموه فأدرك ليبدلتن^١ دينكم وليخالفن أمركم وليأتينكم
بدين لم تسمعوا بمثله قط .

فأنزعثني ظفري منه وقالت : لآنت أجنّ وأعتته من ابني هذا، فاطلب
لنفسك من يقتلك ، فإننا غير قاتليه !

ثم ردوني إلى أهلي فأصبحت مفزعاً مما فعل بي وأثر الشقّ مما بين
صدري إلى عاني كأنه الشرك ، فذلك حقيقة قولي وبدء شأني يا أخوا بني
عامر .

فقال العامريّ : أشهد بالله الذي لا إله إلاّ هو أنّ أمرك حقّ ، فأنبثني
بأشياء أسألك عنها . قال : سل . قال : أخبرني ما يزيد في العلم ؟ قال :
التعلّم . قال : فما يدلّ على العلم ؟ قال النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : السؤال .
قال : فأخبرني ماذا يزيد في الشيء ؟ قال : التماذي . قال : فأخبرني هل ينفع
البرّ مع الفجور ؟ قال : نعم ، التوبة تغسل الحوبة ، والحسنات يذهب السيئات ،
وإذا ذكر العبدُ اللهَ عند الرّخاء أعانه عند البلاء . فقال العامريّ : فكيف ذلك ؟
قال : ذلك بأنّ الله عزّ وجلّ ، يقول : وعزّتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين
ولا أجمع له خوفين ، إن خافني في الدنيا أمته يوم أجمع عبادي في حظيرة
القدس فيدوم له أمنه ولا أعحقه فيمن أحقّ ، وإن هو أمّني في الدنيا خافني يوم
أجمع عبادي لميقات يوم معلوم فيدوم له خوفه .

قال : يا ابن عبد المطلب أخبرني إلى مّ تدعو ؟ قال : أدعو إلى عبادة
الله وحده لا شريك له وأن تخلع الأنداد وتكفر باللات والعزى وتقرّ بما جاء
من عند الله من كتاب ورسول ، وتصلّي الصلوات الخمس بحقائقهنّ ، وتصوم

١ لبدلتن .

شهرًا من السنة ، وتؤدِّي زكاة مالك يطهرك الله تعالى بها ويطيب لك مالك ،
وتحج البيت إذا وجدت إليه سبيلاً ، وتغتسل من الجنابة ، وتؤمن بالموت والبعث
بعد الموت ، وبالجنة والنار . قال : يا ابن عبد المطلب فإذا فعلت ذلك فما
لي ؟ فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : ﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾^١ .

فقال : هل مع هذا من الدنيا شيء ؟ فإنه يعجبني الوطأة من العيش .
قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : نعم النصر والتمكين في البلاد . فأجاب
وأنا .

قال ابن إسحاق : هلك عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ، صلى
الله عليه وسلم ، وأم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، آمنة بنت وهب
ابن عبد مناف بن زهرة حامل به .

قال هشام بن محمد : توفي عبد الله أبو رسول الله بعدما أتى على رسول
الله ثمانية وعشرون يوماً^١ .

وقال الواقدي : الثَّبَتُ^٢ عندنا أن عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام
في غير لقريش ونزل بالمدينة وهو مريض فأقام [بها] حتى توفي ودُفن بدار
النابعة ، [الدار] الصُّغرى^٣ .

قال ابن إسحاق : وتوفيت أمه آمنة وله ست سنين بالأبواء بين مكة

.....
١) سنة B .

١ (سورة بقره ٢٠ ، الآية ٧٦) .

٢ أنبأ .

٣ الصُّغرى .

والمدينة ، كانت قدمت به المدينة على أخواله من بني النجّار تُزيره إيّاهم
فماتت وهي راجعة ، وقيل : إنّها أتت المدينة تزور قبر زوجها عبد الله ومعها
رسول الله وأمّ أيمن حاضنة رسول الله ، فلما عادت ماتت بالأبواء . وقيل :
إنّ عبد المطلب زار أخواله من بني النجّار وحمل معه آمنة ورسول الله ، فلما
رجع توفيت بمكة ودُفنت في شِعْب أبي ذرّ ؛ والأوّل أصحّ .

ولما سارت قريش إلى أحد همتوا باستخراجها من قبرها ، فقال بعضهم :
إنّ النساء عورة وربّما أصاب محمد من نسائكُم ، فكفّهم الله بهذا القول
إكراماً لأمّ النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم .

قال ابن إسحاق : وتوفي عبد المطلب ورسول الله ، صلّى الله عليه
وسلّم ، ابن ثماني سنين ، وقيل : ابن عشر سنين ، ولما مات عبد المطلب
صار رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، في حجر عمّه أبي طالب بوصيّة
من عبد المطلب إليه بذلك لما كان يرى من برّه به وشفقته وحنوّه عليه ، فيصبح
ولد أبي طالب غمّصاً رمصاً ، ويصبح رسول الله صقيلاً دهنياً .

ذكر قتل تميم بالمشقر

قال هشام : أرسل وهريز بأموال وطرف من اليمن إلى كسرى ، فلما كانت ببلاد تميم دعا صعصعة بن ناجية المجاشعي ، جد الفرزدق الشاعر ، بني تميم إلى الوثوب عليها ، فأبوا ، فقال : كأني ببني بكر بن وائل وقد انتهبوا فاستعانوا بها على حربكم ، فلما سمعوا ذلك وثبوا عليها وأخذوها ، وأخذ رجل من بني سليط يقال له النطيف خرجاً فيه جوهر ، فكان يقال : أصاب [فلان] كثر النطف ، فصار مثلاً ، وصار أصحاب العير إلى هوزة بن علي الحنفي باليمامة ، فكساهم وحملهم وسار معهم حتى دخل على كسرى ، فأعجب به كسرى ودعا بعقد من درر فعقد على رأسه ، فمن ثم سمي هوزة ذا التاج ، وسأله كسرى عن تميم هل من قومه أو بينه وبينهم سلم ، فقال : لا بيننا إلا الموت . قال : قد أدركت ثارك ، وأراد إرسال الجنود إلى تميم ، فقيل له : إن ماءهم قليل وبلادهم بلاد سوء ، وأشير عليه أن يرسل إلى عامله بالبحرين ، وهو ازاد فيروز بن جشيش¹ الذي سمته العرب المكعب² ، وإنما سمي بذلك لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل ، فأمره بقتل بني تميم ، ففعل ، ووجه إليه رسولا ، ودعا هوزة وجدد له كرامة وصلة وأمره بالمسير مع رسوله ، فأقبلا إلى المكعب أيام اللقاط ، وكانت تميم تصير إلى هجر للميرة واللقاط ، فأمر المكعب منادياً ينادي : ليحضر من كان هاهنا من بني تميم فإن الملك قد أمر لهم بميرة وطعام . فحضروا ودخلوا المشقر ، وهو حصن ، فلما دخلوا

1) C. P. خيس ; B. خيس ; at vid. *Beledort*, ed. DE GOEJE, P. ٨٥

2) A. المكعب ; B. المكشفر .

قتل المكعب رجالمهم واستبقى غلمانهم ، وقتل يومئذ قعنب الرياحي ، وكان فارس يربوع ، وجعل الغلمان في السفن وعبر بهم إلى فارس .

قال هبيرة بن حُدَيْرِ العدوي : رجع إلينا بعدما فُتحت إصطخر عدة منهم ، وشدّ رجل من بني تميم يقال له عبيد بن وهب على سلسلة الباب فقطعها وخرج ، واستوهب هوذة من المكعب مائة أسير منهم فأطلقهم .

(حُدَيْرِ بضمّ الحاء المهملة ، وفتح الدال) .

ذكر ملك ابنه هرمز بن أنوشروان

وكانت أمّه ابنة خاقان الأكبر ، وكان هرمز بن كسرى أديباً ذا نيّة في الإحسان إلى الضعفاء والحمل على الأشراف ، فعادوه وأبغضوه ، وكان في نفسه مثل ذلك ، وكان عادلاً بلغ من عدله أنّه ركب ذات يوم إلى ساباط المدائن فاجتاز بكروم ، فاطلع أسوار من أساورته في كرم وأخذ منه عناقيد حصرم ، فلزمه حافظ الكروم وصرخ ، فبلغ من خوف الأسوار من عقوبة كسرى هرمز أن دفع إلى حافظ الكرم منطقة محلاة بذهب عوضاً من الحصرم فركه .

وقيل : كان مظفراً منصوراً لا يمدّ يده إلى شيء إلاّ ناله ، وكان داهياً رديّ النيّة قد نزع إلى أخواله الترك ، وإنه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل ، ولم يكن له رأي إلاّ في تألف

1) post الأكبر S. add.

لما مات كسرى أنوشروان كان ملكه ثمانياً وأربعين سنة فملك بعده هرمز وكان هرمز

السفلة . وحبس كثيراً من العظماء وأسقطهم وحطّ مراتبهم وحرّم الجنود ، ففسد عليه كثير ممّن كان حوله ، وخرج عليه شايه¹ ملك الترك في ثلاثمائة ألف مقاتل في سنة ست² عشرة من ملكه ، فوصل هراة وباذغيس ، وأرسل إلى هرمز والفرس³ يأمرهم بإصلاح الطرق ليجوز إلى بلاد الروم . ووصل ملك الروم في ثمانين ألفاً إلى الضواحي قاصداً له ، ووصل ملك الخزر إلى الباب والأبواب في جمع عظيم ، فإنّ جمعاً من العرب شنّوا الغارة على السواد . فأرسل هرمز بهرام خُشنش ، ويُعرف بجويين ، في اثني عشر ألفاً من المقاتلة اختارهم من عسكريه ، فسار مجدّاً وواقع شايه ملك الترك فقتله برمية رماها⁴ واستباح عسكريه ، ثمّ وافاه برمودة⁵ بن شايه فهزّمه أيضاً وحصره في بعض الحصون حتى استسلم ، فأرسله إلى هرمز أسيراً وغنم ما في الحصن ، فكان عظيماً .

ثمّ خاف بهرام ومّن معه هرمز فخلعوه وساروا نحو المدائن وأظهروا أنّ ابنه أبرويز أصلح للملك منه ، وساعدهم على ذلك بعض ممّن كان بحضرة هرمز ، وكان غرض بهرام أن يستوحش هرمز من ابنه أبرويز ويستوحش ابنه منه فيختلفا⁵ ، فإن ظفر أبرويز بأبيه كان أمره على بهرام سهلاً ، وإن ظفر أبوه [به] نجأ بهرام والكلمة مختلفة فينال من هرمز غرضه ، وكان يحدث نفسه بالاستقلال بالملك . فلما علم أبرويز ذلك خاف أباه فهرب إلى أذربيجان ، فاجتمع عليه عدّة من المرازبة والأصبهين ، ووثب العظماء بالمدائن ، وفيهم بنديويه⁶

1) B. شايه .

2) B. et S. إحدى .

3) B. هرمز إلى الفرس .

4) B. ابن موده .

5) Codd. بندي .

١ رماه .

٢ فيختلفان .

٣ بندي .

وبسطام خالا أبرويز ، فخلعوا هرمز وسملوا عينيه وتركوه تخرجاً من قتله ،
وبلغ أبرويز الخبر فأقبل من أذربيجان إلى دار الملك .

وكان ملك^١ هرمز إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر ، وقيل : اثني عشرة
سنة ، ولم يُسمل من ملوك الفرس غيره لا قبله ولا بعده .

ومن محاسن السير ما حكى عنه أنه لما فرغ من بناء داره التي تُشرف على
دجلة مقابل المدائن عمل وليمة عظيمة وأحضر الناس من الأطراف ، فأكلوا ،
ثم قال لهم : هل رأيتم في هذه الدار عيباً ؟ فكلّهم قال : لا عيب فيها . فقام
رجل وقال : فيها ثلاثة عيوب فاحشة ، أحدها^٢ أن الناس يجعلون دورهم في
الدنيا وأنت جعلت الدنيا في دارك ، فقد أفرطت في توسيع صحونها وبيوتها
فتمكّن الشمس في الصيف والسّموم فيؤذي ذلك أهلها ويكثر فيها في الشتاء
البرد ، والثاني أن الملوك يتوصلون في البناء على الأنهار لتزول همومهم وأفكارهم
بالنظر إلى المياه ويرطب الهواء وتضيء أبصارهم ، وأنت قد تركت دجلة
وبنيتها في القفر ، والثالث أنك جعلت حجرة النساء ممّا يلي الشمال من مساكن
الرجال ، وهو أدوم هبوباً ، فلا يزال الهواء يجيء بأصوات النساء وريح طيبهن ،
وهذا ما تمنعه الغيرة والحمية .

فقال هرمز : أمّا سعة الصحون والمجالس فخير المساكن ما سافرا فيه
البصر ، وشدة الحرّ والبرد يُدفعان بالخيش^٢ والملابس والنيران ، وأمّا مجاورة
الماء فكانت عند أبي وهو يشرف على دجلة ففرقت سفينة تحته فاستغاث من
بها إليه وأبي يتأسف عليهم ويصيح بالسفن التي تحت داره ليلحقوهم ، فإلى أن

١) B. سار . 2) B. بالحس .

١ مملكة .

٢ إحداهما .

لحقوهم غرق جميعهم ، فجعلتُ في نفسي أنتي لا أجاور سلطاناً هو أقوى مني ، وأما عمل حجرة النساء في جهة الشمال فقصدنا به أن الشمال أرق هواء وأقل وخامة ، والنساء يلازم البيوت ، فعُمل لذلك ، وأما الغيرة فإن الرجال لا يخلون بالنساء ، وكل من يدخل هذه الدار إنما هو مملوك وعبد لقيم ، وأما أنت فما أخرج هذا منك إلا بغض لي ، فأخبرني عن سببه . فقال الرجل : لي قرية ملك كنتُ أنفق حاصلها على عيالي فغلبني المرزبان فأخذها مني فقصدتُك أتظلم منذ سنتين فلم أصل إليك ، فقصدتُ وزيرك وتظلمتُ إليه فلم ينصفني ، وأنا أودّي خراج القرية حتى لا يزول اسمي عنها ، وهذا غاية الظلم أن يكون غيري يأخذ دخلها وأنا أودّي خراجها .

فسأل هرمز وزيره فصدقه وقال : خفتُ أعلمك فيؤذيني المرزبان . فأمر هرمز أن يؤخذ من المرزبان ضعف ما أخذ وأن يستخدمه صاحب القرية في أي شغل شاء سنتين ، وعزل وزيره ، وقال في نفسه : إذا كان الوزير يراقب الظالم فالأحرى أن غيره يراقبه ، فأمر باتخاذ صندوق ، وكان يقفله ويختمه بخاتم ويترك على باب داره وفيه خرقٌ يلقي فيه رقائق المتظلمين ، وكان يفتحه كل أسبوع ويكشف المظالم ، فأفكر وقال : أريد أعرف ظلم الرعية ساعة فساعة ، فاتخذ سلسلة طرفها في مجلسه في السقف والطرف الآخر خارج الدار في روزنة وفيها جرس ، وكان المتظلم يحرك السلسلة فيحرك الجرس فيحضره ويكشف ظلامته .

ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز

وكان من أشد ملوكهم بطشاً وأنفذهم رأياً ، وبلغ من البأس والنجدة وجمع الأموال ومساعدة الأقدار ما لم يبلغه ملك قبله ، ولذلك لُقّب أبرويز ، ومعناه

المظفر ، وكان في حياة أبيه قد سعى به بهرام جوبين¹ إلى أبيه أنه يريد الملك لنفسه ، فلما علم ذلك سار إلى أذربيجان سرّاً ، وقيل غير ذلك ، وقد تقدّم ، فلما وصلها بايعه² من كان [بها] من العظماء واجتمع من المدائن على خلع أبيه ، فلما سمع أبرويز بادر الوصول إلى المدائن قبل بهرام جوبين فدخلها قبله ولبس التاج وجلس على السرير ، ثم دخل على أبيه ، وكان قد سُمّل ، فأعلمه أنه بريء مما فعل به ، وإنما كان هربه للخوف منه ، فصدّقه وسأله أن يرسل إليه كل يوم من يؤنسه وأن ينتقم ممن خلعه وسمل عينيه ، فاعتذر بقرب بهرام منه في العساكر وأنه لا يقدر على أن ينتقم ممن فعل به ذلك إلا بعد الظفر بهرام .

وسار بهرام إلى النهروان وسار أبرويز إليه ، فالتقيا هناك ، ورأى أبرويز من أصحابه فتوراً في القتال فانهزم ودخل على أبيه وعرفه الحال فاستشاره ، فأشار عليه بقصد موريق ملك الروم ، وجهز ثانياً³ وسار في عدة بسيرة فيهم خالاه⁴ بندويه وبسطام وكردى أخو بهرام ، فلما خرجوا من المدائن خاف من⁵ أن بهرام يردّ هرمز إلى الملك ويرسل إلى ملك الروم في ردّهم فيردّهم إليه ، فاستأذنوا أبرويز في قتل أبيه هرمز فلم يجرّ جواباً ، فانصرف بندويه وبسطام وبعض من معهم إلى هرمز فقتلوه خنقاً ، ثم رجعوا إلى أبرويز وساروا مجدّين إلى أن جاوزوا الفرات ودخلوا ديراً يستريحون فيه ، فلما دخلوا غشيتهم خيلُ بهرام جوبين ومقدّمها رجل اسمه بهرام بن سیاوش ، فقال بندويه لأبرويز : احتل لنفسك . قال : ما عندي حيلة ! قال بندويه : أنا أبذل نفسي دونك ، وطلب منه بزّته فلبسها ، وخرج أبرويز ومن معه من الدير وتواروا بالجبل ، ووافى بهرام الدير فرأى بندويه فوق الدير عليه بزّة أبرويز ،

1) B. plerumque : جور . 2) B. تابعه .

3) Ita B. in margine ; in textu فخرز نساء . 4) فخرز نساء . 5) فخرز نساء .

فاعتقده هو وسأله أن يُنظره إلى غد ليصير إليه مسلماً ، ففعل ، ثم ظهر من الغد على حيلته فحملة إلى بهرام جوبين فحبسه . ودخل بهرام جوبين دار الملك وقعد على السرير ولبس التاج ، فانصرفت الوجوه عنه ، لكن الناس أطاعوه خوفاً ، وواطأ بهرام بن سباوش بندويه على الفتك ببهرام جوبين ، فعلم بهرام جوبين بذلك فقتل بهرام وأفلت بندويه فلحق بأذربيجان . وسار أبرويز إلى أنطاكية وأرسل أصحابه إلى الملك ، فوعده النصر وتزوج أبرويز ابنة الملك مَوريق ، واسمها مريم ، وجهز معه العساكر الكثيرة ، فبلغت عدتهم سبعين ألفاً فيهم رجل يُعدّ بألف مقاتل ، فرتبهم أبرويز وسار بهم إلى أذربيجان ، فوافاه بندويه وغيره من المقدّمين والأساورة في أربعين ألف فارس من أصبهان وفارس وخراسان ، وسار إلى المدائن وخرج بهرام جوبين نحوه ، فجرى بينهما حرب شديدة ، فقتل فيها الفارس الرومي الذي يُعدّ بألف فارس ، ثم انهزم بهرام جوبين وسار إلى الترك ، وسار أبرويز من المعركة ودخل المدائن وفرّق الأموال في الروم ، فبلغت جملتها عشرين ألف ألف فأعادهم إلى بلادهم .

وأقام بهرام جوبين عند الترك مكرماً ، فأرسل أبرويز إلى زوجة الملك وأجزل لها الهدية من الجواهر وغيرها ، وطلب منها قتل بهرام ، فوضعت عليه من قتله ، فاشتدّ قتله على ملك الترك ، ثم علم أن زوجته قتله فطلقها . ثم إن أبرويز قتل بندويه ، وأراد قتل بسطام فهرب منه إلى طبرستان لخصانتها ، فوضع أبرويز عليه قتله .

وأما الروم فإنهم خلعوا ملكهم موريق بعد أربع عشرة سنة من ملك أبرويز وقتلوه وملكوا عليهم بطريقاً اسمه فوقاس ، فأباد ذرية موريق سوى ابن له هرب إلى كسرى أبرويز ، فأرسل معه العساكر وتوجه وملكه على الروم وجعل على عساكره ثلاثة نفر من قواده وأساورته ، أما أحدهم فكان

يقال له بوزان ، وجّهه في جيش منها إلى الشام ، فدخلها حتى انتهى إلى البيت المقدس فأخذ خشبة الصليب التي تزعم النصارى أن المسيح ، عليه السلام ، صُلب عليها فأرسلها إلى كسرى أبرويز ، وأمّا القائد الثاني فكان يقال له شاهين ، فسيره في جيش آخر إلى مصر ، فافتتحها وأرسل مفاتيح الإسكندرية إلى أبرويز ، وأمّا القائد الثالث ، وهو أعظمهم ، فكان يقال له فرخان ، وتدعى مرتبته شهربراز¹ ، وجعل مرجع القائدين الأولين إليه ، وكانت والدته منجبة لا تلد إلاّ نجيباً ، فأحضرها أبرويز وقال لها : إنّي أريد أن أوجه جيشاً إلى الروم استعمل عليه بعض بنيك فأشير عليّ أيّهم استعمل . فقالت : أمّا فلان فأروغ من ثعلب وأحذر من صقر ، وأمّا فرخان فهو أنفذ من سنان ، وأمّا شهربراز فهو أحلم من كذا² . فقال : قد استعملت الحلیم ، فولاه أمر الجيش ، فسار إلى الروم فقتلهم وخرّب مدائنهم وقطع أشجارهم وسار في بلادهم إلى القسطنطينية حتى نزل على خليجها القريب منها ينهب ويغير ويخرّب ، فلم يخضع لابن موريق أحد ولا أطاعه ، غير أن الروم قتلوا فوقاس لفساده وملكوا عليهم بعده هرقل ، وهو الذي أخذ المسلمون الشام منه .

فلما رأى هرقل ما أهمّ الروم من النهب³ والقتل والبلاء تضرّع إلى الله تعالى ودعاه ، فرأى في منامه رجلاً كثّ اللحية رفيع المجلس عليه بزة حسنة ، فدخل عليهما داخل فألقى ذلك الرجل عن مجلسه وقال هرقل : إنّي قد أسلمته

1) شهربراز . B .

1 شهربراز .

2 كدى .

3 ما همّ الروم فيه من النهب .

في يدك ؛ فاستيقظ^١ ، فلم يقصّ رؤياه ، فرأى في الليلة الثانية ذلك الرجل جالساً في مجلسه وقد دخل الرجل الثالث وبيده سلسلة ، فألقاها في عنق ذلك الرجل وسلمه إلى هرقل وقال : قد دفعت^٢ إليك كسرى برمته فاغزه فإنك مدال^٣ عليه وبالغ أمنيتك في أعدائك^٤ . فقصّ حينئذٍ هذه الرؤيا على عظماء الروم ، فأشاروا عليه أن يغزوه ، فاستعدّ هرقل واستخلف ابناً له على القسطنطينية وسلك غير الطريق الذي عليه شهربراز وسار حتى أوغل في بلاد أرمينية وقصد الجزيرة فنزل نصيبين ، فأرسل إليه كسرى جنداً وأمرهم بالمقام بالموصل ، وأرسل إلى شهربراز يستحثه على القدوم ليتضافرا على قتال هرقل .

وقيل في مسيره غير هذا ، وهو أن شهربراز سار إلى بلاد الروم فوطيء الشام حتى وصل إلى أذرعات ولقي جيوش الروم بها فهزمها وظفر بها وسبى وغنم وعظم شأنه .

ثم إن فرخان أخوا شهربراز شرب الخمر يوماً وقال : لقد رأيتُ في المنام كأنني جالس على سرير كسرى ، فبلغ الخبر كسرى فكتب إلى أخيه شهربراز يأمره بقتله ، فعاوده وأعلمه شجاعته ونكايته في العدو ، فعاد كسرى وكتب إليه بقتله ، فراجعه ، فكتب إليه الثالثة ، فلم يفعل ، فكتب كسرى بعزل شهربراز وولاية فرخان العسكر ، فأطاع شهربراز [فلما جلس على سرير الإمارة ألقى إليه القاصد بولايته كتاباً صغيراً من كسرى يأمره بقتل شهربراز] فعزم على قتله ، فقال له شهربراز : أمهلني حتى أكتب وصيتي ، فأمهله ، فأحضر درجاً وأخرج منه كتب كسرى الثلاثة وأطلعه عليها وقال : أنا راجعت

١) في أعرابك . S . 1)

١ فاستنقض .

٢ دفعت .

فيك ثلاث¹ مرّات ولم أقتلك ، وأنت تقتلني في مرّة واحدة ، فاعتذر أخوه إليه وأعادته إلى الإمارة واتّفقا على موافقة ملك الروم على كسرى ، فأرسل شهربراز إلى هرقل : إنّ لي إليك حاجة لا يبلغها البريد ولا تسعها الصحف ، فالقني في خمسين روميّاً ، فإنّي ألقاك في خمسين فارسيّاً . فأقبل قيصر في جيوشه جميعها ووضع عيونه تأتبه بنجر شهربراز ، وخاف أن يكون مكيدة ، فأتته عيونه فأخبروه أنّه في خمسين فارسيّاً ، فحضر عنده في مثلها واجتمعا وبينهما ترجمان فقال له : أنا وأخي خرّبتنا بلادك وفعلنا ما علمت وقد حسدنا كسرى وأراد قتلنا وقد خلعتنا ونحن نقاتل معك . ففرح هرقل بذلك واتّفقا عليه وقتلا الترجمان لثلاث يفتي سرهما ، وسار هرقل في جيشه إلى نصيبين .

وبلغ كسرى أبرويز الخبر وأرسل لمحاربة هرقل قائداً من قواده اسمه راهزار في اثني عشر ألفاً ، وأمره أن يقيم بنينوى من أرض الموصل على دجلة يمنع هرقل من أن يجوزها ، وأقام هو بدمسكرة الملك ، فأرسل راهزار العيون ، فأخبروه أنّ هرقل في سبعين ألف مقاتل ، فأرسل إلى كسرى يُعرّفه ذلك وأنّه يعجز عن قتال هذا الجمع الكثير ، فلم يعذره وأمره بقتاله ، فأطاع وعبى جنده ، وسار هرقل نحو جنود كسرى وقطع دجلة من غير الموضع الذي فيه راهزار ، فقصدته راهزار ولقيه ، فاقتلوا ، فقتل راهزار وستة آلاف من أصحابه وانهمز الباقون .

وبلغ الخبر أبرويز وهو بدمسكرة الملك ، فهدّه² ذلك وعاد إلى المدائن وتحصّن بها لعجزه عن محاربة هرقل ، وكتب إلى قواد الجند الذين انهزموا يتهدّدهم

1) B. خبت .

2) B. فهاله .

بالعقوبة فأوجههم إلى الخلاف عليه ، على ما نذكره إن شاء الله . وسار هرقل حتى قارب المدائن ثم عاد إلى بلاده .

وكان سبب عوده أن كسرى لما عجز عن هرقل أعمل الحيلة فكتب كتاباً إلى شهربراز يشكره ويثني عليه ويقول له : أحسنتَ في فعل ما أمرتك به من مواصلة ملك الروم وتمكينه من البلاد ، والآن فقد أوغل وأمكن من نفسه فتجيء أنت من خلفه وأنا من بين يديه ويكون اجتماعنا عليه يوم كذا فلا يفلت منهم أحد . ثم جعل الكتاب في عكاز ابنوس وأحضر راهباً [كان] في دير عند المدائن وقال له : لي إليك حاجة . فقال الراهب : الملك أكبر من أن يكون له إليّ حاجة ولكنني عبده . قال : إن الروم قد نزلوا قريباً منا وقد حفظوا الطرق عنا ، ولي إلى أصحابي الذين بالشام حاجة وأنت نصرانيّ إذا جُزت على الروم لا ينكرونك ، وقد كتبتُ كتاباً وهو في هذه العكازة فتوصله إلى شهربراز ، وأعطاه مائتي دينار . فأخذ الكتاب وفتحه وقرأه ثم أعاده وسار ، فلما صار بالعسكر ورأى الروم والرهبان والنواقيس رقّ قلبه وقال : أذا شرّ الناس إن أهلكتُ النصرانيّة ! فأقبل إلى سُرادق الملك وأنهى حاله وأوصل الكتاب إليه . فقرأه ثم أحضر أصحابه رجلاً قد أخذوه من طريق الشام قد واطأه كسرى ومعه كتاب قد افتعله على لسان شهربراز إلى كسرى يقول : إنني ما زلتُ أخادع ملك الروم حتى اطمأنّ إليّ وجاز إلى البلاد كما أمرتني فيعرفني الملك في أيّ يوم يكون لقاءه حتى أهجم أنا عليه من ورائه والملك من بين يديه فلا يسلم هو ولا أصحابه ، وأمره أن يتعمّد طريقاً يؤخذ فيها .

فلما قرأ ملك الروم الكتاب الثاني تحقّق الخبر فعاد شبه المنهزم مبادراً إلى

عليه .

بلاده ، ووصل خبر عودة ملك الروم إلى شهربراز فأراد أن يستدرك ما فرط منه فعارض الروم فقتل منهم قتلاً ذريعاً وكتب إلى كسرى : إنني عملتُ الحيلة على الروم حتى صاروا في العراق ، وأنفذ من رؤوسهم شيئاً كثيراً . وفي هذه الحادثة أنزل الله تعالى : ﴿ اَلَمْ غَلَبْتِ الرُّومَ فِي اَدْنَى الْاَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾¹ ؛ يعني بأدنى الأرض أذربيجات ، وهي أدنى أرض الروم إلى العرب ، وكانت الروم قد هُزمت بها في بعض حروبها ، وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، والمسلمون قد ساءهم ظفر الفرس أولاً بالروم لأن الروم أهل كتاب ، وفرح الكفار لأن المجوس أميون مثلهم ، فلما نزلت هذه الآيات راهن أبو بكر الصديق أبي بن خلف على أن الظفر يكون للروم إلى تسع سنين ، والرهن مائة بعير ، فغلبه أبو بكر ، ولم يكن الرهن ذلك الوقت حراماً ، فلما ظفرت الروم أتى الخبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يوم الحُدَيْبِيَّة .

1) Corani 30, vs. 1—3.

ذكر ما رأى كسرى من الآيات بسبب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك أن كسرى أبرويز سكر دجلة العوراء وأنفق عليها من الأموال ما لا يحصى كثرة ، وكان طاق مجلسه قد بُني بنياناً لم يُر مثله ، وكان عنده ثلاثمائة وستون رجلاً من الحزاة من بين كاهن وساحر ومنجم ، وكان فيهم رجل من العرب اسمه السائب ، بعث به باذان من اليمن ، وكان كسرى إذا أحزنه أمر جمعهم فقال : انظروا في هذا الأمر ما هو .

فلما بعث الله محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، أصبح كسرى وقد انقصر طاق ملكه من غير ثقل ، وانخرقت عليه دجلة العوراء ، [فلما رأى ذلك حزنه فقال : انقصر طاق ملكي من غير ثقل ، وانخرقت دجلة العوراء] « شاه يشكست » ، يقول : الملك انكسر . ثم دعا كهانه وسُحَّارَه ومنجميه ، وفيهم السائب ، فقال لهم : انظروا في هذا الأمر . فنظروا في أمره فأخذت عليهم أقطار السماء وأظلمت الأرض ، فلم يمض لهم ما راموه ، وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض ينظر ، فرأى برقاً من قبل الحجاز استطار فبلغ المشرق ، فلما أصبح رأى تحت قدميه روضة خضراء ، فقال فيما يعتاف : إن صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق ت نصب عليه الأرض كأفضل ما أنصبت على ملك .

فلما خلس الكهان والمنجمون والسُّحَّار بعضهم إلى بعض ورأوا ما أصابهم ، ورأى السائب ما رأى ، قال بعضهم لبعض : والله ما حيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر جاء من السماء ، وإنه لنبي بُعث أو هو مبعوث يسلب

هذا الملك ويكسره ، ولئن نعيم لكسرى ملكه ليقتلنكم ، فاتفقوا على أن يكتبوه الأمر وقالوا له : قد نظرنا فوجدنا أن وضع دجلة العوراء وطاق الملك قد وضع على النحوس ، فلما اختلف الليل والنهار وقعت النحوس مواقعها فزال كل ما وضع عليها ، وإننا نحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك فلا يزول ، فحسبوا وأمروه بالبناء ، فبنى دجلة العوراء في ثمانية أشهر فأنفق عليها أموالاً جليلة حتى إذا فرغ منها قال لهم : أجلس على سورها ؟ قالوا : نعم ، فجلس في أساورته ، فبينما هو هناك انتسفت دجلة البنيان من تحته فلم يخرج إلا بأخر رمق . فلما أخرجوه جمع كهانه وسُحَّارَه ومنجِّميه فقتل منهم قريباً من مائة وقال : قرَّبْتكم وأجريتُ عليكم الأرزاق ثم أنتم تلعبون بي ! فقالوا : أيها الملك أخطأنا كما أخطأ من قبلنا . ثم حسبوا له وبناه وفرغ منه وأمروه بالجلوس عليه ، فخاف فركب فرساً وسار على البناء ، فبينما هو يسير انتسفته دجلة فلم يُدرَك إلا بأخر رمق ، فدعاهم وقال : لأقتلنكم أجمعين أو لتصدقوني . فصدقوه الأمر ، فقال : ويحكم هلاً بينتم لي فأرى فيه رأيي ؟ قالوا : منعنا الخوف . فتركهم ولها عن دجلة حين غلبته ، وكان ذلك سبب البطائح ، ولم تكن قبل ذلك ، وكانت الأرض كلها عامرة .

فلما كانت سنة ست من الهجرة أرسل رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، فزادت الفرات والدجلة زيادة عظيمة لم يرَ قبلها ولا بعدها مثلها ، فانبثقت البثوق وانتسفت ما كان بناه كسرى ، واجتهد أن يسكرها فغلبه الماء ، كما بينا ، ومال إلى موضع البطائح فطما الماء على الزروع وغرق عدة طساسيج ، ثم دخلت العرب أرض الفرس وشغلتهم عن عملها بالحروب واتسع الحرق . فلما كان زمن الحجاج تفجرت بثوق

1) عبد الله بن فراقه S.

آخر فلم يسدّها مضارّة للدهاقين لأنّه اتهمهم بمالأة ابن الأشعث ، فعظم
الخطبُ فيها وعجز الناس عن عملها ، فبقيت على ذلك إلى الآن .

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : بعث اللهُ إلى كسرى ملكاً
وهو في بيت إيوانه الذي لا يُدخِل عليه فيه فلم يرعه إلاّ به قائماً على رأسه في
يده عصاً بالهاجرة في ساعته التي يقبل فيها ، فقال : يا كسرى أتسلم أو أكسر
هذه العصا ؟ فقال : بهيلُ بهيلُ ! وانصرف عنه ، فدعا بحراسه وحجّابه فتغيّظ
عليهم وقال : من أدخل هذا الرجل ؟ فقالوا : ما دخل علينا أحد ولا رأينا !
حتى إذا كان العام المقبل أتاه في تلك الساعة وقال له : أتسلم أو أكسر العصا ؟
فقال : بهل بهل ! وتغيّظ على حجّابه وحراسه . فلما كان العام الثالث أتاه
فقال : أتسلم أو أكسر العصا ؟ فقال : بهل بهل ! فكسر العصا ثمّ خرج .
فلم يكن إلاّ تهوّر ملكه وانبعث ابنه والفرس حتى قتلوه .

وقال الحسن البصريّ : قال أصحاب رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ،
[له] : يا رسول الله ما حجة الله على كعري فيك ؟ قال : بعث إليه
ملكاً فأخرج يده إليه من جدار بيته تلالاً نوراً ، فلما رآها فزع فقال له : لا
تُرعُ يا كسرى ! إنّ الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً فاتبعه تسلم دنياك
وآخرتك . قال : سأنظر .

ذكر وقعة ذي قار وسببه

ذكروا عن النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال لما بلغه ما كان من
ظفر ربيعة بجيش كسرى : هذا أول يوم انتصف^١ العرب [فيه] من العجم

١ انتصرت .

وبني نصرُوا . فحُفِظَ ذلك منه ، وكان يوم الواقعة .

قال هشام بن محمد : كان عديّ بن زيد التميمي وأخواه عمار ، وهو أبيّ ، وعمرو ، وهو سُمي ، يكونون مع الأكَاسرة ولهم إليهم انقطاع ، وكان المنذر ابن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عديّ بن زيد ، وكان له غير النعمان أحد عشر ولداً ، وكانوا يسمّون الأشاهب بلحماهم . فلما مات المنذر بن المنذر وخلف أولاده أراد كسرى بن هرمز أن يملك على العرب من يختاره ، فأحضر عديّ بن زيد وسأله عن أولاد المنذر ، فقال : هم رجال ، فأمره بإحضارهم . فكتب عديّ فأحضرهم وأنزلهم ، وكان يفضل إخوة النعمان عليه ويربهم أنه لا يرجو النعمان ويخلو بواحد واحد ويقول له : إذا سألك الملك أتكفوني العرب ؟ فقالوا : نكفيكهم إلاّ النعمان . وقال للنعمان : إذا سألك الملك عن إخوتك فقل له : إذا عجزتُ عن إخوتي فأنا عن غيرهم أعجز .

وكان من بني مرينا رجل يقال له عديّ بن أوس بن مرينا ، وكان داهياً شاعراً ، وكان يقول للأسود بن المنذر : قد عرفت أنّي أرجوك وعيني إليك ، وإنّي أريد أن تخالف عديّ بن زيد ، فإنه والله لا ينصح لك أبداً ! فلم يلتفت إلى قوله .

فلما أمر كسرى عديّ بن زيد أن يحضرهم ، أحضرهم رجلاً رجلاً وسأهم كسرى : أتكفوني العرب ؟ فقالوا : نعم إلاّ النعمان . فلما دخل عليه النعمان رأى رجلاً دميماً أحمر أبرش قصيراً فقال له : أتكفيني إخوتك والعرب ؟ قال : نعم ، وإن عجزتُ عن إخوتي فأنا عن غيرهم أعجز . فملكه وكساه وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم ، فقال عديّ [بن] مرينا للأسود : دونك فقد خالفت الرأي .

ثم صنع عديّ بن زيد طعاماً ودعا عديّ [بن] مرينا إليه وقال : إنّي عرفتُ

أنّ صاحبك الأسود كان أحبّ إليك أن يملك من صاحبي النعمان ، فلا تلمّني على شيء كنت على مثله ، وإني أحبّ أن لا تحقد عليّ وإنّ نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك ، وحلف لابن مريّنا أن لا يهجوّه ولا يبغيه غائلةً أبداً ، فقام ابن مريّنا وحلف أنّه لا يزال يهجوّه ويبغيه الغوائل . وسار النعمان حتى نزل الحيرة ، وقال ابن مريّنا للأسود : إذا فاتك الملك فلا تعجز أن تطلب بثأرك من عدّي فإنّ معدّاً لا ينام مكرهاً ، وأمرتك بمعصيته فخالفتني ، وأريد أن لا يأتيك من مالك شيء إلاّ عرضته عليّ . ففعل .

وكان ابن مريّنا كثير المال ، وكان لا يخلي النعمان يوماً من هديّة وطرفه ، فصار من أكرم الناس عليه ، وكان إذا ذكر عدّي بن زيد وصفه وقال : إلاّ أنّه فيه مكر وخديعة ، واستمال أصحاب النعمان ، فمالوا إليه ، وواضعهم على أن قالوا للنعمان : إن عدّي بن زيد يقول إنك عامله ، ولم يزالوا بالنعمان حتى أضغنوه عليه ، فأرسل إلى عدّي يستزيره ، فاستأذن عدّي كسرى في ذلك ، فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه ومنع من الدخول عليه ، فجعل عدّي يقول الشعر وهو في السجن ، وبلغ النعمان قوله فندم على حبسه إياه وخاف منه إذا أطلقه .

فكتب عدّي إلى أخيه أبيّ أبياناً يعلمه بحاله ، فلما قرأ أبيانته وكتابه كتم كسرى فيه ، فكتب إلى النعمان وأرسل رجلاً في إطلاق عدّي ، وتقدّم أخو عدّي إلى الرسول بالدخول إلى عدّي قبل النعمان ، ففعل ودخل على عدّي وأعلمه أنّه أرسل لإطلاقه ، فقال له عدّي : لا تخرج من عندي وأعطني الكتاب حتى أرسله ، فإنك إن خرجت من عندي قتلتني ، فلم يفعل ، ودخل أعداء عدّي على النعمان فأعلموه الحال وخوفوه من إطلاقه ، فأرسلهم إليه فخنقوه ثمّ دفنوه .

1) من ماني S.

وجاء الرسول فدخل على النعمان بالكتاب فقال : نعم وكرامة ، وبعث إليه بأربعة آلاف مثقال وجارية وقال : إذا أصبحت ادخل إليه فخذة . فلما أصبح الرسول غدا إلى السجن فلم يرَ عدياً ، وقال له الحرس : إنه مات منذ أيام . فرجع إلى النعمان وأخبره أنه رآه بالأمس ولم يره اليوم ، فقال : كذبت ! وزاده رشوة واستوثق منه أن لا يخبر كسرى ، إلا أنه مات قبل وصوله إلى النعمان . قال : وندم النعمان على قتله ، واجترأ أعداء عدي على النعمان وهابهم هيبه شديدة . فخرج النعمان في بعض صيده ، فرأى ابناً لعدي يقال له زيد فكلّمه وفرح به فرحاً شديداً واعتذر إليه من أمر أبيه وسيره إلى كسرى ووصفه له وطلب إليه أن يجعله مكان أبيه ، ففعل كسرى . وكان يلي ما يكتب إلى العرب خاصة . وسأله كسرى عن النعمان فأحسن الثناء عليه وأقام عند الملك سنوات بمنزلة أبيه . وكان يكثر الدخول على كسرى .

وكان للملك الأعاجم صفة للنساء مكتوبة عندهم ، وكانوا يبحثون في طلب من يكون على هذه الصفة من النساء ولا يقصدون العرب . فقال له زيد بن عدي : إنني أعرف عند عبدك النعمان من بناته وبنات عمته أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال : فتكتب فيهن . قال : أيها الملك إن شئ شيء في العرب وفي النعمان أنهم يتكرمون بأنفسهم عن العجم ، فأنا أكره أن تعنتهن ، وإن قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك ، فابعثني وابعث معي رجلاً يفقه العربية ، فبعث معه رجلاً جليداً ، فخرجا حتى بلغا الحيرة ودخلا على النعمان . قال له زيد : إن الملك احتاج إلى نساء لأهله وولده وأراد كرامتك فبعث إليك . قال : وما هؤلاء النسوة ؟ قال : هذه صفتهن قد جئنا بها .

وكانت الصفة أن المنذر أهدى [إلى] أنوشروان جارية أصابها عند الغارة على الحارث بن أبي شمير الغساني ، وكتب يصفها أنها معتدلة الخلق ، نقيّة اللون والثغر ، بيضاء ، وطفاء ، قمراء ، دعجاء ، حوراء ، عيناء ،

قنواء ، شماء ، شمراء ، زجاء ، برجاء ، أسيلة الحد ، شهية القدر ،
 جثيلة الشعر ، بعيدة مهوى القرط ، عيطاء ، عريضة الصدر ، كاعب
 الثدي ، ضخمة مشاشة المنكب والعضد ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ،
 سبطة البنان ، لطيفة طي البطن ، خمبصة الحصر ، غرثى الوشاح ،
 رذاح القبّل ، رابية الكفّل ، لفاء الفخذين ، ريبا الروادف ، ضخمة
 المنكبين ، عظيمة الركبة ، مفعمة الساق ، مشبعة الخلخال ، لطيفة الكعب
 والقدم ، قطوف المشي ، مكسال الضحى ، بضّة المتجرّد ، سموع للسيد² ،
 ليست بحلساء ولا سفعاء ، ذليلة الأنف ، عزيزة النفر³ ، لم تغذّ في
 بؤس ، حبيّة⁴ ، رزينة ، زكية ، كريمة الخال ، تقتصر بنسب أبيها دون
 فصيلتها ، وبفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمور في الأدب ،
 فرأبها رأي أهل الشرف ، وعملها عمل أهل الحاجة ، صنّاع الكفين ،
 قطيعة اللسان ، رهوة⁵ الصوت ، تزين البيت وتشين العدو ، إن أردتها
 اشتهدت ، وإن تركتها انتهت ، تحمق عيناها⁶ ، ويحمر خدّاها ، وتذبذب⁷
 شفتاها ، وتبادرك الوثبة ، [ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست] .

فقبلها كسرى وأمر بإثبات هذه الصفة ، فبقيت إلى أيام كسرى بن
 هرمز . فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان ، فشق ذلك عليه وقال لزيد ، والرسول

- 1) بحلو . B. 2) اليد . B. 3) الشعر . B. 4) حضية . B.

١ البقر .

٢ حنية .

٣ زهرة . (ورهوة الصوت : رقيقته) .

٤ هنيها .

٥ وتذبذب .

يسمع : أما في عين السواد وفارس أما تبلغون حاجتكم ! قال الرسول لزيد :
ما العين ؟ قال : البقر .

وأنزلهما يومين وكتب إلى كسرى : إن الذي طلب الملك ليس عندي .
وقال لزيد : اعذرني عنده .

فلما عاد إلى كسرى قال لزيد : أين ما كنت أخبرني [به] ؟ قال :
قد قلت للملك وعرفته بخلهم بنسائهم على غيرهم وأن ذلك لشقائهم وسوء
اختيارهم ، وسأله هذا الرسول عن الذي قال ، فإني أكرم الملك عن ذلك .
فسأل الرسول ، فقال : إنه قال : أما في بقر السواد [وفارس] ما يكفيه
حتى يطلب ما عندنا ؟ فعرف الغضب في وجهه ووقع في قلبه وقال : ربّ
عبدٍ قد أراد ما هو أشدّ من هذا فصار أمره إلى التّباب .

وبلغ هذا الكلام النعمان ، وسكت كسرى على ذلك شهراً والنعمان
يستعدّ ، حتى أتاه كتاب كسرى يستدعيه . فحين وصل الكتاب أخذ سلاحه
وما قوي عليه ثمّ لحق بجبلتيّ طيء ، وكان متروّجاً إليهم ، وطلب منهم أن
يمنعوه . فأبوا عليه خوفاً من كسرى ، فأقبل وليس أحد من العرب يقبله حتى
نزل في ذي قار في بني شيبان سرّاً ، فلقى هانيء بن مسعود بن عامر بن عمرو
الشياني وكان سيّداً منيعاً ، والبيت من ربيعة في آل ذي الجديّين لقيس بن
مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجديّين ، وكان كسرى قد أطعمه الأبلّة ،
فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك ، وعلم أن هانثاً [يمنعه مما] يمنع
منه [أهله ، فأودعه] أهله وماله ، وفيه أربعمئة درع ، وقيل ثمانمئة
درع .

وتوجّه النعمان إلى كسرى فلقى زيد بن عديّ على قنطرة ساباط ،

.....
1) استهزاء . B .

فقال : انجُ نَعَيْم . فقال : أنت يا زيد فعلتَ هذا ! أما والله لئن انفلتُ لأفعلنَّ بك ما فعلتُ بأبيك . فقال [له] زيد : امضِ نَعَيْم فقد والله وضعتُ لك [عنده] أختة لا يقطعها المهر الأرن^١ .

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيده وبعث به إلى خانقين حتى وقع الطاعون فمات فيه ، قال : والناس يظنون أنه مات بسباط بيت الأعشى وهو يقول :

فذاك وما أنجى من الموتِ رَبُّهُ^٢ بسباط حتى مات وهو مُحَرَّرُوق^٣

وكان موته قبل الإسلام .

فلما مات استعمل كسرى إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان ، وكان كسرى اجتاز به لما سار إلى ملك الروم فأهدى له هدية ، فشكر ذلك له وأرسل إليه ، فبعث كسرى بأن يجمع ما خلفه النعمان ويرسله إليه ، فبعث إياس إلى هانيء بن مسعود الشيباني بأمره بإرسال ما استودعه النعمان ، فأبى هانيء أن يسلم ما عنده . فلما أبى هانيء غضب كسرى ، وعنده النعمان بن زُرعة التغلبي ، وهو يحب هلاك بكر بن وائل ، فقال لكسرى : أمهلهم حتى يقيظوا ويتساقطوا على ذي قار تساقط الفراش في النار فتأخذهم كيف شئت . فصبر كسرى حتى جاؤوا حينئذ ذي قار^٣ ، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زُرعة يخبرهم واحدة من ثلاث : إما أن يعطوا بأيديهم ، وإما أن يتركوا ديارهم ، وإما أن يحاربوا . فولتوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة العجلي ، فأشار بالحرب ، فأذنوا الملك بالحرب ، فأرسل كسرى إياس بن قبيصة الطائي

١ الإرن . (والأرن : الشيط) .

٢ (محرزق : أي محبوس) .

٣ حتى جاؤوا جنود ذي قار .

أمير الجيش ومعه مرازبة الفرس والهامرز النسوي¹ وغيره من العرب تغلب وإياد وقيس بن مسعود بن قيس بن ذي الجدين ، وكان على طف سَفَوَان ، فأرسل الفيول ، وكان قد بُعث النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقسم هانيء ابن مسعود دروع النعمان وسلاحه .

فلما دنت الفرس من بني شيان قال هانيء بن مسعود : يا معشر بكر ، إنه لا طاقة لكم في قتال كسرى فاركبوا إلى الفلاة . فسارع الناس إلى ذلك ، فوثب حنظلة بن ثعلبة العجلي وقال : يا هانيء أردت نجاءنا فألقيتنا في الهلكة ، وردت الناس وقطع وُضُن الهوارج ، وهي الحُزْم للرحال ، فسمي مقطع الوُضُن ، وضرب على نفسه قبة ، وأقسم أن لا يفر حتى تفر القبة ، فرجع الناس واستقوا ماء لنصف شهر . فأتتهم العجم فقاتلتهم بالحنوا ، فانهزمت العجم خوفاً من العطش إلى الجبابات² ، فبعثتهم بكر وعجل وأبلى يومئذ بلاء حسناً ، واضطمت عليهم جنود العجم ، فقال الناس : هلكت عجل ، ثم حملت بكر فوجدت عجلاً تقابل وامرأة منهم تقول :

إن يظفروا يحرزوا فينا الغرل³ إليها فداء لكم بني عجيل

فقاتلوهم ذلك اليوم ، ومالت العجم إلى بطحاء ذي قار خوفاً من العطش ، فأرسلت إياد إلى بكر ، وكانوا مع الفرس ، وقالوا لهم : إن شتم هربنا الليلة وإن شتم أقمنا ونفر حين تلاقون الناس . فقالوا : بل تقيمون وتنهزمون إذا التينا . وقال زيد بن حسان السكوني ، وكان حليفاً لبني شيان : أطيعوني

1) التستري S .

2) الحمامات .

1) بالحنود .

2) اصطفت . (واضطمت : انطوت واشتملت) .

واكنوا لهم ، ففعلوا ثمّ تقاتلوا وحرّض بعضهم بعضاً ، وقالت ابنة القرين
الشيانية :

ويها بني شيان صفّاً بعد صفّ إن تُهزّموا يُصبّغوا فينا القلّف

فقطع سبعمائة من بني شيان أيدي أقيبتهم من مناكبهم لتخفّ أيديهم
لضرب السيوف ، فجالدوهم وبارز الهامرز ، فبرز إليه بُردُ بن حارثة اليشكريّ
فقتله بُردُ ، ثمّ حملت ميسرة بكر وميمتها ، خرج الكمين فشدّوا على قلب
الجيش وفيهم إياس بن قبيصة الطائيّ ، وولّت إباد منهزمة كما وعدتهم ،
فانهزمت الفرس واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت إلى سلب¹ وغنيمة . وقال
الشعراء في وقعة ذي قار فأكثروا .

ع

1) سبي .

ذكر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند

قد ذكرنا من ملك من آل نصر بن ربيعة إلى هلاك عمرو بن هند .
فلما هلك عمرو ملك موضعه أخوه قابوس بن المنذر أربع سنين ، من ذلك
أيام أنوشروان ثمانية أشهر ، وفي أيام هرمز ثلاث سنين وأربعة أشهر ،
ثم ولي بعد قابوس السهري ، ثم ملك بعده المنذر بن النعمان أربع سنين ،
ثم ولي بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك في
زمان هرمز سبع سنين وثمانية أشهر ، وفي زمان ابنه أبرويز أربع عشرة سنة
وأربعة أشهر ، ثم ولي إياس بن قبيصة الطائي¹ ومعه النخيرهان¹ في زمان
كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة ، ولثمانية أشهر من ولاية إياس بُعث النبي² ،
صلى الله عليه وسلم ، ثم ولي ازادبه بن مابيان² الهمداني سبع عشرة سنة ،
من ذلك في زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمان
شبرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردشير بن شبرويه سنة وسبعة أشهر ،
وفي زمن بوران دخت ابنة كسرى شهراً .

ثم ولي المنذر بن النعمان بن المنذر ، وهو الذي يسميه العرب المغرور الذي
قُتل بالبحرين يوم جوثاء . وكانت ولايته إلى أن قدم عليه خالد بن الوليد
الحيرة ثمانية أشهر ، وكان آخر من بقي من آل نصر وانقرض ملكهم مع
انقراض ملك فارس ؛ فجميع ملوك آل نصر فيما زعم هشام عشرون ملكاً ،
ملكوا خمسمائة سنة واثنين وعشرين سنة وثمانية أشهر .

1) A. النخيرهان ; B. المعرجان . 2) A. ناسات ; B. ساسان .

ذكر المروزان وولايته اليمن من قبل هرمز

قال هشام : استعمل كسرى هرمز المروزان بعد عزل زرین¹ عن اليمن ، وأقام باليمن حتى ولد له فيها ، ثم إن أهل جبل يقال له المضايح منعوه الخراج ، فقصدهم فرأى جبلهم لا يقدر عليه لخصائته وله طريق واحد يحميه رجل واحد ، وكان يحاذي ذلك الجبل جبل آخر ، وقد قارب هذا الجبل ، فأجرى فرسه فعبر به ذلك المضيق ، فلما رآته حيمير قالوا : هذا شيطان ! وملك حصنهم وأدوا الخراج ، وأرسل إلى كسرى يعلمه ، فاستدعاه إليه فاستخلف ابنه خرخرسره على اليمن وسار إليه فمات في الطريق ، وعزل كسرى خرخرسره عن اليمن وولّى باذان ، وهو آخر من قدم اليمن من ولاية العجم .

،

ذكر قتل كسرى أبرويز

كان كسرى قد طغى لكثرة ماله وما فتحه من بلاد العدو ومساعدة الأقدار وشتره على² أموال الناس ، ففسدت قلوبهم ، وقيل : كانت له اثنا عشر ألف امرأة ، وقيل ثلاثة آلاف امرأة ، يطؤون ، وألوف جوار ، وكان له خمسون ألف دابة ، وكان أرغب الناس في الجواهر والأواني وغير ذلك ، وقيل : إنه أمر أن يحصى ما جُبي من خراج بلاده في سنة ثمان عشرة من ملكه ، فكان من الورق مائة ألف ألف مثقال وعشرون ألف ألف مثقال ، وإنه احتقر

1) رين A.

2) إل S.

الناس وأمر رجلاً اسمه زاذان بقتل كل مقيّد في سجونّه ، فبلغوا ستّة وثلاثين ألفاً ، فلم يقدم زاذان على قتلهم ، فصاروا أعداء له ، وكان أمر بقتل المنهزمين من الروم فصاروا أيضاً أعداء له ، واستعمل رجلاً على استخلاص بواقي الخراج ، ففسد الناس وظلمهم ، ففسدت نيّاتهم ، ومضى ناس من العظماء إلى بابل ، فأحضروا ولده شيرويه بن أبرويز ، فإن كسرى كان قد ترك أولاده بها ومنعهم من التصرف وجعل عندهم من يؤدّبهم ، فوصل إلى بهرّسير فدخلها ليلاً فأخرج من كان في سجونها ، واجتمع إليه أيضاً الذين كان كسرى أمر بقتلهم ، فنادوا قباذ شاهنشاه وساروا حين أصبحوا إلى رحبة كسرى ، فهرب حرسه ، وخرج كسرى إلى بستان قريب من قصره هارباً فأخذ أسيراً ، وملكوا ابنه ، فأرسل إلى أبيه يقرّعه بما كان منه ، ثمّ قتله الفرس وساعدهم ابنه ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة .

ولمضي اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً هاجر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من مكّة إلى المدينة .

قيل : وكان لكسرى أبرويز ثمانية عشر ولداً ، وكان أكبرهم شهريار ، وكانت شيرين قد تبنته ، فقال المنجمون لكسرى : إنه سيولد لبعض ولدك غلام يكون خراب هذا المجلس وذهاب ذلك على يديه ، وعلامته نقص في بعض بدنه ، فمنع ولده عن النساء لذلك حتى شكّا شهريار إلى شيرين الشبق ، فأرسلت إليه جارية كانت تحجمها ، وكانت تظنّ أنّها لا تلد ، فلما وطئها علقت بيزدجرد فكتمته خمس سنين ، ثمّ إنّها رأت من كسرى رقّة للصبيان حين كبر فقالت : أيسرك أن ترى لبعض بنيك ولداً ؟ قال : نعم ، فأنته بيزدجرد ، فأحبّه وقرّبه ، فبينما هو يلعب ذات يوم ذكر ما قيل ، فأمر به ، فجردّ من ثيابه ، فرأى النقص في أحد وركبته فأراد قتله ، فمنعته شيرين وقالت : إن كان الأمر في الملك قد حضر فلا مردّ له ، فأمرت به فحمل إلى

سجستان ، وقيل : بل تركته في السواد في قرية يقال لها خمانية . ولما قُتل
كسرى أبرويز بن هرمز ملك ابنه شيرويه .

ذكر ملك كسرى شيرويه بن أبرويز ابن هُرْمُزُ بن أنوشِروان

لما ملك شيرويه بن أبرويز وأمه مريم ابنة مَورِيق ملك الروم واسمه قُبَادُ ،
دخل عليه العظماء والأشراف فقالوا : لا يستقيم أن يكون لنا ملكان ، فإمّا
أن تقتل كسرى ونحن عبيدك ، وإمّا أن نخلعك ونطيعه .

فانكسر شيرويه ونقل أباه من دار الملك إلى موضع آخر حبسه فيه ، ثمّ
جمع العظماء وقال : قد رأينا الإرسال إلى كسرى بما كان من إساءته ونوقفه
على أشياء منها . فأرسل إليه رجلاً يقال له استاذ خشنش كان يلي تدبير المملكة ،
وقال له : قل لأبينا الملك عن رسالتنا : إنّ سوء أعمالك فعل بك ما ترى ،
منها جرأتك على أبيك وسملك عينيه وقتلك إيتاه ، ومنها سوء صنيعك إلينا
معشر أبنائك في منعنا من مجالسة الناس وكلّ ما لنا فيه دعة ، ومنها إساءتك
إلى منّ خلّدت في السجون ، ومنها إساءتك إلى النساء تأخذهنّ لنفسك وتركك
العطف عليهنّ ومنعهنّ ممّن يعاشرهنّ ويُرزقنّ منه الولد ، ومنها ما أتيت
إلى رعيتك عامّة من العنف والغلظة والفظاظة ، ومنها جمع الأموال في شدّة
وعنف من أربابها ، ومنها تجميرك الجنود في ثغور الروم وغيرها وتفريقك
بينهم وبين أهليهم ، ومنها غدرك بموريق ملك الروم مع إحسانه إليك وحسن
بلائه عندك وتزويجه إيتاك بابنته ، ومنعك إيتاه خشبة الصليب التي لم يكن بك
ولا بأهل بلادك إليها حاجة ، فإن كان لك حجة تذكرها فافعل ، وإن لم يكن

لك حجة فُتِبَ إلى الله تعالى حتى يأمر فيك بأمره .

قال : فجاء الرسول إلى كسرى أبرويز فأدّى إليه الرسالة ، فقال أبرويز :
قلّ عني لشيرويه القصير العمر لا ينبغي لأحد أن يتوب من أجل الصغير من
الذنب إلاّ بعد أن يتيقنه فضلاً عن عظيمه^١ ما ذكرت وكثرت منا ، ولو كنا
كما تقول لم يكن لك أيها الجاهل أن تنشر عنا مثل هذا العظيم الذي يوجب علينا
القتل لما يلزمك في ذلك من العيوب ، فإن قضاة^١ أهل ملتك ينفون ولد
المستوجب للقتل من أبيه وينفونه من مضامة أهل الأخيار ومجالستهم فضلاً عن
أن يملك ، مع أنه قد بلغ منا بحمد الله من إصلاحنا أنفسنا وأبناءنا ورعيّتنا
ما ليس في شيء منه تقصير ، ونحن نشرح الحال فيما لزمنا من الذنوب لترداد
علماً بجهلك . فمن جوابنا : أن الأشرار أغروا كسرى هرمز والدنا بنا حتى
اتهمنا فرأينا من سوء رأيه فينا ما نخوفنا منه فاعتزلنا بابه إلى أذربيجان ، وقد
استفاض ذلك ، فلما انتُهِك منه ما انتُهِك شخصنا إلى بابه فهجم المنافق بهرام
علينا فأجلانا عن المملكة ، فسرنا إلى الروم وعُدّنا إلى ملكنا واستحکم أمرنا
فبدأنا بأخذ الثأر ممن قتل أبانا أو شرك في دمه .

وأما ما ذكرت من أمر أبنائنا^٢ فإننا وكلنا بكم من يكفكم عن الانتشار
فيما لا يعينكم فتأذّي بكم الرعيّة والبلاد ، وكنا أقمنا لكم النفقات الواسعة
وجميع ما تحتاجون إليه ، وأما أنت خاصة فإنّ المنجمين قضوا في مولدك
أنك مرتب^٢ علينا ، وأن يكون ذلك بسبيك ، وإنّ ملك الهند كتب إليك

1) مضامة . B . 2) شرّ . B .

١ عظيمها .
٢ الغراء بأبنائنا .

كتاباً وأهدى لك هدية ، فقرأنا الكتاب فإذا هو يبشرك بالملك بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكنا ، وقد ختمنا على الكتاب وعلى مولدك وهما عند شيرين ، فإن أحببت أن تقرأهما فافعل ، فلم يمنعنا ذلك عن برك والإحسان إليك فضلاً عن قتلك .

وأما ما ذكرت عمّن خلدناه في السجون ، فجوابنا : إننا لم نجس إلا من وجب عليه القتل أو قطع بعض الأطراف ، وقد كان الموكلون بهم والوزراء يأمرونا بقتل من وجب قتله قبل أن يمتثلوا لأنفسهم ، فكنا نجبتنا الاستبقاء وكرهتنا لسفك الدماء نتأني بهم ونكل أمرهم إلى الله تعالى ، فإن أخرجتهم من محبتهم عصيت ربك ، ولتجدن غب ذلك .

وأما قولك : إننا جمعنا الأموال ، وأنواع الجواهر والأمتعة بأعنف جمع وأشدّ إلحاح ، فاعلم أيها الجاهل أنه إنما يقيم الملك بعد الله تعالى الأموال والجنود ، وخاصة ملك فارس الذي قد اكتنفه الأعداء ولا يقدر على كفتهم وردعهم عما يريدونه إلا بالجنود والأسلحة والعدد ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالمال ، وقد كان أسلافنا جمعوا الأموال والسلاح وغير ذلك فأغار المناق بهرام ومن معه على ذلك إلا اليسير ، فلما ارتجعنا ملكنا وأذعن لنا الرعية بالطاعة أرسلنا إلى نواحي بلادنا أصبهذين وقامروسانين² فكفّوا الأعداء وأغاروا على بلادهم ، ووصل إلينا غنائم بلادهم من أصناف الأموال والأمتعة ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وقد بلغنا أنك هممت بتفريق هذه الأموال على رأي الأشرار المستوجبين للقتل ، ونحن نعلمك أن هذه الأموال لم تجتمع إلا بعد الكد والتعب والمخاطرة بالنفوس ، فلا تفعل ذلك فإنها كهف ملكك وبلادك وقوة على عدوك .

1) Om. B.

2) وفادوسانين S.

فلما انصرف أستاذ خشنش¹ إلى شيرويه قصّ عليه جواب أبيه ، ثمّ إنّ
عظماء الفرس عادوا إلى شيرويه فقالوا : إمتا أن تأمر بقتل أبيك وإمتا أن نطيعه
ونخلعك ، فأمر بقتله على كره منه وانتدب لقتله رجالاً ممّن وترهم كسرى
أبرويز ، وكان الذي باشر قتله شابّ يقال له مهرهز بن مردانشاه من ناحية
نيمروز .

فلما قُتل شقّ شيرويه ثيابه وبكى ولطم وجهه وحملت جنازته وتبعها
العظماء وأشراف الناس ، فلما دُفن أمر شيرويه بقتل مهرهز قاتل أبيه .
وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة .

ثمّ إنّ شيرويه قتل إخوته ، فهلك منهم سبعة عشر أخاً ذوّ شجاعة
وأدب ، بمشورة وزيره فيروز .

وابتلي شيرويه بالأمراض . ولم يلتذّ بشيء من الدنيا ، وكان هلاكه بدسكرة
الملك ، وجزع بعد قتل إخوته جزعاً شديداً ، ويقال : إنه لما كان اليوم الثاني
من قتل إخوته دخلت عليه بوران وازرميدخت أختاه فأغارتا له وقالتا : حملك
الحرص على الملك الذي لا يتمّ لك على قتل أبيك وإخوتك . فلما سمع ذلك
بكى بكاء شديداً ورمى التاج عن رأسه ولم يزل مهموماً مدنفاً . ويقال : إنه
أباد من قدر عليه من أهل بيته . وفشا الطاعون في أيامه فهلك من الفرس أكثرهم ،
ثمّ هلك هو . وكان ملكه ثمانية أشهر .

1) اسار حسن B .

ذكر ملك أردشير

وكان عمره سبع سنين .

فلما توفي شيرويه ملك الفرس عليهم ابنة أردشير وحضنه رجل يقال له بهادر جنس ، مرتبه رئاسة أصحاب المائدة ، فأحسن سياسة الملك ، فبلغ من إحكامه ذلك ما لم يُحَسَّ معه بجدائة سن أردشير . وكان شهربراز بشغر الروم في جند ضمتهم إليه كسرى أبرويز ، وكان قد صلح له بعده ما فعل بالروم مما ذكرناه ، وكان ينفذ له الخلع والهدايا ، وكان أبرويز وشيرويه يكاتبانه ويستشيرانه ، فلما لم يشاوره عظماء الفرس في تملك أردشير اتخذ ذلك ذريعة إلى التعت¹ وبسط يده في القتل وجعله سبباً للطمع في الملك احتقاراً لأردشير لصغر سنه ، فأقبل بجنده نحو المدائن ، فتحول أردشير وبهادر جنس ومن بقي من نسل الملك إلى مدينة طيسفون² ، فحاصروهم شهربراز ونصب عليهم المجانيق فلم يظفر بشيء ، فأتاها من قبل المكيدة ، فلم يزل يخدع رئيس الحرس وأصيبه نيمروذ² حتى فتحا له باب المدينة فدخلها وقتل جماعة من الرؤساء وأخذ أموالهم وقتل بعض أصحابه أردشير في إيوان خسروشاہ قباذ بأمر شهربراز .

وكان ملكه سنة وستة أشهر .

1) طيسور . Codd .

2) اصهبدين . B .

ذكر ملك شهربراز

ولم يكن من بيت الملك .

لما قُتل أردشير جلس شهربراز ، واسمه فرخان ، على تخت المملكة ، فحين جلس عليه ضرب عليه بطنه فاشتد ذلك . ثم عوفي .

وتعاهد ثلاثة إخوة من أهل إصطخر على قتله غضباً لقتل أردشير ، وكانوا في حرسه ، وكان الحرس يقفون سماطين إذا ركب الملك عليهم السلاح وبأيديهم السيوف والرماح ، فإذا حاذى الملك بعضهم وضع جبهته على ترسه فوق الترس كهيئة السجود . فركب شهربراز يوماً فوق الإخوة الثلاثة بعضهم قريب من بعض ، فلما حاذاهم طعنوه فسقط ميتاً ، فشدوا في رجله حبلاً وجروه ، وساعدهم بعض العظماء وتساعدوا على قتل جماعة قتلوا أردشير ، وكان جميع ملكه أربعين يوماً .

ذكر ملك بوران ابنة أبرويز بن هرمز بن أنوشروان

لما قُتل شهربراز ملكت الفرس بوران لأنهم لم يجدوا من بيت المملكة رجلاً يملكونه . فلما ملكت أحسنت السيرة في رعيّتها وعدلت فيهم فأصلحت القناطر ووضعت ما بقي من الحراج وردت خشبة الصليب على ملك الروم ، وكانت مملكتها سنة وأربعة أشهر ، ثم ملك بعدها رجل يقال له خشنشينده من بني عم أبرويز الأبعدين ، وكان ملكه أقل من شهر ، وقتله الجند لأنهم أنكروا سيرته .

ذکر ملک آرمیدخت ابنة ابرویز

لما قُتل خشنشبنده ملكت الفرس آرمیدخت ابنة ابرویز ، وكانت من أجمل النساء، وكان عظیم الفرس يومئذٍ فرخه رمزُ أصبح خراسان، فأرسل إليها یختطبها ، فقالت : إنّ التزوج للملكة غیر جائز وغرضك قضاء حاجتك مني فصرّ إليّ وقت كذا . ففعل وسار إليها تلك الليلة ، فتقدّمت إلى صاحب حرسها أن یقتله ، فقتله وطرح في رحبة دار الملكة ، فلما أصبحوا رأوه قتيلاً فغیبوه . وكان ابنه رسم ، وهو الذي قاتل المسلمين بالقادسية ، خليفة أبيه بخراسان ، فسار في عسكر حتى نزل بالمداين وسمل عينيّ آرمیدخت وقتلها ، وقيل : بل سُمّت . وكان ملكها ستة أشهر . قيل : ثمّ أتى رجل یقال له كسرى بن مهرجنس من عقب أردشير بن بابك كان يتزل الأهواز ، فملكه العظماء ولبس التاج وقتل بعد أيام ، وقيل : إنّ الذي ملك بعد آرمیدخت خرزاد خسرو من ولد ابرویز وأمه كردية أخت بسطام ، قيل : وجد بحصن الحجارة بقرب نصيبين ، فمكث أياماً بسيرة ثمّ خلعوه وقتلوه . وكان ملكه ستة أشهر .

وقال الذين قالوا ملك كسرى بن مهرجنس : إنّه لما قُتل طلب عظماء الفرس منّ له نسب بيت الملكة ولو من النساء ، فأتوا برجل كان یسكن ميسان یقال له فیروز بن مهران جنس ، ویسمی أيضاً جنسنده ، أمه صهار بنت ابنة یزدان بن أنوشروان فملكوه ، وكان ضخم الرأس . فلما توجّ قال : ما أضيق هذا التاج ! فتطبروا من كلامه فقتلوه في الحال ، وقيل : كان قتله بعد أيام .

ذكر أيام العرب في الجاهلية¹

لم يذكر أبو جعفر من أيامها غير يوم ذي قار وجذيمة الأبرش والزبَاء
وطسم وجديس ، وما ذكر ذلك إلا حيث أنهم ملوك ، فأغفل ما سوى
ذلك . ونحن نذكر الأيام المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع
كثير وقتال شديد ، ولم أعرج على ذكر غارات تشتمل على النفر اليسير لأنه
يكثُر ويخرج عن الحصر ، فنقول ، وبالله التوفيق :

ذكر حرب زهير بن جناب الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين

كان زُهَيْرُ بن جنَاب بن هُبَل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عَوْف
ابن عُدْرَةَ الكلبي أحد من اجتمعت عليه قُضَاعَةٌ ، وكان بُدْعَى الكاهن
لصحّة رأيه ، وعاش مائتين وخمسين سنة ، أوقع فيها مائتي وقعة ؛ وقيل :

1) Hinc codicem conferre mihi licuit præstantissimum, cujus usum clarissimus professor Schefer, princeps imperatoris Francogalliae interpretum, mihi liberaliter concessit=S. Quod vehementer gaudeo. Nam in Cod. C. P. tota hæc sectio desideratur, quæ versibus, nullo commentario instructis, plena, non sine meliorum codicum ope rite sanari potuisset. Quod autem in textu restituendo, aliis et FLFISCHERO clarissimo inprimis debeo, in præfamine diligentius exponam.

عاش أربعمائة وخمسين سنة ، وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقيبة .

وكان سبب غزاته غطفان أن بني بغيض بن ريث¹ بن غطفان حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم ، فتعرضت لهم صداء ، وهي قبيلة من مذحج ، فقاتلوهم ، وبنو بغيض سائرون بأهلهم وأموالهم ، فقاتلوهم عن حریمهم فظهروا على صداء وفتكوا فيهم ، فعزت بغيض بذلك وأثرت وكثرت أموالها . فلما رأوا ذلك قالوا : والله لتتخذن حرماً مثل مكة لا يقتل صيده ولا يُهاج عائده ، فبنوا حرماً ووليه بنو مرة² بن عوف ، فلما بلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب قال : والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حي ، ولا أخلي غطفان تتخذ حرماً أبداً . فنادى في قومه فاجتمعوا إليه ، فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنهم وقال : إن أعظم مآثرة يدخرها هو وقومه أن يمنعهم من ذلك ، فأجابوه ، فغزا بهم غطفان وقاتلهم أبرح قتالاً وأشدّه³ ، وظفر بهم زهير وأصاب حاجته منهم وأخذ فارساً منهم في حریمهم فقتله وعطل ذلك الحرم . ثم من⁴ على غطفان ورد النساء وأخذ الأموال : وقال زهير في ذلك :

فلم تصبر لنا غطفان لما
فلا فضل منا ما رجعت
فدونكم ديوناً فاطلبوها
فإننا حيث لا يتخفى عليكم
فقد أضحي لحي بني جناب
تلاقينا وأحرزت النساء
إلى عذراء شيمتها الحياء
وأوتاراً⁵ ودونكم اللقاء
ليوث حين يحتضر اللواء
فضاء الأرض والماء الرواء⁶

1) Cod. nobil. H. Rawlinsonii = R. نقيض بن ريب .

2) R. . 3) R. شديد . 4) Om. R. 5) Cod. Berolinensis = B. أوتاراً .

6) Cod. Musci Brit. = A. الرقاء .

نَفِينَا نَحْوَةَ الأَعْدَاءِ عَنَّا بِأرْمَاحِ أَسْنَتِهَا ظِلْمَاءُ ١
 ولولا صَبْرُنَا يومَ التَّيْنِ لَقِينَا مِثْلَ مَا لَقِيَتِ صُدَّاءُ
 غَدَاةَ تَصْرَعُوا ٢ لَبْنِي بَغِيضٍ وَصِدْقُ الطَّعْنِ لِلنُّوْكَى سِفَاءُ

وأما حربه مع بكر وتغلب ابني وائل فكان سببها أن أبرهة حين طلع إلى نجد أتاه زهير ، فأكرمه وفضله على من أتاه من العرب ، ثم أمره على بكر وتغلب ابني وائل ، فوليهما حتى أصابتهما سنة فاشتد عليهما ما يطلب منهما من الحجاج ، فأقام بهم زهير في الحرب ومنعهما من النجعة حتى يؤدوا ما عليهما ، فكادت مواشيهم تهلك . فلما رأى ذلك ابن زبيابة ٣ أحد بني تميم الله بن ثعلبة ، وكان فاتكاً ، أتى زهيراً وهو نائم ، فاعتمد التيمي بالسيف على بطن زهير فمرّ فيها حتى خرج من ظهره مارقاً بين الصفاق ، وسلمت أمعاؤه وما في بطنه ، وظن التيمي أنه قد قتله ، وعلم زهير أنه قد سلم فلم يتحرك ٤ لئلا يُجهز عليه ، فسكت . فانصرف التيمي إلى قومه فأعلمهم أنه قتل زهيراً ، فسرحهم ذلك ،

ولم يكن مع زهير إلا نفر من قومه ، فأمرهم أن يُظهروا أنه ميت وأن يستأذنوا بكرأ وتغلب في دفنه فإذا أذنوا دفنوا ثياباً ملفوفة وساروا به مجدّين إلى قومهم ، ففعلوا ذلك . فأذنت لهم بكر وتغلب في دفنه ، فحضرُوا وعمّقوا ودفنوا ثياباً ملفوفة لم يشك من رآها أن فيها ميتاً ، ثم ساروا مجدّين إلى قومهم ، فجمع لهم زهير الجموع ، وبلغهم الخبر ، فقال بن زبيابة ٥ :

طَعْنَةُ مَا طَعْنَتْ فِي غَلَسِ اللِّبْلِ لَ زَهْرِيّاً وَقَدْ تَوَافَى الخِصُومُ
 حين يحمي ٥ له المواسم بكرأ أين بكرأ وأين منها الخُلوْمُ

1) R. c. artic.

2) تصرعوا R.

3) رباة R. ; دباة B.

4) R. h, l. رباة .

5) يحى S.

خاني السيف إذ طعت زهيراً وهو سيف مقلل مشؤوم¹

وجمع زهير من قلد² عليه من أهل اليمن، وغزاه يكرأ وتظب، وكتفوا علموا³ به، قاتلهم قتلاً شديداً انهزمت [به] يكر، وقاتلت تظب يطلعا قاتلهم أيضاً، وأسر كليب ومهتهيل ابنا ربيعة وأخذت الأموال وكثرت القتل في بني تظب وأسر جماعة⁴ من فرسانهم ووجوههم، فقال زهير في ذلك من قصيدة:

أين أين الهرار من حذر اللو
إذ أسرنا مهتهيلاً وأخذاه
وسينا من تظب كل بيضا
حين تدعو مهتهيلاً بال يكر
وعكم وعكم أبيع حماكم
وهم هاربون في كل فج
واستلوت رحي الثايا عليهم
فهم بين هارب ليس يألوه
ففضل العز عزنا حين نسمو
ت إذا يتقون بالأسلاب
والبن عمرو في القيد⁴ وابن شهاب
رعود الصحن يروود الرضاب
ها أهلي حفيظة الأحباب
يا بني تظب أفا ابن رضاب⁵
كثريد التظم فوق الروابي
يلبوث من علم وجتاب
وقيل مقبر في التراب
مثل فصل السماء⁷ فوق السحاب

وأما حربه مع بني القين بن جسر فكان سبيها أن أتحا لزهير كانت متروجة فيهم. فجاء رسولاً إلى زهير ومعه صرة فيها رمل⁸ وصرة فيها شوك قناد، قال زهير: إنها تخبركم أنه يأتيكم علو⁹ كثير ذو شوكة شلييلة،

-
- | | | |
|-------------------|-----------------------|-------------------------|
| 1) ميشوم R. | 2) قم R. | 3) والأسر بجملة R. & S. |
| 4) القناد A. & S. | 5) فراب S. | 6) يلوا R. |
| 7) السماء R. | 8) ملك R. : ذراعهم R. | 9) عد R. |

فاحتملوا . فقال الجُلاح بن عوف السُّحْمِيّ¹ : لا نَحْتَمِلُ لِقَوْلِ امْرَأَةٍ ، فَظَعَن² زهير وأقام الجُلاح ، وصَبَّحَهُ الجَيْشُ فقتلوا عَامَةً قوم الجُلاح وذهبوا بأموالهم وماله . ومضى زهير فاجتمع مع عشيرته من بني جناب ، وبلغ الجَيْشَ خَبْرَهُ فقصدوه ، فقاتلهم وصبر لهم فهزموهم وقتل رئيسهم ، فانصرفوا عنه خائبيز .

ولما طال عمر زهير وكبرت سنه استخلف ابن أخيه عبد الله بن عَلَيِّم ، فقال زهير يوماً : ألا إن الحَيَّ ظاعنٌ . فقال عبد الله : ألا إن الحَيَّ مقيمٌ . فقال زهير : مَنْ هذا المخالف عليّ ؟ فقالوا : ابن أخيك عبد الله بن عَلَيِّم . فقال : أعدى الناس للمرء ابن أخيه . ثم شرب الخمر صرفاً حتى مات .

وممن شرب الخمر صرفاً حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبيّ ، وأبو عامر ملاعب الأسنّة العامريّ .

ذكر يوم بردان

فكان من حديثه أن رِيَادَ بنَ الهَبْبُولَةَ³ ملك الشام ، وكان من سَلِيح⁴ بن حُلْوَانَ بن عِمْرَانَ بن الحَافِ بن قُضَاعَةَ . فأغار على حُجْرَ بن عمرو بن معاوية بن الحارث الكنديّ ملك عرب بنجد ونواحي العراق وهو يلقَّبُ آكل المُرَارِ ، وكان حُجْرٌ قد أغار في كِنْدَةَ وربيعة على البحرين ، فبلغ زياداً خبرهم فسار إلى أهل حُجْرَ وربيعة وأموالهم وهم خُلُوفٌ ورجالهم في غزاتهم المذكورة ، فأخذ الحرِيمَ والأموال وسبى فيهم هنداً بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن مُعَاوِيَةَ .

1) R. المسيحي .

2) B. فظعن .

3) R. semper الهبولة .

4) R. ubique سليح .

وسمع حُجْر وكندة وربيعة بغارة زياد فعادوا عن غزوهم في طلب ابن الهبولة ، ومع حُجْر أشراف ربيعة عوف بن مُحَلِّم بن ذُهَل بن شيبان .
 وعمر بن أبي ربيعة¹ بن ذُهَل بن شيبان وغيرهما ، فأدركوا عمراً بالبَرَدان دون عين أباغ وقد أمِن الطلب ، فنزل حُجْر في سفح جبل ، ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حُجْر دون الجبل بالصَّحْصَحَان على ماء يقال له حفير .
 فتعجل عوف بن محلم وعمر بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وقالوا لحُجْر :
 إنا متعجلان إلى زياد لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا . فسارا إليه ، وكان بينه وبين عوف إخاء ، فدخل عليه وقال له : يا خير الفتيان ارددْ عليّ امرأتي أمّامة . فردّها عليه وهي حامل ، فولدت له بنتاً أراد عوف أن يسمّها² فاستوهبها منه عمرو بن أبي ربيعة وقال : لعلها تلد أناساً³ ، فسُمّيت أمّ أناس³ ، فتزوجها الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرّار ، فولدت عمراً ، ويُعرف بابن أمّ أناس³ .

ثمّ إن عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد : يا خير الفتيان ارددْ عليّ ما أخذت من إبلي . فردّها عليه وفيها فحلها ، فنازعه⁴ الفحل إلى الإبل . فصرعه عمرو . فقال له زياد : يا عمرو لو صرعت يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الإبل لكنتم أنتم أنتم ! فقال له عمرو : لقد أعطيت قليلاً ، وسمّيت⁵ جليلاً ، وجررت على نفسك ويلاً⁶ طويلاً ! ولتجدنّ منه ، ولا والله لا تبرح حتى أروي سناني من دمك ! ثمّ ركض فرسه حتى صار إلى حُجْر ، فلم يوضح له الخبر ، فأرسل سدوس بن شيبان بن ذُهَل وصلبيع⁷ بن عبد غنم⁸ يتجسّسان له الخبر ويعلمان علم العسكر ، فخرجا حتى هجما على عسكره

1) S. وضيع بن عبد غنم .

2) A. يبيدها ; R. يبيدها .

3) R. اياساً .

4) R. فصارعه .

5) B. et R. سموت ; S. وشتت .

6) R. بلاه .

7) S. semper .

8) R. عمرو .

ليلاً وقد قسم القتيعة وحيء بالشمع فأطعم الناس تمرأ وسمأ ، فلما أكل الناس
قالى : من جاء بحزمة حطب قلبه قدرة¹ تمر . فجاء سلوس ومكيع بحطب
وأخذوا قلدتين² من تمر وجلسا قريباً من قبته . ثم اتصرف مكيع إلى حُجر
فأخبره بعسكر زياد وأراه التمر .

وأما سلوس فقال : لا أبرح حتى آتية بأمر جلي . وجلس مع القوم
يستمع ما يقولون ، وهتد المرأة حُجر خلف زياد . قالت لزياد : إن هذا
التمر أهلي إلى حُجر من هجر . والسمن من دومة الجندل . ثم فرق أصحاب
زياد عنه ، فصرّب سلوس يله إلى جليس له وقال له : من أتت ؟ مخافة أن
يستكره الرجل . فقال : أفا قلات بين قلات . ودعا سلوس من قبّة زياد بحيث
يسمع كلامه . ودعا زياد من المرأة حُجر فبكتها وداعبها وقال لها : ما ظنك
الآن بحُجر ؟ فقالت : ما هو ظنّ ولكنّه يقين ، إني والله لن يدع طلبك حتى
تعاين القصور الحرم ، يعني قصور الشام . وكأنتي به في فوارس من بني شيان
يلتمهم ويلتمروته وهو شليلد الكلب تُريد³ شغاه كأنه يعير أكل مراراً .
فالتجاء التجاء ! قلات ورائك طالياً حنياً ، وجماعاً كيقاً ، وكيداً متياً ، ورأياً صلياً .
فرقع يله فأطعمها ثم قال لها : ما قلتِ هنا إلا من عجبك به وحبتك له !
فقالت : والله ما أيتضتُ لخطأ يقني له ولا رأيتُ رجلاً أحزم منه نانماً
ومستيقظاً . إن كان لتنام عياله فيعض أعضائه مستيقظ ! وكان إذا أراد النوم
أمرقي أن أجلس عتله عسماً من لبن ، فيتا هو ذات ليلة قائم وأنا قريب منه أنظر
إليه . إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه فتحنى رأسه ، فقال لي يده قبضها ، فقال
لي رجله قبضها ، فقال لي الصن فشربه ثم مجة . قلت : يتيقظ فيشربه
فيموت فأسرع منه . فأتته من قومه فقال : عليّ بالإلاء ، فتولته فشمته ثم
ألقاه فهرق . فقال : أين ذهب الأسود؟ قلتُ : ما رأيته . قال : كذبتِ والله !

1) قرة : R : ترة : A (3) . كحن : R : كوتين : R (2) . قرة : R : قرة : R (1)

وذلك كله يسمعه سدوس ، فسار حتى أتى حُجراً ، فلما دخل عليه قال :

أتاك المرّجفون بأمرٍ غيبٍ على دهشٍ وجئتُك باليقينِ
فمن يكُ قد أتاك بأمرٍ لبسٍ فقد آتيا بأمرٍ مستبينِ

ثمّ قصّ عليه ما سمع ، فجعل حُجر يعبث بالمرار ويأكل منه غضباً وأسفاً ، ولا يشعر أنه يأكله من شدّة الغضب ، فلما فرغ سدوس من حديثه وجد حُجر المرار فسُمّي يومئذٍ آكل المرار ، والمرارُ نبت شديد المرارة لا تأكله دابةٌ إلا قتلها .

ثمّ أمر حُجر فنودي في الناس وركب وسار إلى زياد فاقتلوا قتلاً شديداً ، فانهزم زياد وأهل الشام وقتلوا قتلاً ذريعاً . واستنقذتُ بكر وكندة ما كان بأيديهم من الغنائم والسبي ، وعرف سدوس زياداً فحمل عليه فاعتنقه وصرعه وأخذه أسيراً . فلما رآه عمرو بن أبي ربيعة حسده فطعن زياداً فقتله . فغضب سدوس وقال : قتلتُ أسيري وديتُهُ ديةُ ملكٍ . فتحاكما إلى حجر . فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك وأعانهم من ماله . وأخذ حجر زوجته هنداً فربطها في فرسيتين ثمّ ركضهما حتى قطعاهما . ويقال : بل أحرقها ، وقال فيها :

إنّ من غره النساء بشيء بعد هندٍ لتجاهلٍ مغرورٍ
حلوة العين والحديث ومرّ² كل شيءٍ أجنّ منها الضميرُ
كلّ أنثى وإن بدا لك منها آيةُ الحبّ حبّها خيتّعور¹

1) A. et B. واتى .

2) Codd. ومن exc. S.

(الختعور : كل ما لا يلوم على حالة) .

ثم عاد إلى الحيرة .

قلتُ : هكذا قال بعض العلماء إنَّ زياد بن هبولة السليحي ملك الشام غزا حُجراً ، وهذا غير صحيح لأنَّ ملوك سليح كانوا بأطراف الشام ممّا يلي البرّ من فلسطين إلى قِنَسْرين والبلاد للروم ، ومنهم أخذت غَسَّان هذه البلاد ، وكلّهم كانوا عمّالاً لملوك الروم . كما كان ملوك الحيرة عمّالاً لملوك الفرس على البرّ والعرب ، ولم يكن سليح ولا غَسَّان¹ مستقلّين بملك الشام ، ولا بشبر واحد على سبيل التفرّد والاستقلال² .

وقولهم : ملك الشام ، غير صحيح ، وزياد بن هبولة السليحي ملك مشارف الشام أقدمُ من حجر آكل المرار بزمان طويل ، لأنَّ حجراً هو جدّ الحارث ابن عمرو بن حجر الذي ملك الحيرة والعرب بالعراق أيامَ قُباذ أبي أنوشروان . وبين ملك قباذ والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة ، وقد ملكت غَسَّان أطراف الشام بعد سليح ستمائة سنة ، وقيل : خمسمائة سنة ، وأقلّ ما سمعتُ فيه ثلاثمائة سنة وستّ عشرة سنة ، وكانوا بعد سليح ، ولم يكن زياد آخر ملوك سليح ، فتزيد المدة زيادة أخرى³ ، وهذا تفاوتٌ كثير فكيف يستقيم أن يكون ابن هبولة الملك أيامَ حُجْر حتى يُغير عليه ! وحيث أطبقت رواية العرب على هذه الغزاة فلا بدّ من توجيهها ، وأصلحُ ما قيل فيه : إنَّ زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم أو متغلباً على بعض أطراف الشام حتى يستقيم هذا القول ، والله أعلم .

وقولهم أيضاً : إنَّ حُجراً عاد إلى الحيرة ، لا يستقيم أيضاً لأنَّ ملوك الحيرة من ولد عدي بن نصر اللخمي لم ينقطع ملكهم لها إلاّ أيامَ قُباذ ، فإنّه استعمل الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار كما ذكرناه قبل . فلما ولي

1) S. ; ceteri om.

2) S. ; ceteri om.

3) S. ; ceteri om.

أنوشروان عزل الحارث وأعاد اللخميّين ، ويُسببه أن يكون بعض الكنديّين
قد ذكر هذا تعصّباً ، والله أعلم .

إنّ أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ولم يذكر أنّ ابن هبولة من سليح بل قال :
هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان ، ولم يذكر عوده إلى الحيرة ، فزال
هذا الوهم .

(وسليح بفتح السين المهملة ، وكسر اللام ، وآخره حاء مهملة¹) .

ذكر مقتل حُجر أبي امرئ القيس والحروب الحادثة بعقته إلى أن مات امرؤ القيس

نذكر أولاً سبب ملكهم العرب بنجد ونسوق الحادثة إلى قتله وما يتصل
به فنقول :

كان . سفهاء بكر قد غلبوا¹ على عقلائها وغلّبوهم على الأمر وأكل القويّ
الضعيف ، فنظر العقلاء في أمرهم فرأوا أن يملكوا عليهم ملكاً يأخذ للضعيف²
من القويّ . فنهاهم العرب وعلموا أنّ هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم
لأنه بطبعه قوم ويخالفه آخرون ، فساروا إلى بعض تبابعة اليمن ، وكانوا للعرب

1) S. ; ceteri om. Deinde in S. hinc sequitur caput inscriptum :

ذكر مقتل كليب والأيام بين بكر وتغلب .

١ غلب

٢ الضعيف .

بمترلة الخلفاء للمسلمين ، وطلبوا منه أن يملك عليهم ملكاً ، فملك عليهم حُجْر بن عمرو آكل المرار ، فقدم عليهم ونزل ببطن عاقل وأغار بيكر فانتزع عامّة¹ ما كان بأيدي اللخميّين من أرض بكر وبقي كذلك إلى أن مات فدُفن ببطن عاقل .

فلما مات صار¹ عمرو بن حُجْر آكل المرار ، وهو المقصور ، ملكاً بعد أبيه ، وإنما قيل له المقصور لأنه قُصِر² على ملك أبيه ، وكان أخوه معاوية ، وهو الجون ، على اليمامة . فلما مات عمرو ملك بعده ابنه الحارث ، وكان شديد الملك بعيد الصوت³ ، فلما ملك قُباذ بن فيروز الفرس خرج في أيامه مزْدك فدعا الناس إلى الزندقة ، كما ذكرناه ، فأجابه قباذ إلى ذلك ، وكان المنذر بن ماء السماء عاملاً للأكاسرة على الحيرة ونواحيها ، فدعاه قباذ إلى الدخول معه ، فامتنع ، فدعا الحارث بن عمرو إلى ذلك فأجابه ، فاستعمله على الحيرة وطرده المنذر عن مملكته .

وقيل في تملكه غير ذلك ، وقد ذكرناه أيام قباذ .

فبقوا كذلك إلى أن ملك كسرى أنوشروان بن قباذ بعد أبيه فقتل مزْدك وأصحابه وأعاد المنذر بن ماء السماء إلى ولاية⁴ الحيرة وطلب الحارث بن عمرو ، وكان بالأنبار ، وبها منزله ، فهرب بأولاده وماله وهجانه ، وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وإياد وبهراء فلحق بأرض كلب فنجا وانتهبوا ماله وهجانه ، وأخذت تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار ، فيهم عمرو

1) S. ; ceteri om.

2) R. تقصر .

3) B. المقصور .

4) R. بلاد .

ومالك ابنا الحارث ، فقدموا بهم على المنذر ، فقتلهم في ديار بني مَرِينَا¹ ،
وفيهم يقول عمرو بن كلثوم :

فأبوا بالنَّهَابِ وبالسبَايا وأبْنَا² بالملوك مصفدنا

وفيهم يقول امرؤ القيس :

ملوكٌ من بني حُجْر بن عمرو يساقون العشيّة يُقتلُونَا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مَرِينَا³
ولم تُغسلْ جَمَاجِمَهُمْ⁴ بغُسلٍ ولكن في الدماء مرمَلِينَا
نظَلَّ الطيرُ عاكفة عليهم وتترعُ الحواجبُ والعُيونَا

وأقام الحارثُ بديار كلب ، فترعم كلب أنهم قتلوه ، وعلماء كِنْدَةَ ترعم
أنه خرج يتصيد فتبع تيساً من الطباء فأعجزه فأقسم أن لا يأكل شيئاً إلا من
كَبِدِهِ ، فطلبته الخيلُ ، فأتي به بعد ثلاثة ، وقد كاد يهلك جوعاً⁵ ، فشوي
له بطنه فأكل فلذة من كبده حارة فمات .

ولما كان الحارث بالحيرة أتاه أشراف عدة قبائل من نزار فقالوا : إنا في
طاعتك وقد وقع بيننا من الشرِّ بالقتل ما تعلم ونخاف الفناء فوجهُ معنا بنيك
يتزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض . ففرق أولاده في قبائل العرب ،
فملك ابنه حُجْرًا على بني أسد بن خزيمة وغطفان ، وملك ابنه سُرحبيل ،
وهو الذي قتل يوم الكلاب ، على بكر بن وائل بأسرها وعلى غيرها ، وملك
ابنه معدي كرب ، وهو غلفاء ، وإنما قيل له غلفاء لأنه كان يغلف رأسه
بالطيب ، على قيس عيلان وطوائف غيرهم ، وملك ابنه سلمة على تغلب

1) Codd. مزين .

2) A. وانا ; B. واما .

3) Codd. exc. S. مزينا .

4) A. et B. جماجم .

5) من الجوع والعطش . R.

والنمير بن قاسط وبني سعد بن زيد مناة من تميم .

فبقي حُجر في بني أسد وله عليهم جائزة¹ وإتاوة¹ كل سنة لما يحتاج إليه ،
فبقي كذلك دهرأ ، ثم بعث إليهم من يجبي ذلك منهم ، وكانوا بتهماة ،
وطردوا رسله وضربوهم ، فبلغ ذلك حُجراً ، فسار إليهم بجند من ربيعة وجند
من جند أخيه من قيس وكنانة ، فاتاهم فأخذ سرواتهم وخيارهم وجعل يقتلهم
بالعصا وأباح الأموال وسيّرهم إلى تهماة وحبس منهم جماعة من أشرافهم ،
منهم عبيد بن الأبرص² الشاعر ، فقال شعراً يستعطفه لهم ، فرق لهم وأرسل
من يردّهم ، فلما صاروا على يوم منه تكهن كاهنهم ، وهو عوف بن ربيعة
ابن عامر الأسدي ، فقال لهم : من الملك الصلح³ ، الغلاب غير المغلب ،
في الإبل كأنها الربرب ، هذا دمه يتعّب ، وهو غداً أول من يُستلب ؟
قالوا : ومن هو ؟ قال : لولا تجيش⁴ نفس خاشية⁵ ، لأخبرتكم أنه حجر
ضاحيه⁶ ، فركبوا كل صعب وذلول حتى بلغوا إلى عسكر حُجر فهجموا
عليه في قبته فقتلوه ، طعنه علباء بن الحارث الكاهلي فقتله ، وكان حُجر قتل
أباه ، فلما قُتل قالت بنو أسد : يا معشر كنانة وقيس أنتم إخواننا وبنو عمنا⁷
والرجل بعيد النسب منا ومنكم وقد رأيتم سيرته وما كان يصنع بكم هو وقومه
فانتهبوهم . فشدوا على هجانه فانتهبوها ولفّوه في رِيطة بيضاء وألقوه على
الطريق ، فلما رآته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه وأجار عمرو بن مسعود عياله .
وقيل : إن حُجراً لما رأى اجتماع بني أسد عليه خافهم فاستجار عويمر
ابن شِجْنة أحد بني عطار د بن كعب بن زيد مناة بن تميم لبنته هند بنت حُجر

1) S. اتاوة . 2) R. الأرض . 3) B. الصيبي .

4) R. تجيش . 5) B. خاشية . 6) B. et R. صاحبنا . 7) R. أعمامنا .

وعياله ، وقال لبني أسد : إن كان هذا شأنكم فإنني مرتحل عنكم ومُخَلِّبِكُمْ وشأنكم . فوادعوه على ذلك وسار عنهم وأقام في قومه مدةً ثم جمع لهم جمعاً عظيماً وأقبل إليهم مُدِلاًً بمن معه ، فتآمرت بنو أسد وقالوا : والله لئن قهركم ليحكمنّ عليكم حكّم الصبيّ فما خير العيش حينئذ فموتوا كراماً . فاجتمعوا وساروا إلى حجر فلقوه فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان صاحب أمرهم علباء ابن الحارث ، فحمل على حجر فطعنه فقتله ، وانهزمت كِنْدَةُ ومن معهم ، وأسر بنو أسد من أهل بيت حجر وغنموا حتى ملأوا أيديهم من الغنائم ، وأخذوا جواريه ونساءه وما معهم فاقتسموه بينهم .

وقيل : إن حُجراً أخذ أسيراً في المعركة وجُعل في قُبّة ، فوثب عليه ابنُ أخت علباء فضربه بحديدة كانت معه لأن حُجراً كان قتل أباه ، فلما جرحه لم يقضِ عليه ، فأوصى حجر ودفع كتابه إلى رجل وقال له : انطلق إلى ابني نافع ، وكان أكبر أولاده ، فإن بكى وجزع فاتركه واستقرهم واحداً واحداً حتى تأتي امرأ القيس ، وكان أصغرهم ، فأيتهم لم يجزع فادفع إليه خيالي وسلاحي ووصيتي . وقد كان بينَ في وصيته مَنْ قتلته وكيف كان خبره .

فانطلق الرجلُ بوصيته إلى ابنه نافع فوضع الترابَ على رأسه ثم أتاهم كلهم ، ففعلوا مثله حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلعب معه بالنرد ، فقال : قُتل حجر ، فلم يلتفت إلى قوله ، وأمسك نديمه ، فقال له امرؤ القيس : اضرب ؛ فضرب حتى إذا فرغ قال : ما كنت لأفسد دستك ، ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله ، فأخبره ، فقال له : الخمر والنساء عليّ حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأطلق مائة .

وكان حُجراً قد طرد امرأ القيس لقوله الشعر ، وكان يأنف منه ، وكانت

1) R. ubique عليا.

أم امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث أخت كليب بن وائل¹ ، وكان يسير في أحياء العرب يشرب الخمر على الغدران ويتصيد ، فأتاه خير قتل أبيه وهو بدمون من أرض اليمن ، فلما سمع الخبر قال :

تطاول الليل علينا دمون² دمون إنا معشر يمانون²
وإننا لقومنا محبون³

ثم قال : ضيغني صغيراً وحملي دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غداً ، اليوم خمر وغداً أمر³ . فذهبت مثلاً . ثم ارتحل حتى نزل ب بكر وتغلب فسألهم النصر على بني أسد ، فأجابوه . فبعث العيون إلى بني أسد ، فنذروا به ، فلجأوا إلى بني كنانة ، وعيون امرئ القيس معهم ، فقال لهم علباء بن الحارث : اعلموا أن عيون امرئ القيس قد عادوا إليه بنجركم وأنكم عند بني كنانة ، فارحلوا بليل ولا تعلموا بني³ كنانة . فارتحلوا . وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب وغيرهم حتى انتهى إلى بني كنانة ، وهو يظنهم بني أسد ، فوضع السلاح فيهم وقال : يا لثارات الملك يا لثارات الهمام⁴ ! فقيل له : أبيت اللعن ! لسنا لك بثار ، نحن بنو كنانة فدونك ثارك فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس . فتبع بني أسد ، فقاتوه ليلتهم ، فقال في ذلك :

ألا يا لطف هيند إثر⁵ قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدتهم بني أبيهم وبالأسقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضاً¹ ولو أدركته صفر الوطاب

1) S. ; ceteri om.

2) Codd. ثمانون ; at S. a. p.

3) A. et B. تعلم بنو .

4) S. التمام .

5) R. هندا شر .

١ حريضاً . (والجريض : المشرف على الهلاك) .

يعني بني أبيهم كنانة ، فإن أسداً وكنانة ابني خزيمة هما أخوان .
 وقوله : ولو أدركته صفر الوطاب ، قيل : كانوا قتلوه واستاقوا إبله فصفرت
 وطابه من اللبن ، أي خلت ، وقيل : كانوا قتلوه فخلا جلده ، وهو وطابه ،
 من دمه بقتله .

فسار امرؤ القيس في آثار بني أسد فأدركهم ظهراً وقد تقطعت خيله
 وهلكوا عطشاً وبنو أسد نازلون على الماء . فقاتلهم حتى كثرت القتلى بينهم
 وهربت بنو أسد . فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم وقالوا : قد
 أصبت تارك . فقال : لا والله . فقالوا : بلى ولكنك رجل مشؤوم ، وكرهوا
 قتلهم بني كنانة فانصرفوا عنه ، ومضى إلى أزد شنوءة يستنصرهم ، فأبوا أن
 ينصروه وقالوا : إخواننا وجيراننا . فسار عنهم ونزل بقيل يدعى مرثدا
 الخير بن ذي جدن² الحميري . وكان بينهما قرابة . فاستنصره على بني أسد .
 فأمدّه بخمسمائة رجل من حمير . ومات مرثدا قبل رحيل امرئ القيس ، وملك
 بعده رجل من حمير يقال له قُرْمُل . فزود¹ امرأ القيس ثم سير معه ذلك
 الجيش وتبعه شدّاذ من العرب واستأجر غيرهم من قبائل اليمن . فسار بهم إلى
 بني أسد وظفر بهم .

ثم إن المنذر طلب امرأ القيس ولجّ في طلبه ووجهه الجيوش إليه . فلم
 يكن لامرئ القيس بهم طاقة وتفرّق عنه من كان معه من حمير وغيرهم ،
 فنجا في جماعة من أهله ونزل بالحارث بن شهاب اليربوعي ، وهو أبو عتبة³
 ابن الحارث . فأرسل إليه المنذر يتوعده بالقتال إن لم يسلمهم إليه . فسلمهم .
 ونجا امرؤ القيس . ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وابنته هند ابنة امرئ القيس

1) R. مريد .

2) R. جدث .

3) B. et R. عينة .

وأدراعه وسلاحه وماله ، فخرج ونزل على سعد بن الضباب الإيادي سيد قومه ، فأجاره ، ومدحه امرؤ القيس¹ ثم تحوّل عنه ونزل على المعلّى بن تميم² الطائي فأقام عنده واتخذ إبلاً هناك ، فعدا قوم من جديلة يقال لهم بنو زيد عليها فأخذوها ، فأعطاه بنو نَبْهَانِ مِعْزَى يَحْلِبُهَا فقال :

إذا ما لم يكن لابل³ فمِعْزَى كأن قرون جِلْتِيهَا العِصِي⁴

الآيات .

ثم رحل عنهم ونزل بعامر بن جُوَيْنٍ ، فأراد أن يغلب امرأ القيس على ماله وأهله ، فعلم امرؤ القيس بذلك فانتقل إلى رجل من بني ثعلب يقال له حارثة بن مُرّ فاستجاره ، فأجاره . ف وقعت بين عامر بن جوين والثعلبي حرب ، وكانت أمور كبيرة ، فلما رأى امرؤ القيس أن الحرب قد وقعت بين طييء بسببه خرج من عندهم فقصد السمّوال بن عادياة اليهودي ، فأكرمه وأنزله ، فأقام عنده امرؤ القيس ما شاء الله ثم طلب منه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شيمر الغساني ليوصله إلى قيصر ، ففعل ذلك ، وسار إلى الحارث وأودع أهله وأدراعه عند السمّوال ، فلما وصل إلى قيصر أكرمه .

فبلغ ذلك بني أسد فأرسلوا رجلاً منهم يقال له الطمّاح ، كان امرؤ القيس قتل أخاً له ، فوصل الأسدّي ، وقد سير قيصر مع امرئ القيس جيشاً كثيراً فيهم جماعة من أبناء الملوك . فلما سار امرؤ القيس ، قال الطمّاح لقيصر : إن امرأ القيس غويّ عامر⁴ ، وقد ذكر أنه كان يرسل ابتك ويواصلها وقال فيها أشعاراً أشهرها بها في العرب ، فبعث إليه قيصرُ بحلّة وشي منسوجة بالذهب ، مسمومة ، وكتب إليه : إني أرسلتُ إليك بحلتي

1) S. ; ceteri om.

2) Codd. تميم .

3) A. حلبها عصى ; B. et S. جلتها عصى .

4) B. et R. فاجر .

التي كنت ألبسها تكرمة لك فالبسها واكتب إليّ بخبرك من منزل منزل .
 فلبسها امرؤ القيس وسرّ بذلك ، فأسرع فيه السمّ وسقط جلده ، فلذلك
 سمّي ذا القروح ؛ فقال امرؤ القيس في ذلك :

لقد طمع الطمّاحُ من نحو أرضه ليلبسني ممّا يلبس أبوسا
 فلو أنّها نفس تموتُ سويةً ولكنها نفس تساقطُ أنفُسا

فلما وصل إلى موضع من بلاد الروم يقال له أنقرة احتضرت بها ، فقال :
 رَبِّ خُطْبَةَ مُسْحَنَفِرَةٍ ، وطعنة مُثَعْنَجِرَةٍ¹ ، وجفنة مُسْحَبِرَةٍ² ،
 حلتُ بأرض أنقرة . ورأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم وقد دُفنت
 بجانب عسب ، وهو جبل ، فقال :

أجارتنا إنّ الحطوبَ تنوبُ وإني مُقيمٌ ما أقام عسبُ
 أجارتنا إنا غريان هاهنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ

ثمّ مات فدُفن إلى جنب المرأة ، فقبره هناك .

ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبي شيمر الغسانيّ إلى السموأل بن
 عاديا وطلبه بأدراع امرئ القيس ، وكانت مائة درع ، وبما له عنده ،
 فلم يُعطيه ، فأخذ الحارثُ ابناً للسموأل ، فقال : إمّا أن تُسلم الأدراع
 وإمّا قتلتُ ابنك . فأبى السموألُ أن يُسلم إليه شيئاً ، فقتل ابنه ، فقال
 السموأل في ذلك³ :

وفيتُ بأدرع الكنديّ إني إذا ما ذمّ أقوامٌ وفيتُ
 وأوصى عاديا يوماً بأن لا تُهدمَ يا سموألُ ما بنيتُ
 بني لي عاديا حصناً حصيناً وماء كلما شئتُ استقيتُ

1) R. شجرة . 2) R. بحرة . 3) S. ; ceteri tantum ذلك في ذلك .

وقد ذكر الأعرابي هذه الحادثة ، فقال :

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرّار
إذ سامه خطّتي خسف فقال له : قل ما تشاء فإني سامعٌ حار
فقال : غدرٌ وثكلٌ أنتَ بينهما فاخترُ فما فيهما حظٌ لمُختار
فشكّ غيرَ طويلٍ ثمّ قال له : اقتلُ أسيرك إنّي مانعٌ جارِي

وهي أكثر من هذا .

يوم خزاز

وكان من حديثه أنّ ملكاً من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مُضَرٍ وربيعة وقُضاعة ، فوفد عليه وفدٌ من وجوه بني معدّ ، منهم : سلوس بن شيبان بن ذُهَل بن ثعلبة ، وعوف بن مُحَلَّم بن ذُهَل بن شيبان ، وعوف ابن عمرو بن جُشم² بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحّيان³ ، وجُشم بن ذُهَل بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحّيان³ ، فلقبهم رجل من بهراء يقال له عبّيد بن قُرادة⁴ ، وكان في الأسارى ، وكان شاعراً ، فسألم أن يُدخلوه في عدّة من يسألون فيه ، فكلّموا الملك فيه وفي الأسارى ، فوهبهم لهم ، فقال عبّيد بن قُرادة البهراوي :

نفسِي الفداء لعوفِ الفعالي وعوفٍ ولأبنِ هلالِ جُشمٍ

1) R. add. ومخزوم .

2) B. et R. جشم .

3) R. الصهبان .

4) B. مراد .

تداركني بعدما قد هويتُ مستمسكاً بعراقي الوذم
ولولا سدوسٌ وقد شمّرتُ بي الحربُ زلت بنعلي القدم
وناديتُ بهراء كئي يسمعوا وليس بأذانهم من صمم
ومن قبلها عصمت قاسطٌ معداً إذا ما عزيزاً أزم

فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينةً وقال للباقيين : ايتوني برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي وإلا قتل أصحابكم . فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر ، فبعث كليب وائل إلى ربيعة فجمعهم ، واجتمعت عليه معد ، وهو أحد النفر الذين اجتمعت عليهم معد ، على ما نذكره في مقتل كليب . فلما اجتمعوا عليه سار بهم وجعل على مقدمته السفاح التغلبي . وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر ابن حبيب بن تغلب ، وأمرهم أن يوقدوا على خزاز ناراً ليهدتوا بها ؛ وخزاز جبل بطيخفة ما بين البصرة إلى مكة ، وهو قريب من صالح¹ ، وهو جبل أيضاً ؛ وقال له : إن غشيك العدو فأوقد نارين . فبلغ مذحجاً اجتمع ربيعة ومسيرها فأقبلوا بجمعهم واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا إليهم ، فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا إلى ربيعة ، ووصلت مذحج إلى خزاز ليلاً ، فرفع السفاح نارين . فلما رأى كليب النارين أقبل إليهم بالجموع فصبتهم ، فالتقوا بخزاز فاقتلوا قتالاً شديداً أكثروا فيه القتل . فانهزمت مذحج وانقضت جموعها ، فقال السفاح في ذلك :

وليلة بت أوقد في خزاز هديت كتاباً متحيرات
ضللن من السهاد وكن لولا سهاد القوم أحس هاديات

وقال الفرزدق يخاطب جريراً ويهجوهُ :

1) صالح .

لولا فوارس¹ تغلب ابنة¹ وائل دخل العدو عليك كل مكان
ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا نارين أشرفنا على النيران
وقيل : إنه لم يعلم أحد من كان الرئيس يوم خزاز لأن عمرو بن
كلثوم ، وهو ابن ابنة كلثيب ، يقول :

ونحن غداة أوقد في خزاز رقدنا² فوق رقد الرافدين³
فلو كان جدّه الرئيس لذكره ولم يفتخر بأنه رقد ، ثم جعل من
شهد خزازاً متساندين فقال :

فكنا الأيمنين إذا التقينا وكان الأيسرين بنو أبينا
فصالوا صولة⁴ فيمن يليهم وصلنا صولة⁴ فيمن يلينا
فقالوا له : استأثرت على إخوتك ، يعني مضر ، ولما ذكر جدّه في
القصيدة قال :

ومنا قبله الساعي⁵ كلثيب⁵ فأبي المجد⁵ إلا قد ولينا
فلم يدع له الرياسة يوم خزاز ، وهي أشرف ما كان يفتخر له به .
(حَبِيبٌ بضم الحاء المهملة ، وفتح الباء الموحدة ، وسكون الياء تحتها
نقطتان ، وآخره باء أخرى موحدة) .

1) B. & R. ابن . 2) A. ارقنا . 3) وفد الوافدين A. 4) A. رقد .
5) B. & R. الساعي ; S. الشالي .

ذكر مقتل كليب والأيام بين بكر وتغلب

وكان من حديث الحرب التي وقعت بين بكر وتغلب ابني وائل بن هنب ابن أفصى بن دُعْمِيَّ بن جَدِيلَةَ بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بسبب قتل كليب ، واسمه وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غم بن تغلب ، وإنما لُقِبَ كَلَيْبًا لأنه كان إذا سار أخذ معه جرو كلب ، فإذا مرَّ بروضة أو موضع يعجبه ضربه ثمَّ ألقاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوي فلا يسمع عواه أحد إلاَّ تجنَّبه ولم يقربه ، وكان يقال [له] كليبُ وائل ، ثمَّ اختصروا فقالوا كليب ، فغلب عليه . وكان لواء ربيعة بن نزار للأكبر فالأكبر من ولده ، فكان اللواء في عنزة بن أسد بن ربيعة ، وكانت سنتهم أنهم يصفرون¹ الحاهم ويقصون شواربهم² ، فلا يفعل ذلك من ربيعة إلاَّ من يخالفهم ويريد حربهم ، ثمَّ تحوَّل اللواء في عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِيَّ بن جَدِيلَةَ بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وكانت سنتهم إذا شتموا لطموا منَّ شتمهم ، وإذا لُطموا قتلوا منَّ لطمهم . ثمَّ تحوَّل اللواء في النَّمِر بن قاسط بن هنب ، وكان لهم غيرُ سنة منَّ تقدّمهم . ثمَّ تحوَّل اللواء إلى بكر بن وائل فسَاءوا غيرهم³ في فرخ طائر ، كانوا يوثقون الفرخ بقارعة الطريق ، فإذا علِمَ بمكانه لم يسلك أحد ذلك الطريق ويسلك منَّ يريد الذهاب والمجيء عن يمينه ويساره ، ثمَّ تحوَّل اللواء إلى تغلب ، فوليه وائل بن ربيعة ، وكانت سنته ما ذكرناه من جرو الكلب .

ولم تجتمع معدة إلاَّ على ثلاثة نفر ، وهم : عامر بن الظرب بن عمرو ابن بكر بن يشكر بن الحارث ، وهو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان ،

1) سنوا حرهم S. 2) ويفصرون ثيابهم A. & S. 3) يصفرون S. ; يوفرون R. 1)

وهو ه الناس¹ بن مُضَر ، بالنون ، وهو أخو¹ إلياس بن مُضَر ، وكان قائد معدّ حين تمذحجت مذحج وسارت إلى تهامة ، وهي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن ؛ والثاني ربيعة بن الحارث بن مُرّة بن زُهَيْر بن جُشَم بن بكر ابن حُبَيْب بن كلب² ، وكان قائد معدّ يوم السُّلَّان بين أهل اليمامة واليمن ؛ والثالث وائل بن ربيعة ، وكان قائد معدّ يوم خَزاز ففَضَّ جموع اليمن وهزمهم وجعلت له معدّ قسم الملك وتاجه وطاعته وبقي زماناً من الدهر ، ثمّ دخله زَهْوٌ شديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمي مواقع السحاب فلا يُرْعَى حماه ، وكان يقول : وحشٌ أرضٌ كذا³ في جوارِي ، فلا يُصَاد ، ولا يورد أحد مع إبله ولا يوقد ناراً مع ناره ، ولا يمرّ أحد بين بيوته⁴ ولا يجتبي في مجلسه .

وكانت بنو جشم وبنو شيبان أخلاطاً في دار واحدة إرادة الجماعة ومخافة الفرقة ، وتزوج كُليْب جليلة بنت مُرّة بن شيبان بن ثعلبة ، وهي أخت جَسَّاس بن مُرّة ، وحمي كليب أرضاً من العالبة في أول الربيع ، وكان لا يقربها إلا مُحارِب ، ثمّ إن رجلاً يقال له سعد بن شُمَيْس⁵ بن طوق الحرميّ نزل بالبَسوس بنت مُنْقذ التميمية خالة جَسَّاس بن مُرّة . وكان للجرميّ ناقة اسمها سَراب ترعى مع نوق جَسَّاس ، وهي التي ضربت العربُ بها المثل فقالوا : أشام من سراب وأشام من البسوس .

فخرج كليب يوماً يتعهّد الإبل ومراعيها فأتاها وتردّد فيها ، وكانت إبله وإبل جَسَّاس مختلطة ، فنظر كليب إلى سراب⁶ فأنكرها ، فقال له جَسَّاس .

1) S. ; ceteri om. 2) R. كليب . 3) R. كله . 4) S. نديه .
5) A. et R. سير ; S. شر . 6) R. add. الناقة .

١ (هو المعروف بـ ه أناس ه بقطع الهززة) .

وهو معه : هذه ناقة جارنا الجرمي . فقال : لا تعدُّ هذه الناقة إلى هذا الحمى .
 فقال جسّاس : لا ترعى إيلي مرعى إلاّ وهذه معها ، فقال كليب : لئن عادت
 لأضعنّ سهمي في ضرعها . فقال جسّاس : لئن وضعتّ سهمك في ضرعها
 لأضعنّ سنان رعي في لبتك ! ثمّ تفرّقا ، وقال كليب لامرأته : أتريّن أنّ
 في العرب رجلاً مانعاً مني جاره ؟ قالت : لا أعلمه إلاّ جسّاساً ، فحدثها
 الحديث . وكان بعد ذلك إذا أراد الخروج إلى الحمى منعه وناشدتهُ الله أن
 [لا] يقطع رحمه ، وكانت تنهى أخاها جسّاساً أن يسرح إبله .

ثمّ إنّ كليباً خرج إلى الحمى وجعل يتصفح الإبل . فرأى ناقة الجرمي
 فرمى ضرعها فأنفذه ، فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها . فلما
 رأى ما بها صرخ بالذلّ ، وسمعت البسوس صُراخ جارها ، فخرجت إليه .
 فلما رأت ما بناقته وضعت يدها على رأسها ثمّ صاحت : واذلاّه ! وجسّاس
 يراها ويسمع ، فخرج إليها فقال لها : اسكّتي ولا تُتراعي ، وسكّتن الجرمي ، وقال
 لهما : إنّي سأقتل جملاً¹ أعظم من هذه الناقة ، سأقتل غيّلاً ، وكان غلال
 فحلّ إبل كليب لم يُرّ في زمانه مثله ، وإنّما أراد جسّاس بمقالته كليباً .
 وكان لكليب عين يسمع ما يقولون ، فأعاد الكلام على كليب ، فقال :
 لقد اقتصر من يمينه على غلال . ولم يزلّ جسّاس يطلب غيرة كليب ، فخرج
 كليب يوماً آمناً فلما بعد عن البيوت ركب جسّاس فرسه وأخذ رمحه وأدرك
 كليباً ، فوقف كليب . فقال له جسّاس : يا كليب الرمح وراءك ! فقال : إن
 كنت صادقاً فأقبل إليّ من أمامي ، ولم يلتفت إليه ، فطعنه فأرداه عن فرسه ،
 فقال : يا جسّاس أغثني بشربة من ماء . فلم يأت به بشيء ، وقضى كليب
 نحيه . فأمر جسّاس رجلاً كان معه اسمه عمرو بن الحارث بن ذهل بن
 شيان فجعل عليه أحجاراً لثلاً تأكله السباع . وفي ذلك يقول مهلهل بن

1) B. et R. رجلا .

ربيعة ، أخو كليب :

قتيلٌ ما قَتيل المرء عمرو
أصاب فؤاده بأصمٍ لَدُنْ
فإنَّ غداً وبعد غدٍ لَرَهْنٌ
جسيماً ما بكيتُ به كليباً
وجسّاس بن مُرّة ذي صريمٍ
فلم يعطفْ هناك على حميمٍ
لأمر ما يقام له عظيمٍ
إذا ذُكِرَ الفعّال من الجسيمِ
سأشربُ كأسها صِرْفاً وأسقى
بكأسٍ غير منطقة مليمِ

ولما قتل جسّاس كليباً انصرف على فرسه يركضه وقد بدت ركبتاه ،
فلما نظر أبوه مُرّة إلى ذلك قال : لقد أتاكم جسّاس بداهية ، ما رأيته قطّ
بادي الركبتين إلى اليوم ! فلما وقف على أبيه قال : ما لك يا جسّاس ؟ قال :
طعنتُ طعنة يجتمع بنو وائل غداً لها رقصاً . قال : ومنّ طعنت ؟ لأملك
الشكل ! قال : قتلتُ كليباً . قال : أفعلت ؟ قال : نعم . قال : بش والله ما
جئتُ¹ به قومك ! فقال جسّاس :

تأهّبْ عنك أهبة ذي امتناع² فإنّ الأمرَ جلّ عن التلاحي
فإنّي قد جنيتُ عليك حرباً تُغصّ الشيخ بالماء القراحِ

فلما سمع أبوه قوله خاف خذلان قومه لما كان من لائمه إياه ، فقال
يجيبه :

فإن تكُ قد جنيتَ عليّ حرباً
جمعتَ بها يديك على كليبِ
سألبسُ ثوبها وأذوده عني
تُغصّ الشيخ بالماء القراحِ
فلا وكل³ ولا رثُ السلاحِ
بها عارَ المذلةِ والفضاحِ

1) حوت S.

2) امتناع A., R. et S.

3) وان B. et R.

4) وأذب B.

ثُمَّ إِنَّ مُرَّةَ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى نُصْرَتِهِ ، فَأَجَابُوهُ وَجَلَّتُوا الْأَسِنَّةَ وَشَحَنُوا
السُّيُوفَ وَقَوْمُوا الرِّمَاحَ وَتَهَيَّأُوا لِلرَّحْلَةِ إِلَى جَمَاعَةِ قَوْمِهِمْ .

وَكَانَ هَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ أَخُو جَسَّاسٍ ، وَمُهَلِّهِلُ أَخُو كَلِيبٍ فِي ذَلِكَ
الْوَقْتِ يَشْرِبَانِ ، فَبَعَثَ جَسَّاسٌ إِلَى هَمَّامٍ جَارِيَةً لَهَا تَخْبِرُهُ الْخَبْرَ ، فَانْتَهَتْ
إِلَيْهِمَا وَأَشَارَتْ إِلَى هَمَّامٍ ، فَقَامَ إِلَيْهَا ، فَأَخْبَرَتْهُ ، فَقَالَ لَهُ مَهَلِّهِلُ : مَا قَالَتْ
لَكَ الْجَارِيَةُ ؟ وَكَانَ بَيْنَهُمَا عَهْدٌ أَنْ لَا يَكْتُمُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ شَيْئاً ، فَذَكَرَ
لَهُ مَا قَالَتْ الْجَارِيَةُ ، وَأَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَهُ ذَلِكَ فِي مَدَاعِبَةٍ وَهَزَلٍ ، فَقَالَ لَهُ مَهَلِّهِلُ :
اسْتَأْنِيكَ أَضِيقُ مِنْ ذَلِكَ ! فَأَقْبَلَا عَلَى شَرْبِهِمَا ، فَقَالَ لَهُ مَهَلِّهِلُ : اشْرَبْ ،
فَالْيَوْمَ خَمْرٌ وَغَدًا أَمْرٌ . فَشَرِبَ هَمَّامٌ وَهُوَ حَذِرٌ خَائِفٌ ، فَلَمَّا سَكَرَ مُهَلِّهِلُ
عَادَ هَمَّامٌ إِلَى أَهْلِهِ ، فَسَارُوا مِنْ سَاعَتِهِمْ إِلَى جَمَاعَةِ قَوْمِهِمْ ، وَظَهَرَ أَمْرُ
كَلِيبٍ ، فَذَهَبُوا إِلَيْهِ فَدَفَنُوهُ ، فَلَمَّا دُفِنَ شَقَّتْ الْجِيُوبَ وَخُمِشَتْ الْوُجُوهُ
وَخَرَجَ الْأَبْكَارُ وَذَوَاتِ الْحُدُورِ الْعَوَاتِقُ إِلَيْهِ وَقَمْنَ لِلْمَأْتَمِ ، فَقَالَ النِّسَاءُ لِأَخْتِ
كَلِيبٍ : أَخْرِجِي جَلِيلَةَ أُخْتِ جَسَّاسٍ عِنَّا فَإِنَّ قِيَامَهَا فِيهِ شِمَاتَةٌ وَعَارٌ عَلَيْنَا ،
وَكَانَتْ امْرَأَةً كَلِيبٍ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، فَقَالَتْ لَهَا أُخْتُ كَلِيبِ : أَخْرِجِي عَنَّا
مَأْتَمًا فَأَنْتِ أُخْتُ قَاتِلِنَا وَشَقِيقَةِ وَاتِرِنَا ، فَخَرَجَتْ تَجْرًا عِطَافَهَا ، فَلَقِيَهَا أَبُوهَا
مُرَّةً فَقَالَ لَهَا : مَا وَرَاءَكَ يَا جَلِيلَةُ¹ ؟ فَقَالَتْ : تُكَلِّ الْعِدَدُ ، وَحُزْنُ الْأَبْدِ² ؛
وَقَدْ خَلِيلٌ ، وَقَتْلُ أَخٍ عَنِ قَلِيلٍ ؛ وَبَيْنَ هَذَيْنِ غَرَسُ الْأَحْقَادِ ، وَتَفْتَتُ الْأَكْبَادِ .
فَقَالَ لَهَا : أَوْيَكُفُّ ذَلِكَ كَرَمُ الصَّفْحِ وَإِغْلَاءُ الدِّيَاتِ ؟ فَقَالَتْ : أُمْنِيَّةٌ³
مُخْلُوعٌ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ! أَلْبِدُنِ تَدْعُ لَكَ تَغْلِبُ دَمَ رَبَّتِهَا !

وَلَمَّا رَحَلَتْ جَلِيلَةُ قَالَتْ أُخْتُ كَلِيبِ : رِحْلَةُ الْمُعْتَدِي وَفِرَاقُ الشَّامِتِ ،
وَيْلٌ غَدًا لَأَلِّ مُرَّةَ مِنَ الْكُرَّةِ بَعْدَ الْكُرَّةِ . فَبَلَغَ قَوْلَهَا جَلِيلَةَ ، فَقَالَتْ : وَكَيْفَ
تَشْمَتُ الْحُرَّةُ بِهَتِّكَ سَرَّهَا وَتَرَقَّبَ⁴ وَتَرَّهَا ! أَسْعَدَ اللَّهُ أُخْتِي أَلَّا قَالَتْ : نَفْرَةٌ

1) S. ; ceteri om.

2) Fl. أبد .

3) A. et B. أمينة .

4) B. ورقة .

الحياة^١ وخوف الأعداء ! ثم أنشأت تقول :

يا ابنة الأقبام إن لُمت^١ فلا
فإذا أنتِ تبيّنتِ الذي^٢
إن تكن أخت امرئ وليمت علي
جلّ عندي فعلُ جساسٍ فيا
فعل جساسٍ علي وجددي به
لو بعينٍ فقيتُ عينُ سوي
تحملُ العينُ قذَى العينِ كما
يا قتيلاً قوضَ الدهرُ به
هدم البيت الذي استحدثته^٣
ورماني قتله^٢ من كُتبِ
يا نسائي دونكنّ اليومَ قد
خصتي قتلُ كُليبِ بلظي
ليس من يبكي ليوميه كن
بشفتي المذركُ بالنارِ وفي

تعجلي باللومِ حتى تسألي
يوجب اللومَ، فلؤمي واعذلي
نقنن منها عليه فافعلي
حسرتا عما انجلت أو ينجلي^٣
قاطعَ ظهري ومدنٍ أجلي
أختها فانفقات لم أحيلِ
تحملُ الأمُّ أذى ما تفتلي
سقفَ بيتي جميعاً من علِ
وسعى في هدم بيتي الأولِ
رمية المصمى به المستأصلِ
خصتي الدهر برزءٍ معضلي
من ورائي ولظي مستقبلِ
إنما يبكي ليومٍ مقبلِ
دركي ثاري ثكلُ المثلِ

١) بقرة الحشاء R α R .

٢) قبيلة A .

١ شت .

٢ فإذا ما أنتِ ثنتِ الذي .

٣ حسرتا فيما انجلت أو تنجلي .

٤ وانثى .

لَيْتَهُ كَانَ دَمًا فَاحْتَلَبُوا دِرْرًا مِنْهُ دَمِي مِنْ أَكْحَلِي
إِنِّي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ وَلَعَلَّ¹ اللَّهُ أَنْ يَرْتَاحَ لِي

وَأَمَّا مُهْلَهْلٌ ، وَاسْمُهُ عَدِيٌّ ، وَقِيلَ : أَمْرٌ الْقَيْسِ ، وَهُوَ خَالَ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرِ الْكَنْدِيِّ ، وَانَّمَا لُقِّبَ مَهْلَهْلًا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ هَلَّهَلَ
الشَّعْرَ وَقَصَدَ الْقَصَائِدَ ، وَأَوَّلُ مَنْ كَذَبَ فِي شَعْرِهِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا صَحَا² لَمْ يَرْعُهُ
إِلَّا النِّسَاءَ بِصِرْحَانِ : أَلَا إِنَّ كَلْبِيًّا قُتِلَ ، فَقَالَ ، وَهُوَ أَوَّلُ شَعْرٍ قِيلَ فِي
هَذِهِ الْحَادِثَةِ :

كُنَّا نَفَارُ عَلَى الْعَوَاتِقِ أَنْ تَرَى
فَخَرَجْنَا حِينَ تَوَى كَلْبِيًّا حُسْرًا
فَرَى الْكَوَاعِبَ كَالظُّبَاءِ عَوَاطِلًا
يَخْمُشْنَ مِنْ أَدَمٍ⁴ الْوَجُوهَ حَوَاسِرًا
مُتَسَلِّبَاتٍ نَكْدَهْنَ¹ وَقَدْ وَرَى
وَيَقْلُنَّ مَنْ لِلْمُسْتَضِيفِ إِذَا دَعَا
أَمْ لَا تَسَارِ بِالْحَزُورِ إِذَا غَدَا
أَمْنٌ لِإِسْبَاقِ⁶ الدِّيَاتِ وَجَمْعِهَا
كَانَ الذَّخِيرَةَ لِلزَّمَانِ فَقَدْ أَنَى
يَا لَهْفَ نَفْسِي مِنْ زَمَانٍ فَاجِعٍ
بِالْأَمْسِ خَارِجَةً عَنِ الْأَوْطَانِ
مُسْتَيْقِنَاتٍ بَعْدَهُ بِهَوَانٍ³
إِذْ حَانَ مَصْرَعُهُ مِنَ الْأَكْفَانِ
مِنْ بَعْدِهِ وَيَعْدُنَ بِالْأَزْمَانِ⁵
أَجْوَاهِنَ بِحِرْقَةٍ وَوَرَانِي
أَمْ مَنْ لِيخْضَبِ عَوَالِي الْمُرَّانِ
رِيحٌ يَقْطَعُ مَعْقِدَ الْأَشْطَانِ
وَلِفَادِحَاتِ نَوَائِبِ الْحِدْثَانِ
فَقْدَانُهُ وَأَخْلَ رُكْنَ مَكَانِي
أَلْفَى عَلِيَّ بِكُلِّكَلٍ وَجِرَانِ⁷

- 1) بعد بهران S. 3) .
2) ضحى A. et B. 4) .
3) لا شتاق S. 5) .
4) يخرج من آدم B. ; يخمشن أدمه A. 6) .
5) وحران A. et B. 7) .

١ بكيدمن .

بمحصية لا تستقال جليلة
هدت حصوناً كن قبل ملاوذاً
أضحت وأضحى سورها من بعده
فابكين سيد قومه واندبته
وابكين للإينام لما أقحطوا
وابكين مصرع جیده² متزماً²
فلأتركن به قبائل تغلب
قتلى تعاورها النور أكفها
غلبت¹ عزاء القوم والنسوان
لدوي الكهول معاً وللشبان
متهدم الأركان والبنيان
شدت عليه قباطي الأكفان
وابكين عند تخاذل الجيران
بدمائه فلذاك ما أبكاني
قتلى بكل قرارة ومكان
ينهشها وحواجل الغربان

ثم انطلق إلى المكان الذي قتل فيه كليب فرأى دمه ، وأتى قبره فوقف عليه ثم قال :

إن تحت التراب حزماً وعزماً
وخصيماً ألدَّ ذا مِعْلَاقِ
حياة في الوجار أريد لا ينفع
منه السليم نقت الراقى

ثم جز شعره وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرّم القمار والشراب
وجمع إليه قومه وأرسل رجالاً منهم إلى بني شيبان ، فأتوا مرة بن ذهل
ابن شيبان وهو في نادي قومه فقالوا له : إنكم أتيم عظيماً بقتلكم كليباً بناقة
وقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمه ، وإننا نعرض عليك خيلاً أربعاً لكم
فيها نخرج ولنا فيها مقنع ، إما أن تحبي لنا كليباً أو تدفع إلينا قاتله جسماً
فقتله به ، أو هماً فإنه كفؤ له ، أو نمكنا من نفسك ، فإن فيك³ وفاء
لدمه .

1) جلبت . R .

2) جنبه . S . ; جيء . B . ; غله . A .

3) مك . B .

فقال لهم : أمّا إحيائي كليباً فليستُ قادراً عليه ، وأمّا دفعي جساماً إليكم فإنه غلام طعن طعنة على عَجَلٍ وركب فرسه فلا أدري أي بلاد قصد ، وأمّا همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعمّ عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يُسلموه بجزيرة غيره ، وأمّا أنا فما هو إلاّ أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل فما أتعجل الموت ، ولكن لكم عندي خصلتان : أمّا إحداهما فهؤلاء أبنائي الباقون ، فخذوا أيّهم شتم فاقتلوه بصاحبكم ، وأمّا الأخرى فإنّي أدفع إليكم ألف ناقة سود الحدّاق حمر الوبر .

فغضب القوم وقالوا : قد أسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب ؟ ونشبت الحرب بينهم . ولحقت جلييلة زوجة كليب بأبيها وقومها ، واعتزلت قبائل بكر الحرب وكرهوا مساعدة بني شيبان على القتال وأعظموا قتل كليب ، فتحولت لُجَيْم¹ ويشكر ، وكفّ الحارث بن عباد عن نصرهم ومعه أهل بيته ، وقال مهلهل عدّة قصائد يرثي كليباً منها :

كليب لا خير في الدنيا ومنّ فيها	إذ أنت خلّيتها فيمن يخلّيها
كليب أيّ فسي عزّ ومكرمة	تحت السقائف إذ يعلوك سافيتها
نمي النعاة كليباً لي فقلت لهم :	مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته	ما كلّ آلايه يا قوم أحصيتها
القائد الخيل تردي في أعنتها	رهوا ² إذا الخيل لجّت في تعاديتها ³
من خيل تغلب ما تلقى أسنتها	إلاّ وقد خضبوها من أعاديتها
يهززون من الخطي مدّمة	صمّاً أنابيبها زرقاً ⁴ عواليها
ليت السماء على منّ نحتها وقعت	وانشقت الأرض فانبجبت بمن فيها

1) سخم . B. ; سخم . B. 1)

2) زهرا . S. ; زهوا . R. 2)

3) نهاديا . A. 3)

4) شها . B. 4)

لا أصلح الله منا من يصلحكم ما لاحت الشمس في أعلى مجاريها
فالتقوا أول قتال كان بينهم في قول يوم عُنَيْزَة ، وهي عند فلجة¹ ،
وكانا على السواء ، فقال مهلهل :

كأنا غُدْوَة² وبني أينا يجنب عُنَيْزَة رَحِيًا مُدِيرِ
ولولا الريحُ أَسْمِعَ أَهْلُ حُجْرٍ صَلِيلِ³ البَيْضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ

فتفرقوا ثم بقوا زماناً ، ثم إنهم التقوا بماء يقال له النهي ، كانت
بنو شيبان نازلة عليه ، ويروى أنها أول وقعة كانت بينهم ، وكان رئيس
تغلب مهلهل ، ورئيس شيبان الحارث بن مُرَّة ، وكانت الدائرة لبني تغلب ،
وكانت الشوكة في بني شيبان ، واستحرق القتالُ فيهم إلا أنه لم يُقْتَلْ ذلك
اليوم أحد من بني مُرَّة .

ثم التقوا بالذنائب ، وهي أعظم وقعة كانت لهم ، فظفرت بنو تغلب
وقتل بكرةً مقتلة عظيمة ، وقتل فيها شَرَّاحِيلَ بن مُرَّة بن همام بن ذُهَلِ
ابن شَيْبَانَ ، وهو جدّ الحَوْفَرَانِ وجدّ معن بن زائدة ، وقتل الحارث بن
مُرَّة بن ذُهَلِ بن شيبان ، وقتل من بني ذُهَلِ بن ثعلبة عمرو بن سدوس
ابن شيبان بن ذهل وغيرهم من رؤساء بكر .

ثم التقوا يوم واردات فاقتلوا قتالاً شديداً ، فظفرت تغلب أيضاً ،
وكثر القتل في بكر ، فقتل همام بن مُرَّة بن ذُهَلِ بن شيبان أخو جساس
لأبيه وأمه ، فمرّ مهلهل ، فلما رآه قتيلاً قال : والله ما قُتِلَ بعد كليب أعزّ
عليّ منك ، وتالله لا تجتمع بكر بعد كما على خير أبدأ . وقيل : إنما قُتِلَ
يوم القُصَيْبَاتِ ، قبل يرم قِصَّةً ، قتله ناشرة ، وكان همام قد التقطه ورباه وسمّاه

1) محلّه .

2) حذوة .

3) صرير .

ناشرة ، وكان عنده . فلما شبَّ علم أنه تغلبيّ ، فلما كان هذا اليوم جعل
همام يقاتل فإذا عطش جاء إلى قيربة له يشرب منها فتغفله ناشرة فقتله ولحق
بقومه تغلب ، وكاد جسّاس يؤخذ فسلم ، فقال مهلهل :

لو أن خيلي أدركتك وجدتهم¹ مثل الليوث بسترٍ غُبّ² عرينِ
ويقول فيها :

ولأوردن الخيلَ بطنَ أراكة ولأقضينَ بفعل ذاك ديوني
ولأقتلنَ جحاجحاً من بكركم ولأبكينَ بها جفون عيون¹
حتى تظلّ الحاملاتُ مخافةً منَ وقعنا يقذفن كلّ جنينِ

وقيل في ترتيب الأيَّام غيرُ ما ذكرنا . وسنذكره إن شاء الله تعالى .
وكان أبو نُويرة التغلبيّ وغيره طلائع قومه . وكان جسّاس وغيره
طلائع قومهم . والتقى بعض الليالي جسّاس وأبو نويرة . فقال له أبو نويرة :
اخترْ إما الصراع أو الطعان أو المسابقة³ . فاختر جسّاس الصراع . فاصطرعا
وأبطأ كلٌّ واحد منهما على أصحاب حبيّه ، وطلبوهما فأصابوهما وهما
بصطرعان ، وقد كاد جسّاس بصرعه ، ففرقوا بينهما .

وجعلت تغلب تطلب جسّاساً أشدّ الطلب ، فقال له أبوه مرّة : الحق
بأخوالك بالشام ، فامتنع ، فألحّ عليه أبوه فسيّره سرّاً في خمسة نفر . وبلغ
الخبرُ إلى مهلهل ، فندب أبا نُويرة ومعه ثلاثون رجلاً من شجعان أصحابه
فساروا مجدّين ، فأدركوا جسّاساً ، فقاتلهم فقتل أبو نويرة وأصحابه ولم يبق

1) Codd. وجد . 2) A. يترغب ; B. سنزعت ; B. برعب . 3) B. S. et R. المسابقة .

منهم غير رجلين ، وجرح جساس جرحاً شديداً مات منه ، وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضاً ، فعاد كل واحد من السالمين إلى أصحابه . فلما سمع مرة قتل ابنه جساس قال : إنما يحزنني أن كان لم يقتل منهم أحداً . فقيل له : إنه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم وقتل معه خمسة عشر رجلاً ما شركه من أحد في قتلهم وقتلنا نحن الباقين ، فقال : ذلك مما يسكن قلبي عن جساس .

وقيل : إن جساساً آخر من قتل في حرب بكر وتغلب ، وكان سبب قتله أن أخته جليلة كانت تحت كليب وائل . فلما قتل كليب عادت إلى أبيها وهي حامل ووقعت الحرب ، وكان من الفريقين ما كان ، ثم عادوا إلى المودعة بعدما كادت الفئتان¹ تنفان² ، فولدت أخت جساس غلاماً فسماه هجرساً ، ورباه جساس ، وكان لا يعرف أباً غيره ، فزوجه ابنته ، فوقع بين هجرس وبين رجل من بكر كلام ، فقال له البكري : ما أنت بمُنْتَه حتى نلحقك بأبيك . فأمسك عنه ودخل إلى أمه كثيراً حزناً فأخبرها الخبر . فلما نام إلى جنب امرأته رأت من همته وفكره ما أنكرته ، فقصت على أبيها جساس قصته ، فقال : نائر ورب الكعبة اوبات على مثل الرضف حتى أصبح ، فأحضر الهجرس فقال له : إنما أنت ولدي وأنت مني بالمكان الذي تعلم ، وزوجتك ابنتي ، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً ، وقد اصطلحنا وتماجزنا ، وقد رأيت أن تدخل في ما دخل فيه الناس من الصلح وأن تنطلق معي حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا . فقال الهجرس : أنا فاعل . فحملة جساس على فرس فركبه ولبس لأمه وقال : مثلي لا يأتي

1) تفنان . R. ; تنفان . B. 2) التفيلتان . B. et R.

أهلهُ بغير سلاحه ، فخرجوا حتى أتيا جماعةً من قومهما ، فقصرَ عليهم
جسّاسُ القصةِ وأعلمهم أنّ الهجرس يدخل في الذي دخل فيه جماعتهم وقد
حضر ليعقد ما عقدتم . فلما قرّبوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط
رعه ثمّ قال : وفرسي وأذنيّه ، ورعي ونصليّه ، وسيفي وغيراريّه لا يترك
الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه ، ثمّ طعن جسّاساً فقتله ولحق بقومه ، وكان
آخرَ قبيل في بكر . والأوّلُ أكثرُ .

ونرجع إلى سبّاقة الحديث .

فلما قُتل جسّاس أرسل أبوه مرّةً إلى مهلهل : إنك قد أدركتَ ثارك
وقتلتَ جسّاساً ، فاكففْ عن الحرب ودع اللجاج والإسراف وأصلحْ ذاتَ
البن فهو أصلحٌ للحبيّين وأنكأ لعدوّهم ، فلم يجب إلى ذلك . وكان الحارث
ابن عبّاداً قد اعتزل الحرب ، فلم يشهدا ، فلما قُتل جسّاس وهما
ابنا مرّةً حمل ابنه بُجَيْراً ، وهو ابن عمرو بن عبّاد أخي الحارث بن عبّاد ،
فلما حمّله على الناقة كتب معه إلى مهلهل : إنك قد أسرفتَ في القتل وأدركتَ
ثارك سوى ما قتلتَ من بكر ، وقد أرسلتُ ابني إليك فإما قتلتهُ بأخيك
وأصلحتَ بين الحبيّين وإما أطلقتَهُ وأصلحتَ ذاتَ البين ، فقد مضى من
الحبيّين في هذه الحروب منّ كان بقاؤه خيراً لنا ولكم . فلما وقف على كتابه
أخذ بُجَيْراً فقتله وقال : بؤُ بشيْعِ نعلِ كليب . فلما سمع أبوه بقتله ظنّ
أنّه قد قتله بأخيه ليصلح بين الحبيّين ، فقال : نِعِمَ القَتيلُ قَتيلاً أصلح
بين ابني وائل ! فقيل² : إنّه قال : بؤُ بشيْعِ نعلِ كليب³ ، فغضب عند
ذلك الحارث بن عبّاد وقال :

1) A. add. بن عبّاد ; R. ubique عبادة .

2) أصلح بين ابني وائل فقيل (3 ، 371 ، cf. Mobarad p.)

3) S. ; ceteri om.

قَرَبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةَ مِنِّي لَقِيحَتْ حَرْبٌ وَائِلٌ عَنِ حِيَالِ
 قَرَبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةَ مِنِّي شَابَ رَأْسِي وَأَنْكَرْتَنِي رَجَالِي
 لَمْ أَكُنْ¹ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ² الْإِلَهُ³ وَإِنِّي بِحَرْهَا⁴ الْيَوْمَ صَالِي

فأتوه بفرسه النعامه ، ولم يكن في زمانها مثلها ، فركبها وولّى أمرَ بكر
 وشهد حربهم ، وكان أول يوم شهده يوم قِصَّة ، وهو يوم تحلاق اللّمم ،
 وإنما قيل له تحلاق اللّمم³ لأنّ بكَراً حلّقوا رؤوسهم ليعرف بعضهم بعضاً
 إلاّ جَحْدَر بن ضُبَيْعَةَ بن قيس أبو المسامعة فقال لهم : أنا قصير فلا تشينوني ،
 وأنا اشترى لمتي منكم بأول فارس يطلع عليكم . فطلع ابنُ عَنَاق فشَدَّ عليه
 فقتله ، وكان يرتجز ذلك اليوم ويقول :

رُدُّوا عَلِيَّ الحَيْلِ إِنْ أَلَمَّتْ إِنْ لَمْ أَقَاتِلْهُمْ فَجَزُّوا لِمَتِّي

وقاتل يومئذ الحارث بن عبّاد قتالاً شديداً ، فقتل في تغلب مقتلة عظيمة ،
 وفيه يقول طرفة :

سائلوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا بِقُوانَا⁴ يَوْمَ تَحْلَاقِ اللَّمَمِ
 يَوْمَ تُبْدِي⁵ الْبَيْضُ عَنْ أَسْوَقِهَا وَتَلْفَ الحَيْلِ أَفْوَاجَ النَّعَمِ

وفي هذا اليوم أسر الحارث بن عبّاد مهلهلاً ، واسمه عديّ ، وهو لا
 يعرفه ، فقال له : دلّني على عديّ وأنا أخلّي عنك . فقال له المهلهل : عليك
 عهد الله بذلك إن دللتك عليه ؟ قال : نعم . قال : فأنا عديّ ، فجزّ ناصيته
 وتركه ، وقال في ذلك :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَعْرِفْ عَدِيّاً إِذْ أَمَكَّتَنِي الْيَدَانِ

1) R. . يكن . 2) B. بشرها . 3) S. ; ceteri om.
 4) B. بقبونا ; لقبونا . 5) B. et R. تبوا .

وكانت الأيام التي اشتدت فيها الحرب بين الطائفتين خمسة أيام : يوم
عُنْبِزَة تكافأوا فيه وتناصفوا ؛ ثمّ اليوم الثاني يوم واردات ، كان لتغلب
على بكر ؛ ثمّ اليوم الثالث الحِنُو ، كان لبكر على تغلب ؛ ثمّ اليوم الرابع
يوم القُصَيَّبَات ، أصيب بكر حتى ظنّوا أنّهم لن يستقيلوا ؛ ثمّ اليوم
الخامس يوم قِصَّة ، وهو يوم التحالق ، وشهده الحارث بن عباد ؛ ثمّ كان
بعد ذلك أيام دون هذه ، منها : يوم النَّقِيَّة¹ ، ويوم الفصيل² لبكر على
تغلب ، ثمّ لم يكن بينهما مزاحفة إنّما كان مغاورات ، ودامت الحرب بينهما
أربعين سنة .

ثمّ إنّ مهلهلاً قال لقومه : قد رأيتُ أن تُبَقُوا على قومكم فإنهم يحبّون
صلاحكم ، وقد أتت على حربكم أربعون سنة وما لُتكم على ما كان من
طلبكم بوتركم ، فلو مرّت هذه السنون في رفاهية عيش لكانت تُمَلّ من
طولها ، فكيف وقد في الحيات وثكلت الأمهات ويُتّم الأولاد ونائحة لا
تزال تصرخ في النواحي ، ودموع لا ترقأ ، وأجساد لا تُدفن ، وسيوف
مشهورة ، ورماح مشرعة ! وإنّ القوم سيرجعون إليكم غداً بمودتهم ومواصلتهم
وتتعطف الأرحام حتى تتواسوا في قبال النعل¹ ، فكان كما قال .

ثمّ قال مهلهل : أمّا أنا فما تطيب نفسي أن أقيم فيكم ولا أستطيع أن
أنظر إلى قاتل كليب وأخاف أن أحملكم على الاستئصال وأنا سائر إلى اليمن ،
وفارقهم وسار إلى اليمن ونزل في جنب ، وهي حيّ من مذحج ، فخطبوا
إليه ابنته ، فمنعهم ، فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه صداقها جلوداً من آدم ،
فقال في ذلك :

1) A. النفة .

2) B. et R. الفصل .

أَعَزِرُ عَلِيًّا تَغْلِبُ بِمَا لَقِيَتْ أختُ بني الأكرمين من جُشَمِ
 أنكحها فقدُها الأراقمَ في جنبٍ وكان الحبياء من آدمِ
 لو . بِأَبَانَيْنِ جاء¹ يخطبها ضُرِّجَ ما . أنفُ خاطب² بدمِ

الأراقم بطن من جُشَمِ بن تغلب ، يعني حيث فقدت الأراقم ، وهم
 عشيرتها ، تزوجها رجل من جنب بأدم .

ثم إن مهلهلاً عاد إلى ديار قومه ، فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة
 البكري أسيراً بنواحي هجر فأحسن إيساره ، فمرّ عليه تاجر يبيع الخمر قدم
 بها من هجر ، وكان صديقاً لمهلل ، فأهدى إليه وهو أسير زقاً من خمر ،
 فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بكرأ وشربوا عند مهلهل في بيته الذي أفرد
 له عمرو . فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بما كان يقوله من الشعر وينوح
 به على أخيه كليب ، فسمع منه² عمرو ذلك فقال : إنه لربان ، والله لا
 يشرب عندي ماء حتى يرد زيب ، وهو فحل كان له لا يرد إلا خمساً في
 حمارة القيظ ، فطلب بنو مالك زيباً وهم حراص³ على أن لا يهلك مهلهل ،
 فلم يقدرُوا عليه حتى مات مهلهل عطشاً .

وقيل : إن ابنة خال المهلهل ، وهي ابنة المجتل التغلبي ، كانت امرأة
 عمرو ، وأرادت أن تأتي مهلهلاً وهو أسير ، فقال بذكرها :

طفلة ما ابنة المجتل بيضا لعوبٌ لذيدة في العناقِ

1) بالثين من حي R .

2) الفت آدم R .

فاذهبي ما إليك غير بعيدٍ لا يوثاق العناق من في الوثاقِ
ضربت نحرها إليّ وقالت : يا عددي لقد وقتك الأواق

وهي أبيات ذوات عدد ، فنقل شعره إلى عمرو بن مالك ، فحلف
عمرو أن لا يسقيه الماء حتى يرد زبيب ، فسأله الناس أن يورد زيباً قبل
وروده ، ففعل¹ وأورده وسقاه حتى يتحلل من يمينه ، ثم إنه سقى مهلهلاً
من ماء هناك هو أوخم المياه ، فمات مهلهل .
(عباد بضم العين ، وفتح الباء الموحدة وتخفيفها) .

ذكر الحرب بين الحارث الأعرج وبني تغلب

قال أبو عبيدة : إن بكراً وتغلب ابني وائل اجتمعت للمندر بن ماء
السماء ، وذلك بعد حربهم ، وكان الذي أصلح بينهم قيس بن شرّاحيل
ابن مرة بن همام ، فغزا بهم المنذر بني آكل المرار ، وجعل على بني بكر
وتغلب ابنه عمرو بن هند ، وقال : أغزأ أخوالك . فغزاهم ، فاقتلوا ،
فانهزم بنو آكل المرار وأسرّوا ، وجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم .

ثم انتقضت تغلب على المنذر ولحقت بالشام ، ونحن نذكر سبب ذلك
في أخبار شيبان إن شاء الله² ، وعادت الحرب بينهم وبين بكر ، فخرج
ملك غسان بالشام ، وهو الحارث بن أبي شيمر الغساني ، فمر بأفاريق من تغلب ،
فلم يستقبلوه . وركب³ عمرو بن كلثوم التغلبي فلقبه ، فقال له : ما

1) R. فقبل .

2) S. ; ceteri om.

3) ووثب .

منع قومك أن يتلقوني؟ فقال: لم يعلموا بمرورك، فقال: لئن رجعت لأغزوتهم غزوة تركهم أيقاظاً لقدمي، فقال عمرو: ما استيقظ قومٌ قط إلا نبل رأيهم وعزت جماعتهم، فلا توظن نائمهم. فقال: كأنك تتوعدني بهم، أما والله لتعلمن إذا أجالت غطاريف غسان الخيل في دياركم أن أيقاظ قومك سينامون نومة لا حلثم فيها، تَبْتَثُ أصولهم ويُنْفَى¹ فلتهم إلى اليابس الجدد والنازح الثمد. ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه وجمع قومه وقال:

ألا فاعلم أبيت اللعن أنا أبيت اللعن نأبى ما تُريدُ
تعلّم أن محملنا ثقيل وأن ديار كبتينا² شديد
وأنا ليس حي من معدّي يقاومنا إذا لبس الحديد

فلما عاد الحارث الأعرج غزا بني تغلب، فاقتلوا واشتد القتال بينهم، ثم انهزم الحارث وبنو غسان وقتل أخو الحارث في عدد كثير، فقال عمرو بن كلثوم:

هلا عطفت على أخيك إذا دعا بالثكل ويل أبيك يا ابن أبي شمير
فدق الذي جشمت نفسك واعترف فيها أخاك وعامر بن أبي حجر

يوم عين أباغ

وهو بين المنذر بن ماء السماء وبين الحارث الأعرج بن أبي شمير جبلة، وقيل: أبو شمير عمرو بن جبلة بن الحارث بن حجر بن النعمان بن الحارث

1) يبقى R. 2) زياد كبتينا S; كبتينا R; كبتينا B; Fl.

الأيهم بن الحارث بن مارية الغساني ، وقيل في نسبه غير هذا ، وقيل : هو
أزدي تغلب على غسان ؛ والأول أكثر وأصح ، وهو الذي طلب أذراع
امرئ القيس من السمائل بن عادياة وقتل ابنه ، وقيل غيره ، والله أعلم .

وسبب ذلك أن المنذر بن ماء السماء ملك انعرب سار من الحيرة في
معدّ كلتها حتى نزل بعين أباغ بذات الحيار وأرسل إلى الحارث الأعرج بن
جبله بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر الغساني ملك
العرب بالشام : أمّا أن تعطيني الفدية فأصرف عنك بجنودي ، وإمّا أن تأذن
بحرب .

فأرسل إليه الحارث : أنظرنّا ننظر في أمرنا . فجمع عساكره وسار
نحو المنذر وأرسل إليه يقول له : إنا شيخان فلا نهلك جنودي وجنودك
ولكن يخرج رجل من ولدي ويخرج رجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه
آخر ، وإذا في أولادنا خرجت أنا إليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك .
فتعاهدا على ذلك ، فعمد المنذر إلى رجل من شجعان أصحابه فأمره أن يخرج
فيقف بين الصفتين ويظهر أنه ابن المنذر . فلما خرج أخرج إليه الحارث
ابنه أبا كرب . فلما رآه رجع إلى أبيه وقال : إن هذا ليس بابن المنذر إنما
هو عبده أو بعض شجعان أصحابه ، فقال : يا بني أجزعت من الموت ؟ ما
كان الشيخ ليغدر . فعاد إليه وقاتله فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدي المنذر .
وعاد فأمر الحارث ابناً له آخر بقتاله والطلب بثأر أخيه . فخرج إليه ، فلما
واقفه¹ رجع إلى أبيه وقال : يا أبت هذا والله عبد المنذر . فقال : يا بني ما كان
الشيخ ليغدر . فعاد إليه فشدّ عليه فقتله .

فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفي ، وكانت أمه غسانية ، وهو

1) واقه . et B. ١)

مع المنذر ، قال : أيتها الملك إن الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام ، وقد غدرتَ بآبِ عَمِّكَ دَفْعَتَيْنِ . فغضب المنذرُ وأمر بإخراجه ، فلحق بعسكر الحارث فأخبره ، فقال له : سل حاجتك . فقال له : حِلَّتِكَ¹ وخالَتِكَ . فلما كان الغد عبى الحارثُ أصحابه وحرّضهم ، وكان في أربعين ألفاً ، واصطفوا للقتال ، فاقتلوا قتالاً شديداً . فقتل المنذر وهزمت جيوشه ، فأمر الحارثُ بابنَيْهِ القَتِيلَيْنِ فحُمِلَا على بعيرٍ بمنزلة العِدْلَيْنِ ، وجعل المنذر فوقهما فودأ² وقال : يا لَعِلاوة³ دون العِدْلَيْنِ ! فذهبت مثلاً ؛ وسار إلى الحيرة فأنهبها وأحرقها ودفن ابنَيْهِ بها وبني الغَرِيْبَيْنِ⁴ عليهما في قول بعضهم ، وفي ذلك اليوم يقول ابن أبي الرَعْلَاءِ الضَّبْيَانِي⁵ :

كم تركنا بالعينِ عينِ أباغٍ من ملوكٍ وسوقةٍ أكفاء
أمطرتهم سحائبُ الموتِ تترى إن في الموتِ راحةَ الأشقياء
ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميتُ ميتُ الأحياء

يوم مرج حليمة وقتل المنذر بن المنذر بن ماء السماء

لما قُتِلَ المنذر بن ماء السماء ، على ما تقدّم ، ملك بعده ابنه المنذر وتلقب الأسود ، فلما استقر وثبت قدمه جمع عساكره وسار إلى الحارث الأعرج طالباً بثأر أبيه عنده ، وبعث إليه : إنني قد أعددتُ لك الكهُولَ ، على الفحول .

1) حلتك R. ; حلمك B.

2) B.

3) ما العلاوة S.

4) الغريبين R.

5) النساني B.

فأجابه الحارث: قد أعددتُ لك المُرد على الجُرْد. فسار المنذرُ حتى نزل بمرج حليمة ، فركه من به من غسان للأسود ، وإنما سُمِّي مرج حليمة بحليمة ابنة الحارث الغساني ، وسنذكر خبرها عند الفراغ من هذا اليوم .

ثم إن الحارث سار فتزل بالمرج أيضاً ، فأمر أهل القرى التي في المرج أن يصنعوا الطعام لعسكره ، ففعلوا ذلك وحملوه في الجفان وتركوه في العسكر ، فكان الرجل يقاتل فإذا أراد الطعام جاء إلى تلك الجفان فأكل منها . فأقامت الحرب بين الأسود والحارث أيتاماً [لم] يتصف بعضهم من بعض . فلما رأى الحارث ذلك قعد في قصره ودعا ابنته هنداً وأمرها فاتخذت طيباً كثيراً في الجفان وطيبت به أصحابه ، ثم نادى : يا فتيان غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هنداً . فقال لبيد بن عمرو الغساني لأبيه : يا أبت أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة ، ولست أرضى فرسي فأعطني فرسك الزيتية¹ . فأعطاه فرسه . فلما زحف الناس واقتلوا ساعةً شداً لبيد على الأسود فضربه ضربة فألقاه عن فرسه وانهزم أصحابه في كل وجه ، ونزل فاحتز رأسه وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره ينظر إليهم ، فألقى الرأس بين يديه . فقال له الحارث : شأنك بابنة عمك فقد زوجتكها . فقال : بل أنصرف فأواسي أصحابي بنفسي فإذا انصرف الناس انصرفت . فرجع فصادف أخاه الأسود قد رجع إليه الناس وهو يقاتل وقد اشتدت نكايته² ، فتقدم لبيد فقاتل فقتل ، ولم يُقتل في هذه الحرب بعد تلك الهزيمة غيره ، وانهزمت لحم هزيمة ثانية وقتلوا في كل وجه ، وانصرفت غسان بأحسن ظفر .

وذكر أن الغبار في هذا اليوم اشتد وكثر حتى ستر الشمس وحتى ظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر ، لأن الأسود سار بعرب العراق أجمع ، وسار الحارث بعرب الشام أجمع ، وهذا اليوم من

1) S. ; B. et R. الرتبة ; C. P. الرتبة .

2) مكانه ; R. نكاية B.

أشهر أيام العرب ، وقد فخر به بعض شعراء غسان فقال :

يومَ وادي حليمةٍ وازدلفنا بالعناجيج والرماح الظماء
إذ شحنا أكفنا من رِقاقٍ رَقَّ مِنْ وَقَعِهَا سَنَا السَّحْنَاءُ
وَأَتَتْ هِنْدُ بِالْحَلُوقِ إِلَى مَنْ كَانَ ذَا نَجْدَةٍ وَفَضْلِ غَنَاءِ
وَنَصَبْنَا الْجِفَانَ فِي سَاحَةِ الْمَرْجِ فَمِلْنَا إِلَى جِفَانِ مِلاءِ¹.

وقيل في قتله غير ما تقدم ، ونحن نذكره .

قال بعض العلماء : وكان سببه أن الحارث بن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج الغساني خطب إلى المنذر بن المنذر اللخمي ابنته وقصد انقطاع الحرب بين لحم وغسان ، فزوجه المنذر ابنته هنداً ، وكانت لا تريد الرجال ، فصنعت بجلدها شبيهاً بالبرص وقالت لأبيها : أنا على هذه الحالة وتهديني لملك غسان ؟ فندم على تزويجها فأمسكها . ثم إن الحارث أرسل يطلبها فمنعها أبوها واعتل عليه .

ثم إن المنذر خرج غازياً ، فبعث الحارث بن أبي شمر جيشاً إلى الحيرة فانتهبها وأحرقها . فانصرف المنذر من غزاته لما بلغه من الخبر ، فسار يريد غسان ، وبلغ الخبر الحارث فجمع أصحابه وقومه فسار بهم فتوافقوا بعين² أباغ فاصطفوا للقتال فاقتلوا واشتد الأمر بين الطائفتين ، فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحارث ، وفيها ابنه فقتلوه ، وانهمت الميسرة ، وحملت ميمنة الحارث على ميسرة المنذر فانهزم من بها وقتل مقدمها فروة بن مسعود ابن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان ، وحملت غسان من القلب على المنذر فقتلوه وانهزم أصحابه في كل وجه ، فقتل منهم بشر كثير وأسر

1) R. 6, 21.

2) فتوافقوا عين S.

خلق كثير ، منهم من بني تميم ثم من بني حنظلة مائة أسير ، منهم شأس
ابن عبدة ، فوفد أخوه علقمة بن عبدة الشاعر على الحارث يطلب إليه أن
يطلق أخاه ، ومدحه بقصيدته المشهورة التي أولها :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَانِ طَرُوبٌ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ^١ مَشِيبٌ
تَكَلَّفَنِي لَيْلِي وَقَدْ شَطَّ أَهْلُهَا^١ وَعَادَتْ عَوَادِ بَيْنَنَا وَخُطُوبٌ

يقول فيها :

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طيبٌ
إذا شاب رأسُ المرءِ أو قلَّ مالهُ فليس له في ودَّهنٍ نصيبٌ
• يُردن ثراءَ المالِ حيثُ وجدنه وشرخُ الشبابِ عندهنَّ عجيبٌ^٢
وقاتلَ من غسانِ أهلِ حِفاظِها وهِنْبٌ وقاسٌ جالَدَتُ وشِيبٌ^٢
تُخشِخِشُ أبدأنُ الحديدِ عليهم كما خشِختُ ببسِّ^٣ الحِصادِ جنُوبٌ
فلم تنجُ إلا شَطْبَةً بليجَماها وإلا طِمرٌ^٣ كالقناةِ نجيبٌ
وإلا كميُّ ذو حِفاظٍ كأنه بما ابتلَ من حدِّ الطُّبَاتِ خَضِيبٌ
وفي كلِّ حيٍّ قد خَبِطتْ بنعمةٍ فحوقٌ لشأسٍ من نَدَاكِ ذنُوبٌ
فلا تحرمني نائلاً عن جنابةٍ^٤ فإنني امرؤٌ وَسَطُ القِيَابِ غريبٌ

١) طمر : S. ; طم : A. ; طم : B. et R. Fl. ; 2) In sole S. ; 3) وليها . B. et S. 1) .

4) R. جنانة .

١ حنين .

٢ وخالد من غسان أهل حِفاظِها وهند وقاس ما صنعت ، يشيبُ
(غسان وهنب وقاس وشيب من قبائل اليمن)

٣ بين .

٤ جنابة .

فلما بلغ إلى قوله : فحقّ لشأس من نذاك ذنوب ، قال الملك : إي والله وأذنبته ، ثمّ أطلق شأساً وقال له : إن شئت الحياء وإن شئت أسراء قومك ؟ وقال لجلسائه : إن اختار الحياء على قومه فلا خير فيه . فقال : أيها الملك ما كنت لأختار على قومي شيئاً . فأطلق له الأسرى من تميم وكساة وحباه ، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزوّدهم زاداً كثيراً . فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا : أنت كنت السبب في إطلاقنا فاستعين بهذا على دهرك ، فحصل له مال كثير من إبل وكسوة وغير ذلك .

(عبدة بفتح العين والباء الموحدة) .

هـ وقيل في قتله : إنه جمع عسكراً ضخماً وسار حتى نزل الشام ، وسار ملك الشام ، وهو عند الأكثر الحارث بن أبي شمر ، فنزل مرج حليلة ، وهو يُنسب إلى حليلة بنت الملك ، ونزل الملك اللخميّ في مرج الصفر ، فسير الحارثُ فارسين طليعةً ، أحدهما فارس خجّصاف ، وكانت فرسه تجري على ثلاث فلا تُلحق ، فسارا حتى خالطا القوم وقربا من الملك وأمامه شمة فقتلا حاملها . ففرع القوم فاضطربوا بأسياهم فقتل بعضهم بعضاً حتى أصبحوا ، وأتاهم رسل الحارث ملك غسان يبذل الصلح والإتاوة وقال : إنني باعث رؤوس القبائل لتقرير الحال ، وندب أصحابه ، فانتدب له مائة غلام ، وقيل : ثمانون غلاماً ، فألبسهم السلاح وأمر ابنته حليلة أن تطيبهم وتلبسهم ، ففعلت . فلما مرّ بها ليبد بن عمرو فارس الزيتية قبلها ، فأتت أباهها باكيةً ، فقال : هو أسد القوم ولئن سلم لأنكحته إياك ، وأمره على القوم وساروا ، فلما قاربوا العسكر العراقيّ جمع الملك رؤوس أصحابه . وجاء الغسانيّون وعليهم السلاح قد لبسوا فوقها الثياب والبرانس ، فلما تاملوا عند الملك أبدوا السلاح فقتلوا من وجدوا ، وقتل ليبد بن عمرو ملك العراقيّين وأحيط بالغسانيّين فقتلوا إلاّ ليبد بن عمرو ، فإن فرسه لم تبرح ، فاستوى

عليها ، وعاد فأخبر الملك ، فقال له : قد أنكحتك ابنتي حلّيمة . فقال : لا يتحدث الناس أنني فلّ مائة ، ثمّ عاد إلى القوم فقاتل فقتل . وتفقد أهل العراق أشرافهم وإذا بهم قد قُتلوا فضعت نفوسهم لذلك وزحفت إليهم غسان فانهزموا .

قلت : قد اختلف النسابون وأهل السير في مدّة الأيّام وتقديم بعضها على بعض ، واختلفوا أيضاً في المقتول فيها ، فمنهم من يقول : إنّ يوم حلّيمة هو [اليوم] الذي قُتل فيه المنذر بن ماء السماء ، ويوم أباع ذ. اليوم الذي قُتل فيه المنذر بن المنذر ، ومنهم من يقول بضدّ ذلك ، ومنهم من يجعل اليومين واحداً فيقول : لم يُقتل إلاّ المنذر بن ماء السماء . وأمّا ابنه المنذر فمات بالحيرة ، وقيل : إنّ المقتول من ملوك الحيرة غيرهما ، فالصحيح أنّ المقتول هو المنذر بن ماء السماء لا شكّ فيه ، وأمّا ابنه ففيه خلاف كثير ، والأصحّ أنّه لم يُقتل ، ومنّ أثبت قتله اختلفوا في سببه ، على ما ذكرناه . وإنّما ذكرتُ اختلافهم والحادثة واحدة لأنّ كلّ سبب منها قد ذكره بعض العلماء ، فمتى تركنا أحدهما ظنّ من ليس له معرفة أنّ كلّ سبب منها حادث مستقلّ . وقد أهملناه ، فأتينا بهما جميعاً لذلك ونبهنا عليه .

ذكر قتل مُضَرِّط الحِجَارَة

وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخميّ صاحب الحيرة ، وكان يلقب مُضَرِّط الحِجَارَة لشدة ملكه وقوة سياسته ، وأمّه هند بنت الحارث بن عمرو

1) In solo S.

المقصود بن آكل المرار ، وهي عمّة امرئ القيس بن حُجر بن الحارث .

وكان سبب قتله أنه قال يوماً بللسائه : هل تعلمون أنّ أحداً من العرب من أهل مملكتي بأنف أن تخدم أمّه أمّي ؟ قالوا : ما نعرفه إلاّ أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبيّ ، فإنّ أمّه ليلي بنت مهلهل بن ربيعة ، وعمتها كلثيب وائل ، وزوجها كلثوم ، وابنها عمرو . فسكت مضطّ الحجارة على ما في نفسه وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستزيه¹ ويأمره أن تزور أمّه ليلي أمّ نفسه هنداً بنت الحارث . فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب ومعه أمّه ليلي ، فنزل على شاطئ الفرات ، وبلغ عمرو بن هند قدومه فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فصنع لهم طعاماً ثمّ دعا الناس إليه فقرب إليهم الطعام على باب السرادق ، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخوادم أصحابه في السرادق ، ولأمّه هند قبّة في جانب السرادق ، ويلي أمّ عمرو بن كلثوم معها في القبّة ، وقد قال مضطّ الحجارة لأمّه : إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلاّ الطّرف فنحني خدمك عنك ، فإذا دنا الطّرف² فاستخدمي ليلي ومُريها فلتتناولك الشيء بعد الشيء . ففعلت هند ما أمرها به ابنها ، فلما امتدعي الطّرف قالت هند لليلي : ناوليني ذلك الطبق . فقالت : ليتّمّ صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فألحّت عليها . فقالت ليلي : واذلاه يا آل تغلب ! فسعها ولدها عمرو بن كلثوم فنار الدم في وجهه والقوم يشربون ، فعرف عمرو بن هند الشرّ في وجهه ، وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق ، وليس هناك سيف غيره ، فأخذه ثمّ ضرب به رأس مضطّ الحجارة فقتله ، وخرج فنادى : يا آل تغلب ! فانتهبوا ماله وخبله وسبوا النساء وساروا فنحقوا بالحيرة ، فقال أنثون التغلبيّ :

1) ليزوره . R .

2) دعوت بالطرف . S . بطرف . R .

لَعَمْرُكَ مَا عَمِرُوا بِنِ هِنْدٍ وَقَدْ دَعَا لِيَتَّخِذَ لِي لَيْلَى أُمَّهُ بِمَوْفِقٍ
فَقَامَ ابْنُ كَلْثُومٍ إِلَى السِّيفِ مُصَلِّتًا وَأَمْسَكَ مِنْ نَدْمَانِهِ بِالْمَخْنَقِ

يَوْمَ الْكَلْبِ الْأَوَّلِ

قال ابن الكلبي : أول من اشتد¹ ملكه من كينة حُجر آكل المرار
ابن عمرو بن معاوية بن الحارث الكندي . فلما هلك ملك بعده ابنه عمرو
مثل ملك أبيه فسُمي المقصور لأنه قصر على ملك أبيه . فتزوج عمرو أم
أناس² بنت عوف بن مُحَلِّم الشيباني . فولدت له الحارث ، فملك بعد أبيه
أربعين سنة ، وقيل : ستين سنة . فخرج يتصيد فرأى عانة وهي حمر
الوحش ، فشدّ عليها . فانفرد منها حمار . فتبّعها وأقسم أن لا يأكل شيئاً
قبل³ كبده ، وهو بمسحلان . فطلبته الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته ، فأثي
به وقد كاد يموت من الجوع ، فشوي على النار وأطعم من كبده وهي حارة .
فمات . وكان الحارث فرّق بينه في قبائل معدّ . فجعل حُجراً في بني أسد
وكنانة ، وهو أكبر ولده : وجعل شُرْحَبِيل في بكر بن وائل وبني حنظلة
ابن مالك بن زيد مناة بن تميم وبني أسيد بن عمرو بن تميم ، والرُّباب : وجعل
سَلَمَةَ ، وهو أصغرهم . في بني تغلب والنَّمير بن قاسط وبني سعد بن زيد
مناة بن تميم ؛ وجعل ابنه معدي كَرِب . ويُعرف بغلفاء ، في قيس عيّلان ،
وقد تقدّم هذا في قتل حُجر أبي امرئ القيس . وإنما أعدناه هاهنا للحاجة
إليه .

1) A. et B. أشدّ .

2) R. اياس .

3) R. غير .

فلما هلك الحارث تشتت أمرُ أولاده وتفرقت كلمتهم ومشى بينهم الرجالُ ، وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف إليه بالجيوش . فسار شرحبيل فيمن معه من الجيوش فنزل الكُلاب ، وهو ماء بين البصرة والكوفة . وأقبل سلمة فيمن معه وفي الصنائع أيضاً ، وهم قوم كانوا مع الملوك من سُذَّاذ العرب ، فأقبلوا إلى الكُلاب وعلى تغلب السفاح بن خالد بن كعب ابن زهير ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وثبت بعضهم لبعض . فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرُّباب بكر بن وائل وانهزموا ، وثبتت بكر وانصرفت بنو سعد ومن معها عن تغلب وصبرت تغلب، ونادى منادي شرحبيل: مَنْ أُناني برأس سلمة فله مائة من الإبل، ونادى منادي سلمة: مَنْ أُناني برأس شرحبيل فله مائة من الإبل . فاشتد القتالُ حيثُ كل يطلب أن يظفر لعله يصل إلى قتل أحد الرجلين ليأخذ مائة من الإبل . فكانت الغلبة آخر النهار لتغلب وسلمة ، ومضى شرحبيل منهزماً ، فتبعه ذو السُّنينة التغلبي ، فالتفت إليه شرحبيل فضربه على ركبته فأطن رجله² ، وكان ذو السُّنينة أخا أبي حنَّش³ لأمه ، فقال لأخيه: قتلي الرجل ! وهلك ذو السُّنينة ! فقال أبو حنَّش لشرحبيل: قتلي الله إن لم أقتلك ! وحمل عليه فأدركه ، فقال: يا أبا حنَّش اللين اللين ! يعني اللية . فقال: قد هرقت لبناً كثيراً ! فقال: يا أبا حنَّش أملكاً بسوقة؟ فقال: إن أخي ملكي . فطعنه فألقاه عن فرسه ونزل إليه فأخذ رأسه وبعث به إلى سلمة مع ابن عم له ، فأتاه به وألقاه بين يديه ، فقال سلمة: لو كنت ألقىته أرفق⁴ من هذا ! وعُرفت الندامة في وجه سلمة والجزع عليه . فهرب أبو حنَّش

1) S. ; ceteri om.

2) B. add. فقتله .

3) B. et R. جيش ubique.

4) B. et R. ارفق .

منه ، فقال سلمة :

ألا أبلغ أبا حنش رسولاً فما لك لا تجيء إلى الثوابِ
لتعلم أن خير الناس طراً قتلٌ بين أحجارِ الكلابِ
تداعتْ حوله جُشمُ بن بكر وأسلمه جمعاً سيس¹ الربابِ

فأجابه أبو حنش فقال :

أحاذر أن أجيبك ثم تجبو حياءً أريك يوم صُنِّبعتِ
وكانت غُدرة² شنعاء تهفو تقلدها أبوك إلى المماتِ

وكان سبب يوم صُنِّبعت أن ابناً للحارث كان مسترضعاً في تميم
وبكر ولدغته حية فمات ، فأخذ خمسين رجلاً من تميم وخمسين رجلاً
من بكر فقتلهم به . ولما قتل سُرحبيل قام بنو زيد مائة بن تميم دون أهله
وعياله فمنعواهم وحالوا بين الناس وبينهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم .
ولما بلغ خبر قتله أخاه معدي كرب ، وهو غلفاء ، قال يرثيه :

إن جنبي عن الفراش لَنَابِي³ كتجاني الأسر فوق الظرابِ
مِن حديثٍ نَمِي إليّ فما تَرُ قأ عيني ولا أسبغُ شرابي
مُرّة كالدُّعافِ أكتمها لنا سَ على حرٍّ مَلَّةٍ كالشهابِ

1) B. et R. . جواسيس .

2) S. et C. P. . غُدرة .

3) Fl. ; A. et B. . كباب ; R. . كَباسي .

١ (الأسر : داء في سرّة البعير إذا برك تجافى . الظراب ، جمع ظرب : ما فتأ من الحجارة وحاداً طرفه) .

من سُرحبيل إذ تعاوَرَهُ الأَر
يا ابنَ أُمي ولو شهدتُك إذ تد
ثمّ طاعتُ من ورائك حتى
أ- سنتُ وائلٌ وعادتها الإح
يومَ فرّتْ بنو تميمٍ وولت
ماحٌ من بَعْدِ لذّةٍ وشبابٍ¹
عو تميماً وأنتَ غيرُ مُجابٍ
يُبلَغُ الرحبُ أو تُبَزَّ ثيابي
سان بالحينو يوم ضرب الرقابِ
خيَلهم يكتسِعن² بالأذنانِ

وهي طويلة ؛ ثمّ إنّ تغلب أخرجوا سلّمة من بينهم فلجأ إلى بكر بن وائل وانضمّ إليهم ، ولحقت تغلب بالمنذر بن امرئ القيس اللخمي .

(الكلاب بضم الكاف . أسيد بن عمرو بضم الهمزة ، وفتح السين المهملة ، وتشديد الباء المثناة من تحت . وذو السنيّة بضم السين المهملة ، تصغير سنّ . والرّباب بكسر الراء ، وتخفيف الباء الأولى الموحدة) .

يوم أواراة الأول

وهو يوم كان بين المنذر بن امرئ القيس وبين بكر بن وائل . وكان سببه أنّ تغلب لما أخرجت سلمة بن الحارث عنها التجأ إلى بكر بن وائل ، كما ذكرناه آنفاً ، فلما صار عند بكر أذعنّت له وحشدت عليه وقالوا : لا يملكنا غيرُ! ، فبعث إليهم المنذرُ يدعوهم إلى طاعته ، فأبوا ذلك ، فحلف المنذرُ ليسيرنّ إليهم فإن ظفر بهم فليذبحنّهم على قلّة جبل أواراة حتى يبلغ الدمُ الحضيضَ .

1) Codd. et S. وشراب .

2) يتقن : f. 122 (نقائض جرير والفرزدق) Cod. Oxon; Poc. 390 ! كمتنب R .

وسار إليهم في جموعه ، فالتقوا بأواراة فاقتلوا قتالاً شديداً وأجملت
الواقعة عن هزيمة بكر وأسر يزيد¹ بن شُرْحَيْبيل الكندي ، فأمر المنذرُ بقتله ،
فقتل ، وقتل في المعركة بشرَّ كثير ، وأسر المنذرُ من بكر أسرى كثيرةً
فأمر بهم فذُبِحوا على جبل أواراة ، فجعل الدمُ يجمد . فقيل له : أبيت اللعن
لو ذبحت كلَّ بكري على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض ! ولكن
لو صببت عليه الماء ! ففعل فسال الدم إلى الحضيض ، وأمر بالنساء أن يُحرقن
بالنار .

وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعاً إلى المنذر ، فكلّمه في سبي بكر
ابن وائل ، فأطلقهنَّ المنذرُ ، فقال الأعشى يفتخر بشفاعة القيسي إلى المنذر
في بكر :

ومنا الذي أعطاه بالجمع ربُّه على فاقةٍ وللملوك هيباتها
سبايا بني شيان يومَ أواراةٍ على النارِ إذ تُجلى له فتياتها

يوم أواراة الثاني

كان عمرو بن المنذر اللخمي قد ترك ابناً له اسمه أسعد عند زُرارة بن
عُدَس² التميمي ؛ فلما ترعرع مرت به ناقةٌ سمينة فعبث بها فرمى ضرعها ،
فشدَّ عليه ربّها سُويْدٌ أحد بني عبد الله بن دارم التميمي فقتله . وهرب

1) زيد . B. & R.

2) عبس . A.

١ تُجلى به قبساتها .

فلحق بمكة فحالت قريشاً . وكان عمرو بن المنذر غزا قبل ذلك ومعه زُرارة فأخفق ، فلما كان حِيالَ جبليّ طيءَ قال له زُرارة : أيّ ملكٍ إذا غزا لم يرجع ولم يُصِيبَ² ، فمِلْ على طيءَ فإنك بجبالها ، فمال إليهم فأسر وقتل وغنم ، فكانت في صدور طيءَ على زُرارة ، فلما قتل سويد أسعداً ، وزرارة يومئذ عند عمرو ، قال له عمرو بن مِلقَط الطائيّ بحرّض عمراً على زُرارة :

مَنْ مُبْلَغٌ عَمْرًا بَانَ الـ مرء لم يُخَلِّقْ صُبَارَةً
 ها إنَّ عَجْزَةَ أُمَّهِ بالسفح أسفل من أُوَارَةٍ
 فاقتُلْ زُرارة لا أرى في القوم أوفى من زُرارة

فقال عمرو : يا زُرارة ما تقول ؟ قال كُذِّبْتَ ، قد علمتَ عداوتهم فيك . قال : صدقت . فلما جنَّ الليلُ سار زُرارة مجدّاً إلى قومه ولم يلبث أن مرض . فلما حضرته الوفاةُ قال لابنه : يا حاجب ضُمَّ إليك غلمي في بني نَهْشَل . وقال لابن أخيه عمرو بن عمرو : عليك بعمرو بن مِلقَط فإنه حرّض عليّ الملك . فقال له : يا عمّاه لقد أسندتَ إليّ أبعدَهُمَا شِقَّةً وأشدَّهُمَا شوكة .

فلما مات زُرارة تهيأ عمرو بن عمرو في جمع وغزا طيبناً فأصاب الطريفَيْن : طريف بن مالك ، وطريف بن عمرو ، وقتل الملاقط ؛ فقال علقمة بن عبّدة في ذلك :

ونحن جلبنا من ضريبة³ خيلنا نُجَنَّبُهَا حَدَّ الإكام قطعاً
 أصبنا الطريفَ والطريفَ بن مالك وكان شفاءً الواصبين الملاقط⁴

1) S. ان ملك .

2) R. ينصب .

3) A. et B. ضريبة .

4) B. et R. يحينها .

5) (Cfr. Al Kama ed. Sorin)

فلما بلغ عمرو بن المنذر وفاة زُرارة غزا بني دارم ، وقد كان حلف ليقتلنّ منهم مائة ، فسار يطلبهم حتى بلغ أواراة ، وقد نذروا به ففترقوا . فأقام مكانه وبثّ سراياه فيهم ، فأتوه بتسعة وتسعين رجلاً سوى من قتلوه في غاراتهم فقتلهم ، فجاء رجل من البراجم شاعر ليمدحه فأخذه ليقته ليتمّ مائة¹ ، ثمّ قال : إنّ الشقيّ وافدُ البراجم ! فذهبت مثلاً .

وقيل : إنّه نذر أن يحرقهم فلذلك سُمّي محرّقاً² ، فأحرق منهم تسعة وتسعين رجلاً واجتاز رجل من البراجم فشمّ قنار اللحم فظنّ أنّ الملك يتخذ طعاماً فقصدته . فقال : من أنت ؟ فقال : أبيت اللعنّ أنا وافد البراجم . فقال : إنّ الشقيّ وافد البراجم ؛ ثمّ أمر به فقذف في النار ، فقال جرير للفرزدق :

أين الذين بنار³ عمرو أحرقوا⁴ أم أين أسعد⁵ فيكم⁵ المسترضعُ
وصارت تميم بعد ذلك يعيرون بحبّ الأكل لطمع البرجمي في الأكل ،
فقال بعضهم :

إذا ما مات مَيّتٌ من تميم فسرك أن يعيش فجىء بزاد⁶
بخُبْزٍ أو بلحمٍ أو بتمرٍ أو الشيء الملقف في البجادِ
تراه يُنقَب البطحاء حولاً ليأكل رأسَ لقمانِ بنِ عادِ

قيل : دخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية : ما الشيء الملقف في البجاد يا أبا بجر ؟ قال : السخينة يا أمير المؤمنين . والسخينة طعام تُعيّر به قريش كما كانت تُعيّر تميم بالملقف في البجاد . قال : فلم يُرّ مُمّا زِحانٍ أوفرَ منهما .

1) R. add. فأتخذ .

2) B. et R. حارق البراجم .

3) R. سيف .

4) R. قتلوا .

5) R. منكم الأسد .

6) B. et R. فمى زاد .

ذکر قتل زُهَير بن جَدِیمة وخالد بن جعفر بن کلاب والحارث بن ظالم المرّی و ذکر یوم الرّحرحان

کان زُهَیر بن جَدِیمة بن رَواحة بن ربیعة بن مازن بن الحارث بن قَطِیعة بن عبس العبسیّ ، وهو والد فبس بن زهیر صاحب حرب داحس والغبراء ، سید قیس عیّلان ، فتروّج إليه ملک الحیره ، وهو النعمان بن امریء القیس جدّ النعمان بن المنذر لشرفه وسؤدده ، فأرسل النعمان إلى زهیر یستزیره¹ بعض أولاده ، فأرسل ابنه شاساً فكان أصغر ولده ، فأكرمه وحباه ، فلما انصرف إلى أبيه كساه حُللاً² وأعطاه مالا طیباً² . فخرج شاس یرید قومه فبلغ ماء من مياہ غنیّ بن أعصر فقتله ربّاح بن الأشلّ الغنویّ وأخذ ما كان معه وهو لا یعرفه ، وقیل لزُهَیر : إنّ شاساً أقبل من عند الملك وكان آخر العهد به بما من مياہ غنیّ . فسار زهیر إلى ديار غنیّ ، وهم حلفاء في بني عامر ابن صعصعة ، فاجتمعوا عنده ، فسألهم عن ابنه ، فحلفوا أنّهم لم یعلموا خبره ، قال : لكنّي أعلمه ، فقال له أبو عامر : فما الذي یرضیک منا ؟ قال : واحدة من ثلاث : إمّا تُحیون ولدي ، وإمّا تسلّمون إليّ غنیّاً حتّى أقتلهم بولدي ، وإمّا الحرب بیننا وبینکم ما بقینا وبقیم . فقالوا : ما جعلت لنا في هذه مخرجاً ، أمّا إحياء ولدك فلا یقدر علیه إلاّ الله ، وأمّا تسلیم غنیّ إليك فهم یمتنعون ممّا یمتنع منه الأحرار ، وأمّا الحرب بیننا فوالله إنّنا لنحبّ رضاك ونكره سُخطك ، ولكن إن شئت الدّیة ، وإن شئت تطلب قاتل ابنك فنسلّمه إليك أو تهب دمه فإنّه لا یضیع في القرابة والحوار . فقال : ما أفعل إلاّ ما ذكرتُ . فلما رأى خالد بن جعفر بن کلاب تعدّي

1) لينذ R .

2) طبا B ; طفا A .

زهير على أخواله من غني قال : والله ما رأينا كالليوم تعدّي رجل على قومه .
فقال له زهير : فهل لك أن تكون طلبتي عندك وأترك غنياً ؟ قال : نعم ؛
فانصرف زهير وهو يقول :

فلولا كلاب قد أخذت¹ قرينتي برد غني أبداً ومواليا
ولكن حمتهم عصبه عامرية يهزون في الأرض القصار² العواليا
مساعير في الهيجا مصاليت في الوغى أخوهم عزيز لا يخاف الأعدايا
يقيمون في دار الحفاظ تكرماً إذا ما فني³ القوم أضحت خواليا

ثم إنه أرسل امرأة وأمرها أن تكتم نسبها وأعطاهما لحم جزور سمينة
وسيرها إلى غني لتبيع اللحم بطيب وتسال عن حال ولده . فانطلقت المرأة
إلى غني وفعلت ما أمرها ، فانتهدت إلى امرأة رباح⁴ بن الأشل وقالت لها :
قد زوجتُ بتاً لي وأبغى الطيب بهذا اللحم . فأعطتها طيباً وحدثتها بقتل
زوجها شامساً . فعادت المرأة إلى زهير وأخبرته . فجمع خيله وجعل يغير
على غني حتى قتل منهم مقتلة عظيمة . ووقعت الحرب بين بني عبس وبني
عامر وعظم التمر .

ثم إن زهيراً خرج في أهل بيته في الشهر الحرام إلى عكاظ ، فالتقى
هو وخالد بن جعفر بن كلاب . فقال له خالد : لقد طال شرتنا منك يا زهير
فقال زهير : أما والله ما دامت لي قوة أدرك بها ثأراً فلا انصرام له . وكانت
هوازن تؤتي زهير بن جديمة الإتاوة كل سنة بعكاظ ، وهو يسومها الحسف ،
وفي أنسراً منه غيظ وحقداً ، ثم عاد خالد وزهير إلى قومهما . فسبق خالد
إلى بلاد هوازن فجمع إليه قومه وندبهم إلى قتال زهير ، فأجابوه وتأهبوا

1) Fort legerium, Fl. أجدت

2) لانضا .

3) القوم عنى S. غنى ; B. et R. عبي ; A. ر

4) ريار .

للحرب وخرجوا يريدون زهيراً وهم على طريقه، وسار زهير حتى نزل على أطراف بلاد هوازن، فقال له ابنه قيس: انجُ بنا من هذه الأرض فإننا قريب من عدونا. فقال له: يا عاجز وما الذي تخوفني به من هوازن وتنتهي شرها؟ فأنا أعلمُ الناس بها. فقال ابنه: دع عنك اللجاج وأطعني ومير بنا فإنني خائف عاديتهم.

وكانت تُمَاضِر بنت الشريد بن رياح بن يَقْظَةَ بن عَصِيَّة¹ السُّلَمِيَّة² أمّ ولد زهير وقد أصاب بعض إخوانها³ دماً فلحق ببني عامر، وكان فيهم، فأرسله خالد عيناً ليأتيه بخبر زهير، فخرج حتى أتاهم في مترهم، فعلم قيس ابن زهير حاله وأراد هو وأبوه أن يوثقوه ويأخذوه معهم إلى أن يخرجوا من أرض هوازن، فمنعت أخته، فأخذوا عليه اليهودَ ألاّ يخبر بهم وأطلقوه فسار إلى خالد ووقف إلى شجرة يخبرها الخبر، فركب خالد ومن معه إلى زهير، وهو غير بعيد منهم، فاقتلوا قتالاً شديداً، والتقى خالد وزهير فاقتلا طويلاً ثمّ تعانقا فسقطا على الأرض، وشدّ ورقاء بن زهير على خالد وضربه بسيفه فلم يصنع شيئاً لأنه قد ظاهر بين درعين، وحمل جندُح ابن البكاء، وهو ابن امرأة خالد، على زهير فقتله، وهو وخالد يعتركان، فثار خالد عنه وعادت هوازن إلى منازلها، وحمل بنو زهير أباهم إلى بلادهم، فقال ورقاء بن زهير في ذلك:

رأيتُ زهيراً تحتَ كلِّكَلِ خالدٍ فأقبلتُ أسعى كالعَجولِ أبادِرُ
إلى بطلينِ يعترانِ كِلاهما يريد رِياشَ السيفِ والسيفِ نادِرُ
فشلتُ يميني يومَ أضربُ خالداً ويمنعه مني الحديدُ المَظاهرُ

1) عَصِيَّة R; عَصْبَة B.

2) السُّلَمِيَّة R.

3) ولدها S.

4) يعتركان R; يعيران B.

فيا ليت أني قبل أباتم خالدٍ وقبل زهير لم تلدني ثمأصيرُ
 لعمرى لقد بشرت بي إذ ولدتني فماذا الذي ردت عليك البشائرُ ؟
 فلا يدعني قومي صريحاً بحرةٍ لئن كنت مقتولاً ويسلم عاميرُ
 فطيرُ خالدٍ إن كنت تسطيع طيرةً ولا تقعنن إلا وقلبك حاذرُ
 أمتك المنايا إن بقيت بضربةٍ تفارق منها العيش والموت حاضرُ

وقال خالد بن عوف هوازن بقتله زهيراً :

أبلغ هوازن كيف تكفر بعدما أعتقتهم فتوالدوا أحرارا
 وقتل ربهم زهيراً بعدما جدع الأنوف وأكر الأوتارا
 وجعلت مهر نسايتهم ودياتهم عقل الملوك هجائناً وبكارا

وكان زهير سيد غطفان ، فعلم خالد أن غطفان ستطلبه بسيدها ، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس بالحيرة فاستجاره ، فأجاره . فضرب له قبةً ، وجمع بنو زهير لهوازن ، فقال الحارث بن ظالم المري : اكفوني حرب هوازن فأنا أكفيكم خالد بن جعفر .

وسار الحارث حتى قدم على النعمان فدخل عليه وعنده خالد ، وهما يأكلان تمراً ، فأقبل النعمان يسأله ، فحسده خالد ، فقال للنعمان : أبيت اللعن ! هذا رجل لي عنده يد عظيمة ، قتلت زهيراً وهو سيد غطفان فصار هو سيدها . فقال الحارث : سأجزيك على يدك عندي ، وجعل الحارث يتناول التمر ليأكله فيقع من بين أصابعه من الغضب ، فقال عروة لأخيه خالد : ما أردت بكلامه وقد عرفته فتاكاً ؟ فقال خالد : وما يخوفي منه ؟ فوالله لو رأيته نائماً ما أيقظني .

ثم خرج خالد وأخوه إلى قبتهما فشرجاها عليهما ، ونام خالد وعروة عند رأسه بحرمه ، فلما أظلم الليل انطلق الحارث إلى خالد فقطع شرح

القبّة ودخلها وقال لعروة : لئن تكلمت قتلتك ! ثمّ أيقظ خالداً ، فلما استيقظ قال : أتعرفني ؟ قال : أنت الحارث . قال : خذْ جزاء يدك عندي ! وضربه بسيفه المعلوب فقتله ، ثمّ خرج من القبّة وركب راحلته وسار .
 وخرج عروة من القبّة يستغيث وأبى باب النعمان فدخل عليه وأخبره الخبر ، فبث الرجال في طلب الحارث .

قال الحارث : فلما سرت قليلاً خفت أن أكون لم أقتله فعُدت متكرراً واختلطت بالناس ودخلت عليه فضربه بالسيف حتى تيقنت أنه مقتول وعُدت ! فلحقت بقومي ؛ فقال عبد الله بن جعندة الكلابي :

يا حارٍ لو نبهته لوجدته¹ لا طائشاً رَعِشاً ولا معزّالاً
 شفت عليه الخضرية جيبها جزعاً وما تبكي هناك² ضللاً
 فتنعوا أبا بحر بكلّ مجربٍ حرّان³ يحسب⁴ في القناة هلالاً
 فليقتلن بخالد سرواتكم وليجعلن لظالم تمثالاً
 فأجابه الحارث :

تالله قد نبهته فوجدته رخنو اليدين مواكلاً عسقالاً
 فعلوته بالسيف أضرب رأسه حتى أضلّ بسلح السربالاً

فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره ، وهوازن تطلبه لقتله بسيدها خالد ، فلحق بتميم فاستجار بضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، فأجاره على النعمان وهوازن ، فلما علم النعمان ذلك جهز جيشاً إلى بني دارم عليهم ابن الخمس التغلبي ، وكان يطلب الحارث بدم أبيه لأنه كان قتله .

1) R. وعديت .

2) B. عليه .

3) A. et B. حران .

4) B. يجب .

ثم إن الأحوص بن جعفر أخا خالد جمع بني عامر وسار بهم ، فاجتمعوا هم وعسكر النعمان على بني دارم وساروا ، فلما صاروا بأدنى مياه بني دارم رأوا امرأة تجني الكمأة ومعها جمل لها ، فأخذها رجل من غني وتركها عنده . فلما كان الليل نام فقامت إلى جملها فركبته وسارت حتى صبحت بني دارم وقصدت سيدهم زُرارة بن عدس¹ فأخبرته الخبر وقالت : أخذني أمس قوم لا يريدون غيرك ولا أعرفهم . قال : فصفهم لي . قالت : رأيت رجلاً قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بخرقه ، صغير العينين ، وعن أمره يصدرون . قال : ذاك الأحوص وهو سيد القوم . قالت : ورأيت رجلاً قليل المنطق إذا تكلم اجتمع القوم كما تجتمع الإبل لفحلها ، أحسن الناس وجهاً . ومعه ابنان له يلازمانه . قال : ذلك مالك بن جعفر وابناه عامر وطُفَيْل . قالت : ورأيت رجلاً جسيماً كأن لحيته محمّرة² مُعَصْفرة . قال : ذاك عوف بن الأحوص . قالت : ورأيت رجلاً هلقاماً جسيماً . قال : ذاك ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب . قالت : ورأيت رجلاً أسود أخنس قصيراً² . قال : ذاك ربيعة بن قُرط بن عبد الله بن أبي بكر . قالت : ورأيت رجلاً أقرن الحاجبين ، كثير شعر السبلة ، يسيل لعابُه على لحيته إذا تكلم . قال : ذاك جُنْدُح بن البكاء . قالت : ورأيت رجلاً صغير العينين ضيق الجبهة يقود فرساً له معه جفير لا يفارق يده . قال : ذاك ربيعة بن عُقَيْل بن كعب . قالت : ورأيت رجلاً معه ابنان أصهبان إذا أقبلا رماهما الناس بأبصارهم ، فإذا أدبرا كانا كذلك . قال : ذاك الصعق بن عمرو بن خُوَيْلِد بن نُفَيْل وابناه يزيد وزُرعة . قالت : ورأيت رجلاً لا يقول كلمة إلا وهي أحد من شفرة . قال : ذاك عبد الله بن جَعْدَة بن كعب .

وأمرها زُرارة فدخلت بيتها وأرسل زُرارة إلى الرعاء يأمرهم بإحضار

1) قيس B. ; عيس A. 1)

2) صغيراً R. 2)

الإبل ، ففعلوا . وأمرهم فحملوا الأهل والأثقال وساروا نحو بلاد بغيض ، وفرق الرسل في بني مالك بن حنظلة فأتوه ، فأخبرهم الخبر وأمرهم ، فوجهوا أثقالهم إلى بلاد بغيض ، ففعلوا وباتوا معدّين .

وأصبح بنو عامر وأخبرهم الغنويّ حال الظعينة وهرّبها فسقط في أيديهم واجتمعوا يديرون الرأي ، فقال بعضهم : كأنني بالظعينة قد أتت قومها فأخبرتهم الخبر ، فحذروا وأرسلوا أهلهم وأموالهم إلى بلاد بغيض وباتوا معدّين لكم في السلاح فركبوا بنا في طلب نعمهم وأموالهم فلأنهم لا يشعرون حتى نُصيب حاجتنا ونصرف . فركبوا يطلبون ظنن بنو دارم ، فلما أبطأ القوم عن زرارة قال لقومه : إن القوم قد توجهوا إلى ظننكم وأموالكم فسيروا إليهم . فاروا مجدّين فلاحقهم قبل أن يصلوا إلى الظنن والنعم ، فاقطعوا قتالاً شديداً ، فقتل بنو مالك بن حنظلة ابن الخمس الظننيّ رئيس جيش النعمان ، وأسرت بنو عامر معبد بن زرارة ، وصبر بنو دارم حتى اتصف النهار ، وأقبل قيس بن زهير فبينما معه من ناحية أخرى ، فانهزمت بنو عامر وجيش النعمان وحادوا إلى بلادهم ومعبد أمير مع بني عامر ، فبقي معهم حتى مات .

وفي تلك الأيام أيضاً مات زرارة بن عدّس .

وقيل في استجارة الحارث بيني تميم غير ذلك ، وهو أن النعمان طلب شيئاً يغيظ به الحارث بعد قتل خالد وهربه ، فقيل له : كان قصد الحيرة ونزل على عياض بن ديهث¹ التميمي وهو صديق له ، فبعث إليه النعمان فأخذ لإيلاً له ، فركب الحارث وأتى الحيرة متخفياً واستنقذ ماله من الرعاء وردّه عليه وطلب شيئاً يغيظ به النعمان ، فرأى ابنه غضبان² ففرضب رأسه بالسيف

1) ذهب : ذهب .

2) غضبان : غضبان .

قتله ، وبلغ النعمان الخبر فبعث في طلبه فلم يدرك ، فقال الحارث في ذلك :

أخْصِيَّ حماريات يكدمُ نجمةً أتوكل جاراتي وجارك سلمُ
فإن تكُ أنواداً أصبتَ ونسوةً فهذا ابن سَلَمَى رأسُ مِظالمُ
طلوتُ بني الحيات مفرق رأسه ولا يركب المكروه إلا الأكارمُ
فكتُ به كما فكتُ بخالدٍ وكان سلاحي تحنويه الجماجمُ
بدأتُ بظك وانقنبتُ بيده وثالثه نبيضُ منها المقادمُ
حبتُ أبا قابوس أنك مخفيري ولما تذوق نكلاً وانفك راغمُ

كنا قال بعضهم ، وقيل : إن القتل كان شرحبيل بن الأسود بن المنذر ، وكان الأسود قد ترك ابنه شرحبيل عند ستان بن أبي حارة المري ترضه زوجته . فمن هناك كان لستان مال كثير . وكان ابنه هريم يعطى منه ، فجاء الحارث متخفياً فلعن سرج ستان ولا يعلم ستان ، ثم أتى امرأة ستان فقال : يقول بظك ابني بشرجيل ابن الملك مع الحارث بن ظلم حتى يسلطن به ويتخفرا به وهذا سرجه علامة . فزيتته ودفعته إليه . فأخذته وقتله وهرب .

فزا الأسود بني ذبيان وبني أسد بنطاً أربك قتل فيهم قتلاً ذريعاً وسبي واستأصل الأموال وأنهم ليقطن الحارث ، فسار الحارث متخفياً إلى الحيرة ليفتك بالأسود ، فبينما هو في منزله إذ سمع صرخة تقول : أنا في جوار الحارث بن ظلم ، وعرف حلالاً ، وكان الأسود قد أخذها صرمة من الإبل ، فقال لها : انطقي خدأ إلى مكان كذا ، وأتاه الحارث . فلما وردت إبل النعمان أخذ مالها فسلمه إليها وفيها ناقة تسمى القناع ، فقال الحارث في ذلك :

1) B. et R. ينجوا .

إذا سمعت حنة اللقاع فادعي أبا ليلي فينعم الداعي
بمشي بعصب صارم قطاع يفري به مجامع الصداع

ثم أقبل يطلب مجيراً فلم يجره أحد من الناس وقالوا : من يجيرك على
هوازن والنعمان وقد قتلت ولده ؟ فأتى زُرارة بن عدس وضمرة بن ضمرة
فأجاراه على جميع الناس .

ثم إن عمرو بن الإطنابة الخزرجي لما بلغه قتل خالد بن جعفر ، وكان
صديقاً له ، قال : والله لو وجدته يقظان² ما أقدم عليه ، ولوددت أني
لقيته . وبلغ الحارث قوله وقال : والله لآتينه في رحله ولا ألقاه إلا ومعه
سلاحه ، فبلغ ذلك ابن الإطنابة فقال أبياتاً ، منها :

أبلغ الحارث بن ظالم الموعِدَ والناذرَ النُدورَ علياً
إنما تقتل النيامَ ولا تَقْتُلُ يقظانَ ذا سلاحِ كميّاً

فبلغ الحارث شعره فسار إلى المدينة وسأل عن منزل ابن الإطنابة ، فلما
وفا منه نادى : يا ابن الإطنابة أغشي³ ! فأتاه عمرو فقال : مَنْ أنت ؟
قال : رجل من بني فلان خرجتُ أريد بني فلان فعرض لي قوم قريباً منك
فأخذوا ما كان معي فاركبُ معي حتى نستنقذه . فركب معه ولبس سلاحه ومضى
معه ، فلما أبعده عن منزله عطف عليه وقال : أناثم⁴ أنت أم يقظان ؟ فقال :
يقظان . فقال : أنا أبو ليلي وسيفي المألوب ، فألقى ابنُ الإطنابة سيفه ، وقيل :
رجمه ، وقال : قد أعجلتني فأمهلتني حتى أخذ سيفي . فقال : خذْه . قال :
أخاف أن تُعجلتني عن أخذه . قال : لك ذمّة ظالم لا أعجلك عن أخذه⁴ .

1) R. ينشئ .

2) S. نالماً .

3) B. et R. أغشي .

4) S. ; ceteri om.

قال : فوذمة الإطنابة لا آخذة ! فانصرف الحارث وهو يقول أبياتاً ، منها :

بلغتُنَا مقالةُ المرءِ عمرو فالتقينا وكان ذاكَ بديّاً
فهمنا بقتله إذ برزنا ووجدناه ذا سلاح كميّاً
غيرَ ما نائمٍ بروعٍ بالفتة لكِ ولكنّ مقلداً مشرفياً
فمننا عليه بعد علوّ بوفاء وكنتُ قديماً وفيّاً

ثمّ إنّ الحارث لما علم أنّ النعمان قد جدّ في طلبه وهو ازن لا تقعد عن الطلب بئار خالد خرج متنكراً إلى الشام واستجار بيزيد بن عمرو ، فأكرمه وأجاره . وكان ليزيد ناقة مُحماة في عنقها مديّة¹ وزناد وملح ليتمتحن بذلك رعيته ، فوحمت زوجة الحارث واشتهت شحماً ولحماً ، فأخذ الحارث الناقة فأدخلها شِعْباً فذبجها وحمل إلى امرأته من شحمها ولحمها ورفع منه . وفقدت الناقة فطلبت فوجدت عقيرة بالوادي ، فأرسل الملك إلى كاهن فسأله عنها ، فذكر له أنّ الحارث نحرها ، فأرسل امرأةً بطيب تشتري من لحمها من امرأة الحارث ، فأدركها الحارث وقد اشترت اللحم فقتلها ودفنها في البيت . فسأل الملك الكاهن عن المرأة ، فقال : قتلها من نحر الناقة ، وإذا كرهت أن تفتش بيته فتأمر الرجل بالرحيل ، فإذا رحل فتشت بيته . ففعل ذلك ، فلما رحل الحارث فتش الكاهن بيته فوجد المرأة ، وأحسّ الحارث بالشرّ فعاد إلى الكاهن فقتله ، فأخذ الحارث وأحضر عند الملك ، فأمر بقتله ، فقال : إنك قد أجرّتي فلا تغدري بي . فقال : إن غدرتُ بك مرة واحدة فقد غدرتُ بي مراراً . فقتله .

1) مزية B .

أيام داحس والغبراء ، وهي بين عيس وذبيان

وكان سبب ذلك أن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي سار إلى المدينة ليتجهز لقتال عامر والأخذ بثأر أبيه ، فأتى أحيحة بن الجلاح يشتري منه درعاً موصوفة¹ . فقال له : لا أبيعها ولولا أن تدمتي بنو عامر لو هبتها منك ولكن اشتريها² . ففعل ذلك وأخذ الدرع ، وتسمى ذات الحواشي ، ووهبه أحيحة أيضاً أدراعاً ، وعاد إلى قومه وقد فرغ من جهازه . فاجتاز بالربيع بن زياد العبسي فدعاه إلى مساعدته على الأخذ بثأره فأجابه إلى ذلك . فلما أراد فراقه نظر الربيع إلى عيبتة فقال : ما في حقيبتك³ ؟ قال : متاع عجيب لو أبصرته لراعك ، وأناخ راحلته ، فأخرج الدرع من الحقيبة⁴ ، فأبصرها الربيع فأعجبته ولبسها ، فكانت في طوله . فمنعها من قيس ولم يعطه إياها ، وترددت الرسل بينهما في ذلك ، ولجّ قيس في طلبها ، ولجّ الربيع في منعها . فلما طالت الأيام على ذلك سير قيس أهله إلى مكة وأقام ينتظر غرة الربيع .

ثم إن الربيع سير إبله وأمواله إلى مرعى كثير الكلاء وأمر أهله فظعنوا ، وركب فرسه وسار إلى المنزل ، فبلغ الخبر قيساً فسار في أهله وإخوته فعارض ظعائن الربيع وأخذ زمام أمه فاطمة بنت الحرشب وزمام زوجته . فقالت فاطمة أم الربيع : ما تريد يا قيس ؟ قال : أذهب بكن إلى مكة فأبيعكن بها بسبب درعي . قالت : وهي في ضماني وخلّ عناً ، ففعل . فلما جاءت إلى ابنها قالت له في معنى الدرع ، فحلف أنه لا يردّ الدرع⁵ ، فأرسلت إلى قيس

1) A. صوفة ; B. سومة .

2) B. تشتريها .

3) B. جمعك .

4) B. الغلا .

5) B. ; ceteri om.

أعلمته بما قال الربيع ، فأغار على نَعَمِ الربيع فاستاق منها أربعمائة بعير وسار بها إلى مكة فباعها واشترى بها خيلاً ، وتبعه الربيع فلم يلحقه ، فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء .

وقيل : إن داحساً كان من خيل بني يربوع ، وإن أباه كان [أخذ] فرساً لرجل من بني ضَبَّة يقال له أنَيْف بن جبلة ، وكان الفرس يسمى السبظ¹ ، وكانت أم داحس لليربوعي ، فطلب اليربوعي من الضببي أن ينزلي فرسه على حجره فلم يفعل . فلما كان الليل عمد اليربوعي إلى فرس الضببي فأخذه فأنزاه على فرسه ، فاستيقظ الضببي فلم ير فرسه فنادى في قومه ، فأجابوه ، وقد تعلق باليربوعي ، فأخبرهم الخبر ، فغضب ضبَّة من ذلك . فقال لهم : لا تعجلوا ، دونكم نطفة فرسكم فخذوها . فقال القوم : قد أنصف . فسطا عليها رجل من القوم فدس يده في رحمها فأخذ ما فيها ، فلم تزد الفرس إلا لقاحاً فتجت مهراً فسُمي داحساً بهذا السبب .

فكان عند اليربوعي ابنان له ، وأغار قيس بن زهير على بني يربوع فنهب وسبي . ورأى الغلامين أحدهما على داحس والآخر على الغبراء فطلبهما فلم يلحقهما ، فرجع وفي السبي أم الغلامين وأختان لهما وقد وقع داحس والغبراء في قلبه . وكان ذلك قبل أن يقع بينه وبين الربيع ما وقع . ثم جاء وفد بني يربوع في فداء الأسرى والسبي ، فأطلق الجميع إلا أم الغلامين وأختيهما وقال : إن أتاني الغلامان بالمهر والفرس الغبراء وإلا فلا . فامتنع الغلامان من ذلك ، فقال شيخ من بني يربوع كان أسيراً عند قيس ، وبعث بها إلى الغلامين ، وهي :

إن مهراً فدى الرباب وجُملاً¹ وسعاداً لخير مهراً أناس

.....
1) الشيط S.

ادعوا داحساً بهنّ سراعاً إنّها من فعالها الأكياسِ
دونها والذي يحجّ له النا سٌ سبايا يُبعن بالأفراسِ
إنّ قيساً يرى الجواد من الحيا ل حياةً في متلف الأنفاسِ
يشترى الطرّف بالجراجرة الج لمة يعطي عفواً بغير مكاسِ

فلما انتهت الأبيات إلى بني يربوع قادوا الفرسيّن إلى قيس وأخذوا

النساء .

وقيل : إنّ قيساً أنزى داحساً على فرس له فجاءت بمهرة فسمّاها الغبراء .
ثمّ إنّ قيساً أقام بمكة فكان أهلها يفاخرونه ، وكان فخوراً ، فقال لهم :
نَحْوًا كَعَبْتَكُمْ عَنَّا وَحَرَمَكُمْ وَهَاتُوا مَا شِئْتُمْ . فقال له عبد الله بن جدعان :
إذا لم نفاخرك بالبيت المعمور وبالحرم الآمن فبمّ نفاخرك ؟ فمّلّ قيس مفاخرتهم
وعزم على الرحلة عنهم ، وسرّ ذلك قريشاً لأنهم قد كانوا كرهوا مفاخرته ،
فقال لإخوته : ارحلوا بنا من عندهم أولاً وإلاّ تفاقم الشرّ بيننا وبينهم ،
والحقوا ببني بدر فإنهم أكفاؤنا في الحسب ، وبنو عمّنا في النسب ، وأشرف
قومنا في الكرم ، ومن لا يستطيع الربيع أن يتناولنا معهم . فلحق قيس وإخوته
ببني بدر ، وقال في مسيره إليهم :

أسير إلى بني بدرٍ بأمرٍ همُ فيه علينا بالخيارِ
فإن قبلوا الجوارَ فخيرُ قومٍ وإن كرهوا الجوارَ فغيرُ عارِ
أتينا الحارثَ الحيرَ بن كعبٍ بنجرانٍ وأي لحا يجارِ
فجاورنا الذين إذا أتاهم غريبٌ حلّ في سعة القرارِ
فيأمن فيهمُ ويكون منهم بمتزلة الشعار من الدثارِ

1) S. ; in ceteris lacuna.

وإن تُفردَ بحربِ بني آيينا بلا جارٍ فإنَّ اللهَ جاري

ثمَّ نزلَ بيني بديرٍ فقتلَ بحُدَيْفَةَ ، فأجاره هو وأخوه حمَلُ بن بديرٍ ،
وأقامَ فيهم ، وكانَ معه أفراسٌ له وإخوته لم يكن في العربِ مثلها ، وكانَ
حُدَيْفَةُ يغدو ويروح إلى قيسٍ فينظرُ إلى خيله فيحسده عليها ويكتم ذلك في
نفسه ، وأقامَ قيسٌ فيهم زماناً يكرمونه وإخوته ، فغضبَ الربيعُ ونقمَ ذلك
عليهم وبعثَ إليهم بهذه الآيات :

ألا أبلغُ بني بديرٍ رسولاً على ما كان من شنيءٍ ووترٍ
بأنِّي لم أزلُ لكمُ صديقاً أدافع عن فزارة كلِّ امرٍ
أسالمُ سلمكم وأردُّ عنكم فوارسَ أهلِ نجرانٍ وحجرٍ
وكانَ أبي ابن عمِّكمُ زيادٌ صفيَّ أيِّكمُ بديرٍ بن عمرو
فألحَّاتمُ أخا الغدراتِ قيساً فقد أفعمُّ إيغارِ صدري
فحسبي من حُدَيْفَةَ ضمَّ قيسٌ وكان البدء من حمَلِ بن بديرٍ
فلما ترجعوا أرجعُ إليكم وإن تأبوا فقد أوسعتُ عندي

فلم يتغيروا عن جوارِ قيسٍ . فغضبَ الربيعُ وغضبتِ عبسٌ لغضبه ،
ثمَّ إنَّ حُدَيْفَةَ كره قيساً وأراد إخراجه عنهم فلم يجد حجةً ، وعزمَ قيسٌ
على العُمرة فقال لأصحابه : إنِّي قد عزمْتُ على العُمرة فإياكم أن تلابسوا
حُدَيْفَةَ بشيءٍ ، واحتملوا كلَّ ما يكون منه حتى أرجعُ فإنِّي قد عرفتُ الشرَّ في
وجهه وليس يقدر على حاجته منكم إلا [أن] تراهنوه على الخيلِ . وكان ذا رأيٍ
لا يخطيء في ما يريدُه ، وسارَ إلى مكة . ثمَّ إنَّ فتىً من عبسٍ يقال له وَرْدٌ
ابن مالكٍ أتى حُدَيْفَةَ فجلسَ إليه ، فقال له وردٌ : لو اتَّخذتَ من خيلِ قيسٍ
سحلاً يكون أصلاً لخيلك . فقال حُدَيْفَةُ : خيلي خيرٌ من خيلِ قيسٍ ، ولحاً
في ذلك إلى أن تراهننا على فرسين من خيلِ قيسٍ وفرسين من خيلِ حُدَيْفَةَ ،

والرهن عشرة أذواد .

وسار ورد فقدم على قيس بمكة فاعلمه الحال ، فقال له : أراك قد أوقعتني في بني بدير ووقعت معي وحذيفة ظلوم لا تطيب نفسه بحق ونحن لا نقر له بضييم . ورجع قيس من العُمرة ، فجمع قومه وركب إلى حذيفة وسأله أن يفك الرهن ، فلم يفعل . فسأله جماعة فزاره وعبس فلم يجب إلى ذلك ، وقال : إن أقر قيس أن السبق لي وإلا فلا ، فقال أبو جعدة الفزاري :

آل بدير دعوا الرهانَ فإننا قد مللنا اللجاجَ عند الرهانِ
ودعوا المرء في فزاره جاراً إن ما غاب عنكم كالعيانِ
ليت شعري عن هاشم وحُصَيْنِ وابن عوف وحاتر وسانِ
حين يأتيهم بلجاجك قيساً رأياً صاحِ أتيت أم نشوانِ

وسأل حذيفة إخوته وسادات أصحابه في ترك الرهان ولج فيه ، وقال قيس : علام تراهنني ؟ قال : على فرسيك داحس والغبراء وفرسي الخطار والحنفاء ، وقيل : كان الرهن على فرسي داحس والغبراء . قال قيس : داحس أسرع . وقال حذيفة : الغبراء أسرع ، وقال لقيس : أريد أن أعلمك أن بصري بالخيال أثقب من بصرك ، والأول أصح . فقال له قيس : نفساً في الغاية وارفع في السبق . فقال حذيفة : الغاية من أبلى إلى ذات الإصناد ، وهو قدر مائة وعشرين غلوة ، والسبق مائة بعير ، وضمروا الخيل . فلما فرغوا قادوا الخيل إلى الغاية وحشدوا ولبسوا السلاح وتركوا السبق على يد عقال ابن مروان بن الحكم القيسي وأعدوا الأماناء على إرسال الخيل .

١ وأي .

٢ قس .

وأقام حذيفة رجلاً من بني أسد في الطريق وأمره أن يلقي داحساً في وادي ذات الإصايد إن مرّ به سابقاً فيرمي به إلى أسفل الوادي .

فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبقاً بيناً والناس ينظرون إليه وقيس وحذيفة على رأس الغاية في جميع قومهما . فلما هبط داحس في الوادي عارضه الأسدي فلطم وجهه فألقاه في الماء ، فكاد يغرق هو وراكبه ولم يخرج إلا وقد فاتته الخيل . وأما راكب الغبراء فإنه خالف طريق داحس لما رآه قد أبطأ وعاد إلى الطريق واجتمع مع فرسي حذيفة ، ثم سقطت الحنفاء وبقي الغبراء والخطار ، فكانا إذا أحزنا سبق الخطار وإذا أسهلا سبقت الغبراء . فلما قربا من الناس وهما في وعث من الأرض تقدّم الخطار ، فقال حذيفة : سبقك يا قيس . فقال : رويدك يعلون الجدد ؛ فذهبت مثلاً . فلما استوت بهما الأرض قال حذيفة : خدع والله صاحبنا . فقال قيس : ترك الخداع من أجرى من مائة وعشرين ؛ فذهبت مثلاً .

ثم إن الغبراء جاءت سابقة وتبعها الخطار فرس حذيفة ، ثم الحنفاء له أيضاً ، ثم جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله ، فأخبر الغلام قيساً بما صنع بفرسه ، فأنكر حذيفة ذلك وادّعى السبق ظالماً ، وقال : جاء فرساي متتابعين ، ومضى قيس وأصحابه حتى نظروا إلى القوم الذين حبسوا داحساً واختلفوا .

وبلغ الربيع بن زياد خبرهم فسرّه ذلك وقال لأصحابه : هلك والله قيس ، وكأنتي به إن لم يقتله حذيفة وقد أتاكم يطلب منكم الجوار ، أما والله لئن فعل ما لنا من ضمه من بدّ .

ثم إن الأسدي ندم على حبس داحس فجاء إلى قيس واعترف بما

أجرى .

صنع ، فسبه حذيفة .

ثم إن بني بدر قصرُوا بقيس وإخوته وأذوهم بالكلام ، فعاتبهم قيس ، فلم يزدادوا إلا بغياً عليه وإيذاءً له .

ثم إن قيساً وحذيفة تناكرا في السبق حتى هما بالمؤاخذة ، فمنعهما الناس ، وظهر لهم بني حذيفة وظلمه ، ولجّ في طلب السبق ، فأرسل ابنه ندبة إلى قيس يطالبه به : فلما أبلغه الرسالة طعنه فقتله وعادت فرسه إلى أبيه ونادى قيس : يا بني عبس الرحيل ! فرحلوا كلهم ، ولما أتت الفرس حذيفة علم أن ولده قُتل ، فصاح في الناس وركب في من معه وأتى منازل بني عبس فرآها خالية ورأى ابنه قتيلاً ، فنزل إليه وقبل بين عينيه ودفنوه .

وكان مالك بن زهير أخو قيس متروجاً في فزارة وهو نازل فيهم . فأرسل إليه قيس : أني قد قتلت ندبة بن حذيفة ورحلت فالحق بنا وإلا قتلت . فقال : إنما ذنب قيس عليه ، ولم يُرحل ، فأرسل قيس إلى الربيع ابن زياد يطلب منه العود إليه والمقام معه إذ هم عشيرة وأهل ، فلم يجبه ولم يمنعه ، وكان مفكراً في ذلك .

ثم إن بني بدر قتلوا مالك بن زهير أخا قيس ، وكان نازلاً فيهم ، فبلغ مقتله بني عبس والربيع بن زياد ، فاشتد ذلك عليهم ، وأرسل الربيع إلى قيس عيناً يأتيه بخبره ، فسمعه يقول :

أينجو بنو بدرٍ بمقتل مالك وبخذلنا في النائبات ربيعُ
وكان زيادٌ قبله يتقى به من الدهر إن يوم ألم فطبعُ
فقل لربيعٍ يحتذي فعل شيخه وما الناس إلا حافظٌ ومضبعُ
وإلا فما لي في البلاد إقامة وأمر بتي بدرٍ عليّ جميعُ

فرجع الرجل إلى الربيع فأخبره ، فبكى الربيع على مالك وقال :

مَنَعَ الرَّقَادَ فَمَا أَغْمَضَ سَاعَةً جَزَعًا مِنْ الْخَبْرِ الْعَظِيمِ السَّارِي
أَفْبَعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ يَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ¹
مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكِ فَلَیَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ
يَتَجِدِ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبُهُ وَيَقْمَنُ² قَبْلَ تَبْلُجِ الْأَسْحَارِ
يَضْرِبُ جُرُوجَهُمْ عَلَى فَتَى ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ غَيْرِ مَا خَوَّارِ³
قَدْ كُنَّ يَكْنِينُ⁴ الْوَجْوهَ تَسْتَرًا فَالْيَوْمَ . حِينَ بَرَزْنَا⁵ لِلنُّظَارِ

وهي طويلة .

فسمعها قيس فركب هو وأهله وقصدوا الربيع بن زياد وهو يُصَلِّحُ سلاحه .
فنزل إليه قيس وقام الربيع فاعتنقا وبكيا وأظهرا الجزع لمصاب مالك ، ولقي
القوم بعضهم بعضاً فترلوا . فقال قيس للربيع : إنه لم يهرب منك من الجأ
إليك ، ولم يستغنى عنك من استعان⁶ بك ، وقد كان لك شرّ يوميّ فليكن
لي خير يوميك . وإنما أنا بقومي وقومي بك وقد أصاب القوم مالكا ، ولست
أهمّ بسوء لأنّي إن حاربتُ بني بدر نصرتهم بنو ذُبْيَانِ ، وإن حاربتني
خذلني بنو عبس إلا أن تجمعهم عليّ . وأنا والقوم في الدماء سواء . قتلتُ
ابنهم وقتلوا أخي ، فإن نصرتني طمغتُ فيهم . وإن خذلتني طمعوا فيّ .
فقال الربيع : يا قيس إنه لا ينفعني أن أرى لك من الفضل ما لا أراه⁷ لي ،

1) In solo S.

2) R. قد قمن .

3) S. عوار .

4) B. كمن يخبان .

5) B. قد أبرزن .

6) B. et R. استعاذ .

7) S. تراه .

ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك ، وقد مال عليّ قتل مالك وأنت ظالم ومظلوم ، ظلموك في جوادك وظلمتهم في دمائهم ، وقتلوا أخاك بابنهم ، فإن يبؤ الدم بالدم فسي أن تلقح الحرب أقم معك ، وأحبّ الأمرين إليّ مسألتهم ونخلو بحرب هوازن . وبعث قيس إلى أهله وأصحابه ، فجاؤوا ونزلوا مع الربيع ، وأنشدهم عنزة بن شدّاد مرثيته في مالك :

فله عينا من رأى مثل مالك	عقيرة قوم أن جرى فرسان
فليتها لم يطعها الدهر بعدها	وليتها لم يجعها لرهان
وليتها ماتا جميعاً ببلدة	وأخطأها قيس فلا يريان
لقد جلبا جلباً لصرع مالك	وكان كريماً ماجداً لهجان
وكان إذا ما كان يوم كريمة	قد علموا أنني وهو فتيان
وكتنا لدى الميحاء نحى نسامنا	ونضرب عند الكرب كل بيتان
فصوف ترى إن كنتُ بعلك باقياً	وأمكنني دهرى وطول زماني
فأقسم حقاً لو بقيت لنظرة	لقرت بها عينك حين ترفاني

وبلغ حذيفة أن الربيع وقياً اتفقا ، فشقّ ذلك عليه واستعدّ للبلاء . وقيل : إن بلاد عيس كانت قد أجذبت فاتجج أهلها بلاد فرارة ، وأخذ الربيع جواراً من حذيفة وأقام عندهم . فلما بلغه مقتل مالك قال لحظيفة : لي نمتي ثلاثة أيام . فقال حذيفة : ذلك لك . فانقل الربيع من بني فرارة .

١ . برسلا R. ٥٤ R. ٥٤)

١ (هنا البيت غير موجود في الديوان . وتختلف الأبيات المروية هنا عن الديوان بكثير من الألفاظ) .

٢ الميثان .

فبلغ ذلك حمّس بن بدّار فقال لحذيفة أخيه : بشس الرأي رأيت ! قتلت مالكا
وخلّيت سبيل الربيع ! والله ليضرمّنها عليك ناراً ! فركبا في طلب الربيع ،
فقاتهما ، فعلما أنه قد أضمر الشرّ .

واتفق الربيع وقيس ، وجمع حذيفة قومه وتعاقدوا على عبس ، وجمع
الربيع وقيس قومه واستعدّوا للحرب ، فأغارت فزارة على بني عبس فأصابوا
نعماً ورجالاً ، فحميت¹ عبس واجتمعت للغارة ، فنذرت² بهم فزارة .
فخرجوا إليهم فالتقوا على ماء يقال له العذّاق ، وهي أول وقعة كانت بينهم ،
فالتقوا قتالاً شديداً ، وقتل عوف بن يزيد ، قتل جندب بن خلف
البيسي . وانتهزت فزارة وقتلوا قتلاً فريحا ، وأسر الربيع بن زياد حذيفة
ابن بدر ، وكان حرّاً بن الحارث البيسي قد نذر إن قدر على حذيفة أن يضربه
بالسيف ، . وله سيف قاطع يُسمّى الأصرم ، فأراد ضربه بالسيف² لما
أسر وفاء بن نوره ، فأرسل الربيع إلى امرأته فقويت³ سيفه ونهتوه عن قتله
وحذروه طلبة فك ، فأبى إلا ضربه ، فوضوا عليه الرجال ، فضربه ،
فلم يصنع السيف شيئاً وبني حذيفة أسيراً .

فاجتمعت فظفان وسحران في الصلح ، فاصطلحوا على أن يهدروا دم بدر بن
حذيفة بدم مالك بن زهير ، ويغفلوا عوف بن بدر ، ويُعطوا حذيفة عن
ضربه التي ضربه حرّاً مائتين من الإبل ، وأن يجعلوها عشاراً كلتها ، وأربعة
أعبد ، وأهدر حذيفة دماء من قتل من فزارة في الوقعة وأطلق من الأسر .
فلما رجع إلى قومه ندم على ذلك وسامت مقاته في بني عبس ، وركب
قيس بن زهير وعصارة بن زياد فمضيا إلى حذيفة وتحدثا معه . فأجابهما إلى
الاتفاق وأن يردّ عليهما الإبل التي أخذ منهما ، وكانت توالتت عنده . فيينا

1) B. et R. فجمت .

2) S. ; ceteri om. et habent deinde: فلما أسره وفي .

3) A. فقيرت ; S. فقيرت .

هم في ذلك إذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المريّ فقبح رأي حذيفة في الصلح وقال : إن كنت لا بدّ فاعلاً فأعطيهم إبلًا عجافاً مكان إبلهم واحبس أولادها . فوافق ذلك رأي حذيفة ، فأبى قيس وعمارة ذلك¹ .

وقيل : إنّ الأبل التي طلبوها منه هي إبل كان قد أخذها سبقاً من قيس .
وقيل أيضاً : إنّ مالك بن زهير قُتل بعد هذه الواقعة المذكورة ؛ قال حميد ابن بدر في ذلك :

قتلنا بعوفٍ مالكا وهو ثارنا ومن يتدعُ شيئاً سوى الحقّ يظلم

وجعل سنان يحثّ حذيفة على الحرب ، فتيستروا لها .

ثمّ إنّ الأنصار بلغهم ما عزموا عليه ، فاتفق جماعة من رؤسائهم ، وهم : عمرو بن الإطنابة ، ومالك بن عجلان ، وأحيحة بن الجلاح ، وقيس ابن الحطيم ، وغيرهم ، وساروا ليصلحوا بينهم ، فوصلوا إليهم وترددوا في الاتفاق ، فلم يجب حذيفة إلى ذلك وظهر لهم بغيه ، فحذروه عاقبته وعادوا عنه .

وأغار حذيفة على عبس ، وأغارت عبس على فزارة ، وتفاقم الشرّ ، وأرسل حذيفة أخاه حملاً فأغار وأسر ريبان² بن الأسلع بن سفيان وشده وثاقاً وحمله إلى حذيفة فأطلقه ليرهنه ابنه وجبير ابن أخيه عمرو بن الأسلع ، ففعل ريبان ذلك ، ثمّ سار قيس إلى فزارة فلقى منهم جمعاً فيهم مالك بن بذر ، فقتله قيس وانهمت فزارة ، فأخذ حينئذ حذيفة ولديّ ريبان فقتلها وهما يستغيثان : يا أبتاه ! حتى ماتا ، وأمّا ابن أخيه فمنعه أخواله .

1) A. add. حذيفة . R. حرج .

2) A. et S. ubique زيان .

ولما قُتل مالك والغلامان^١ اشتدَّت الحربُ بين الفريقين وأكثرها في فزارة
ومنَّ معها . ففي بعض الأيام التقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ودامت الحربُ بينهم
إلى آخر النهار ، وأبصر ريبان بن الأسلع زيد بن حذيفة فحمل عليه فقتله ،
وانهزمت فزارة وذُبيان ، وأدرك الحارث بن بدر فقتل ، ورجعت عبس
سائلةً أم يصبُّ منها أحدٌ . فلما قُتل زيد والحارث جمع حذيفة جميع بني
ذبيان وبعث إلى أشجع وأسد بن خزيمه فجمعهم . فبلغ ذلك بني عبس
فضموا أطرافهم . وأشار قيس بن زهير بالسبق إلى ماء العقيقة^١ ، ففعلوا
ذلك ، وسار حذيفة في جموعه إلى عبس ، ومشى السفراء بينهم ، فحلف
حذيفة : أنه لا يصلح حتى يشرب من ماء العقيقة^١ . فأرسل إليه قيس منه
في سقاء وقال : لا أترك حذيفة يخدعني . واصطلحوا على أن تعطي بنو عبس
حذيفة دياتٍ من قُتل له ، ووضعوا الرهائنَ عنده إلى أن يجموا الديات ،
وهي عشر ، وكانت الرهائن ابناً لقيس بن زهير . وابتأ للربيع بن زياد ،
فوضعوا أحدهما عند قطبة بن سنان والآخر عند رجل من بكر بن وائل
أعمى . فعيَّر بعضُ الناس حذيفة بقبولِ الدية ، فحضر هو وأخوه حمَّال
عند قطبة بن سنان والبكري وقالوا : ادفعا إلينا الغلامين لنكسوهما ونسرحهما
إلى أهلها . فأما قطبة فدفع إليهما الغلامَ الذي عنده ، وهو ابن قيس ، وأما
البكري فامتنع من تسليم منَّ عنده . فلما أخذوا ابن قيس عادا فلقيا في الطريق
ابناً لعُمارة بن زياد العبسي وابن عم له . فأخذاهما وقتلاهما مع ابن قيس .
فلما بلغ ذلك بني عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الديات ، فحملوا عليه
الرجال واشتروا السلاح . ثمَّ خرج قيس في جماعة فلقوا ابناً لحذيفة ومعه

١) B. et R. العقيقة .

فوارس من ذبيان فقتلوهم . فجمع حذيفة وسار إلى عبس ، وهم على ماء يقال له عُرَاعِر ، فاقتتلوا ، فكان الظفر لفزارة ورجعت سالمة . وجد حذيفة في الحرب وكَرِهَهَا أَخُوهُ حَمَلٌ وَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ ، وَقَالَ لِأَخِيهِ فِي الصَّلْحِ فَلَمْ يَجِبْ إِلَى ذَلِكَ ، وَجَمَعَ الْجَمُوعَ مِنْ أَسَدٍ وَذَبْيَانَ وَسَائِرِ بَطُونِ غَطَفَانَ وَسَارَ نَحْوَ بَنِي عَبْسٍ ، فَاجْتَمَعَتْ عَبْسٌ وَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ قَيْسُ بْنُ زَهْرٍ : إِنَّهُ قَدْ جَاءَكُمْ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ وَلَيْسَ لِبَنِي بَدْرِ إِلَّا دِمَاؤُكُمْ وَالزِّيَادَةُ عَلَيْكُمْ ، وَأَمَّا مَنْ سِوَاهُمْ فَلَا يَرِيدُونَ غَيْرَ الْأَمْوَالِ وَالْغَنِيمَةِ ، وَالرَّأْيُ أَنَّا نَتْرِكُ الْأَمْوَالَ بِمَكَّهَا وَنَتْرِكُ مَعَهَا فَارَسِينَ عَلَى دَاحِسٍ وَعَلَى فَرَسٍ آخَرَ جَوَادٍ وَنَرْحَلُ نَحْنُ وَنَكُونُ عَلَى مَرِحَلَةٍ مِنَ الْمَالِ ، فَإِذَا جَاءَ الْقَوْمُ إِلَى الْأَمْوَالِ سَارَ إِلَيْنَا الْفَارِسَانُ فَأَعْلَمَانَا وَصَوْلَهُمْ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يَشْتَغَلُونَ بِالنَّهْبِ وَحِيَازَةِ الْأَمْوَالِ ، وَإِنْ نَهَاهُمْ ذُووُ الرَّأْيِ عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْعَامَّةَ تَخَالِفُهُمْ وَتَنْتَقِضُ تَعْبِيَتَهُمْ وَيَشْتَغَلُ¹ كُلُّ إِنْسَانٍ بِحِفْظِ مَا غَنِمَ وَيَعْلَقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ عَلَى ظُهُورِ الْإِبِلِ وَيَأْمَنُونَ . فَنَعُودُ نَحْنُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ وَصُولِ الْفَارَسِينَ فَتَدْرِكُهُمْ وَهُمْ عَلَى حَالٍ تَفَرَّقَ وَتَشْتَتَ فَلَا يَكُونُ لِأَحَدِهِمْ هِمَّةٌ إِلَّا نَفْسُهُ .

فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَجَاءَ حَذِيفَةُ وَمَنْ مَعَهُ فَاشْتَغَلُوا بِالنَّهْبِ ، فَنَهَاهُمْ حَذِيفَةُ² وَغَيْرُهُ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَكَانُوا عَلَى الْحَالِ الَّتِي وَصَفَ قَيْسٌ . وَعَادَتْ بَنُو عَبْسٍ وَقَدْ تَفَرَّقَتْ أَسَدٌ وَغَيْرُهُمْ ، وَبَقِيَ بَنُو فَزَارَةَ فِي آخِرِ النَّاسِ ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ جَوَانِبِهِمْ فَقَتَلَ مَالِكُ بْنُ سَبِيحٍ² التَّغْلَبِيَّ سَيِّدَ غَطَفَانَ ، وَانْهَزَمَتْ فَزَارَةُ وَحَذِيفَةُ مَعَهُمْ وَانْفَرَدَ فِي خَمْسَةِ فَوَارِسٍ وَجَدَّ فِي الْمَرْبِ . وَبَلَغَ خَبْرَهُ بَنِي عَبْسٍ ، فَتَبِعَهُ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ وَالرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ وَقِرْوَاشُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْأَسْلَعِ وَرِيَّانُ بْنُ الْأَسْلَعِ الَّذِي قَتَلَ حَذِيفَةَ ابْنَيْهِ ، وَتَبِعُوا أَثْرَهُمْ فِي اللَّيْلِ ، وَقَالَ قَيْسٌ : كَأَنِّي بِالْقَوْمِ وَقَدْ وَرَدُوا جَفْرَ الْهَبَاةِ وَنَزَلُوا فِيهِ ، فَسَارُوا لَيْلَتَهُمْ كُلَّهَا حَتَّى

1) ويستل A .

2) الأسلع R .

أدركوهم مع طلوع الشمس في جَفْرِ الهَبَاءِ في الماء ، وقد أرسلوا خيولهم فأخذوا يجمعها ، فحال قيس وأصحابه بينهم وبينها ، وكان مع حذيفة في الجفر أخوه حَمَلٌ بن بدر وابنه حِصْنٌ² بن حذيفة وغيرهم . فهجم عليهم قيس والربيع ومَنْ مَعَهُمَا وهم ينادون : لَبَيْكُم لَبَيْكُم ! يعني أَنَّهُمْ يَجِيبُونَ نِدَاءَ الصَّبِيانِ لَمَّا قُتِلُوا ينادون : يا أَبَتاه ! فقال لهم قيس : يا بني بكر كيف رأيتم عاقبة البغي ؟ فناشدوهم الله والرحم ، فلم يقبلوا منهم . ودار قِرْوَاش ابن عمرو حتى وقف خلف ظهر حذيفة فضربه فدقَّ صُلْبُهُ ، وكان قِرْوَاش قد ربّاه حذيفة حتى كبر عنده في بيته ، وقتلوا حَمَلًا أخاه وقطعوا رأسَيْهِمَا واستبقوا حِصْنٌ بن حذيفة لصباه . وكان عدد مَنْ قُتِلَ في هذه الواقعة من فزارة وأسد وغطفان ما يزيد على أربعمائة قتيل ، وقتل من عبس ما يزيد على عشرين قتيلًا ، وكانت فزارة تسمي هذه الواقعة البوار . وقال قيس ابن زهير :

أقام على الهَبَاءِ خيرٌ مَيَّتٍ وأكرمهُ حُدَيْفَةُ لا يَرِيمُ
لقد فُجِعْتُ به قيسٌ جميعاً موالي القوم والقوم الصميمُ
وعُصِمَ به لمقتله بعيدٌ وخُصِمَ به لمقتله حَمِيمُ

وهي طويلة ؛ وقال أيضاً :

ألم ترَ أنَ خيرَ الناسِ أمسى على جَفْرِ الهَبَاءِ لا يَرِيمُ
فلولا ظُلْمُهُ ما زلتُ أبكي عليه الدهرَ ما طلعَ النجومُ
ولكنَّ الفتي حَمَلٌ بن بدر بَغَى والبَغْيُ مرتعهُ وخيمُ

وأكثرُوا القولَ في يومِ الهَبَاءِ .

1) B. et S. لجمها ; R. لجمها .

2) A. et R. حصين .

ثم إن عبساً ندمت على ما فعلت يوم الهبأة ، ولام بعضهم بعضاً ، فاجتمعت فزارة إلى سينان بن أبي حارثة المري وشكوا إليه ما نزل بهم ، فأعظمه وذم عبساً وعزم على أن يجمع العرب ويأخذ بثأر بني بدر وفزارة ، وبث رسله . فاجتمع من العرب خلقٌ كثير لا يُحصون ، ونهى أصحابه عن التعرض إلى الأموال والغنيمة وأمرهم بالصبر ، وساروا إلى بني عبس . فلما بلغهم مسيرهم إليهم قال قيس : الرأي أننا لا نلقاهم ، فإننا قد وترناهم فهم يطالبوننا بالذحول والطوائل ، وقد رأوا ما نالهم بالأمس باشتغالهم بالنهب والمال فهم لا يتعرضون إليه الآن ، والذي ينبغي أن نفعله أننا نرسل الطعائن والأموال إلى بني عامر ، فإنّ الدم لنا قبلهم فهم [لا] يتعرضون لكم ويبقى أولو القوة والجلد على ظهور الخيل ونماطلهم القتال : فإن أبوا إلا القتال كنا قد أحرزنا أهلينا وأموالنا وقاتلناهم وصبرنا لهم ، فإن ظفرنا فهو الذي نريد ، وإن كانت الأخرى كنا قد أحرزنا ولحقنا بأموالنا ونحن على حامية .

ف فعلوا ذلك ، وسارت ذبيان ومن معها فلحقوا بني عبس على ذات الجراجر¹ فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ذلك وافترقوا . فلما كان الغد عادوا إلى اللقاء فاقتتلوا أشد من اليوم الأول ، وظهرت في هذه الأيام شجاعة عنزة ابن شدّاد . فلما رأى الناس شدة القتال وكثرة القتلى لاموا سينان بن أبي حارثة على منعه حذيفة عن الصلح وتطيروا منه وأشاروا عليه بحقن الدماء ومراجعة السلم ، فلم يفعل وأراد مراجعة الحرب في اليوم الثالث . فلما رأى فتور أصحابه وركوبهم إلى السلم رحل عائداً . فلما عاد عنهم رحل قيس وبنو عبس إلى بني شيبان بن بكر وجاوروهم وبقوا معهم مدة² ، فرأى قيس من غلمان شيبان ما يكرهه من التعرض لأخذ أموالهم فرحلوا عنهم ، فتبعهم² جمع من شيبان ، فلقيتهم بنو عبس واقتتلوا ، فانهزمت شيبان وسارت عبس

1) S. sine punctis.

2) R. فلحقهم .

إلى هَجَرَ ليحالفوا ملكهم ، وهو معاوية بن الحارث الكندي¹ ، فعزم معاوية على الغارة عليهم ليلاً ، فبلغهم الخبر فساروا عنه مجدّين . وسار معاوية مجدّاً في أثرهم ، فتاه بهم الدليل على عمْدٍ لثلاثاً يدركوا عبساً إلاّ وهم قد لحقهم ودوابّهم النَّصَبُ ، فأدركوهم بالفَرُوق فاقتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم معاوية وأهل هَجَرَ وتبعتهم عبس فأخذت من أموالهم وقتلوا منهم ما أرادوا ورجعوا سائرين فنزلوا بماء يقال له عُرَاعر² عليه حيّ من كلب . فركبوا ليقاتلوا بني عبس ، فبرز الربيع وطلب رئيسهم . فبرز إليه ، واسمه مسعود بن مصاد³ . فاقتلا حتى سقطا إلى الأرض . وأراد مسعود قتل الربيع . فانحسرت البيضة عن رقبته . فرماه رجل من بني عبس بسهم فقتله . فثار به الربيع فقطع رأسه . وحملت عبس على كلب والرأس على رمح فانهزمت كلب وغنمت عبس أموالهم وذراريهم . فساروا إلى اليمامة فحالفوا أهلها من بني حنيفة وأقاموا ثلاث سنين . فلم يُحَسِّنوا جوارهم وضيّقوا عليهم فساروا عنهم . وقد تفرّق كثير منهم وقتل منهم وهلكت دوابّهم ووترهم⁴ العربُ فراسلتهم بنو ضَبّة وعرضوا عليهم المقام عندهم ليستعينوا بهم على حرب تميم . ففعلوا وجاوروهم .

فلما انقضى الأمر بين ضبّة وتميم تغيرت ضبّة لعبس وأرادوا اقتطاعهم . فحاربتهم عبس فظفرت وغنمت من أموال ضبّة وسارت إلى بني عامر وحالفوا الأحوص بن جعفر بن كلاب . فسُرّ بهم ليقوى بهم على حرب بني تميم لأنّه كان بلغه أنّ لقيط بن زُرارة يريد غزو بني عامر والأخذ بثأر أخيه معبد . فأقامت عبس عند بني عامر . فقصدتهم تميم ، وكانت وقعة شِعْب جَبَلَة ، وسنذكره إن شاء الله .

1) حون S .

2) عرض A .

3) بصر B .

4) وربهم A : وزمهم R : ورتتهم B .

ثم إن ذبيان غزوا بني عامر بن صعصعة وفيهم بنو عبس فاقتلوا ،
فهزمت عامر وأسر قيرواش بن هني العبسي ولم يُعرف . فلما قدموا به
الحَيَّ عرفته امرأةٌ منهم ، فلما عرفوه سلموه إلى حصن بن حذيفة فقتله .
ثم رحلت عبس عن عامر ونزلت بتيسم الرباب ، فبغت تيم عليهم ، فاقتلوا
قتالاً شديداً وتكاثرت عليهم تيم فقتلوا من عبس مقتلة عظيمة . ورحلت عبس
وقد ملئوا الحربَ وقلت¹ الرجالُ والأموال وهلكت المواشي ، فقال لهم
قيس : ما ترون ؟ قالوا : نرجع إلى إخواننا من ذبيان فالموت معهم خير من
البقاء مع غيرهم . فساروا حتى قدموا على الحارث بن عوف بن أبي حارثة
المرّي ، وقيل : على هريم بن سينان بن أبي حارثة ليلاً ، وكان عند حصن²
ابن حذيفة بن بدر . فلما عاد وراهم رحب بهم وقال : من القوم ؟ قالوا :
إخوانك بنو عبس ، وذكروا حاجتهم . فقال : نعم وكرامة أعلمُ حصن
ابن حذيفة . فعاد إليه وقال : طرقت في حاجة ، قال : أعطيتها . قال بنو
عبس : وجدت وفودهم في منزلي . قال حصن : صالحوا قومكم ، أما
أنا فلا أدي ولا أتدي ، قد قتل آبائي وعمومي عشرين من عبس : فعاد
إلى عبس وأخبرهم بقول حصن² وأخذهم إليه ، فلما رأهم قال قيس والربيع
ابن زياد : نحن رُكبان الموت . قال : بل رُكبان السلم ، إن تكونوا اختلتم إلى
قومكم فقد اختل³ قومكم إليكم . ثم خرج معهم حتى أتوا سيناناً فقال له :
قم بأمر عشيرتك وأصلح بينهم فلإني سأعينك . ففعل ذلك وتم الصلح بينهم
وعادت عبس .

وقيل : إن قيس بن زهير لم يسير مع عبس إلى ذبيان وقال : لا تراني
غطفانيةً أبداً وقد قتل أخاها أو زوجها أو ولدها أو ابن عمها ، ولكني
سأتوب إلى ربي ، فتنصر وساح في الأرض حتى انتهى إلى عمان فرهب

1) R. بلى

2) 3. & R. حين

3) R. أحوج

بها زماناً ، فلقبه حوج¹ بن مالك العبدي فعرفه فقتله وقال : لا رحمني الله إن
رحمتك .

وقيل : إن قيساً تزوج في النُمَيْر بن قاسط لما عادت عيس إلى ذبيان ،
وولد له ولد اسمه فضالة ، فقدم على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وعقد
له على مَنْ معه من قومه ، وكانوا تسعة وهو عاشرهم .

انقضى حرب داحس والغبراء ، والحمد لله .

يوم شِيب جَبَلَة

كان لقيط بن زُرارة قد عزم على غزو بني عامر بن صعصعة للأخذ بثأر
أخيه معبد بن زُرارة ، وقد ذكرنا موته عندهم أسيراً . فبينما هو يتجهز
أتاه الخبرُ بحلف بني عيس وبني عامر ، فلم يطمع في القوم وأرسل إلى كل
من كان بينه وبين عيس ذَحْل يسأله الحلف والتظافر على غزو عيس وعامر .
فاجتمعت إليه أسد وغطفان وعمرو بن الجحون ومعاوية بن الجحون واستوثقوا
واستكثروا وساروا ، فعقد معاوية بن الجحون الألوية ، فكان بنو أسد وبنو
فزارة بلواء مع معاوية بن الجحون ، وعقد لعمر بن تميم مع حاجب بن زُرارة ،
وعقد للرباب مع حسان بن همام ، وعقد لجماعة من بطون تميم مع عمرو
ابن عدس ، وعقد لحنظلة بأسرها مع لقيط بن زُرارة ، وكان مع لقيط
ابته دَخْتَنوس² ، وكان • يغزو بها³ معه ويرجع إلى رأيها .

1) حوج R ; جرح B .

2) S. ; ceteri دختنوش .

3) B. يقودها .

وساروا في جمع عظيم لا يشكون في قتل عبس وعامر وإدراك ثأرهم ،
 فلقى لقيط في طريقه كَرِب بن صفوان بن الحُبَّاب السعديّ ، وكان شريفاً ،
 فقال : ما منعك أن تسير معنا في غزاتنا ؟ قال : أنا مشغول في طلب إبل لي .
 قال : لا بل تريد أن تُنذِر بنا القوم ، ولا أتركك حتى تحلف أنك لا تخبرهم ،
 فحلف له . ثمّ سار عنه وهو مغضب . فلما دنا من عامر أخذ خرقة فصرّ فيها
 حنظلةً وشوكاً وتراباً وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار
 سود ثمّ رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم . فأخذها معاويةُ بن قُشَيْرٍ ،
 فأتى بها الأحوص بن جعفر وأخبره أن رجلاً ألقاها وهم يسقون . فقال
 الأحوص لقيس بن زهير العبسيّ : ما ترى في هذا الأمر ؟ قال : هذا من
 صنع الله لنا ، هذا رجل قد أخذ عليه عهدٌ على أن لا يكلمكم فأخبركم أن
 أعداءكم قد غزوكم عددَ التراب ، وأنّ شوكتهم شديدة ، وأمّا الحنظلة
 فهي رؤساء القوم ، وأمّا الخرقتان اليمانيّتان فهما حبان من اليمن معهم ، وأمّا
 الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زُرارة ، وأمّا الأحجار فهي عشر ليال يأتكم
 القوم إليها² ، قد أنذرتكم فكونوا أحراراً فاصبروا كما يصبر الأحرار
 الكرام .

قال الأحوص : فلنا فاعلون وآخذون برأيك ، فإنه لم تنزل بك شدة
 إلا رأيت المخرج منها . قال : فإذا قد رجعتم إلى رأيي فأدخلوا نَعْمكم شِعْب
 جبلةً ثمّ اظمئوها هذه الأيام ولا توردوها الماء ، فإذا جاء القوم أخرجوا
 عليهم الإبل وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج مذاعير عطاشاً فتشغلهم
 وتفرّق جمعهم وأخرجوا أنتم في آثارها واشفوا نفوسكم . ففعلوا ما أشار به .
 وعاد كَرِب بن صفوان فلقى لقيطاً فقال له : أنذرت القوم ؟ فأعاد الحلف

1) R. بشر .

2) B. et R. إلينا .

له أنه لم يكلم أحداً منهم ، فخلت عنده . فقالت دختنوس¹ ابنة لقيط لأبيها :
 ردني إلى أهلي ولا تعرضني لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة . فاستحمتها
 رساءه كلامها وردّها . وسار حتى نزل على فم الشعب بعساكر جرارة كثيرة
 الصواهل وليس لهم همّ إلاّ الماء ، فقصدوه . فقال لهم قيس : أخرجوا
 عليهم الآن الإبل ، ففعلوا ذلك ، فخرجت الإبل مذاعير عطاشاً وهم في
 أعراضها وأدبارها² ، فخبطت تيمياً ومن معها وقطعتهم ، وكانوا في
 الشعب ، وأبرزتهم إلى الصحراء على غير تعب . وشغلوا عن الاجتماع إلى
 الويتهم ، وحملت عليهم عبس وعامر فاقتلوا قتالاً شديداً وكثرت القتلى في
 تميم ، وكان أول من قتل من رؤسائهم عمرو بن الجحون ، وأسر معاوية بن
 الجحون وعمرو بن عمرو بن عدس زوج دختنوس بنت لقيط ، وأسر حاجب
 ابن زرارة ، وانحاز لقيط بن زرارة ، فدعا قومه وقد تفرقوا عنه ، فاجتمع إليه
 نفر يسير ، فتحرز برايته فوق جرف ثم حمل فقتل فيهم ورجع وصاح :
 أنا لقيط ، وحمل ثانية فقتل وجرح وعاد ، فكثرت جمعه ، فانحط الجرف
 بفرسه ، وحمل عليه عنزة فطعنه طعنة قصم بها صلبه ، وضربه قيس بالسيف
 فألقاه متشحطاً في دمه ، فذكر ابنته دختنوس فقال :

يا ليت شعري عنك دختنوس إذا أتاها الخبير المرموس
 أتخلق انقرون أم تميم لا بل تميم إننا عروس

ثم ماتت وتمت الهزيمة على تميم وغطفان ، ثم قتلوا حاجباً بخمسائة
 من الإبل ، وقلوا عمرو بن عمرو بمائتين من الإبل ، وعاد من سلم إلى أهله .
 وقالت دختنوس ترثي أباه قصائد ، منها :

عثر الأغر بنخير خني ديف كهلها وشبابها

1) S. ubique دختنوس .

2) واثارها R .

وأضرها لعدوها وأفكها لرقابها
 وقربها ونجيبها في المطبقات ونابها
 ورئيسها عند الملو ك وزين يوم خطابها
 وأتمها نسباً إذا رجعت إلى أنسابها
 فرعى¹ عموداً للعشيرة رة رافعاً لنصابها
 ويعولها ويجوطها ويذب عن أحسابها
 ويطا مواطن² للعدو وكان لا يمشى بها
 فعل المدل من الأسو د لحينها وتبايها
 كالكوكب الدرّي في سماء¹ لا يخفى بها
 عيث الأغر³ به وك ل¹ منية لكتابها
 فرت بنو أسد فرا ر الطير عن أربابها
 وهوازن أصحابهم كالفلر في أذناها

وذكر محمد بن إسحاق في يوم جبلة غير ما ذكرنا ، قال : كان سبيه
 أن بني خندف كان لهم على قيس أكل³ تأكله³ القعدد من خندف ، فكان
 ينتقل فيهم حتى انتهى إلى تميم ، ثم من تميم إلى بي عمرو بن تميم ، وهم
 أقل بطن منهم وأذله ، فأبت قيس أن تعطي الأكل وامتنعت منه ، فجمعت
 تميم وحالفت غيرها من العرب وساروا إلى قيس ، فذكر القصة نحو ما تقدم
 وخالف في البعض فلا حاجة إلى ذكره .

1) فرعا A.

2) مواطى S.

3) أكل يأخذه S.

وفي هذا اليوم وُلد عامر بن الطفيل العامري .

• وقد قال بعض العلماء إنَّ المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين ، وكان زُرارة بن عدُس وابناه حاجب ولقيط والأقرع بن حابس وغيرهم مجوساً ، وإنَّ لقيطاً تزوج ابنته دختنوس وسمّاها بهذا الاسم الفارسي ، وإنه قُتل وهي تحته ، فقال في ذلك :

يا ليت شعري عنك دختنوس

الآيات . والأول أصح ، والله أعلم .

يوم ذات نكيف

كان بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة مبغضين لقريش مضطغنين عليهم ما كان من قصي حين أخرجهم من مكة مع من أخرج من خزاعة حين قسمها رباعاً وخططاً بين قريش . فلما كانوا على عهد عبد المطلب هموا بإخراج قريش من الحرم وأن يقاتلوهم حتى يغلّبهم عليه ، وعدت بنو بكر على نعم لبني الهون بن خزيمة فاطردوها ، ثم جمعوا جموعهم وجمعت قريش جموعهم واستعدت ، وعقد عبد المطلب الحلف بين قريش والأحابيش ، وهم بنو الحارث بن عبد مناة وبنو الهون بن خزيمة بن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة ، فلقوا بني بكر ومن انضم إليهم ، وعلى الناس عبد المطلب ، فاقتلوا بذات نكيف ، فانهزم بنو بكر وقتلوا قتلاً ذريعاً ، فلم يعودوا لحرب قريش ، قال ابن شعبة¹ الفهري :

1) س. 1 .

فَلَّه عَيْنًا مَن رَأَى مِنْ عَصَابَةٍ غَوَتْ غَيًّا بِكَرٍ يَوْمَ ذَاتِ تَكْوِيفِ
أَنَاخُوا إِلَى آيَاتِنَا وَنَسَائِنَا فَكَانُوا لَنَا ضَيْفًا¹ بَشَرًا² مَضِيفِ

فقتل يومئذ عبدُ بن السفاح القاري من القارة قتادة بن قيس أخوا بلعاء
ابن قيس ، واسم بلعاء مساحق . ويومئذ قيل : قد أنصف القارة من رامها ؛
والقارة من ولد الهون بن خزيمه ، وهو من ولد عَصَل³ بن الديش ؛ قال
رجل منهم :

دَعَوْنَا قَارَةَ لَا تُنْفِرُونَا فَتُجْفِلَ مِثْلَ إِجْفَالِ الظُّلَمِ

وقيل : بهذا البيت سُمِّوا قارة ، وكان يقال للقارة رُمَاءَ الحَدَقِ .

ذِكْرُ الفِجَارِ الأوَّلِ والثَّانِي

أَمَّا الفِجَارُ الأوَّلُ فلم يكن فيه كثيرٌ أمرٍ لِيُذَكَّرَ ، وإنما ذكروناه لثلاث
يُرى ذكر الفِجَارِ الثَّانِي وما كان [فيه] من الأمور العظيمة فيُظَنُّ أن الأوَّلَ
مثله وقد أهملناه ، فلهذا ذكرناه .

قال ابن إسحاق : كان الفِجَارُ الأوَّلُ بين قريش ومن معها من كنانة كلها
وبيز قيس عيَّلان . وسببه أن رجلاً من كنانة كان عليه دينٌ لرجل من بني
نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فأعدم الكناني ، فوافى النصرى سوق عكاظ
بقرده وقال : من يبيعي⁴ مثل هذا بما لي على فلان الكناني ؟ فعل ذلك تعبيراً

1) يوما . R .

2) لشر . B .

3) عضلة . B .

4) يكضي . A .

للكناني وقومه ، فمرّ به رجلٌ من كنانة فضرب القرد بالسيف فقتله أنفةً
 ممّا قال النصرى ، فصرخ النصرى في قيس ، وصرخ الكناني في كنانة ،
 فاجتمع الناسُ وتجاوزوا حتى كاد يكون بينهم القتال ثم اصطلحوا .

وقيل : كان سبيه أن فتيةً من قريش قعدوا إلى امرأة من بني عامر وهي
 وضيئة عليها برقع ، فقالوا لها : اسفري لننظر إلى وجهك ، فلم تفعل . فقام
 غلام منهم فشكّ ذيل درعها¹ إلى ظهرها ولم تشعر ، فلما قامت انكشفت
 دبرها ، فضحكوا وقالوا : منعنا النظر إلى وجهك فقد نظرنا إلى دبرك .
 فصاحت المرأة : يا بني عامر فُضِحَتْ ! فأتاها الناس واشتجروا² حتى كاد
 يكون قتال ، ثم رأوا أن الأمر يسير فاصطلحوا . وقيل : بل قعد رجل من بني
 غِفَار³ يقال له أبو معشر بن مِكرز . وكان عازماً³ منياً في نفسه . وكان
 بسوق عكاظ ، فمدّ رجله ثم قال :

نحن بنو مدركة بن خندف من يطعنوا في عينه لا يطرف
 ومن يكونوا قومه يظرف كأنه لجة بحر مسرف

أنا والله أعزّ العرب ، فمن زعم أنه أعزّ مني فليضربها بالسيف .
 فقام رجل من قيس يقال له أحمر بن مازن فضربها بالسيف فخرشها خرساً غير
 كثير ، فاختم الناسُ ثم اصطلحوا . (بنو نصر بالنون) .

وأما الفجار الثاني ، وكان بعد الفيل بعشرين سنة ، وبعد موت عبد
 المطلب باثني عشرة سنة ، ولم يكن في أيام العرب أشهر منه ولا أعظم ،

1) واستجروا S .

2) عقال S ; غفان B. et R .

3) غازيا B. et R .

4) أنا ابن Codd .

١ (أي جمعه إلى ما فوقه بشوكة) .

فانما سُمِّيَ الفجار لما استحلَّ الحيَّانَ كنانةً وقيس فيه من المحارم ، وكان قبله يوم جبلة ، وهو مذكور من أيام العرب ، والفجار أعظم منه .

وكان سببه أن البرّاض بن قيس بن رافع الكنانيّ ثم الضمّريّ كان رجلاً فاتكاً خليعاً قد خلعه قومه لكثرة شرّه ، وكان يُضرب المثل بفتكه فيقال : أفتكٌ من البرّاض . قال بعضهم :

والفتى من تعرّفه الليالي فهو فيها كالحية النضاضِ
كلّ يوم له بصرف الليالي فتكةٌ مثل فتكة البرّاضِ

فخرج حتى قدم على النعمان بن المنذر ، وكان النعمان يبعث كلّ عام بلطيمة للتجارة إلى عكاظ تباع له هناك ، وكان عكاظ وذو المجاز ومجنته أسواقاً تجتمع بها العرب كلّ عام إذا حضر الموسم فيأمن بعضهم بعضاً حتى تنقضي أيامها ، وكانت مجنته بالظهران ، وكانت عكاظ بين نخلة والطائف ، وكان ذو المجاز بالجانب الأيسر إذا وقفت على الموقف ، فقال النعمان ، وعنده البرّاض وعروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب المعروف بالرحال ، وإنما قيل له ذلك لكثرة رحلته إلى الملوك : من يُجيز لي لطيمتي هذه حتى يُبلغها عكاظ ؟ فقال البرّاض : أنا أجيزها ، أبيت اللعن ، على كنانة . فقال النعمان : إنما أريد من يجيزها على كنانة وقيس ! فقال عروة : أكلبُ خليع يُجيزها لك ، أبيت اللعن ! أنا أجيزها على أهل الشيع والقبصوم من أهل تهامة وأهل نجد . فقال البرّاض ، وغضب : وعلى كنانة تجيزها يا عروة ؟ قال عروة : وعلى¹ الناس كلّهم .

فدفع النعمان اللطيمة إلى عروة الرحال وأمره بالمسير بها ، وخرج البرّاض يتبع أثره ، وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه ، حتى إذا كان [عروة] بين ظهريّ

1) Codd. ومن .

قومه بوادي يقال له تَيْمَن بنواحي فدك أدركه البرّاضُ بن قيس فأخرج قداحه يستقسم بها في قتل عروة ، فمرّ به عروة فقال : ما تصنع يا برّاض ؟ فقال : أستقسم في قتلك أيؤذن لي أم لا . فقال عروة : استك أضيّق من ذلك ! فوثب إليه البرّاض بالسيف فقتله . فلما رآه الذين يقومون على العير والأحمال قتيلاً انهزموا ، فاستاق البرّاضُ العيرَ وسار على وجهه إلى خيبر ، وتبعه رجلان من قيس ليأخذه ، أحدهما غنويّ والآخر غطفانيّ ، اسم الغنويّ أسد ابن جُوَيْن 1 ، واسم الغطفانيّ مُساور بن مالك ، فلقيهما البرّاض بخيبر أوّل الناس فقال لهما : من الرجلان ؟ قالا : من قيس قدمنا لنقتل البرّاض . فأنزلهما وعقل راحتيهما ، ثمّ قال : أيتكما أجراً عليه وأجود سيفاً ؟ قال الغطفانيّ : أنا . فأخذه ومشى معه ليدلّه بزعمه على البرّاض ، فقال للغنويّ : احفظ راحتيكما ، ففعل ، وانطلق البرّاض بالغطفانيّ حتّى أخرجته إلى خربة في جانب خيبر خارجاً من البيوت ، فقال للغطفانيّ : هو في هذه الخربة إليها ياوي فأمهلي حتّى أنظر أهو فيها . فوقف ودخل البرّاض ثمّ خرج فقال : هو فيها وهو نائم ، فأرني سيفك حتّى انظر إليه أضرابٌ هو أم لا ، فأعطاه سيفه ، فضربه به حتّى قتله ثمّ أخفى السيف وعاد إلى الغنويّ فقال له : لم أر رجلاً أجبن من صاحبك ، تركته في البيت الذي فيه البرّاض وهو نائم فلم يقدم عليه . فقال : انظر لي 2 من يحفظ الراحتي حتّى أمضي إليه فأقتله . فقال : دعهما وهما عليّ ، ثمّ انطلقا إلى الخربة ، فقتله وسار بالعير إلى مكّة ، فلقي رجلاً من بني أسد بن خزيمّة ، فقال له البرّاض : هل لك إلى أن أجعل لك جُعلاً على أن تنطلق إلى حرب بن أميّة وقومي فإنهم قومي وقومك ، لأنّ أسد بن خزيمّة من خنيدف أيضاً ، فتخبرهم أنّ البرّاض بن قيس قتل عروة الرّحّال ، فليحذروا قيساً ! وجعل له عشرًا من الإبل . فخرج الأسديّ

1) خزيمّة . A .

2) أنرف لي . B .

حتى أتى عكاظ، وبها جماعة [من] الناس، فأتى حرب بن أمية فأخبره الخبر، فبعث إلى عبد الله بن جدعان التيمي وإلى هشام بن المغيرة المخزومي، وهو والد أبي جهل، وهما من أشرف قريش وذوي السن منهم، وإلى كل قبيلة من قريش أحضر منها رجلاً، وإلى الحليس بن يزيد الحارثي، وهو سيد الأحابيش، فأخبرهم أيضاً. فتشاوروا وقالوا: نخشى من قيس أن يطلبوا ثأر صاحبهم منا فإنهم لا يرضون أن يقتلوا به خليعاً من بني ضمرة. فاتفق رأيهم على أن يأتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب الأسنه، وهو يومئذ سيد قيس وشريفها، فيقولوا له: إنه قد كان حدث بين نجد وتهامة وإنه لم يأتنا علمه فأجيز بين الناس حتى تعلم وتعلم.

فأتوه وقالوا له ذلك، فأجاز بين الناس وأعلم قومه ما قيل له، ثم قام نفر من قريش فقالوا: يا أهل عكاظ إنه قد حدث في قومنا بمكة حدث أتاننا خبره ونخشى إن تخلفنا عنهم أن يتفاقم الشر فلا يروعنكم تحمّلنا. ثم ركبوا على الصعب والذلول إلى مكة. فلما كان آخر اليوم أتى عامر بن مالك ملاعب الأسنه الخبر فقال: غدرت قريش وخدعني حرب بن أمية، والله لا تنزل كنانة عكاظ أبداً. ثم ركبوا في طلبهم حتى أدركوهم بنخلة، فاقتل القوم، فاشتعلت قيس، فكادت قريش تنهزم إلا أنها على حاميتها تبادر دخول الحرم ليأمنوا به. فلم يزالوا كذلك حتى دخلوا الحرم مع الليل، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم، وعمره عشرون سنة.

وقال الزهري: لم يكن معهم، ولو كان معهم لم ينهزموا، وهذه العلة

1) ترك R.

ليست بشيء لأنه قد كان بعد الوحي والرسالة ينهزم أصحابه ويقتتلون ،
وإذا كان في جمع قبل الرسالة وانهزموا فغير بعيد

ولما دخلت قريش الحرم عادت عنهم قيس وقالوا لهم : يا معشر قريش
إننا لا نترك دم عروة وميعادنا عكاظ في العام المقبل ، وانصرفت إلى بلادها
يخرض بعضها بعضاً ويبكون عروة الرحال .

ثم إن قيساً جمعت جموعها ومعها ثقيف وغيرها ، وجمعت قريش
جموعها ، منهم كنانة جميعها والأحابيش وأسد بن خزيمة ، وفرقت قريش
السلاح في الناس ، فأعطى عبد الله بن جدعان مائة رجل سلاحاً تاماً ، وفعل
الباقون مثله .

وخرجت قريش للموعد على كل بطن منها رئيس . فكان على بني هاشم
الزبير بن عبد المطلب ومعه رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وإخوته
أبو طالب وحمزة والعباس بنو عبد المطلب . وعلى بني أمية وأحلافها حرب
ابن أمية ، وعلى بني عبد الدار عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .
وعلى بني أسد بن عبد العزى خويلد بن أسد . وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة
أبو أبي جهل . وعلى بني نيم عبد الله بن جدعان . وعلى بني جمح معمر¹
ابن حبيب بن وهب . وعلى بني ستهم العاص بن وائل . وعلى بني عدي زيد²
ابن عمرو بن نضيل والد سعيد بن زيد . وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد
شمس والد سهيل بن عمرو ، وعلى بني فهر عبد الله بن الجراح والد أبي
عبيدة ، وعلى الأحابيش الحلبيس بن يزيد وسفيان² بن عوف³ هما
قائداهم ، والأحابيش بنو الحارث بن عبد مناة كنانة وعضل والقارة والديش
من بني الهون بن خزيمة والمصطلق بن خزاعة ، سموا بذلك لحلفهم بني

1) S. صر .

2) عثمان R .

3) S. عريف .

الحارث ، والتحبش التجمع ، وعلى بنى بكر بلاء بن قيس ، وعلى بنى
فiras بن غنم من كنانة عمير بن قيس جذل الطعان ، وعلى بنى أسد بن
خزيمة بشر بن أبي حازم ، وكان على جماعة الناس حرب بن أمية لمكانه من
عبد مناف سنًا ومنزلة .

وكانت قيس قد تقدمت إلى عكاظ قبل قريش ، فعلى بنى عامر ملاعب
الأسنة أبو براء ، وعلى بنى نصر وسعد وثقيف سبيع بن ربيع² بن معاوية ،
وعلى بنى جشم الصمة والد دريد ، وعلى غطفان عوف بن أبي حارثة المري ،
وعلى بنى سليم عباس بن زعل بن هني بن أنس ، وعلى فهم وعدوان
كيدام بن عمرو .

وسارت قريش حتى نزلت عكاظ وبها قيس . وكان مع حرب بن
أمية إخوته سفيان وأبو سفيان والعاص وأبو العاص بنو أمية . فعقل
حرب نفسه وقيده سفيان وأبو العاص نفسيهما وقالوا : لن يرح رجل منا
مكازه حتى نموت أو نظفر . فيومئذ سُموا العنابس ، والعنابس الأسد .
واقتل الناس قتلاً شديداً ، فكان الظفر أول النهار لقيس . وانهزم كثير من
بنى كنانة وقريش ، فانهزم بنو زهرة وبنو عدي ، وقتل معمر بن حبيب
الجُمحي . وانهزمت طائفة من بنى فiras ، وثبت حرب بن أمية وبنو عبد
مناف وسائر قبائل قريش ، ولم يزل الظفر لقيس على قريش وكنانة إلى أن
انتصف النهار . ثم عاد الظفر لقريش وكنانة فقتلوا من قيس فأكثروا ،
وحمي القتال واشتد الأهر فقتل يومئذ تحت راية بنى الحارث بن عبد مناة بن
كنانة مائة رجل وهم صابرون ، فانهزمت قيس ، وقتل من أشرافهم عباس
ابن زعل السلمي وغيره . فلما رأى أبو السيد عم³ مالك بن عوف النصرى
ما تصنع كنانة من القتل نادى : يا معشر بنى كنانة أسرفتم في القتل . فقال ابن

1) بيتا . A .

2) R. et S. ريمة .

3) S. om.

جُدْءان : إنا معشر يسرف .

ولما رأى سُبَيْع بن ربيع بن معاوية هزيمة قبائل قيس عقل نفسه واضطجع وقال : يا معشر بني نصر قاتلوا عني أو ذروا . فعطفت عليه بنو نصر وجُشِمَ وسعد بن بكر وفهم وعدوان وانهمز باقي قبائل قيس ، فقاتل هؤلاء أشدّ قتال رآه الناس . ثمّ إنهم تداعوا إلى الصلح فاصطلحوا على أن يعدّوا القتلى فأبى الفريقين فضل له قتلى أخذ ديتهم من الفريق الآخر ، فتعادوا القتلى فوجدوا قريشاً وبني كنانة قد أفضلوا¹ على قيس عشرين رجلاً . فرهن حرب بن أمية يومئذ ابنته أبا سفيان في ديات القوم حتى يؤدّيها ، ورهن غيره² من الرؤساء ، وانصرف الناس بعضهم عن بعض ووضعوا الحرب وهدموا ما بينهم من العداوة والشرّ وتعاهدوا على أن لا يؤذي بعضهم بعضاً فيما كان من أمر البرّاض وعُرْوَة .

يوم ذي نَجَب

وكان من حديث يوم ذي نَجَب أن بني عامر لما أصابوا من تميم ما أصابوا يوم جبلة رجوا أن يستأصلوهم . فكاتبوا حسان بن كَبْشَة² الكندي ، وكان ملكاً من ملوك كِنْدَة . وهو حسان بن معاوية بن حُجْر ، فدعوه إلى أن يغزو معهم بني حنظلة من تميم ، فأخبروه أنهم قد قتلوا فرسانهم ورؤساءهم ، فأقبل معهم بصنائه ومنّ¹ كان معه . فلما أتى بني حنظلة خبرُ مسيرهم قال لهم عمرو بن عمرو : يا بني مالك إنّه لا طاقة لكم بهذا الملك

1) A. et B. فضلت .

2) S. معوية .

وما معه من العدد فانتقلوا من مكانكم ، وكانوا في أعالي الوادي ممّا يلي مجيء القوم ، وكانت بنو يربوع بأسفله ، فتحولت بنو مالك حتى نزلت خلف بني يربوع ، وصارت بنو يربوع تلي الملك .

فلما رأوا ما صنع بنو مالك استعدّوا وتقدّموا إلى طريق الملك . فلما كان وجه الصبح وصل ابنُ كبشة فيمن معه وقد استعدّ القوم فاقتتلوا . فلما رأهم بنو مالك وصبرهم في القتال ساروا إليهم وشهدوا معهم القتال فاقتتلوا ملياً ، فضرب حُشَيْش¹ بن نِمْران² الرياحي ابنَ كبشة الملك على رأسه فصرعه ، فمات ، وقتل عبيدة بن مالك بن جعفر ، وانهزم طُفَيْل بن مالك على فرسه قُرْزُل³ ، وقتل عمرو بن الأحوص بن جعفر ، وكان رئيس عامر ، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة . قال جرير في الإسلام يذكر اليوم بذى نجب :

بذي نَجَبٍ ذُذْنَا وواكَلْ مالِكُ أحمًا لم يكنْ عند الطعانِ بواكِلِ
وكان يوم ذى نجب بعد يوم جبلة بسنة . وبقي الأحوص بعد ابنه عمرو يسيراً وهلك أسفاً عليه .

يوم نَعْفِ قُشاوة

وهو يوم لشييان على تميم .

قال أبو عبيدة : أغار بسِطام بن قيس على بني يربوع من تميم وهم

1) B. et R. جيش .

2) B. نمر ; A. هزان .

3) B. قزرك .

4) R. الحفاظ .

بَنَعَف قُشَاوَةٌ ١ ، فَأَتَاهُمْ ضَحَى ، وَهُوَ يَوْمَ رِيحٍ وَمَطَرٍ ، فَوَافَقَ النَّعْمَ
 حِينَ سُرِّحَ ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعاً ، وَتَدَاعَتْ عَلَيْهِ بَنُو يَرْبُوعٍ فَلَحَقُوهُ
 وَفِيهِمْ عُمَارَةُ بْنُ عَتَيْبَةَ ٢ ، بِنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ ، فَكَّرَ عَلَيْهِ بِسَطَامٍ فَقَتَلَهُ ،
 وَلِحَقِّهِمْ مَالِكُ بْنُ حِطَّانِ الْيَرْبُوعِيِّ فَقَتَلَهُ ٣ ، وَأَتَاهُمْ أَيْضاً بُجَيْرُ بْنُ أَبِي
 مُلَيْلٍ فَقَتَلَهُ بِسَطَامٍ ، وَقَتَلُوا مِنْ يَرْبُوعٍ جَمْعاً وَأَسْرَوْا آخَرِينَ ، مِنْهُمْ :
 مُلَيْلُ بْنُ أَبِي مُلَيْلٍ ، وَسَلَمُوا وَعَادُوا غَانِمِينَ . فَقَالَ بَعْضُ الْأَسْرَى لِبَسَطَامٍ :
 أَيْسُرَكَ أَنْ أَبَا مُلَيْلٍ مَكَانِي ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنْ دَلَلْتُكَ عَلَيْهِ أَتَطْلُقَنِي
 الْآنَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنَّ ابْنَ بُجَيْرٍ كَانَ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ وَاسْتَجَدَّهُ
 الْآنَ مُكِبّاً عَلَيْهِ يَقْبَلُهُ ٤ فَخُذْهُ أَسِيراً . فَعَادَ بِسَطَامٌ فَرَأَاهُ كَمَا قَالَ ، فَأَخَذَهُ أَسِيراً
 وَأَطْلَقَ الْيَرْبُوعِيَّ . فَقَالَ لَهُ أَبُو مُلَيْلٍ : قَتَلْتَ بَجِيراً وَأَسْرَتَنِي وَابْنِي مُلَيْلاً !
 وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُ الطَّعَامَ أَبَداً وَأَنَا مَوْثُوقٌ . فَخَشِيَ بِسَطَامٌ أَنْ يَمُوتَ فَأَطْلَقَهُ بِغَيْرِ فِدَاءٍ
 عَلَى أَنْ يَفَادِيَ مُلَيْلاً وَعَلَى أَنْ لَا يَتَّبِعَهُ بَدْمُ ابْنِ بُجَيْرٍ وَلَا يَبْغِيهِ غَائِلَةٌ وَلَا يَدُلُّ
 لَهُ عَلَى عَوْرَةٍ وَلَا يَغْيِرُ عَلَيْهِ وَلَا عَلَى قَوْمِهِ أَبَداً ، وَعَاهَدَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَطْلَقَهُ ٥
 وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَأَرَادَ الْغَدْرَ بِسَطَامٍ وَالنَّكَثَ بِهِ ، فَأَرْسَلَ بَعْضُ
 بَنِي يَرْبُوعٍ إِلَى بِسَطَامٍ بِخَبْرِهِ ، فَحَذَرَهُ ؛ وَقَالَ مُتَمِّمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ :

أَبْلَغُ شِهَابِ بْنِ بَكْرِ وَسَيِّدَهَا عَنِّي بِذَلِكَ أبا الصَّهْبَاءِ بِسَطَامَا
 أُرْوِي الْأَسِنَّةَ مِنْ قَوْمِي فَأَنْهَلُهَا فَأَصْبَحُوا فِي بَقِيْعِ الْأَرْضِ نُوَامَا
 لَا يَطْبِقُونَ إِذَا هَبَّ النِّيَامُ وَلَا فِي مَرَقَدٍ يَحْلُمُونَ الدَّهْرَ أَحْلَامَا

1) S. ; ceteri وحياله ، at B. in marg. corr. ; جباله ؛ Fl. proponit.

2) B. et R. عينة . 3) S. ففرض فسقط ثم مات بعد أيام . 4) S.

أشجى تميم بن مرّ لا مكابدةً حتى استعادوا له أسرى وأنعاما
هلاّ أسراً فدتك النفس تطعمه مما أراد وقدماً كنت مطعاما

وهي أبيات عدة .

يوم الغبيط

وهو يوم كانت الحرب فيه بين بني شيان و تميم ، أسر فيه بسطام بن
قيس الشيباني .

وسبب ذلك أن بسطام بن قيس والحوقران بن شريك ومفروق بن
عمرو ساروا في جمع من بني شيان إلى بلاد تميم فأغاروا على ثعلبة بن يربوع
وثعلبة بن سعد بن ضبة وثعلبة بن عدي بن فزارة وثعلبة بن سعد بن ذبيان ،
وكانوا متجاورين بصحراء فلج ، فاقتلوا ، فانهزمت الثعالب ، وقتل منهم
مقتلة عظيمة ، وغنم بنو شيان أموالهم ، ومرّوا على بني مالك بن حنظلة من
تميم ، وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة فاستاقوا إبلهم . فركبت إليهم
بنو مالك بقدمهم عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي وفرسان بني
يربوع ، وساروا في أثر بني شيان ومعه من رؤساء تميم الأحيمر بن
عبد الله وأسيد بن جباة وحرّ² بن سعد ومالك بن نويّرة فأدركوهم بغبيط
المدرة فقاتلوهم . وصبر الفريقان ، ثم انهزمت شيان واستعادت تميم ما
كانوا غنموه من أموالهم ، وقتلت بنو شيان أبا مرحب ربيعة بن حصية³ ،
والح عتيبة بن الحارث على بسطام بن قيس فأدركه فقال له : استأسر أبا

1) Codd. الأجم .

2) A. جهر ; B. حرير .

3) R. حصين .

الصهباء فأننا خير لك من الفلاة والعطش . فاستأسر له بسطام بن قيس . فقال بنو ثعلبة لعتيبة : إن أبا مرحب قد قُتل وقد أسرت بسطاماً وهو قاتل مُلَيْل وبُجَيْرِ ابْنِي أَبِي مُلَيْل ومالك بن حِطَّان وغيرهم فاقتله . قال : إني مُعِيل وأنا أحب اللبن . قالوا : إنك تُفاديه فيعود فيحربُنا مالنا . فأبى عليهم وسار به إلى بني عامر بن صعصعة لثلاً يؤخذ فيقتل . وإنما قصد عامراً لأنَّ عمته خولة بنت شهاب كانت ناكحاً فيهم . فقال مالك بن نُويَيرة في ذلك :

لله عتَاب بن مية² إذ رأى إلى ثارنا في كفه يتلدد¹
 أتُحْيِي امرأً أردي بوجيراً ومالكاً وأتوى³ احربينا بعدما كان يقصد³
 ونحن ثارنا قبل ذلك ابن أمه غداة الكلابيين والجمعُ يشهد⁴

فلما توسطت عتيبة بيوت بني عامر صاح بسطام : واشيبانا ! ولا شيبان لي اليوم ! فبعث إليه عامر بن الطفيل : إن استطعت أن تلجأ إلى قبتي فافعل³ فإنني سأمنعك . وإن لم تستطع فاقدف نفسك في الركي . فأتى عتيبة تابعه من الجن فأخبره بذلك . فأمر بيته فقوض . فركب فرسه وأخذ سلاحه ثم أتى مجلس بني جعفر . وفيه عامر بن الطفيل الغنوي . فحيأهم وقال : يا عامر قد بلغني الذي أرسلت به إلى بسطام فأننا نخيرك فيه خصالاً ثلاثاً . فقال عامر : وما هي ؟ قال : إن شئت فأعطني خلعتك وخلعة أهل بيتك . حتى أطلقه لك ، فليست خلعتك وخلعة أهل بيتك⁴ بشر من خلعتك وخلعة أهل بيتك . فقال

1) مرة . S. ; عمية . B. et R. 2) فتجيرنا . R. 1)

3) حريباً . A. ; جزينا . R. Ita Cod. Ox. Poc. 390 f. 86;

4) . R. . ابشر . A. ; deinde S. 4)

١ وأشوى . (وأتوى فلاناً : أهلكه) .

عامر : هذا لا سبيل إليه . قال عتيبة : ضع رجلك مكان رجله فلست عندي بشرّ منه . فقال : ما كنت لأفعل . قال عتيبة : تتبعني إذا جاوزت هذه الرابية فتقارعني عنه على الموت . فقال عامر : هذه أبغضهنّ إليّ . فانصرف به عتيبة إلى بني عبدة بن ثعلبة فرأى بسطام مركب أمّ عتيبة رثاً فقال : يا عتيبة هذا رحل أمّك ؟ قال : نعم . قال : ما رأيتُ رحل أمّ سيّدٍ قطّ مثل هذا . فقال عتيبة : واللّات والعزّى لا أطلقك حتى تأتيني أمّك بِحَدِّجها¹ . وكان كبيراً ذا ثمن كثير . وهذا الذي أراد بسطام ليرغب فيه فلا يقتله . فأرسل بسطام فأحضر حدّج أمّه وفادى نفسه بأربعمائة بعير . وقيل : بألف بعير ، وثلاثين فرساً وهودج أمّه وحَدِّجها وخلص من الأسر . فلما خُص من الأسر أذكى العيونَ على عتيبة وإبله ، فعادت إليه عيونُه فأخبروه أنّها على أرباب² . فأغار عليها وأخذ الإبل كلّها وما لهم معها .

(عُنَيْبَة بالناء فوقها نقطتان ، والياء تحتها نقطتان ساكنة ، وفي آخرها باء موحدة) .

يوم لثيان على بني تميم

قال أبو عبدة : خرج الأقرع بن حابس وأخوه فراس التميميان ، وهما الأقرعان ، في بني مُجَاشع من تميم وهما يريدان الغارة على بكر بن وائل ومعهما البروك³ أبو جعل ، فلقبهم بسطام بن قيس الشيباني وعمران

1) بهودجها R.

2) ارباب S.

3) البروك A.

ابن مُرّة في بني بكر بن وائل بزُبالة فاقتلوا قتالاً شديداً ظفرت فيه بكر
وانهزمت تميم وأسر الأقرعان وأبو جعل وناس كثير ، وافتدى الأقرعان
نفسيهما من بسطام وعاهداه على إرسال الفداء ، فأطلقهما ، فبَعُدَا ولم يرسلَا
شيئاً . وكان في الأسرى إنسان من يربوع فسمعه بسطام بن قيس في الليل يقول :

فِدَى بوالدةِ عليّ شفيقةٍ فكأنها حرّضت¹ عليّ الأسقامِ
لو أنها علمتْ فيسكن جأشها أني سقطتُ على الفتى المنعامِ
إنّ الذي ترجين ثمّ إيتابه سقط العشاء به على بسطامِ
سقط العشاء به على متنعّم² سَمَحَ اليديّن معاود الإقدامِ

فلَمَّا سمع بسطام ذلك منه قال له : وأبيك لا يخبر أمك عنك غيرك !
وأطلقه . وقال ابن رميض العنزّي :

جاءتْ هدايا من الرحمان مُرسّلةً حتى أنيخت لَدَى أبياتِ بسطامِ
جيشُ الهذيلِ وجيشُ الأقرعين معاً وكُبّةُ الخيلِ والأذوادِ في عامِ
مسوم خيله تَعَدُّو مقابيهُ على الذوائب من أولادِ همامِ

وقال أوس بن حَجَر :

وصَبَحْنَا عاراً طويلاً بِنَاوهِ نُسَبَ به ما لاح في الأفقِ كوكبُ
فلم أرَ يوماً كان أكثرَ باكياً ووجهاً تُرى فيه الكآبةُ تَجَنُّبُ³
أصابوا البروكَ وابنَ حابِسَ عنوةً فظلّ لهم بالقاعِ يومٌ عَصَبُ
وإنّ أبا الصهباء في حومةِ الوغى إذا ازورتِ الأبطالُ ليثُ مُجربُ

1) حرص S.

2) متفر B. et S.

3) تحب R.

وأبو الصهباء هو بسطام بن قيس . وأكثر الشعراء في هذا اليوم في مدح
بسطام بن قيس ، تركنا ذكره اختصاراً .

(حَجَرٌ بفتح الحاء والجيم) .

يوم مَبَائِض

وهو لشيبان على بني تميم .

قال أبو عبيدة : حجّ طريف بن تميم العنبري التميمي . وكان رجلاً
جسيماً يلقب مُجَدَّعاً . وهو فارس قومه . ولقيه حمصيصة بن جندل
الشيباني من بني أبي ربيعة ، وهو شاب قوي شجاع ، وهو يطوف بالبيت ،
فأطال النظر إليه ، فقال له طريف : لِمَ تشدّ نظرك إليّ ؟ قال حمصيصة :
أريد أن أثبتك لعلّي أن ألقاك في جيش فأقتلك . فقال طريف : اللهم لا
تحوّل الحولَ حتى ألقاه ! ودعا حمصيصة مثله ، فقال طريف :

أوكُلّما وردت عكاظَ قبيلة¹ بعثوا إليّ عريفهم يتوسّم²
لا تُنكروني إنّي أنا ذاكم¹ شاكي السلاح وفي الحوادثِ معلّم²
حولي فوارس¹ من أسيد جمّة¹ ومن الهُجبيّم وحولِ بيتي خصم²
نحّي الأغرّ وفوق جلدي نشرة² زغف² تردّ السيف وهو مثلم²

في أبيات .

1) س . شجه .

2) س . وغب .

ثم إن بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وبني مرة بن ذهل بن شيبان كان بينهم شرّ وخصام فاقتلوا شيئاً من قتال ، ولم يكن بينهم دم . فقال هانيء ابن مسعود ، رئيس بني أبي ربيعة ، لقومه : إني أكره أن يتخامم الشرّ بيننا . فارتحل بهم فنزل على ماء يقال له مَبائِض . وهو قريب من مياه بني تميم . فأقاموا عليه أشهراً ، وبلغ خبرهم بني تميم . فأرسل بعضهم إلى بعض وقالوا : هذا حيّ منفرد وإن اصطلمتموهم أو هنتم بكرّ بن وائل . واجتمعوا وساروا على ثلاثة رؤساء : أبو الجَدعاء الطهويّ على بني حنظلة ، وابن فدّكي المنقريّ على بني سعد . وطريف بن تميم على بني عمرو بن تميم . فلما قاربوا بني أبي ربيعة بلغهم الخبر فاستعدّوا للقتال . فخطبهم هانيء بن مسعود وحشّمهم على القتال . فقال : إذا أتوكم فقاتلوهم شيئاً من قتال ثم انحازوا عنهم ، فإذا اشتغلوا بالنهب فعودوا إليهم فإنكم تصيبون منهم حاجتكم .

وصبّحهم بنو تميم والقوم حذرون فاقتلوا قتالاً شديداً وفعلت بنو شيبان ما أمرهم هانيء . فاشتغلت تميم بالغنيمة . ومرّ رجل منهم بابن لهانيء بن مسعود صبيّاً فأخذه وقال : حسبي هذا من الغنيمة ، وسار به وبقيت تميم مع الغنيمة والسبي . فعادت شيبان عليهم فهزموهم وقتلوهم وأسروهم كيف شاءوا ، ولم تُصب تميم بمثلها ؛ لم يفلت منهم إلا القليل ، ولم يتلو أحد على أحد . وانهزم طريف فاتبعه حمّصبيصة فقتله . واستردت شيبان الأهل والمال وأخذوا مع ذلك ما كان معهم ، وفادى هانيء بن مسعود ابنه بمائة بعير ، وقال بعض شيبان في هذا اليوم :

ولقد دعوت طريف دعوة جاهلٍ غيرٍ وأنت بمنظر لا تعلمُ
وأنت حيّاً في الحروب محلّهم والجيش باسم أبيهم يستهزمُ

1) S. et A. .

فوجدتهم يرعون حول ديارهم بُسلاً إذا حام الفوارسُ أقدموا
 وإذا اعتزوا بأبي ربيعة أقبلوا بكتيبة مثل النجوم تلملم
 ساموك درعك والأغرّ كليهما وبنو أسيدِ أسلموك وخصم
 وقال عمرو بن سواد يرثي طريفاً :

لا تبعدنْ يا خيرَ عمرو بن جندب لعمري لمن زار القبور ليبعدا
 عظيم رماد النار لا متعبساً^١ ولا مؤيساً منها إذا هو أوقدا
 وما كان وقافاً إذا الخيل أحجمت وما كان مبطاناً^١ إذا ما تجردا

يوم الزويرين

قال أبو عبيدة : كانت بكر بن وائل قد أجذبت بلادهم فانتجعوا بلاد
 تميم بين اليمامة وهجر ، فلما تدانوا جعلوا لا يلقى بكري تميمياً إلا قتله ،
 ولا يلقى تميمي بكرياً إلا قتله ، إذا أصاب أحدهما مال الآخر أخذه ، حتى
 تفاقم الشرّ وعظم . فخرج الحوفزان بن شريك والوادك بن الحارث الشيبانيان
 ليغيرا على بني دارم ، فاتفق أن تميمياً في تلك الحال اجتمعت في جمع كثير
 من عمرو بن حنظلة والرّباب وسعد وغيرها وسارت إلى بكر بن وائل ، وعلى
 تميم أبو الرئيس الحنظلي . فبلغ خبرهم بكر بن وائل فتقدموا وعليهم الأصمّ

١) وما كان مبطاناً S .

عمرو بن قيس بن مسعود أبو مفروق وحنظلة بن سيار¹ العجليّ وحمران
 ابن عبد عمرو العبيسيّ ، فلما التقوا جعلت تميم والرباب بعيرين وجلّوهما
 وجعلوا عندهما من يحفظهما وتركوهما بين الصفتين معقولين وسموهما
 زويرين ، يعني : إلهين ، وقالوا : لا نفر حتى يفرّ هذان البعيران . فلما
 رأى أبو مفروق البعيرين سأل عنهما فأعلم حالهما ، فقال : أنا زويركم ،
 وبرك بين الصفتين وقال : قاتلوا عني ولا تفروا حتى أفرّ . فاقتل الناس
 قتلاً شديداً ، فوصلت شيان إلى البعيرين فأخذوهما فذبوهما . واشتدّ
 القتال عليهما ، فانهزمت تميم وقتل أبو الرئيس مقدمهم ومعه بشر كثير ،
 واجترفت بكر أموالهم ونساءهم وأسروا أسرى كثيرة ، ووصل الخوفزان
 إلى النساء والأموال . وقد سار الرجال عنها للقتال . فأخذ جميع ما خلفوه
 من النساء والأموال وعاد إلى أصحابه سالمًا . وقال الأعشى في ذلك اليوم :

يا سلم لا تسألني عنّا فلا كشفت
 عند اللقاء ولا سود مقاريف
 نحن الذين هزمتنا يوم صبحنا
 يوم الزويرين في جمع الأحاليف
 ظلّوا وظلت تكرر الخيل وسطهم
 بالشيب منّا وبالمرّد الغطاريف
 تستأنس الشرف الأعلى بأعينها
 لمتع الصقور علت فوق الأظاليف
 انسلّ عنها بسيل الصيف فانجرت
 تحت اللبؤد متون كالزحاليف

وقد أكثر الشعراء في هذا اليوم ، لا سيّما الأغلب العجليّ ، فمن ذلك
 أرجوزته التي أولها :

إن سرك العزّ فجنجج بحشم

1) B. A. S. et R. يبار .

١ (هذه الأبيات غير موجودة في ديوان الأعشى) .

يقول فيها :

جاؤوا بزُويريهم وجئنا بالأصم^١ شيخ لنا كالليث من باقي إرم^١
شيخ لنا معاود^١ ضَرَبَ البُهَم^١ يضرب بالسيف إذا الرمح انقسم^١
هل غيرُ غارٍ صك^١ غاراً فانهزم^١

الغاران : بكر وتميم . وله الأرجوزة التي أولها :

يا رُبَّ حربٍ ثرّة^٢ الأخلافِ

يذكر فيها هذا اليوم .

ذكر أسر حاتم طيء

• •

قال أبو عبيدة : أغار حاتم طيء بجيش من قومه على بكر بن وائل فقاتلوههم ،
وانهزمت طيء وقتل منهم وأسر جماعة كثيرة ، وكان في الأسرى حاتم ابن
عبد الله الطائي ، فبقي موثقاً عند رجل من عُنَيْزَة ، فأتته امرأة منهم اسمها
عالية بناقة فقالت له : افصد^٣ هذه ، فنحرها ، فلما رأتها منحورة صرخت ،
فقال حاتم :

عالي لا تلتد^٣ من^٣ عاليه^٣ إن الذي أهلكت من ماليه^٣

1) B. et R. يك .

2) ترا . R. ترى . B. 2)

3) S. 3) . تلندى .

إنّ ابنَ أسماءَ لكم ضامنٌ حتى يُؤدّي آيسُ ناويَهْ
لا أفصدُ الناقةَ في أنفها لكنّي أوجرها العالِيَهْ
إنّي عن الفصدِ لفي مفخر يكره منّي المِفْصدُ الآليَهْ
والجِليلُ إن شَمَّصَ فرسانها تذكُر عند الموت أمثالِيَهْ^١

وقال رُمَيْضُ العنزِيّ يفتخر :

ونحنُ أسرنا حاتمًا وابنَ ظالم فكلُّ ثوى في قِيدنا وهو ينجشُ
وكعبَ إِيادٍ قد أسرنا وبعده أسرنا أبا حسانَ والجِليلُ تطمَعُ
ورِيانَ^٢ غادرنا بِوَجِّ^٣ كأنه وأشياءه فيها صريمٌ^٤ مصرَعُ

وقال يحيى بن منصور الذُّهليّ^٥ قصيدةً يفتخر بأبيّام قومه ، وهي
طويلة ، وفيها آداب حسنة ، تركناها كراهيةً للتطويل . وأولُّها :

أَمِنْ عِرْفانٍ منزلةً ودارٌ . تُعاوِرُها البوارح والسواري

وقال أبو عبيدة : جاء الإسلام وليس في العرب^٦ أحدٌ أعزَّ داراً ولا
أمنع جاراً ولا أكثر حليفاً من شيبان . كانت عنيّة^٧ من نجم في الأحلاف ،
وكانت درمكة بن كِنْدَةَ في بني هند ، وكانت عكرمة من طيء . وحوثكة
من عُنْدَةَ ، وهُنَانَةُ كلُّ هُوَلاء في بني الحارث بن هَمَّام ، وكانت عائذة
من قريش ، ووضبّة وحواس من كندة ، هُوَلاء في بني أبي ربيعة ، وكانت
سليمة من بني عبد القيس في بني أسعد بن هَمَّام ، وكانت وثيلة من ثعلبة ،

1) S.

2) ذيان .

3) بريح .

4) صريمة .

5) R. الديلي .

6) الإسلام .

7) غنوم . B. ; عسب . A. et S.

١ . (هذه الأبيات غير موجودة في ديوان حاتم الطائي) .

وبنو خيبري من طيء في بني تميم بن شيبان ، وكانت عوف بن حارث من كندة في بني مُحَلِّم . كل هذه قبائل و بطون جاورت شيبان فعزت بها وكثرت .

يوم مُسْحُلان

قال أبو عبيدة : غزا ربيعة بن زياد الكلبي في جيش من قومه فلقني جيشاً لبني شيبان عامتهم بنو أبي ربيعة ، فاقتلوا قتالاً شديداً . فظفرت بهم بنو شيبان وهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وذلك يوم مُسْحُلان ، وأسروا ناساً كثيراً ، وأخذوا ما كان معهم . وكان رئيس شيبان يومئذ حيان بن عبد لله بن قيس المُحَلِّمي ، وقيل : كان رئيسهم زياد بن مرثد من بني أبي ربيعة ، فقال شاعرهم :

سائل ربيعة حيث حل بجيشه مع الحي كلب حيث لبنت فوارسه
عشبة ولتى جمعهم فتابعوا فصار إلينا نهبه وعوانسه

ثم إن الربيع بن زياد الكلبي نافر قومه وحاربهم فهزموه . فاعتزلهم وسار حتى حل ببني شيبان ، فاستجار برجل اسمه زياد من بني أبي ربيعة ، فقتله بنو أسعد² بن همام ، ثم إن شيبان حملوا ديتهم إلى كلب مائتي بعير فرضوا .

1) من R.

2) R. سط .

حرب لسليمان وشيبان

قال أبو عبيدة : خرج جيش لبني سليم عليهم النصيب السلمي وهم يريدون الغارة على بكر بن وائل . فلقبهم رجل من بني شيبان اسمه صليح¹ ابن عبد غنم وهو مُحترم على فرس له يسمى البحراء² ، فقال لهم : أين تذهبون ؟ قالوا : نريد الغارة على بني شيبان . فقال لهم : مهلاً فإنني لكم ناصح . إياكم وبني شيبان . فإنني أقسم لكم بالله لتأتينكم على ثلاثمائة فرس خصي سوى الفحول والإناث . فأبوا إلا الغارة عليهم . فدفع صليح فرسه ركضاً حتى أتى قومه فأنذرهم . فركبت شيبان واستعدوا . فاتاهم بنو سليم وهم مُعدون فاقتلوا قتالاً شديداً . فظفرت شيبان وانهزمت سليم وقتل منهم مقتلة كثيرة وأسر منهم ناس كثير . ولم ينج إلا القليل . وأسر النصيب رئيسهم ، أسره عمران بن مرة الشيباني ف ضرب رقبة . فقال صليح :

نهيتُ بني زِعل غداةَ لقيتهم وجيشَ نصيب والظنونُ تُطاعُ
 . وقلتُ لهم : إن الحريب وراكساً به نَعَم ترعى المرارَ رتاعُ³
 ولكنَّ فيه الموت يرتعُ سر به وحقُّ لهم أن يقبلوا ويطاعوا
 متى تأتتهِ تلقى على الماء حارثاً وجيشاً له يوفي بكلِّ بقاع

1) S. ; ceteri ubique : ضليح .

2) يقال له ناصح . B .

3) Ita S. Reliqui versum male corruptum tradunt.

يوم جدود

وهو يوم بين بكر بن وائل وبني منقر من نميم .

وكان من حديثه أن الحوفزان، واسمه الحارث بن شريك الشيباني، كانت بينه وبين بني سليل بن يربوع موادة، فهم بالغدر بهم وجمع بني شيبان وذُهلًا واللهازم، وعليهم حُمران بن عبد عمرو بن بشر بن عمرو. ثم غزا وهو يرجو أن يصيب غيرة من بني يربوع. فلما انتهى إلى بني يربوع نذر به عتيبة بن الحارث بن شهاب فنادى في قومه، فحالوا بين الحوفزان وبين الماء، وقال لعتيبة: إنني لا أرى معك إلا رهطك وأنا في طوائف من بني بكر، فلئن ظفرتُ بكم قلّ عددُكم وطمع فيكم عدوكم، ولئن ظفرتُ بي ما تقتلون إلا أقاصي عشيرتي، وما إيتاكم أردتُ، فهل لكم أن تسالمونا وتأخذوا ما معنا من التمر، ووالله لا نروع يربوعاً أبداً. فأخذ ما معهم من التمر وختل سبيلهم. فسارت بكر حتى أغاروا على بني ربيع بن الحارث، وهو مقاعس، بجدود، وإنما سُمي مقاعساً لأنه تقاعس عن حلف بني سعد، فأغار عليهم وهم خلوف فأصاب سبياً ونعماً، فبعث بنو ربيع صريخهم إلى بني كليب، فلم يجيبوهم، فأتى الصريخ بني منقر بن عبيد فركبوا في الطلب فلحقوا بكر بن وائل وهم مقاتلون، فما شعر الحوفزان وهو في ظل شجرة إلا بالأهتَم بن سُمي بن سينان المنقري واقفاً على رأسه، فركب فرسه، فنادى الأهتم: يا آل سعد! ونادى الحوفزان: يا آل وائل! ولحق بنو منقر فقاتلوا قتالاً شديداً، فهزمت بكر وختلوا السبي والأموال، وتبعتهم منقر، فمن قتل وأسير، وأسر الأهتم حُمران بن عبد عمرو، ولم يكن لقيس بن عاصم المنقري همة إلا الحوفزان، فتبعه على مهر،

والخوفزان¹ على فرس فارج¹ فلم يلحقه وقد قاربه . فلما خاف أن يفوته
حفزه بالرمح في ظهره فاحتفز بالطعنة ونجا ، فسُمي يومئذ الخوفزان ، وقيل
غير هذا . وقال الأهم في أسره حُمَران :

نِيطت² بحمرانَ المنيّةُ بعدما حشاه سينان من سُراعة أزرق¹
دعا يالَ قيسٍ واعتزيتُ لمنقَرٍ وكنتُ إذا لاقيتُ في الخيلِ أصدق¹

وقال سَوّار بن حيّان المنقري يفتخر على رجل من بكر :

ونحن حفزنا الخوفزان بطعنة كسته نجيعاً من دم البطنِ أشكلا
وحُمَران قسراً أنزلته رماحنا فعالج غللاً في ذراعينه مُثقلا
فيا لك من أيامِ صدقٍ نعدّها كيومِ جوائنا والنباجِ ونبتلا
قضى اللهُ أنا يومَ تفتسمُ العلى أحقُّ بها منكم فأعطي فأجزلا
فلستَ بمسطيع السماء ولم تجد لعيزٍ بناه اللهُ فوقك منقلا

(منقَر بكسر الميم ، وسكون النون . وفتح القاف ؛ وربّيع بضمّ الراء ،
وفتح الباء الموحدة) .

1) مارح . B .

2) R. S. et Cod. Ox, Poc. 390 f. 89 . مطت .

١ وثيتلا (نبتل : جبل في بلاد طيء) .

يوم الإياد ، وهو يوم أعشاش ويوم العُظالي

وإنما سمي يوم العُظالي لأن بسطام بن قيس وهانيء بن قبيصة ومفروق ابن عمرو تعاضلوا على الرياسة ، وكانت بكر تحت يد كسرى وفارس ، وكانوا يقرونهم ويجهزونهم ، فأقبلوا من عند عامل عين التمر في ثلاثمائة متساندين وهم يتوقعون انحدار بني يربوع في الحزن ، فاجتمع بنو عُنَيْبَةَ وبنو عُبَيْدِ وبنو زُبَيْدِ في الحزن . فحلت بنو زبيد الحديقة ، وحلت بنو عتيبة وبنو عبيد روضة الثَّمَدِ ، فأقبل جيش بكر حتى نزلوا حضبة الحصى ، فرأى بسطام السواد بالحديقة ، وثمّ غلامٌ عرفه بسطام ، وكان قد عرف غلمان بني ثعلبة حين أسره عتيبة . فسأله بسطام عن السواد الذي بالحديقة ، فقال : هم بنو زبيد . قال : كم هم من بيت ؟ قال : خمسون بيتاً . قال : فأين بنو عتيبة وبنو عبيد ؟ قال : هم بروضة الثَّمَدِ وسائرُ الناس بخُفَاف ، وهو موضع . فقال بسطام : أتطيعونني يا بني بكر ؟ قالوا : نعم . قال : أرى لكم أن تغنموا هذا الحيّ المفرد بني زُبَيْدِ وتعودوا سالمين . قالوا : وما يُغني بنو زبيد عنا ؟ قال : إن في السلامة إحدى الغنيمتين . قالوا : إن عُنَيْبَةَ بن الحارث قد مات . وقال مفروق : قد انتفخ سَحْرُك يا أبا الصهباء ! وقال هانيء : اخسأ ! فقال : إن أُسَيْدِ بن جباة لا يفارق فرسه الشقراء ليلاً ونهاراً ، فإذا أحسّ بكم ركبها حتى يشرف على مليحة فينادي : يا آل ثعلبة ، فيلقاكم طعنٌ يُنسيكم الغنيمة ولم يبصر أحد منكم مصرع صاحبه ، وقد عصيتُموني وأنا تابعكم وستعلمون .

فأغاروا على بني زُبَيْدِ وأقبلوا نحو بني عتيبة وبنو عبيد ، فأحست الشقراء فرس أسيد بوقع الخوافر فنخست بحافرها ، فركبها أسيد وتوجه نحو بني يربوع بمليحة ونادى : يا سوء صباحاه ! يا آل ثعلبة بن يربوع ! فما ارتفع

الضحى حتى تلاحقوا فاقتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت شيبان بعد أن قتلت
من تميم جماعةً من فرسانهم ، وقتل من شيبان أيضاً وأسر جماعة ، منهم :
هانيء بن قبيصة ، ففدى نفسه ونجا ، فقال مُتَمَّم بن نُويَرة في هذا اليوم :

لعمري لتنعيم الحيّ أسمع غدوةً أسيدٌ وقد جدّ الصراخُ المصدقُ
وأسمع فتياناً كجينة عبقر لهم ريتق¹ عند الطعانِ ومصّدقُ
أخذن بهم جنبتي أفاقٍ وبطنها فمارجعوا حتى أرقوا وأعتقوا

وقال العوام في هذا اليوم :

قبحَ الإلهُ عصابةً من وائلٍ يوم الأفاقة أسلموا بسطاماً
ورأى أبو الصهباء دون سوامهم طعنًا يُسلي نفسه وزحاما
كنتم أسوداً في الوغى فوجدتم يوم الأفاقة في الغيظ نعاما²

وأكثر العوام الشعر في هذا اليوم . فلما ألح فيه أخذ بسطام إبله ، فقالت
أمه :

أرى كلّ ذي شعيرٍ أصاب بشعره خلا أن عواماً بما قال عيّلا³
فلا ينطقن شعراً يكون جوازهُ كما شعر عوام أعام وأرجلا

يوم الشقيقة وقتل بسطام بن قيس

هذا يوم بين بني شيبان وضبة بن أدّ ، قُتل فيه بسطام بن قيس سيّد
شيبان .

1) A. رتق .

2) S. ; ceteri om.

3) B. علا ; R. عتلا .

كان سببه أن بسطام بن قيس بن مسعود بن خالد بن عبد الله ذي الجديين غزا بني ضبّة ومعه أخوه السليل بن قيس ومعه رجل يزجر الطير من بني أسد ابن خزيمه يسمي نقيداً¹ . فلما كان بسطام في بعض الطريق رأى في منامه كأن آتياً أتاه ، فقال له : الدلو تأتي الغرب المزله² ؛ فقص رؤياه على نقيد ، فتطير وقال : ألا قلت : ثم تعود بادياً مبتله² ؛ ففترط عنك النحوس . ومضى بسطام على وجهه ، فلما دنا من نقا يقال له الحسن في بلاد ضبّة صعده ليرى ، فإذا هو بنعم قد ملأ الأرض فيه ألف ناقة لمالك بن المنتفق الضبّي من بني ثعلبة بن سعد بن ضبّة قد فقأ عين فحلها ، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية إذا بلغت إبل أحداهم ألف بعير فقأوا عين فحلها لترد عنها العين ، وهي إبل مرّبعة³ ، ومالك بن المنتفق فيها على فرس له جواد .

فلما أشرف بسطام على النقا تخوف أن يروه فيندروا به ناضطجع وتدهدى حتى بلغ الأرض وقال : يا بني شيان لم أر كالיום قط في الغيرة وكثرة النعم . ونظر نقيد إلى لحية بسطام معفرة بالتراب لما تدهدى فتطير له أيضاً وقال : إن صدقت الطير فهو أول من يقتل . وعزم الأسدي على فراقه ، فأخذته رعدة نهباً ، لفراقه والانصراف عنه وقال له : ارجع يا أبا الصهباء ، فإنني أتخوف عليك أن تقتل ، فعصاه ففارقه نقيد .

وركب بسطام وأصحابه وأغاروا على الإبل واطردوها ، وفيها فعل لمالك يقال له أبو شاعر⁴ ، وكان أعور ، فنجأ مالك على فرسه إلى قومه من ضبّة حتى إذا أشرف على تعشّار نادى : يا صباحاه ! وعاد راجعاً . وأدرك الفوارس القوم وهم يطردون النعم ، فجعل فحلّه أبو شاعر يشدّ من النعم

1) B. ubique: نفيلاً .

2) Vid. Meidant I, p 481.

3) R. ربيعة .

4) B. et R. توبياً .

5) B. semper. sine punctis.

ليرجع وتتبعه الإبل ، فكلما تبعته ناقة عقرها بسطام . فلما رأى مالك ما يصنع بسطام وأصحابه قال : ما ذا السفه يا بسطام ؟ . لا تعقرها فلما لنا وإما لك . فأبى بسطام¹ ، وكان في أخريات الناس على فرس أدهم يقال له الزعفران يحمي أصحابه ، فلما لحقت خيل ضبّة قال لهم مالك : ارموا روايا القوم . فجعلوا يرمونها فيشقونها . فلحقت بنو ثعلبة وفي أوائلهم عاصم بن حليفة الصباحي ، وكان ضعيف العقل ، وكان قبل ذلك يعقب قناة له فيقال له : ما تصنع بها يا عاصم ؟ فيقول : أقتل عليها بسطاماً ، فيهزأون منه . فلما جاء الصريخ ركب فرس أبيه بغير أمره ولحق الخيل ، فقال لرجل من ضبّة : أيتهم الرئيس ؟ قال : صاحب الفرس الأدهم . فعارضه عاصم حتى حاذاه . ثم حمل عليه فطعنه بالرمح في صِماخ أذنه أنفذ الطعنة إلى الجانب الآخر . وخرّ بسطام على شجرة² يقال لها الألاءة . فلما رأت ذلك شيان خلّوا سبيلهم النعم وولّوا الأدبار . فمِن قَتيل وأسير . وأسر بنو ثعلبة نِجاد بن قيس أخا بسطام في سبعين من بني شيان ، وكان عبد الله بن عنمة الضبّي مجاوراً في شيان ، فخاف أن يُقتل فقال يرثي بسطاماً :

لأمّ الأرض ويلٌ ما أجنّت	غداة أضرت بالحسن السبيل ¹
يقسمُ ماله فينا وندعو ³	أبا الصهباء إذ جنح الأصيل ⁴
أجدك لن ترينه ولن نراه	تخبُّ به عذافرة ذمُول ⁵
حقيبة بطنها بدَنٌ وسرج	تعارضها مزببة زؤول ⁵
إلى ميعادٍ أرعنٍ مكفهر ⁵	تضمّر ⁵ في جوانبه الخيول ⁵
لكّ المربعُ منها والصفايا	وحكمك والنشيطه والفضول ⁵

1) S. ; ceteri om.

2) B. صخرة .

3) A. وندوا .

4) Versus in B. detst.

5) R. تضم .

لقد صمت بنو زيد بن عمرو ولا يوفي بسطام قتيل
فخر على الألاء لم يؤسد كأن جبينه سيف صقيل
فإن يجزع عليه بنو أبيه فقد فجعوا وفاتهم جليل
بمطعام إذا الأشوال راحت إلى الحجرات ليس لها فصيل

فلم يبق في بكر بن وائل بيت إلا وألقي لقتله لعلو محله : وقال شمعلة
ابن الأخضر بن هبيرة الضبي يذكره :

فيوم شقيقة الحسنيين لاقت بنو شيان آجالاً قصارا
شككنا بالرماح ، وهن زور ، صماخي كبشهم حتى استدارا
وأوجرفناه أسمر ذا كعوب يشبه طولته مسداً مغارا

الشقيقة : أرض صلبة بين جبلي رمل . والحسان : نقوا رمل كانت
الوقعة عندهما . وقالت أم بسطام بن قيس ترثيه :

ليبك ابن ذي الجدين بكر بن وائل فقد بان منها زينها وجمالها
إذا ما غدا فيهم غدوا¹ وكانهم نجوم سماء بينهن هلالها
فله عيناً من رأى مثله فتى إذا الخيل يوم الروع هب نزالها
عزيز المكر لا يهد جناحه وليث إذا الفتيان زلت نعالها
وحمال أثقال وعائد محجر تحمل إليه كل ذلك رحالها
سيبك عان لم يجد من يفكه ويبكك فرسان الوغى ورجالها
وتبكك أسرى طالما قد فككتهم وأرملة ضاعت وضاع عيالها
مفرج حومات الخطوب ومدرك² ال محروب إذا صالت وعز صيالها

1) غزاة R.

تغشّى بها¹ حيناً كذاك ففجعت² تميم³ به أرمأحها ونبالها
 فقد ظفرت⁴ منا تميم⁵ بعثرة⁶ وتلك لعمرى عثرة⁷ لا تُقالها
 أصيبت⁸ به شيبان⁹ والحى يشكر¹⁰ وطير يرى إرسالها وحبالها
 (عَنَمَة بفتح العين المهملة ، والنون) .

يوم النّسار

النّسار : أجبل متجاورة ، وعندها كانت الوقعة ، وهو موضع معروف
 عندهم .

وكان سبب ذلك اليوم أنّ بني تميم بن مرّ بن أدّ كانوا يأكلون عمومتهم
 ضبّة بن أدّ وبني عبد مناة بن أدّ ، فأصابت ضبّة رهطاً من تميم . فطلبتهم
 تميم فانزاحت جماعة الرّباب ، وهم تيم وعدي وثور أطحل وعكّل بنو
 عبد مناة بن أدّ وضبّة بن أدّ ، وإنما سمّوا الرّباب لأنّهم غمّسوا أيديهم في
 الرّب حين تحالفوا ، فلحقت ببني أسد ، وهم يومئذ حلفاء لبني ذُبْيَان بن
 بَغِيض . فنادى صارخ بني ضبّة : يا آل خِنْدَف ! فأصرختهم بنو أسد ،
 وهو أوّل يوم تخندفت فيه ضبّة واستمدّوا حليفهم ظيباً² وغطفان ، فكان
 رئيس أسد يوم النّسار عوف بن عبد الله بن عامر بن جدّيمة بن نصر بن قعين ،
 وقيل : خالد بن نَضْلَة ، وكان رئيس الرّباب الأسود بن المنذر أخو النعمان ،
 وليس بصحيح ، وكان على الجماعة كلّهم حصن بن حنّيفة بن بدر ؛ وفيه

1) يمشنا به S .

2) طينا : Cod. Ox. Poc. 390, f. 66 ; ضيباً R .

يقول زُهَيْر بن أَبِي سُلَيْمَى :

وَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلَهُ لِإِنْدَادٍ ضَيْبٍ أَوْ لِأَمْرِ يُحَاوِلُهُ¹
إِذَا حَلَّ أَحْيَاءُ الْأَحَالِيفِ حَوْلَهُ بَدِي نَجَبٍ لَتَجَاتِهِ² وَصَوَاهِلُهُ

فلما بلغ بني تميم ذلك استمدوا² بني عامر بن صعصعة ، فأمدوهم .
وكان حاجب بن زرارة على بني تميم ، وكان عامر بن صعصعة³ جواباً ،
وهو لقب مالك بن كعب من بني أبي بكر بن كلاب ، لأن بني جعفر كان جواب
قد أخرجهم إلى بني الحارث بن كعب فحالفوهم ، وقيل : كان رئيس عامر
شُرَيْح بن مالك القشيري . وسار الجمعان فالتقوا بالنسار واقتلوا ، فصبرت
عامر واستحرت بهم القتل ، وانفضت تميم فنجت ولم يُصَبْ منهم كثير . وقُتِلَ
شريح القشيري رأس بني عامر ، وقُتِلَ عبيد بن معاوية بن عبد الله بن كلاب
وغيرهما . وأخذ عدة من أشرف نساء بني عامر ، منهن سلمى بنت المُخَلَّف⁴ ،
والعنقاء بنت همام وغيرهما . فقالت سلمى تعير جواباً والطفيل :

لَحَى الْإِلَهَ أبا ليلي بفرته² يوم النسار وقنّب العير³ جواباً
كيف الفخار وقد كانت بمعرك يوم النسار بنو ذبيان أرباباً
لم تمنعوا القوم إن أشلّوا سوامكم⁴ ولا النساء وكان القوم أحراباً
وقال رجل يعير جواباً والطفيل بفراره عن امرأته :

وفرّ عن ضرّته² وجه خارثة⁴ ومالك¹ فرّ قنّب العير جواباً

1) R. S. et Cod. Ox. Poc. 3901. l. إنكار .

2) A. شهدوا .

3) S. ; ceteri om.

4) R. المعلق ; S. المعلق .

القُنْبُ : غِلاف الذِّكْر ، وجَوَاب لقب لأنه كان يجوب الآثار ، واسمه مالك ، وقال بشر بن أبي خازم في هزيمة حاجب :

وأفلت حاجب جَوْبَ¹ العوالي على شَقْرَاء تلمع في السراب
ولو أدركنَ رأسَ بني تميم عفرنَ الوجه منه بالتراب
وكان يوم النُّسار بعد يوم جَبَلَّة وقاتل لقيط بن زُرارة .

(جَوَاب بفتح الجيم ، وتشديد الواو ، وآخره باء موحدة ؛ وخازم بالخاء المعجمة ، والزاي) .

يوم الحِجَار

لَمَّا كان على رأس الحول من يوم النُّسار اجتمع من العرب مَنْ كان شهد النُّسار ، وكان رؤساؤهم بالحفار الرؤساء الذين كانوا يوم النُّسار ، إلا أن بني عامر قيل كان رئيسهم بالحفار عبد الله بن جَعْدَةَ بن كعب بن ربيعة ، فالتقوا بالحفار واقتلوا ، وصبرت تميم ، فعظم فيها القتل وخاصة في بني عمرو ابن تميم ، وكان يوم الحفار يسمّى الصَّيْلَم لكثرة مَنْ قُتِلَ به ؛ وقال بشر ابن أبي خازم في عصابة تميم لبني عامر :

عصبتُ تميمٌ أن يقتلَ عامر يوم النُّسار فأعقبوا بالصَّيْلَمِ
كنا إذا نَفَرُوا لحربٍ نَفْرَةً² نشفي صداعَهُمْ برأسِ صِلْدِمِ

1) فوق S. ; فرت A. 2) نَفَرُوا لحربٍ بعده S. ; نَفْرَةً R. .

تَعَلُّو الفوازسَ بالسيوف وتَعْتَزِي والخيل مشعلة النحور من الدمِ
يخرُجن من خلل الغبار عوابساً خَبَبَ¹ السباع بكلِّ لِيث ضيغمِ
وهي عدّة أبيات ، وقال أيضاً :

يوم الجفار ويوم النسا رِ كانا عذاباً وكانا غراما
فأما تميمٌ تميمٌ بن مُرِّ فألفاهم² القوم روبي³ نياما
وأما بنو عامر بالجفار ويوم النسا فكانوا نعاما

• فلما أكثر بشر على بني تميم ، قيل له : ما لك ولتميم وهم أقرب الناس
منك أرحاماً ؟ فقال : إذا فرغت منهم فرغت من الناس ولم يبق أحد⁴ .

يوم الصَّفقة والكلاب الثاني

أما يوم الصَّفقة وسببه فإنّ باذان ، نائب كسرى أبرويز بن هرمز باليمن ،
أرسل إليه حملاً من اليمن . فلما بلغ الحمل إلى نطاع من أرض نجد أغارت
تميم عليه وانتهبوه وسلبوا رسل كسرى وأساورته . فقدموا على هوزة⁵ بن
عليّ الحنفيّ صاحب اليمامة مسلوبين ، فأحسن إليهم وكساهم . وقد كان قبل

1) R. حسب .

2) R. فألفاهم .

3) Fl. ; R. رومي ; A. دوئي .

4) S. ; ceteri om.

5) R. ubique : هودة .

هذا إذا أرسل كسرى لطيمة تباع باليمن يجهز رسله ويخفرهم ويحسن جوارهم ، وكان كسرى يشتهي أن يراه ليجازيه على فعله . فلما أحسن أخيراً إلى هؤلاء الرسل الذين أخذتهم تميم قالوا له : إن الملك لا يزال يذكرك ويؤثر أن تقدم عليه ، فسار معهم إليه . فلما قدم عليه أكرمه وأحسن إليه وجعل يحادثه لينظر عقله ، فرأى ما سره ، فأمر له بمال كثير ، وتوجه بتاج من تيجانه وأقطعه أموالاً بهجراً .

وكان هوزة نصرانياً ، وأمره كسرى أن يغزو هو والمكعب مع عساكر كسرى بني تميم ، فساروا إلى هجراً ونزلوا بالمشقر . وخاف المكعب وهوزة أن يدخلوا بلاد تميم لأنها لا تحملها العجم وأهلها بها ممتنعون ، فبعثا رجالاً من بني تميم يدعونهم إلى الميرة . وكانت شديدة ، فأقبلوا على كل صعب وذلول ، فجعل المكعب يدخلهم الحصن خمسة خمسة وعشرة عشرة وأقل وأكثر ، يدخلهم من باب على أنه يخرجهم من آخر ، فكل من دخل ضرب عنقه . فلما طال ذلك عليهم ورأوا أن الناس يدخلون ولا يخرجون بعثوا رجالاً يستعلمون الخبر ، فشد رجل من عبس فضرب السلسلة فقطعها وخرج من الباب . فأمر المكعب بفتح الباب وقتل كل من كان بالمدينة ، وكان يوم الفصح ، فاستوهب هوزة منه مائة رجل فكساهم وأطلقهم يوم الفصح . فقال الأعشى من قصيدة يمدح هوزة :

هم يُقَرَّب يوم الفصح ضاحيةً يرجو الإله بما أسدى وما صنعا

فصار يوم المشقر مثلاً ، وهو يوم الصفقة لإصفاق الباب ، وهو إغلاقه . وكان يوم الصفقة وقد بعث النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة بعد لم يهاجراً .

1) S. ; ceteri om.

وأما يوم الكلاب الثاني فإن رجلاً من بني قيس بن ثعلبة قدم أرض نجران، على بني الحارث بن كعب، وهم أخواله، فسألوه عن الناس خلفه فحدثهم أنه أصفح على بني تميم باب المشقر وقتلت المقاتلة وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم لا مانع لها. فاجتمعت بنو الحارث من مذحج، وأحلافها من نهد وجرم بن ربيان¹، فاجتمعوا في عسكر عظيم بلغوا ثمانية آلاف، ولا يُعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بذي قار ومن يوم جبلة، وساروا يريدون بني تميم، فحذّرهم كاهن كان مع بني الحارث واسمه سلمة بن المغفل وقال: إنكم تسرون أعياناً، وتغزون أعياناً، سعداً ورياناً، وتردون مياها جياباً، فتلقون عليها ضرباً، وتكون غنيمتكم تراباً، فأطيعوا أمري ولا تغزوا تيمماً. فعصوه وساروا إلى عروة¹، فبلغ الخبر تيمماً فاجتمع ذوو الرأي منهم إلى أكم بن صيفي، وله يومئذ مائة وتسعون سنة، فقالوا له: يا أبا جيدة² حقت³ هذا الأمر فإننا قد رضيناك رئيساً⁴. فقال لهم:

وإن امرأ قد عاش تسعين حجة⁵ إلى مائة لم يسأم العيش جاهل⁶
مضت مائتان غير عشر وفاؤها وذلك من عدّ الليالي قلائل⁷

ثم قال لهم: لا حاجة لي في الرياسة ولكني أشير عليكم ليتزل حظلة ابن مالك بالدهناء، وليتزل سعد بن زيد مناة والرّباب وهم ضبة بن أد وثور وعكل وعدي بنو عبد مناة بن أد الكلاب، فأبى الطريقين أخذ القوم كفى أحدهما صاحبه، ثم قال لهم: احفظوا وصيتي لا تحضروا النساء

1) غزوه س. ; غزوة A.

2) B. et R. جندة .

3) S. حفر .

4) R.

1 حزم بن ربيان . (راجع التركلي مادة جرم) .

الصفوف فإن نجاة اللّيم في نفسه ترك الحرّيم ، وأقيلتوا الخلاف على أمرائكم ،
ودعوا كثرة الصياح في الحرب فإنه من الفشل ، والمرء¹ يعجز لا محالة ،
فإن أحق الحمق الفجور ، وأكيس الكيس التقى² ، كونوا جميعاً في
الرأي ، فإن الجميع معزز³ للجميع ، وإيّاكم والخلاف فإنه لا جماعة لمن
اختلف ، ولا تلبثوا ولا تسرعوا فإن أحزم الفريقين الركين ، وربّ عجلة
هب ريئاً⁴ ، وإذا عزّ أخوك فهنّ⁵ ، البسوا جلود النمر وبرزوا للحرب ،
وادرعوا الليل واتخذوه جملاً ، فإن الليل أخفى للويل ، والثبات أفضل
من القوة وأهنا الظفر كثرة الأسرى ، وخير الغنيمة المال ، ولا ترهبوا الموت
عند الحرب ، فإن الموت من ورائكم ، وحبّ الحياة لدى الحرب⁶ زلّ ،
ومن خير أمرائكم النعمان بن مالك بن حارث بن جساس ، وهو من بني تميم
ابن عبد مناة بن أدّ . فقبلوا مشورته ، ونزلت عمرو بن حنظلة الدهناء .
ونزلت سعد والرباب الكلاب ، وأقبلت مذحج ومنّ معها من قضاة فقصدوا
الكلاب ، وبلغ سعداً والرباب الخبر . فلما دنت مذحج نذرهم شميت
ابن زنباع اليربوعي فركب جملة وقصد سعداً ونادى : يا آل تميم يا صباحاه !
فثار الناس ، وانتهت مذحج إلى النعم فانتهبها الناس ، وراجزهم يقول :

في كلّ عام نعمّ نتابهُ على الكلاب غيّبت أصحابهُ
يسقط في آثاره غلابهُ

1) R. المرء .

2) B. et R. بني .

3) S. مقرب .

4) Vid. Meidani, I, p. 535 ; B. et R. دماً .

5) Vid. Meidani, I, p. 27.

6) R. add. ذل .

فلحق قيس بن عاصم المنقري والنعمان بن جساس ومالك بن المنتفق
في سرعان الناس ، فأجابه قيس يقول :

عما قليل تلتحق¹ أربابه مثل النجوم حُسرأ² سحابه
ليمنعن³ النعم اغتصابه سعد⁴ وفرسان الوغى أربابه

ثم حمل عليهم قيس وهو يقول :

في كل عام نعم⁵ تحوونه⁶ يلتفحه⁷ قوم⁸ وتنتجونه⁹
أربابه نوكى فلا يحمونه¹⁰ ولا يلاقون طبعانا¹¹ دونه¹²
أنعم¹³ الأبناء تحبونته¹⁴ هيهات¹⁵ هيهات¹⁶ لما ترجونه¹⁷

فاقتل القوم قتالا شديدا يومهم أجمع . فحمل يزيد بن شداد بن
قنان الحارثي على النعمان بن مالك بن جساس فرماه بسهم فقتله ، وصارت
الرياسة لقيس بن عاصم ، واقتلوا حتى حجز بينهم الليل ، وباتوا يتحارسون .
فلما أصبحوا غدوا على القتال ، وركب قيس بن عاصم وركبت مذحج واقتلوا
أشد من القتال الأول ، فكان أول من انهزم من مذحج مدرج الرياح .
وهو عامر بن المجنون³ بن عبد الله الجرمي . وكان صاحب لوائهم ، فألقى
اللواء وهرب ، فلحقه رجل من بني سعد فعقر به دابته ، فنزل يهرب ماشيا .
ونادى قيس بن عاصم : يا آل تميم عليكم الفرسان ودعوا الرجالة فإنها لكم ،
وجعل يلتقط الأسارى ، وأسر عبد يغوث بن الحارث بن وقاص الحارثي

1) يلحقن S.

2) حسرت S. ; خرت A.

3) المجنون S.

1 يلحقه .

رئيس مذبح فقتل بالزعمان بن مالك بن جساس ، وكان عبد يغوث شاعراً ،
فشدوا لسانه قبل قتله لئلا يهجوهم ، فأشار إليهم ليحلتوا لسانه ولا يهجوهم ،
فحلتوه ، فقال شعراً :

ألا لا تلوماني ، كفى اللوم ما بييا
ألم تعلموا أن الملامة نفعها
فيا راكباً إما عرضت فبلغن
أبا كرب والأينهمين كليهما
أقول وقد شدوا لساني بنسعة :
كأنني لم أركب جواداً ولم أقل
ولم أسبل الزق الروي ولم أقل
وقد علمت عرسي ملبكة أنتي
لحى الله قوماً بالكلاب شهدتهم
ولو شئت نجتني من القوم شطبة
وكنت إذا ما الخيل شمتها القنا
فيا عاص فك القيد عني فإنني
فإن تقتلوني تقتلوا بي سيداً
فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
قليل وما لومي أخاً من شماليا
نداماي من نجران ألا تلاقيا
وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا
معاشر تيسم أطلقوا من لسانيا
لخيلبي كرتي كرة من ورائيا
لأيسار صدق عظموا ضوء ناريا
أنا الليث معدوياً عليه وعادياً^١
صميمهم والتابعين المواليا
ترى خائفها الكمت العناق تواليا
لبيقاً بتصرف القناة بتانیا
صبوراً على مرّ الحوادث ناكيا
وإن تطلقوني تحربوني^٢ ماليا

أبو كرب بشر بن علقمة بن الحارث ، والأينهمان الأسود بن علقمة بن
الحارث ، والعاقب وهو عبد المهيع بن الأبيض ، وقيس بن معدي كرب ،

١ مغدوياً عليه وغاديا .

٢ تحربوني .

فزعوا أن قيساً قال : لو جعلني أول القوم لافتديته بكل ما أملك . ثم قُتل ولم يُقبل له فدية .

(ربان بالراء والباء الموحدة) .

يوم ظهر الدهناء

وهو يوم بين طيء وأسد بن خزيمه .

وسبب ذلك أن أوس بن حارثة بن لأم الطائي كان سيداً مطاعاً في قومه وجواداً مقداماً ، فوفد هو وحاتم الطائي على عمرو بن هند ، فدعا عمرو أوساً فقال له : أنت أفضل أم حاتم ؟ فقال : أبيت اللعن ! إن حاتمأ أوحدها وأنا أحدها ، ولو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لتوهبنا في غداة واحدة . ثم دعا عمرو حاتمأ فقال له : أنت أفضل أم أوس ؟ فقال : أبيت اللعن ! إنما ذكرت أوساً ولأحدُ ولده أفضل مني . فاستحسن ذلك منهما وحباهما وأكرمهما .

ثم إن وفود العرب من كل حي اجتمعت عند النعمان بن المنذر وفيهم أوس ، فدعا بحلة من حلل الملوك وقال للوفود : احضروا في غد فلإني مُلبس هذه الحلة أكرمكم . فلما كان الغد حضر القومُ جميعاً إلا أوساً ، فقيل له : لِمَ تتخلف ؟ فقال : إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء بي^١ إلا أكون

.....
1) الأثاني R. ; الأثاني B. ; الأسياني A. (1)

حاضراً ، وإن كنتُ المراد فسأطلب . فلما جلس النعمان ولم ير أوساً قال :
 اذهبوا إلى أوس فقولوا له : احضروا أماناً مما خفت . فحضر فألبس الحلة ،
 فحسده قوم من أهله ، فقالوا للحطبيثة : اهجهُ ولك ثلاثمائة ناقة . فقال :
 كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلا منه ! ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفك صالحةً من أهل لأم بظهر الغيب تأتيني

فقال لهم بشر بن أبي خازم : أنا أهجوه لكم ، فأعطوه النوق ، وهجاء
 فأفحش في هجائه وذكر أمه سُعدى . فلما عرف أوس ذلك أغار على
 النوق فاكتسحها ، وطلبه فهرب منه والتجأ إلى بني أسد عشيرته ، فمنعوه
 منه ورأوا تسليمه إليه عاراً . فجمع أوس جديلة طيء وسار بهم إلى أسد ،
 فالتقوا بظهر الدهناء تلبقاء تيماء فاقتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو أسد وقتلوا
 قتلاً ذريعاً ، وهرب بشر فجعل لا يأتي حياً يطلب جوارهم إلا امتنع من
 إجارتهم على أوس . ثم نزل على جندب بن حصن الكلابي بأعلى الصّمان ، فأرسل
 إليه أوس يطلب منه بشراً ، فأرسله إليه . فلما قُدمَ به على أوس أشار عليه
 قومه بقتله ، فدخل على أمه سُعدى فاستشارها ، فأشارت أن يردّ عليه ماله
 ويعفو عنه ويحبوه فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه . فقبل ما أشارت به وخرج
 إليه وقال : يا بشر ما ترى أنتي أصنع بك ؟ فقال :

لأني لأرجو منك يا أوس نعمةً ولأني لأخزي منك يا أوس راهبُ
 ولأني لأمحو بالذي أنا صادق به كل ما قد قلت إذ أنا كاذبُ
 فهل ينفعني اليوم عندك أنتي سأشكر إن أنعمت والشكر واجبُ
 فدّى لابن سُعدى اليوم كلّ عشيرتي بني أسد أقصاهم والأقاربُ
 تداركني أوس بن سُعدى بنعمة وقد أمكنته من يدي العواقبُ

فمنّ عليه أوس وحمله على فرس جواد وردّ عليه ما كان أخذ منه وأعطاه

من ماله مائة من الإبل ، فقال بشر : لا جرّمَ لا مدحتُ أحداً ، حتى أموت ،
غيرك ، ومدحه بقصيدته المشهورة التي أولها :

أتعرف من هُنَيْدَةَ رَسَمَ دَارِ بَحْرَجِي ذُرُوءَ فإلى لواها
ومنها منزل بِيْرَاقٍ خَبَتِ عَفَت حُقُباً وَغَيْرَهَا بِلاها
وهي طويلة .

يوم الوقيط

وكان من حديثه أنّ اللهازم تجمّعت ، وهي قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة
ابن عكابة¹ بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومعها عجل بن لجيم وعنزّة
ابن أسد بن ربيعة بن نزار لتغير على بني تميم وهم غارون . فرأى ذلك الأعور
وهو ناشب بن بشامة² العنبري ، وكان أسيراً في قيس بن ثعلبة . فقال لهم :
أعطوني رجلاً أرسله إلى أهلي أوصيهم ببعض حاجتي . فقالوا له : ترسله
ونحن حضور ؟ قال : نعم . فأتوه بغلام مولد ، فقال : أتيتموني بأحمق ! فقال
الغلام : والله ما أنا بأحمق ! فقال : إنّي أراك مجنوناً ! قال : والله ما بي جنون !
قال : أتعقل ؟ قال : نعم إنّي لعاقل . قال : فالنيران أكثر أم الكواكب ؟ قال :
الكواكب ، وكلّ كثيرة ، فملاً كفه رملاً وقال : كم في كفي ؟ قال : لا
أدري فإنه لكثير . فأوماً إلى الشمس بيده وقال : ما تلك ؟ قال : الشمس .
قال : ما أراك إلاّ عاقلاً ، اذهب إلى قومي فأبلغهم السلام وقل لهم ليُحسنوا

1) عكابة B. ; عكامة R.

2) نشابة R.

إلى أسيرهم فإني عند قوم يحسنون إليّ ويكرموني ، وقلّ لهم فليُعرّوا جملي الأحمر ويركبوا ناقتي العيساء وليرعوا حاجتي في بني مالك ، وأخبرهم أنّ العوسج قد أورق ، وأنّ النساء قد اشتكت ، وليعضوا همّام بن بشامة فإنه مشؤوم متجدود¹ ، وليطيعوا هذيل بن الأخنس ، فإنه حازم ميمون ، واسألوا الحارث عن خبري .

وسار الرسول فأتى قومه فأبلغهم ، فلم يدروا ما أراد ، فأحضروا الحارث وقصّوا عليه خبر الرسول . فقال للرسول . اقصص عليّ أول قصتك . فقصّ عليه أول ما كلمه حتى أتى على آخره . فقال : أبلغه التحيّة والسلام وأخبره أنا نستوصي به . فعاد الرسول ؛ ثمّ قال لبني العنبر : إنّ صاحبكم قد بين لكم ، أمّا الرمل الذي جعل في كفه فإنه يخبركم أنّه قد أتاكم عدد¹ لا يحصى ، وأمّا الشمس التي أوما إليها فإنه يقول ذلك أوضح من الشمس ، وأمّا جملة الأحمر فالصّمان فإنه يأمركم أن تعرّوه ، يعني ترتحلوا عنه . وأمّا ناقته العيساء فإنه يأمركم أن تحترزوا في الدهناء . وأمّا بنو مالك فإنه يأمركم أن تنذروهم معكم ، وأمّا إيراك العوسج فإنّ القوم قد لبسوا السلاح . وأمّا اشتكاء النساء فإنه يريد أنّ النساء قد خرزن الشكّاء ، وهي أسقية الماء للغزو . فحذر بنو العنبر وركبوا الدهناء وأنذروا بني مالك ، فلم يقبلوا منهم .

ثمّ إنّ اللهازم وعجلاً وعنزة أتوا بني حنظلة فوجدوا عمراً قد أجملت ، فأوقعوا بني دارم بالوقيط فاقتتلوا قتالاً شديداً وعظمت الحرب بينهم فأسرت ربيعة جماعة من رؤساء بني تميم ، منهم ضيرار بن القعقاع بن معبد بن زُرارة فجزّوا ناصيته وأطلقوه ، وأسروا عثجّل بن المأمون² بن زُرارة ، وجويرة بن بدر بن عبد الله بن دارم ، ولم يزل في الوثاق حتى رآهم يوماً

1) علو R .

2) طيلة المأمون بن زُرارة بن علقمة S .

يشربون ، فأنشأ يتغنى يُسمعهم ما يقول :

وقائلة ما غاله أن يزورنا
وقد أدركتني والحوادثُ جمةٌ
سراعٍ إلى الجلتى بطاء عن الحنا
لعلهم أن يمحطوني بنعمةٍ
فقد ينعش اللهُ الفتي بعد ذلةٍ
فلما سمعوا الأبيات أطلقوه .

وأسر أيضاً نُعيّم وعوف ابنا القعقاع بن معبد بن زُرارة وغيرهما
من سادات بني تميم ، وقتل حكيم بن جذيمة بن الأصيلع النهشلي ، ولم
يشهدا من نهشل غيره . وعادت بكر فمّرت بطريقها بعد الوقعة بثلاثة
نفر من بني العنبر لم يكونوا ارتحلوا مع قومهم ، فلما رأوهم طردوا إبلهم
فأحرزوها من بكر .

وأكثر الشعراء في هذا اليوم ، فمن ذلك قول أبي مهوش الفقعسي يعير
تميماً بيوم الوقيط :

فما قاتلت يوم الوقيطين نهشل ولا الأنكد¹ الشؤمي فقيّم بن دارم .
ولا قضبت عوف² رجال مجاشع ولا قشر الأستاه³ غير البراجم .

وقال أبو الطّفَيْل عمرو بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد :

1) جوف . Cod. Ox. I. I. ; خوف . Codd. 2) التاذين . S. ; لنني البادين . B. ; لني التادين . A. 1)
3) . يسر . B. ; حسر الأشيا . R. 3)

حَكَّتْ ١ تَمِيمٌ بِرَكْمِهَا لَمَّا التَقَتْ رَايَاتُنَا كَكُوَاسِرِ الْعِيقَانِ
دَاهَمُوا الْوَقِيطَ بِجَحْفَلٍ جَمَّ الْوَعْيُ وَرَمَاحُهَا كَنَوَازِعِ الْأَشْطَانِ

يَوْمَ الْمَرْتُوتِ

وهو يوم بين تميم وعامر بن صعصعة .

وكان سببه أنه التقى قعنب بن عتاب الرياحي وبحير بن عبد الله بن سلمة العامري بعكاظ، فقال بحير لقعنب: ما فعلت فرسك البيضاء؟ قال: هي عندي، وما سؤالك عنها؟ قال: لأنها نجتك مني يوم كذا وكذا، فأنكر قعنب ذلك وتلاعنا وتداعيا أن يجعل الله ميتة الكاذب بيد الصادق، فمكثا بها شاء الله. وجمع بحير بني عامر وسار بهم فأغار على بني العنبر بن عمرو بن تميم بإرم الكلبة وهم خلوف، فاستاق السبي والنعم ولم يلق قتالا شديدا، وأتى الصريخ بني العنبر بن عمرو بن تميم وبني مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم وبني يربوع بن حنظلة، فركبوا في الطلب، فتقدمت عمرو ابن تميم. فلما انتهى بحير إلى المرتوت قال: يا بني عامر انظروا هل ترون شيئا؟ قالوا: نرى خيلا عارضة رماحها على كواهل خيلها. قال: هذه عمرو بن تميم وليست بشيء، فلحق بهم بنو عمرو فقاتلوهم شيئا من قتال ثم صدروا عنهم، ومضى بحير، ثم قال: يا بني عامر انظروا هل ترون شيئا؟ قالوا: نرى خيلا ناصبة رماحها. قال: هذه مالك بن حنظلة وليست بشيء، فلحقوا فقاتلوا شيئا من قتال ثم صدروا عنهم، ومضى بحير وقال:

1) حكت A.

يا بني عامر انظروا هل ترون شيئاً ؟ قالوا : نرى خيلاً ليست معها رماح
وكأنما عليها الصبيان . قال : هذه يربوع رماحها بين آذان خيلها ، إياكم والموت
الزّوام ، فاصبروا ولا أرى أن تنجوا .

فكان أول مَنْ لحق من بني يربوع الواقعة وهو نُعَيْم بن عتاب ، وكان
يُسَمَّى الواقعة لبليته ، فحمل على المُثَلَّم القُشَيْرِيّ فأسره ، وحملت قشير
على دَوْكس بن واقد بن حوط فقتلوه ، وأسر نُعَيْم المصْفِيّ القُشَيْرِيّ فقتله ،
وحمل كِيدام بن بَسْجِيلَةَ المازنِيّ على بَحِيرِ فعاثقه ، ولم يكن لقعب همّة إلاّ
بحير ، فنظر إليه وإلى كِيدام قد تعانقا فأقبل نحوهما ، فقال كِيدام : يا قعب
أسيري ١ . فقال قعب : مَازٍ رأسك والسيّف ، يُريد : يا مازنيّ . فخلت عنده
كِيدام وشدّ عليه قعب فضربه فقتله ، وحمل قعب أيضاً على صُهْبَان .
وأمّ صُهْبَان مازنيّة . فأسره ، فقالت بنو مازن : يا قعب قتلت أسيرنا فأعطنا
ابن أخينا ٢ مكانه ، فدفع إليهم صُهْبَان في بحير ٣ . فرضوا بذلك . واستنقذت
بنو يربوع أموال بني العنبر وسبيهم من بني عامر وعادوا .
(بَحِيرِ بفتح الباء الموحدة ، وكسر الحاء المهملة) .

يوم قيّف الريح

وهو بين عامر بن صَعْصَعَةَ والحارث بن كعب ، وكان خبره أن بني
عامر كانت تطلب بني الحارث بن كعب بأوتار ٣ كثيرة ، فجمع لهم الحُصَيْنِ

1) S.

2) R. اختا .

3) A. بأوثان .

ابن يزيد بن شدّاد بن قنّان¹ الحارثي ، وهو ذو الغُصّة ، واستعان بجُعفيّ وزُبَيْدٍ وقبائل سعد العشيّة¹ ومُراد وصداء ونهّد وخشم وشهران وناهس . ثمّ أقبلوا يريدون بني عامر وهم متجعون مكاناً يقال له فيفّ الرياح ، ومع مذحج النساء والذراري حتى لا يفرّوا . فاجتمعت بنو عامر ، فقال لهم عامر بن الطفيل : أغيروا بنا على القوم فإنّي أرجو أن تأخذ غنائمهم ونسبي نساءهم ولا تدعّوهم يدخلون عليكم . فأجابوه إلى ذلك وساروا إليهم . فلما دنوا من بني الحارث ومذحج ومنّ معهم أخبرتهم عيونهم وعادت إليهم مشايخهم ، فحذروا فالتقوا فاقتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام يغادونهم القتال بفيفّ الرياح ، فالتقى الصّمَيْل بن الأعور الكلابي وعمرو بن صُبَيْح النهدي . فطعنه عمرو ، فاعتق الصّمَيْل فرسه وعاد ، فلقى رجل من خشم فقتله وأخذ درعه وفرسه .

وشهدت بنو نُمَيْر يومئذ مع عامر بن الطفيل فأبلوا بلاء حسناً وسمّوا ذلك اليوم حرّيجة الطّعان لأنّهم اجتمعوا برماحهم فصاروا بمنزلة الحرّجة . وهي شجرة مجتمع .

وسبب اجتماعهم أنّ بني عامر جالوا جولة إلى موضع يقال له العرقوب ، والتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بني نَمير فوجدهم قد تخلّفوا في المعركة ، فرجع وهو بصبح : يا صباحاه ! يا نَميراه ! ولا نَمير لي بعد اليوم ! حتى اقتحم فرسه وسط القوم ، فقويت نفوسهم . وعادت بنو عامر وقد طعن عامر بن الطفيل ما بين ثغرة نحره إلى سرّته عشرين طعنة . وكان عامر في ذلك اليوم يتعهد الناس فيقول : يا فلان ما رأيتك فعلت شيئاً ، فمن أبلى فلنميرني سيفه

1) A. قنّان ; B. et R. قبان .

أو رمحه ، ومن لم يُبَلِّ شيئاً تقدّم فأبلى ، فكان كلّ من أبلى بلاء حسناً أناه
فأراه الدم على سنان رمحه أو سيفه ، فأناه رجل من الحارثيين اسمه مسهر¹ ،
فقال له : يا أبا عليّ انظر ما صنعتُ بالقوم ! انظر إلى رمحي ! فلما أقبل
عليه عامر لينظر وجأه بالرمح في وجنته ففلقها² وفقاً عينه وترك رمحه وعاد
إلى قومه . وإنما دعاه إلى ذلك ما رآه يفعل بقومه ، فقال : هذا والله مُبِيرٌ
قومي ! فقال عامر بن الطفيل :

أتونا بشهران العريضة كلتها وأكلب طراً في جباد السنور
لعمري وما عمري عليّ بهين لقد شان حرّ الوجه طعنة مسهر¹
فبئس الفتى أن كنت أعور عاقراً³ جباناً وما أغنى لدى كلّ محضر

وأسرت بنو عامر يومئذ سيد مُراد جريحاً ، فلما برأ من جراحته أطلق .
وممن أبلى يومئذ أربيد بن قيس بن حرّ بن خالد بن جعفر ، وعبيد بن
شُرَيْح بن الأحوص بن جعفر ؛ وقال لبيد بن ربيعة ، ويقال إنها لعامر
ابن الطفيل :

أتونا بشهران العريضة كلتها وأكلبها في مثل بكر بن وائل
فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا يبيت عن قيرى أضيافه غير غافل
أعاذل لو كان البداد⁴ لقوبلوا ولكن أنا كلّ جينّ وخابل
وخشعّم حيّ يُعدّلون بمدحج فهل نحن إلاّ مثل إحدى القبائل

وأسرع القتل في الفريقين جميعاً ، ثمّ إنهم افرقوا ولم يشتغل بعضهم
عن بعض بغنيمة ، وكان الصبر فيها والشرف لبني عامر .

1) R. شهر .

2) R. et S. فقلعها .

3) R. عامراً .

4) Ita Cod. Ox. l. f 148 ; Codd. العداد .

يوم اليعاميم ويُعرف أيضاً بقارات حُوق

وهو بين قبائل طيء بعضها في بعض .

وكان سبب ذلك أن الحارث بن جبلة الغساني كان قد أصلح بين طيء . فلما هلك عادت إلى حربها ، فالتقت جديلة والغوث بموضع يقال له غرثان¹ ، فقتل قائد بني جديلة وهو أسبع² بن عمرو بن لأم عمّ أوس ابن خالد بن حارثة بن لأم ، وأخذ رجل من سننيس يقال له مُصعب أذنيه فخصف بهما نعليه ، وفي ذلك يقول أبو سروة³ السننيسي :

نخصف بالآذان منكم نعالنا ونشرب كرهاً منكم في الجماجم

وتناقل الحيان في ذلك أشعاراً كثيرة ، وعظم ما صنعت الغوث على أوس ابن خالد بن لأم ، وعزم على لقاء الحرب بنفسه ، وكان لم يشهد الحروب المتقدمة هو ولا أحد من رؤساء طيء كحاتم بن عبد الله وزيد الخليل وغيرهم من الرؤساء ، فلما تجهز أوس للحرب وأخذ في جمع جديلة ولفها قال أبو جابر :

أقيموا علينا القصد يا آل طيء وإلا فإن العلم عند التحاسب
فمن مثلنا يوماً إذا الحرب شمّرت ومن مثلنا يوماً إذا لم نحاسب⁴
فإن تقطعيني أو تريدني مساعتي فقد قطع الحرف⁵ المخوف ركائبي

وبلغ الغوث جمع أوس لها وأوقدت⁶ النار على مناع ، وهي فروة أجأ ،

1) A. مريان .

2) R. أسبع .

3) S. سورة .

4) A. نحاسف ; B. نخايف ; S. نحارب .

5) S. الحرق .

6) R. وقذف .

وذلك أول يوم توقد عليه النار . فأقبلت قبائل الغوث ، كل قبيلة وعليها رئيسها ، منهم زيد الخيل وحاتم ، وأقبلت جديلة مجتمعمة على أوس بن حارثة بن لأم ، وحلف أوس أن لا يرجع عن طيء حتى ينزل معها جبلها أجاً وسلمى وتجي له أهلها ، وتزاحفوا والتقوا بقارات حوق على راياتهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ودارت الحرب على بني كباد بن جندب فأبروا¹ . قال عدي بن حاتم : إنني لتواقف يوم اليحامييم والناس يقتتلون إذ نظرت إلى زيد الخيل قد حضر ابنه مكنفاً² وحرِيثاً³ في شعب لا منفذ له وهو يقول : أي ابني أبقيا على قومكما فإن اليوم يوم التفاني فإن يكن هؤلاء أعماماً فهؤلاء أخوال . فقلت : كأنك قد كرهت قتال أخوالك ! قال : فاحمرت عيناه غضباً وتناول إلي حتى نظرت إلى ما تحته من سرجه فخفته ، فضربت فرسي وتنحيت عنه . واشتغل بنظره إلي عن ابنه ، فخرجا كالصقيرين ، وحمل قيس بن عازب على بحير بن زيد الخيل بن حارثة بن لأم فضربه على رأسه ضربة عنق لها بحير فرسه وولتي ، فانهزمت جديلة عند ذلك وقتل فيها قتل ذريع⁴ ، فقال زيد الخيل :

تجيء بني لأم جياد كأنها
فإن تنج منها لا يزل بك شامة
وفر ابن لأم واتقانا بظهره
وجاءت بنو معن كأن سيوفهم
وما فر حتى أسلم ابن حمارس
عصائب طير يوم طل وحاصب⁴
أناء حياً بين الشجا والترائب
بردعه بالرمح قيس بن عازب
مصايح من سقف فليس بأيب
لوقعة مصقول من البيض قاضب

فلم تبق لجديلة بقية للحرب بعد يوم اليحامييم ، فدخلوا بلاد كلب فحالفوهم وأقاموا معهم .

1) R. فأبروا

2) A. بليفا R. مكنفاً

3) R. خرما

4) B. et R. عاصب

يوم ذي طُلُوح

وهو يوم الصَّمَد ، ويوم أود¹ أيضاً ، وهو بين بكر وتميم ، وكان من حديثه أن عميرة بن طارق بن أرثم² اليربوعي التميمي تزوج مربية³ بنت جابر العجليّ أخت أبجر⁴ وسار إلى عجل ليبتني بأهله . وكان له في بني تميم امرأة أخرى تُعرف بابنة النطف من بني تميم ، فأتى أبجر أخته يزورها وزوجها عندها . فقال لها أبجر : إني لأرجو أن آتيك بابنة النطف امرأة عميرة . فقال له : ما أراك تُبقي عليّ حتى تسلبني أهلي . فندم أبجر وقال له : ما كنت لأغزو قومك ولكنني مُستأسر في هذا الحي من تميم ، وجمع أبجر والحوقران بن شريك الشيباني ، الحوقزان على شيبان وأبجر على اللهازم ، ووكبلا بعميرة من يحرسه لثلاث بآتي قومه فيندرهم . فسار الجيش ، فاحتال عميرة على الموكل بحفظه وهرب منه وجد السير إلى أن وصل إلى بني يربوع فقال لهم : قد غزاكم الجيش من بكر بن وائل : فأعلموا بني ثعلبة بطناً منهم . فأرسلوا طليعة منهم فبقوا ثلاثة أيام : ووصلت بكر فركبت يربوع والتقوا بذي طُلُوح . فركب عميرة ولقي أبجر فعرفه نفسه ، والتقى القوم واقتتلوا فكان الظفر ليربوع . وانهزمت بكر وأسر الحوقزان وابنه شريك وابن عَنَمَة الشاعر ، وكان مع بني شيبان فافتكته متمم بن نويرة ، وأسر أكثر الجيش البكري : وقال ابن عَنَمَة يشكر متمماً :

1) أ. اراد .

2) S. أرثم .

3) S. مزه .

4) Codd. jam , أنجر , jam habent .

جزى اللهُ ربُّ الناس عني مُتمماً بخير الجزاء ما أعفَ وأجودا
 أجيرتُ به أبناؤنا ودمائنا وشارك في إطلاقنا وتفرّدا
 . أبا نهشل إنّي لكم غيرُ كافرٍ ولا جاعلٍ من دونك المالَ سرمدا

يوم أقرن

قال أبو عبيدة : غزا عمرو بن عمرو بن عدس التميمي بني عيس فأخذ
 إبلهم واستاق سبيهم وعاد حتى إذا كان أسفل ثنية أقرن نزل وابتنى بجارية من
 السبي ، ولحقه الطلب فاقتلوا قتالاً شديداً ، فقتل أنس الفوارس ابن زياد
 العسبي عمراً وابنه حنظلة واستردوا الغنيمة والسبي ، فنعى جريرٌ على بني
 دارم ذلك فقال :

أتسون عمراً يومَ برقةٍ أقرن وحنظلة المقتول إذ هو بافعا
 وكان عمرو أسلع أبرص ، وكان هو ومن معه قد أخطأوا ثنية الطريق في
 عودهم وسلكوا غير الطريق ، فسقطوا من الجبل الذي سلكوه فلقوا شدة ففي
 ذلك يقول عنتره :

كانَ السرايا يومَ نيقٍ وصارة¹ عصائبُ طيرٍ بنتحين لمشربٍ
 شفى النفسَ مني أو دنا لِسيفائها تهوّرهم من حائقٍ منصوبٍ
 وقد كنتُ أخشى أن أموتَ ولم تُقم مراتبُ عمرو وسط نوحٍ مُسلبٍ

وكانت أم سماعه بن عمرو بن عمرو من عيس ، فزاره خاله فقتله بابنه ،

1) قوة صارة S.

فقال في ذلك مسكين الدارمي :

وقاتل خاله بأبيه منا سماعه لم يبع نسباً بحال¹

يوم السلان

قال أبو عبيدة : كان بنو عامر بن صعصعة حُماً ، والحُمنس قريش
ومن له فيهم ولادة ، والحُمنس متشدّدون² في دينهم ، وكانت عامر أيضاً
لقاحاً لا يدينون للملوك . فلما ملك النعمان بن المنذر ملكه كسرى أبرويز ،
وكان يجهز كل عام لطيمة ، وهي التجارة ، لتباع بعُكاظ ، فعرضت بنو
عامر لبعض ما جهزه فأخذوه . فغضب لذلك النعمان وبعث إلى أخيه لأمه ،
وهو وبيرة بن رومانس الكلبي ، وبعث إلى صنائعه ووضائعه ، والصنائع من
كان يصطنعه من العرب ليغزّيه ، والوضائع هم الذين كانوا شبه المشايخ³ ،
وأرسل إلى بني ضبة بن أد⁴ وغيرهم من الرّباب وتميم فجمعهم ، فأجابوه .
فأناه ضيرار بن عمرو الضبّي في تسعة من بنيه كلهم فوارس ومعه حُبَيْش
ابن دُلْف ، وكان فارساً شجاعاً ، فاجتمعوا في جيش عظيم ، فجهز النعمان
معهم عيراً وأمرهم بتسييرها وقال لهم : إذا فرغتم من عُكاظ وانسلخت الحُرْمُ
ورجع كل قوم إلى بلادهم فاقصدوا بني عامر فإنهم قريب بنواحي السلان .
فخرجوا وكنموا أمرهم وقالوا : خرجنا لثلاث بعرض أحد للطيمة الملك .

فلما فرغ الناس من عُكاظ علمت قريش بحالمهم ، فأرسل عبد الله بن

1) S.

2) المشرّدون R. مفسدون B.

3) S. السالم .

4) B. S. et R. أود .

جُدُّعَان قاصداً إلى بني عامر يُعَلِّمُهُم الخبر ، فسار إليهم وأخبرهم خبرهم ، فحذروا وتهيأوا للحرب وتحرزوا ووضعوا العيون ، وعاد عامر عليهم عامر ابن مالك مُلَاعِب الأُسْتَةِ ، وأقبل الجيش فالتقوا بالسُّلَّان فاقتلوا قتالاً شديداً . فبينما هم يقتتلون إذ نظر يزيد بن عمرو بن خُوَيْلِد الصَّعِق إلى وَبْرَةَ بن رومانس أخي النعمان فأعجبه هيئته ، فحمل عليه فأسره . فلما صار في أيديهم همَّ الجيش بالهزيمة ، فنهاهم ضِرَار بن عمرو الضَّبِّي وقام بأمر الناس فقاتل هو وبنوه قتالاً شديداً . فلما رآه أبو براء عامر بن مالك وما يصنع ببني عامر هو وبنوه حمل عليه ، وكان أبو براء رجلاً شديداً الساعد . فلما حمل على ضِرَار اقتتلا ، فسقط ضِرَار إلى الأرض وقاتل عليه بنوه حتى خَلَصُوهُ وركب ، وكان شيخاً ، فلما ركب قال : مَنْ سرَّه بنوه ساءت نفسهُ ؛ فذهبت مثلاً . يعني مَنْ سرَّه بنوه إذا صاروا رجالاتاً كبير وضعف فساء ذلك .

وجعل أبو براء يلحّ على ضِرَار طمعاً في فدائه ، وجعل بنوه يحمونه . فلما رأى ذلك أبو براء قال له : لتموتن أو لأموتن يدونك فأحلتني على رجل له فداء . فأوما ضِرَار إلى حُبَيْش بن دُلْف ، وكان سيِّداً ، فحمل عليه أبو براء فأسره ، وكان حبّيش أسود نحيفاً دَمِيماً ، فلما رآه كذلك ظنّه عبداً وأنّ ضِرَاراً خدعه ، فقال : انا لله ، أعزز سائر القوم ، ألا في الشؤم وقعت ! فلما سمعها حبّيش منه خاف أن يقتله فقال : أيّها الرجل إن كنت تريد اللبن ، يعني الإبل ، فقد أصبتهُ . فافتدى نفسه بأربعمائة بعير وهزّم جيش النعمان . فلما رجع الفلّ إليه أخبروه بأسر أخيه وبقِيَام ضِرَار بأمر الناس وما جرى له مع أبي براء ، وافتدى وَبْرَةَ بن رومانس نفسه بالف بعير وفرس من يزيد بن الصَّعِق ، فاستغنى يزيد ، وكان قبله خفيف الحال ؛ وقال لبيد يذكر أيتام قومه :

إنّني امرؤ منعتُ أرومةً عامرٍ ضيمي وقد حنقتُ عليّ خصومُ

يقول فيها :

وغداة قاع القريتين أتاها رهواً يلوح خلالها التسويمُ
بكتائب رُجح تعود كبشها نطح الكباش كأنهن نجومُ

قوله : قاع القريتين ، يعني يوم السلان .

(حُبَيْش بن دُلْف بضم الحاء المهملة ، وبالباء الموحدة ، وبالياء المثناة من تحتها نقطتان ، وآخره شين معجمة) .

يوم ذي علق

وهو يوم التقى فيه بنو عامر بن صعصعة وبنو أسد بذي علق فاقتلوا قتالاً عظيماً . قُتل في المعركة ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري أبو لييد الشاعر وانهزمت عامر ، فتبعهم خالد بن نضلة الأسدي وابنه حبيب والحارث ابن خالد بن المضلل وأمعنوا في الطلب ، فلم يشعروا إلا وقد خرج عليهم أبو براء عامر بن مالك من وراء ظهورهم في نفر من أصحابه ، فقال لخالد : يا أبا معقل إن شئت أجزتنا وأجزناك حتى نحمل جرحانا وندفن قتلتنا . قال : قد فعلت . فتوافقوا . فقال له أبو براء : هل علمت ما فعل ربيعة ؟ قال : نعم ، تركته قتيلاً . قال : ومن قتله ؟ قال : ضربته أنا وأجهز عليه صامت بن الأفقم . فلما سمع أبو براء بقتل ربيعة حمل على خالد هو ومن معه¹ ، فمانعهم خالد وصاحبه وأخذوا سلاح حبيب بن خالد ، ولحقهم بنو أسد فمنعوا

1) B. et R. ابنه .

أصحابهم وحموهم ، فقال الجميح :

سائل معداً عن الفوارس لا أوفوا بجيرانهم¹ ولا سلموا
يسعى بهم قرزُل² ويستمع ال ناسُ إليهم وتخفقُ اللِّمَمُ
ركضاً وقد غادروا ربيعةَ في الأثَارَا لما تقارب النَّسَمُ³
في صدره صعدةٌ ويخْلِجُهُ بالرمح حرّانٌ بأسلاً أضيمُ

[قرزُل] • فرس الطفيل والد عامر بن الطفيل⁴ . وقال لبيد من قصيدة يذكر أباه :

ولا من ربيع المقرين رزيتُهُ⁵ بذى علقٍ فاقنتي حياءك واصبري

يوم الرقَم

قال أبو عبيدة : غزت عامر بن صعصعة غطفان ، ومع بني عامر يومئذ عامر بن الطفيل شاباً لم يرثس بعد ، فبلغوا وادي الرقَم ، وبه بنو مرة بن عوف بن سعد ومعهم قوم من أشجع بن ذئب³ بن غطفان وناس من فزارة ابن ذبيان ، فنذروا ببني عامر وهجمت عليهم بنو عامر بالرقَم ، وهو وادٍ بقرب تضرع ، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فأقبل عامر بن الطفيل فرأى

1) بحر ايهم . B.

2) قوزل . S.

3) الشيم . S.

4) S. ; ceteri om.

5) ريث . S.

١ الأثار . (الأثار جمع ثار) .

٢ وريته .

امرأة من فزارة فسألها . فقالت : أنا أسماء بنت نوفل الفزاري . وقيل : كانت أسماء بنت حصن بن حذيفة . فبينما عامر يسألها خرج عليه المنهزمون من قومه وبنو مرة في أعقابهم . فلما رأى ذلك عامر ألقى درعه إلى أسماء وولّى منهزماً ، فأدتها إليه بعد ذلك ، وتبعتهم مرة وعليهم سينان بن حارثة بن أبي حارثة المري ، وجعل الأشجعيون يذبّحون كل من أسروه من بني عامر لوقعة كانت أوقعتها بهم بنو عامر . فذلك البطن من بني أشجع يسمّون بني مذحج ، فذبّحوا سبعين رجلاً منهم ، فقال عامر بن الطفيل يذكر غطفان ويعرض بأسماء :

قد ساءلت أسماء وهي خفية ليضحائها أطردت أم لم أطرد
فلا بغيئكم القنا وعوارضاً ولأقبلن الخيل لابة ضرغند
ولأبرزن بمالك وبمالك وأخي المرورات الذي لم يستد

في أبيات عدة . فلما بلغ شعره غطفان هجاه منهم جماعة ، وكان نابعة بني ذبيان حينئذ غائباً عند ملوك غسان قد هرب من النعمان . فلما آمنه النعمان وعاد سأل قومه عما هجوا به عامر بن الطفيل ، فأنشدوه ما قالوا فيه وما قال فيهم ، فقال : لقد أفحشتم وليس مثل عامر يهجى بمثل هذا ، ثم قال يخطيء عامراً في ذكره امرأة من عقائلهم :

فإن يك عامراً قد قال جهلاً فإن مطية الجهل الشباب
فإنك سوف تحلم أو تباهي إذا ما شبت أو شاب الغراب
فكن كأبيك أو كأبي براء توافيك الحكومة والصواب
فلاتذهب بحلمك طاميات من الخيلاء ليس هنّ باب

إلى آخرها . فلما سمعها عامر قال : ما هجيت قبلها .

يوم ساحوق

قال أبو عبيدة : غزت بنو ذُبَيان بني عامر وهم بساحوق ، وعلى ذبيان سنان بن أبي حارثة المري ، وقد جهّزهم وأعطاهم الخيل والإبل وزوّدهم ، فأصابوا نَعَمًا كثيرة وعادوا ، فلحقّتهم بنو عامر واقتتلوا قتالاً شديداً . ثمّ انهزمت بنو عامر وأصيب منهم رجالٌ وركبوا الفلاة ، فهلك أكثرهم عطشاً ، وكان الحرّ شديداً ، وجعلت ذبيان تترك الرجل منهم فيقولون له : قفْ ولك نفسك وضعّ سلاحك ، فيفعل . وكان يوماً عظيماً على عامر ، وانهزم عامر ابن الطفيل وأخوه الحكم ، ثمّ إنّ الحكم ضعّف وخاف أن يؤسر فجعل في عنقه حبلاً وصعد إلى شجرة وشده ودلّى نفسه فاختنق ، وفعل مثله رجلٌ من بني غني ، فلما ألقى نفسه ندم فاضطرب ، فأدركوه وخلصوه وعيروه بجزعه ؛ وقال عروة بن الورد العبسيّ في ذلك :

ونحن صبّحنا عامراً في ديارها علالة أرماحٍ وضرباً مذكراً
بكلّ رُقاق الشفرتين مهتدي ولدنّ من الحطيّ قد طرّ أسمرا
عجبتُ لهم إذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم تحت الوغى كان أجندرا^١

١ . هي R : ثي (1)

١ ومقتلهم إذ يلتقي كان أعلرا .

يوم أغيار ويوم النقيعة

كان المثلّم بن المشجّر العائذي ثمّ الضبّي مجاوراً لبني عبس ؛ فتقامر هو وعمارة بن زياد ، وهو أحد الكمّلة ، فقمرة عمارة حتى اجتمع عليه عشرة أبكر ، فطلب منه المثلّم أن يخلّي عنه حتى يأتي أهله فيرسل إليه بالذي له ، فأبى ذلك ، فرهنه ابنه شيرحاف بن المثلّم ، وخرج المثلّم فأتى قومه فأخذ البكارة فأتى بها عمارة وافتكّ ابنه .

فلما انطلق بابنه قال له في الطريق : يا ابتاه منّ معضال ؟ قال : ذلك رجل من بني عمك ذهب فلم يوجد إلى الساعة . قال شيرحاف : فإني قد عرفت قاتله . قال أبوه : ومن هو ؟ قال : عمارة بن زياد سمعته يقول للقوم يوماً : وقد أخذ فيه الشراب إنّه قتله ولم يلق له طالباً .

ولبثوا بعد ذلك حيناً وشبّ شيرحاف . ثمّ إنّ عمارة جمع جمعاً عظيماً من عبس فأغار بهم على بني ضبّة فأخذوا إبلهم ، وركبت بنو ضبّة فأدركوهم في المرعى . فلما نظر شيرحاف إلى عمارة قال : يا عمارة أتعرفني ؟ قال : منّ أنت ؟ قال : أنا شيرحاف ، أدّ إلى ابن عمّي معضالاً ، لا مثله يوم قتلتّه ! وحمل عليه فقتله ، واقتلت ضبّة وعبس قتلاً شديداً واستنقذت ضبّة الإبل ، وقال شيرحاف :

ألا أبلغ سراة بني بغيض بما لاقت سراة بني زياد
وما لاقت جديمة إذ تحامي وما لاقي الفوارس من بجاد
تركنا بالنقيعة آل عبس شعاعاً يقتلون بكلّ واد
وما إن فاتنا إلا شريد يؤمّ القفر في تبه البلاد

فَسَلُّ عَنَا عُمَارَةَ آلِ عَبْسٍ وَسَلُّ وَرَدَا وَمَا كُلُّ بَدَادٍ ١
تَرَكَتُهُمْ بُوَادِي الْبَطْنِ رَهْنًا لِسَيِّدَانِ ٢ الْقَرَارَةَ وَالْحِلَادِ

يوم النباة³

قال أبو عبيدة : خرجت بنو عامر تريد غطفان لتدرك بثأرها يوم الرقم
ويوم ساحوق ، فصادت بني عبس وليس معهم أحد من غطفان ، وكانتم
عبس لم تشهد يوم الرقم ولا يوم ساحوق مع غطفان ولم يعينوهم على بني عامر ،
وقيل : بل شهدا أشجع وفزارة وغيرهما من بني غطفان ، على ما نذكره .
قال : وأغارت بنو عامر على ناعم بني عبس وذبيان وأشجع فأخذوها وعادوا
متوجهين إلى بلادهم فضلتوا في الطريق فسلكوا وادي النباة فأمعنوا فيه ولا
طريق لهم ولا مطلع حتى قاربوا آخره . وكاد الجبلان يلتقيان إذا هم بامرأة
من بني عبس تخبط⁴ الشجر لهم في قلة الجبل . فسألها عن المطع ،
فقلت لهم : الفوارس المطع ، وكانت قد رأت الخيل قد أقبلت وهي على
الجبل ، ولم يرها بنو عامر لأنهم في الوادي ، فأرسلوا رجلاً إلى قلة الجبل
ينظر ، فقال لهم : أرى قوماً كأنهم الصبيان على متون الخيل ، أسنة رماحهم

1) S. مراد .

2) R. بسلان .

3) S. Ceteri : الشاة .

4) A. et B. تحتطب .

١ في العقد الفريد : التاة . وفي معجم البلدان التاة .

عند آذان خيلهم . قالوا : تلك فزارة . قال : وأرى قوماً أيضاً جماداً كأنّ عليهم ثياباً حمراً . قالوا : تلك أشجع . قال : وأرى قوماً نُسُوراً¹ قد قلعوا² خيولهم بسوادهم² كأنّما يحملونها حملاً بأفخاذهم آخذين بعوامل رماحهم يجرّونها . قالوا : تلك عبس ، أتاكم الموتُ الزُّوام ! ولحقهم الطلبُ بالوادي ، فكان عامر بن الطفيل أول من سبق على فرسه الورد ففات القوم ، وأعيا فرسه الورد ، وهو المربوق أيضاً ، فعقره لئلا تفتحله فزارة ، واقتتل الناس ، ودام القتال بينهم ، وانهمت عامر فقتل منهم مقتلة كبيرة . قتل فيها من أشرافهم البراء بن عامر بن مالك ، وبه يكنى أبوه ، وقتل نهشل وأنس وهزار بنو مرّة بن أنس بن خالد بن جعفر ، وقتلوا عبد الله بن الطفيل أخا عامر ، قتله الربيع بن زياد العبسي ، وغيرهم كثير ، وتمت الهزيمة على بني عامر .

يوم الفُرات

قال أبو عبيدة : أغار المُثنى بن حارثة الشيباني ، وهو ابن أخت عِمْران ابن مرّة ، على بني تغلب ، وهم عند الفُرات ، وذلك قبيل الإسلام ، فظفر بهم فقتل من أخذ من مقاتلتهم وغرق منهم ناسٌ كثير في الفرات وأخذ أموالهم وقسمها بين أصحابه ، فقال شاعرهم في ذلك :

1) سوداً S. ; لبوداً B. (1)

١ بلغوا .

٢ بيوادهم .

ومنا الذي غشى الدليكة¹ سيفه² على حين أن أعيا الفرات كتابه
 ومنا الذي شدّ الركيّ ليسيّ ويسقيّ محضاً غير ضافٍ جوانبه
 ومنا غريب الشام لم ير مثله أفكّ ليعان . قد تنأى³ أقاربه

الدليكة¹ : فرس المثنى بن حارثة ، والذي شدّ الركيّ مرة بن همام ،
 وغريب الشام ابن القلوص بن النعمان بن ثعلبة .

يوم بارق

قال المفضل الضبيّ: إن بني تغلب والنمر بن قاسط وناساً من تميم اقتلوا
 حتى نزلوا ناحية بارق ، وهي من أرض السواد ، وأرسلوا وقدأ منهم إلى
 بكر بن وائل يطلبون إليهم الصلح ، فاجتمعت شيبان ومن معهم وأرادوا
 قصد تغلب ومن معهم ، فقال زيد بن شريك الشيبانيّ : إنني قد أجرت أحوالي
 وهم النمر بن قاسط ، فأمضوا جواره وساروا وأوقعوا ببني تغلب وتميم فقتلوا
 منهم مقتلة عظيمة لم تُصَبْ تغلب بمثلها واقتسموا الأسرى والأموال ، وكان
 من أعظم الأيام عليهم ، قُتل الرجالُ ونُهب الأموالُ وسُبي الحرّيم ،
 فقال أبو كلبة الشيبانيّ :

وليلة بسعادي لم تدعُ سنداً لتغليّ ولا أنفاً ولا حسباً
 والنمريّون لولا سرّ من وللوا من آل مرة شاع الحيّ متهباً

1) الدليكة . S. الدليكة . B. 1)

2) سيفه . S. 2)

3) قدأ . Z. 3)

يوم طخفة

وهو لبني يربوع على عساكر النعمان بن المنذر .

قال أبو عبيدة : وكان سبب هذه الحرب أن الردافة ، وهي بمنزلة الوزارة ، وكان الرديف يجلس عن يمين الملك ، كانت لبني يربوع من تميم يتوارثونها صغيراً عن كبير . فلما كان أيام النعمان ، وقيل أيام ابنه المنذر ، سأها حاجب ابن زُرارة الدارمي التميمي النعمان أن يجعلها للحارث بن بَيْبَةَ¹ بن قُرْط ابن سُفْيَان بن مُحَاشِع الدارمي التميمي ، فقال النعمان لبني يربوع في هذا وطلب منهم أن يجيبوا إلى ذلك ، فامتنعوا ، وكان مترلهم أسفل طخفة ، فحيث امتنعوا من ذلك بعث إليهم النعمان قابوس ابنه وحساناً أخاه ابني المنذر ، قابوس على الناس ، وحسان على المقدمة ، وضم إليهما جيشاً كثيراً ، منهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهم ، فساروا حتى أتوا طخفة فالتقواهم ويربوع واقتلوا ، وصبرت يربوع وانهم قابوس ومن معه ، وضرب طارق أبو عميرة فرس قابوس فعقره وأسره ، وأراد أن يجر ناصيته ، فقال : إن الملوك لا تجز نواصيها ، فأرسله . وأما حسان فأسره بيشر بن عمرو² بن جُوَيْن فمن عليه وأرسله . فعاد المنهزمون إلى النعمان ، وكان شهاب بن قيس بن كياس³ البربوعي عند الملك ، فقال له : يا شهاب أدرك ابني وأخي ، فإن أدركتهما حيئين فلبني يربوع حكمهم وأرد عليهم ردافتهم وأترك لهم من قتلوا وما غنموا وأعطيتهم ألفي بغير . فسار شهاب فوجدهما حيئين فأطلقهما ، ووفى الملك لبني يربوع بما قال ولم يعرض لهم في ردافتهم : وقال مالك⁴ ابن نُوبِرة :

1) B. شبه : R. شبة .

2) S. عون .

3) S. كياس .

4) Cod. Ox. Puc. 390, f. 9 ; متمم .

ونحن عقرنا مُهْرَ قابوس بعدما رأى القومُ منه الموتَ والحيلَ تَلْحَبُ
 عليه دِلاصٌ ذاتَ نسجٍ وسيفه جُرازٌ من الهنديّ أبيضٌ مِقْضَبُ
 طلبنا بها ، إنا مداريكُ نيلها إذا طَلِبَ الشَّأوُ البعيدُ المِغْرَبُ

يوم النِّباجِ وثبُتل

قال أبو عبيدة : غزا قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ ثمّ التيميّ بمُقَاعِيسَ ،
 وهم بطون من تميم ، وهم صَرِيمٌ وربيعةٌ وعبيد بنو الحارث بن عمرو بن
 كعب بن سعد ، وغزا معه سلامة بن ظَرِبِ الحِمَّانِيّ في الأحارث ، وهم
 بطون من تميم أيضاً ، وهم حِمَّانٌ وربيعةٌ ومالك والأعرج بنو كعب بن
 سعد ، فغزوا بكر بن وائل ، فوجدوا اللهازم ، وهم بنو قيس وتيم اللات
 أبناء ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل ، ومعهم بنو ذُهَلِ
 ابن ثعلبة وعِجَلِ بن لُجَيْمٍ وعتره بن أسد. بن ربيعة بالنِّباجِ وثبُتل ، وبينهما
 رَوْحَةٌ ، فأغار قيس على النِّباجِ ، ومضى سلامة إلى ثبُتل ليغير على مَنْ بها .
 فلما بلغ قيس إلى النِّباجِ سقى خيله ثمّ أراق ما معهم من الماء وقال لمن معه :
 قاتلوا فالموت بين أيديكم والفلاة من ورائكم ، فأغار على مَنْ به من بكر
 صباحاً فقاتلوهم قتالاً شديداً وانهزمت بكر وأصيب من غنائمهم ما لا يُحَدِّ

1) S. ; ceteri om.

١ عكاشة . والتصحيح عن الزركلي .

كثرة . فلما فرغ قيس من النهب عاد مسرعاً إلى سلامة ومن معه نحو ثبيل فادركهم ، ولم يفرّ سلامة على مَنْ به ، فأغار عليهم قيس أيضاً ، فقاتلوه وانهزموا ، وأصاب من الغنائم نحو ما أصاب بالنجاج ، وجاء سلامة فقال : أغرتم على من كان لي ، فتنازعوا حتى كاد الشرّ يقع بينهم ، ثم اتفقوا على تسليم الغنائم إليه ، ففي ذلك يقول ربيعة بن طريف¹ :

فلا يُبعدنك الله قيس بن عاصم فأنت لنا عزٌّ عزيزٌ ومعقلٌ
وأنت الذي حرّبت¹ بكر بن وائل وقد عَضَلت² منها³ النجاجُ وثبيلٌ

وقال قرّة بن زيد بن عاصم :

أنا ابن الذي شقّ المرار وقد رأى بثبيلٍ أحياء اللهازم حُضراً
فصبتهم² بالجيش قيس بن عاصم فلم يجدوا إلاّ الأسنة مصدرا
سقامهم بها الذيفان² قيس بن عاصم وكان إذا ما أورد الأمر أصدرنا
على الجرد بعلكن الشكيم عوابساً إذا الماء من أعطافهن تحدّرا
فلم يرها الراؤون إلاّ فجاءةً يُثرن³ عجاجاً كاندواخن أكدرا
وحمران أدته إلينا رماحننا فنازع غللاً في ذراعينه أسمرا

(ثبيل بالثاء المثلثة المفتوحة ، والياء المسكنة المثناة من تحتها ، والثناء المثناة من فوقها) .

1) حيث ربي قيساً S. add. طريف post 1)

2) S. ; A. الريقان ; R. الديقان .

1 حويت . (حرّبت : سلبت) .

2 بها . (عضلت : ضاقت) .

3 ثرن .

يوم فلج

قال أبو عبيدة : هذا يوم لبكر بن وائل على تميم .

وسببه أن جمعاً من بكر ساروا إلى السعاب فشتوا بها، فلما انقضى الربيع انصرفوا فمروا بالدو فلقوا ناساً من بني تميم من بني عمرو وحنظلة ، فأغاروا على نعم كثير لهم ومضوا، وأتى بني عمرو وحنظلة¹ الصريخ فاستجاشوا لقومهم فأقبلوا في آثار بكر بن وائل فساروا يومين وليلتين حتى جهدهم السير وانحدروا في بطن فلج ، وكانوا قد خلفوا رجلين على فرسين سابقين ريثة ليخبراهم بخبرهم إن ساروا إليهم . فلما وصلت تميم إلى الرجلين أجريا فرسيهما وسارا مجدّين فأنذرا قومهما ، فأتاهم الصريخ بمسير تميم عند وصولهم إلى فلج ، ف ضرب² حنظلة بن يسار العجلي قبته³ و برل فتزل الناس معه وتبأوا للقتال معه ، ولحقت بنو تميم فقاتلتهم بكر بن وائل قتالاً شديداً ، وحمل عرفجة بن بحير العجلي على خالد بن مالك بن سلمة³ التميمي فطعنه وأخذه أسيراً . وقتل في المعركة ربيعي بن مالك بن سلمة³ ، فانهزمت تميم وبلغت بكر بن وائل منها ما أرادت ، ثم إن عرفجة أطلق خالد بن مالك وجزّ ناصيته ، فقال خالد :

وجدنا الرفد رفد بني لجيم⁴ إذا ما قلت الأرفادُ زادا

1) S. ; ceteri om.

2) R. فيه .

3) B. et R. سلمى ; S. سليمان .

4) S. تميم .

١ رية بخبرونهم

٢ فأمر .

٣ فته .

هُمُ ضَرَبُوا الْقَبَابَ بِيَطْنِ فُلْجٍ وَذَادُوا عَنْ مَحَارِمِهِمْ ذِيَادَا
 وَهُمْ مَنُوا عَلِيَّ وَأَطْلَقُونِي وَقَدْ طَاوَعْتُ¹ فِي الْجَنْبِ الْقِيَادَا
 أَلَسُوا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَعْظَمَهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا رَمَادَا
 أَلَيْسَ هُمْ عِمَادَ الْحَيِّ بَكَرًا إِذَا نَزَلَتْ مَجَلَّةٌ شِدَادَا
 وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ يَعْبِرُ خَالِدًا :

لَوْ كُنْتُ حُرًّا يَا ابْنَ سَلْمَى بْنِ جَنْدَلٍ نَهَضْتَ وَلَمْ تَقْصِدْ لَسَلْمَى ابْنَ جَنْدَلٍ
 فَمَا بَالُ أَصْدَاءِ بَفْلَجٍ غَرِيبَةٍ تُنَادِي مَعَ الْأَطْلَالِ : يَا لَابْنَ² حَنْظَلٍ
 صَوَادِي لَا مَوْلَى عَزِيزٌ يَجِيبُهَا وَلَا أَسْرَةَ تُسْقِي صِدَاهَا بِمَنْهَلٍ
 وَغَادَرْتَ رَبِيعِيَا بِفُلْجٍ مُلْحَبًا وَأَقْبَلْتَ فِي أُولَى الرَّعِيلِ الْمَعْجَلِ
 تَوَائِلُ³ مِنْ خَوْفِ الرَّدَى لَا وَقَيْتَهُ كَمَا نَالَتِ الْكِدْرَاءُ مِنْ حَيْثُ⁴ أَجْدَلِ

يعبره حيث لم يأخذ بثأر أخيه رباعي ومن قتل معه يوم فلج ، ويقول :
 إنَّ أَصْدَاءَهُمْ تُنَادِي وَلَا يَسْقِيهَا أَحَدٌ ، عَلَى مَذْهَبِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَوْلَا التَّطْوِيلُ
 لَشَرَحْنَاهُ أَبْيَنَ مِنْ هَذَا .

1) طاعت . R .

2) مال ابن B. S. et R .

3) موائل . A. : نوامل . B. et R .

4) حيس . S .

١ قالت .

٢ جين .

يوم الشَّيْطَانِ

قال أبو عبيدة : كان الشَّيْطَانُ لبكر بن وائل ، فلما ظهر الإسلام في نجد سارت بكر قبيل السواد ، وبقي مقياس بن عمرو العائذي بن عائذة من قريش حليف بني شيبان بالشَّيْطَانِ . فلما أقامت بكر في السواد لحقهم الوباء والطاعون الذي كان أيام كسرى شيرويه فعادوا هاربين فترلوا لعلع ، وهي مُجْدِبَةٌ ، وقد أنحصب الشَّيْطَانُ ، فسارت تميم فترلوا بها ، وبلغت أخبار خصب الشَّيْطَانِ إلى بكر ، فاجتمعوا وقالوا : نغير على تميم ، فإن في دين ابن عبد المطلب : يعنون النبي ، أن مَنْ قتل نفساً قتل بها ، فنغير هذه الغارة ثم نُسَلِّمُ عليها ، فارتحلوا من لعلع بالذراري والأموال ورئيسهم بشر بن مسعود ابن قيس بن خالد فأتوا الشَّيْطَانِ في أربع ابال ، والذي بينهما مسيرة ثمان ليال ، فسبقوا كلَّ خبر حتى صبحوهم وهم لا يشعرون فقاتلوهم قتالاً شديداً وصبرت تميم ثم انهزمت ، فقال رشيد بن رميِّض العنبري يفخر بذلك :

وما كان بين الشَّيْطَانِ ولعلع
لنسوتنا إلا مناقل¹ أربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله
يكاد له ظهر الوديعه يطلع
بأرعن دهم تنسل البلق وسطه
له عارض فيه المية تلمع²
صبحنا به سعداً وعمراً ومالكاً
فظل لهم يوم من الشر أشنع³
وذا حسب من آل ضبة غادروا
بجرى كما يجري الفصيل المفزع³
تقصع يربوع بسرّة أرضنا
وليس ليربوع بها متقصع¹

1) مناقل R .

2) Hi duo versus in B. et R. desunt.

3) R. المنرع .

١ متقصع .. متقصع . (تقصع المكان : لزمه) .

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَتَبَ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ عَلَى مَا بَأْيَدِيهِمْ .
(الشَّيْطَانُ بِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ ، وَالْيَاءِ الْمَشْدُودَةِ الْمُثَنَّىةِ مِنْ تَحْتِهَا ، وَبِالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ،
آخِرُهُ فُون) .

أَيَّامُ الْأَنْصَارِ ، وَهُمْ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ ، الَّتِي جَرَتْ بَيْنَهُمْ

الأَنْصَارُ لِقَبِ قَبِيلَتِي الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ابْنَتِي حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْعَنْقَاءِ بْنِ
عَمْرٍو مُزَيْقِيَاءِ بْنِ عَامِرِ مَاءِ السَّمَاءِ بْنِ حَارِثَةَ الْغِطْرِيفِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ
الْبَطْرِيْقِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَازِنِ بْنِ الْأَزْدِ بْنِ الْغَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ
كَهْلَانَ بْنِ سَبَأِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْزُبَ بْنِ قَحْطَانَ ، لِقَبِهِمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا هَاجَرُوا إِلَيْهِمْ وَمَنْعُوهُ وَنَصَرُوهُ ، وَأُمُّ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ
قَبِيلَةُ بِنْتِ كَاهِلِ بْنِ عُدْرَةَ بْنِ سَعْدِ ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لَهُمْ أَبْنَاءُ قَبِيلَةٍ . وَإِنَّمَا
لُقِّبَ ثَعْلَبَةُ الْعَنْقَاءُ لَطُولِ عُنُقِهِ ، وَلُقِّبَ عَمْرٍو مُزَيْقِيَاءُ لِأَنَّهُ كَانَ يَمْزِقُ عَنْهُ
كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً لثَلَاثَ يَلْبِسُهَا أَحَدَ بَعْدَهُ ، وَلُقِّبَ عَامِرُ مَاءِ السَّمَاءِ لِسَمَاحَتِهِ وَبِذَلِكَ
كَأَنَّهُ نَابَ مَنَابَ الْمَطَرِ ، وَقِيلَ لِشَرَفِهِ . وَلُقِّبَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الْبَطْرِيْقَ لِأَنَّهُ
أَوَّلُ مَنْ اسْتَعَانَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَرَبِ بَعْدَ بَلْقَيْسِ ، فَبَطَّرَقَهُ رُحْبُوعُ
ابْنِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَبِيلُ لَهُ الْبَطْرِيْقِ ، وَكَانَتْ مَسَاكِنُ الْأَزْدِ
بِمَأْرِبَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى أَنْ أَخْبَرَ الْكُهَّانُ عَمْرٍو بْنِ عَامِرِ مُزَيْقِيَاءَ أَنَّ سَبِيلَ الْعَرَمِ
يَمْزِقُ بِلَادَهُمْ وَيَفْرُقُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا عَقُوبَةً لَهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ رَسُلَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِمْ .
فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ عَمْرٍو بَاعَ مَا لَهُ مِنْ مَالٍ وَعَقَارٍ وَسَارَ عَنْ مَأْرِبَ هُوَ وَمَنْ

1) العنوة S. 1)

تبعه ، ثم تفرقوا في البلاد فسكن كل بطن ناحية اختاروها ، فسكنت خزاعة الحجاز ، وسكنت غسان الشام .

ولما سار ثعلبة بن عمرو بن عامر فيمن معه اجتازوا بالمدينة ، وكانت تسمى يثرب ، فتخلف بها الأوس والخزرج ابنا حارثة فيمن معهما ، وكان فيها قرى وأسواق وبها قبائل من اليهود من بني إسرائيل وغيرهم ، منهم قرينة والنضير وبنو قينقاع وبنو ماسلة وزعورا¹ وغيرهم ، وقد بنوا لهم حصوناً يجتمعون² بها إذا خافوا . فترل عليهم الأوس والخزرج فابتنوا المساكن والحصون ، إلا أن الغلبة والحكم لليهود إلى أن كان من الفطيون³ ومالك ابن العجلان ما ذكره إن شاء الله تعالى ، فعادت الغلبة للأوس والخزرج ، ولم يزلوا على حال اتفاق واجتماع إلى أن حدث بينهم حرب سميير ، على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

٤

ذكر غلبة الأنصار على المدينة وضعف أمر اليهود بها وقتل الفطيون

قد ذكرنا أن الاستيلاء كان لليهود على المدينة لما نزلها الأنصار ، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن ملك عليهم الفطيون اليهودي ، وهو من بني إسرائيل ثم من بني ثعلبة ، وكان رجل سوء فاجراً ، وكانت اليهود تدين له بأن لا تروج

1) Fl. ?; Codd. s. p.

2) S. يبيرون .

3) A. et B. الفطيون . Postea nomen sic variat : الفطيون ، الفطيون ، الفيطون .

S. الفطون . Vid. Ibn-Doreid, p. ٢٥٩

امرأة منهم إلاّ دخلت عليه قبل زوجها ، وقيل : إنه كان يفعل ذلك بالأوس والخزرج أيضاً . ثمّ إنّ أختاً لمالك بن العجلان السالمي الخزرجي تزوجت ، فلما كان زفافها¹ خرجت عن مجلس قومها وفيه أخوها مالك وقد كشفت عن ساقها . فقال لها مالك : لقد جئت بسوء . قالت : الذي يراد بي الليلة أشدّ من هذا ، أدخل على غير زوجي ! ثمّ عادت فدخل عليها أخوها فقال لها : هل عندك من خير ؟ قالت : نعم ، فما عندك ؟ قال : أدخل مع النساء فإذا خرجن ودخل عليك قتلته . قالت : افعل . فلما ذهب بها النساء إلى الفطيمون انطلق مالك معهنّ في زيّ امرأة ومعه سيفه . فلما خرج النساء من : دها ودخل عليها¹ الفطيمون قتله مالك وخرج هارباً : فقال بعضهم في ذلك من أبيات :

هل كان للفطيمون عقر نساكنم حكم النصيب فبشّ حكم الحاكم

حتى جباه مالك بمُرْشَة² حمراء تضحك عن نجيع قاتم³

ثمّ خرج مالك بن العجلان هارباً حتى دخل الشام فدخل على ملك من ملوك غسان يقال له أبو جبيلة واسمه عبّيد بن سالم بن مالك بن سالم ، وهو أحد بني غضب بن جشم بن الخزرج ، وكان قد ملكهم وشرف فيهم ، وقيل : إنه لم يكن ملكاً وإنما كان عظيماً عند ملك غسان ، وهو الصحيح ، لأنّ ملوك غسان لم يُعرف فيهم هذا ، وهو أيضاً من الخزرج على ما ذكر .

فلما دخل عليه مالك شكاه إليه ما كان من الفطيمون وأخبره بقتله وأنه لا يقدر على الرجوع ، فعاهد الله أبو جبيلة ألاّ يمسه طيباً . ولا يأتي النساء حتى

1) A. بنايها .

2) B. بمرة ; R. بمزنية .

3) Fl. ; Codd. قاتم .

4) R. اشتكى

يُذَلَّ اليهودَ ويكون الأوس والخزرج أعزَّ أهلها .

ثمَّ سار من الشام في جمع كثير وأظهر أنه يريد اليمن حتى قدم المدينة فترل بذي حرُضٍ ، وأعلم الأوس والخزرج ما عزم عليه ، ثمَّ أرسل إلى وجوه اليهود يستدعيهم إليه وأظهر لهم أنه يريد الإحسان إليهم ، فاتاه أشرافهم في حشمتهم وخاصتهم . فلما اجتمعوا بيابه أمر بهم فأدخلوا رجلاً رجلاً وقتلهم عن آخرهم . فلما فعل بهم ذلك صارت الأوس والخزرج أعزَّ أهل المدينة ، فشاركوا اليهود في النخل والدور ، ومدح الرَّمق بن زيد الخزرجي أبا جُبيلة بقصيدة ، منها :

وأبو جُبيلةَ خيرُ مَنْ يَمْشِي وأوفاهم يمينا
وأبرُّهم بِرّاً وأء مَلَهُمْ بهَدْيِي الصالحينا
أبقتُ لنا الأيَّامُ وال حربُ المَهْمَةُ تعترينا
كَبَشاً له قرنٌ به ضحَّ حُسامُهُ الذِكرَ السَّنينا

فقال أبو جبيلة : عسل طيب في وعاء سوء ، وكان الرمق رجلاً ضئيلاً ،
فقال الرمق : إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه . ورجع أبو جبيلة إلى الشام .
(حرُض بضم الحاء والراء المهملتين ، وآخره ضاد معجمة) .

حرب سُمَيْر

ولم يزل الأنصار على حال اتفاق واجتماع ، وكان أول اختلاف وقع بينهم وحرب كانت لهم حرب سُمَيْر .

وكان سببها أن رجلاً من بني ثعلبة من سعد بن ذبيان يقال له كعب بن

[العَجْلان نزل على مالك بن] العَجْلان السالميّ فحالفه وأقام معه . فخرج كعب يوماً إلى سوق بني قينقاع فرأى رجلاً من غطفان معه فرس وهو يقول : ليأخذ هذا الفرس أعزّ أهل يثرب . [فقال رجل : فلان] . وقال رجل آخر : أحيحة بن الجُلّاح الأوسيّ . وقال غيرهما : فلان بن فلان اليهوديّ أفضل أهلها . فدفع الغطفانيّ الفرس إلى مالك بن العجلان . فقال كعب : ألم أقل لكم إنّ حليفي مالكا أفضلكم ؟ فغضب من ذلك رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف يقال له سُمير وشتمه وافترقا ، وبقي كعب ما شاء الله .

ثمّ قصد سوقاً لهم بقباً فقصدته سُمير ولازمه حتى خلا السوق فقتله . وأخبر مالك بن العجلان بقتله ، فأرسل إلى بني عمرو بن عوف يطلب قاتله ، فأرسلوا : إنّنا لا ندري من قتله . وتردّدت الرسلُ بينهم ، هو يطلب سُميراً وهم يُنكرون قتله ، ثمّ عرضوا عليه الديةَ فقبلها . وكانت دية الخليف فيهم نصف دية النسب منهم . فأبى مالك إلاّ أخذ دية كاملة . وامتنعوا من ذلك وقالوا : نُعطي دية الخليف ، وهي النصف . ولجّ الأمرُ بينهم حتى آلَ إلى المحاربة ، فاجتمعوا والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً وافترقوا . ودخل فيها سائر بطون الأنصار ، ثمّ التقوا مرةً أخرى واقتتلوا حتى حجز بينهم الليلُ ، وكان الظفر يومئذ للأوس .

فلما افترقوا أرسلت الأوسُ إلى مالك يدعونه إلى أن يحكم بينهم المنذر ابن حرام النجاريّ الحزرجيّ جدّ حسّان بن ثابت بن المنذر . فأجابهم إلى ذلك ، فأتوا المنذر ، فحكم بينهم المنذر بأن يدوا كعباً حليف مالك دية الصريح ثم يعودوا إلى سنتهم القديمة ، فرضوا بذلك وحملوا الديةَ وافترقوا ، وقد شبت البغضاء في نفوسهم وتمكّنت العداوةُ بينهم .

ذکر حرب کعب بن عمرو المازنی

ثم إن بني جحججبا من الأوس وبني مازن بن النجار من الخزرج وقع بينهم حرب كان سببها أن¹ كعب بن عمرو المازني² تزوج امرأة من بني سالم فكان يختلف إليها . فأمر أحيحة بن الجلاح سيد بني جحججبا جماعة فرصدوه حتى ظفروا به فقتلوه ، فبلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو ، فأمر قومه فاستعدوا للقتال ، وأرسل إلى بني جحججبا يؤذنه بالحرب . فالتقوا بالرحابة فاقتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو جحججا ومن معهم وانهزم معهم أحيحة ، فطلبه عاصم بن عمرو فأدركه وقد دخل حصنه ، فرماه بسهم فوقع في باب الحصن ، فقتل عاصم أخاً لأحيحة . فمكثوا بعد ذلك ليالي ، فبلغ أحيحة أن عاصماً يتطلبه ليجده له غيرة فيقتله ، فقال أحيحة :

نُبئتُ أنك جئتَ ته ربي بين داري والقُبابه
فلقد وجدتَ بجانب ال ضحيان شُبَّاناً³ مُهابه
فتيانَ حربٍ في الحدبِ يدِ وشامرين كَأَسَدٍ غابَه
هم نكبوك⁴ عن الطرئِ قِ فبِتَ تَركبُ كلَّ لابه
أعصيمَ لا تجزعُ فلما ن الحربَ لست بالذُعابَه
فأنا الذي صبَّحتُكم بالقوم إذ دخلوا الرُحابَه
وقلتُ كعباً قبلها وعلوتُ بالسيفِ الذُّوابَه

فأجابه عاصم :

1) S. In ceteris lacuna unius paginae.

2) A. بن زنى ; B. بن يرثى ; R. بن برثى .

3) S. شيئاً .

4) A. هم نكبول ; B. et R. هم نكول .

أبلغ أحيحة إن عرضت بداره عني جوابه
 وأنا الذي أعجلته عن مقعد أهي كلابه
 ورميته سهماً فأخذه وأغلق ثم بابته

في أبيات . ثم إن أحيحة أجمع أن يبئت بني النجار وعنده سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية ، وهي أم عبد المطلب جد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فما رضيت . فلما جنَّها الليلُ وقد سهر معها أحيحة فنام ، فلما نام سارت إلى بني النجار فاعلمتهم ثم رجعت . فحذروا ، وغدا أحيحة بقومه مع الفجر ، فلقبهم بنو النجار في السلاح ، فكان بينهم شيء من قتال ، وانحاز أحيحة ، وبلغه أن سلمى أخبرتهم فضربها حتى كسر يدها وأطلقها وقال أبياتاً ، منها :

لَعَمْرُ أَيْكَ مَا يُغْنِي مَكَانِي	مِنَ الْخَلْفَاءِ آكَلَةٌ ² غَفَوًا
تُرُومٌ ³ لَا تُقَلِّصُ مَشْمَعَلًا	مَعَ الْفَتِيَانِ مَضْجَعُهُ ثَقِيلٌ
تَنْزَعُهُ ⁴ لِلْجَلِيلَةِ حَيْثُ كَانَتْ	كَمَا يَعْتَادُ لِقِحَّتَهُ الْفَصِيلُ
وَقَدْ أَعَدَدْتُ لِلْحِدَاثَانِ حَصْنًا	لَوْ أَنَّ الْمَرْءَ يَنْفَعُهُ الْعَقُولُ
جَلَاهُ الْقَبِينُ ثُمَّتَ ⁵ لَمْ تَخُنْهُ	مُضَارِبُهُ وَلَا طِنُهُ فُلُولُ
فَهَلْ مِنْ كَاهِنٍ آوَى إِلَيْهِ	إِذَا مَا حَانَ مِنْ آلٍ نَزُولُ
يَرَاهَنِي وَيُرَاهَنِي بِنِيهِ	وَأُرَاهَنِي بِنِيِّ بِمَا أَقُولُ
فَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ	وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعْجَلُ
وَمَا تَدْرِي وَإِنْ أَجْمَعْتَ أَمْرًا	بِأَيِّ الْأَرْضِ يُدْرِكُكَ الْمَقِيلُ

1) A. يزيد .

2) A. ايجه ; S. item sine p.

3) B. et R. تروم .

4) Fl. ; Codd. بنوع .

5) R. ثُمَّت .

وما تدري وإن أنتجت سقياً¹ لغيرك أم يكون لك الفصيل²
وما إن إخوة³ كبروا وطابوا لباقية ، وأمهم² هَبُولُ²
سَتَشَكَلُ² أو يفارقها بنوها بموت² أو يجيء لهم قَتُولُ²

ذكر الحرب بين بني عمرو بن عوف وبني الحارث ، وهو يوم السرارة

ثم إن بني عمرو بن عوف من الأوس وبني الحارث من الخزرج كان بينهما حرب شديدة .

وكان سببها أن رجلاً من بني عمرو قتله رجل من بني الحارث ، فعدا بنو عمرو على القاتل فقتلوه غيلة² ، فاستكشف أهله فعلموا كيف قتل فتهيأوا للقتال وأرسلوا إلى بني عمرو بن عوف يؤذنونهم بالحرب ، فالتقوا بالسرارة ، وعلى الأوس حُضَيْرُ بن سِمَاك² والد أسيد بن حُضَيْر² ، وعلى الخزرج عبد الله³ بن سلول أبو الحُبَاب الذي كان رأس المنافقين . فاقتلوا قتالاً شديداً صبر بعضهم لبعض أربعة أيام ، ثم انصرفت الأوس إلى دورها ، ففخرت الخزرج بذلك ، وقال حسان بن ثابت في ذلك :

فِدَى لِبَنِي النَجَّارِ أُمِّي وَخَالَتِي غِدَاةَ لِقَوْمِ بِالْمُنَقَفَةِ السَّمْرِ
وَصِرْمٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ إِذَا مَا دَعَا كَانَتْ لَهُمْ دَعْوَةُ النَّصْرِ
فَوَاللَّهِ لَا أُنْسَى حَيَاتِي بِبَلَاءِهِمْ غِدَاةَ رَمَوْا عَمْرًا بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ

1) Fl. ; Codd. سقياً .

2) A. حمين .

3) S. add. بن ابي .

وقال حسان أيضاً :

لَعَمْرُ أَيْكَ الْخَيْرَ بِالْحَقِّ مَا نَبَا
لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهِمَا
فَلَا الْجَهْدُ يُنْسِبُنِي حَيَاتِي وَعِظَّتِي^١
أَكْثَرَ أَهْلِي مِنْ عِيَالٍ سِوَاهُمْ
عَلِيَّ لِسَانِي فِي الْخَطُوبِ وَلَا يَدِي
وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ السِّيفُ مِذْوَدِي
وَلَا وَقَعَاتُ الدَّهْرِ يَفْلُتُنَّ مِبرَدِي
وَأَطْوِي عَلَى الْمَاءِ الْقَرَّاحِ الْمُبَرَّدِ

ومنها :

وإني لَمِنْجَاءِ الْمُطِيِّ عَلَى الْوَجَى
وإني لَقَوْلٍ لَدَى اللَّوْثِ^١ مَرْحَباً
وإني لِيَدْعُونِي النَّدَى فَاجِيئِهِ
فَلَا تَعْجَلْنَ يَا قَيْسُ وَارْبِعْ فَإِنَّمَا
حَسَامٌ وَأَرْمَاحٌ بِأَيْدِي أَعْزَةِ
أَسْوَدٍ لَدَى الْأَشْبَالِ يَحْمِي عَرِينَهَا
وإني لَنَزَالٌ لَمَّا لَمْ أَعْوَدِ
وَأَهْلًا إِذَا مَا رِيعٌ مِنْ كُلِّ مَرَصَدِ
وَأَضْرِبُ بِيضَ الْعَارِضِ الْمُتَوَقِّدِ
قُصَارَاكَ أَنْ تُلْقَى بِكُلِّ مَهْنَدِ
مَنْ تَرَاهُمْ يَا ابْنَ الْخَطِيمِ تَلْبَدِ
مَدَاعِيْسُ بِالْخَطِيَّاتِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

وهي أبيات كثيرة . فأجابه قيس بن الخطيم :

تروح عن الحسناء أم أنت مُغْتَدِي^٢
تراءت لنا يومَ الرِّحِيلِ بِمَقْلَتِي^٣
وجيدٍ كجيدِ الرِّيمِ حالٍ يزينه
كأنَّ الثَّرِيًّا فَوْقَ ثَغْرَةِ نَحْرِهَا
وكيف انطلقَ عاشقٍ لَمْ يُزَوِّدِ
شريدٍ^٣ بِمُلْتَفٍ مِنَ السُّدْرِ مُفْرَدِ
على النَّحْرِ بِأَقْوَتٍ وَفِصٍّ زَبْرَجَدِ
تَوَقَّدُ فِي الظُّلْمَاءِ أَيَّ تَوَقَّدِ

1) Fl. ; Codd. الليث .

2) R. تفتدي .

3) S. et R. فريد .

١ حياتي وحفظتي . (وما أثبتناه عن الديوان) .

ألا إن بين الشرعبي ورائج لنا حائطان الموت أسفل منهما ترى اللابة السوداء يحرر لونها فلاني لأغنى الناس عن متكلف لسا عمراً³ ثوراً شقياً مؤعظاً⁴ كثير المني بالزاد لا صبراً عنده وذو شيمة عسراء خالف شيمتي فما المال والأخلاق إلا معارة متى ما تقد بالباطل الحق يآبه إذا ما أتت الأمر من غير بابيه

ضراباً كتجذيم السبال المصعد¹ وجمع متى تصرخ يثرب¹ يصعد ويسهل منها كل ربع وفدقد² يرى الناس ضللاً³ وليس بمهدد ألد كان رأسه رأس أصيد إذا جاع يوماً يشتكبه ضحى الغد فقلت له دعني ونفسك أرشد فما اسطعت من معروفيها فتزود فإن قدت بالحق الرواسي تنقد ضللت وإن تدخل من الباب تهتد

وهي طويلة . وقال عبيد⁴ بن ناقد⁵ :

لمن الديار كأنهن المذهب بليعت وغيرها الدهور تقلب

يقول فيها في ذكر الوقعة :

لكن فراره⁶ أبي الحباب بنفسه يوم السرارة سيء منه الأقرب

1) A. quod in B. برون A. corr. تنزل

2) S. فرقة .

3) B. et R. فيا عمروا .

4) S. عمرو .

5) R. زرارة .

6) R. فرار .

١ ألا إن بين الشرعبي ورائج ضراباً بالتحديم السبال المصعد
(الشرعبي ورائج : أطمان في المدينة . التجذيم : القطع . السبال : نبات له شوك أبيض طويل) .

٢ (فيه تحريف واختلال بالوزن ولم نجده في الأغاني ولا في بلوغ الأرب) .

ولتى وألقى يومَ ذلك درعَه إذ قيل جاء الموتُ خلفك يَطْلُبُ
نجاتك منا بعدما قد أشرعتُ فيك الرماحُ ، هناك شدَّ المذْهَبُ

وهي طويلة أيضاً . وأبو الحُبَاب هو عبد الله بن سَلُول .

حرب الحُصَيْن بن الأَسَلْت

ثمَّ كانت حرب بين بني وائل بن زيد الأوسيين وبين بني مازن بن
النجار الخزرجيين .

وكان سببها أن الحُصَيْن بن الأَسَلْت الأوسِيّ الوائليّ نازع رجلاً من
بني مازن ، فقتله الوائليّ ثمَّ انصرف إلى أهله ، فتبعه نفر من بني مازن فقتلوه .
فبلغ ذلك أخاه أبا قيس بن الأَسَلْت فجمع قومه وأرسل إلى بني مازن يُعلمهم أنه
على حربهم . فتهيأوا للقتال ، ولم يتخلف من الأوس والخزرج أحد ، فاقتلوا
قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً ، وقتل أبو قيس بن الأَسَلْت
الذين قتلوا أخاه ثمَّ انهزمت الأوسُ ، فلام وَحَوْحُ بن الأَسَلْت أخاه أبا قيس
وقال : لا يزال مُنْهَزَمٌ من الخزرج ، فقال أبو قيس لأخيه ، ويكنى أبا حصين :

أبلغ أبا حصينِ اِ وبعثُ نفسُ القولِ عندي ذو كُبَارَةٍ
أنَّ ابنَ أمِّ المرءِ لي من الحديدِ ولا الحجارةِ
ماذا عليكم أن يكو نَ لكم بها رَحْلاً عُمَارَةٍ

1) Codd. حصين .

يحمي ذِمَارَكُمُ وبعْدُ ضُ القوم لا يحمي ذِمَارَهُ
يبي لكم خيراً وبنياً نُ الكريم له اثاره

في آيات .

حرب ربيع الظفري

ثم كانت حرب بين بني ظفر من الأوس وبين بني مالك بن النجار من الخزرج .

وكان سببها أن ربيعاً الظفري كان يمر في مال لرجل من بني النجار إلى ملك له، فمنعه النجاري، فتنازعا، فقتله ربيع، فجمع قومهما فاقتلوا قتالاً شديداً كان أشد قتال بينهم، فانهزم بنو مالك بن النجار، فقال قيس بن الخطيم الأومي في ذلك :

أجد بعمرّة غنيانها فتهجر أم شأننا شأنها
فإن تُمس شطت بها دارها وباح لك اليوم هجرانها
فما روضة من رياض القطا كأن المصاييح حوذانها
بأحسن منها ولا نزهة ولوج تكشف أذجانها
وعمرّة من مروّات النسا ١ ينفع بالمسك أردانها

1) Om. B. et R.

منها :

ونحن الفوارس يومَ الريةِ عِ قد علموا كيفَ أديانها
جُنُونًا للحربِ^١ وراءَ الصريرِ عِ حتى تقصدَ مُرَّانها
تراهنَّ يخلجنَ خَلَجَ الدُّلا يبادرُ بالنزعِ أشطانها

وهي طويلة . فأجابه حسان بن ثابت الخزرجي بقصيدة أولها :

لقد هاج نفسك أشجانها وغادرها^٢ اليومَ أديانها

ومنها :

ويثربُ تعلمُ أنا بها إذا التبس الحقُّ ميزانها
ويثربُ تعلمُ أنا بها إذا أقحط القطرُ نوانها
ويثربُ تعلمُ إذ حاربتُ بأنا لدى الحربِ فرسانها
ويثربُ تعلمُ أنَ النبيِّ ت^٣ عندَ المزاخرِ ذلَّانها

ومنها :

متى ترنا الأوسُ في بيضنا نهرَ القنا تخبُ نيرانها
وتعطي القيادة^٢ على رغمها وتُنزلُ ملهَامَ عِقبانها^٣
فلا تفخرنَ الشمسُ ملجأ^٣ فقد عاودَ الأوسَ أديانها

1) حرفا الحراب S.

2) وعاورها S.

3) مفجاء B. et R.

١ المبيت (النبيت هو عمرو بن مالك بن الأوس) .

٢ المقاد .

٣ عصياتها .

حرب فارغ بسبب الغلام القضاة

ومن أيامهم يوم فارغ . وسببه أن رجلاً من بني النجار أصاب غلاماً من قضاة ثم من بني ، وكان عم الغلام جاراً لمعاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأوسي والد سعد بن معاذ ، فأتى الغلام عمه يزوره فقتله النجاري . فأرسل معاذ إلى بني النجار : أن ادفنوا إليّ دية جاري أو ابعثوا إليّ بقاتله أرى فيه رأيي . فأبوا أن يفعلوا . فقال رجل من بني عبد الأشهل : والله إن لم تفعلوا لا نقتل به إلا عامر بن الإطنابة ، وعامر من أشرف الخزرج ، فبلغ ذلك عامراً فقال :

ألا من مبلغ الأكفاء عني	وقد تُهدى النصيحة للنصيح
فإنكم وما ترجون شطري	من القول المزجى والصريح
سيندم بعضكم عجلًا عليه	وما أثر اللسان إلى الجروح
أبت لي عزتي وأبي بلاتي	وأخذي الحمد بالثمن الربيع
وإعطائي على المكروه مالي	وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت :	مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات	وأحمي بعد عن عرض صحيح
بذي شطب كلون الملح صاف	وقس لا تقر على القبيح

فقال الربيع بن أبي الحقيق اليهودي في عراض قول عامر بن الإطنابة :

ألا من مبلغ الأكفاء عني فلا ظلم لدي ولا افراء

1) المرعي 5.

فليستُ بغائظِ الأكفَاءِ ظلماً وعندِي للملَامَاتِ اجْتِرَاءُ
 فلم أرَ مثلَ من يدنو لِيخسِفِ له في الأرضِ سيرَ وأسْتِوَاءِ¹
 وما بعضُ الإقامةِ في ديارِ يُهانُ بها الفتى إلا عَنَاءِ²
 وبعضُ القولِ ليس له عِنَاجُ¹ كَمَحْضِ² الماءِ ليس له إناءُ
 وبعضُ خلَاقِ الأقسامِ دَاءِ كدَاءِ . الشَّحِّ ليس له دواءُ
 وبعضُ الداءِ ملتمسٌ شفاءً وداءِ النُّوكِ ليس له شفاءُ
 يجبُ المرءُ أن يلقى نعيماً ويأبى اللهُ إلا ما يشاءُ
 ومنْ يكُ عاقلاً لم يلقَ بؤساً يُنخِ يوماً بساحته القَضَاءُ
 تَعَاوَرُهُ بناتُ الدهرِ حتى تُثلمَ كما تُلمُ الإناءُ
 وكلُّ شدائدٍ نزلتْ بحِيٍّ سيأتي بعد شدتها رِخَاءُ
 فقلْ للمتقي عَرَضَ المنايا : توقِّ فليس ينفَعُكَ اتِّقَاءُ
 فما يُعْطَى الحريصُ غِنًى بحرصٍ وقد ينمي لدى الجودِ الثراءُ
 وليس بنافعٍ ذا البُخلِ مالٌ ولا مُزْرِ بِصاحبه الحِبَاءُ
 غنيُّ النفسِ ما استغنى بشيءٍ وفقرُ النفسِ ما عمرتْ شقاءُ
 يودُّ المرءُ ما تَفِدُّ الليالي كأنَّ فَنَاءَهنَّ له فناءُ

فلما رأى مُعَاذُ بنَ النعمانِ امتناعَ بني النجارِ من الديةِ أو تسليمِ القاتلِ

1) Fl. ; A. وايتواء .

2) R. غباء .

١ علاج . (العِنَاجُ : حبل يُشدُّ في أسفلِ الدلو العظيمة . وقولٌ لا عِنَاجُ له : أرسل

بلا رويّة) .

٢ كَمَحْضِ .

إليه تهباً للحرب وتجهز هو وقومه واقتلوا عند فارغ ، وهو أطم حسّان بن ثابت ، واشتدّ القتالُ بينهم ولم تزل الحرب بينهم حتى حمل ديتة عامر بن الإطنابة . فلما فعل صلح الذي كان بينهم وعادوا إلى أحسن ما كانوا عليه ، فقال عامر بن الإطنابة في ذلك :

مرمتُ ظليمةٌ خلّتي ومراسلي
 جهلاً وما تدري ظليمة أنسي
 ذُلُّ ركابي حيث شئتُ مُشيعي¹
 أظلم ما يُدريك ربةً خلّة
 قد بيت مالكتها وشارب قهوة
 بيضاء صافية يرى من دونها
 وسراب هاجرة قطعت إذا جرى
 أجدُ مراحلها³ كأن عفاءها
 فلنأكلن بناجز من مالنا
 إني من القوم الذين إذا انتدوا⁵
 المانعين من الحنا جيرانهم
 والحالطين غنيهم بفقيرهم
 والضارين الكيش يرق بيضه
 والعاطفين على المصاف خيولهم

وتباعدتُ ضناً بزاد الراحل
 قد أستقل بصرم غير الواصيل
 أني أروعُ قطا المكان الغافل²
 حسن ترغّمها كظبي الحائل
 درياقة رويت منها وآغلي
 قمر الإناء يضيء وجه الناهل
 فوق الإكام بذات لون باذل
 سقطان من كنف ظليم جانل⁴
 ولنشربن بدّين عام قابل
 بدأوا ببيره الله ثم النائل
 والحاشدين على طعام النازل
 والباذلين عطاءهم للسائل
 ضرب المهند عن حياض الناهل
 والملحقين رماحهم بالقائل

1) Codd. exc. S. مسمي .

2) B. العاقل .

3) S. Ceteri : مداخلة .

4) R. حائل .

5) Fl. Codd. ا .

6) R. بدين .

ترغّمها (الترغّم : التفضّب) .

والمدركين عَدُوهم بذُحُوهم والنازلين لضربِ كلِّ منازلِ
 والقائلين معاً خذُوا أقرانكم إنَّ المنيةَ من وراء الوائلِ
 خُزِرًا عيونُهُمُ إلى أعدائهم يمشون مشيَ الأُسْدِ تحتَ الوابلِ
 ليسوا بأنكاسٍ ولا ميلٍ إذا ما الحربُ شُبَّتْ أشعلوا بالشاعلِ
 لا يطبعون وهم على أحسابهم يَشْفون بالأحلامِ داءَ الجاهلِ
 والقائلين فلا يعابُ خطيبُهُم يومَ المقالةِ بالكلامِ الفاصلِ
 وإنما أثبتنا هذه الأبيات وليس فيها ذكر الوقعة لحدوثها وحسنها .

حرب حاطب

ثمَّ كانت الوقعة المعروفة بحاطب . وهو حاطب بن قيس من بني أمية
 ابن زيد بن مالك بن عوف الأوسي . وبينها وبين حرب سُمَيْر نحو مائة
 سنة . وكان بينهما أيام ذكرنا المشهور منها وتركنا ما ليس بمشهور . وحرب
 حاطب آخرُ وقعة كانت بينهم إلاَّ يوم بُعثَ حتى جاء الله بالإسلام .

وكان سبب هذه الحرب أن حاطباً كان رجلاً شريفاً سيّداً ، فأتاه رجل
 من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبْيَان فنزل عليه ، ثمَّ إنّه غدا يوماً إلى سوق بني
 قَيْنِقَاع ، فرآه يزيد بن الحارث المعروف بابن فُسْحُم² ، وهي أمّه ، وهو
 من بني الحارث بن الخزرج . فقال يزيد لرجل يهودي : لك ردائي إن كسعتَ

1) R. حذوا .

2) Codd. فسحم , exc. S.

هذا الثعلبي . فأخذ رداءه وكسعه كسعة سمعها من بالسوق . فنادى الثعلبي :
يا آل حاطب كُسع ضيفك وفُضح ! وأخبر حاطب بذلك ، فجاء إليه فسأله
من كسعه ، فأشار إلى اليهودي ، فضربه حاطب بالسيف فلق هامته ، فأخبر
ابن فسحم الخبر ، وقيل له : قتل اليهودي ، قتله حاطب ، فأسرع خلف
حاطب فأدركه وقد دخل بيوت أهله ، فقي رجلاً من بني معاوية فقتله .
فثارت الحرب بين الأوس والخزرج واحتشدوا واجتمعوا والتقوا على جسر
ردم بني الحارث بن الخزرج . وكان على الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان
البياضي ، وعلى الأوس حُضَيْر¹ بن سِمَاك الأشهلي . وقد كان ذهب ذكر
ما وقع بينهم من الحروب فيمن حولهم من العرب ، فسار إليهم عُبَيْيْنَةُ بن حصن²
ابن حُدَيْفَةَ بن بدر الفزاري وخيار بن مالك بن حماد الفزاري فقدموا المدينة
وتحدثوا مع الأوس والخزرج في الصلح وضمنوا أن يتحملا كل ما يدعي
بعضهم على بعض ، فأبوا ، ووقعت الحرب عند الجسر ، وشهدها عُبَيْيْنَةُ
وخيار . فشاهدا من قتالهم وشدها ما أيسا معه من الإصلاح بينهم ، فكان
الظفر يومئذ للخزرج . وهذا اليوم من أشهر أيامهم ، وكان بعده عدة وقائع
كلها من حرب حاطب ، فمنها :

يوم الربيع

ثم التقت الأنصار بعد يوم الجسر بالربيع ، وهو حائط في ناحية السَفْح ،
فاقتلوا قتالاً شديداً حتى كاد يُفْتِي بعضهم بعضاً ، فانهزمت الأوس وتبعها
الخزرج حتى بلغوا دورهم ، وكانوا قبل ذلك إذا انهزمت إحدى الطائفتين

1) حنين A .

2) Codd. exc. S. حنين .

فدخلت دورهم كفت الأخرى عن اتباعهم . فلما تبع الخزرج الأوس إلى دورهم طلبت الأوس الصلح ، فامتنعت بنو النجار من الخزرج عن إجابتهم . فحصنت الأوس النساء والذراري في الآطام ، وهي الحصون ، ثم كفت عنهم الخزرج ؛ فقال صخر بن سلمان البياضي :

الأبلغا عني سويد بن صاميتٍ ورهط سويد بَلْغَا وابنِ الأسلتِ
بأننا قتلنا بالربيع سراتكم وأفلت مجروحاً به كل مفلتِ
فلولا¹ حقوق² في العشيرة إننا أدلت بحقٍ واجب إن أدلتِ
لنالتهم منا كما كان نالتهم مقانبُ خيل أهلكت حين حلتِ

فأجابه سويد بن الصامت :

ألا أبلغا عني صُخَيْراً رسالةً فقد ذقت حرب الأوس فيها ابن الأسلتِ
قتلنا سراياكم بقتلى سراتنا وليس الذي ينجو إليكم بمفلتِ

ومنها :

يوم البقيع

ثم التقت الأوس والخزرج ببقيع الغرقد فاقتلوا قتالاً شديداً ، فكان الظفر يومئذ للأوس ؛ فقال عبيد بن ناقد الأوسي :

1) فهلا ; R. فهلا .

2) حفوف . S.

لما رأيتُ بني عَوْفٍ^١ وجمعهمُ
دعوتُ قومي وسهلتُ الطريقَ لهم
جادتُ بأنفسها من مالكِ عَصَبٍ^٢
وعاوَرُوكمِ كؤوسَ الموتِ إذ برزوا
حتى استقاموا وقد طال المراسُ بهم
تكشفُ البيضُ عن قتلِ أولي رَحِمِ
تقول كل فتاةٍ غابَ قَيمُها :
لقد قتلتم كريمةً ذا محافظة
جزلٌ نوافلهُ حلوا شَمائلهُ
جاءوا وجمعَ بني النجارِ قد حفَلوا^١
إلى المكانِ الذي أصحابه حَلَلوا
يوم اللقاء فما خافوا ولا فشلوا
شطرَ النهارِ وحتى أدبر الأُصلُ
فكلتهم من دماء القومِ قد نهلوا
لولا المسلم والأرحامُ ما نقلوا
أكلَ مَنْ خلفنا مِن قوما قُتلوا
قد كان حاله القيناتُ والحللُ
ريانُ واغله تشقى به الإبلُ

الواغل : الذي يدخل على القوم وهم يشربون .

فأجابه عبد الله بن رَوَاحَةَ الحارثي الخزرجي :

لما رأيتُ بني عوفٍ وإخوتهم
قيداً أباحوا حِمَاكم^٣ بالسيوف ولم
كعباً وجمعَ بني النجارِ قد حفَلوا^١
يفعلُ بكم أحدٌ مثل الذي فعلوا
وكان رئيس الأوس يومئذ في حرب حاطب أبو قيس بن الأسلت الوائلي ،
فقام في حربهم وهجر الراحة ، فشحب وتغير . وجاء يوماً إلى امرأته فأنكرته
حتى عرفته بكلامه ، فقالت له : لقد أنكرتك حتى تكلمت ! فقال :

1) Codd. اوف , S. etc.

2) غضب .

١ خلفوا .

٢ خلفوا .

٣ قوماً أباحوا حماهم .

قالت ولم¹ تقصد لِقِيلِ الحَنَا : مهلاً فقد أبلغتَ أسماعي
 واستنكرتَ لونا له شاحباً والحربُ غولٌ ذاتُ أوجاعِ
 من يذُقِ الحربَ يتجددُ طعامها مرّاً وتترُكُهُ يجمعُجَاعِ
 قد حصت¹ البَيْضَةُ رأسي فما أطعمُ نوماً غيرَ تهنجاعِ
 أسعَى على جُلِّ بني مالك كلُّ امرئٍ في شأنه ساعي
 أعدتُ للأعداءِ موضونةً فضفاضةً كالنهي بالقاعِ
 أحفِزُها عني بذي رونقٍ مهندٍ كاللمعِ القساعِ
 صدقِ حُسامٍ وادقِ حدُّهُ² ومنحنٍ² أسمرٍ قرَاعِ

وهي طويلة . ثم إنَّ أبا قيس بن الأسلت جمع الأوس وقال لهم : ما
 كنتُ رئيس قوم قط إلا هُزِموا ، فرثسوا عليكم من أحببتم ؛ فرأسوا عليهم
 حُضَيْرُ الكُتَّابِ بنَ السماك الأشهلي ، وهو والد أسيد بن حُضَيْر . لولده
 صُحْبَةُ ، وهو بدري ، فصار حُضَيْر يلي أمورهم في حروبهم . فالتقى
 الأوسُ والخزرجُ بمكان يقال له الغرس ، فكان الظفر للأوس ، ثم تراسلوا
 في الصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى فمن كان عليه الفضل أعطى الدية ،
 فأفضلت الأوسُ على الخزرج ثلاثة نفر ، فدفعت الخزرجُ ثلاثة غلمة منهم
 رهناً بالديات ، فغلرت الأوسُ فقتلت الغلمان .

1) A. et B. ولقد .

2) FL ; A. et S. مجنا ; B. مخنا .

1 خضب . (حصت : حلفت) .

يوم الفِجَارِ الأوَّلِ لِلأَنْصَارِ

وليس بفِجَارِ كِنَانَةَ وقيس . فلما قتلت الأوسُ الغلمانَ جمعت الخِزْرَجُ وحشدوا والتقوا بالحدائق ؛ وعلى الخِزْرَجِ عبد الله بن أبي بن سلول ، وعلى الأوس أبو قيس بن الأسلت ، فاقتلوا قتالاً شديداً حتى كاد بعضهم يُفْتِنِي بعضاً . وسمي ذلك اليوم يوم الفِجَارِ لغدرهم بالغلمان ، وهو الفِجَارِ الأوَّلُ ، فكان قيس بن الحطيم في حائط له فانصرف فوافق قومه قد برزوا للقتال فعجز عن أخذ سلاحه إلاّ السيف ثمّ خرج معهم ، فعظم مقامه يومئذ وأبلى بلاء حسناً وجرح جراحة شديدة ، فمكث حيناً يتداوى منها ، وأمير أن يحتمي عن الماء ، فلذلك يقول عبد الله بن رواحة :

رميناك أيام الفِجَارِ فلم تزلّ حميّاً فمن يشربُ فليست بشارب

ع

يوم مُعَبِّسٍ ومُضَرَّسٍ

ثمّ التقوا عند مُعَبِّسٍ ومُضَرَّسٍ ، وهما جداران . فكانت الخِزْرَجِ وراء مُضَرَّسٍ ، وكانت الأوس وراء مُعَبِّسٍ ، فأقاموا أياماً يقتلون قتالاً شديداً ، ثمّ انهزمت الأوس حتى دخلت البيوت والآطام . وكانت هزيمة قبيحة لم ينهزموا مثلها . ثمّ إن بني عمرو بن عوف وبني أوس مناة من الأوس وادعوا الخِزْرَجِ ، فامتنع من المواجهة بنو عبد الأشهل وبنو ظفّر وغيرهم من الأوس وقالوا : لا نصالح حتى ندرك ثأرنا من الخِزْرَجِ . فألحّت الخِزْرَجِ عليهم بالأذى والغارة حين وادعهم بنو عمرو بن عوف وأوس مناة ، فعزمت

الأوس إلا مَنْ ذكرنا على الانتقال من المدينة ، فأغارت بنو سلمة على مال
لبنى عبد الأشهل يقال له الرَّعْل ، فقاتلوهم عليه ، فجرح سعد بن مُعَاذ
الأشهلِيّ جراحة شديدة ، واحتمله بنو سلمة إلى عمرو بن الجموح الخزرجي ،
فأجاره وأجار الرَّعْل من الحريق وقَطَعَ الأشجار ، فلما كان يوم بُعَاث جازاه
سعد على ما نذكره إن شاء الله .

ثمّ سارت الأوس إلى مكة لتحالف قريشاً على الخزرج وأظهروا أنّهم
يريدون العُمرة . وكانت عاداتهم أنّه إذا أراد أحدهم العُمرة أو الحجّ لم
يعرض إليه خصمه ويعلق المعتمر على بيته كرانيف النخل . ففعلوا ذلك وساروا
إلى مكة فقدموها وحالفوا قريشاً وأبو جهل غائبٌ . فلما قدم أنكر ذلك
وقال لقريش : أما سمعتم قول الأوّل : ويل للأهل من النازل ! إنهم لأهلٌ
عدد وجلد ولقلّ ما نزل قوم على قوم إلاّ أخرجوهم من بلادهم وغلبوهم
عليه . قالوا : فما المخرج من حلفهم ؟ قال : أنا أكفيكموهم . ثمّ خرج حتى
جاء الأوس فقال : إنكم حالفتم قومي وأنا غائب فجنّت لأحالفكم وأذكر
لكم من أمرنا ما تكونون بعده على رأس أمركم . إننا قوم نخرج إماؤنا إلى
أسواقنا ولا يزال الرجل منا يدرك الأمة فيضرب عجيزتها ، فإن طابت أنفسكم
أن تفعل نساؤكم مثل ما تفعل نساؤنا حالفناكم ، وإن كرهتم ذلك فردّوا
إلينا حلفنا . فقالوا : لا نقرّ بهذا . وكانت الأنصار بأسرها فيهم غيرة شديدة ،
فردّوا إليهم حلفهم وساروا إلى بلادهم . فقال حسان بن ثابت يفتخر بما
أصاب قومه من الأوس :

ألا أبلغ أبا قيس رسولاً إذا ألقى لها سمعاً تُبينُ

١ إذا ألقى له سمعاً مبينٌ .

فليست لحاصن^١ إن لم تنزركم
 يدين لها العزيز إذا رآها
 تشيب الناهد العذراء منها
 يطوف بكم من النجار أسد^٢
 يظل الليث فيها مستكيناً^٣
 كأن بهاءها^٤ للناظر بها
 كأنهم من الماذي عليهم
 فقد لاقاك قبل بعاث قتل^٤
 خلال الدار مسيلة^١ طحون^١
 ويهرب من مخافتها القطين^١
 ويسقط من مخافتها الجنين^١
 كأسد الغيل مسكنها العرين^١
 له في كل ملتفت أنين^١
 من الأثلاث^٤ والبيض الفتين^٤
 جمال حين يجتلدون جون^١
 وبعد بعاث ذل^١ مستكين^١

وهي طويلة أيضاً .

يوم الحجارة الثاني، للأنصار

كانت الأوس قد طلبت من قريظة والتضير أن يحالفوهم على الخروج ،
 فبلغ ذلك الخزرج فأرسلوا إليهم يؤذنونهم بالحرب ، فقالت اليهود : إنا لا

- 1) Codd. , exc. S. مسئلة . 2) B. مستكن . 3) S. رداها ; A. رهاها ; R. رهانها .
 4) B. البليات ; S. اللمان .

١ مجاضر إن لم ينزركم

٢ بها .

٣ الأثلاث .

٤ الفتين

نريد ذلك ، فأخذت الخزرج رهنهم على الوفاء ، وهم أربعون غلاماً من قُرَيْبِظَةَ والنضير ، ثم إنَّ يزيد بن فسْحَمٍ¹ شرب يوماً فسكراً فتغنى بشعر يذكر فيه ذلك :

هَلُمَّ إِلَى الْأَحْلَافِ إِذْ رَقَّ عَظْمُهُمْ وَإِذَا أَصْلَحُوا مَالاً لِحِذْمَانِ ضَائِعَا
إِذَا مَا أَمْرٌ مِنْهُمْ أَسَاءَ عِمَارَةَ بَعَثْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ بَنِي الْعَبْرِ جَادِعَا
فَأَمَّا الصَّرِيخُ مِنْهُمْ فَتَحَمَلُوا وَأَمَّا الْيَهُودُ فَاتَّخَذْنَا بِضَائِعَا
أَخَذْنَا مِنَ الْأَوْلَى الْيَهُودَ عَصَابَةً² لَغَدْرِهِمْ كَانُوا لَدَيْنَا وَائِعَا³
فَذَلُّوا لِرَهْنِ عِنْدَنَا فِي حِبَالِنَا مَصَانِعَةٌ يَخْشُونَ مِنَّا الْقَوَارِعَا⁴
وَذَاكَ بَأْتَا حِينَ نَلْقَى عَدُوَّنَا نَصُولَ بَضْرَبٍ يَتْرُكُ الْعِزَّ خَاشِعَا

فبلغ قوله قريظة والنضير فغضبوا . وقال كعب بن أسد : نحن كما قال :
إن لم نُغِرْ فخالف الأوس على الخزرج . فلما سمعت الخزرج بذلك قتلوا كلَّ
من عندهم من الرهن من أولاد قريظة والنضير ، فأطلقوا نقرأ ، منهم : سُلَيْمِ
ابن أسد القُرَظِيَّ جدَّ محمد بن كعب بن سُلَيْمِ . واجتمعت الأوس وقريظة
والنضير على حرب الخزرج فاقتلوا قتالاً شديداً ، وسُمِّي ذلك الفجار الثاني
لقتل الغلمان من اليهود .

وقد قيل في قتل الغلمان غير هذا ، وهو : إنَّ عمرو بن النعمان البياضيَّ
الخزرجيَّ قال لقومه بني بياضة : إنَّ أباكم أنزلكم منزلة سوء ، والله لا يمسه
رأسي ماء حتى أنزلكم منازل قريظة والنضير أو أقتل رهنهم ! وكانت منازل
قريظة والنضير خير البقاع ، فأرسل إلى قريظة والنضير : إمَّا أن تُخَلِّتُوا بَيْنَنَا

1) A. فسحيم ; B. فسحيم .

2) S. مصابا .

3) S. وراسا .

4) مصانعه . . . التدارع S. 8) 4)

وبين دياركم ، وإما أن نقتل الرهن . فهموا بأن يخرجوا من ديارهم ، فقال لهم كعب بن أسد القرظي : يا قوم امنعوا دياركم واخلتوه يقتل الغلمان ، ما هي إلا لينةٌ يصيب فيها أحدكم امرأة حتى يولد له مثلٌ أحدهم . فأرسلوا إليهم : إنا لا نتقل عن ديارنا فانظروا في رهننا فعوا لنا . فعدا عمرو ابن النعمان على رهنهم فقتلهم ، وخالفه عبد الله بن أبي بن سلول فقال : هذا بغي وإثم . . . ونهاه عن قتلهم وقتال قومه من الأوس وقال له : كأنني بك وقد حملت قتيلاً في عباءة يحملك أربعة رجال¹ . فلم يقتل هو ومن أطاعه أحداً من الغلمان وأطلقوهم ؛ ومنهم : سليم بن أسد جد محمد بن كعب . وحالفت حينئذ قريظة والنضير الأوس على الخزرج ، وجرى بينهم قتال سمي ذلك اليوم يوم الفجار الثاني . وهذا القول أشبه بأن يسمي اليوم فجاراً ، وإما على القول الأول فإنما قتلوا الرهن جزاء للغدر من اليهود فليس بفجار من الخزرج إلا أن يسمي فجاراً لغدر اليهود .

ع

يوم بُعَاث

ثم إن قريظة والنضير جدّوا اليهود مع الأوس على الموازنة والتناصر ، واستحكم أمرهم وجدّوا في حربهم ، ودخل معهم قبائل من اليهود غير من ذكرنا . فلما سمعت بذلك الخزرج جمعت وحشدت وراست حلفاءها من أشجع وجهينة ، وراست الأوس حلفاءها من مزينة ، ومكثوا أربعين يوماً يتجهزون للحرب ، والتقوا ببُعَاث ، وهي من أعمال قريظة ، وعلى الأوس

1) S.

حضير الكتائب بن سيماء والد أسيد بن حضير ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي ، وتختلف عبد الله بن أبي بن سلول فيمن تبعه عن الخزرج ، وتختلف بنو حارثة بن الحارث عن الأوس . فلما التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً وصبروا جميعاً .

ثم إن الأوس وجدت مس السلاح فولتوا منهزمين نحو العريضة . فلما رأى حضير هزيمتهم برك وطعن قدمه بسنان رمحه وصاح : وا عقرآه كعقر الحمل ! والله لا أعود حتى أقتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تسلموني فافعلوا . فعطفوا عليه وقاتل عنه غلامان من بني عبد الأشهل يقال لهما محمود ويزيد ابنا خليفة حتى قُتلا ، وأقبل سهم لا يدري من رمى به فأصاب عمرو بن النعمان البياضي رئيس الخزرج فقتله ، هـ فيينا عبد الله بن أبي ابن سلول يتردد ركباً قريباً من بُعات يتجسس الأخبار إذ طلع عليه بعمره ابن النعمان قتيلاً في عباءة يحمله أربعة رجال ، كما كان قال له . فلما رآه قال : ذُق وبال البغي ! وانهمت الخزرج ، ووضعت فيهم الأوس السلاح ، فصاح صائح : يا معشر الأوس أحسنوا ولا تهلكوا إخوانكم فجوارهم خير من جوار الثعالب ! فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم . وإنما سلبهم قريظة والنضير ، وحملت الأوس حضيراً مجروحاً فمات . وأحرقت الأوس دور الخزرج ونخيلهم ، فأجار سعد بن معاذ الأشهلي أموال بني سلمة ونخيلهم ودورهم جزاء بما فعلوا له في الرعل ، وقد تقدم ذكره ، ونجى يومئذ الزبير بن إياس بن باطا ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي ، أخذه فجزأ ناصيته وأطلقه ، وهي اليد التي جازاه بها ثابت في الإسلام يوم بني القريظة ، وسنذكره .

وكان يوم بُعات آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج ثم جاء الإسلام واتفتت الكلمة واجتمعوا على نصر الإسلام وأهله وكفى المؤمنين القتال .

وأكثر الأنصارُ الأشعارَ في يوم بُعث ، فمن ذلك قول قيس بن الخطيم الظفري الأوسي :

أُتِرف رسماً كالطراز المذهباً
ديار التي كانت ونحن على منى
تبدت لنا كالشمس تحت غمامةٍ
ومنها :

وكنتُ امرأ لا أبعثُ الحربَ ظالماً
أذنتُ بدفعِ الحربِ حتى رأيتها
فلما رأيتُ الحربَ حرباً تجردتُ
مضعفةً يغشى الأناملَ ويَعْمُها
ترى قِصدَ المرانِ تُلقي كأنها
وساخي ملكاهنين^٢ ومالك
رجالٌ متى يُدعوا إلى الحربِ يُسرعوا
إذا ما فررنا كان أسوأ فرارنا
صدود الخدود والقنا متشاجر

فلما أبوا شعلتها كل جانبٍ
عن الدفع لا تزداد غير تقاربٍ
لبستُ مع البردين ثوبَ المحاربِ
كان قتيبيها^٢ عيونُ الجنادِبِ^٣
تذرعُ خيرصانٍ بأيدي الشواطِبِ
وثعلبة الأخيار رهط القبابِ^٤
كشفي الجمال المشعلات^٥ المصاعِبِ
صدود الخدودِ وازورارُ المناكبِ
ولا تبرحُ الأقدامُ عند التضاربِ

1) ركب B. ; ربع S. & A.

4) القباب S. & A.

2) قسيبتها B.

5) المصعبات S.

3) الجنائب A.

١ كالطراز المذهب .

٢ (رواية الجمهرة : وسامع فيها الكاهنان) .

٣ المصائب .

ظَارْنَاكُمْ بِالْبَيْضِ حَتَّى لَأَنْتُمْ
يُجْرَدُنْ بِيضاً كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةً
لَقَيْتَكُمْ يَوْمَ الْحِدَائِقِ حَاسِراً
وَيَوْمَ بُعَاثٍ أَسْلَمْتَنَا سِيوفُنَا
قَتَلْنَاكُمْ يَوْمَ الْفِجَارِ وَقَبْلَهُ
أَنْتَ عَصَبٌ لِلْأَوْسِ ٢ تَخْطُرُ بِأَلْقَانَا
أَذَلُّ مِنَ السُّقْبَانِ بَيْنَ الْحَلَابِ
وَيُرْجَعُنْ حُمْراً جَارِحَاتِ الْمَضَارِبِ
كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مَخْرَاقٌ لَاعِبٍ ١
إِلَى حَسَبٍ فِي جِذْمٍ غَسَانٍ ثَاقِبٍ
وَيَوْمٌ بُعَاثٍ كَانَ يَوْمَ التَّغَالِبِ
كَمَثِي الْأَسْوَدِ فِي رَشَاشِ الْأَهَاضِبِ

فأجابه عبدُ الله بن رَواحة :

أشأقتك ٣ ليلي في الخليط المجانب
بكي إثر من شطت نواه ولم يقم
لذن غلوة حتى إذا الشمس عارضت
نحامي على أحسابنا بتلادنا
وأعمى هدته للسبيل سيوفنا
ومعترك ضنك يرى الموت وسطه
برجل ترى الماضي فوق جلودهم
وهم حُسْرٌ لا في الدروع تخالهم
معاقلهم في كل يوم كرية
نعم، فرشاش الدمع في الصدر غالب
لحاجة محزونٍ شكَا الحبَّ ناصب
أراحت ٤ له من لبه كل عازب
لمفتقر أو سائل الحق واجب
وخصم أقمنا بعدما ثَجَّ ٥ ثاعباً
مشيناً له مشي الجمال المصاعب
وبيضاً نقياً مثل لون الكواكب
أسوداً متى تُنْشَا الرماح تضارب
مع الصدق منسوب السيوف القواضب

1) S. محنا ولاعب .

2) A. et B. مثل أوس S. ; مل ارض .

3) A. ; اسلاقتل . B. ليل .

4) S. et A. وراح .

5) R. نايح .

١ ليج شاخب .

وهي طويلة .

ولَيْلى التي شَبَّب بها ابنُ رَوَاحَة هي أخت قيس بن الحَطِيم ، وعمْرَةُ التي شَبَّب بها ابن الحَطِيم هي أخت عبد الله بن رَوَاحَة ، وهي أمّ النعمان بن بَشِير الأنصاري .

(بُعَاث بضمّ الباء الموحّدة ، وبالعين المهملة ، وقال صاحب كتاب العين وحده : وهو بالغين المعجمة) .

ذكر غلبة ثقيف على الطائف والحرب بين الأخلاف وبني مالك¹

كانت أرض الطائف قديماً لعدوان بن عمرو بن قيس بن عَيْلَان بن مُضَر . فلما كثر بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خَصِيفَة بن قيس بن عَيْلَان غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد . وكان بنو عامر يصيفون بالطائف ويشتون بأرضهم من نجد ، وكانت مساكن ثقيف حول الطائف ، وقد اختلف الناسُ فيهم ، فمنهم مَنْ جعلهم من إِيَاد فقال ثقيف اسمه قسيّ بن نبت بن منبّه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دُعَمي ابن إِيَاد من معدّ . ومنهم مَنْ جعلهم من هوازن فقال : هو قيس بن منبّه ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصِيفَة بن قيس بن عَيْلَان .

فرأت ثقيف البلاد فأعجبهم نباتها وطيب ثمرها فقالوا لبني عامر : إن هذه الأرض لا تصلح للزرع وإنما هي أرض ضرع² ونراكم على أن آثرتم

1) Hoc caput in solo S. legitur.

2) Cod. زرع .

الماشية على الغراس ، ونحن أناس ليست لنا مواشٍ فهل لكم أن تجمعوا الزرع والضرع بغير مؤونة ؟ تدفعون إلينا بلادكم هذه فتثيرها ونغرسها ونحفر فيها الأطواء ولا نكلفكم مؤونة . نحن نكفيكم المؤونة والعمل ، فإذا كان وقت إدراك الثمر كان لكم النصف كاملاً ولنا النصف بما عملنا .

فرغب بنو عامر في ذلك وسلّموا إليهم الأرض ، فنزلت ثقيف الطائف واقتسموا البلاد وعملوا الأرض وزرعوها من الأعناب والثمار ووفوا بما شرطوا لبني عامر حيناً من الدهر . وكان بنو عامر يمنعون ثقيفاً ممن أرادهم من العرب .

فلما كثرت ثقيف وشرفت حصنت بلادها وبنوا سوراً على الطائف وحصنوه ومنعوا عامراً مما كانوا يحملونه إليهم عن نصف الثمار . وأراد بنو عامر أخذه منهم فلم يقدرُوا عليه فقاتلوهم فلم يظفروا ، وكانت ثقيف بطنين : الأحلاف وبني مالك ، وكان للأحلاف في هذا أثر عظيم ، ولم تنزل تعتدّ بذلك على بني مالك فأقاموا كذلك .

ثم إن الأحلاف أثروا وكثرت خيلهم فحموا لها حمى من أرض بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن يقال له جيلندان ، فغضب من ذلك بنو نصر وقاتلوهم عليه . وبلّحت الحرب بينهم . وكان رأس بني نصر عقيف بن عوف ابن عبّاد النصريّ ثم اليربوعي ، ورأس الأحلاف مسعود بن قعب . فلما بلّحت الحرب بين بني نصر والأحلاف اغتم ذلك بنو مالك ورئيسهم جندب ابن عوف بن الحارث بن مالك بن حطيّط بن جشم من ثقيف لضغائن كانت بينهم وبين الأحلاف ، فحالفوا بني يربوع على الأحلاف .

فلما سمعت الأحلاف بذلك اجتمعوا . وكان أول قتال كان بين الأحلاف وبين بني مالك وحلفائهم من بني نصر يوم الطائف . واقتلوا قتالاً شديداً ، انتصر الأحلاف وأخرجوهم منه إلى وادي من وراء الطائف يقال له لب ،

وقُتِلَ من بني مالك وبني يربوع مقتلة عظيمة في شِيب من شباب ذلك الجبل يقال له الأبان . ثم اقتتلوا بعد ذلك أياماً مسميات ، منهن يوم غمّر ذي كندة ، من نحو نخلة ، ومنهن يوم كرونا من نحو حلوان ، وصاح عفيف ابن عوف اليربوعي في ذلك اليوم صيحة يزعمون أن سبعين حبلى منهم ألت ما في بطنها ، فاقتتلوا أشد قتال ثم افرقوا . نسارت بنو مالك تبغني الحلف من دوس وخنعم وغيرهما على الأحلاف ، وخرجت الأحلاف إلى المدينة تبغني الحلف من الأنصار على بني مالك ، فقدم مسعود بن معتب على أحيحة بن الجلاح أحد بني عمرو ابن عوف من الأوس ، وكان أشرف الأنصار في زمانه ، فطلب منه الحلف ، فقال له أحيحة : والله ما خرج رجل من قومه إلى قوم قطّ بحلف أو غيره إلا أقر لأولئك القوم بشرّ مما أنف منه من قومه ، فقال له مسعود : إنني أخوك ، وكان صديقاً له ، فقال : أخوك الذي تركته وراءك فارجع إليه وصالحه ولو بجدع أنفك وأذنك فإنّ أحداً لن يبرّ لك في قومك إذ خالفته . فانصرف عنه وزوده بسلاح وزاد وأعطاه غلاماً كان يبني الآطام ، يعني الحصون ، بالمدينة ، . فبني لمسعود بن معتب أطماً ، فكان أول أطم بني بالطائف ، ثم بُنيت الآطام بعده بالطائف . ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تُذكر .

وقالوا في حربهم أشعاراً كثيرة ، فمن ذلك قول مجر ، وهو ربيعة بن سفيان أحد بني عوف بن عقدة من الأحلاف :

وما كنت ممن أرت الشرّ بينهم ولكن مسعوداً جناها وجنّدا
قريباً ثقيف أنشبا الشرّ بينهم فلم يك عنها مترع حين أنشبا

١ فبني لبني معتب بن مسعود وذهب عمر وأطم ، فقال سلمان أول من أطم أطماً بني .

عناقاً ١ ضروراً بين عوفٍ ومالكٍ
مُضَرَّمَةً شَبَّأً أَشْبَاءَ وَقودَهَا
أصابت براء من طوائف مالكٍ
كجُمُثُورَةٍ جَاؤُوا تَحَطُّوا مَا بِنَاءً
وتدعوني عوف بن عقدة في الوغى
حبيباً وحيماً من رباب كئاباً
وقوماً بمكروءاء شنت مُعْتَبٌ
فأسقط أحبال النساء بصوته
شديداً لظاها تتركها الطفلة أشبياً
بأيديهما ما أورياها وأثباً
وعوف بما جرأ عليها وأجلباً
إليهم وتدعو في اللقاء مُعْتَباً
وتدعو علاجاً والحليف المُطِيباً
وسعداً إذا الداعي إلى الموت ثوباً
بغارها فكان يوماً عَصَبُصَباً
عُفَيْفٌ إذا نادى بنصرٍ فطرباً

(عُفَيْفٌ هَذَا بضمّ العين وفتح الفاء) .

استراك

وقع خطأ في السطر ٩ صفحة ٦١١
وصحيحه : وثبتلا بدلا من ونبتلا

١) Cod. شبا .

١ عناقاً .

٢ ترك .

٣ محط ما أتينا .

فهرست المجلد الأول

مقدمة الناشرين

حياة المؤلف ، رحمه الله

١	مقدمة المؤلف
١٠	ذكر الوقت الذي ابتدء فيه بعمل التاريخ في الإسلام
١٣	القول في الزمان
١٣	القول في جميع الزمان من أوله إلى آخره
١٦	القول في ابتداء الخلق وما كان أوله
١٦	القول فيما خُلِقَ بعد القلم
٢٠	القول في الليل والنهار أيهما خُلِقَ قبل صاحبه
٢٣	قصة إبليس ، لعنه الله ، وابتداء أمره وإطغائه آدم : عليه السلام
٢٤	ذكر الأخبار بما كان لإبليس ، لعنه الله ، من الملك وذكر الأحداث في ملكه
٢٧	ذكر خلق آدم ، عليه السلام
٣٠	الأسماء التي علمها الله آدم
٣٢	ذكر إسكان آدم الجنة وإخراجه منها
٣٥	ذكر اليوم الذي أسكن آدم فيه الجنة واليوم الذي أخرج فيه منها واليوم الذي تاب فيه
٣٦	ذكر الموضع الذي أهبط فيه آدم وحواء من الأرض
٤٠	ذكر إخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق
٤١	ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم في الدنيا
٤٧	ذكر ولادة شيث
٤٩	ذكر وفاة آدم ، عليه السلام

٥٤	ذکر شیث بن آدم ، علیه السلام
٥٦	ذکر الأحداث التي كانت من لدن ملك شیث إلى أن ملك برّود
٥٩	ذکر برود
٦١	ذکر ملك طهمورث
٦٢	ذکر حنوخ وهو إدريس ، علیه السلام
٦٤	ذکر ملك جمشید
٦٧	ذکر الأحداث التي كانت في زمن نوح ، علیه السلام
٧٤	ذکر بیوراسب وهو الازدهاق ، الذي يسميه العرب الضحاک
٧٨	ذکر فریة نوح ، علیه السلام
٨٣	ذکر ملك أفريدون
٨٥	ذکر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم
٩٤	ذکر إبراهيم الخلیل ، علیه السلام ، ومن كان في عصره من ملوك العجم
١٠٠	ذکر هجرة إبراهيم ، علیه السلام ، ومن آمن معه
١٠٢	ذکر ولادة إسماعیل ، علیه السلام ، وحمله إلى مکة
١٠٦	ذکر عمارة البيت الحرام بمکة
١٠٨	ذکر قصة الذبیح
١٠٩	ذکر من قال إنه إسحاق
١١٠	ذکر من قال إن الذبیح إسماعیل ، علیه السلام
١١١	ذکر السبب الذي من أجله أمر إبراهيم بالذبیح وصفة الذبیح
١١٣	ذکر ما امتحن الله به إبراهيم ، علیه السلام
١١٥	ذکر علو الله نمرود وهلاكه
١١٨	ذکر قصة لوط وقومه
١٢٣	ذکر وفاة سارة زوج إبراهيم ، علیه السلام ، وذکر أولاده ولزوجاته
١٢٣	ذکر وفاة إبراهيم وعند ما أنزل عليه
١٢٥	ذکر خبر ولد إسماعیل بن إبراهيم
١٢٦	ذکر إسحاق بن إبراهيم ولولاده
١٢٨	قصة أيوب ، علیه السلام

١٣٧	ذکر قصة يوسف ، عليه السلام
١٥٧	قصة شعيب ، عليه السلام
١٦٠	قصة الخضر وخبره مع موسى
١٦٤	ذکر الخبر عن منوجهر والحوادث في أيامه
١٦٩	قصة موسى ، عليه السلام ، ونسبه وما كان في أيامه من الأحداث
١٩٥	ذکر أمر بني إسرائيل في التيه ووفاة هارون ، عليه السلام
١٩٨	ذکر وفاة موسى ، عليه السلام
٢٠٠	ذکر يوشع بن نون ، عليه السلام ، وضع مدينة الجبارين
٢٠٤	ذکر أمر قارون
٢٠٧	ذکر من ملك من الفرس بعد منوجهر
٢٠٩	ذکر ملك كيقباز
٢١٠	ذکر الأحداث في بني إسرائيل في عهد زو وكيقباز ونبوة حزقييل
٢١٢	ذکر إلياس ، عليه السلام
٢١٤	ذکر نبوة إيسع ، عليه السلام ، وأخذ التابوت من بني إسرائيل
٢١٧	ذکر حال اشمويل وطالوت
٢٢٣	ذکر ملك داود
٢٢٤	ذکر فتنه بزوجة أوريا
٢٢٧	ذکر بناء بيت المقدس ووفاة داود ، عليه السلام
٢٢٩	ذکر ملك سليمان بن داود ، عليه السلام
٢٣٠	ذکر ما جرى له مع بلقيس
٢٣٨	ذکر غزوته أبا زوجته جرادة ونكاحها وعبادة الصنم في دله وأخذ خاتمه وعوده إليه
٢٤٢	ذکر وفاة سليمان
٢٤٥	ذکر من ملك من الفرس بعد كيقباز
٢٤٨	ذکر ملك كيخسرو بن سیاوخش بن كيكاووس
٢٥١	ذکر أمر بني إسرائيل بعد سليمان
٢٥١	ذکر عاربة أما بن أيا ووزح المندي

- ٢٥٥ ذكر شعبا والملك الذي معه من بني اسرائيل ومسير سنحاريب إلى بني اسرائيل
- ٢٥٨ ذكر ملك لهراسب وابنه بشتاسب وظهور زرادشت
- ٢٦١ ذكر مسير بخت نصر إلى بني اسرائيل
- ٢٧١ ذكر غزو بخت نصر العرب
- ٢٧٣ ذكر بشتاسب والحوادث في ملكه وقتل أبيه لهراسب
- ٢٧٦ ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيام كيكاووس إلى أيام بهمن بن إسفنديار
- ٢٧٨ ذكر خبر أردشير بهمن وابنته خماني
- ٢٨١ ذكر خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين
- ٢٨٢ ذكر الإسكندر ذي القرنين
- ٢٩٢ ذكر من ملك من قومه بعد الإسكندر
- ٢٩٣ ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الإسكندر وهم ملوك الطوائف
- ٢٩٤ ذكر ملك أشك بن أشكان
- ٢٩٥ ذكر ملك جودرز
- ذكر الأحداث أيام ملوك الطوائف ، فمن ذلك ذكر المسيح عيسى بن مريم
ويحيى بن زكرياء ، عليهم السلام
- ٢٩٨
- ٣٠٦ ذكر قتل زكرياء
- ٣٠٧ ذكر ولادة المسيح ، عليه السلام ، ونبوته إلى آخر أمره
- ٣١٣ ذكر نبوة المسيح وبعض معجزاته
- ٣١٦ ذكر نزول المائدة
- ٣١٧ ذكر رفع المسيح إلى السماء ونزوله إلى أمته وعوده إلى السماء
- ٣٢٢ ذكر من ملك من الروم بعد رفع المسيح إلى عهد نبيينا محمد ، صلى الله عليه وسلم
- ٣٢٤ ذكر ملوك الروم ، وهم ثلاث طبقات ، فالطبقة الأولى الصابئون
- ٣٢٩ الطبقة الثانية من ملوك الروم المنتصرة
- ٣٣٤ ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الروم بعد الهجرة
- ٣٤٠ ذكر وصول قبائل العرب إلى العراق ونزولهم الحيرة
- ٣٤٢ ذكر جديمة الأبرش
- ٣٥١ ذكر طسم وجديس وكانوا أيام ملوك الطوائف

- ٣٥٥ ذكر أصحاب الكهف ، وكانوا أيام ملوك الطوائف
- ٣٦٠ ذكر يونس بن متى
- ٣٦٤ ومما كان من الأحداث أيام ملوك الطوائف
- ٣٦٦ ومما كان من الأحداث شمسون
- ٣٦٧ ومما كان من الأحداث أيضاً جرجيس
- ٣٧٦ ذكر خالد بن سنان العبسي
- ٣٧٧ ذكر طبقات ملوك الفرس
- ٣٧٧ الطبقة الثانية الكيانية
- ٣٧٨ الطبقة الثالثة الأشغانية
- ٣٧٩ الطبقة الرابعة الساسانية
- ٣٨٠ ذكر أخبار أردشير بن بابك وملوك الفرس
- ٣٨٥ ذكر ملك سابور بن أردشير بن بابك
- ٣٨٧ ذكر خبر مدينة الحضرمية
- ٣٨٨ ذكر ملك ابنه هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك
- ٣٩٠ ذكر ملك ابنه بهرام بن هرمز بن سابور
- ٣٩٠ ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير
- ٣٩١ ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور
- ٣٩١ ذكر ملك فرمسي بن بهرام
- ٣٩١ ذكر ملك هرمز بن فرمسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز
- ٣٩٢ ذكر ملك ابنه سابور ذي الأكتاف
- ٣٩٦ سبب تنصر قسطنطين
- ذكر ملك أردشير بن هرمز بن فرمسي بن بهرام بن سابور بن أردشير بن بابك
- ٣٩٧ أخي سابور
- ٣٩٧ ذكر ملك سابور بن سابور ذي الأكتاف
- ٣٩٨ ذكر ملك أخيه بهرام بن سابور ذي الأكتاف
- ٣٩٨ ذكر ملك يزديجرد الأثيم بن بهرام بن سابور ذي الأكتاف
- ٤٠١ ذكر ملك بهرام بن يزديجرد الأثيم

٤٥٧	ذکر ملك ابنه یزدجرد بن بهرام جور
٤٥٧	ذکر ملك فیروز بن یزدجرد بن بهرام بعد أن قتل أخاه هرمز وثلاثة من أهل بيته
٤١٠	ذکر الأحداث فی العرب أيام یزدجرد و فیروز
٤١١	ذکر ملك بلاش بن فیروز بن یزدجرد
٤١٢	ذکر ملك قباذ بن فیروز بن یزدجرد
٤١٥	ذکر حوادث العرب أيام قباذ
٤٢٤	ذکر ملك لختیمة
٤٢٥	ذکر ملك ذي نواس وقصة أصحاب الأعدود
٤٣١	ذکر ملك الحبشة الیمن
	ذکر ملك كسرى أنوشروان بن قباذ بن فیروز بن یزدجرد بن بهرام جور بن
٤٣٤	یزدجرد الأئیم
٤٣٧	ذکر ملك كسرى بلاد الروم
٤٤٠	ذکر ما فعله أنوشروان بأرمينية وأذربيجان
٤٤٢	ذکر أمر الفیل
٤٤٧	ذکر عود الیمن إلى حمير وإخراج الحبشة عنه
٤٥١	ذکر ما أحدثه قريش بعد الفیل
٤٥٣	ذکر حلف المطییین والأحلاف
٤٥٥	ذکر ما فعله كسرى فی أمر الحجاج والهند
٤٥٨	ذکر مولد رسول الله ، صلی الله علیه وسلم
٤٦٨	ذکر قتل تمیم بالمشقر
٤٦٩	ذکر ملك ابنه هرمز بن أنوشروان
٤٧٢	ذکر ملك كسرى أبرویز بن هرمز
٤٨٠	ذکر ما رأى كسرى من الآيات بسبب رسول الله ، صلی الله علیه وسلم
٤٨٢	ذکر وقعة ذي قار وسببه
٤٩١	ذکر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند
٤٩٢	ذکر المروزان وولایته الیمن من قبل هرمز
٤٩٢	ذکر قتل كسرى أبرویز

- ٤٩٤ ذكر ملك كسرى شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان
- ٤٩٨ ذكر ملك أردشير
- ٤٩٩ ذكر ملك شهربراز
- ٤٩٩ ذكر ملك بوران ابنة أبرويز بن هرمز بن أنوشروان
- ٥٠٠ ذكر ملك آرميدخت ابنة أبرويز
- ٥٠١ ذكر ملك يزجرد بن شهریار بن أبرويز
- ٥٠٢ ذكر أيام العرب في الجاهلية
- ٥٠٢ ذكر حرب زهير بن جناب الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين
- ٥٠٦ ذكر يوم بردان
- ٥١١ ذكر مقتل حُجر أبي امرئ القيس والحروب الحادثة بمقتله إلى أن مات امرؤ القيس
- ٥٢٠ يوم خزاز
- ٥٢٣ ذكر مقتل كُليب والأيتام بين بكر وتغلب
- ٥٣٩ ذكر الحرب بين الحارث الأخرج وبني تغلب
- ٥٤٠ يوم عين أباغ
- ٥٤٢ يوم مرج حلبيمة وقتل المنذر بن المنذر بن ماء السماء
- ٥٤٧ ذكر قتل مُضَرط الحجارة
- ٥٤٩ يوم الكلاب الأول
- ٥٥٢ يوم أواره الأول
- ٥٥٣ يوم أواره الثاني
- ٥٥٦ ذكر قتل زهير بن جديمة وخالد بن جعفر بن كلاب والحارث بن ظالم المري وذكر يوم الرحرحان
- ٥٦٦ أيام داحس والغبراء ، وهي بين عيس وذبيان
- ٥٨٣ يوم شعب جبلة
- ٥٨٧ يوم ذات نكيف
- ٥٨٨ ذكر الفجار الأول والثاني
- ٥٩٥ يوم ذي نجب

٥٩٦	يوم نَعْف قُشاوة
٥٩٨	يوم الغَيْبِط
٦٠٠	يوم لَشِيانِ عَلِي بنِي تَمِيم
٦٠٢	يوم مَبائِض
٦٠٤	يوم الزَّوَيَرَيْنِ
٦٠٦	ذَكَرَ أُسْرَ حَاتِمِ طَيِّءٍ
٦٠٨	يوم مُسْحَلانِ
٦٠٩	حَرْبِ لَسْلِيمِ وَشِيانِ
٦١٠	يوم جَدود
٦١٢	يوم الإِبَادِ ، وَهُوَ يَوْمُ أَعْشاشِ وَيَوْمِ الْعُظَالِي
٦١٣	يوم الشَّقِيقةِ وَقَتْلِ بَسْطامِ بْنِ قَيْسِ
٦١٧	يوم النَّسارِ
٦١٩	يوم الحِيفارِ
٦٢٠	يوم الصَّفقةِ وَالكَلابِ الثَّانِي
٦٢٦	يوم ظَهْرِ الدِّهْناءِ
٦٢٨	يوم الوَقِيطِ
٦٣١	يوم المَرَوْتِ
٦٣٢	يوم فَيْفِ الرِّيحِ
٦٣٥	يوم اليَحامِيمِ وَيُعرفُ أَيْضاً بِقاراتِ حُوقِ
٦٣٧	يوم ذِي طُلُوحِ
٦٣٨	يوم أَقرُنِ
٦٣٩	يوم السَّلانِ
٦٤١	يوم ذِي عَكْتِ
٦٤٢	يوم الرِّقْمِ
٦٤٤	يوم سَاحِقِ
٦٤٥	يوم أَعْيَارِ وَيَوْمِ النَّمِيعَةِ
٦٤٦	يوم النِّبَاةِ

٦٤٧	يوم الفُرات
٦٤٨	يوم بارق
٦٤٩	يوم طِخْفَة
٦٥٠	يوم النَّباج وثَيْتَل
٦٥٢	يوم فُلُج
٦٥٤	يوم الشَّيْطِين
٦٥٥	أَيَّامُ الْأَنْصَارِ ، وَهَمُ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، الَّتِي جَرَتْ بَيْنَهُمْ
٦٥٦	ذِكْرُ غَلْبَةِ الْأَنْصَارِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَضَعْفُ أَمْرِ الْيَهُودِ بِهَا وَقَتْلُ الْفِطْيَانِ
٦٥٨	حَرْبُ سُمَيْرٍ
٦٦٠	ذِكْرُ حَرْبِ كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو الْمَازِنِيِّ
٦٦٢	ذِكْرُ الْحَرْبِ بَيْنَ بَنِي عَمْرٍو وَبَنِي الْحَارِثِ ، وَهُوَ يَوْمُ السَّرَارَةِ
٦٦٥	حَرْبُ الْحُصَيْنِ بْنِ الْأَسَلْتِ
٦٦٦	حَرْبُ رَيْبِعِ الظَّنْفَرِيِّ
٦٦٨	حَرْبُ فَارِعٍ بِسَبَبِ الْفَلَامِ الْقِضَاعِيِّ
٦٧١	حَرْبُ حَاطِبٍ
٦٧٢	يَوْمُ الرَّبِيعِ
٦٧٣	يَوْمُ الْبَقِيعِ
٦٧٦	يَوْمُ الْفِجَارِ الْأَوَّلِ لِلْأَنْصَارِ
٦٧٦	يَوْمُ مَعْبَسٍ وَمُضْرَسٍ
٦٧٨	يَوْمُ الْفِجَارِ الثَّانِي لِلْأَنْصَارِ
٦٨٠	يَوْمُ بُعَاثٍ
٦٨٤	ذِكْرُ غَلْبَةِ ثَقِيفٍ عَلَى الطَّائِفِ وَالْحَرْبِ بَيْنَ الْأَحْلَافِ وَبَنِي مَالِكٍ

الكلام
في القياس
للأستاذ